أصول العقيدة

أ.د/ محمود عبد الرازق الرضواني

مكتبة سلسبيل
٢٥٤٣٣٩١٩ - ٠١٠٦٧٦٦٩٢١٩

الدورة العلمية الأولى

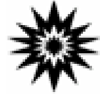
المجلد الأول

١

أصول العقيدة
أ.د/ محمود عبد الرازق الرضواني

المطلب الأول

ماهية العقل والنقل ومدارك اليقين



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد .

فمن أهم الأمور التي تقرر العقيدة السليمة، وتمكن من رسوخها في قلوب المسلمين، وتسهم في إزالة الخلاف بين عامة المختلفين، وتقرب القلوب إلى التمسك بالقرآن والسنة على فهم سلف الأمة، بيان حقيقة العلاقة بين العقل والنقل، أو العلاقة بين عقل الإنسان وما ورد في القرآن والسنة، فالعلاقة بين العقل والنقل تعتبر عاملا حاسما في تحديد هوية المسلم واعتقاده، لاسيما في باب الغيبيات، والإيمان بما ورد فيه من الأسماء والصفات.

ولأهمية ذلك نحاول في هذا المطلب أن نتعرف على موقف السلف الصالح من تلك العلاقة، وما هو المنهج الصحيح الذي يسلكه الموحد في هذا الموضوع؟

- **ما المقصود بالعقل؟**

العقل في أصح الآراء: غريزة وضعها الله في قلوب الممتحنين من عباده، تابعة للروح، وموضوعة في الجانب الغيبي من قلب الإنسان،

غريزة لا نعرف كيفيتها، ولكن نتعرف على وجودها، ووجود أوصافها من أفعال الإنسان في ظاهر البدن، فيقال: هذا عاقل، إذا فعل أفعال العقلاء، وهذا مجنون إذا لم يتصف بها.

والدليل على أن العقل موجود في القلب قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦.

قال الثعالبي: (هذه الآية تقتضي أن العقل في القلب، وذلك هو الحق، ولا ينكر أن للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ) [١].

وقال القرطبي: (أضاف العقل إلى القلب لأنه محله، كما أن السمع محله الأذن، وقد قيل: إن العقل محله الدماغ، وروي ذلك عن أبي حنيفة، وما أراها عنه صحيحة) [٢].

وصح من حديث علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: (رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثلاثةٍ: عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلمَ، وَعَنْ المَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِل) [٣].

(١) تفسير الثعالبي ٣/٨٣.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/٧٧.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا ٤/١٤١ (٤٤٠٣)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٢/٥ (٢٩٧) .

- **ما هي الغاية الرئيسية من وجود العقل؟**

لما كانت الإرادة في القلب هي محل الكسب، وهي مسئولة عن شحن العقل بالمعلومات، أو تركه أجوف خاليا فارغا، فإن دور العقل يتمثل في إدراك المعلومات وتحصيلها، وجمعها وترتيبها.

كما أن حواس الإنسان وسيلة نقلها إليه؛ فهي المسئولة عن إدخال المعلومات وإخراجها، ثم يقوم العقل بعد ذلك بتحليلها، وتصنيف الحدث المرافق لها، ثم يخزنها في الذاكرة لاستدعائها، حسب ما يشاء الإنسان.

والغاية الرئيسية من وجود العقل، معرفة الإنسان ما ينفعه أو يضره، وكيف يحصِّل الخير الأعلى والأفضل دائما؟ فالعقل بقياس الأولى ـ ولله المثل الأعلى ـ شأنه شأن العقل الالكتروني، أو جهاز الكمبيوتر، غير أن هذا من صنع البشر، وذاك من صنع خالق البشر، وشتان بين هذا وذاك.

ولما كان عظم المنفعة من أجهزة الكمبيوتر يرتبط طرديا مع البرامج العلمية عالية التقنية، كان عِظَمُ المنفعة من العقل البشري مرتبطا أيضا مع التزام الإنسان بالمناهج الدقيقة والتشريعات المحكمة، التي تضمن له سبل السعادة في الحياة وبعد الممات.

ولن نجد دستورا يتصف بالدقة والشمولية، أو كمال الحكمة في الأحكام التشريعية أكمل من منهج الله، فلو وضع الله ﷻ للإنسان

منهجا ونظاما، ودستورا وأحكاما، وحلالا وحراما، كان الكمال كله فيه، وكان صلاح العقل في اتباعه.

وذلك لأن علم البشر لا يقارن بعلم الله، والحكم بغير شرعه ونظامه لا يرقي إلى الحكم بما أنزل الله.

ومن المعلوم لدى كل فطرة سليمة أن العاقل هو الذي يحرص على جلب المنفعة وتحصيلها، وحب الخيرات وتفضيلها، ولا نجد عاقلا يفضل الخير الأدنى على الخير الأعلى.

والعاقل أيضا هو الحريص على دفع المضرة وإبعادها، كما أنه يتحمل مشقة أدنى، ليحصِّل منفعة أعلى، ويضحي مما يملك بالقليل، ليحصِّل من خلاله الكثير، ويحرص على الباقي، ويزهد في الفاني، فالمريض مثلا يتحمل مرارة الدواء طلبا للشفاء.

إذا كانت تلك أوصاف العقلاء النابعة من الفطرة السليمة، فإن دعوة الإسلام دعوة راقية عظيمة؛ لأنها بنيت على إيثار المصلحة العليا، وتفضيل ما عند الله بطلب الجنة، والبعد عن النار، فليس بعد نعيم الجنة من خير، وليس بعد عذاب النار من شر.

روى مسلم من حديث أَنس ﷺ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (يُؤْتَي بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثمَّ يُقَال: يَا ابْنَ آدَمَ، هَل رَأَيْتَ خَيْرًا قَطّ؟ هَل مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطّ؟ فَيَقُول: لا وَاللهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَي بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْل الجَنَّةِ

فَيُصْبَغُ صَبْغَةَ فِي الجَنَّةِ، فَيُقَال لهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَل رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُول: لا وَاللهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)[1].

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾ الأعلى:١٦/١٩.

والقرآن يخبرنا أن المعرض عن ربه يعترف بذنبه، ويقر على نفسه بأن الله منحه غريزة العقل؛ لكنه لم ينتفع بها، وأنه لم يكن عاقلا حين فضل الدنيا على الآخرة.

قال تعالى عن وصف جهنم وأهلها: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ الملك:٨/١١.

قال الحارث المحاسبي: (جميع الممتحنين المأمورين من العقلاء البالغين كلهم، لهم عقول يميزون بها أمور الدنيا كلها، الجليل والدقيق، وأكثرهم للآخرة لا يعقلون. ألم تسمعه ﷻ يقول: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ الأعراف:١٩٨. وقال جل ثناؤه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴿١٧٩﴾﴾ الأعراف:١٧٩.

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤسا في الجنة ٤/٢١٦٢ (٢٨٠٧).

وهم بالدنيا أهل بصر وسمع وعقل؟ ولم يعن أنهم صم خرس مجانين، وإنما عذبهم لأنهم يعقلون. لو تدبروا ما يرون ويسمعون من الدلائل عليه، من آيات الكتاب، وآثار الصنعة، واتصال التدبير الذي يدل عليه، لعلموا أنه واحد لا شريك له. حكى تعالى قول أهل النار فقال: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ الملك: ١٠.

وقد كانت لهم عقول وأسماع، لزمتهم بها الحجة لله ﷻ، وإنما عني ﷻ أنها لم تعقل عن الله فهما لما قال من عظيم قدر عذابه، فندمت ونادت بالويل والندم، لا أنها لم تكن تسمع ولا تعقل، ولا كانوا بمجانين، ولكن يعقلون أمر الدنيا، ولا يعقلون عن الله ما أخبر عنه، ووعد وتوعد)[1].

• ما هي حدود المعرفة بالعقل؟

حدود المعرفة بالعقل ما وقع تحت مدارك الإنسان من معلومات يدركها بحواسه الخمس، وما نشأ في القلب من علم نتج عن النظر في عالم الشهادة، من خلال الأسباب، أو بأنواع الدلالات العقلية المختلفة، كفهم دلالة الأسباب على نتائجها، والنتائج على أسبابها، وارتباط العلل بمعلولاتها، والتعرف من خلالها على خالقها.

والله ﷻ قد خلق الإنسان بجهاز إدراكي محدود تحقيقا لعلة الابتلاء في العبادة التي أوجدنا من أجلها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن

(١) ماهية العقل للمحاسبي ص ٢١٨، نشر دار الفكر، بيروت.

نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الإنسان:٢.

وقال: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل:٧٨.

وكل ذلك لإظهار حكمة الله في تكليف العباد بالشرائع والأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، والتصديق بما جاء في رسالة الإسلام، فوجب على المسلم شهادة الحق وقول الصدق، وترك الزور والبهتان والإفك، وترك دعوى علم الغيب، أو القول على الله بلا علم.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج:٣٠.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الفرقان:٧٢.

والمسلم مطالب بالتصديق الجازم لكل خبر ورد عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكل ما ورد في القرآن والسنة من أمور الإيمان أركانه، وأن يثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته رسوله ﷺ، وحرم عليه أن يتقول على ربه، بوضع آراء عقلية، يحكم بها على الأدلة النقلية، فيأخذ منها ما يشاء، ويعطل ما يشاء، فيقع في البدعة وظلمة الأهواء.

قال الله تعالى في وصف الإنسان ومحدودية علمه: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ

ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء:٨٥.

وقال سبحانه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النمل:٦٥.

- **ما هي العتبات المطلقة للحواس الخمس؟**

لقد أجريت التجارب والدراسات الحديثة لتقدير القيم التقريبية للحدود التي يستقبلها الجهاز الحسي والإدراكي من المؤثرات الخارجية، والتي يطلقون عليها في علم النفس، العتبات المطلقة للحواس الخمس، فوجدوا الحقائق التالية:

١- أن البصر يدرك به العقل صورة شمعة مضاءة، ترى على بعد ثلاثين ميلا في ليل مظلم صاف، ٢٩٠ مليميكرون.

٢- أن السمع يدرك به العقل صوت دقة ساعة في ظروف هادئة تماما على بعد عشرين قدما.

٣- والتذوق يدرك به العقل ملعقة صغيرة من السكر، مذابة في جالونين من الماء.

٤- الشم يدرك به العقل نقطة عطر منتشرة في غرفة مساحتها ستة أمتار مربعة .

٥- وحاسة اللمس يدرك بها جناح ذبابة، يسقط على الصدغ من مسافة سنتيمتر واحد تقريبا.

وإذا كان الجهاز الإدراكي في الإنسان قاصرا بتلك الصورة في

الدنيا، فمن الصعب أن يرى ما وراء ذلك مما يحدث في القبر من عذاب أو نعيم، أو يرى الملائكة، أو الجن، أو عالم الغيب، أو يرى الله سبحانه وتعالى من باب أولى.

ومعلوم أن عدم رؤيته لهذه الحقائق لا يعنى عدم وجودها، فالجن مثلا جهازه الإدراكي يختلف عن الإنسان من حيث القوة، كما قال الله تعالى في وصفه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الأعراف:٢٧.

- **انعدام رؤية الأشياء يكون لسببين اثنين.**

ولما طلب موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل، لم يكن الجواب باستحالة الرؤية أو نفيها مطلقا، ولكن النفي معلق بانتهاء الحياة الدنيا، فإن الشيء لا يرى لسببين:

١. خفاء المرئي وهو ممتنع في حق الله.

٢. ضعف الجهاز الإدراكي للرائي.

وهذا شأن موسى عليه السلام، ولذلك تجلى الله للجبل الذي يتحمل أقصى درجة ممكنة من ضوء الشمس، والذي لا يتحمله الإنسان أكثر من تسع دقائق تقريبا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا

﴿ تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف:١٤٣.

ومن ثم فإنه من الخطأ طلب البحث عن كيفية الأمور والحقائق الغيبية، أو كيفية الذات الإلهية، أو كيفية صفاتها؛ لأن السنن التي أوجدها الله في الكون لا تسمح بذلك، اللهم إلا إذا حدث خرق للعادة في بعض معجزات الأنبياء؛ فيرون الملائكة أو الجنة أو النار أو بعض أمور الغيب مما يحدث في القبر أو في السماء، أو ما يعجز الإنسان العادي عن إدراكه.

وقد ورد عند البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خَسَفَتْ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فقَرَأَ سُورَةً طَويلةً، ثمَّ رَكَعَ فَأَطَال، ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثمَّ اسْتَفْتَحَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، ثمَّ رَكَعَ حَتَّى قَضَاهَا وَسَجَدَ، ثمَّ فَعَل ذَلكَ فِي الثانِيَةِ، ثمَّ قَال: إنَّهُمَا آيَتَان مِنْ آيَاتِ اللهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذلكَ فَصلوا حَتَّى يُفْرَجَ عَنْكُمْ. لقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُل شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّى لقَدْ رَأَيْتُ أُريدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنْ الجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلتُ أَتَقَدَّمُ. وَلقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ)[١].

وفي رواية أخرى عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: (إنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لا يَخْسِفَانِ

---

(١) البخارى، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة ١/٤٠٦ (١١٥٤).

لَموْتِ أَحَدٍ وَلا لحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلكَ فَاذْكُرُوا اللهَ. قَالوا: يَا رَسُول اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ. قَال ﷺ: إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلتُ عُنْقُودًا، وَلوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا. وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلهَا النِّسَاءَ. قَالوا: بِمَ يَا رَسُول اللهِ؟ قَال: بِكُفْرِهِنَّ. قِيل: يَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَال: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ. لوْ أَحْسَنْتَ إِلى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلهُ، ثمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) [(١)].

أما أمر الإدراك في الآخرة فهو مختلف تماما، إذ أن مدركات الإنسان في الآخرة تختلف عن مدركاته في الدنيا، كما ورد عند البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النبي ﷺ قال: (خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ، طُولهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلمَّا خَلقَهُ قَال: اذْهَبْ فَسَلمْ عَلى أُولئِكَ النَّفَرِ مِنْ المَلائِكَةِ جُلوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَال: السَّلامُ عَليْكُمْ، فَقَالوا: السَّلامُ عَليْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُل مَنْ يَدْخُل الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ آدَمَ، فَلمْ يَزَل الخَلقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآن) [(٢)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة ٣٥٧/١ (١٠٠٤)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ٦٢٦/٢ (٩٠٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ٢٢٩٩/٥ (٥٨٧٣)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ٢١٨٣/٤ (٢٨٤١).

والحديث دل على أن الإنسان يوم القيامة يكون على صورة آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا. ومن ثم فإن مداركه وحواسه تتغير بالكيفية التي تناسب أمور الآخرة وما فيها. فإذا أخبر رسول الله ﷺ أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، علمنا أن إدراك العين المبصرة في الدنيا وقدرتها تختلف عن إدراك العين المبصرة في الآخرة، وقدرتها على الرؤية.

روى البخاري ومسلم عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَال: (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلى القَمَرِ لَيْلةً يَعْنِي البَدْرَ، فَقَال: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلبُوا عَلى صَلاةٍ قَبْل طُلوعِ الشَّمْسِ وَقَبْل غُرُوبِهَا فَافْعَلوا. ثُمَّ قَرَأَ: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْل طُلوعِ الشَّمْسِ وَقَبْل الغُرُوبِ) [1].

من أجل ذلك وجب الإيمان بالرؤية في الآخرة، والتسليم بذلك، لموافقته للعقل الصريح والنقل الصحيح.

وكذلك الحال في بقية الأسماء والصفات التي أخبرنا الوحي عنها، نؤمن بها ونثبتها لله دون أن نطلب البحث عن كيفيتها.

- **العقل الصريح ومدارك اليقين.**

أما العقل الصريح فأقصى حدوده، أن يتعرف على وجود الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ٢٠٣/١ (٥٢٩)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ٤٣٩/١ (٦٣٣).

وعظمته من خلال الأسباب ودلالتها، وكيفية التلازم بينها في ترابطها، وهناك عدة أمور يدرك بها العقل حقائق الأشياء على وجه اليقين.

أولها: البديهيات أو الأوليات.

وذلك كالحكم على أن البعرة تدل يقينا على البعير، وأن الأثر يدل يقينا على المسير، وهكذا كل مفعول، لابد له من فاعل، وكل نتيجة لابد لها من سبب. فنحن ما رأينا سيارة تتحرك دون قائدها، أو أوراقا مسطرة بكلمات بديعة كتبت وحدها بغير كاتبها، وما شاهدنا أبدا حجارة ورمالا تتحرك وحدها، فتجتمع على بعضها، وترتب نفسها بنفسها، لتقيم قصرا بديعا، أو سدا منيعا.

ولهذا لما سئل أعرابي عن وجود الخالق فقال معبرا في إجابته عن فطرته الإسلامية النقية: (إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير؛ فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف الخبير؟)[1].

لقد بنى الأعرابي إجابته على دلالة الأوليات على الخالق باليقين، وأنه من المحال عقلا أن يوجد مخلوق بغير خالق، وإلى هذا أشار القرآن في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) ﴾ الطور:٣٥/٣٦.

وقد أكد الإنسان العاقل صاحب العقل الصريح بنظره في الواقع أنه

(١) كتاب المواقف، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ١/١٥١ .

لا يمكن أن يخلق نفسه، فضلا عن غيره، ولو استطاع أن يخلق نفسه، لصورها كما يشاء، ولأوجد فيها كل صفات الكمال وما يشتهيه ويتمناه، ولم يجعلها عرضة لنوازع النفس التي تنقص من قدر الشخص بين عباد الله. ولكن الواقع الذي يراه، ويحسه الجميع، ولا يشك فيه عاقل، أن الإنسان يبدأ من نطفة، ويمر بأطوار مختلفة، حتى إذا اكتمل تكوينه، خرج من بطن أمه في منتهى العجز والضعف، لا يعلم من أمر الحياة شيئا، تم يتدرج في النمو حتى يبلغ في القوة مداها، ثم يبدأ في الاضمحلال بالشيخوخة إلى أقصاها، ثم تنتهي حياته فيموت ويرجع إلى التراب، ثم يتحول بعد ذلك إلى عظام بالية.

قال الله تعالى مخاطبا العقلاء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ الحج:٥ .

والحق سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى النظر في آياته الكونية، والمخلوقات المرئية، بما في ذلك النفس البشرية، فهي في حقيقتها صفحات كونية، وأدلة عقلية في كتاب الله الكوني، ودور الإنسان الذي أمر الله به في القرآن هو التفكر والاعتبار، والنظر في الآثار، فدور العقل هنا البحث في المخلوقات، وما فيها من حكم وآيات، فإن

المفعولات دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات، فالمفعول يدل على الفاعل، والمخلوق يدل على الخالق، وذلك يدل باللزوم على وجود الله وقدرته، وعلمه ومشيئته.

ثم ما في المخلوقات من أنواع التغييرات، وما فيها من تنوع في الأشكال والجمال، والحسن والكمال، يدل على وجود إرادة للحق في إدارة الملك، كما أن ما فيها من المصالح والغايات، والحكم البينات الواضحات، يدل على علمه سبحانه وحكمته، وقدرته في إتقان صنعته وغير ذلك مما دعانا الله تعالى إلى النظر فيه.

ومن هنا كان المسلم على يقين بوجود الله، من خلال إثبات وجود الخالق بدلالة الترابط بين الأسباب في حكم الأوليات أو البديهيات.

إن من أكبر المحرمات جريمة الزنا، والحكم فيها لا بد أن يقوم على بينة قطعية، ومفردات وبراهين يقينية، ولا يُبْنى على أمور ظنية. وقد بيَّن القرآن وسائل إدراك اليقين عند الحكم على المرتكبين لها، فمن ذلك البديهيات وارتباط العلل بالمعلولات، كما قالت مريم للملك عندما قال لها: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ مريم:١٩/٢٠.

وهي تعني أنه لم يمسسها بشر بزواج، وأنها لم تكن بغيا بزنا؛ لأن العقل الصريح يعي أن البديهيات تجعل العاقل يحكم حكما يقينيا بأن الولد لا يأتي إلا من طريق مشروع، أو طريق ممنوع.

ولذلك أكد لها الملك أن ذلك واضح صحيح، وأن حالتها استثناء من أحكام العقل الصريح، وأن الله يخلق ما يشاء بخرق العادة بين سائر العقلاء، قال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ مريم: ٢١.

من أجل ذلك أثبت لها الخالق براءتها، بخرق العادات وظهور المعجزات، وأوحى إليها أنها إذا رأت من أنكر عليها، أن تلزم الصمت وتمتنع عن الكلام، وكل ما عليها أن تشير إلى الغلام وتقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ مريم: ٢٦/ ٣٣.

سبحان الله أطفل صغير ينطق بهذه الكلمات؟ ويعرف كل هذه المعلومات؟ ويفهم لوازم القول من العبارات؟

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ٥٩. وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٣٤/ ٣٥.

والله ﷻ قادر على أن يعلم الناس ما يشاء، فيدركون بأبصارهم ما هو تحت الأرض، أو فوق السماء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ البقرة:٢٥٥ .

ولكنه سبحانه حكيم، ومن حكمته أنه جعل جهاز الإدراك في الإنسان محدودا، وجعل باب الاطلاع على الغيب بالعقل وحده بابا مسدودا؛ لكي تكون الحياة نوعا من أنواع الابتلاءات، وليكون أهل العلم بين الناس درجات فوق درجات.

ومن ثم فإن آيات القرآن أثبتت للإنسان جهازا للإدراك شاملا متكاملا أساسه في القلب، وأول مهامه إدراك الأشياء ومعرفة الأسماء، وتمييز خصائصها، والتعرف على أوصافها. قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج:٤٦.

وقال أيضا: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ الأعراف:١٧٩، فالبديهيات من أبرز الأمور العقلية في الدلالة على وجود الخالق.

ثانيا: المحسوسات.

المحسوسات من الأمور التي يدرك بها العقل حقائق الأشياء، وقد جعلها الله ﷻ وسيلة من وسائل الإثبات، وجعلها من مدارك اليقين

لدى العقل الصريح، فبالمحسوسات يثبت الحكم في جريمة الزنا على وجه اليقين كما ثبت بالأوليات.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ النور: ٤/٥.

وقد جاء في الصحيح عَن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قَال: (كنَّا ليْلَةَ الجُمُعَةِ فِي المَسْجِدِ، إذ جَاءَ رَجُل مِنَ الأَنْصَار فقَال: لوْ أَنَّ رَجُلا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلا، فتَكَلَّمَ جَلدتُمُوهُ، أَوْ قتَل قَتَلتُمُوهُ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ عَلى غَيْظٍ، وَاللهِ لأَسْأَلنَّ عَنْهُ رَسُول اللهِ ﷺ، فَلمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَأَلهُ، فقَال: يا رسول الله، لوْ أَنَّ رَجُلا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلا، فَتَكَلَّمَ جَلدتُمُوهُ، أَوْ قتَل قَتَلتُمُوهُ، أَوْ سَكَتَ سَكَتَ عَلى غَيْظٍ، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ النور: ٦/٩) [(١)].

وقد أمر الله عباده باستخدام المحسوسات التي هي من مكونات الجهاز الإدراكي في النظر إلى الإبداع الكوني، والتأمل في خلق السماوات، والتفكر في سائر المخلوقات.

---

(١) رواه مسلم في كتاب اللعان ٢/١١٣٣ (١٤٩٥).

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الغاشية:١٧/٢١.

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٠.

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الروم:٤٨/٥٠.

ثالثا: المتواترات.

المتواترات من الأمور التي يدرك بها العقل حقائق الأشياء، وهي الخبر المتواتر بنقل العدل الضابط الصادق، كعلمنا بوجود مكة والمدينة، فإن العلم بوجودهما علم يقيني. وكذلك بعثة النبي ﷺ العلم بها علم يقيني، لما ورد فيها من تواتر الأخبار ونقل حملة الآثار، وقد اتفق علماء الحديث على أن الأحاديث المتواترة تدل على اليقين.

والمتواتر من الأحاديث، هو ما رواه جمع يستحيل اتفاقهم على الكذب، عن جمع آخر يستحيل اتفاقهم على الكذب، إلى نهاية الإسناد

عن رسول الله ﷺ [(١)].

ويحصل اليقين أيضا بخبر الواحد المعروف معرفة شخصية بالعدالة والضبط، وعدم المبالغة في القول، والمعهود عنه بطول العشرة عدم الكذب، كالراوي الثقة الذي لم يعرف بارتكاب كبيرة، ولا إصرار على الصغيرة، فربما يحدث خبره من اليقين في النفس ما لا يحدثه أخبار التواتر.

ولم يختلف أحد من الأمم في أن رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رسولا واحدا يدعوهم إلى الإسلام، واحدا واحدا مفردا إلى كل مدينة وقبيلة، كصنعاء وحضرموت ونجران، وتيماء والبحرين وعمان، وغير ذلك الكثير من البلدان.

وكان كل رسول يُعلم الناس أحكام دينهم كلها، عقيدة وشريعة، وافترض النبي ﷺ على كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم؛ فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ.

روى البخاري من حديث البَرَاءِ ﷺ أنه قَال: (لَمَّا قَدِمَ رَسُول اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، صَلى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَل اللهُ تَعَالى: "قَدْ نَرَى تَقَلبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلنُوَليَنَّكَ قِبْلةً تَرْضَاهَا". فَوُجِّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، وَصَلى مَعَهُ

(١) انظر في تعريف الحديث المتواتر، قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ١/١٤٦، والمنهل الروي لابن جماعة ١/٣١، وتدريب الراوي ٢/١٨٠.

رَجُل العَصْرَ، ثمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلى قَوْمٍ مِنْ الأَنْصَارِ، فَقَال هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إِلى الكَعْبَةِ، فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلاةِ العَصْرِ) (١).

رابعا: التجريبيات.

التجريبيات من الأمور التي يدرك بها العقل حقائق الأشياء، وقد يعبر عنها باطراد العادات، وذلك مثل حكمك بأن النار محرقة، والماء يطفئها، وأن الشمس مشرقة، والسقف يحجبها، وأن الماء ينزل من السماء، فتحيا الأرض بعد موتها، فهي سنن وعادات، وتجارب وممارسات، تدل على حدوث اليقين في النفس.

ولذلك حذرنا الله من العصيان، وذكرنا بما حدث لأعداء الحق في سالف الزمان، فقد كان مصيرهم الخسف والمسخ والصيحة والنيران، كما قال تعالى في القرآن: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ فاطر:٤٣. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ محمد:٧/١١.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التمني، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم ٦/٢٦٤٨ (٦٨٢٥).

وقال: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ آل عمران:١٣٧.

وقال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنفال:٣٨.

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الصافات:١٣٣/ ١٣٨.

وعند البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النَّبِي ﷺ قَالَ: (لا يُلدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ واحِدٍ مَرَّتَيْنِ) [(١)].

وروى البخاري من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أن رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلى النَّارِ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا) [(٢)].

خامسا: الاعتراف.

من الأمور التي يدرك بها العقل الصريح حقائق الأشياء اعتراف الإنسان على نفسه بذنبه، وهو سيد الأدلة، وعليه أقام النبي ﷺ الحد

(١) البخارى في الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٥/٢٢٧١ (٥٧٨٢).
(٢) السابق، باب قوله: اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ٥/٢٢٦١ (٥٧٤٣).

ورجم الزاني والزانية.

روى مسلم عن بُرَيْدَةَ بن الحصيب ﷺ أنه قَال: (جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالكٍ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقَال: يَا رَسُول اللهِ طَهِّرْنِي؟ فقَال: وَيْحَكَ ارْجعْ فَاستَغْفِرْ اللهَ وتُبْ إليْهِ. قَال بريدة: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثمَّ جَاءَ فقَال: يَا رَسُول اللهِ طَهِّرْنِي؟ فقَال رَسُول اللهِ ﷺ: وَيْحَكَ ارْجعْ فَاسْتَغْفِرْ اللهَ وَتُبْ إليْهِ. قَال: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثمَّ جَاءَ فقَال: يَا رَسُول اللهِ طَهِّرْنِي؟ فَقَال النَّبِيُّ ﷺ مِثل ذلكَ، حَتَّى إذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ، قَال لهُ رَسُول اللهِ: فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟ فقَال: مِنْ الزِّنَا، فَسَأَل رَسُول اللهِ ﷺ أَبِهِ جُنُونٌ؟ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ ليْسَ بِمَجْنُون، فقَال: أَشَرِبَ خمْرًا؟ فقَامَ رَجُل فاستنكحه، فَلمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خمْر.

قَال بريدة: فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: أَزَنَيْتَ؟ فَقَال: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِل يَقُول: لقَدْ هَلكَ. لقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ. وقَائِل يقُول: مَا تَوْبَةٌ أَفْضَل مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إلى النَّبِيِّ ﷺ فوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثمَّ قَال: اقْتُلنِي بِالحِجَارَةِ.

قَال: فَلبِثوا بِذَلكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثلاثة، ثمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلوسٌ، فَسَلمَ ثمَّ جَلسَ فقَال: اسْتَغْفِرُوا لمَاعِزِ بْنِ مَالكٍ. قَال بريدة: فَقَالوا: غفَرَ اللهُ لمَاعِزِ بْنِ مَالكٍ، قَال بريدة: فقَال رَسُول اللهِ ﷺ: لقَدْ تَابَ تَوْبَةً لوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لوَسِعَتْهُمْ.

قَال: ثمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنْ الأَزْدِ، فَقَالتْ: يَا رَسُول اللهِ طَهِّرْنِي؟ فقَال: وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِليْهِ، فَقَالتْ: أَرَاكَ

تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَال: وَمَا ذاكِ؟ قَالتْ: إِنَّهَا حُبْلى مِنْ الزِّنَا. فَقَال: آنْتِ؟ قَالتْ: نَعَمْ. فَقَال لهَا: حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ. قَال: فَكَفَلهَا رَجُل مِنْ الأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ. قَال: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَال: قَدْ وَضَعَتْ الغَامِدِيَّةُ. فَقَال: إِذا لا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلدَهَا صَغِيرًا ليْسَ لهُ مَنْ يُرْضِعُهُ، فَقَامَ رَجُل مِنْ الأَنْصَارِ فَقَال: إِليَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَال بريدة: فَرَجَمَهَا) [١].

وغاية ما للعقل الصريح النظر في الأسباب، والتعرف بدلالتها وجود الخالق، فقول العامة: ربنا عرفناه بالعقل. لا يحمل إلا على معرفة وجوده من خلال النظر في الأسباب، والتعرف من خلالها على عظمته وعلمه ومشيئته، وقدرته وحكمته.

ولا يجوز للإنسان أن يتجاوز ذلك كما فعلت المعتزلة والأشعرية والماتريدية وغيرهم من أتباع الجهمية؛ لأنه سوف يقع في الضلال ويقول على الله ما هو محال، فلو أردنا أن نتعرف على عالم الغيب أو ما يحدث في القبر من عذاب أو نعيم، أو عالم الملائكة، أو عالم الجن والشياطين، أو نتعرف على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا بد من طريق آخر هو طريق النقل.

وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء:٣٦.

---

(١) مسلم في الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا ٣/١٣٢١ (١٦٩٥).

• ما المقصود بالنقل؟

يقصد بالنقل عند علماء العقائد الوحي المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويسمى أيضا بالشرع، أو السمع، أو الخبر، كقول أبى عمر بن عبد البر: (حديث النزول حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي ﷺ) [١].

وكقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والحكم المرتب على النقل الباطل باطل بالإجماع) [٢].

وكقوله أيضا عن صفة الكلام ونسبة القول إلى الله تعالى: (فالقول قد ورد في السمع مضافا إلى الله.. وقد بسطت الكلام على ذلك في غير هذا الموضع، وبينت أن ما جاء به الشرع الصحيح هو الذي يوافقه العقل الصريح) [٣].

والنقل، أو الوحي، أو الشرع، أو السمع، أو الخبر، كلها عند علماء العقائد معان مترادفة، تدل على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والنقل هو ما جاءنا من الله يعرفنا فيه بنفسه، فيبين لنا فيه أسماءه وأوصافه وأفعاله، ويبين ما في عالم الغيب من الملائكة والجن، وما

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ٧/١٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧/٢٩١.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/٣٨٧).

يحدث في الملأ الأعلى، وما سيحدث يوم القيامة.

والعاقل لا بد أن يقر بالنقل، ويقدمه، ويسلم له، فلا يوجد من هو أعلم بالله من الله، ولا أعلم من رسول الله بالله، فما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وجب علينا الإيمان به كما أخبر، وما أمرنا الله به كان صلاحنا في اتباعه.

• جملة النقل تمثلت في القرآن وما ثبت في السنة المطهرة.

من أصول العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح إيمانهم بأن جملة الرسالة التي نزلت من الله إلى رسوله ﷺ تمثلت في القرآن، وما ثبت في السنة المطهرة، وقد تلقاها النبي ﷺ عن طريق الوحي، وعلى أشكاله المختلفة كما قال سبحانه:

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ﴾ النجم: ١/٥.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١ ﴾ الشورى: ٥١.

وقد تحددت بهذه الآية وسائل خطاب الرسل مع ربهم.

١- الوسيلة الأولى: الوحي من خلال الرؤيا في المنام، كما أوحى الله لإبراهيم بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام. قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ

أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾﴾ الصافات: ١٠٠/ ١٠٧.

وروى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يَقُول: (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي عَلى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لهُ ضَعْفَهُ، ثمَّ اسْتَحَالتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ، فَلمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ) (١).

وهذه الرؤيا للأنبياء وحي، ولغيرهم مبشرات، لكن لا قيمة لها في إثبات الأحكام، أو إلزام النفس بأي اعتقاد يراه في المنام، أو إلزام الآخرين بمقتضاه.

وذلك لما روي عند البخاري من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَال: (سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُول: لمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلا المُبَشِّرَاتُ، قَالوا: وَمَا

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا ٣/١٣٤٠ (٣٤٦٤). والذنوب هو الدلو العظيمة التي فيها ماء، والغرب الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد الثور. والقليب البئر التي لم تبن جوانبها بالحجارة ونحوها، ومعنى نزع أي استقى بالدلو، والضرب بعطن إذا رويت الإبل ثم بركت حول الماء، والمراد اتساع الأمصار.

المُبَشِّرَاتُ؟ قَال: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ) [(١)].

وعند الترمذي وصححه من حديث أَنَس ﷺ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: (إِنَّ الرِّسَالةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ، فَلا رَسُول بَعْدِي وَلا نَبِيَّ، قَال: فَشَقَّ ذَلكَ عَلى النَّاسِ، فَقَال: لكِنِ المُبَشِّرَاتُ، قَالوا: يَا رَسُول اللهِ، وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَال: رُؤْيَا المُسْلمِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ) [(٢)].

٢- الوسيلة الثانية: من وسائل خطاب الرسل مع ربهم الوحي عن طريق الكلام الإلهي المباشر من وراء حجاب بدون واسطة يقظة، كما كلم الله موسى عليه السلام فقال: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء:١٦٤.

وقال أيضا: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف:١٤٣.

٣- الوسيلة الثالثة: من وسائل خطاب الرسل مع ربهم، الوحي عن طريق الكلام الإلهي غير المباشر، بواسطة إرسال أمين الوحي جبريل، وله في كيفية التبليغ إحدى حالتين وردتا عند الإمام البخاري من حديث الحارث بن هشام ﷺ، لما سأل رسول الله ﷺ فَقَال: (يَا رَسُول

(١) البخارى في كتاب التعبير، باب المبشرات ٦/٢٥٦٤ (٦٥٨٩).

(٢) الترمذي في الرؤيا، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ٤/٥٣٣ (٢٢٧٢).

اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثل صَلصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَليَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَال، وَأَحْيَانًا يَتَمَثل ليَ المَلكُ رَجُلا، فَيُكَلمُنِي فَأَعِي مَا يَقُول. قَالتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا: ولَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِل عَليْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا) [(١)].

وقد انقطع الوحي بعد ذلك، فلا ينزل على أحد من البشر إلى يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٤٠ ﴾ الأحزاب:٤٠.

فمن ادعى الاتصال المباشر في الخطاب مع الله تحت أي تأويل أو مسمى ليجعل كلامه مقبولا بين الناس، أو حاول أن يضفي القدسية على كلامه، بادعائه أن ما يقوله أو ما يكتبه، إنما تلقاه بطريق من طرق الوحي السابقة، فقد كذب على الله ورسوله ﷺ، وتجاوز أصول القرآن والسنة وسعى في هدمها. مثال ذلك قول القائل من غلاة الصوفية: (أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربى، وأنتم تقولون: حدثني فلان وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات) [(٢)].

---

(١) البخارى في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي ١/٤ (٢).

(٢) القائل هو أبو يزيد البسطامي (ت:٢٦١هـ) له كثير من الشطحات، انظر ذخائر الأخلاق لمحي الدين بن عربي ص١٥٣، والفتوحات المكية ١/٣٦٥، والجواهر والدرر لعبد الوهاب الشعراني، بهامش الإبريز ص ٢٦٨.

وكذلك ادعاء محي الدين بن عربي أن كتاب الفصوص أخذه من يد رسول الله ﷺ مكتوبا من اللوح المحفوظ، وهو مجرد ناقل أمين بلا زيادة أو نقصان، كما قال: (فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب، كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان) [1].

وقوله أيضا: (فاقتصرت على ما ذكرته من هذه الحِكَم في هذا الكتاب، على حد ما ثبت في أم الكتاب، فامتثلت ما رسم لي، ووقفت عندما حد لي، ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت؛ فإن الحضرة تمنع من ذلك) [2].

وهنا يشبه ابن عربي نفسه بالرسول ﷺ في دقة البلاغ عن الله وخوفه من الوعيد الذي ورد في قوله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحاقة:٤٣/٤٧.

وكذلك ما ذكره عبد الكريم الجيلي من أصحاب فكر وحدة الوجود وهو يحاكى طريقة الوحي في التجلي الصوفي حيث قال: (يتجلى الحق سبحانه وتعالى على العبد بتجل يسمع فيه صلصلة الجرس، ويسمع تصادم الحقائق بعضها مع بعض، فيجد لها أطيطا يملأ ما بين السماء

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي ص ٤٧، طبع بيروت، وانظر مصرع التصوف لإبراهيم بن عمر البقاعي ص٣٧، نشر عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

(٢) فصوص الحكم لابن عربي ص ٥٨، طبع بيروت.

والأرض، ثم إذا تقوى وثبت لسماع ذلك، يترقى ويسمع صلصلة الجرس عند رفع الستر)[(١)].

كل ذلك وأمثاله تهوين لحرمة الدين، وانتهاك مقبوح مشين، انتهاك للثوابت المستقرة في اعتقاد المسلمين.

وقد يجوز ذلك بعض المدافعين عن الصوفية من باب المخاطبات الروحانية، والمحادثات الإيمانية عند المكاشفات والتجليات التي تحدث لبعض الصوفية في شطحاتهم، فنقول له: هذا باب مظلم مفتوح على مصراعيه للمغرضين والحاقدين وشبهات الشياطين. ويكفي العاقل أن يقف على نظرة المستشرقين للوحي عند المسلمين، وكيف وجدوا في مثل ذلك سبيل الخلط بين الوحي وترهات الصوفية.

• النقل الصحيح حجة يوجب تصديق الخبر وتنفيذ الطلب.

قال ابن حزم: (إن القرآن لما كان هو الأصل الذي يرجع إليه في معرفة الإسلام، وجدنا فيه وجوب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ، ووجدناه ﷻ يقول فيه واصفا لرسوله ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم:٣/٤، فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ على قسمين:

أحدهما: وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن.

---

(١) المناظر الإلهية للجيلي ص ١٩٤، تحقيق د. نجاح محمود الغنيمي، دار المنار.

والثاني: وحي مروي منقول، غير مؤلف ولا معجز النظام، ولا متلو، لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ، وهو المبين عن الله ﷻ مراده منا) [(١)].

ومن الأدلة القرآنية التي تقرر هذه الحقيقة بلا نزاع، قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ الحشر:٧. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ آل عمران: ٣١/٣٢. وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء:٦٥.

وأمثال ذلك في القرآن كثير، وكله يدل على أن السنة وحي من الله تعالى لرسوله ﷺ، وأنه لا بد من اعتمادها في معرفة أصول الأشياء، والإذعان لها كالقرآن سواء بسواء.

وقد ثبتت روايات كثيرة في السنة، تؤكد أن الصحابة ﷺ كانوا لا يتهاونون في ذلك، وأن النبي ﷺ حذرهم من الكذب عليه، أو التكذيب بسنته، فمن ذلك:

ما رواه أبو داود وصححه الألباني من حديث المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٩٣/١)، نشر دار الحديث، القاهرة.

يُوشِكُ رَجُل شَبْعَانُ عَلى أَرِيكَتِهِ يَقُول: عَلَيْكُمْ بِهَذَا القُرآن، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلال فَأَحِلوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ) [(١)].

وفي رواية أخرى عند الترمذي وصححها الشيخ الألباني: (وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُول اللهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللهُ) [(٢)].

وقد روى البخاري ومسلم من حديث علقمة عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (لعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالُمسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالُمتَنَمِّصَاتِ، وَالُمتَفَلجَاتِ للحُسْنِ، الُمغَيِّرَاتِ خَلقَ اللهِ. فَبَلغَ ذَلكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ، يُقَال لها أُمُّ يَعْقُوبَ، وَكَانَتْ تَقْرَأُ القُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالتْ: مَا حَدِيث بَلغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لعَنْتَ الوَاشِمَاتِ وَالُمسْتَوْشِمَاتِ وَالُمتَنَمِّصَاتِ وَالُمتَفَلجَاتِ للحُسْنِ الُمغَيِّرَاتِ خَلقَ اللهِ.

فَقَال عَبْدُ اللهِ: وَمَا لي لا أَلعَنُ مَنْ لعَنَ رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ. فَقَالتِ الَمرْأَةُ: لقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لوْحَيِ الُمصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ. فَقَال: لئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقَدْ وَجَدْتِيهِ. قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ الحشر:٧. فَقَالتِ الَمرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلى امْرَأَتِكَ الآنَ. قَال: اذْهَبِي فَانْظُرِي. قَال: فَدَخَلتْ عَلى امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ، فَلمْ تَرَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ إِليْهِ فَقَالتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا،

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة ٤/٢٠٠ (٤٦٠٤)، وانظر صحيح ابن ماجة (١٢)، ومشكاة المصابيح ١/٣٥ (١٦٣).

(٢) رواه الترمذي في كتاب السنة، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٥/٣٨ (٢٦٦٤)، وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٦٦٤).

فَقَال: أَمَا لوْ كَانَ ذَلكَ لَمْ نُجَامِعْهَا) [(١)].

ومعنى لم نجامعها، قال جماهير العلماء: معناه لم نضاجعها، ولم نجتمع نحن وهي، بل كنا نطلقها ونفارقها، وقيل: يحتمل أن معناه لم أطأها، وهذا ضعيف كما ذكره النووي، والصحيح أن من عنده امرأة مرتكبة معصية كوصل الشعر أو ترك الصلاة أو غيرهما ينبغي له أن يطلقها.

وكلام ابن مسعود ﷺ واضح في التزامه بالسنة قولا وعملا، كالتزامه بمقتضى أحكام القرآن.

وروى أبو داود عن عمران بن حصين ﷺ أنه كان جالسا مع أصحابه، فقال له رجل من القوم: (يا أبا نجيد إنكم لتحدثوننا بأحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن، فغضب عمران، وقال للرجل: أوجدتم في كل أربعين درهما درهم، ومن كل كذا وكذا شاة شاة، ومن كل كذا وكذا بعيرا، كذا وكذا، أوجدتم هذا في القرآن؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم هذا؟ أخذتموه عنا، وأخذناه عن نبي الله ﷺ، وذكر أشياء نحو هذا) [(٢)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة الحشر، باب وما آتاكم الرسول فخذوه ٤/١٨٥٣ (٤٦٠٤)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة ٣/١٦٧٨(٢١٢٥).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب ما تجب فيه الزكاة ٢/٩٤ (١٥٦١)، وفي رفعه ضعف، انظر ضعيف أبي داود (١٥٦١).

ولا عبرة بمذهب الشيعة والخوارج في رد بعض ما ورد في السنة لأن لهم مواقف خاصة في كثير من الصحابة، وهم رواة الحديث عن رسول الله ﷺ. قال الإمام السيوطي في رد الشيعة لكلام النبي ﷺ: (وأصل هذا الرأي الفاسد في عدم الاحتجاج بالسنة أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة، ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن، وهم في ذلك مختلفو المقاصد، فمنهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي، وأن جبريل أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة، ولكن قال: إن الخلافة كانت حقا لعلي، فلما عدل به الصحابة عنه إلى أبى بكر رضي الله عنه كفروا الصحابة، وبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها، لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار) [(١)].

ولا عبرة أيضا ببعض آراء المعتزلة والمتكلمين الداعية إلى عدم الاحتجاج بالسنة في الآحاد، أو المتواتر من الروايات بحجة مخالفتها لآرائهم الكلامية،كقول أبى الهذيل العلاف وهو أحد من شيوخ المعتزلة: (إن الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام وفيما سواها، لا تثبت بأقل من عشرين نفسا، فيهم واحد من أهل الجنة، أو أكثر) [(٢)].

ويذكر عبد القاهر البغدادي أن كلام العلاف تعطيل للأخبار

---

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص٦، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ١/١٠٩، طبعة دار الأفاق الجديدة، بيروت.

الواردة في الأحكام الشرعية عن فوائدها، وتهكم واحتقار لما خالف ذلك من روايات السنة، واستهزاء بناقليها [(١)].

ومن البرهان على قبول خبر الواحد قول الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ القصص: ٢٠.

والشاهد أن الرجل الواحد أخبر موسى عليه السلام عن مؤامرة الملأ لقتله فصدقه وخرج من المدينة خائفا يترقب. وكذلك تصديقه عليه السلام المرأة في قولها وخبرها عن أبيها فمضى معها.

قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ ﴾ القصص: ٢٥.

وجمهور العلماء على أن خبر الواحد العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معا، فلا عبرة بقول المعتزلة والخوارج: إن خبر الواحد لا يوجب علينا علما ولا عملا.

• النقل الصريح لا يثبت إلا بقواعد المحدثين.

لا بد من التسليم بأن الطريق الوحيد في ثبوت السنة هو الالتزام بقواعد المحدثين في معرفتها، فإذا كانت الآيات القرآنية لا تؤخذ بمعزل عن السنة، وفصل أحدهما عن الآخر لا يقبل في دين الإسلام، فإن من أعظم الأسس في الاعتماد على السنة، أن نسلم بأن الطريق الوحيد في

---

(١) السابق ١/ ١١٠.

ثبوتها هو الالتزام بقواعد المحدثين في معرفتها. وهو ما عرف عند المسلمين بعلم الحديث، أو العلم بالأصول التي يعرف بها أحوال السند والمتن، من حيث القبول والرد، وذلك فيما نقل من أقوال النبي ﷺ وأفعاله، ورواياتها وضبطها وتحريرها، وإسناد ذلك إلي من نسب إليه، بتحديث أو إخبار أو عنعنة أو غير ذلك.

فليس كل ما نسب إلى النبي ﷺ يقبل بلا ضابط أو نقاش، فلا بد من الترابط العلمي المتصل بين رواة السند، بحيث يتلقى اللاحق من الرواة عن السابق، فلا يكون بين اثنين من رواة الحديث فجوة زمنية، أو مسافة مكانية يتعذر معها اللقاء، أو يستحيل معها التلقي والأداء، كما يلزم اتصاف الرواة بالعدالة، وهى صفة خلقية تكتسبها النفس الإنسانية، وتحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، ومجانبة الفسوق والابتداع، ولا بد أن يتصف الراوي أيضا بالتثبُّت من الحفظ، والسلامة من الخطأ، وانعدام الوهم مع القدرة على استحضار ما حفظه.

وهذا شرط في جميع رواة الحديث الصحيح من أول السند إلى آخره. يضاف ذلك إلى عدم مخالفة الراوي لمن هو أوثق منه، ولا يكون أيضا في روايته علة قادحة ظاهرة تؤدى إلى عدم ثبوت الحديث.

أما الحكم على ثبوت الحديث بالأصول الكلامية أو المناهج الفلسفة، أو الكشوفات الذوقية، فلا يعد رجوعا إلى قرآن وسنة بفهم سلف الأمة؛ لأن الآراء العقلية متعددة، والأذواق مختلفة ومتغيرة، ولا يمكن ضبط مثل هذه الأشياء، فالحكم على أحاديث الرسول ﷺ في

هذه الحالة، يحكمه الهوى، ويسوقه استحسان النفس وتقلب الرأي.

ومن ثم لا عبرة بقول ابن عربي: (ربما صح عندنا من أحاديث الأحكام ما اتفق المحدثون على ضعفه وتجريح نقلته، وقد أخذناه عن الكشف عن قائله صحيحا، فنتعبد به أنفسنا على غير ما تقرر عند علماء الأصول، ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه، وليس بصحيح عندنا بطريقة الكشف، فنترك العمل به) [(١)].

ومعنى هذا أن الصوفية لهم حكمهم الخاص على إسناد الحديث، فعن طريق الكشف يزعمون كذبا أنهم يتصلون رأسا بالنبي ﷺ ويصححون الحديث أو يضعفونه !! وبهذا الهجوم على قواعد علم الحديث تنهدم السنة، وتبقى ألعوبة في يد هؤلاء الذين يحكمون عليها بما شاءوا، وليس من ضابط نرجع إليه، ولا فيصل نحتكم إليه، ما دام أن هذا الكشف علم روحي غيبي، وقد يكون كشف هذا الصوفي غير كشف ذاك.

ومثل ذلك أيضا يهدم الشعراني علم الحديث وقواعده في تمييز المقبول والمردود فيقول: (قد رأينا في كلام علماء الرسوم تكفير الأولياء المحدثين، لكونهم يصححون الأحاديث التي قال الحفاظ بضعفها، وهذا عدم إنصاف منهم. وأقل الأحوال، أن ينزلوا الأولياء المكاشفين منزلة أهل الكتاب، لا يصدقونهم، ولا يكذبونهم [(٢)].

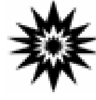
---

(١) رسائل ابن عربي ص٤ ، دار إحياء التراث، حيدر آباد، الهند، ١٩٤٨م.

(٢) اليواقيت والجواهر لعبد الوهاب الشعراني (٢/٩٠)، طبعة دار المعرفة بيروت.

المطلب الثاني

هل يمكن أن يتعارض العقل مع النقل؟



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد .

ففي المطلب السابق تحدثنا عن العقل وتعريفه، وما هي الغاية الرئيسية من وجوده؟ وما حدود المعرفة بالعقل؟ وما العتبات المطلقة للحواس الخمس؟

وبينا أن انعدام رؤية الأشياء يكون لسببين اثنين، ثم تناولنا الحديث عن العقل الصريح ومدارك اليقين، وبينا المقصود بمصطلح النقل عند علماء العقيدة، وكذلك بينا أن جملة النقل تمثلت في القرآن وما ثبت في السنة المطهرة، وأن النقل الصحيح كله حجة، يوجب تصديق الخبر وتنفيذ الطلب، وأنه لا يثبت إلا بقواعد المحدثين.

وفي هذا المطلب نتناول إن شاء الله الحديث عن قضية التعارض بين العقل والنقل، لما لها من أهمية كبيرة في تحديد هوية أهل السنة والجماعة وتمييزهم عن مخالفيهم. فهم يرون أنه من المحال أن يتعارض العقل الصريح الواضح مع النقل الصحيح الثابت، بل يرون أن العقل الصريح يشهد للنقل الصحيح ويؤيده.

ويرون أن السبب في ذلك سبب منطقي، وهو وحدة المصدر، فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، وهو سبحانه أعلم بصناعته لعقل الإنسان، وأعلم بما يصلحه في كل زمان ومكان، فإذا وضع نظاما ببالغ علمه وحكمته لصلاح صنعته، والتزم الإنسان بمنهجه وشرعته، كان من المحال أن يضل أو يشقى، أو يعيش معيشة ضنكا، إذا اتبع هداية الله.

ومعلوم عند سائر العقلاء أن أولى وأفضل من يضع نظام التشغيل للمصنوعات هو صانعها؛ ولذلك قال الله تعالى في شأن اتباع بني آدم لمنهجه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ طه:١٢٤/١٢٦.

- **العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح.**

قال ابن تيمية رحمه الله: (كل ما يدل عليه الكتاب والسنة، فإنه موافق لصريح المعقول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرا من الناس يغلطون، إما في هذا، وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به، كان عارفا بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول) [١].

وقال أيضا: (من قال بموجب نصوص القرآن والسنة، أمكنه أن

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٨٠.

يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها، ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح) [١].

وقال: (العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، كما أن المنقول عن الأنبياء عليهم السلام لا يخالف بعضه بعضا، ولكن كثيرا من الناس يظن تناقض ذلك، وهؤلاء من الذين اختلفوا في الكتاب، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) [٢].

- **الهداية الحقيقية في قيادة النقل الصحيح للعقل الصريح.**

بين الله ﷻ أن الهداية الحقيقية تكمن في قيادة النقل الصحيح للعقل الصريح، أو بتعبير آخر تكمن في قيادة الوحي الذي يمثل منهج الإسلام ودستوره ونظامه للعقلاء من أصحاب الفطرة النقية، وكل من يحرص على السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. والأدلة على ذلك من كتاب الله كثيرة لا تكاد تحصى منها نذكر منها مما ورد في القرآن على سبيل المثال:

١. قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى

(١) السابق ٦/٥٢٥.

(٢) السابق ٧/٦٦٥.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الشورى: ٥١/٥٣.

ووجه الاستدلال أن الله ﷻ بعد أن بين وسائل انتقال الوحي، أو انتقال النقل الصحيح إلى الأنبياء، خاطب نبيه ﷺ مبينا أن هذا الوحي انتقل إليه كذلك، وأن الله ﷻ قد جعل هذا النقل الصحيح نورا يهدي العباد إلى أقوم سبيل لصلاح الإنسانية، وقس على ذلك وجه الاستدلال في النصوص.

٢. قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣.

٣. قول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ محمد: ١/٣.

٤. قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ المائدة: ٦٦.

٥. قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف:١٥٧.

٦. قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ الطلاق:١٠/١١.

٧. قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ المائدة:١٥/١٦.

وقد بين النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أن صلاح الإنسانية في اتباع دينه ومنهجه في الحياة، والممثل في النقل الصحيح، وأن سنته هي وحدها سبيل النجاة، ومن ذلك على سبيل المثال:

١. ما ورد في صحيح البخاري من حديث أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: (كُل أُمَّتِي يدْخُلونَ الجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى، قَالوا: يا رَسُول اللهِ، وَمَنْ يأْبَى؟ قَال: مَنْ أَطاعَنِي دَخَل الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)(١).

---

(١) البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ٦/٢٦٥٥ (٦٨٥١).

٢. ما رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (خَط لنَا رَسُول اللهِ ﷺ خَطا، ثم قَال: هَذَا سَبِيل اللهِ، ثمَّ خَط خُطوطاً عَنْ يمينِهِ وَعَنْ شِمَالهِ، ثمَّ قَال: هَذِهِ سُبُل، عَلى كُل سَبِيل مِنْهَا شَيطانٌ يدْعُو إِليهِ، ثمَّ قَرَأَ:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ الأنعام:١٥٣) [١].

٣. وعند البخاري ومسلم عن أبي سَعِيدٍ الخُدْري أنه قال: (جاء رَجُل إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ أَخِي استَطلقَ بَطنُهُ، فقال رسول اللهِ ﷺ: اسْقِهِ عَسَلا، فَسَقَاهُ ثمَّ جَاءَهُ فقال: إني سَقَيتُهُ عَسَلا فلم يزِدْهُ إلا استِطلاقًا، فقال له ثلاث مَرَّاتٍ، ثمَّ جاء الرَّابِعَةَ فقال: اسْقِهِ عَسَلا، فقال: لقد سَقَيتُهُ فلم يزِدْهُ إلا اسْتِطلاقًا، فقال رسول اللهِ ﷺ: صَدَقَ الله وَكَذَبَ بَطنُ أَخِيكَ، فَسَقَاهُ فبَرَأَ) [٢].

٤. وصح عند أحمد من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَان الأَنْصَارِي أن رَسُول اللهِ ﷺ قَال: (ضَرَبَ اللهُ مَثلا صِرَاطا مُسْتَقِيمًا، وَعَلى جَنْبَتَي الصِّرَاط سُورَان، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلى بَابِ الصِّرَاط دَاعٍ يقُول: أَيهَا النَّاسُ ادْخُلوا الصِّرَاط جَمِيعًا وَلا

---

(١) المسند ١/٤٣٥ (٤١٤٢) وصححه الشيخ الألباني في تخريج شرح الطحاوية ص٥٨٧، ومشكاة المصابيح (١٦٦) .

(٢) رواه البخاري في الطب، باب الدواء بالعسل ٥/٢١٥٢ (٥٣٦٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل ٤/١٧٣٦ (٢٢١٧)، واللفظ لمسلم.

تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعٍ يدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاط، فَإِذَا أَرَادَ يفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلكَ الأَبْوَابِ قَال: وَيحَكَ، لا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلجْهُ. وَالصِّرَاط الإِسْلامُ. وَالسُّورَان حُدُودُ اللهِ تَعَالى. وَالأَبْوَابُ المُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالى. وَذَلكَ الدَّاعِي عَلى رَأْسِ الصِّرَاط كِتَابُ اللهِ ﷻ. وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاط وَاعِظُ اللهِ فِي قَلبِ كُل مُسْلمٍ) [1].

• الضلال الحقيقي في قيادة النقل الباطل للعقل الصريح.

لا يمكن لعاقل يعلم أن صلاح الصنعة في اتباع نظام التشغيل الذي وضعه صانعها، لاسيما إن كان الصانع موصوفا بالعلم والخبرة وجودة الصنعة، ثم يعمد في تشغيلها إلى نظام بديل، لا علاقة له بالصنعة في قليل أو كثير، قد وضعه إنسان عاجز فقير، مهما ادعى أن نظامه ليس له في الأنام نظير، وأن طريقته في نظام التشغيل مبنية على التطور في الفهم، وعلى الحرية والتقدم والعلم! قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك:١٤.

وكذلك لم نر عاقلا لديه صنعة قيمة في ذاتها، وقد دفع أموالا طائلة في شرائها، ثم عجز عن تشغيلها، أو ظن أنها قد تعطلت عن وظيفتها، وذهب في إصلاحها إلى غير وكيلها أو مصنعها. فإذا كان المسلم العاقل مقرا بذلك فيما يحدث بين البشر، فكيف يترك هداية الله

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/١٨٢ (١٧٦٧١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢/٢٩٤ (٢٣٤٨) .

ويطلب هداية غير المسلمين في تشريعاتهم، ونظم حياتهم وأخلاقهم سلوكياتهم، ويستوردها من اليهود والنصارى والبوذيين وعباد الهوى في الشرق والغرب. قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ البقرة: ١٢٠.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ الكهف: ١٠٣/١٠٤. وقال: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)﴾ البقرة: ١٣٥/١٣٨.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١)﴾ آل عمران: ٩٩/١٠١.

وعند البخاري من حديث أَبِي سَعِيد الخدري ﷺ أَنَّ النَّبِي ﷺ

قَال: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يا رَسُول اللهِ، اليهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَال: فَمَنْ) [١].

وروى البخاري من حديث أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أن النَّبِي ﷺ قَال: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُون قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقِيل: يا رَسُول اللهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَال: وَمَنْ النَّاسُ إِلا أُولئِكَ) [٢].

• الوعيد الشديد لمن لم يلتزم بالنقل الصحيح.

من المعلوم للعقلاء أن الصانع يضع شروطا دقيقة لضمان الصنعة ضد عيوب التشغيل، أو بمعنى آخر يضع شروطا دقيقة يلتزم فيها بأن صنعته لا يمكن أن تفسد إذا التزم المشتري في تشغيلها بدليل التشغيل، وإذا فسدت مع التزامه بالدليل، فإنه متكفل بإصلاحها، أو منحه منتجا جديدا بديلا عن سوء صنعته.

وغالبا ما يكون سبب فساد الصنعة كما نرى في واقعنا هو عدم الالتزام من قبل المشتري بدليل التشغيل، لاسيما إن كان المصنع معروفا بالجودة العالية، والتصنيع الدقيق الذي يدل على الكمال في

---

(٢) رواه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/١٢٧٤ (٣٢٦٩).

(٣) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم ٦/٢٦٦٩ (٦٨٨٨).

الخبرة، والتقدم العلمي والتطور التكنولوجي.

ولا يمكن لمن أفسد الصنعة بسبب عدم التزامه بدليل التشغيل أن يطالب المصنع بإصلاح الصنعة مقابل أو تعويض، بل لابد أن يدفع التكلفة اللازمة لإصلاحها، فضلا عن إلزامه بأجر العاملين على إعادة تشغيلها.

وكذلك لم نر في واقع العمل مهندسا يدير مصنعا فيقصر في إدارته، ويتغافل عن متابعة أجهزته، ويعبث بها على ما يهواه حتى يفسدها، ويخرب المصنع لصاحبه، ثم لا يعاقبه صاحب المصنع بالحبس أو الغرامة، أو فقدان الوظيفة على سوء فعله وتقصيره، وعدم مراعاة مصلحته، أو مصلحة وكيله ومديره.

إذا كان ذلك معلوما واضحا في تعامل المخلوق مع المخلوق، فكيف نتعامى عند النظر إلى الإنسان الذي صنعه ملك الملوك، ووضع نظاما لحياته يسعده في الدنيا وبعد مماته، لاسيما أنه سبحانه عليم خبير ،غني بذاته عن كل مصلحة تعود عليه، وأنه ما وضع نظام الحياة للإنسان إلا لمصلحة تعود على الإنسان لا على ربه. هذا فضلا عن كون هذا الإنسان مستخلفا في أرض الله لا في أرضه، ومخولا من قِبَل الله في ملكه.

إذا كان ذلك معلوما واضحا لكل عقل صريح، ألا يستحق هذا الإنسان شديد العقاب لو أفسد صنعة الله، وظلم نفسه أو غيره باتباعه

نظاما باطلا من وضع إنسان عاجز فقير من أمثاله.

قال الله تعالى في بيان ما وضع من العقاب على مخالفة نظامه ومنهجه الشرعي: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم: ٤١.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ العنكبوت: ١٢/١٣. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الكهف: ٥٧.

وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤.

وقال سبحانه: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة: ٤٥.

وقال: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ البقرة:١٦٥/١٦٦.

وروى البخاري من حديث عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيرِ ﷺ أَنَّ رَجُلا مِنْ الأَنْصارِ خَاصَمَ الزُّبَيرَ ﷺ فِي شِرَاجٍ مِنْ الحَرَّةِ، يسْقِي بِهَا النَّخْل، فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: اسْقِ يا زُبَيرُ، فَأَمَرَهُ بِالمَعْرُوفِ ثمَّ أَرْسِل إِلى جَارِكَ، فَقَال الأَنْصارِي: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلوَّنَ وَجْهُ رَسُول اللهِ ﷺ، ثمَّ قَال: اسْقِ ثمَّ احْبِسْ يرْجِعَ المَاءُ إِلى الجَدْرِ، وَاسْتَوْعَى لهُ حَقَّهُ، فَقَال الزُّبَيرُ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ الآية أُنْزِلتْ فِي ذَلكَ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء:٦٥ [(١)].

وقال الله سبحانه: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران:٨٣/ ٨٥.

---

(١) رواه البخاري في المساقاة، باب شرب الأعلى إلى الكعبين ٨٢٣/٢ (٢٢٣٣).

- **أسباب التعارض بين العقل والنقل.**

علمنا أنه من المحال أن يتعارض العقل الصريح الواضح مع النقل الصحيح الثابت، وأن السبب في ذلك سبب منطقي، وهو أن الذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، ومن المحال أن يرسل إليه ما يفسده.

وأن كل ما ثبت من مسائل العقيدة في الكتاب والسنة يصدقها العقل الصريح، لأن العقل الصريح، لا يمكن أن يخالف المنقول الصحيح في دلالته، فالعقل والنقل وسيلتان لغايةٍ واحدةٍ هي الوصول إِلى الله، والوسائل التي تؤدِّي إِلى غاية واحدة، لا يمكن لها أن تتعارض.

قال ابن تيمية: (المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط، وقد تأملت ما تنازع فيه الناس، فوجدت ما خالف النصوص الصريحة شبهات فاسدة، يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع. وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك. ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه السمع الذي يقال إِنه يخالفه: إِما حديث موضوعٌ، أو دلالةٌ ضعيفةٌ، فلا يصلح أن يكون دليلا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إِذا خالفه صريح المعقول. ونحن نعلم أن الرسل لا يخبِرون بمحالات العقول، بل

بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته) [(١)].

ومن ثم إذا تعارض العقل والنقل فذلك لسببين لا ثالث لهما: أحدهما: أن النقل لم يثبت عن رسول الله ﷺ. والآخر: أن العقل لم يفهم النقل ولم يدرك خطاب الله على النحو الصحيح. ولا بد من تفصيل ذلك لأهميته في معرفة أصول العقيدة.

- **السبب الأول للتعارض عدم ثبوت النقل.**

إذا تعارض العقل مع النقل فالسبب الأول في التعارض أن النقل لم يثبت فينسب مدعي التعارض إلى دين الله ما ليس منه، كالذين يتمسكون بأحاديث ضعيفة، أو موضوعة، وينقلونها للناس دون تمحيص.

فماذا يصنع العاقل إذا سمع خطيبا يذكر مرة حديثا يرفعه إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: (إِنَّ أَوَّل مَا خَلَقَ الله القَلَمَ، فَقَال لهُ: اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى الأَبَدِ) [(٢)].

ثم يسمعه مرة أخرى يروى حديثا آخر يرفعه إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: (أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل. ثم قال: وعزتي

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٧، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة ، باب في القدر ٤/٢٢٥ (٤٧٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٨٠).

وجلالي ما خلقت خلقا أشرف منك) (١).

ثم يسمع خطيبا ثالثا يروي حديث يرفعه إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: (أول ما خلق الله نورى)؟ (٢).

لا شك أن العاقل يقف حائرا بين تلك الروايات، ويساءل أي الأشياء خلق أولا؟ وسيبعث ذلك في نفسه شكا. كما أنه من الخطأ التوفيق بين هذه الروايات قبل البحث عن ثبوتها. وكان يجب على من نقل هذه الروايات أن يتثبت من صحتها أولا.

وبالبحث وجد أن الحديث الأول ثابت صحيح ونصه مرفوع إلى رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَوَّل مَا خَلَقَ الله القَلمَ، فَقَال لهُ: اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى الأَبَدِ) .

أما الحديث الثاني وهو قوله: (أول ما خلق الله العقل). فموضوع باتفاق، كما ذكر العجلوني وغيره.

وأما الحديث الثاني وهو قوله: (أول ما خلق الله نورى). فهو حديث موضوع أيضا، رواه عبد الرزاق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه،

---

(١) المقاصد الحسنة للسخاوي (١/١٩٩)، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي (١/١٢٠)، وكشف الخفاء للعجلوني ١/٣٠٩ (٨٢٣) نشر مؤسسة الرسالة، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/١٥٣)، قال ابن تيمية: والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

(٢) انظر كشف الخفاء ١/٣١١ (٨٢٧).

قال: (قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك، خلقه من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك، ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر، ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق، قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضيين، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله ..) [(١)].

وعلى هذا المنوال تأتينا اختراعات الصوفية، والأباطيل العاطفية، وما شابه ذلك من الأمور البدعية، لتخرب العقيدة الإسلامية في نفوس أصحاب الفطرة النقية من عوام الأمة الإسلامية.

فأمثال هذه الأحاديث التي يتناقلها غير الراسخين في العلم وغيرهم، هي التي تحدث الفوضى، وتدعو إلى تعارض العقل مع

---

(١) انظر الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لعبد الحي اللكنوي (٤٢/١).

النقل، فالعقل الصريح لا يمكن أن يعارض النقل الصحيح.

وينبغي على أهل العلم أن يتقوا الله في نقلهم للأحاديث الضعيفة والموضوعة وإن كانت حجتهم أنها ترغب الناس في الإيمان والطاعة، فإن من أبرز السلبيات التي تظهر من ذلك فتح باب البدعة على مصراعيه، وتشويه الوحي بمصدريه القرآن والسنة.

وقد ذكر العلامة ابن القيم أمثلة كثيرة للأحاديث الموضوعة تبين منافاتها للعقل الصريح، فينبغي على الداعي أن يحذر منها. ومن أمثلة ما ينافي العقل من هذه الموضوعات:

١. الحديث المكذوب الذي فيه: (من قال: لا إله إلا الله، خلق الله من تلك الكلمة طائرا، له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة، يستغفرون الله له) [١].

٢. وكذلك ما يروى في الحديث الموضوع: (إذا عطس الرجل عند الحديث فهو دليل صدقه) [٢].

قال ابن القيم: ولو عطس مئة ألف رجل عند حديث يروى عن النبي ﷺ لم يحكم بصحته بالعطاس، ولو عطسوا عند شهادة رجل لم

---

(١) المنار المنيف لابن القيم ص٥٠ نشر مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، وكشف الخفاء للعجلوني ٢/٥٥٧ نشر مؤسسة الرسالة.

(٢) كشف الخفاء للعجلوني ٢/٥٥٧، واللؤلؤ المرصوع للقاوقجي ١/٣٦ (٣١) نشر دار البشائر الإسلامية بيروت، والأسرار المرفوعة ١/٤٢٦.

يحكم بصدقه [١].

٣. الحديث الموضوع الذي فيه: (الباذنجان شفاء من كل داء). قال ابن القيم: (قبح الله واضعه، فإن هذا لو قاله بعض جهلة الأطباء لسخر الناس منه، ولو أكل الباذنجان للحمى والبرد وكثير من الأمراض لم يزدها إلا شدة، ولو أكله فقير ليستغني لم يفده غنى، أو جاهل ليتعلم لم يفده العلم) [٢].

قال ابن الجوزي: (هذا حديث موضوع على رسول الله، فلا سقى الغيث قبر من وضعه، لأنه قصد شين الشريعة بنسبة رسول الله إلى غير مقتضى الحكمة والطب) [٣].

٤. الحديث الموضوع الذي فيه: (عليكم بالعدس فإنه مبارك، يرقق القلب ويكثر الدمعة قدس فيه سبعون نبيا) [٤].

وقد سئل عبد الله بن المبارك عن هذا الحديث؟ وقيل له إنه يروى عنك فقال: وعني؟! ما أرفع شيئا في العدس، إنه شهوة اليهود. ولو قدس فيه نبي واحد لكان شفاء من الأدواء، فكيف بسبعين نبيا؟ وقد

---

(١) المنار المنيف ص٥١.

(٢) السابق، وانظر اللآلئ المصنوعة للسيوطي (٢/١٨٩).

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (٢/٢٠٣) نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) رواه الطبراني في مسند الشاميين ١/٢٤٦ (٤٥٧)، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ١/١٦١، واللآلئ المصنوعة (٢/١٧٩)، والموضوعات (٢/١٩٧)، والسلسلة الضعيفة للألباني ٢/٦ (٥١٠).

سماه الله أدنى، وذم من اختاره على المن والسلوى، وجعله قرين الثوم والبصل [١].

يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ البقرة: ٦١.

٥. الحديث الموضوع الذي فيه: (بئس البقلة الجرجير، من أكل منها ليلا بات ونفسه تنازعه، كلوها نهارا، وكفوا عنها ليلا) [٢].

٦. وكذلك ما يروى في فضل الديك الأبيض وغيره وينسبونه إلى رسول الله ﷺ كقولهم: (من اتخذ ديكا أبيض، لم يقربه الشيطان ولا السحر) [٣]. ومثله حديث مكذوب جاء فيه: (إن لله ديكا عنقه مطوية تحت العرش، ورجلاه في التخوم) [٤].

٧. الحديث الموضوع الذي فيه: (من ولد له مولود فسماه محمدا

---

(١) المنار المنيف لابن القيم ص ٥٢.

(٢) الأسرار المرفوعة ٤٢٧/١، واللآلئ المصنوعة ١٨٨/٢، والموضوعات لابن الجوزي ٢٠١/٢، وكشف الخفاء للعجلوني ٥٥٨/٢.

(٣) المنار المنيف ص٥٥، والموضوعات لابن الجوزي (٢٠١/٢).

(٤) السابق ص٥٥، الأسرار المرفوعة٤٣١/١، والفوائد المجموعة ١٧٢/١، واللآلئ المصنوعة للسيوطي (١٩٣/٢).

تبركا، كان هو والولد في الجنة) [١].

٨. الحديث الموضوع الذي فيه: (ما من مسلم دنا من زوجته، وهو ينوي إن حبلت منه يسميه محمدا إلا رزقه الله ولدا ذكرا) [٢].

٩. ومن ذلك الحديث الموضوع الذي جاء فيه: (إن الناس يوم القيامة يدعون بأمهاتهم لا بآبائهم) [٣]. والأحاديث الصحيحة ورد بخلاف ذلك. قال البخاري في صحيحه: باب يدعى الناس يوم القيامة بآبائهم ثم ذكر حديث: (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان) [٤]. وفي الباب أحاديث أخرى غير ذلك.

١٠. الحديث الموضوع الذي جاء فيه: (من عشق فكتم، وعف فمات، فهو شهيد) [٥].

١١. الحديث الموضوع الذي فيه السؤال بحق محمد ﷺ: (لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما

---

(١) السابق ص٦١.

(٢) السابق ص٦١.

(٣) الأسرار المرفوعة ١/٤٩٥، والمنار المنيف ص١٣٩.

(٤) رواه البخاري في الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم ٥/٢٢٨٥ (٥٨٢٣).

(٥) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني (٢/٣٦٤)، الأسرار المرفوعة ١/٣٥٢، وكشف الخفاء ٢/٣٤٥.

خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك) [١].

١٢. الحديث الموضوع الذي جاء فيه: (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله) [٢].

١٣. الحديث الموضوع الذي جاء فيه: (يأتي على الناس زمان هم فيه ذئاب، فمن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب) [٣].

١٤. الحديث الموضوع الذي اشتهر على ألسنة الناس: (من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني) [٤].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٣١٣/٦ (٦٥٠٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٦٧٢/٢ (٤٢٢٨) وقال الذهبي: موضوع، وانظر التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني ص١٠٥، ط ٣، المكتب الإسلامي بيروت.

(٢) قال الشيخ الألباني: موضوع، انظر السلسلة الضعيفة ١٠٥/١ (٣٢)، وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٤٩٣/١.

(٣) الموضوعات٢٧٣/٢، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢٤٥/٢، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لابن عراق (٢٩٤/٢).

(٤) كشف الخفاء ٣٢٠/٢، والموضوعات ١٢٨/٢، وتنزيه الشريعة (١٧٢/٢).

• السبب الثاني عدم فهم العقل للنقل.

إذا صح النقل ولم يفهمه العقل، فلا بد من تنزيه كلام الله ورسوله ﷺعن التضارب والخطأ، ورد العيب إلى قصور العقل في إدراك الفهم الصحيح، فإن كتاب الله وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه فيتعارض ظاهرا أو من خلفه فيتعارض باطنا. قال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت:٤٢.

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء:٨٢.

سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن تفسير الفاكهة والأبّ في قوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ عبس:٣١. فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم [(١)].

وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأها يوما على المنبر فقال: كل هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟ ثم رفع عصا كانت في يده، وقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك يا ابن أمّ عمر أن لا تدري ما الأبّ. ابتغوا ما بُين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه، فَكِلوه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب من كره أن يفسر القرآن ١٣٦/٦ (٣٠١٠٧) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص٢٢٧، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٥٢/٢) نشر دار الكتب العلمية بيروت.

إلى ربه[١].

قال تعالى في بيان أن تعظيم كلام الله وخشيته وتقواه سبب في فتح الله على القلوب بالعلم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٨٢. وقال: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء:١١٣.

ومن أمثله التعارض بين العقل والنقل، بسبب عدم فهم العقل لما صح في النقل:

١- ادعاء التعارض بين نصوص المعية والاستواء، وأن الله في السماء، كما زعم كثير من الأشعرية قديما وحديثا. قال الشيخ طه عبد الله عفيفي: (وليت شعري أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر؟ فيقولون: إن الله في السماء بمقتضي قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ الملك: ١٦. أم على العرش بمقتضي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه:٥. أم في الأفاق بمقتضي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد:٤)[٢].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في كتاب فضائل القرآن (٤٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن ، باب من كره أن يفسر القرآن ١٣٦/٦ (٣٠١٠٥)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٥٥٩/٢ (٣٨٩٧) ، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص ٩٩ .

وقد وهم الشيخ طه حين ظن أن ظواهر النصوص في حق الله هي صورة الإنسان في كيفية استوائه ومعيته وعلوه، ثم أراد أن ينفي ما توهمه حتى لا يقع في الضلال بأنواع التأويل والمجاز والخيال. وقد أبطل أبو الحسن الأشعري رحمه الله مثل هذا الزعم منذ القدم فقال:

(إن قال قائل:ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به.. فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: أأمنتم من في السماء. لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: أأمنتم من في السماء. يعني جميع السماوات. وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى: وجعل القمر فيهن نورا. ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا، وأنه فيهن جميعا، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله ﷻ على العرش، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ،كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض) [1].

قال أبو عمر الطلمنكي: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ الحديد:٤. ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته مستو على عرشه

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص ١٠٥، نشر دار الأنصار.

كيف شاء، وقال أهل السنة في قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾ طه:٥. إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز) [1].

وقد جمع القرآن الكريم بين المعية والاستواء، وأن الله يعلم ما في الأرض والسماء في آية واحدة، فليس ثمة تعارض يذكر بين النصوص، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ ﴾ الحديد:٤.

٢- ادعاء كثير من المستشرقين وأتباعهم من العلمانيين تعارض حديث الذباب مع العقل الصريح، وهو حديث صحيح رواه البخاري من حديث أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: (إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ، فَليغْمِسْهُ كُلهُ، ثـمَّ ليطرَحْهُ؛ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً) [2].

وقد بان على لسان الغربيين أنفسهم وظهر أنه من معجزات النبي ﷺ الطبية التي يجب أن يسجلها له تاريخ الطب بأحرف ذهبية؛ وذلك لذكره عامل المرض وعامل الشفاء محمولين على جناحي الذبابة، قبل اكتشافهما بأربعة عشر قرنا، وذكره لتطهير الماء إذا وقع

---

(١) انظر العلو للعلي الغفار للذهبي ص٢٤٦، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/٢٦٠، ومعارج القبول للحكمي ١/٢٠٠.

(٢) رواه البخاري في الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء ٥/٢١٨٠ (٥٤٤٥).

الذباب فيه، وتلوث بالجراثيم الموجودة في أحد جناحيه، فما علينا إلا أن نغمس الذبابة في الماء لإدخال عامل الشفاء الذي يوجد في الجناح الآخر، الأمر الذي يؤدي إلى إبادة الجراثيم الموجودة بالماء.

وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة الأسرار الغامضة التي في هذا الحديث، فهناك خاصية في أحد جناحي الذباب هي أنه يحول البكتريا إلى ناحية منه، وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شراب، أو طعام، وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب أو الطعام، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم، وأول واحد منها هو مبيد البكتريا، يحمله الذباب في أحد جناحيه.

٣- ادعاء بعض المستشرقين التعارض بين آيات القرآن في إثبات الهداية للنبي ﷺ ونفيها عنه. فقال الله مرة في إثباتها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى:٥٢.

وقال مرة أخرى في نفيها: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص:٥٦.

ومعلوم أن الهداية المثبتة للنبي ﷺ هي الهداية الشرعية التكليفية الدينية، وهي هداية البيان والدلالة والإرشاد لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وأما تلك الهداية المنفية عن النبي ﷺ فهي الهداية الكونية التي قدرها الله لمن شاء قبل خلق السماوات والأرض، وكتبها في اللوح المحفوظ إظهارا لقدرته، وأخفاها عن سائر الخلق إظهارا لحكمته، فلا يعلم عنها ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

٤- ادعاؤهم التعارض في ضرب الأمثال لله، فمرة نجد القرآن يمنع ضرب الأمثال في حق الله فيقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ النحل:٧٤. ومرة أخرى يذكر المثل في حق الله فيقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ الروم:٢٧. وكذلك ما ورد في قوله:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ النحل:٦٠.

ومعلوم أن هذا التعارض سببه عدم فهم العقل للنقل، فالمثل الذي لا يجوز ضربه في حق الله هو قياس التمثيل والشمول، وأما الجائز فهو قياس الأولى.

قال ابن تيمية: (العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي تستوي فيه أفراده؛ فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء؛ فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل تحت قضية كلية تستوي أفرادها. ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلي اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة

والاضطراب، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها، ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولي، سواء كان تمثيلا أو شمولا كما قال تعالي: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠ ﴾ النحل:٦٠. ومثل هذه الطرق، هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب، كما استعمل نحوها الإمام أحمد، ومن قبله وبعده من أئمة أهل الإسلام، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين في مسائل التوحيد والصفات والمعاد ونحو ذلك) [١].

٥- وقد زعم الفيلسوف ابن رشد أن أدلة السمع، أو أدلة النقل الصحيح متعارضة، واحتج على ذلك بذكر الحسنة والسيئة في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩ ﴾ النساء:٧٨/٧٩.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتي القدر ونفاته، هؤلاء يقولون الأفعال كلها من الله، لقوله تعالى: قل كل من عند الله. وهؤلاء يقولون: الحسنة من الله، والسيئة من نفسك، لقوله: ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك. وقد يجيبهم الأولون بقراءة مكذوبة: فمن نَفْسُكَ؟ بالفتح

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٩/١، نشر دار الكتب العلمية بيروت .

على معنى الاستفهام. وربما قدر بعضهم تقديرا: أي أفمن نفسك؟ وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى: ما أصابك. فيقولون: تقدير الآية: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا. فيحرفون لفظ القرآن ومعناه، ويجعلون ما هو من قول الله قول الصدق من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم، ويضمرون في القرآن ما لا دليل على ثبوته، بل سياق الكلام ينفيه، فكل من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي تنصره [١].

وأما القرآن فالمراد منه بالحسنات والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصي. وهذا كقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ آل عمران: ١٢٠. وكقوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ التوبة: ٥٠/٥١.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ الأعراف: ١٦٨. كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الأنبياء: ٣٥. أي بالنعم والمصائب [٢].

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/١١٠.

(٢) السابق ٨/١١١.

وهذا بخلاف قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ الأنعام: ١٦٠.

وأمثال ذلك، فإن المراد بها الطاعة والمعصية، وفى كل موضع ما يبين المراد باللفظ، فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى إشكال، بل هو مبين، وذلك أنه إذا قال: ما أصابك، وما مسك، ونحو ذلك، كان من فعل غيرك بك، كما قال: ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وكما قال تعالى: إن تصبك حسنة تسؤهم، وقال تعالى: وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم [1].

وإذا قال: من جاء بالحسنة، كانت من فعله، لأنه هو الذي جاء بها، فهذا يكون فيما فعله العبد، لا فيما فُعل به، وسياق الآية يبين ذلك فانه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد، وذم المتخلفين عنه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣﴾ النساء: ٧١/٧٣ .

فأمر سبحانه بالجهاد، وذم المثبطين، وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة فيه، وتارة من فضل الله فيه، كما أصابهم يوم أحد مصيبة فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ

(١) السابق ٨/١١٢.

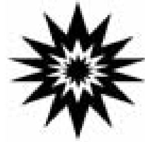
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ آل عمران:١٦٥. وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأييده، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾ آل عمران:١٢٣.

ثم إنه قال: ﴿۞فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ .. إلى قوله تعالى .. أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ النساء:٧٤/٧٨.

فهذا من كلام الكفار والمنافقين، إذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا: هذا من عند الله، وإن أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا: هذا من عند محمد، بسبب الذي جاء به، فإن الكفار يضيفون ما أصابهم من المصائب إلى فعل أهل الإيمان. وقد ذكر نظير ذلك في قصة موسى عليه السلام وفرعون. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ الأعراف:١٣٠. ونظيره قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾ يس:١٨. فأخبر الله تعالى، إن الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين، فإذا أصابهم بلاء جعلوه بسبب أهل الإيمان، وما أصابهم من الخير جعلوه لهم من الله عز وجل فقال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ النساء:٧٨ .

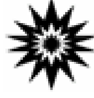
والله تعالى نزل أحسن الحديث، فلو فهموا القرآن، لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، أمر بالخير، ونهى عن الشر، فليس فيما بعث الله به رسله ما يكون سببا للشر، بل الشر حصل بذنوب العباد، فقال تعالى: ما أصابك من حسنة فمن الله. أي ما أصابك من نصر ورزق وعافية، فمن الله نعمة أنعم بها عليك، وإن كانت بسبب أعمالك الصالحة، فهو الذي هداك، وأعانك، ويسرك لليسرى، ومن عليك بالإيمان، وزينه في قلبك، وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان [١].



(١) السابق ٨/١١٣.

المطلب الثالث

العقل والنقل بين السلف والخلف



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد .

ففد دارت محاور المطلب السابق حول بعض المسائل المتعلقة بالعلاقة بين العقل والنقل، وبينا فيها أن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، وأن الهداية الحقيقية تكمن في قيادة النقل الصحيح للعقل الصريح.

وعلمنا أن الضلال الحقيقي يكمن في قيادة النقل الباطل للعقل الصريح، وأن من لم يلتزم بالنقل الصحيح وقدم على القرآن وصحيح السنة عقله ورأيه استحق الوعيد الشديد.

ثم تناول الحديث أسباب التعارض بين العقل والنقل، وأن ذلك مرده إلى سببين اثنين لا ثالث لهما، السبب الأول: عدم ثبوت النقل، وضربنا أمثلة على ذلك، والسبب الثاني: عدم فهم العقل للنقل، وضربنا أمثلة على ذلك أيضا.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتناول الحديث عن العقل والنقل بين السلف والخلف من خلال المحاور التالية:

• أيهما يقدم على الآخر العقل أم النقل؟

قال علماء الخلف من المتكلمين: العقل أصل في ثبوت النقل، فلا بد من تقديم العقل على النقل، فرد علماء السلف وقالوا: العقل أصل في العلم بالنقل، والنقل ثابت قبل العقل.

قال فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ): (إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، فوجب تقديم العقل؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه، كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا، ثم النقل إما أن يُتأول، وإما أن يفوض) [(١)].

وقد بالغ أبو حامد الغزالي في تقديسه للعقل، وقوانين المنطق التي استوردها من منطق المشركين كالمسمى أرسطو وأفلاطون، ومن بعده أفلاطين، فقال: (إن من لا يحيط به، فلا ثقة بعلومه) [(٢)].

---

(١) المحصول في علم الأصول للرازي (١١٢/٣).

(٢) القسطاس المستقيم ص١٠٤، ضمن مجموعة رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت. وأفلاطين رجل يهودي، أدخل الفلسفة في دين اليهود، وأخذ كلام أفلاطون وعدله وزاد فيه، كما فعل ابن رشد وأمثاله في الإسلام ويسمى مذهبه الأفلاطونية الحديثة، أما الأفلاطونية القديمة فهي لأفلاطون. وأفلاطين اليهودي كان قبل الميلاد بأكثر من قرنين، وقد أفسد على اليهود دينهم بهذه الفلسفة. نقلا باختصار عن شرح العقيدة الطحاوية للدكتور سفر الحوالي ٥٦٥/١.

وبالغ الغزالي وغالى غلوا كبيرا في تمجيده، حتى جعله ميزانا يزن به كل العلوم والمعارف الدينية وسواها، فقال: (لا أدعي أني أزن بها المعارف الدينية فقط، بل أزن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعة والفقهية والكلامية، وكل علم حقيقي غير وضعي، فإني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين، وكيف لا، وهو القسطاس المستقيم ؟) [١].

وقد نقل بعض الأشعرية المعاصرين عن أبي حامد الغزالي ما يجيز به تأويل نصوص القرآن والسنة حتى لا توهم باطلا، فهي عنده ليست على ظواهرها، لأن الظاهر كما زعم يعارض العقل، ويحمل معاني التجسيم والضلال، فقال: (وقال أبو حامد الغزالي: من أخذ علمه من العبارات والألفاظ ضل ضلالا بعيدا، ومن رجع إلى العقل استقام أمره وصلح دينه) [٢].

وهذا الكلام العقلي الذي يقدمونه على النقل، قد جعله المتكلمون قانونا شاملا، أطلقوا عليه ما يسمى بالقواطع العقلية التي يقيسون عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

• العقل أصل في العلم بالنقل وليس أصلا في ثبوته.

إذا تعارض العقل والنقل لجهل العقل بما ورد في النقل، أو غاب عنه الفهم الصحيح للأدلة القرآنية والنبوية، وجب علي المسلم العاقل قبل

---

(١) السابق ص ١٠٥.

(٢) حق الله على العباد وحق العباد على الله لطه عبد الله العفيفي ص ١٠٤.

التعطيل، أو التأويل بغير دليل أن يتقى الله، ولا يقدم عقله وهواه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمهمة العقل تجاه النقل تصديق المنقول إن كان خبرا، وتنفيذه إن كان أمرا، وهذا شأن من صدق في إسلامه.

ومن ثم فإن الله إذا عرفنا بنفسه في النقل الصحيح، أو عرفنا بشيء مما في عالم الغيب، أو عالم الشهادة، وجب على كل إنسان مسلم عاقل أن يصدق بالمنقول عن الرسول ﷺ تصديقا جازما يبلغ حد اليقين الذي ينافي الشك، ولا يرد الأدلة ويعطلها زاعما أنه من أصحاب المدرسة العقلية التي تحكِّم العقل في كل شيء، حتى في قبول ما ورد من الغيبيات في باب الأسماء والصفات أو رده، فيوجب على الله بعقله أشياء، ويجوز له من الصفات ما يشاء، ويجعل ما نزل من السماء في الخبر عن الصفات، دربا من المحال أو الخيال أو المستحيلات.

قال ابن قيم الجوزية: (العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، والشرعة مطابقة للفطرة، يتصادقان ولا يتعارضان، خلافا لمن قال: إذا تعارض العقل والوحي قدمنا العقل على الوحي.

فقبحا لعقل ينقض الوحي حكمه : ويشهد حقا أنه هو كاذب) [1].

كما أن النقل لا يتوقف ثبوته على حكم العقل بصدق النقل، فالنقل أو القرآن وصحيح السنة، أو الوحي ثابت في اللوح المحفوظ قبل وجود العقلاء، سواء صدق به العقلاء أو كذبوه.

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٣٠٢، نشر دار الفكر بيروت.

ولذلك قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ ﴾ الواقعة: ٧٥/ ٨٢.

وقال: ﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤ ﴾ الزخرف: ١/ ٤.

ولما كان الأمر كذلك، فإن النقل أو ما جاء في القرآن وصحيح السنة لا يتوقف ثبوته على حكم العقل بصدق الرسل، فإن تكذيب العقلاء لهم يضرهم، ولا يضر الرسل، ويؤثر في مصيرهم، ولا يؤثر في صدق الرسل وبلاغهم عن ربهم.

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (خَرَجَ عَلينا النبي ﷺ يَوْمًا، فقال: عُرِضَت عَلي الأُمَمُ، فَجَعَل يَمُرُّ النبي معه الرَّجُل، وَالنبِيُّ معه الرَّجُلان، وَالنبِيُّ معه الرَّهْطُ، وَالنبِيُّ ليس معه أَحَدٌ. ورَأَيْت سَوَادًا كَثيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْت أَن يكون أُمَّتي، فَقِيل: هذا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثمَّ قِيل لي: انظُرْ، فَرَأَيْت سَوَادًا كَثيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيل لي: انظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْت سَوَادًا كَثيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيل: هَؤُلاءِ أُمَّتك، وَمَعَ هَؤُلاءِ سَبْعُون أَلفًا يَدْخُلون الجَنةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَتفرَّقَ الناس، ولم يُبَين لهم، فَتذَاكَرَ أَصْحَابُ النبي ﷺ، فَقَالوا: أَمَّا نحْن فَوُلدْنا في الشِّرْكِ، وَلَكِنا آمَنا بِاللهِ

وَرَسُولِهِ، وَلَكِن هَؤُلاءِ هُمْ أَبْناؤُنا، فَبَلَغَ النبي ﷺ، فقال: هُمْ الذِين لا يَتطَيرُون، ولا يَسْترْقُون، ولا يَكْتوُون، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتوَكَّلون، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بن مِحْصَن فقال: أَمِنهُمْ أنا يا رَسُول اللهِ؟ قال: نعم، فَقَامَ آخَرُ فقال: أَمِنهُمْ أنا؟ فقال: سَبَقَكَ بها عُكَاشَةُ) [1].

والشاهد من الحديث أن هذا النبي الذي جاء يوم القيامة، ولم يصدق عاقل واحد، ليس كاذبا في بلاغه عن ربه، أو إعلانه عن النقل الذي نزل عليه في وحيه، ولا يتوقف صدقه على إيمان العقلاء، ومن ثم فإن العقل ليس أصلا في ثبوت النقل، ولا يقدم بحال على النقل، وإنما العقل أصل في التعرف على النقل والعلم به.

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ النحل:٤٣. فلو آمن صاحب العقل بالنقل، وصدق رسل الله في بلاغهم عن ربهم، فهو المنتفع المستفيد، وإلا فلا يلومن إلا نفسه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (عدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها، فما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، فإنه ثابت سواء علمنا صدقه أو لم نعلمه، ومن أرسله الله تعالى إلى الناس فهو رسوله، سواء علم الناس

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطب، باب من لم يرق ٥/٢١٧٠ (٥٤٢٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١/١٩٩ (٢٢٠).

أنه رسول أو لم يعلموا، وما أخبر به فهو حق، وإن لم يصدقه الناس، وما أمر به عن الله، فالله أمر به، وإن لم يطعه الناس، فثبوت الرسالة، وثبوت صدق الرسول، وثبوت ما أخبر به، ليس موقوفا على وجودنا أو عقولنا) [(١)].

• **مثل العامي المستفتى مع الدال على المفتي.**

كما أن شأن العقل مع النقل، أو شأن العقل مع الوحي كشأن العامي المستفتى مع الشيخ العالم المفتي، فإذا عرف العامي المستفتى عالما يفتى الناس في أمور دينهم وعقيدتهم، فسأل الناس عن منزله فدله عليه أحد العامة، ثم اختلف المفتي مع العامي الذي دل المستفتي في حكم من الأحكام، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي، ورد كلام الذي دله على المفتي.

ولوا أن الرجل الذي دله على المفتي قال له: الصواب معي خذ برأي، ولا تأخذ برأي المفتى، لأنني أنا الأصل في علمك بأنه المفتي، فإذا قدمت قوله على قولي، طعنت في الأصل الذي عرفك بأنه المفتي، فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت بأنه المفتي، ودلتني عليه، شهدت بوجوب اتباعه دون اتباعك، وتقليده دون تقليدك.

كما أن موافقتي لك في الطريق إلى منزله، لا تستلزم موافقتي لك في كل مسألة، وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي، الذي هو أعلم منك،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/٨٧.

لا يستلزم خطأك في علمك بأنه مفت، فيجب عليك تقليد المفتي فيما لا مخالفة فيه لشرع الله، فالمفتي يجوز عليه الخطأ في فتواه، ولو علمنا خطأه، فالمعصوم في خبره عن الله هو رسول الله ﷺ [١].

والسلف الصالح لم يجوزوا أبد أن يكون النقل مطية للعقل بحيث يوجه الإنسان آيات القرآن في غير موضعها، ويحول أدلة السنة في غير مسارها الذي جاءت من أجله، كما فعل أصحاب المدرسة العقلية عندما وضعوا أنسقة وقواعد فكرية في أذهانهم، كفروض يعملون على إثباتها، وغايتهم من البحث في القرآن والسنة أن يجدوا بين الآيات والأحاديث، ما يؤيد عقلهم، ويقوى رأيهم، فيما ذهبوا إليه، ولو بتعسف مستهجن.

وإن وجدوا في الأدلة ما يخالف مذهبهم قاموا بتأويل الآيات والأحاديث تأويلا لا تحتمله النصوص، ولا يقوم على دليل واضح، أو قاموا برد الأحاديث الثابتة بالسند الصحيح بزعم أنها ظنية من رواية الآحاد التي لا تفيد اليقين في أمور الاعتقاد.

وخلاصة الأمر عند التعارض بين العقل كما قرر علماء السلف في عقيدتهم أنهم يقدمون النقل على العقل؛ لأنه ثابت قبل وجود العقل، ولا يتوقف ثبوت النقل على تصديق العقل، فلو كذب جميع العقلاء بنبي من الأنبياء فكلام النبي حق وصدق.

---

(١) السابق ١/٨٠ بتصرف.

• **كثير ممن قدم العقل على النقل اعترف بحيرته وضلاله.**

كما أن كثيرا ممن قدم العقل على النقل، تأكد من حيرة العقل وضلاله، وتمسك بالنقل الصحيح، واعترف بفضله وحسنه وجماله. قال ابن تيمية: (القول بتقديم الإنسان لمعقوله علي النصوص النبوية قول لا ينضبط، وذلك لأن أهل الكلام والفلسفة الخائضين المتنازعين فيما يسمونه عقليات، كل منهم يقول: إنه يعلم بضرورة العقل، أو بنظره ما يدعي الآخر أن المعلوم بضرورة العقل أو بنظره نقيضه، وهذا من حيث الجملة معلوم، فالمعتزلة ومن اتبعهم من الشيعة يقولون: إن أصلهم المتضمن نفي الصفات والتكذيب بالقدر، الذي يسمونه التوحيد والعدل، معلوم بالأدلة العقلية القطعية، ومخالفوهم من أهل الإثبات يقولون: إن نقيض ذلك معلوم بالأدلة القطعية العقلية) (١).

وأكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة، بل وبالتصوف، الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول ﷺ تجدهم فيه حيارى. كما أعترف أبو عبد الله فخر الدين الرازي بضلال العقل وهداية النقل في باب الصفات فقال: (ومن الذي وصل إلي هذا الباب؟ أو ذاق من هذا الشراب؟ ثم أنشد قائلا:

نهاية إقدام العقول عقال : وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا : وحاصل دنيانا أذي ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا : سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

(١) درء التعارض ١/١٥٦.

ثم قال الرازي: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ فاطر:١٠. واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ طه:١١٠. ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ مريم: ٦٥. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي [(١)].

وكان ابن أبي الحديد البغدادي من فضلاء الشيعة المعتزلة المتفلسفة وله أشعار في هذا الباب كقوله:

فيك يا أغلوطة الفكر .. حار أمري وانقضى عمري

سافرت فيك العقول فما .. ربحت إلا أذى السفر [(٢)].

وهذا إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ترك ما كان ينتحله ويقرره، واختار مذهب السلف، وكان يقول: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال: عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم،

---

(١) ذكر فخر الدين الرازي هذا الكلام في كتاب أقسام اللذات الذي صنفه في آخر عمره، انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩٦/٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥٠/٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠٠/٢١، والصواعق المرسلة ١٦٧/١.

(٢) انظر إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني ١٣٩/١ نشر دار الكتب العلمية بيروت، ودرء التعارض ١٦١/١، والصواعق المرسلة ٦٦٨/٢.

ودخلت فيما نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: عقيدة عجائز نيسابور [(١)].

قال ابن تيمية: (وقد حكي لي أن بعض الأذكياء ـ وكان قد قرأ علي شخص هو إمام بلده، ومن أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة وهو ابن واصل الحموي ـ أنه قال: أضطجع علي فراشي، وأضع الملحفة علي وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدله هؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي شيء، ولهذا انتهي أمره إلي كثرة النظر في الهيئة لكونه تبين له فيه من العلم ما لم يتبين له في العلوم الإلهية) [(٢)].

وكذلك ابن الفارض الصوفي من متأخري الاتحادية الذين زعموا أن العباد في محبتهم لربهم تصل إلى اتحاد الذوات، وهو صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك. وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائق اللفظ، فهو كما عبر ابن تيمية عنها أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك، الله أعلم بها، وبما اشتملت عليه، وقد بالغ أهل العصر في تحسينها، والاعتداد بما فيها من الاتحاد. هذا الصوفي الاتحادي لما حضرته الوفاة أنشد:

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٧٣، ومنهاج السنة النبوية ٥/٢٦٩، والصواعق المرسلة ٢/٦٦٤.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/١٦٥.

إن كان منزلتي في الحب عندكم : ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا : واليوم أحسبها أضغاث أحلام [(١)].

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، أخبر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، وكان ينشد:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها : وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر : على ذقن أو قارعا سن نادم [(٢)].

وقد أجابه الإمام العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني وبين له أنه أهمل أهم معهد وهو معهد الرسول الذي لا يحار فيه العقل بل يهتد ولا يندم أبدا فقال رحمه الله:

لعلكَ أهملت الطوافَ بمعهدِ الرسولِ ومن لاقاهُ من كلِّ عالِمِ
فما حارَ من يُهدى بهديِّ محمد : ولست تراهُ قارعاً سِنَّ نادِمِ [(٣)].

- **من أعرض عن القرآن فجهله إما بسيط أو مركب.**

وبسبب إعراض هؤلاء وتقديمهم لعقولهم على هداية ربهم، تجد

---

(١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ١١١/٤٦، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٧٤/٤.
(٢) ذكر الشهرستاني هذه الأبيات في أول كتابه نهاية الإقدام في علم الكلام ص٣، وانظر كذلك الملل والنحل ١٧٣/١ نشر دار المعرفة بيروت، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني ١٤٠/١، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٤/٤، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٧٣/٤.
(٣) حاشية درء تعارض العقل والنقل، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ١٥٩/١.

كثيرا منهم إذا لم يتبين له الهدي في طريقته التي اختارها نكص على عقبيه، واشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه وفرجه، أو رياسته وماله، ونحو ذلك، لعدم العلم واليقين الذي يطمئن إليه قلبه، وينشرح له صدره. وفي الحديث المأثور عن أبي بَرْزَةَ ﷺ عَن النبي ﷺ قال: (إن مِمَّا أغشى عَلَيْكُمْ، شَهَوَات الغي في بُطُونكُمْ وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلاَّت الهَوَى) [1].

وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية السلفية يجتمع فيهم هذا وهذا، اتباع شهوات الغي، ومضلات الفتن، فيكون فيهم من الضلال والغي بقدر ما خرجوا عن الطريق الذي بعث الله به رسوله ﷺ. ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نقول في كل صلاة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ الفاتحة:٦/٧.

وكان علماء السلف الصالح يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فكيف إذا اجتمع في الرجل الضلال والفجور؟ [2].

---

(١) مسند أحمد ٤/٤٢٣ (١٩٨٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٤٣).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/١٩٢، نشر دار الكتب العلمية بيروت، وتهذيب الكمال للمزي ١١/١٦٨عن سفيان الثوري، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/١٩٧.

قال الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ طه:١٢٣/ ١٢٧.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقي في الآخرة ثم قرأ هذه الآية) [(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله: (والمقصود هنا التنبيه على أنه لو سوغ للناظرين أن يعرضوا عن كتاب الله تعالى ويعارضوه بآرائهم ومعقولاتهم، لم يكن هناك أمر مضبوط يحصل لهم به علم ولا هدى، فإن الذين سلكوا هذه السبيل، كلهم يخبر عن نفسه بما يوجب حيرته وشكه، والمسلمون يشهدون عليه بذلك، فثبت بشهادته، وإقراره علي نفسه، وشهادة المسلمين الذين هم شهداء الله في الأرض، أنه لم يظفر من أعرض عن الكتاب، وعارضه بما يناقضه بيقين يطمئن إليه، ولا معرفة يسكن بها قلبه) [(٢)].

---

(١) تفسير الطبري ٣٨٩/١٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١٦٨/١.

وقال أيضا: (والذين ادعوا في بعض المسائل أن لهم معقولا صريحا يناقض الكتاب، قابلهم آخرون من ذوي المعقولات فقالوا: إن قول هؤلاء معلوم بطلانه بصريح المعقول، فصار ما يدعي معارضته للكتاب من المعقول، ليس فيه ما يجزم بأنه معقول صحيح، إما بشهادة أصحابه عليه، وشهادة الأمة، وإما بظهور تناقضهم ظهورا لا ارتياب فيه، وإما بمعارضة آخرين من أهل هذه المعقولات لهم، بل من تدبر ما يعارضون به الشرع من العقليات، وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه) [(١)].

ويرد ابن تيمية على من قال: إن كل إنسان له عقل فيعتمد على عقل نفسه، وما وجده معارضا لأقوال الرسول ﷺ من رأيه خالفه وقدم رأيه على نصوص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. يرد ابن تيمية على ذلك بأنه معلوم أن هذا أكثر ضلالا واضطرابا، فإذا كان فحول النظر وأساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر إلي الغاية، وهم يكدحون ليلهم ونهارهم في معرفة هذه العقليات، ثم لم يصلوا فيها إلى معقول صريح يناقض الكتاب، بل إما إلى حيرة وارتياب، وإما إلى اختلاف بين الأحزاب، فكيف غير هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء، ومعرفة ما سلكوه من العقليات؟ فهذا وأمثاله مما يبين أن من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه، لم يعارضه إلا بما هو جهل بسيط، أو جهل مركب. فالأول كما ورد في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ

---

(١) السابق ١/١٦٨.

كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ النور:٣٩.

والثاني شأنه كما ورد في قوله: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ النور:٤٠.

وأصحاب القرآن والإيمان الذين اتبعوا النور الذي أنزل على الرسول ﷺ في نور على نور كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الشورى:٥٢/٥٣.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف:١٥٧.

فأهل الجهل البسيط من هؤلاء هم أهل الشك والحيرة من هؤلاء المعارضين للكتاب المعرضين عنه، وأهل الجهل المركب أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون أنها عقليات، وآخرون ممن يعارضهم

يقول: المناقض لتلك الأقوال هو العقليات [١].

• هل السلف أصحاب جمود عقلي؟ ومتى يقدم العقل؟

وهنا سؤال أخير ربما يطرحه بعض المفتونين بالعقل من المتكلمين أو أصحاب المذاهب العلمانية، فربما يقول أحدهم: هل معنى ذلك أن العقيدة السلفية تحارب العقل وتجعله أسيرا للنقل؟ أين التفتح والانفتاح، أليس للعقل شيء مباح؟ لقد تقدم الغرب بالعقل ووصلوا إلى القمر، وهيمنوا علينا ونحن أمة في ذيل البشر؟ فأيهما يحكم على الأشياء بالحسن والقبح؟

يقال لهؤلاء: إن العقول تختلف في نظرتها إلى الأشياء حسنا وقبحا، فما يراه العاقل خيرا، يراه غيره شرا، ولذلك تتعارض المذاقات، وتشتعل الخلافات، فهل الكم بالحسن والقبح على الأشياء مرده إلى النقل فقط دون اعتبار للعقل؟ والجواب أن العقل مجاله النظر في الأسباب فيقال لهؤلاء العقلاء: اصعدوا إلى القمر لتكتشفوا أسرار الكون وعظمة الله، وأرسلوا المركبات والتلسكوبات الفضائية لمراقبة أعداء الله، وخذوا بأسباب القوة وسائر العلوم التي تنصروا بها دين الله.

أما أن يكون القصد من تقديم العقل هو مجاهرة الله بالعصيان، تشبها بالغرب في سلوكياتهم وأخلاقياتهم الماجنة، فهذا ليس بتقدم، فأنت أيها المتحرر الذي ترى في الغرب أسوة، هل تأسيت بهم في العلم المادي، أم

---

(١) درء التعارض ١/١٦٨

تشبهت بفسقهم وزعم أن ذلك هو التقدم الحضاري؟ فتفعل أفعال الذين يستحقرون ديننا، ويبغضون المؤمنين، وتسير خلفهم شبرا بشر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلته خلفهم، ولبست لباسهم، وتعريت مثلهم، وشربت خمرهم، وألفت سكرهم، وطعمت بيسراك طعامهم، وشاهدت في التلفاز رقصهم، ثم قلدتهم وقلد أولادك مجونهم، ونشرت أفكارهم، وقلدت أفعالهم، وخرجت عن وصفك، وواليتهم على بني جنسك، ثم سميت ذلك حضارة، وعقلا وتحررا واستنارة.

ثم تزعم بعد ذلك أنك مسلم متحرر تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم تقول: لن أغير تحرري وحياتي وسأبقى على هذا المسلك إلى يوم وفاتي؟ أتكذب على نفسك؟ أين الصدق في عهدك لربك؟

إن شهادة التوحيد ليست مجردَ كلمة خرجت من اللسان لا شروط لها ولا أركان، بل لا بد فيها من العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد والقبول والكفر بما يعبد من دون الله.

ومن ثم فإن الله ﷻ لما أنعم على الإنسان بنعمة العقل، وجعله محل التمييز وأساس الإدراك والفهم، وضع له سبحانه نظاما وحدودا وقيودا لا يتجاوزها، فإن تجاوزها أصبح العقل نقمة لا نعمة.

وعلماء السلف الصالح لما جوزوا إعمال الفكر والعقل جوزوه فيما يؤدى إلى إظهار الدين ونصرة المسلمين، والعمل بمقتضى القرآن والرد

على المخالفين، الذين يقدمون آراءهم على كتاب رب العالمين، وسنة سيد الأنبياء والمرسلين.

- **تقديم العقل على النقل في باب الأمر يؤدي إلى بدع العبادات.**

ومن سأل عن دور العقل في الإسلام؟ وهل عقيدة أهل السنة والجماعة تحارب العقل وتجعله أسيرا للنقل؟ فالجواب هنا يتعلق بفهمنا للأحكام الشرعية التكليفية، فالواجب والمستحب والمحرم والمكروه، هذه الأربعة السيادة فيها للنقل أو للقرآن وصحيح السنة، فالنقل هو الذي يحكم هنا بحسن الأشياء وقبحها، والعقل تابع فيها للنقل، يؤيده ويعضده، ولن يجد عاقل في فطرته ما يخالف الأحكام التكليفية أو يعارض الشريعة الإسلامية.

أما إذا قُدم العقل على النقل في الواجب والمستحب، والمحرم والمكروه من الأحكام، فسوف تظهر البدعة في الإسلام، وسوف تتغير ملامح الشريعة، وتصبح ألعوبة في يد المبتدع.

وأما دور العقل في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح، فهذا مقصور على المباح من الأحكام فقط، فالقيادة هنا للعقل الحكيم والنقل يؤيده ويعضده، فقد ثبت عند الإمام مسلم من حديث رافع بن خديج ﷺ أنه قال: (قَدِمَ نبِيُّ اللهِ ﷺ المَدِينةَ وَهُمْ يَأْبُرُون النخْل، يَقُولون: يُلقِّحُون النخْل، فَقَال: مَا تصْنعُون؟ قَالوا: كُنا نصْنعُهُ، قَال: لعَلكُمْ لوْ لمْ تفعَلوا كَان خَيْرًا فتركُوهُ، فنفضَت، أَوْ فنقصَت، قَال: فذَكرُوا ذلكَ لهُ، فقَال:

إِنمَا أَنا بَشَرٌ، إِذا أَمَرْتكُمْ بِشَيْءٍ مِن دِينكُمْ فَخُذوا بِهِ، وَإِذا أَمَرْتكُمْ بِشَيْءٍ مِن رَأْيٍ، فَإِنمَا أَنا بَشَرٌ) [١].

وثبت عند الإمام مسلم أيضا من حديث أَنس بن مالك ﷺ أَن النبِي ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلقِّحُون فقَال: لوْ لمْ تفعَلوا لصَلحَ، قَال: فَخَرَجَ شِيصًا فَمَرَّ بِهِمْ، فَقَال: مَا لنخْلكُمْ؟ قَالوا: قُلت كَذا وَكَذا، قَال: أَنتمْ أَعْلمُ بِأَمْرِ دُنيَاكُمْ [٢].

وهنا ترك الرسول ﷺ الحكم بالحسن والقبح إلى عقولهم واجتهادهم وخبرتهم في الحياة، فالرأي الحكيم مقبول ومقدم في المباحات من أمور الدنيا، دون بقية الأحكام الشرعية، أو التكليفات الدينية.

وأحكام العبودية هي درجات الأمر التكليفي بالفعل أو الترك، من حيث إلزام العبد بها، أو تخيره فيها، وهي الأحكام الشرعية التكليفية التي دل عليها كتاب الله سنة رسوله ﷺ، وتتمثل في خمسة أنواع:

١- الواجب: ويسمي أيضا بالفرض، وهو ما أمر به الحق تبارك وتعالى، أو أمر به رسوله ﷺ، وألزمنا بفعله إلزاما يقتضي العقاب لتاركه، كما أن فاعل الواجب يثاب على امتثاله لأمر الله.

ومثاله أن يصرح الشرع بلفظ كتب الدال على الإلزام كما في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن

(١) مسلم في الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، ٤/١٨٣٥ (٦٢٧٦)

(٢) السابق حديث رقم (٦٢٧٧).

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة:١٨٣.

أو يصرح الشارع بلفظ فرض أو وجب، فإنه مصرح بدرجة الحكم وهي الفرضية أو الوجوب كما ورد عند البخاري ومسلم في قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: (فَإذا عَرَفُوا اللّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَن اللّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَات فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتهِمْ) [١].

أو كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (إذا التَقى الخِتانان، فقدْ وَجَبَ الغُسْل) [٢]. فالغسل هنا حكمه الوجوب لتصريح الشارع بذلك.

٢- المستحب: ويسمي أيضا بالمندوب أو السنة، وهو ما أمر به الحق تبارك وتعالى، أو أمر به رسوله ﷺ دون إلزام بفعله، بل يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه. ومن أمثلته ما ورد في الأمر بكتابة الدين في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ ﴾ البقرة: ٢٨٢.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٢/٥٢٩ (١٣٨٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٥١ (١٩).

(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في وجوب الغسل إذا التقى الختانان ١/١٩٩ (٦٠٨)، وأحمد في مسنده ٦/٢٣٩ (٢٦٠٦٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/٢٥٩(١٢٦١).

ولكن جاءت قرينة أخرى في الآية التي بعدها بينت أن الله لا يريد منا الوجوب، ولكن يريد الندب والاستحباب، فقال تعالى:

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ البقرة: ٢٨٣ .

وقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالصلاة قبل المغرب ثلاث مرات على وجه الندب والاستحباب كما ورد في حديث عَبْد اللهِ الْمُزَنيّ رضي الله عنه فقَال النبي ﷺ: (صَلوا قَبْل صَلاةِ المَغرِبِ، قَال فِي الثالثةِ: لمَن شَاءَ، كَرَاهِيَةَ أَن يَتخِذهَا الناسُ سُنةً) [(١)] .

٣- المباح: وهو ما خيرنا فيه الشارع بين الفعل أو الترك ففعله كتركه، لا يثاب المرء على فعله، ولا يعاقب على تركه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الجمعة:١٠. فالأمر بالانتشار خارج المسجد للتخيير والإباحة، لأنه ورد بعد حظر ومنع، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الجمعة:٩.

٤- المكروه: وهو عكس المستحب، وتعريفه: هو ما نهي عنه

---

(١) البخاري في أبواب التطوع، باب الصلاة قبل المغرب ٣٩٦/١ (١١٢٨).

الشارع لا علي وجه الحتم والإلزام، أو هو ما يثاب تاركه، ولا يعاقب فاعله، كَترْكِ صَلاةِ الضُّحَى مَثلا، لا لنهْيٍ ورَدَ عَنهُ، ولَكِن لكَثرَةِ فَضْلهِ وثوَابِهِ.

٥- المحرم: وهو ضد الواجب، وهو ما نهي عنه الشارع علي وجه الحتم والإلزام، والمحرم يثاب تاركه امتثالا، ويعرف الحرام أيضا إذا ورد التصريح بلفظ التحريم كقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ المائدة:٣. وقوله: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ النور:٣. فهذا التحريم تكليف من الله تعالى لعباده بالمنع. ويعرف الحرام أيضا بأن تكون الصيغة التي تدل على طلب الترك مقترنة بوعيد وعقاب، كالمنع من الجنة، أو الدخول في النار، أو اللعن، أو الغضب، أو الذم، أو القبح، أو ما شابه ذلك.

قال ابن تيمية رحمه الله: (من تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة، وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة، فهو ضال مبتدع، بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين، فإن الله لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب) [١].

ومثال البدع المنتشرة بسبب التعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة قراءة الفاتحة عند زيارة القبر بدلا من التأسي بالسنة في الدعاء النبوي الذي ورد في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ:

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٦٠.

(السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِين، وَأَتاكُمْ مَا توعَدُون، غَدًا مُؤَجَّلون، وَإِنا إِن شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُون، اللهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ) [١].

قال الإمام مالك رحمه الله: (مَن ابْتدَعَ في الإِسلام بدعة يَراها حَسَنَة؛ فَقَدْ زَعَمَ أَن مُحمّدا ﷺ خان الرّسالةَ؛ لأَن اللهَ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة:٣، فما لم يَكُن يَوْمَئذ دينا، فَلا يكُون اليَوْمَ دينا) [٢].

- **بدع الاعتقادات سببها تقديم العقل في باب الأخبار.**

كبدعة المعتزلة في القول بخلق القرآن التي فرضها الخليفة المأمون بن هارون، وقتل فيها المئات من المسلمين. فلما أصر المعتزلة على نفي صفة الكلام عن الله بعقولهم الفاسدة، تبادر إلى الذهن سؤال هام وهو: إذا كان الله لا يتكلم، فهذا القرآن كلام من؟ ومن الذي تكلم به؟ فقالوا: تكلم به محمد ﷺ، ولما كان محمد ﷺ مخلوقا فكلامه مخلوق، وقد خلق الله محمدا ﷺ وخلق كلامه كما خلق سائر الأشياء. أما هو سبحانه فلا يتكلم، ولا يكلم أحدا من خلقه، وقد تخبط كثير منهم، فمرة ينسبونه إلى جبريل! ومرة ينسبونه إلى محمد ﷺ! ومرة يزعمون أن الله كان ولم يكن عرب ولا كلام عربي، فالله خلق القرآن كما خلق العرب! وغير ذلك من ألوان التخبط في الأدلة والتضارب في القول.

وقد أبطل علماء أهل السنة والجماعة بدعة الاعتزال العقلية، ووضعوا

---

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور ٢/٦٦٩ (٩٧٤).
(٢) انظر الاعتصام للشاطبي ١/٤٩، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

القواعد التي يردون بها على من قدم عقله في باب الصفات الخبرية وسائر الأمور الغيبية، وكان من أبرزهم الشيخ أبو عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق الأزدي، حيث أدخل على الخليفة الواثق بن المعتصم أمير المؤمنين وهو مقيد بالسلاسل، وكان شيخا شاميا أمر قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد باعتقاله؛ لأنه كان يقول بقول الإمام أحمد بن حنبل في إثبات صفة الكلام لله تعالى، فسلم غير هائب ودعا فأوجز.

قال له الواثق: يا شيخ، ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه. فقال الشيخ الأزدي: يا أمير المؤمنين هذا لا يقوى على المناظرة. فغضب الواثق لإهانته قاضي القضاة، وقال: أبو عبد الله بن أبي دؤاد يضيق، أو يقل ويضعف عن مناظرتك أنت؟! فقال: هوّن عليك يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في كلامه؟ فقال الواثق: قد أذنت لك.

ثم التفت الشيخ الأزدي إلى أحمد بن أبي دؤاد وقال له: خبرني يا بن أبي دؤاد، أمقالتك تلك ـ يقصد بدعته في القول بخلق القرآن ـ واجبة في أصول الدين، فلا يكون كاملا إلا بما قلت؟ قال ابن أبي دؤاد: نعم. قال الشيخ أبو عبد الرحمن: هل ستر الرسول ﷺ شيئا مما أمر الله به المسلمين في أمر دينهم؟ قال ابن أبي دؤاد: لا. قال الشيخ: أفدعا إلى مقالتك هذه؟ فسكت بن أبي دؤاد! قال الشيخ الأزدي للخليفة الواثق: يا أمير المؤمنين هذه واحدة.

ثم قال: يا ابن أبي دؤاد أخبرني حين أنزل الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

﴿دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة:٣، فقلت أنت الدين لا يكون تاما إلا بمقالتك في خلق القرآن، فهل كان الله تعالى الصادق في إكمال دينه أو أنت الصادق في نقصانه؟ فسكت بن أبي دؤاد. قال الشيخ أبو عبد الرحمن لأمير المؤمنين الواثق: يا أمير المؤمنين ثنتان. ثم قال الشيخ أبو عبد الرحمن الأزدي: يا أحمد مقالتك هذه علمها رسول الله أم جهلها؟ قال: علمها. قال الشيخ: أفدعا الناس إليها؟ فسكت بن أبي دؤاد. قال: يا أمير المؤمنين ثلاث.

ثم قال: خبرني يا أحمد، لما علم رسول الله ﷺ مقالتك التي دعوت الناس إليها، هل وسعه أن أمسك عنها أم لا؟ قال أحمد: علمها وسكت عنها. قال الشيخ الأزدي: وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رحمة الله عليهم؟ قال: نعم.

قال أبو عبد الرحمن: أفوسع رسول الله ﷺ أن علمها، وأمسك عنها كما زعمت، ولم يطالب بها أمته؟ قال: نعم. فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الخليفة يقول: يا أمير المؤمنين إن لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ السكوت عنه، فلا وسّع الله على من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ أن يسكت عنه. قال الواثق: نعم، لا وسّع الله على من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ أن يسكت عنه، فبكى الواثق وأمر بحل قيوده، فجاذب الشيخ أبو عبد الرحمن الحداد على القيود يود لو يحتفظ بها.

قال الواثق: ولم؟ قال: نويت أن تجعل بيني وبين كفني لأخاصم بها

هذا الظالم يوم القيامة، وبكى الشيخ أبو عبد الرحمن، وبكى الواثق، وبكى الحاضرون. قال الواثق: اجعلني في حل. قال: والله لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراما لرسول الله ﷺ إذ كنت رجلا من أهله. قال الواثق: تقيم معنا. قال الشيخ أبو عبد الرحمن الأزدي: ردك إياي إلى الموضع الذي أخذني منه هذا الظالم أجدى عليك وأنفع لي، ثم قام وخرج [1].

وبعد هذه المناظرة التي تعد قاعدة في هدم البدعة، رفعت المحنة عن العباد، فلما تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢هـ انتصر لأهل السنة وانتقم من المبتدعة، وكان من أفضل خلفاء بني العباس، لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون؛ فإنهم أساءوا إلى أهل السنة، وقربوا أهل البدعة.

- **ذم السلف الصالح للمبتدعة وعلماء الكلام.**

روى الدارمي عن عمر بن يحيى الهمداني قال: حدثني أبي قال: كنا نجلس على باب ابن مسعود ﷺ قبل الصلاة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري ﷺ فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ يقصد ابن مسعود ﷺ، قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعا، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد

---

(١) الشريعة للآجري ١/٥٤٠، نشر دار الوطن الرياض، وتاريخ بغداد ٧٦/١٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٤/١٧.

آنفا أمرا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرا، قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوما حُلُقَا جُلُوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال ابن مسعود لأبي موسى ﷺ: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا، انتظرك رأيك، أو انتظر أمرك، فقال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيآتهم؛ فأنا أضمن لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء.

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم؛ فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكَتكُم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، فقال: وكم من مريد للخير لن يصيبه. إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله، لا أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. قال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنونا يوم النهر مع الخوارج [1].

---

(١) صحيح، انظر السلسلة الصحيحة ١١/٥ (٢٠٠٥)، وحديث: (إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية). أخرجه الدارمي في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي ٧٩/١ (٢٠٤).

وروى أبو داود وصححه الشيخ الألباني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: (إن من ورائكم فتن يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر، فيوشك أن يقول قائل: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإنما ابتدع ضلالة، واحذروا زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق) [1].

جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر؟ قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أريدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟ فإن الله تعالى يقول: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ النور:٦٣ [2].

وأي فتنة أعظم من أن يرى المبتدع أن اختياره لنفسه خير من اختيار

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة ٢/٦١٢ (٤٦١١)، وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد موقوف.

(٢) انظر كتاب حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه للشيخ الألباني ص١١٠.

الله ورسوله ﷺ له، وأي فتنة أكبر من أنه خص نفسه بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ.

واعلم أنه حيث ما ورد الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلا، أو كان المخالف له كثيرا؛ لأن الحق هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كانت عليه الجماعة الأولى وهم النبي ﷺ وأصحابه ﷺ[١].

قال عمر بن ميمون الأودي: صحبت معاذ بن جبل ﷺ باليمن فما فارقته حتى واريته التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود، فسمعته يقول عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة. ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول: سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة، وصل معهم فإنها لك نافلة. قال عمر بن ميمون لعبد الله بن مسعود: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون؟ قال عبد الله: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، تدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق الحق وأن كنت وحدك [٢].

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٢٠ بتصرف.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/١٠٨.

وفي رواية قال عمرو بن ميمون ﷺ: (فقال ابن مسعود ﷺ ـ وضرب على فخذي: ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى) [١].

وقال نعيم ابن حماد: (قال عبد الله بن مسعود ﷺ: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وأن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة) [٢].

قال أبو عثمان إِسماعيل الصابوني: (وعَلامات أَهل البدَعِ عَلى أَهلها بادية ظاهرة، وأَظهرُ آياتهم وعَلاماتهم شدَةُ مُعاداتهم لحمَلَة أَخبار النبِيِّ ﷺ واحتقارهم لهُم، وتسميتهم حَشوية، وجَهلة، وظاهرية مُشبهة؛ اعتقادا منهُم في أخبار رسول الله ﷺ أَنها بمعزل عن العلم، وأَن العلم ما يُلقيهِ الشيطان إِليهِم من نتائجِ عُقولهم الفاسدة، ووساوس صُدورهم المُظلمَة) [٣].

قال الإمام أَحمد بن سنان القطان رحمه الله تعالى: (ليْسَ في الدنيا مُبْتدع؛ إِلا وهو يُبْغضُ أَهل الحَديث، فإِذا ابْتدَعَ الرجُل، نزِعَت حَلاوَةُ الحَديث من قَلبِه) [٤].

---

(١) السابق ١/١٠٩.

(٢) الباعث على إنكار البدع ص٢٢.

(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/١٠٦.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ١/٧٣، نشر دار إحياء السنة النبوية، أنقرة. وانظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/٢، نشر دار هجر.

وقد بين الإمام الشافعي حكم أَهل البدع والأَهواء وعلماء الكلام فقال: (حُكْمي في أَصْحابِ الكَلامِ أَن يُضربوا بالجريد، ويُحْمَلوا عَلى الإِبل، ويُطاف بهم في العشائرِ والقَبائل؛ ويقال: هذا جَزاءُ مَن ترَك الكتابَ والسنة، وأَخَذ في الكَلام) [١].

وقال الفضيل بن عياض: (صاحبُ بدعَة لا تأمَنه عَلى دينكَ، ولاَ تشَاورهُ في أَمْرِكَ، ولاَ تجلس إِليه، ومَن جَلسَ إِلى صاحِبِ بدعة أَوْرثهُ اللهُ العَمَى) [٢]. وقال سفيان الثوري رحمه الله: (مَن أصغى سَمْعَهُ إِلى صَاحب بِدْعَة وهُو يَعْلمُ أَنهُ صاحِبُ بِدْعَةٍ؛ نزِعَت مِنهُ العِصْمَةُ، ووُكِل إِلى نفْسِهِ) [٣].

وقال إِمام أَهل السُّنة أَحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (إِن أَهل البدَعِ والأَهْواءِ؛ لاَ يَنبَغي أَن يُسْتعان بِهِم في شَيء مِن أمورِ المُسْلمينَ؛ فإن في ذلكَ أَعْظَم الضرر على الدين) [٤].

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى: (إِنه ليْسَ في أَصْحاب الأَهْواءِ شَر مِن أَصْحابِ جَهم؛ يُريدون عَلى أَن يَقُولوا: ليسَ في السَماءِ شَيء: أَرى وَاللهِ أَلا يُناكَحوا، وَلاَ يُوَارثوا) [٥].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١٣٨/١ (٢٦٤) نشر دار طيبة.

(٢) السابق ١٤٠/١ (٢٧٥).

(٣) حلية الأولياء ٢٦/٧، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٦/١ (٢٥٢).

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٧٥/١، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٧/١١).

(٥) السنة لعبد الله بن أحمد ١٥٧/١ (١٤٧)، ومجموع الفتاوى ٥٣/٥.

وعَن أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ تعَالى أَنهُ قَال لِبِشْرٍ المرِيسِيِّ: (العِلمُ بِالكَلام هُوَ الجَهْل، وَالجَهْل بِالكَلامِ هُوَ العِلمُ، وَإِذا صَارَ الرَّجُل رَأْسًا فِي الكَلامِ قِيل: زِندِيقٌ، أَوْ رُمِيَ بِالزَّندَقَةِ) [١].

وَعَنهُ أَيْضا أَنهُ قَال: (مَن طَلَبَ العِلمَ بِالكَلامِ تزَندَقَ، وَمَن طَلَبَ المَال بِالكِيمْيَاءِ أَفْلسَ، وَمَن طَلَبَ غَرِيبَ الحَدِيث كَذبَ) [٢].

• المقصود بمصطلح السلف والخلف:

السَّلف لغة هو الماضي، كما في قول الله ﷻ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ البقرة:٢٧٥. وقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ النساء:٢٢.

قال ابن منظور: (سلف يسلف سلفا، مثال طلب يطلب طلبا، أي مضى. والقوم السلاف المتقدمون. سلف الرجل آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف .. ويجيء السلف على معان: القرض، والسلم، وكل عمل قدمه العبد) [٣].

ولما كان كل ماض سلف فقد شاع إطلاق مصطلح السلف على

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦١/٧، وانظر الأنساب للسمعاني ٢٦٧/٥، والصواعق المرسلة لابن القيم ١٤٢١/٤.

(٢) أخبار القضاة لأبي بكر محمد بن حيان البغدادي ٢٥٨/٣، وانظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١٥١/١.

(٣) لسان العرب لابن منظور الأفريقي ١٥٨/٩، والتوقيف ٤١٢/١.

الجيل المؤسس الذي أقام الدين، وطبق منهج الإسلام، وهو جيل الصحابة ﷺ الذي تلقى عن رسول الله ﷺ البيان النبوي للبلاغ القرآني، ثم انضم إليهم من اهتدى بهديهم، واقتدى بسنة نبيهم، من التابعين وتابع التابعين، وأئمة المذاهب الفقهية الكبرى.

ويمكن تحديد من يدخل تحت اصطلاح السلف بصورة أكثر دقة من خلال أمرين أساسيين، أو عاملين مجتمعين، عامل زمني وآخر منهجي:

أولا: العامل الزمني.

ويتناول كل من أدرك عصر خير القرون. ويشير إلى ذلك ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: (خَيْرُ الناسِ قَرْني، ثمَّ الذين يَلونهُمْ، ثمَّ الذين يَلونهُمْ ثمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينهُ، وَيَمِينهُ شَهَادَتهُ) [١].

والقرن أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال: إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة واحدة، أو مذهب أو عمل.

ويطلق القرن أيضا على مدة من الزمان. ذكر الجوهري أن مدة القرن بين الثلاثين والثمانين. وذكر ابن الأعرابي أنه من عشر إلى سبعين، ثم قال: (هذا هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن،

---

(١) البخاري في الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا ٥/٢٣٦٢ (٦٠٦٥) .

وهذا أعدل الأقوال، وهو مأخوذ من الأقران) [١].

قال ابن حجر العسقلاني: (وقد ظهر أن الذي بين البعثة وأخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة، أو دونها، أو فوقها بقليل، على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، وإن اعتبر ذلك بعد وفاته ﷺ، فيكون مائة سنة، أو تسعين، أو سبعا وتسعين، وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها، كان نحوا من خمسين، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان، والله أعلم) [٢].

وإذا نظرنا إلى المدة الزمنية التي تحدد العامل الزمني في إطلاق مصطلح السلف على من أدركها، نجدها تنتهي بتغيير العقيدة المعتمدة على مستوى الخلافة الإسلامية من الطريقة السلفية إلى الطريقة البدعية الاعتزالية، وذلك إلى حدود العشرين ومائتين.

قال ابن حجر رحمه الله: (واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله، من عاش إلى حدود العشرين ومائتين. وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني الشافعي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة ٧/٥ (١٣٧٩).

(٢) السابق ٧/٥.

شديدا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قوله ﷺ: ثم يفشو الكذب، ظهورا بينا حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات، والله المستعان) [١].

ومن ثم فإن العامل الزمني يقصد به تلك الفترة الزمنية، أو فترة العصر الذهبي التي تمثل نقاء الفهم والتطبيق لكل ما ورد في الكتاب والسنة، وذلك قبل ظهور المذاهب البدعية التي وفدت بعد الفتوحات الإسلامية، وأدخلت في الأمة مختلف الفلسفات العقلية.

وعليه فإن عصر السلف الصالح يمتد من زمن النبوة إلى زمن المحنة، عندما تولى أهل الاعتزال إدارة الخلافة الإسلامية في عهد الخليفة المأمون بن هارون، من خلفاء بنى العباس، حيث فرض على الناس مذهبهم بقوة الدولة، وامتحن علماء السلف الصالح في قضية خلق القرآن وتعطيل الصفات الإلهية.

- **ثانيا: العامل المنهجي.**

وهو أساس في قيام مصطلح السلف، فمن تحقق فيه العامل الزمني السابق، وأدرك عصر السلف الصالح، لا يشمله اصطلاح السلف إلا بتحقيق العامل المنهجي، فطريقة السلف طريقة الإيمان والتسليم، يؤمنون بكل خبر ورد في القرآن، ويصدقون به تصديقا جازما يبلغ حد اليقين، وينفذون كل أمر شرعي تنفيذا كاملا، ويعلمون أن ما جاء في

---

(١) السابق ٦/٧.

القرآن وصحيح السنة، لا يمكن أن يعارض صريح العقل والحكمة، فالله ﷻ هو الذي خلق العقل، وهو الذي أرسل إليه النقل، ومن المحال أن يرسل إليه ما يفسده، وقد تقدم الحديث عن ذلك.

ومن ثم فإن العامل المنهجي في تحديد مصطلح السلف وهو اعتقاد يكون فيه المسلم موافقا لطريقة السلف والأئمة ومنهم وفق ميلادهم:

١- الإمام أبو حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ).

٢- الإمام مالك (٩٣-١٧٩هـ)..

٣- الإمام سفيان الثوري (٩٧-١٦١هـ).

٤- الإمام سفيان بن عيينة (١٠٧-١٩٨ هـ).

٥- الإمام عبد الله بن المبارك (١١٨-١٨١هـ).

٦- الإمام الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ).

٧- الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (١٥٠-٢٢٤هـ).

٨- الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ).

٩- الإمام البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ).

١٠- الإمام الدارمي (٢٠٠-٢٨٠ هـ).

١١- الإمام أبو داود (٢٠٢-٢٧٥هـ).

١٢- الإمام مسلم (٢٠٤-٢٦١هـ).

١٣- الإمام الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ).

١٤- الإمام ابن ماجة (٢٠٩-٢٧٣هـ).

١٥- الإمام النسائي (٢١٥-٣٠٣ هـ).

هؤلاء وغيرهم من علماء السلف كانت طريقتهم هي الطريقة التي دل القرآن عليها وأرشد إليها، وهي أكمل الطرق وأصحها، يتوافق فيها العقل مع النقل، ولا يتخذون النقل مطية للعقل، بل يرون الحق فيما نزل من عند الله ﷻ، ويتهمون أنفسهم وعقولهم إذا عارضت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وصفهم وحالهم كما ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ ﴾ سبأ:٦.

ومن ثم فإن كل من تحقق فيه هذا العاملان، فهو سلفي بالمعنى الاصطلاحي، وكل من أعقبهم، وجاء بعدهم، وسار على دربهم، واعتقد صحة نهجهم، فهو من خير خلف لخير سلف، وإن لم يدخل تحت السلف اصطلاحا. ومن هؤلاء على سبيل المثال وعلى حسب ترتيب ولادتهم:

١- أبو بكر بن خزيْمة (٢٢٣-٣١١هـ).

٢- أبو جعفر الطحاوي (٢٣٨-٣٢١هـ).

٣- أبو الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ).

٤- أبو عبد الله بن منده (٣١٠-٣٩٥هـ).

٥- شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمِية (٦٦١-٧٢٨هـ)..

٦- شمس الدين الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ).

٧- شمس الدين بن القيم (٦٩١ -٧٥١هـ).

٨- الحافظ ابن كثير القرشي (٧٠٠-٧٧٤هـ).

• مصطلح الخلف.

الخلف لغة القرن بعد القرن، يقال: هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس أكثر منهم، والخَلْفُ أيضا ساكن اللام ومفتوحها، ما جاء من بعد يقال: هو خلف سوء من أبيه، وخلف صدق من أبيه، إذا قام مقامه [(١)].

قال ابن المطرز: (خلف فلان فلانا جاء خلفه، ومنها خلفة الشجر، وهي ثمر يخرج بعد الثمر الكثير، وخلفة النبات، ما ينبت في الصيف بعدما ييس العشب، وكذلك ما زرع من الحبوب بعد إدراك الأولى يسمى خلفة، وخلفته خلافة، كنت خليفته) [(٢)].

أما الخلف في الاصطلاح فيمكن تحديده أيضا من خلال أمرين أساسيين، أو عاملين مجتمعين، عامل زمني، وآخر منهجي:

• أولا: العامل الزمني.

ويتناول كل من أعقب عصر السلف، ولم يدرك عصر خير القرون، وبدايته الرسمية منذ سيطرة المعتزلة على الخلافة الإسلامية في عصر المأمون بن هارون، وإن كان ظهور المنهج الكلامي أسبق من ذلك، إلا أنه لم يكن على مستوى الخلافة الإسلامية.

---

(١) مختار الصحاح ١/٧٨.

(٢) المغرب في ترتيب المعرب لابن المطرز ١/٢٨٦.

- **ثانيا: العامل المنهجي.**

العامل المنهجي في تحديد مصطلح الخلف، هو اتباع أصحابه للمنهج الكلامي والمنطق اليوناني، واعتباره أصلا يسيرون على نهجه، وميزانا لقياس الأمور العقائدية، وما عارض ذلك من نصوص الوحي جعلوها أدلة ظنية لا تفيد اليقين، أو مجازات واستعارات خيالية لا حقيقة لها، وأن العقل عارضها فيجب تقديمه عليها، وأنها أخبار آحاد لا يجوز أن يحتج بها على أصولهم.

هذا الاتجاه هو ما عرف بمذهب الخلف قديما، ويصدق عليه من سار على دربهم حديثا. قال ابن حجر العسقلاني: (وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرها، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم، وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف) [(١)].

وقال أبو القاسم اللالكائي: (فلم تزل الكلمة مجتمعة، والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول، ومن بعدهم من السلف الصالحين،

---

(١) فتح الباري ١٣/٢٥٣.

حتى نبغت نابغة في أول إمارة المروانية، تنازع في القدر وتتكلم فيه، حتى سئل عبد الله بن عمر، فروى له عن رسول الله ﷺ الخبر بإثبات القدر والإيمان به، وحذر من خلافه، وأن ابن عمر ممن تكلم بهذا أو اعتقده بريء منه وهم براء منه، وكذلك عرض على ابن عباس وأبي سعيد الخدري وغيرهما، فقالا له مثل مقالته) [1].

- **طريقة الخلف ليست أسلم من طريقة السلف.**

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الواجب على جميع الخلق في باب العقيدة والغيبيات هو الالتزام بقول الله تعالى ورسوله ﷺ وما ذكره السابقون الأولون وما قاله أئمة الهدى، فإن الله تعالى بعث محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وشهد له بأنه بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخبر الله تعالى بأنه أكمل له ولأمته دينهم، أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها، ولم يميز ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العلى وما يجوز عليه أو يمتنع، فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول.

ومن المحال مع تعليمه عليه السلام لأمته كل شيء، لهم فيه منفعة وإن دقت، أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم وقلوبهم في ربهم

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٦.

ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام؟!

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن خير أمته وأفضل القرون قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه. ثم من المحال أيضا أن تكون خير القرون الفاضلة، القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كانوا غير عالمين ولا قائلين في هذا الباب بالحق المبين. فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم. ولا أن يعتقد أن الخلف أعلم من السلف، أو أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، ظنا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة [1].

وقد بين ابن القيم رحمه الله أن الله سبحانه قد أخبر أنه أكمل له ولأمته به دينهم، وأتم عليهم به نعمته، ومحال مع هذا أن يدع أهم ما خلق له الخلق، وأرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، ونصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، وهو باب الإيمان به ومعرفته، ومعرفة أسمائه

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٩.

وصفاته وأفعاله، ملتبسا مشتبها حقه بباطله، لم يتكلم فيه بما هو الحق، بل تكلم بما ظاهره الباطل، والحق في إخراجه عن ظاهره.

وكيف يكون أفضل الرسل ﷺ وأجل الكتب غير واف بتعريف ذلك على أتم الوجوه، مبين له بأكمل البيان، موضح له غاية الإيضاح، مع شدة حاجة النفوس إلى معرفته، ومع كونه أفضل ما اكتسبته النفوس، وأجل ما حصلته القلوب.

ومن أبين المحال أن يكون أفضل الرسل ﷺ قد علم أمته آداب البول قبله وبعده ومعه، وآداب الوطء، وآداب الطعام والشراب، ويترك أن يعلمهم ما يقولونه بألسنتهم وتعتقده قلوبهم في ربهم ومعبودهم، الذي معرفته غاية المعارف، والوصول إليه أجل المطالب، وعبادته وحده لا شريك له أقرب الوسائل، ويخبرهم فيه بما ظاهره باطل وإلحاد، ويحيلهم في فهم ما أخبرهم به على مستكرهات التأويلات، ومستنكرات المجازات، ثم يحيلهم في معرفة الحق على ما تحكم به عقولهم، وتوجبه أراؤهم، هذا وهو القائل ﷺ: (تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) [(١)].

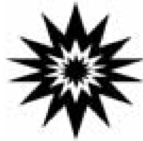
وكيف يتوهم من لله ولرسوله ودينه في قلبه وقار، أن يكون رسول الله ﷺ قد أمسك عن بيان هذا الأمر العظيم، ولم يتكلم فيه بالصواب،

---

(١) رواه ابن ماجه في باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١/١٦ (٤٣)، وأحمد في المسند ٤/١٢٦ (١٧١٨٢)، وصححه شعيب الأرنئوط.

بل تكلم بما ظاهره خلاف الصواب، بل لا يتم الإيمان إلا باعتقاد أن بيان ذلك قد وقع من الرسول ﷺ على أتم الوجوه، وأوضحه غاية الإيضاح، ولم يدع بعده لقائل مقالا، ولا لمتأول تأويلا.

ثم من المحال أن يكون خير الأمة وأفضلها وأعلمها وأسبقها إلى كل فضل وهدى ومعرفة، قصروا في هذا الباب، فجفوا عنه، أو تجاوزوا فغلوا فيه، ومن المحال أن يكون تلاميذ المعتزلة، وورثة الصابئين، وأفراخ اليونان، الذين شهدوا على أنفسهم بالحيرة والشك، وعدم العلم الذي يطمئن إليه القلب، وأشهدوا الله وملائكته عليهم به، وشهد به عليهم الأشهاد من أتباع الرسل، أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأعرف به ممن شهد الله ورسوله ﷺ لهم بالعلم والإيمان، وفضلهم على من سبقهم، ومن يجيء بعدهم إلى يوم القيامة، ما خلا النبيين والمرسلين، وهل يقول هذا إلا غبي جاهل، لم يقدر قدر السلف، ولا عرف الله ورسوله ﷺ وما جاء به [(١)].



(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ١/١٥٧: ١٦٢.

المطلب الرابع

طريقة الصحابة رضي الله عنهم في فهم العقيدة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد .

ففد تحدثنا في المطلب السابق عن قضية العلاقة بين العقل والنقل وأيهما يقدم على الآخر؟ ولماذا؟ وعلمنا أن العقل أصل في العلم بالنقل وليس أصلا في ثبوته كما ادعى المتكلمون، وبينا مثلا لذلك وهو مثل العامي المستفتى مع الدال على المفتي.

ثم علمنا أن كثيرا ممن قدم العقل على النقل اعترف بحيرته وضلاله، وأن من أعرض عن القرآن وعارضه فجهله جهل بسيط أو جهل مركب، وتناول الحديث الرد على من وصف السلف بأنهم أصحاب جمود عقلي؟ وبينا متى يقدم العقل على النقل عندهم؟

كما علمنا أن تقديم العقل على النقل في باب الأمر يؤدي إلى بدع العبادات، وأن بدع الاعتقادات سببها تقديم العقل على النقل في باب الأخبار والغيبيات.

ثم تحدثنا عن المقصود بمصطلح السلف والخلف، وكيف ذم السلف الصالح المبتدعة وعلماء الكلام؟ وبينا أن طريقة الخلف ليست أسلم ولا

أعلم ولا أحكم من طريقة السلف.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن طريقة الصحابة والتابعين في فهمهم للعقيدة الإسلامية بفطرتهم النقية، دون عقليات كلامية أو تعقيدات فلسفية، من خلال المحاور التالية:

• مراتب الناس في تصديق الخبر.

الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، ويتطلب التصديق، والأمر هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب، ويتطلب التنفيذ.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث ابنِ عَباسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا أنه قَال: (لَمَّا نَزَلَت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ الشعراء:٢١٤، صَعِد النَّبي ﷺ عَلى الصَّفَا فَجعَل ينَادي: يا بنِي فِهْرٍ، يا بنِي عَدي لبطُون قُرَيش حَتى اجْتمَعُوا، فَجعَل الرَّجُل إذا لمْ يستَطِعْ أَنْ يخْرُجَ أَرْسَل رَسُولا لينْظُرَ مَا هُوَ، فَجاءَ أَبو لَهَب وقُرَيشٌ، فقَال: أَرَأَيتكُمْ لوْ أَخبرْتكُمْ أَنَّ خَيلا بالوَادي تريد أَنْ تغِيرَ عَليكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدقِي؟ قَالوا: نَعَمْ مَا جَرَّبنَا عَليكَ إلا صِدقًا، قَال: فَإنِّي نَذيرٌ لكُمْ بينَ يدي عَذاب شَديد، فقَال أَبو لهَب: تبا لكَ سَائِرَ اليوْمِ أَلهَذا جَمَعْتنَا؟ فنَزَلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ المسد:١/٢) [1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الشعراء ٤/١٧٨٧ (٤٤٩٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في قول الله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين ١/١٩٣ (٢٠٨).

والشاهد من الحديث أن الخبر هو ما يتطلب التصديق، وهو واضح من قوله ﷺ: أَرَأَيتكُمْ لوْ أَخْبَرْتكُمْ. وقولهم: مَا جَرَّبنَا عَليكَ إلا صِدقًا، وفي رواية أخرى عند البخاري: قالوا ما جربنا عليك كذبا [(١)].

ولما أخبر يوسف عليه السلام بمراودة امرأة العزيز له، تطلب الخبر التصديق أو التكذيب بإقامة البرهان عليه، فقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف:٢٥/٢٩.

وكذلك الهدهد لما ذكر خبره اليقيني لنبي الله سليمان عليه السلام، طلب سليمان التحقق من كونه صادقا أو كاذبا من خلال الدليل والبرهان.

قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّاۤ يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ

(١) البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة المسد ٤/١٩٠٢ (٤٦٨٧).

ﭐلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ النمل:٢٢/٢٦.

وقد رد عليه سليمان ﷺ بما يدل على التحقق من خبره، حيث أرسله إليهم وأمره أن ينتظر سماع جوابهم ليخبره به، فأخبر الله ﷻ عن صدق الهدهد بذكر جوابهم مباشرة، فقال: ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ النمل:٢٢/٣١.

قال ابن هشام في بيان نوعي الكلام: (التحقيق أن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء فقط، وأن الطلب من أقسام الإنشاء، وأن مدلول "قم" حاصل عند التلفظ به، لا يتأخر عنه، وإنما يتأخر عنه الامتثال، وهو خارج عن مدلول اللفظ) [١].

وقال السيوطي: (الفرق بين الخبر والإنشاء، أن الخبر هو الدال على أن مدلوله قد وقع قبل صدوره، أو يقع بعد صدوره، والإنشاء هو اللفظ الدال على أن مدلوله حصل مع آخر حرف منه) [٢].

والناس في مراتب التصديق بخبر الله ورسوله ﷺ على ستة أنواع، ثلاثة منها لغير المسلمين، وثلاثة للمسلمين على تنوع أهل اليقين. فأما الثلاثة التي لغير المسلمين فهي مرتبة الوهم، ثم مرتبة الشك، ثم مرتبة

---

(١) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لعبد الله بن هشام ص٤٠.

(٢) شرح السيوطي علي سنن النسائي، كتاب الافتتاح ١٣١/٢.

الظن. وأما الثلاثة التي للمسلمين فلا بد فيها من اليقين كشرط لازم من شروط لا إله إلا الله، وهي مرتبة علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، ولمزيد من البيان يمكن ترتيب تلك المراتب على النحو التالي:

- **أولا: مرتبة الوهم .**

إذا أخبرك أحد لأول مرة أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل يوم، فإما أن تصدقه وإما أن تكذبه، فإن كان تكذيب القلب لهذا الخبر أكبر من التصديق، سمي ذلك عند علماء الأصول وهما.

كالذي يقول مثلا: كيف أن الأرض تدور؟ وليس هذا بمأثور ولا مذكور؟ ونحن في أماكننا لا نقع ولا ندور؟ أنا أستبعد مثل هذا الخبر.

فحقيقة الوهم ومقتضاه أن يكون عدم ثبات الأمر في القلب أرجح من ثباته. أو كما عرفه صاحب القاموس فقال: (بأنه مَرْجوحُ طَرَفَي الْمُترَدد فيه) (١).

والوهم يشبه النسيان إلى حد كبير، ولذلك سميت سجدة السهو بسجدة الوهم، كما ورد في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مالك ﷺ: (أن رسول الله ﷺ، صَلي بهِمُ الظُّهْرَ، فَقَامَ فِي الرَّكْعَتين الأُوليين ولمْ يجْلسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، حتى إذا قَضَي الصَّلاةَ، وَانْتظَرَ النَّاسُ تسْليمَهُ، كَبرَ وَهُوَ جَالسٌ، فَسَجَد سجدتي الوهم قَبل أَنْ يسَلمَ،

---

(١) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ص٦٨ نشر دار الفكر المعاصر بيروت، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص١٥٠٧.

ثمَّ سَلمَ) [١].

والمقصود هنا سجدتا السهو عند انعدام اليقين التثبت من الأمر، فالوهم أن يكون عدم ثبات الأمر في القلب أكبر من ثباته، وتكذيب الخبر أكبر في القلب من تصديقه.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون: أن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به، ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيما محسوسا، وعقابا محسوسا، وإن كان الأمر ليس كذلك؛ لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل) [٢].

قال الآمدي: (يشتد وهم بعض الناس بحيث يقضي به على العقل، وذلك كمن ينفر عن المبيت في بيت فيه ميت لتوهمه أنه يتحرك أو يقوم، وان كان عقله يقضي بانتفاء ذلك) [٣].

---

(١) أصل الحديث رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب من لم ير التشهد الأول واجبا ١/٢٨٥ (٧٩٥)، وأما لفظ "سجدتي الوهم" فورد عند الدارمي في كتاب الصلاة، باب إذا كان في الصلاة نقصان ١/٤٢١ (١٥٠٠) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/٩، وشرح العقيدة الطحاوية ص٥٩٥.

(٣) غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي ص١٨٦، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

• ثانيا: مرتبة الشك.

أما لو تساوت نسبة التكذيب في القلب مع نسبة التصديق، واعتدل الترجيح بينهما في ثبوت الخبر، سمي ذلك شكا، كما ورد عند أبي داود من حديث أَبِي هُرَيرَة ﷺ أن رسول اللهِ ﷺ قال: (مَا حَدثكُمْ أَهْل الكِتاب فَلا تصَدقُوهُمْ وَلا تكَذبوهُمْ، وَقُولوا: آمَنَّا باللهِ وَرُسُلهِ، فَإِنْ كَانَ باطِلا لمْ تصَدقُوهُ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا لمْ تكَذبوه) [١].

وقد روى النسائي وصححه الشيخ الألباني عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إِذا شَكّ أَحَدكُمْ فِي صَلاتهِ، فَليلغِ الشَّكَّ وَليبنِ على اليقِينِ، فَإِذا اسْتيقَنَ بالتمَامِ، فَليسْجُد سَجْدتين وَهُوَ قَاعِد، فَإِنْ كَانَ صَلى خَمْسًا شَفَعَتا لهُ صَلاتهُ، وَإِنْ صَلى أَرْبعًا كَانَتا ترْغِيمًا للشَّيطَانِ) [٢].

وعند الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذا كَانَ أَحَدكُمْ فِي المَسْجِد، فَوَجَد رِيحًا بينَ

---

(١) جزء من حديث رواه أبو داود في كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب ٣/٣١٨ (٣٦٤٤)، وأحمد في المسند ٤/١٣٦ (١٧٢٦٤) عن أبي نملة الأنصاري، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٨٠٠).

(٢) رواه النسائي في كتاب صفة الصلاة، باب إتمام المصلي على ما ذكر إذا شك ١/٣٦٨ (١١٦١) (١١٦٢)، وأصل الحديث عند مسلم في كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له ١/٤٠٠ (٥٧١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٢/١٣٤ (٤١١)، وانظر صحيح الجامع (٦٣٢).

أَليتيهِ فَلا يَخْرُجْ حتى يسْمَعَ صَوْتا، أَوْ يجِد رِيحًا) [١].

قال عبد الله بن المبارك في معنى الحديث: (إذا شَكَّ فِي الحَدث، فَإِنَّهُ لا يجِب عَليهِ الوُضُوءُ حتى يستيقِنَ اسْتيقَانًا يقْدرُ أَنْ يحْلفَ عَليهِ) [٢].

والشك يحدث الريبة في القلب كما قال تعالى عن مؤمن آل فرعون وهو ينصح قومه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ غافر: ٣٤.

وقد ذكر الله تعالى أن قوم صالح عليه السلام لم يصدقوه وكانوا في شك وريبة مما أخبرهم به عن ربهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ هود: ٦٢/٦٣.

وقال تعالى عن شك النصارى فيما هم عليه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ النساء: ١٥٧.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الطهارة، باب ما جاء في الوضوء من الريح ١/١٠٩(٧٥)، وصححه الألباني، وانظر صحيح الجامع (٧٥١).

(٢) ذكر الترمذي رحمه الله تعالى في سننه هذا القول عن ابن المبارك بعد ذكر الحديث السابق، انظر سنن الترمذي ١/١٠٩ (٧٥).

والآية صريحة في الدلالة على أن اليقين ينفي الشك والظن، وأن طوائف النصارى في العالم ليسوا على يقين من قصة الصلب والقتل التي زعموها في عيسى ﵇، وإنما هم في مرتبة الشك أو مرتبة الظن.

والمقصود هنا أن القرآن دل على أن الشك هو أن يكون عدم ثبوت الأمر في القلب مستويا مع ثبوته.

- **ثالثا: مرتبة الظن .**

أما الظن فهو زيادة التصديق في القلب على التكذيب، حتى لو امتلأ القلب بالتصديق وبقي فيه من التكذيب شيء يسير؛ فإنه يسمي ظنا، ولا يبلغ المرء مع الظن حد اليقين اللازم للإيمان.

وقد ذكر الله ﷻ حال المشركين والكافرين واعتقادهم في يوم القيامة فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الجاثية:٣٢.

هؤلاء ذكروا في وصفهم لأنفسهم وهم في الدنيا أن تكذيبهم بذلك اليوم أمر وارد على قلوبهم، لكنهم لما انتقلوا إلى ربهم، ورأوا العذاب بأبصارهم، اعترفوا بذنبهم، وندموا على ظنهم، وتمنوا العودة إلى الدنيا ليبلغوا درجة اليقين اللازمة لكلمة لا إله إلا الله، والمنجية من عذاب الله، فقال تعالى في شأنهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ السجدة:١٢.

وقد ورد في صحيح البخاري من حديث عروة بن الزبير ﵁ أنه

سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾ يوسف:١١٠ فقال: (قُلت: يا أم المؤمنين أَكُذِبوا أَمْ كُذِّبوا؟ قَالت: كُذِّبوا ، قُلت: فَقَد استَيقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذبوهُمْ، فَمَا هُوَ بالظَّنِّ، قَالت: أَجَل لعَمْرِي، لقَد استَيقَنُوا بذلكَ، فَقُلت لهَا: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَد كُذِبوا؟ ـ يعني: هل ظنوا أن الله خذلهم ولم ينصرهم على أعدائهم ـ قَالت: مَعَاذ الله، لَمْ تكُنِ الرُّسُل تظُنُّ ذلكَ برَبها، قُلت: فَمَا هَذهِ الآيةُ؟ قَالت: هُمْ أَتباعُ الرُّسُل الذينَ آمَنُوا برَبهِمْ وَصَدقُوهُمْ، فَطَال عَليهِمُ البلاءُ، وَاستَأْخرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ، حتى إذا استَيأَسَ الرُّسُل مِمَّنْ كَذبهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنَّت الرُّسُل أَنَّ أَتباعَهُمْ قَد كَذَّبوهُمْ جَاءَهُمْ نَصرُ الله عِنْد ذلكَ) [١] .

وقد عرف الجرجاني الظن بقوله: (الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: الظن أحد طرفي الشك، بصفة الرجحان) [٢].

وقد يطلق الظن على اليقين في بعض مواطن القرآن على اعتبار أن التصديق والتثبت من الحقيقة يزداد شيئا فشيئا، وفي المقابل يقل التكذيب أيضا شيئا فشيئا حتى يصل التثبت إلى منتهاه، فيمتلأ القلب تصديقا بوقوع الحقيقة فيكون عند ذلك يقينا، وإن كان ذلك لا ينفع الكافر

---

(١) رواه البخاري في التفسير، باب تفسير سورة يوسف ٤/١٧٣١ (٤٤١٨).

(٢) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ١/١٨٧ (٩٣٤) نشر دار الكتاب العربي بيروت، وانظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١/٤٩٢) نشر دار الفكر.

عند موته، كما ورد في قول الله تعالى عن المكذبين: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ القيامة:٢٦/٣٥.

ولذلك فإن اليقين يرد على معنى الموت على اعتبار أن التثبت من حقيقته كائن في جميع القلوب دون شك فيه، وإن تغافل الناس عن تذكره والاستعداد لمواجهته، كقول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ الحجر:٩٩. فاليقين هنا هو الموت.

روى البخاري عن أم العلاء رضي الله عنها وهي امرأة من الأنصار أنها قالت في عثمان بن مظعون ﷺ حين موته: (رَحْمَةُ اللهِ عَليكَ أَبا السَّائِب، فَشَهَادتي عَليكَ، لقَد أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَال النَّبي ﷺ: وَمَا يدريكِ أَنَّ اللهَ قَد أَكْرَمَهُ، فَقُلت: بأَبي أَنْت يا رَسُول اللهِ فَمَنْ يكْرِمُهُ اللهُ؟ فَقَال: أَمَّا هُوَ فَقَد جاءَهُ اليقِينُ. وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو لهُ الخَيرَ. وَاللهِ مَا أَدري وَأَنَا رَسُول اللهِ مَا يفعَل بي، قَالت: فَوَ اللهِ لا أُزَكِّي أَحَدا بعْدهُ أَبدا) [1].

- **رابعا: مرتبة علم اليقين.**

اليقين ينفي الوهم والشك والظن، فإذا صدقت بقلبك تصديقا جازما كاملا، لا مجال للتكذيب فيه، فإن ذلك يسمى يقينا، وهو

---

(١) البخاري كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات ٢/٩٥٤ (٢٥٤١) .

المسمى في النصوص القرآنية والنبوية بعلم اليقين كما في قوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ التكاثر:٥/٦.

وعلم اليقين شرط من شروط لا إله إلا الله. فإذا أخبرك الله عن شيء، فلن تدخل في الإسلام إلا بهذا اليقين، فتصدق بخبر الله ورسوله ﷺ تصديقا كاملا، يمحو التكذيب بدرجاته المختلفة من القلب محوا شاملا. قال عَبد الله بنَ رَوَاحَةَ رضي الله عنه:

وَفِينَا رَسُول الله يتلو كِتَابَهُ : إِذا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الهُدي بعْد العَمى فَقُلوبنَا : بهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يبيت يجَافِي جَنْبهُ عَنْ فِرَاشِهِ : إِذا اسْتثقَلت بالْمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ [(١)].

والمسلم لا يكون مسلما إلا بعلم اليقين، ولا يخرج عن اليقين، ولا يمكن أن ينزل إلى درجة الظن، أو الشك، أو الوهم؛ لأنه إن اتصف بشيء مما ينافي اليقين، انتفى شرط من شروط لا إله إلا الله.

وربما يضعف نور اليقين في قلب المسلم، وربما يسكن اليقين ويتمكن فيبصر حقائق الأمور بذلك النور. ومن هنا كان تصنيف اليقين في القلب على ثلاث درجات: علم اليقين، وعين اليقين، وحق

(١) البخاري في التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى ١/٣٨٧ (١١٠٤).

اليقين، فالأولى كعلمك بوجود العسل، وعين اليقين كرؤيتك له، وحق اليقين كشربك منه:

وعلم اليقين ورد في سورة التكاثر في قوله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾ التكاثر:١/٥.

والتكاثر هو جمع متاع الدنيا، حتى زُرْتمْ المَقَابر تنبيها على أن الزائر لابد أن ينتقل عن مزاره، فهو تنبيه على الموت والبعث، ثم بين سبحانه أن الناس سيعلمون سيعلمون، إما باختبار أو اضطرار. فعلم اليقين هو العلم الذي يصل به صاحبه إلى حقائق الأمور بنفي الوهم والشك والظن، فلا يماري في صحتها، ولا يرتاب في ثبوتها، كعلم اليقين بالجنة والنار، وتيقنه أن الجنة دار المتقين، وفيها خلود المؤمنين، وأن النار دار المكذبين، وفيها خلود الكافرين والمشركين، وأن الرسل أخبروا عنها بلاغا عن ربهم، وأنهم بينوا للناس أمرها، فهذه الدرجة تسمى درجة علم اليقين.

- **خامسا: مرتبة عين اليقين.**

أما الدرجة الثانية فهي درجة عين اليقين، وهي درجة الرؤية والمشاهدة كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ التكاثر:٧، وبين هذه الدرجة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة، فاليقين للسمع، وعين اليقين للبصر، وليس الخبر كالمعاينة .

لقد سأل الخليل إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى؟ ليحصل له مع مرتبة علم اليقين عين اليقين وحق اليقين، فكان سؤال إبراهيم عليه السلام زيادة لنفسه، وطمأنينة لحبه في قلبه، فيسكن القلب عند المعاينة بكمال قربه، ويوقن عند استجابة الحق له بكمال حبه في قلبه، فمن علامات المحبة الرغبة في النظر للمحبوب، وكذلك النظر في كمال أفعاله وجمالها، فكانت المحبة باعثا لموسى عليه السلام في طلب رؤية الله، وكانت الخلة باعثا لإبراهيم عليه السلام في طلبه من ربه أن يريه كيف يحي الموتى؟

قال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ الأعراف:١٤٣.

وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾ البقرة:٢٦٠.

ومن وصل إلى هذا اليقين استلان ما يستوعره المترفون، وأنس مما يستوحش منه الجاهلون، ومن لم يثبت قدم يقينه على هذه الدرجة فهو ضعيف اليقين.

وعلامة اليقين انشراح الصدر بذكر الله، وطمأنينة القلب لأمر الله،

والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت وظلمة القبور [١].

وتلك الحالة التي كانت تحدث للصحابة الأخيار ﷺ إذا ذكرهم النبي ﷺ بالجنة أو النار، فقد روى الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث أَبي عُثْمَان النَّهْدي عَنْ حنظله الأسَيِّدي ﷺ أنه قَال: (لقِيِنِي أَبو بكْرٍ الصديق فقَال: كَيفَ أَنْت يا حَنْظَلَةُ؟ قُلت: نَافَقَ حنظله. قَال سُبحَانَ الله مَا تقُول؟ قُلت: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يا أبا بكر. نَكُونُ عِنْد رَسُول الله ﷺ يذكِّرُنَا بالنَّارِ وَالجَنَّةِ حتى كَأَنَّا رَأْي عَينٍ، فَإِذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْد رَسُول الله ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاد وَالضَّيعَات، فَنَسِينَا كَثيرًا. قَال أَبو بكْرٍ: فَوَالله إِنَّا لنَلقَي مِثل هَذا. فَانْطَلَقْت أَنَا وَأَبو بكْرٍ حتى دخَلنَا على رَسُول الله ﷺ. قُلت: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يا رَسُول الله. فقَال رَسُول الله ﷺ: وَمَا ذاكَ؟ قُلت: يا رَسُول الله نَكُونُ عِنْدكَ تذكِّرُنَا بالنَّارِ وَالجَنَّةِ حتى كَأَنَّا رَأْي عَينٍ، فَإِذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاد وَالضَّيعَات نَسِينَا كَثيرًا. فقَال رَسُول الله ﷺ: وَالذي نَفْسِي بيدهِ لوْ تدومُونَ على مَا تكُونُونَ عِنْدي وَفِي الذكْرِ، لصَافَحَتكُمُ المَلائِكَةُ على فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً) [٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٤٩ بتصرف.

(٢) رواه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ٤/٢١٠٦ (٢٧٥٠)، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٤/٦٦٦ (٢٥١٤)، وانظر السلسلة الصحيحة (١٩٤٨).

ومعنى ساعة وساعة أي يتقلب في تلك الأوقات بين منازل اليقين، فتارة في علم اليقين ليتابع حياته في البيع والشراء، وابتلاء الله ﷻ له بالسراء والضراء، وتارة في عين اليقين ينظر إلى ملكوت السماوات، ويعتبر بما فيها من حكم وآيات، وتارة في الذكر والصلاة يشعر بلذة القرب في الطاعة والمناجاة.

وليس كما يفسرها بعض العوام فيقولون: ساعة لقلبك، وساعة لربك. ويقصدون بذلك التنوع بين ساعة للعصيان، وساعة للطاعة والإيمان، وهذا باطل؛ لأن اليقين يرفع مقام المؤمنين، فمن ثمراته أن القلب إذا استيقن ما أخبر الله ﷻ به من كرامة لأوليائه، ومهانة لأعدائه، نظر إلى ذلك كحقيقة مرئية من وراء حجاب، إذا زال ذلك الحجاب رأى تلك الحقائق عيانا، وعندها تزول عنه الوحشة التي يجدها المتخلفون، ويلين له ما استوعره المترفون [1].

- **سادسا: مرتبة حق اليقين.**

وأما الدرجة الثالثة لليقين فهي مرتبة حق اليقين، وهي مباشرة المعلوم وإدراكه الإدراك التام، فعلم اليقين كعلمك بوجود العسل، وعين اليقين رؤيتك له بالبصر، رؤية تحملق فيه العينان، وحق اليقين إحساسك بمذاقه على اللسان.

وقد روى النسائي وصححه الشيخ الألباني من حديث عائشة رضي

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٤٩ بتصرف .

الله عنها أن النبي ﷺ قال: (يا أُمَّةَ مُحَمَّد، وَاللهِ لوْ تعْلمُونَ مَا أَعْلمُ، لضَحِكْتمْ قَليلا، ولَبكَيتمْ كَثيرًا) (١).

وفي رواية: (وَمَا تلذذتمْ بالنِّسَاءِ على الفُرُشَات، وَلخَرَجْتمْ إلى الصُّعُدات تجْأَرُونَ إلى اللهِ) (٢).

وقد ذكر الله مرتبة حق اليقين في القرآن في سورتين من أسماء يوم القيامة، وهما الواقعة والحاقة، فقال في سورة الواقعة: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ الواقعة:٧٥/٧٦. قسم عظيم يعلم قدره المتخصصون في النجوم، فإنهم يقولون: إن ما نراه في السماء من نجوم هي في حقيقتها مواقع للنجوم. أما النجوم فقد ذهبت في مساراتها، وتحركت في مداراتها، فنظرا لعظم المسافات بيننا وبين وبينها فإننا لا نرى النجوم أبدا، ولكننا نرى مواقع مرت بها، فحينما ينبثق الضوء بسرعته من النجم إلى أن يصل إلينا يكون النجم قد تحرك من موقعه، وذهب عن موضعه، ليس هذا وفقط، بل إن الضوء كما

---

(١) رواه البخاري في الكسوف، باب الصدقة في الكسوف ٣٥٤/١ (٩٩٧)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٦١٨/٢ (٩٠١)، والنسائي في كتاب كسوف الشمس والقمر، باب نوع من صلاة الكسوف ٥٧١/١ (١٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) جزء من حديث رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء ١٤٠٢/٢ (٤١٩٠)، وأحمد في المسند ١٧٣/٥ (٢١٥٥٥) عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، وحسنه الألباني، انظر: المشكاة (٥٣٤٧)، والسلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

ذكر العلماء ينحني في صفحة السماء، فحينما يصل إلينا منحنيا يراه البصر موقعا وهميا غير الموقع الحقيقي للنجم، ولذلك أقسم الله بالنجوم ليبين عجزنا، ويثبت صدق القرآن بأنواع البيان فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ الواقعة:٧٧/٧٩.

قال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، أما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس، قال تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وليس هو كما يزعمون أنه سحر مبين، أو شعر على بحر متين، أو كهانة تنزلت بها الشياطين، بل هو الحق الذي أنزله رب العالمين.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥﴾ الواقعة: ٨١/٩٥.

وليس بعد مرتبة حق اليقين إلا الخشوع التام وتسبيح الموحدين الموقنين فقال تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ الواقعة:٩٦.

وعلى المنهج ذاته في آيات سورة الواقعة جاءت آيات سورة الحاقة فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) ﴾ الحاقة:٣٨/٥١.

- **منهج الصحابة والتابعين في فهم القرآن والسنة.**

حقيقة الإسلام في القرون الفاضلة قبل قيام الفرق والمذاهب كانت ممثلة في تصديق الصحابة ﷺ لخبر الله وتنفيذ أمره، فتصديق الخبر هو معنى الإيمان، وتنفيذ الأمر هو معنى الإسلام.

وهذا المنهج يعتبر منهجا إيمانيا فطريا مبنيا على الفهم الدقيق لحقيقة الإسلام والإيمان، فهم كانوا ﷺ يصدقون خبر الله ورسوله ﷺ تصديقا جازما ينفي الوهم والشك والظن. وكانوا ينفذون الأمر تنفيذا كاملا يقوم على الطاعة والإخلاص والحب، بحيث تنسجم فطرتهم النقية مع توجيه النصوص القرآنية والنبوية .

ذلك المبدأ، أعني مبدأ تصديق الخبر وتنفيذ الأمر، بعيدا عن الفلسفات العقلية والآراء الكلامية التي أحدثتها مختلف الفرق الإسلامية، هو غاية من جاء بعدهم، وسلك دربهم في مختلف العصور، مهما تنوعت كلماته، أو بدت اعتقاداته في توحيد الله ﷻ، والعمل بأحكامه.

كان المسلم في عصر خير القرون عندما يشهد ألا إله إلا الله؛ فإنه يكون قد عقد في نفسه عقدا أن الله ﷻ هو المعبود الحق الذي يصدق في خبره دون تكذيب، والذي يطاع في أمره دون عصيان، وتلك

حقيقة الإيمان التي نزل بها القرآن، وفهمها أصحاب اللسان.

وقد بين ابن القيم رحمه الله أن أساس التوحيد والهداية التي منَّ الله ﷻ بها على عباده، يقوم على تصديق خبر الله ﷻ من غير اعتراض شبهة، وامتثال أمره من غير اعتراض شهوة، ثم يقول: (وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان، وهما تصديق الخبر، وطاعة الأمر) [(١)].

ولما كان الصحابة ﷺ هم أهل الفصاحة واللسان، وقد خاطبهم الله ﷻ بنوعي الكلام في القرآن؛ فإن منهجهم في مسائل التوحيد والإيمان هو تصديق الخبر وتنفيذ الأمر، فلو أخبرهم الله عن شيء صدقوه تصديقا جازما يبلغ حد اليقين.

وهذا ما عرف لاحقا عند المتمسكين بمنهج السلف الصالح بتوحيد العلم والخبر، أو توحيد المعرفة والإثبات، أو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، أو غير ذلك من مسميات واصطلاحات، تتنوع في دلالتها وتتكامل في بيان حقيقتها، ولا تتضارب في معانيها.

ولو أمر الرسول ﷺ صحابته ﷺ بشيء نفذوه تنفيذا كاملا بالقلب واللسان والجوارح. وهو ما عرف لاحقا بتوحيد العبادة، أو توحيد الإلوهية، أو توحيد القصد والطلب؛ لأن غاية التوحيد العظمى، وطريقة السلف المثلى، التي جاهدوا المخالفين لإلزامهم بها، أن يثبتوا لله ﷻ ما أثبته الله ﷻ لنفسه بتصديق خبره، وأن يطيعوا الله ﷻ فيما أمر به على

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٠.

لسان نبيه ﷺ .

وقد أجمع الصحابة ﷺ إجماعا سكوتيا دون مخالف، أن يصدقوا خبر ربهم وبلاغ نبيهم، وأن ينفذوا أمر معبودهم عن خضوع وتسليم، ومحبة وتعظيم، ولم يكن بينهم من دان بغير ذلك، ومن شك في ذلك فما قدرهم حق قدرهم، وما أدرك حقيقة إيمانهم وإسلامهم فرضي الله عن الصحابة أجمعين.

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله باب قال فيه: (باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، قرآنا عربيا، بلسان عربي مبين) [(١)].

ويذكر أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) أن حقيقة الإيمان والتوحيد تكمن في تصديق الخبر، وتنفيذ الأمر، لأن الخبر هو القول الذي يدخله الصدق والكذب، والأمر والنهي كل واحد منهما، قول يتردد بين أن يطاع قائله وبين أن يعصي. فمن سمع خبرا واعتقد أنه حق وصدق به، فقد آمن به، ومن سمع أمرا أو نهيا فاعتقد الطاعة له، فكأنما آمن في نفسه به.. فالإيمان بالله ﷻ إثباته، والاعتراف بوجوده، والإيمان له، والقبول عنه، والطاعة له) [(٢)].

قال ابن تيمية: (وأما الدين فجماعه شيئان تصديق الخبر، وطاعة الأمر، ومعلوم أن التنعم بالخبر بحسب شرفه وصدقه، والمؤمن معه من

---

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب ١٩٠٦/٤.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٣٥/١ .

الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره، فهو من أعظم الناس نعيما بذلك، بخلاف من يكثر في أخبارهم الكذب. وأما طاعة الأمر فإن من كان ما يؤمر به صلاحا وعدلا ونافعا يكون تنعمه به أعظم من تنعم من يؤمر بما ليس بصلاح ولا عدل ولا نافع، وهذا من الفرق بين الحق والباطل) [(١)].

• موقف الصحابة من خبر الله ورسوله.

روى البخاري من حديث أَبي سَعِيد الخدري ﷺ أَنَّ رَجُلا أَتى النَّبي ﷺ فَقَال: (أَخِي يشْتكِي بطْنَهُ؟ فَقَال: اسْقِهِ عَسَلا، ثمَّ أَتى الثانِيةَ فَقَال: اسْقِهِ عَسَلا، ثمَّ أَتاهُ الثالثة، فَقَال: اسْقِهِ عَسَلا، ثمَّ أَتاهُ فَقَال: قَد فَعَلت، فَقَال: صَدقَ اللهُ، وَكَذب بطْنُ أَخِيكَ اسْقِهِ عَسَلا، فَسقَاهُ فَبرَأَ) [(٢)] .

وفي رواية: (جَاءَ رَجُل إِلى النَّبي ﷺ فَقَال: إِنَّ أَخِي اسْتطْلَقَ بطْنُهُ فَقَال: اسْقِهِ عَسَلا، فَسقَاهُ، فَقَال: إِنِّي سَقَيتهُ فَلَمْ يزِدهُ إِلا اسْتطْلاقًا، فَقَال: صَدقَ اللهُ وَكَذب بطْنُ أَخِيكَ) [(٣)].

والرسول ﷺ يعني التصديق بقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ النحل:٦٩.

بل كان رسول الله ﷺ يذكر في فضل أبي بكر وعمر رضي الله

(١) قاعدة في المحبة ص١٥٥.

(٢) رواه البخاري في الطب، باب الدواء بالعسل ٥/٢١٥٢ (٥٣٦٠).

(٣) السابق، باب دواء المبطون ٥/٢١٦١ (٥٣٨٦) .

عنهما أنهما يؤمنان بكل ما أخبر به النبي ﷺ ثقة منه فيهما، كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ أنه قال: (صَلى رَسُول اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبحِ، ثمَّ أَقْبل عَلى النَّاسِ فَقَال: بينَا رَجُل يسُوقُ بقَرَةً، إذ رَكِبهَا فَضرَبهَا، فَقَالت: إنَّا لمْ نُخْلقْ لهَذا، إنَّمَا خُلقْنَا للحَرْث. فَقَال النَّاسُ: سُبحَانَ اللهِ، بقَرَةٌ تكَلمُ؟ فَقَال: فَإنِّي أُومِنُ بهَذا، أَنَا وَأَبو بكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثمَّ؟ وَبينَمَا رَجُل فِي غَنَمِهِ إذ عَدا الذئْب، فَذهَب مِنْهَا بشَاةٍ، فَطَلَب حَتى كَأَنَّهُ اسْتنْقَذهَا مِنْهُ، فَقَال لهُ الذئْب: هَذا اسْتنْقَذتهَا مِنِّي، فَمَنْ لهَا يوْمَ السَّبعِ، يوْمَ لا رَاعِي لهَا غَيري، فَقَال النَّاسُ: سُبحَانَ اللهِ ذئْب يتكَلمُ؟ قَال: فَإنِّي أُومِنُ بهَذا أَنَا وَأَبو بكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثمَّ) (١).

وعند ابن ماجة وصححه الشيخ الألباني من حديث أَبي هُرَيرَةَ ﷺ أن النَّبي ﷺ قال: (إنَّ المَيت يصِيرُ إلى القَبرِ، فَيجْلسُ الرَّجُل الصَّالحُ فِي قَبرهِ غَيرَ فَزعٍ وَلا مَشْعُوفٍ، ثمَّ يقَال لهُ: فِيمَ كُنْت؟ فَيقُول: كُنْت فِي الإسْلامِ، فيقَال لهُ: مَا هَذا الرَّجُل؟ فيقُول: مُحَمَّد رَسُول اللهِ ﷺ، جَاءَنَا بالبينَات مِنْ عِنْد اللهِ فَصَدقْنَاهُ، فَيقَال لهُ: هَل رَأَيت اللهَ؟ فَيقُول: مَا ينْبغِي لأَحَد أَنْ يرَى اللهَ، فَيفْرَجُ لهُ فُرْجَةٌ قِبل النَّارِ، فَينْظُرُ إليهَا يحْطِمُ بعْضُهَا بعْضًا، فَيقَال لهُ: انْظُرْ إلى مَا وَقَاكَ

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ٣/١٢٨٠ (٣٢٨٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ٤/١٨٥٧ (٢٣٨٨) .

اللهُ، ثمَّ يفْرَجُ لهُ قِبل الجنَّةِ، فَينْظُرُ إلى زَهْرَتها وَمَا فِيهَا، فَيقَال لهُ: هَذا مَقْعَدكَ. وَيقَال لهُ: عَلى اليقِينِ كُنْت، وَعَليهِ مُت، وَعَليهِ تبعَث إنْ شَاءَ اللهُ. وَيجْلسُ الرَّجُل السُّوءُ فِي قَبرِهِ فَزعًا مَشْعُوفًا، فَيقَال لهُ: فِيمَ كُنْت؟ فَيقُول لا أَدري، فَيقَال لهُ: مَا هَذا الرَّجُل؟ فَيقُول: سَمِعْت النَّاسَ يقُولونَ قَوْلا فَقُلْته، فَيفْرَجُ لهُ قِبل الجَنَّةِ، فَينْظُرُ إلى زَهْرَتها وَمَا فِيهَا، فَيقَال لهُ: انْظُرْ إلى مَا صَرَفَ اللهُ عَنْكَ، ثمَّ يفْرَجُ لهُ فُرْجَةٌ قِبل النَّارِ، فَينْظُرُ إِليهَا يحْطِمُ بعْضُهَا بعْضًا، فَيقَال لهُ: هَذا مَقْعَدكَ عَلى الشَّكّ كُنْت، وَعَليهِ مُت، وَعَليهِ تبعَث إِنْ شَاءَ اللهُ تعَالى) [(١)].

- **موقفهم الصحابة في باب الأمر والطلب.**

وكما صدق الصحابة ﷺ نبيهم في كل ما أخبرهم عن الله ﷻ، فآمنوا بتوحيد العلم والخبر، فإنهم أيضا أطاعوه في كل ما أمر، وكانوا يبايعونه على ذلك.

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث جَرِيرِ بنِ عَبد ِاللهِ ﷺ أنه قال: (بايعْت النَّبي ﷺ على السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلقَّنَنِي فقال: فِيمَا اسْتطَعْت، وَالنُّصْحِ لكُل مُسْلمٍ) [(٢)].

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى ٢/١٤٢٦ (٤٢٦٨)، وصححه الألباني، انظر مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني، كتاب الإيمان، باب إثبات عذاب القبر (١٣٩) .

(٢) رواه البخاري في الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس ٦/٢٦٣٤ (٦٧٧٨)، ومسلم في الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة ١/٧٥ (٥٦).

وعنده من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (عَلى المَرْءِ المُسْلمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فِيمَا أَحَب وَكَرِهَ، إلا أَنْ يؤْمَرَ بمَعْصِيةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بمَعْصِيةٍ، فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ) [(١)].

وروى البخاري من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: (بايعْنَا رَسُول اللهِ ﷺ عَلى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي العُسْرِ وَاليسْرِ وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلى أَثرَةٍ عَلينَا، وَعَلى أَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلهُ، وَعَلى أَنْ نَقُول بالحَقِّ أَينَمَا كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللهِ لوْمَةَ لائِمٍ) [(٢)].

وعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في موقفه من طاعة الله ورسوله مع ما ألم به من الجوع وشدته، وأمر النبي ﷺ بدعوته أهل الصفة فقال رضي الله عنه: (أَاللهِ الذي لا إِلهَ إِلا هُوَ إِنْ كُنْت لأَعْتمِد بكَبدي عَلى الأَرْضِ مِنْ الجُوعِ. وَإِنْ كُنْت لأَشُد الحَجَرَ عَلى بطْنِي مِنْ الجُوعِ. وَلقَد قَعَدت يوْمًا عَلى طَرِيقِهِمْ الذي يخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبو بكْرٍ، فَسَأَلتهُ عَنْ آيةٍ مِنْ كِتاب اللهِ، مَا سَأَلتهُ إِلا ليشْبعَنِي، فَمَرَّ وَلمْ يفْعَل، ثمَّ مَرَّ بي عُمَرُ، فَسَأَلتهُ عَنْ آيةٍ مِنْ كِتاب اللهِ، مَا سَأَلتهُ إِلا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٢٦١٢/٦ (٦٧٢٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣ (١٨٣٩) واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس ٢٦٣٣/٦ (٦٧٧٤) ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٧٠/٣(١٧٠٩).

ليشْبعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يفْعَل. ثـمَّ مَرَّ بي أَبو القَاسِمِ ﷺ، فَتبسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثمَّ قَال: يا أَبا هِرٍّ، قُلت: لبيكَ يا رَسُول اللهِ، قَال: الحَقْ، وَمَضَى فَتبعْتهُ، فَدخَل فَاسْتأْذنَ، فَأَذنَ لي، فَدخَل فَوَجَد لبنًا فِي قَدحٍ، فَقَال: مِنْ أَينَ هَذا اللبنُ؟ قَالوا: أَهْداهُ لكَ فُلانٌ أَوْ فُلانَةُ، قَال: أَبا هِرٍّ، قُلت: لبيكَ يا رَسُول اللهِ، قَال: الحَقْ إِلى أَهْل الصُّفَّةِ فَادعُهُمْ لي.

قَال: وَأَهْل الصُّفَّةِ أَضْيافُ الإِسْلامِ، لا يأْوُونَ إِلى أَهْل وَلا مَال، وَلا عَلى أَحَد، إِذا أَتتهُ صَدقَةٌ بعَث بهَا إِليهمْ، وَلَمْ يتنَاوَل مِنْهَا شَيئًا، وَإِذا أَتتهُ هَديةٌ أَرْسَل إِليهِمْ، وأصاب مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا. فَسَاءَنِي ذلكَ فَقُلت: وَمَا هَذا اللبنُ فِي أَهْل الصُّفَّةِ، كُنْت أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيب مِنْ هَذا اللبنِ شَرْبَةً أَتقَوَّى بهَا، فَإِذا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْت أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يبلغَنِي مِنْ هَذا اللبنِ، وَلَمْ يكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولهِ ﷺ بد. فَأَتيتهُمْ فَدعَوْتهُمْ، فَأَقْبلوا، فَاسْتأْذنُوا، فَأَذنَ لهُمْ، وَأَخَذوا مَجَالسَهُمْ مِنْ البيت، قَال: يا أَبا هِرٍّ، قُلت: لبيكَ يا رَسُول اللهِ، قَال: خُذ فَأَعْطِهِمْ، قَال: فَأَخَذت القَدحَ، فَجَعَلت أُعْطِيهِ الرَّجُل فَيشْرَب حَتى يرْوَى، ثـمَّ يرُد عَلي القَدحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُل فَيشْرَب حَتى يرْوَى، ثـمَّ يرُد عَلي القَدحَ فَيشْرَب حَتى يرْوَى، ثـمَّ يرُد عَلي القَدحَ حَتى انْتهَيت إِلى النَّبي ﷺ وَقَد رَوِي القَوْمُ كُلهُمْ، فَأَخَذ القَدحَ فَوَضَعَهُ عَلى يدهِ، فَنَظَرَ إِلي فَتبسَّمَ، فَقَال: أَبا هِرٍّ، قُلت: لبيكَ يا رَسُول اللهِ، قَال: بقِيت أَنَا وَأَنْت، قُلت: صَدقْت يا رَسُول اللهِ، قَال:

اقْعُد فَاشْرَب، فَقَعَدت فَشَرِبت، فَقَال: اشْرَب فَشَرِبت، فَمَا زَال يقُول اشْرَب حَتى قُلت: لا وَالذي بعَثكَ بالحَقِّ، مَا أَجِد لهُ مَسْلكًا، قَال: فَأَرِنِي، فَأَعْطَيتهُ القَدحَ، فَحَمِد اللهَ وَسَمَّى وَشَرِب الفَضْلةَ) (١).

وروي الإمام مالك عَنِ ابنِ أَبي مُليكَةَ أَنَّ عُمَرَ ﷺ مَرَّ بامْرَأَةٍ مَجْذومَةٍ وَهِي تطُوفُ بالبيت فَقَال لهَا: يا أَمَةَ اللهِ لا تؤْذي النَّاسَ، لوْ جَلسْت فِي بيتكِ فَجَلسَت؟ فَمَرَّ بهَا رَجُل بعْد ذلكَ فقَال لهَا: إنَّ الذي كَانَ قَد نَهَاكِ قَد مَات، فَاخْرُجِي، فقَالت: مَا كُنْت لأُطِيعَهُ حيا، وأَعْصِيه مَيتا (٢).

وقد بين جعفر بن أبي طالب ﷺ لملك الحبشة موقف الصحابة ﷺ مما جاء به النبي ﷺ من التوحيد، سواء في باب الأخبار، أو في باب الأوامر. فمن حديث أُم سَلمَةَ رضي الله عنها أن جَعْفر بن أَبي طَالب ﷺ كلم النجاشي فقال له:

(أَيهَا المَلكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْل جَاهِليةٍ، نَعْبد الأَصْنَام، وَنَأْكُل المَيتةَ، وَنَأْتي الفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الجِوَارَ، يأْكُل القَوي مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا على ذلكَ حتى بعَث اللهُ إلينَا رَسُولا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبهُ، وَصِدقَهُ، وَأَمَانَتهُ، وَعَفَافَهُ، فَدعَانَا إلى اللهِ لنُوَحِّدهُ وَنَعْبدهُ، وَنَخْلعَ مَا كُنَّا نَعْبد

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا ٥/٢٣٧٠ (٦٠٨٧).

(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج ١/٤٢٤ (٩٥٠).

نَحْنُ وَآباؤُنَا مِنْ دونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالأَوْثان، وَأَمَرَنَا بصِدقِ الحَديث، وَأَداءِ الأَمَانَةِ، وَصِلةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الجِوَار، وَالكَفِّ عَنِ المَحَارِمِ وَالدمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ، وَقَوْل الزُّورِ، وَأَكْل مَال اليتيمِ، وَقَذفِ المُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبد اللهَ وَحْدهُ، لا نُشْرِكُ بِهِ شَيئًا، وَأَمَرَنَا بالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيام، وعَدد عَليهِ أُمُورَ الإِسْلامِ، فَصَدقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتبعْنَاهُ على مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبدنَا اللهَ وَحْدهُ فَلمْ نُشْرِكْ بهِ شَيئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلينَا، وَأَحْللنَا مَا أَحَل لنَا، فَعَدا عَلينَا قَوْمُنَا، فَعَذبونَا، وَفَتنُونَا عَنْ دينِنَا ليرُدونَا إلى عِبادةِ الأَوْثان مِنْ عِبادةِ اللهِ، وَأَنْ نَستحِل مَا كُنَّا نَسْتحِل مِنَ الخَبَائِث، فَلمَّا قَهرُونَا وَظَلمُونَا وَشَقُّوا عَلينَا، وَحَالوا بينَنَا وَبينَ دينِنَا، خَرَجْنَا إلى بلدكَ، وَاخْترْنَاكَ على مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لا نُظْلَمَ عِنْدكَ) [(١)].

وقول جعفر ﷺ فَصَدقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتبعْنَاهُ على مَا جَاءَ بهِ، يتبدي منه بوضوح ركنان، أحدهما يتعلق بتصديق الأخبار، والآخر يتعلق بالطاعة وتنفيذ الأمر.

وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ النور:٦٣.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/٢٩٠ (٢٢٥٥١)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في فقه السيرة ص١١٥.

• الإيمان في باب الأخبار له ستة أركان.

الإيمان في باب الأخبار له ستة أركان وردت في حديث عمر ين الخطاب ﷺ حيث قال: (بينَمَا نَحْنُ عِنْد رَسُول اللهِ ﷺ ذات يوْمٍ، إذ طَلَعَ عَلينَا رَجُل، شَديد بياضِ الثياب، شَديد سَوَاد الشَّعَر، لاَ يرَى عَليهِ أَثرُ السَّفَر، وَلاَ يعْرِفُهُ مِنَّا أَحَد، حَتى جَلسَ إلى النَّبي ﷺ فَأَسْنَد رُكْبتيهِ إلى رُكْبتيهِ، وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلى فَخِذيهِ، وَقَال: يا مُحَمَّد أَخبرْني عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: الإِسْلاَمُ أَنْ تشْهَد أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا رَسُول اللهِ، وَتقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتؤْتىَ الزَّكَاةَ، وَتصُومَ رَمَضَانَ، وَتحُجَّ البيت إن اسْتطَعْت إليهِ سَبيلاً. قَال: صَدقْت. قَال: فَعَجِبنَا لهُ يسْأَلهُ وَيصَدقُهُ. قَال: فَأَخْبرْنِي عَنِ الإيمان؟ قَال: أَنْ تؤْمِنَ باللهِ وَمَلائِكَتهِ وَكُتبهِ وَرُسُلهِ وَاليوْمِ الآخِرِ وَتؤْمِنَ بالقَدرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، قَال جبريل: صَدقْت) [١].

هذه ستة أركان للإيمان تتعلق بتصديق الأخبار، وما جاء في القرآن والسنة عن عالم الغيب. وهي تمثل توحيد العلم والخبر، أو المعرفة والإثبات، أو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وقد أخبرنا الله في كثير من النصوص عن الأسماء والصفات التي عرفنا فيها بنفسه، وأبان لنا عن وصفه، وكل ذلك من الغيبيات التي تتطلب التصديق بشرط اليقين، وأخبرنا عن ملائكته وخلقتهم ووصفهم

---

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٦ (٨).

وفعلهم، ودورهم الذي يتعلق بالإنسان، وذلك يتطلب منا الإيمان بهم، وكذلك أخبرنا عن كتبه ورسله، ما علمنا منهم وما لم نعلم، وليس لنا إلا الإيمان بهم والتصديق بوجودهم، وأخبرنا عن اليوم الأخر، وما فيه من أحوال وأهوال، وتلك الأخبار تتطلب التصديق أيضا، وأخبرنا عن القدر خيره وشره، وحلوه ومره، وأنه فعل الله للابتلاء وترتيب الجزاء، وهذه أخبار عن الله تتطلب التصديق وعلم اليقين.

وبنظرة عميقة نجد أن الترتيب النبوي لأركان الإيمان اشتمل على دور الإنسان في الحياة، وارتباطه بتقدير الله ﷻ، فالمعنى الموضوع بين أركان الإيمان، أن تؤمن بالله الذي أنزل ملائكته بكتبه على رسله ليحذروا العباد من اليوم الآخر، فإذا انتهى الناس بعد العرض والحساب، واستقروا في الآخرة للثواب والعقاب، عندها يكون المصير مطابقا لسابق التقدير الذي دون في أم الكتاب، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. فأركان الإيمان في باب الأخبار أَنْ تؤْمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليوْمِ الآخِرِ، وَتؤْمِنَ بالقَدرِ خَيرِهِ وَشَرِّه، ولا يكون الإيمان بهذه الأركان إلا باليقين الذي لا شك فيه، وهو التصديق الجازم الذي لا تكذيب فيه.

- **الإيمان في باب الأمر له ثلاثة أركان:**

وكما أن الإيمان له في باب الأخبار ستة أركان، كذلك له ثلاثة أركان في باب الأوامر، وهي تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح، وهي تتعلق بتنفيذ الأمر وتحقيق المطلوب، والسعي في رضا

المحبوب، وهذا توحيد العبودية لله ﷻ، أو توحيد القصد والطلب.

قال ابن القيم: (رحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية، وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة، واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح) [١].

وهذا الكلام من أدق وأشمل ما قيل في توحيد العبودية، لأن أركان الإيمان الأساسية باعتبار تنفيذ أحكام العبودية عند السلف ثلاثة أركان، وهي تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان [٢].

قال العلامة ابن منده (ت:٣٩٥هـ): (الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، يزيد وينقص) [٣].

وكل واحد من هذه الأركان يستقل بتنفيذ أحكام العبودية بأنواعها الخمسة التي تقدمت، وقد يشترك القلب مع اللسان فقط في تنفيذ حكم واحد، أو يشترك القلب مع الجوارح، أو يشترك القلب واللسان والجوارح جميعا في تحقيق أحكام العبودية.

والقصد أنه إذا تم هذا الإيمان بنوعيه المتعلقين بتصديق الخبر وتنفيذ

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/١٠٩.

(٢) انظر الاستذكار لابن عبد البر ٣/١٠٤، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٨.

(٣) الإيمان لابن منده ١/٣٤١.

الأمر، ظهر كمال الدين وصدق اليقين، كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (اليقين الإيمان كله)[1].

من أجل ذلك أيضا كلف الله الإنسان بالتصديق الجازم لأركان الإيمان، وكل خبر ورد ذكره في القرآن، فقال الله تعالى في تقرير تلك المعان: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ البقرة:١/٥.

- **اليقين المنافي للشك شرط من شروط لا إله إلا الله.**

يلزم كل من شهد ألا إله إلا الله أن يكون مستيقنا بمدلولها، قد أيقن بها في قلبه يقينا جازما ينفي الوهم والشك والظن.

كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ الحجرات:١٥.

فاشترط في صدق إيمانهم بالله وسوله ﷺ ألا يرتابوا، أي لا يشكوا، فالمرتابون هم المنافقون الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ

---

(١) رواه الإمام البخاري معلقا في كتاب الإيمان ١/٧، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/١٢٣ (٩٧١٦).

يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ التوبة:٤٥.

قال ابن جرير في معنى قوله تعالى لم يرتابوا: (ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله، بغير شك منه في وجوب ذلك عليه) (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث أَسْمَاء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قَال: (أُوحِي إلي أَنَّكُمْ تفتْنُونَ فِي قُبورِكُمْ مِثل فِتنَةِ المَسِيحِ الدجَّال، يقَال للميت: مَا عِلمُكَ بهَذا الرَّجُل؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوِ الْمُوقِنُ فَيقُول: هُوَ مُحَمَّد رَسُول الله، جَاءَنَا بالبينَات وَالْهُدي، فَأَجَبنَا وَاتبعْنَا، هُوَ مُحَمَّد، ثلاثا، فيقَال: نَمْ صَالحًا. قَد عَلمْنَا إِنْ كُنْت لَمُوقِنًا بهِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتاب فَيقُول: لا أَدرِي سَمِعْت النَّاسَ يقُولونَ شَيَئًا فَقُلتهُ) (٢).

وروى مسلم من حديث أبي هُرَيرَة ﷺ أنه قال: (كُنَّا قُعُودا حَوْل رَسُول الله ﷺ، مَعَنَا أَبو بكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ من الصحابة. فَقَامَ رَسُول الله ﷺ مِنْ بين أَظْهُرِنَا، فَأَبطَأَ عَلينَا وَخَشِينَا أَنْ يقْتطَعَ دونَنَا، وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْت أَوَّل مَنْ فزِعَ، فَخَرَجْت أَبتغِي رَسُولَ الله ﷺ، حتى أَتيت حَائِطًا للأَنْصَارِ لبنِي النَّجَّارِ ، فَدرْت بهِ، هَل أَجِد لهُ بابا؟ فَلمْ أَجِد، فَإِذا

---

(١) تفسير الطبري ١١/٤٠٢.

(٢) البخاري في العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ١/٤٤ (٨٦).

رَبيعٌ يدخُل فِي جَوْفِ الحَائِطٍ مِنْ بئْرٍ خَارِجَةٍ (١)، فَاحْتفَزْت كَمَا يَحْتفِزُ الثعْلب. فَدخَلت على رَسُول الله ﷺ فَقَال: أَبو هُرَيرَةَ؟ فَقُلت: نَعَمْ يا رَسُول الله، قَال: مَا شَأْنك؟ قُلت: كُنْت بينَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْت فَأَبطَأْت عَلينَا، فَخَشِينَا أَنْ تقْتطَعَ دونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْت أَوَّل مِنْ فَزِعَ، فَأَتيت هَذا الحَائِطَ فَاحْتفَزْت كَمَا يَحْتفِزُ الثعْلب، وَهَؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَال: يا أَبا هُرَيرَةَ، وَأَعْطَانِي نَعْليهِ، قَال: اذهَب بنَعلي هَاتين، فَمَنْ لقِيت مِنْ وَرَاءِ هَذا الحَائِطِ يشْهَد أَنْ لا إِلهَ إِلا الله مُسْتيقِنًا بهَا قَلبهُ فَبشِّرْهُ بالجَنَّةِ. فَكَانَ أَوَّل مَنْ لقِيت عُمَر بن الخطاب، فَقَال: مَا هَاتان النَّعْلان يا أَبا هُرَيرَةَ؟ فَقُلت: هَاتان نَعْلا رَسُول الله ﷺ بعَثنِي بهمَا، مَنْ لقِيت يشْهَد أَنْ لا إِلهَ إِلا الله مُسْتيقِنًا بهَا قَلبهُ بشَّرْتهُ بالجَنَّةِ، فَضَرَب عُمَرُ بيدهِ بينَ ثديي، فَخَرَرْت لإِسْتي(٢)، فَقَال: ارْجِعْ يا أَبا هُرَيرَةَ، فَرَجَعْت إِلى رَسُول الله ﷺ فَأَجْهَشْت بكَاءً، وَرَكِبنِي عُمَرُ (٣)، فَإِذا هُوَ على أَثرِي، فَقَال لي رَسُول الله ﷺ: مَا لكَ يا أَبا هُرَيرَةَ؟

قُلت: لقِيت عُمَرَ فَأَخبَرْتهُ بالذي بعَثتنِي بهِ، فَضَرَب بينَ ثديي ضَرْبةً خَرَرْت لإِسْتي، قَال: ارْجِعْ، فَقَال لهُ رَسُول الله: يا عُمَرُ، مَا حَمَلك على مَا فَعَلت؟ قَال: يا رَسُول الله، بأَبي أَنْت وَأُمِّي، أَبعَثت أَبا هُرَيرَةَ بنَعْليكَ، مَنْ لقِي يشْهَد أَنْ لا إِلهَ إِلا الله مُسْتيقِنًا بهَا قَلبهُ بشَّرَهُ بالجَنَّةِ؟

---

(١) الحائط هو السور المقام حول المزرعة ، والرَّبيع هو الجدول أو قناة الماء الصغيرة.

(٢) يعني وقع على مقعدته من شدة الدفع.

(٣) يعني تبعه عمر ﷺ في المسير وأدركه عند النبي ﷺ لحظة وصوله.

قَال: نَعَمْ، قَال: فَلا تفْعَل، فَإِنِّي أَخْشَي أَنْ يتكِل النَّاسُ عَليهَا، فَخلهِمْ يعْمَلونَ، قَال رَسُول الله ﷺ: فَخَلهِمْ) (١).

والشاهد من الحديث أن من شهد بشهادة التوحيد عن يقين في قبله بأنه على استعداد لتصديق خبر الله وتنفيذ أمره دخل الجنة.

- **ما معنى الإيمان في حديث سفيان؟**

وقد كان إرشاد النبي ﷺ لأصحابه ﷺ يهدف إلى تأسيس عقيدة التسليم للوحي والإيمان به دون نزاع، وأن صلاحهم يكمن في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ أنه قال: (قُلت: يا رَسُول اللهِ، قُل لي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَل عَنْهُ أَحَدا بعْدكَ؟ وَفِى حَديث أَبى أُسَامَةَ، غَيرَكَ، قَال: قُل آمَنْت باللهِ فَاستْقِمْ) (٢).

وأصل الاستقامة الاعتدال على الطريق الذي رسمه النبي ﷺ لأصحابه في خط مستقيم. ولا يكون الاعتدال إلا بشمولية الإيمان بكل ما ورد عن الله ورسوله ﷺ من أخبار، والتسليم لكل ما جاء عنهما من تشريعات وأوامر؛ فإن التقصير في جانب سيؤدي إلى المبالغة أو الانحراف في جانب آخر.

---

(١) مسلم في الإيمان، باب أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/٥٩ (٣١).

(٢) السابق، باب جامع أوصاف الإسلام ١/٦٥ (٣٨).

روى الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (خَطَّ لنَا رَسُول اللهِ ﷺ خَطّا ثمَّ قَال: هَذا سَبيل اللهِ، ثمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يمينِهِ وَعَنْ شِمَالهِ، ثمَّ قَال: هَذهِ سُبل عَلى كُل سَبيل مِنْهَا شَيطَانٌ يدعُو إِليهِ، ثمَّ قَرأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ الأنعام:١٥٣)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات. والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة، الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض، نفيا وإثباتا.

والإنسان يجد في نفسه الفرق بين النفي والإثبات، والتصديق والتكذيب، وبين الحب والبغض، والحض والمنع، حتى إن الفرق بين هذا النوع وبين النوع الآخر، معروف عند العامة والخاصة، ومعروف عند أصناف المتكلمين في العلم، كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الأيْمان، وكما ذكره المقسمون للكلام من أهل النظر والنحو والبيان، فذكروا أن الكلام نوعان: خبر وإنشاء، والخبر دائر بين النفي والإثبات، والإنشاء أمر أو نهى أو إباحة.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤٣٥/١ (٤١٤٢)، والنسائي في سننه في كتاب التفسير، سورة الأنعام ٣٤٣/٦ (١١١٧٤)، وحسنه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح، كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنة (١٦٦).

وإذا كان كذلك، فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفى عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال، ولا بد له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل، وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له، وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل.

والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول، كما دل على ذلك سورة قل هو الله أحد، ودل على الآخر سورة قل يا أيها الكافرون، وهما سورتا الإخلاص، وبهما كان النبي ﷺ يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر، وركعتي الطواف، وغير ذلك) [١].

وقد ظل أمر السلف الصالح في القرون الفاضلة على نهج الوسطية والاعتدال والشمولية، يسيرون بفضل الله على درب نبيهم، يلتزمون بالسنة لا يقصرون فيها، ولا يهونون منها، ويحذرون من البدعة وينبهون على خطورتها.

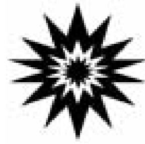
وقد كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ ثم يبلغه ويبينه لهم، وهم يتلقونه بالقبول، ويفهمونه ويؤمنون به، ولم يعرف عن أحد منهم أنه تردد أو استشكل شيئا من ذلك.

---

(١) مقدمة الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٠.

قال عبد الله بن عباس ﷺ: (ما رأيت خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة، حتى قبض ﷺ، كلهن في القرآن، يسألونك عن المحيض. ويسألونك عن الشهر الحرام. ويسألونك عن اليتامى. ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم) [١].

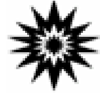
وقد ظلت أمور العقيدة على هذا الحال، صافية نقية، وأبناء الأمة الإسلامية يؤدون حقيقة العبودية التي أرادها الله ﷻ منهم، يطبقون المناهج المثلى، والنظم العليا لقيادة الإنسان الذي استخلف الله ﷻ في أرضه واستأمنه في ملكه، حتى ظهر أثر الحاقدين في التشويش على عقيدة المؤمنين، وبرز فكر الجاهلين الذين يقدمون آراءهم وأهواءهم على كل نص قرآني أو حديث نبوي، فكان من أبرزهم في التاريخ الإسلامي، عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي أسهم في تفرق الأمة الإسلامية، وكان سببا مباشرا في ظهور الشيعة والخوارج، كأبرز فرقتين ضالتين بين الطوائف الإسلامية .



(١) تفسير ابن جرير الطبري ٣/٤٠.

المطلب الخامس

تاريخ المذهب العقلي وظهور الجهمية



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد .

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن منهج الصحابة والتابعين في فهم القرآن والسنة، وبينا مراتب الناس في تصديق الخبر، سواء كانت لغير المسلمين، وهي الوهم والشك والظن، أو كانت للمسلمين، وهي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

وعلمنا بالدليل النقلي موقف الصحابة ﷺ من خبر الله ورسوله ﷺ، وأنهم كانوا يصدقونه تصديقا كاملا ينفي الوهم والشك والظن، وأن موقفهم في باب الأمر والطلب، أنهم كانوا ينفذونه تنفيذا كاملا، وكانوا يتقلبون في إيمانهم بين مراتب اليقين.

كما تحدثنا عن الإيمان، وأنه في باب الأخبار له ستة أركان، وفي باب الأمر له ثلاثة أركان، وأن اليقين المنافي للشك شرط من شروط كلمة التوحيد والإيمان، ثم بينا معنى الإيمان في حديث سفيان؟

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتناول الحديث عن تاريخ المذهب العقلي

في الإسلام، وكيف ظهرت بدعة الجهمية، وأثرت في ظهور الفرق والتنازع بين الطوائف الإسلامية؟ وذلك من خلال المحاور التالية:

• بدعة الجهمية وظهور المدرسة العقلية

أساس البلاء والشقاء، وحامل لواء مقدمي العقل والآراء على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، رجل يدعى الجهم بن صفوان الخرساني الذي توفى في نهاية الربع الأول من القرن الثاني الهجري [١].

وكان الجهم (ت:١٢٨هـ) متحذلقا كثير الكلام والجدال، ولم يكن له علم، ولا مجالسة لأهل العلم، بل كلامه وجداله أساسه التفلسف في الرأي، والسفسطة بالهوى. ويذكر العلماء أن الجهم بن صفوان استمد فكره من طريقين:

أحدهما: طريق يهودي.

والآخر: طريق وثني.

---

(١) انظر ترجمته في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ص٢٣٠. وإثبات صفة العلو لابن قدامة ص١٣١. وإيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد لمحمد القاسمي ص٢٨٩. والتحفة المدنية في العقيدة السلفية لحمد آل معمر ص١٦٦. والرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي الحنفي ص٣٠. والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٠٥/٣. وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٩٣. ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ص٥٤٢. والبداية والنهاية لابن كثير ٣٥٠/٩.

فقد تربّى الجهم بن صفوان على يد أستاذه الجعد بن درهم، وهو رجل من المنكرين لأوصاف الله بحجة نفي التشبيه والتجسيم، أخذ جل أفكاره وآراءه عن أبان بن سمعان، الذي كان تلميذا لطالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وهو الساحر اليهودي الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة.

قال ابن تيمية: (أصل مقالة التعطيل للصفات، إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فان أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام، أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك، هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي، الساحر الذي سحر النبي ﷺ. وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل: من أهل حران. وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين، الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم) [1].

وقد تجلى حقد اليهود بعد هزيمتهم، والقضاء عليهم، في إقدامهم على إيذاء النبي ﷺ بسحرهم، وطرقهم المعهودة في الغدر، والوقيعة بين

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٢٠.

أبناء الأمة حتى حدثت الفتنة التي قتل فيها الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ .

روى الإمام البخاري من حديث عَائِشَةَ رَضِي الله عَنْهَا أنها قَالتْ: (سَحَرَ رَسُول اللهِ ﷺ رَجُل مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَال لهُ لبِيدُ بْنُ الأعْصَمِ، حتى كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يُخيَّل إِليْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَل الشَّيْءَ، وَمَا فَعَلهُ، حتى إِذا كَانَ ذاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذاتَ ليْلةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثمَّ قَال: يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلان، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْليَّ، فَقَال أَحَدُهُمَا لصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُل؟ فَقَال: مَطْبُوبٌ، قَال: مَنْ طَبَّهُ؟ قَال: لبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَال: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَال: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلعِ نَخْلةٍ ذكَرٍ، قَال: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَال: فِي بِئْرِ ذرْوَانَ، فَأَتَاهَا رَسُول اللهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَال: يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، قُلتُ: يَا رَسُول اللهِ، أَفَلا اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَال: قَدْ عَافَانِي اللهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثوِّرَ على النَّاسِ فِيهِ شَرًّا، فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ) [(١)].

وقول عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، تقصد الجماع وتأثره في قدرته على المعاشرة حيث

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطب، باب السحر ٥/٢١٧٤ (٥٤٣٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب السحر ٤/١٧١٩ (٢١٨٩).

يظن النبي ﷺ أنه على جنابة والأمر ليس كذلك. وفي رواية أخرى عند البخاري: (فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذلكَ على النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ) (١).

ذلك السحر إنما صدر عن حقد يهودي، امتد ليفرق كلمة الأمة بظهور عبد الله بن سبأ اليهودي، ثم امتد ليصل إلى الجعد بن درهم وتلميذه الجهم بن صفوان، فعقائد الجهم ونظرياته إنما هي تشكيك في العقيدة، واعتراض على الوحي، استقاها من أسس يهودية بعيدة كل البعد عن منهج الصحابة في العقيدة الإسلامية.

- **مناظرة الجهم بن صفوان للسمنية.**

وأما الطريق الثاني الذي استمد منه الجهم بن صفوان فكره فهو طريق وثني، ظهر إثر احتكاكه بالمشركين، فالجهم لقي أناسا من المشركين، يقال لهم السمنية، نسبة إلى قرية بالهند تسمى سُومَنَات. وهي فرقة تعبد الأصنام، وتقول بتناسخ الأرواح، وتنكر الوحي والدين، جرت بينهم وبين الجهم مناظرة عقلية.

لما عرفوا الجهم قالوا له: نكلمك ونناظرك، فإن ظهرت حجتنا عليك، دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا، دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلها؟ قال الجهم: نعم. قالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا. قالوا: فهل سمعت

---

(١) رواه البخاري في بدأ الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣/١١٩٢ (٣٠٩٥).

كلامه؟ قال: لا. قالوا: فهل شممت له رائحة؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له حسا؟ قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟ فتحير الجهم، فلم يدر من يعبد أربعين يوما [(١)].

وقد استدرك الجهم بن صفوان حجة كحجة النصارى، الذين يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو الله، وأن الله يحل فيه، فإذا أراد الله أمرا، دخل في عيسى فتكلم على لسانه، فيأمر بما يشاء، وينهى عما يشاء، وهو روح غائبة عن الأبصار، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، وقال لمن ناظره من السمنية: ألست تزعم أن فيك روحا؟

قال السمني: نعم، فقال له: هل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فسمعت كلامها؟ قال: لا، قال: فوجدت لها حسا؟ قال: لا. قال: فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، وهو في كل مكان، فالمخلوقات بمثابة الجسد، والله ﷻ في داخلها بمثابة الروح [(٢)].

شككوه في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يوما، وقال: لا أصلي لمن لا أعرفه. ثم اشتق هذا الكلام، فأنكر عليه الوالي فقال: إذا ثبت

---

(١) انظر الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (١/١٩) نشر المطبعة السلفية، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/٣١٨)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢١٨)، ودرء التعارض لابن تيمية (٢/٤٠٩).

(٢) السابق ١/١٩.

عندي من أعبده صليت له، فضرب عنقه [١].

قال أبو معاذ البلخي: (كان جهم على معبر ترمذ ـ بلد من نواحي إيران ـ وكان رجلا كوفي الأصل، فصيح اللسان، لم يكن له علم، ولا مجالسه لأهل العلم، وكان قد تناقل كلام المتكلمين، وكلمه السمنية، فقالوا له: صف لنا ربك الذي تعبده؟ فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا، ثم خرج عليهم بعد أيام فقال: هو هذا الهواء، مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء) [٢].

• الرد السلفي على شبهة السمنية.

وكان يكفي الجهم بن صفوان في الرد على السمنية أن يقول: إن الله يُرى في الآخرة، ولا يُرى في الدنيا؛ لأنه اختبرنا فيها، وابتلانا بها فاستخلفنا في أرضه، واستأمننا في ملكه، فلو رأيناه، أو رأينا ملائكته، أو رأينا جنته أو عذابه دون حجاب، لما كان لقيام السماوات والأرض بهذه الكيفية، أو بهذا الوضع الذي فطرنا عليه أي معنى يذكر، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ الملك:٢.

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (١١/١٦١) نشر دار إحياء التراث، بيروت.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ٣/٣٨٠ (٦٣٥) نشر دار طيبة، والعلو للعلي الغفار للذهبي (١/١٥٥) نشر مكتبة دار السلف بالرياض، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/٣٣٧)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص٣٤ نشر دار السلام.

وقال تعالى أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ إبراهيم:١٩، فكيف يتحقق معنى الابتلاء أو الإيمان بالله ونحن نراه؟

وإذا كان الله ﷻ لا يرى في الدنيا ابتلاءا، فإنه يرى في الآخرة جزاء وإكراما لأهل طاعته، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة:٢٢/٢٣، وقد تواترت الأحاديث النبوية الصحيحة في إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

ومن ثم فإن العلة في عدم إدراك الكيفية ليست عدم وجودها ولا استحالة رؤية الله ﷻ، ولكن العلة قصور الجهاز الإدراكي البشري في الحياة الدنيا عن إدراك حقائق الغيب، فقد خلق الله الإنسان بمدارك محدودة لتحقيق علة معينة تمثلت في حقيقة الابتلاء كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ الإنسان:٢.

وما يعنينا الآن أنه بهذا الفكر العقلي الخبيث الذي زعم به الجهم بن صفوان أن الله ﷻ حل في مخلوقاته، وهو بذاته في كل مكان، نظر في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما توهم بظنه السيئ أنه يوافق رأيه من النصوص احتج بها، وما توهم أنه يخالف مذهبه منها، أنكرها وعطلها عن مدلولها، وإن كانت تلك النصوص من السنة الصحيحة فالويل لها منه، فقد اتهمها بأنها أمور ظنية وآحاد مروية لا تدل على اعتقاد، فوجد قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ الحديد:٤. فأخذه حجة لرأيه في الحلول والاتحاد. وكذلك قول الله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ الأنعام:١٠٣. فبنى عليه نفي صفات الله وتعطيلها.

ووجد قوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ طه:٥. وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ المعارج:٤. يخالف ما ذهب إليه من القول بالحلول. ماذا صنع الجهم بتلك النصوص؟

قال أبو نعيم البلخي وكان قد أدرك جهما: (كان للجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره، فإذا هو قد هجره وخاصمه، فقلت له: لقد كان يكرمك، فقال: إنه جاء منه ما لا يتحمل، بينما هو يقرأ سورة طه والمصحف في حجره، إذ أتى على هذه الآية : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ طه:٥. قال: لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت، فاحتملت هذه. ثم إنه بينما يقرأ آية أخرى إذ قال: ما أظرف محمدا حين قالها. ثم بينما هو يقرأ القصص والمصحف في حجره، إذ مر بذكر موسى عليه السلام فدفع المصحف بيديه ورجليه، وقال: أي شيء هذا؟ ذكره هنا فلم يتم ذكره، وذكره هنا فلم يتم ذكره!) [(١)].

---

(١) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ١/١٦٧ (١٩٠) نشر دار ابن القيم بالدمام، وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤٠ نشر دار الكتب العلمية بيروت، والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص١٥٤.

وقد أخذ الجهم بن صفوان كما ذكرنا مقالة التعطيل عن أستاذه الجعد بن درهم، الذي قال بنفي أوصاف الله ﷻ، وعطل الآيات عن مدلولها وقال بخلق القرآن.

قال أبو القاسم اللالكائي: (ولا خلاف بين الأمة، أن أول من قال القرآن مخلوق، جعد بن درهم، ثم جهم بن صفوان) [١].

والجهم بن صفوان إليه تنسب طائفة الجهمية، وهم الذين قالوا لا قدرة للعبد أصلا، بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما، حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى.

وقال أبو الحسن الأشعري: (قول الجهمية الذي تفرد به جهم، القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودارت السفينة، وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والسفينة والشمس الله سبحانه وتعالى، وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [٢].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٣١٢.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٢٧٩، نشر دار إحياء التراث العربي، وانظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/٤١٩، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص٣٤.

وكان جهم يقف على الجذامى ويشاهد ما هم فيهم من البلايا ويقول: (أرحم الراحمين يفعل مثل هذا) (١). وهو يعني أنه ليس هناك رحمة في الحقيقة، ولا حكمة، وأن الأمر راجع إلى الجبر، وإلى محض المشيئة الخالية عن الحكمة والرحمة.

وقد قتل الجعد بن درهم حدا لكفره الصريح بآيات الله وتكذيبها، فقد قتله خالد بن عبد الله القسري أمير بلاده في يوم عيد الأضحى، بعد أن استفتى علماء زمانه، حيث خطب الناس وقال: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسي تكليما، ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بعد أن استفتى علماء زمانه من السلف الصالح (٢).

ويذكر الذهبي: (أن الجعد بن درهم هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم موسى تكليما، وأن ذلك لا يجوز على الله. قال المدائني: كان زنديقا. وقال له وهب: إني لأظنك من

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٨/٤٦٠، ومنهاج السنة النبوية ٣/٣٢، نشر مؤسسة قرطبة، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢/١٧٧.

(٢) ذكر ذلك اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٣١٩. والدارمي في الرد على الجهمية ١/٢٠٩، نشر دار ابن الأثير، الكويت. والبخاري في خلق أفعال العباد ١/٢٩. وانظر العلو للعلي الغفار للذهبي ١/١٣١. وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات للكرمي ص٧٧. وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥/٤٣٢.

الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يدا، وأن له عينا، ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن قتل وصلب) [١].

أما الجهم بن صفوان انتقل إلى ترمذ أحد البلدان في إيران، وبدأ الدعوة لمذهبه، فانتشرت فيها عقائد الإنكار والتعطيل لكلام الله. ثم وجد لدعوته أتباعا ومريدين من العامة والدهماء في مدن أخرى من مدن إيران. ثم انتشرت أفكاره في بغداد وبقية البلدان. فالجهمية فرقة ظهرت في أواخر الحكم الأموي، ومؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي السمرقندي. وقد مات مقتولا، قتله سالم بن الأحوز في آخر أيام الدولة الأموية [٢].

وقد تفرعت من فرقة الجهمية فرق عديدة، انقسمت إلى أكثر من عشر فرق، كل فرقة اتخذت لنفسها مسلكا فكريا خاصا، وعقيدة مستقلة، لكن أبرز عقائد الجهمية، هي القول بنفي صفات الله ﷻ، وأن الإنسان لا يقدر على شيء، وهو مجبور مسير، مقهور في فعله، لا يوصف بالاستطاعة والقدرة، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو معرفة الله حتى لو كفر الإنسان باللسان، وقالوا أيضا: بأن القرآن مخلوق [٣].

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٣٣٨/٧،نشر دار الكتاب العربي، بيروت،

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ١٦٠/١١. وفيات الأعيان لابن خلكان ١٢٣/٥، الملل والنحل للشهرستاني ٢٠/١.

(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية لطاهر الإسفراييني ص١٠٧ :١٠٨.

والقصد مما سبق أن الجهم بن صفوان زعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ فهو مشبه، وأن التوحيد يكمن في نفي هذه الصفات، متمسكا في زعمه كسائر أتباعه الجهمية من المعتزلة والأشعرية بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى:١١. سواء كان النفي نفيا واضحا، أو كان بتأويل القرآن على غير معناه، ولي أعناق النصوص بغير ما تحتمل، فزعم الجهم أن الله في كل مكان كما الروح في الجسد.

وهذا كلام باطل من جميع الوجوه، لأن الله سبحانه وتعالى لا يحل في مخلوقاته، فقد ثبت أنه بذاته في السماء فوق العرش، وعرشه فوق الماء، والماء فوق السماء السابعة، وهو سبحانه في سمائه يدبر أمر مخلوقاته، ويعلم ما هم عليه.

قال أبو عمر الطلمنكي: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد:٤. ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. وقال أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة، لا على المجاز) [1].

وقال أبو زرعة الرازي: (إن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسول الله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل

---

(١) انظر العلو للعلي الغفار ص٢٤٦، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٩/٣.

شيء علما، وإنه تبارك وتعالى يرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه، كيف شاء، وكما شاء) [١].

وقال أبو نعيم الأصبهاني: (طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة. ثم قال: فما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش، واستواء الله يقولون بها، ويثبتونها من غير تمثيل، ولا تشبيه ولا تكييف، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه، دون أرضه وخلقه .. وقال أيضا: وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عال على عرشه مستو عليه، لا مستول عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان، خلافا لما نزل في كتابه) [٢].

وقال أبو الحسن الأشعري في قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك:١٦. في الجمع بين الاستواء وكونه في السماء : (السماوات فوقها العرش، ولما كان العرش فوق السماوات، قال أأمنتم من في السماء لأنه على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات) [٣].

---

(١) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٥، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٥/٦٠، والعلو للعلي الغفار للذهبي ص٢٤٣. والصواعق المرسلة لابن القيم ٤/١٢٨٦.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص١٠٥.

وقال يحي بن معاذ الرازي: (إن الله على العرش بائن من خلقه، قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء، أو هالك مرتاب، يمزج الله بخلقه، ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان) [١].

وقد أضل الجهم بن صفوان خلقا كثيرا، وتبعه على قوله رجل يقال له واصل بن عطاء. وآخر يقال له عمرو بن عبيد، وإليهما ينسب مذهب المعتزلة، فما هي قصة المعتزلة؟ وكيف نشأت؟ وما أصولهم في العقيدة؟ وكيف دعوا الناس إلى القول بخلق القرآن؟ وكيف امتحنوا أئمة أهل السنة، وقتلوا كثيرا من أهل الإيمان؟

- **ظهور المعتزلة وقوة انتشار المدرسة العقلية.**

علمنا مما سبق أن الجهم بن صفوان قدم عقله ورأيه على الأدلة القرآنية والنبوية، عندما أجاب السمنية بجهله إجابة خاطئة كاذبة، وزعم أن الله بذاته في كل مكان، وأنه لا صفة له حتى لا يشبه الإنسان، ثم نظر هذا المفتون إلى نصوص القرآن، فما تصور أنه يوافق مذهبه جعله حجة وبرهانا كدليل ثان، وما خالفه صرح برده وتعطيل نصه من القرآن.

وقد تبنى فكر الجهمية واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وإليهما

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٤٩، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٧٠. والعلو للعلي الغفار للذهبي ص١٩٠.

ينسب مذهب الاعتزال، فالمعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء الغزال (ت: ١٣١هـ) الذي كان تلميذا للحسن البصري. وكان متكلما مفوها بليغا، على الرغم من كونه كان عاجزا عن النطق ببعض الحروف، فكان ينطق الراء غينا. فينطق: شراب بارد، شغاب باغد.

ومن عجيب ما كان من واصل بن عطاء الغزال، أنه كان يخلص كلامه وينقيه من حرف الراء، لقدرته العجيبة على انتقاء الكلام حتى قال أحد الشعراء من أتباعه يمدحه:

عليم بإبدال الحروف وقامع:
لكل خطيب يقلب الحق باطله [(١)].

وقال آخر:

ويجعل البر قمحا في تصرفه:
وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يُطِقْ مطرا والقَول يَعْجُله:
فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر [(٢)].

كان واصل بن عطاء ضمن الطلاب في حلقة شيخه الحسن البصري، وهو من علماء السلف الصالح، فجاء إلى الحلقة رجل من

(١) وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبي العباس شمس الدين بن خلكان ٦/٧، وانظر معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/٥٦٨)، والكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد (٣/١٤٣).
(٢) السابق ٦/٨، وانظر سير أعلام النبلاء ٥/٤٦٤، والكامل في اللغة ٣/١٤٣.

عامة المسلمين يسأل عن الحكم الشرعي في مرتكب الكبيرة؟

ومعلوم أن أهل السنة والجماعة يقولون بأن مرتكب الكبيرة مسلم فاسق، لا يخرج عن الملة. والخوارج يقولون: مرتكب الكبيرة كافر بالله العظيم مخلد في النار، وقبل أن يجيب الشيخ البصري قام واصل بن عطاء دون أدب ولا حياء، وقال: إن الفاسق من هذه الأمة لا هو مؤمن ولا هو كافر، هو في منزلة بين المنزلتين [١].

أجاب واصل بن عطاء بعقله دون احترام لشيخه، ودون علم أو نظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، عند ذلك رده الحسن البصري وبين حكم مرتكب الكبيرة. وبدلا من أن يرجع إلى شيخه ويعتذر عن سوء أدبه أخذته العزة بالإثم، واعتزل الحسن البصري، وجلس إلى سارية من سواري المسجد في البصرة، وانضم إليه بعد ذلك رجل آخر يقال له عمرو بن عبيد، واجتمع إلى واصل بن عطاء أراذل الناس من أتباع الجهم بن صفوان، فكان الحسن البصري يقول: اعتزلنا واصل، اعتزلنا واصل، وكان بقية طلاب العلم من تلاميذ الحسن البصري يطلقون عليهم المعتزلة، فارتسم عليهم هذا الاصطلاح عند عامة المسلمين [٢].

وكان هؤلاء المعتزلة يدعون الزهد والصلاح، والنصح والإصلاح، وكان لهم صلة بالحكام في الدولة العباسية. تلك الصحبة أو الصداقة بين

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٤٦/١، والنجوم الزاهرة ٣١٤/١ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير ١٥٩/١ بتصرف.

رؤوس المعتزلة والخلفاء من بني العباس، أثارت حفيظتهم في الحث على الأخذ بمشورتهم والعمل بنصيحتهم في التزام مذهبهم. وقد أدت هذه الثقة إلى بدعة كبرى وطامة عظمى مرت بالأمة الإسلامية وعصفت بها في القرن الثالث الهجري، ولا زالت تعاني من آثارها حتى الآن.

وقد أسس المعتزلة مذهبهم على خمسة أصول رنانة، وشعارات فتانة، اغتر بها كثير من المسلمين في الماضي وكثير من العلمانيين في الحاضر، وكل أصل من أصولهم ستروا تحته من أصلا من أصول البدعة، يمكن اختصار ذلك فيما يلي:

- **التوحيد الأصل الأول وستروا تحته تعطيل الصفات.**

الأصل الأول من أصولهم الخمسة التوحيد وستروا تحته تعطيل الصفات، فقد زعموا فيه أنهم أهل التوحيد وخاصتُه، والمنزهون لربهم عن التشبيه، وخلاصة رأيهم في التوحيد أن الله تعالى لا صفة له؛ لأنه منزه عن الشبيه والمثيل كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١، وهذا توحيد يناقض الفطرة، ولا ينطلي إلا على أذهان السفهاء، بل هو توحيد يسخر منه جميع العقلاء، فهل يصح أن تقول مثلا، ولله المثل الأعلى: الأمير لا نظير له أبد، فيقال لك في ماذا؟ أو ما الذي انفرد به؟ فتقول: ولا شيء، أو لا صفة له أصلا.

ولا نظن أن عاقلا سوف يقبل ذلك على نفسه فضلا عن ربه،

فالعقلاء يمدحون غيرهم بإثبات الصفات التي تليق بهم. والموحدون لله حقا يحمدون ربهم بإثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا. أما توحيد المعتزلة فتوحيد معكوس، يزعمون فيه أنهم يمدحون ربهم وهم في حقيقة أمرهم يذمونه ويصفونه بصفات النقائص التي لا يرضاه عاقل لنفسه، وقد أداهم توحيدهم هذا إلى القول بنفي صفة الكلام عن الله سبحانه وتعالى، والقول بخلق القرآن، وزعموا أنه مخلوق كسائر المخلوقات [1].

- **العدل الأصل الثاني وستروا تحته خلق العباد لأفعالهم.**

ومعناه على رأيهم الباطل أن الله لا يخلق أفعال العباد لو كانت شرا، فعطلوا قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات:٩٦. وستروا تحت شعار العدل هذا نفي التقدير وعلم المقادير، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم عذبهم عليه، كان ذلك جورا وظلما، والله تعالى لا يظلم ولا يجور.

وقد يفتن العامة بأصلهم هذا كما فعل العلمانيون والماديون الذين لا يؤمنون بالتقدير وجريان المقادير، أو كما هو منتشر بين العامة من العبارات التي يرددها الفاسقون، كقول بعضهم: قدر أحمق الخطى سحقت هامتي خطاه. وهذه الكلمة كفيلة وحدها بإخراج قائلها من

---

(١) انظر المزيد عن هذا الأصل في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين المالطي ص٣٧، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

ملة الإسلام، إن كان يدرك معناها ويفهم لوازمها.

وعقيدة أهل السنة والجماعة هي الإيمان بعموم المشيئة الإلهية، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ الإنسان: ٣٠. وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ التكوير: ٢٩. وقال: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ الأنعام: ١١١. وقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ الكهف: ٢٣/٢٤.

وهذا الأصل الفاسد الذي رفعوا فيه شعار العدل، يلزمهم فيه أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريده، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه سبحانه بالعجز في مقابل وصفهم بالمشيئة والحرية، ونفي كونها مشيئة محدودة ومقيدة بالاختيار بين طريقين، طريق الخير أو الشر، أو طريق الإيمان أو الكفر، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ الإنسان: ٢/٣.

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ التغابن: ٢.

• **المنزلة بين المنزلتين وفيه حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا.**

الأصل الثالث من أصول المعتزلة هو ما يعرف بالمنزلة بين المنزلتين، ويقصدون به أن مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين الإيمان والكفر، خرج من الإيمان، ولم يدخل الكفر، فليس بمؤمن ولا كافر. وقد قرر ذلك الأصل واصل بن عطاء رأس المعتزلة لما رد على السائل في حلقة الشيخ الحسن البصري.

أما حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة فهم يتفقون في ذلك مع الخوارج حيث يقولون بأنه مخلد في النار، ولا يخرج منها أبدا، ولا تجوز فيه شفاعة النبي ﷺ. والفرق بين المذهبين أن الخوارج يقولون بأن مرتكب الكبيرة في الدنيا كافر خارج من الملة، والمعتزلة يقولون هو في منزلة بين المنزلتين، أو بين الإيمان والكفر [١].

وقول أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة أنهم لا يحكمون على عليه بالكفر، بل هو مسلم فاسق، ولا يكفرون أحدا بذنب ما لم يستحله، ويقولون إن مرتكب الكبيرة مثل الزنا والسرقة وغير ذلك من الكبائر، تحت المشيئة يوم القيامة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه .

والدليل على أن الكبيرة لا تُخرج صاحبها من الإيمان قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ

(١) انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٣٧ بتصرف.

﴿بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ النساء:١١٦ .

قال أبو الحسن الأشعري: (وأجمعوا على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعا إليه النبي ﷺ، أن الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع، غير خارجين عن الإيمان) (١).

قال أبو عثمان الصابوني: (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة، صغائر كانت، أو كبائر، فإنه لا يكفر بها. وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله ﷻ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار) (٢).

قال أبو بكر الإسماعيلي: (ويقولون: إن أحدا من أهل التوحيد، ومن يصلي إلى قبلة المسلمين، لو ارتكب ذنبا، أو ذنوبا كثيرة، صغائر أو كبائر، مع الإقامة على التوحيد لله، والإقرار بما التزمه وقبله عن الله ؛ فإنه لا يكفر به، ويرجون له المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ

---

(١) رسالة أهل الثغر ص٩٤.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٧١ : ص٧٢.

أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء:١١٦) [(١)].

- **إنفاذ الوعيد وفيه حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة.**

الأصل الرابع من أصول المعتزلة إنفاذ الوعيد، ويقصدون به حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة، ويعني عندهم أن الله ﷻ يجب عليه أن يعاقب مرتكب الكبيرة من المسلمين، ويخلده في النار أبد الآبدين، ولا يجوز أن يخرجه من النار بشفاعة أحد من المؤمنين، حتى لو كان الشافع هو سيد الأنبياء والمرسلين. وهم يشبهون الخوارج في قولهم: إذا توعد الله بعض عبيده وعيدا، فلا يجوز ألا يعذبهم، أو يخلف وعيده. وكأنه سبحانه مقيد لا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يشاء، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا [(٢)].

وأصل ضلالهم أنهم يقيسون الله ﷻ على خلقه أولا، ثم يعطلون أوصاف الله وأفعاله ثانيا، وهذا ما فعلوه في أحكام الشفاعة طبقوا نظام البشر فيها على الله، وشتان بين الشفاعة عند الناس، والشفاعة عند الله، فالشفاعة في الدنيا، قد يؤثر فيها الشافع على من يشفع عنده لعدة أسباب:

١- منها صلة القربى بين الشافع والمشفوع فيه؛ فالإنسان يشفع لأخيه وبنيه، أو لأمه وأبيه، حتى يتغاضى المشفوع عنده عن خطأه

---

(١) اعتقاد أئمة أهل الحديث ص ٦٤.

(٢) السابق ص٣٨ بتصرف.

وجرمه، ويعفوا عن وزره وذنبه، ولو خالف اللوائح والقوانين، أو قدم من لا يستحق على سائر المستحقين.

وإذا كان الإنسان ملكا، أو أميرا، أو حاكما، أو وزيرا، فمعلوم أن قرابته لهم الحظوة والقربة، ومصالحهم تقضى في لحظة، وغيرهم من الناس يقفون في الصفوف مساكين، قلقين منتظرين، ولا يجرؤ أحدهم على مخالفة القوانين، ومن هنا تظهر الفوضى والمحسوبية التي نراها في الشفاعة بين الناس.

أما رب الناس ملك الناس إله الناس فهو واحد أحد، وتر صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. من ادعى لله ولدا فقد شتمه وأذاه، وبسبب وحدانية الإله في الدنيا ويوم القيامة، لا ينفع الإنسان أخاه، أو ينفع أمه وأباه، ولا يشفع وقتها إلا بإذن الله، فعلاقة الأنساب والأرحام بين الأفراد، لا تسري على العلاقة بين الرب والعباد.

وروى البخاري من حديث أبى هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قال: (قامَ رَسُول اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَل اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ الشعراء:٢١٤. قَال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَوْ كَلمَةً نَحْوَهَا، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُول اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلينِي مَا شِئْتِ مِنْ

مَالي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا) [(١)].

٢- ومن الأمور المؤثرة في قبول الشفاعة في الدنيا، والتي لا تقاس بها شفاعة رب العالمين، اجتماع الرعية على تنصيب حكامهم، أو قدرة المملوك علي تنحية الملك من سلطانه. فمن المعلوم أن الناس إذا اجتمعوا على خلع حاكم، أو ملك خلعوه، وإذا وُجد الرأي العام على تولية حاكم أو ملك ولوه. ولا يمكن لرئيس أو أمير أو ملك أن يصل إلى ملكه بمفرده، أو يعلو على عرشه حسب أمنيته ورغبته؛ فلا بد من وجود أعوان نصروه وإخوان أيدوه، أو صفوة من الناس أحبوه وانتخبوه، حتى أصبح رئيسا عليهم بجهدهم، أو ملكا مطاعا بعونهم، من أجل ذلك فإن الحاكم أو الملك يقبل الشفاعة ممن عاونوه بغير إرادته، ويصدر أوامره بغير ما يراه بمشيئته، وإنما يُؤثـِّرون بسلطانهم على سلطانه وقدرته، فيقبل منهم الشفاعة تعطيلا للأحكام وظلما لرعيته، وربما يكون مرغما في فعله مجبورا، أو ذليلا عاجزا مقهورا، أو خائفا من خلعة عن كرسيه مذعورا. أما رب العزة والجلال فمن هو صاحب الفضل عليه؟ ومن الذي ساعده في إنشاء الخلق أو افتقر إليه؟ ومن الذي يغير شيئا من مشيئته وقدرته؟ أو يؤثر على حوله وقوته؟

٣- ومن الأمور المؤثرة في قبول الشفاعة في الدنيا والتي لا تقاس بها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ٣/١٠١٢ (٢٦٠٢).

شفاعة رب العالمين، صفه النقص التي تعترى الحكام أو الأمراء والملوك، فقد يتحكم بعض الرعية في مَلِك من الملوك بسبب نقاط ضعفه وإذاعة أخباره، أو كشف ما هو مستور من سوء أسراره، فيضطر الحاكم إلى المقايضة في مقابل السكوت، ويقبل الشفاعة من المملوك أو المحكوم، ويتغاضى عن العدل ولا ينصف المظلوم.

أما رب العزة والجلال فله في ذاته وصفاته غاية العلو والكمال، وغاية الحسن والجمال، منزه عن كل نقص وعيب، وليس فيه ما يحد من علوه وعظمته، أو هيمنته وقوته، سبحانه لا سمى له في وصفه، ولا شريك له في ملكه، ولا ظهير له في تدبير شئون خلقه، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه. كما أن جميع الخلق لو أعرضوا عن الحق أو كفروا به، فإن ملك الملوك لا يزول عن ملكه، كما هو حال الملوك في الدنيا، فإنه رب العرش العظيم، الذي لا ينعزل عن عرشه، وهو أزلي أبدي باسمه ووصفه، فالضرر والزوال يعود على من كفر بالله، ولا يعود على الله لأنه سبحانه الغنيُّ عمن سواه .

وعلى ذلك فإن الشفاعة عند الله لا يمكن أن تقاس بقياس المماثلة الذي يستخدمه الخوارج والمعتزلة، وأصحاب الملل الباطلة في قياس عالم الغيب بأحكام عالم الشهادة، فنفيهم للأدلة التي أثبتت حصولها للنبي ﷺ يدل على اعتقادهم التشبيه فيها، وأنهم لم يوحدوا الله ﷻ ويفردوه عمن سواه في مسألة الشفاعة.

- **الشفاعة عند الله لها شروط لازمة.**

ومن ثم كانت الشفاعة عند الله دليلا على توحيده وإثبات انفراده، لأن الشافع لا بد أن يقر بحقيقة التوحيد أولا، وأنه سبحانه المنفرد بالخلق والتدبير، وله الكمال في أسمائه وأوصافه، وله حق العبودية وحده دون سواه، ولذلك فإن الشفاعة عند الله لها عدة شروط لازمة دلت عليها النصوص القرآنية والنبوية:

١- منها أن يكون الشافع والمشفوع له كلاهما من أهل التوحيد، فإن الكافر أو المشرك لا شفاعة له أو فيه. أما الدليل على شرط التوحيد للشافع فلأن الله لا يقبل الشفاعة في المشركين، فكيف يقبل الشفاعة منهم لغيرهم؟ وأما الدليل على كون الشفاعة إنما تكون في الموحدين فقط، ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: (قِيل يَا رَسُول اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَال رَسُول اللهِ ﷺ: لقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلني عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّل مِنْكَ لمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَال لاَ إِلهَ إِلاّ اللهُ، خَالصًا مِنْ قَلبِهِ أَوْ نَفْسِهِ) (١).

٢- من شروط الشفاعة الإذن للشافع، فليس لأحد حق أو فضل على الله ليشفع عنده بغير إذنه.

٣- ومنها الإذن للمشفوع فيه، لأن الناس يوم القيامة تستشفع إلى

---

(١) البخاري في العلم، باب الحرص على الحديث ١/٤٩ (٩٩).

ربها، فتطلب من يشفع لها، خوفا من ردها وعدم قبولها لو أنها ذهبت إليه بمفردها.

٤- ومنها الإذن بنوعية الشفاعة، فالنبي ﷺ يُحَد له حد يتضمن نوعية الشفاعة لكل فرد، وهي أنواع كثيرة مذكورة في مواضعها.

قال ابن القيم رحمه الله: (رد الخوارج والمعتزلة النصوص المتواترة الدالة على خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وكذبوا بها، وقالوا: لا سبيل لمن دخل النار إلى الخروج منها بالشفاعة ولا غيرها، ولما بهرتهم نصوص الشفاعة، وصاح بهم أهل السنة بسهام الرد عليهم، أحالوا بالشفاعة على زيادة الثواب فقط، لا على الخروج من النار، فردوا السنة المتواترة قطعا، وصاروا مضغة في أفواه الأمة، وعارا في فرقها، فإن أمر الشفاعة أظهر عند الأمة من أن يقبل شكا أو نزاعا، وهو عندهم مثل الصراط والحساب ونحوهما، مما يُعلم إخبار الرسول به قطعا، ولكن إنما أُتى القوم لأنهم في غاية البعد عما جاء به الرسول ﷺ، أجانب عنه ليسوا من الورثة) [(١)].

قال أبو الحسن الأشعري: (الإجماع الثاني والأربعون، وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يخرج من النار قوما من أمته بعدما صاروا حمما، فيطرحون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل) [(٢)].

---

(١) طريق الهجرتين ١/٥٦٩.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص٢٨٨.

وقال أيضا: (ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين، أجارنا الله منها بشفاعة سيدنا وحبيبنا رسول الله ﷺ. ونقول: إن الله ﷻ يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة رسول الله ﷺ تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ) [(١)].

وقال أبو سعيد الشافعي: (وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا: لا يجوز الشفاعة لأهل الكبائر، وشفاعته لرفع الدرجات، لا لغفران السيئات، والدليل على بطلان قولهم، أن قبول الشفاعة للعصاة ليس مما يحيله العقل، فإن من عصى مالكه وخالقه لا يستقبح في العقل أن تتشفع إليه بعض المختصين به حتى يعفوا عنه، وإذا كان جائزا في العقل، فالسنة المستفيضة قد وردت بموجب الإيمان به، فإن حملوه على الشفاعة لرفع الدرجات، لم يصح؛ لأن في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، وفي خبر آخر أنه يجيء إليهم، فيخرجهم من النار والمطيعين لا يكونوا في النار عندهم) [(٢)].

وقال الآمدي: (وأما إنكار الشفاعة للمذنبين والعصاة من المسلمين، فذلك إنما هو فرع مذهب أهل الضلال في القول بوجوب الثواب ولزوم العقاب على الله تعالى، وقد بينا ما في ذلك من الخلل، وأوضحنا ما فيه من الزلل، فإن الثواب من الله تعالى ليس إلا بفضله، والعقاب

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ١/٢٠.

(٢) الغنية في أصول الدين ص١٧٢.

ليس إلا بعدله، وهو المتحكم بما يشاء في خلقه) [(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن أنكر شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر، فهو مبتدع ضال، كما ينكرها الخوارج والمعتزلة، ومن قال: إن مخلوقا يشفع عند الله بغير إذنه، فقد خالف إجماع المسلمين ونصوص القرآن) [(٢)].

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه الدعوة لأصولهم.**

الأصل الخامس من أصول المعتزلة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الشعار الرنان الذي يفتتن به كل إنسان، يقصدون به الدعوة إلى أصولهم الخمسة، فالمعروف عندهم هو من اعتنق أصولهم ودان بها، والمنكَر عندهم هو اتباع مذهب السلف أهل السنة والجماعة، وقد أدى بهم هذا الأصل أن يجوزوا مسلك الخوارج في الخروج على حكام المسلمين وخلفائهم بالسيف [(٣)].

- **كيف ظهرت البدعة الكبرى؟**

لما تأصلت فكرة الجهم عند المعتزلة في استقلال العقل بإثبات الصفات أو نفيها، وتشبعوا بالرغبة في تعطيل النصوص وردها، محتجين بأن إثباتها يدل على التشبيه وأنواع المحال، وأن ظاهر النصوص باطل

---

(١) غاية المرام في علم الكلام ٢/٣٠٩ .

(٢) السابق ٢٧/٣٤١ .

(٣) مجموع الفتاوى١٣/١٢٦بتصرف.

واعتقاده كفر وضلال، رتبوا على هذا الأصل نفي أوصاف الكمال، فنفوا رؤية رب العزة والجلال، وردوا الأخبار وأنكروا الآثار التي ثبتت في رؤية الله يوم القيامة، وقالوا أيضا بنفي صفة الكلام عن الله، وجعلوه عاجزا عن التكلم بالقرآن، بحجة أنه لو كان متكلما في زعمهم، لكان له فم ولسان، وأن إثبات صفة الكلام تشبيه لله بالإنسان.

وقد استفحل أمرهم، وكثر عددهم، وانتشر في البلاد خبرهم، ومن المؤسف أن بعض خلفاء الدولة العباسية قربوهم، وجعلوهم في أعلى المناصب القيادية، متعللين بأنهم كانوا يجادلون المخالفين مجادلة عقلية، وكانوا يغلبون الزنادقة والشيعة والجبرية في كثير من المناظرات الكلامية، وأن شيوخ الحديث تعجز عن ذلك.

وفي بداية القرن الثالث الهجري تصادق المأمون بن هارون ـ وهو من أبرز خلفاء الدولة العباسية ـ تصادق مع بعض دعاة المعتزلة، وذلك قبل أن يكون خليفة المسلمين، فقرب إليه رجلا يقال له بشر بن غياث المريبسي، ذا أصل يهودي، وكان هذا الرجل قد نظر في صفات الله بالفكر الجهمي، فغلب عليه، وقال به، وانسلخ من دواعي التقوى والإيمان، وأعلن القول بخلق القرآن، ودعا إليه حتى كان عينَ الجهمية في عصره، وكان عالَمهم المقتدى بأمره، فمقته أهل العلم وناظروه، وحكم عليه بعضهم بالفسق وكفروه.

تقوم فكرة الجهمية في القول بخلق القرآن على منهجهم في نفي الصفات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنها صفة الكلام،

فهم زعموا أن الله لو كان متكلما لكان له فم ولسان، ومن ثم لا بد من نفي صفة الكلام عنه طلبا للتوحيد.

وقد وصل الأمر ببعضهم إلى محاولته تحريف القرآن حتى لا يؤمن بتلك الصفة، فقال لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريدك أن تقرأ هذه الآية: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ النساء:١٦٤. بنصب لفظ الجلالة، وذلك ليكون موسى عليه السلام هو المتكلم، أما الرب عنده فلا يتكلم؛ لأن الكلام لا يكون إلا بفم ولسان حسب زعمه، فقال أبو عمرو: هب أني وافقتك في ذلك، فماذا تفعل بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ الأعراف:١٤٣. فبهت المعتزلي![1].

ومعلوم عند السلف أن الله يتكلم بكيفية تليق بجلاله، يعلمها هو ونجهلها نحن، لأننا ما رأيناه، وما رأينا له نظيرا؛ فهو سبحانه كما قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ الشورى:١١.

ولا يلزم من إثبات صفة الكلام التشبيه والتجسيم، كما هو اعتقاد المعتزلة، بل أخبرنا الله تبارك وتعالى أن بعض المخلوقات تتكلم بدون فم أو لسان، فقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ يس:٦٥. فنحن نؤمن أنها تتكلم، ولا نعلم كيف تتكلم، قد أنطقها الله كما أنطق كل شيء.

---

(١) السابق١٦٨.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ فصلت:٢١. فالأيدي والأرجل والجلود تتكلم بلا فم يخرج منه الصوت المعتمد على مقاطع الحروف، ولكن قياس الخالق على المخلوق، قياس تمثيلي، أو قياس شمولي، قياس فاسد، لا يجوز في باب العقائد الغيبية.

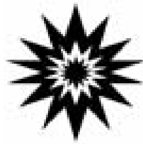
كما أن صفة الكلام من لوازم الكمال، وضدها من أوصاف النقص، والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق في أسمائه وصفاته، ولهذا ذم بني إسرائيل لاتخاذهم عجلا إلها من دون الله، وأول عيبة ذكرها الله له، كونه لا يتكلم، فقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ الأعراف:١٤٨، فكان عجز العجل عن الكلام من صفات النقص التي يستدل بها على عدم ألوهيته، ومن ثم إذا كان الكلام وصف كمال لدى المخلوق، فالخالق أولى بوصف الكلام والكمال منه.

وقد أثبتت نصوص القرآن والسنة صفة الكلام لله ﷻ، فالآيات والأحاديث التي لا حصر لها تدل على أن الله يتكلم متى شاء، وإذا شاء وكيف شاء، وأنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت يسمع، سمعه جبريل من الله ﷻ، وسمعه موسى ؑ، وسمعه محمد ﷺ، فلا عبرة بقول المعتزلة في زعمهم إن القرآن مخلوق، خلقه الله، ولم يتكلم به؛ فإنهم

يعارضون القرآن وما جاء في صريح النصوص كقوله تعالى:

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ البقرة:٢٥٣. وآيات القرآن أكثر من أن تحصى.

وعند البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلمهُ ربهُ، ليس بينَهُ وبينَهُ ترجمان، فينظرُ أيمنَ منهُ، فلا يرى إلاّ ما قدَّمَ من عمله، وينظرُ أَشْأَمَ منه، فلا يَرَى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ بين يديه، فلا يرى إلاَّ النارَ تِلقاء وجهه، فاتَّقوا النار ولو بِشقِّ تمرة) [١].



(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٦/٢٧٢٩ (٧٠٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث علي الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ٢/٧٠٣ (١٠١٦).

المطلب السادس

علم التوحيد في عصر النبوة وأنواعه وتصنيفاته



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

ففد تحدثنا في المطلب السابق عن الجهمية وابتداعاتهم العقلية، وكيف ظهرت المدرسة العقلية؟ وبينا أوجه الرد السلفي على شبهة السمنية، وكيف ظهرت المعتزلة على الساحة الإسلامية؟

ثم تناول الحديث قوة انتشار المدرسة العقلية بظهور الأصول الخمسة عند المعتزلة وتبني بعض خلفاء بني العباس لها، وكيف ظهرت البدعة الكبرى حين ألزم الخليفة المأمون بن هارون سائر العلماء الأخذ برأي المعتزلة في القول بخلق القرآن ونفي الصفات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكان من أبرزها نفي صفة الكلام عن الله.

وفي هذا المطلب بإذن الله نتناول الحديث عن علم التوحيد في عصر النبوة، وأنواعه وتصنيفاته، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **المقصود بعلم التوحيد لغة واصطلاحا.**

التوحيد لغة مصدر وحد يوحد أي أفرد الشيء يفرده، فالمتوحد هو المنفرد بوصفه المباين لغيره، والمقصود بتوحيد الصحابة ﷺ لربهم أنهم

أفردوا الله ﷻ عن غيره بما أثبته لنفسه من أنواع الكمال في العبودية والربوبية والأسماء والصفات، فهو وحده رب العالمين المستحق للعبادة، كما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ الفاتحة:٥. وهو المتوحد في أسمائه وصفاته كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ الشورى:١١. فهم يؤمنون بأنه سبحانه وتعالى منفرد بالخلق والتدبير، وإليه يرجع الأمر والتقدير، وشهدوا ألا إله إلا الله، وأنه لا معبود بحق سواه.

أما علم التوحيد في الاصطلاح: هو علم يعرف به طريقة الصحابة والتابعين في توحيد الله بالعبودية، وإثبات العقائد الإيمانية بأدلتها النقلية والعقلية، والرد على المبتدعين في العبادات، والمخالفين في الاعتقادات بالأدلة النقلية والعقلية [1].

• توحيد العبادة اصطلاح سائد بين السلف منذ عصر النبوة.

يعتبر علم التوحيد اصطلاحا سائدا بين السلف منذ عصر النبوة، فالصحابة ﭫ كانوا علي دراية تامة بما يجب معرفته في توحيد الله، وكيفية الدعوة إليه، ومناقشة المخالفين فيه.

---

(١) انظر في ذلك: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ٢/٤٠٢، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، نشر دار الكتاب العربي بيروت. وقارن ما ورد في العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لعبد الحميد بن باديس ص٦٥، نشر دار الفتح، الشارقة. وانظر أيضا التعريفات لعلى بن محمد بن على الجرجاني ص٩٦، تحقيق إبراهيم الإبياري، بيروت دار الكتاب العربي.

وقد أفرد الإمام البخاري رحمه الله (ت:٢٥٦هـ) بابا في الصحيح في كتاب التوحيد، قال فيه: (باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى). ثم عقب بحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلَيَكُنْ أَوَّل مَا تَدْعُوهُمْ إِلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالى، فَإِذا عَرَفُوا ذلكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذا صَلوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلى فَقِيرِهِمْ، فَإِذا أَقَرُّوا بِذلكَ، فَخُذ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَال النَّاسِ) (١).

ولا شك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان خبيرا في علم التوحيد بالصورة التي تناسب إتمام الدعوة التي بعث من أجلها. والتي يترتب علي نجاحها دخول الآلاف من أهل الكتاب في دين الله وإلا ما كلفه النبي ﷺ بهذا الأمر العظيم. وفي رواية أخرى عند البخاري توضح أن التوحيد الذي يعلمه معاذ رضي الله عنه هو توحيد العبادة لله، قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلى قَوْمٍ أَهْل كِتَابٍ، فَلَيَكُنْ أَوَّل مَا تَدْعُوهُمْ إِليْهِ، عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ .. الحديث) (٢).

وفي رواية ثالثة عند البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا توضح

---

(١) البخاري في التوحيد، باب دعاء النبي ﷺ إلى توحيد الله ٦/٢٦٨٥ (٦٩٣٧).

(٢) البخاري في الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس ٢/٥٢٩ (١٣٨٩).

أن توحيد العبادة هو معنى شهادة ألا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ: (ادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلهَ إلا اللهُ وأَنِّي رَسُول اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لذلكَ فَأَعْلمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلوَاتٍ فِي كُل يَوْمٍ وَلَيْلةٍ .. الحديث) (١).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي مالك عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَال لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلى اللهِ) (٢).

وروى البخاري من حديث أبي سفيان ﷺ لما سأله هرقل ملك الروم عن النبي ﷺ قال: (مَاذا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلتُ: يَقُول اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُول آبَاؤُكُمْ. وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، وَالصِّلةِ) (٣).

ولذلك يسمى هذا التوحيد بتوحيد الإلوهية، وتوحيد الغاية، وتوحيد العبادة. سمي بذلك عند السلف لأنه المقصود بقول العبد لا إله إلا الله، فالإله هو المعبود بحق، الذي يدعى وحده لا شريك له.

---

(١) البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة ٢/٥٠٥ (١٣٣١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/٥٣ (٢٣).

(٣) رواه البخاري في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/٧ (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/١٣٩٤ (١٧٧٣).

وتوحيد الإلوهية عندهم هو توحيد العبادة لله وتجريدها له وحده، وتلك هي الغاية التي دعت إليها الرسل، ونزلت من أجلها الكتب.

وإنما قلنا بأن هذا اعتقاد السلف في معنى الإلوهية، لأن السلف اعتمدوا في تقرير ما ذهبوا إليه على نص كتاب الله ﷻ وما صح في سنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل:٣٦.

وقال سبحانه عن صالح ودعوته لتوحيد الإلوهية: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود:٦١.

وقال ﷻ عن جميع الرسل ودعوته لهذا التوحيد: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنبياء:٢٥.

- **المصطلحات التي تدل على علم التوحيد .**

وقد تتابع أهل العلم عبر القرون المختلفة على التأليف في هذا الفن تحت مصطلح التوحيد، سواء كانوا من السلفيين، أو كانوا ممن خالفهم من المتكلمين، فالإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت:٣١١هـ) ألف كتابا على نهج السلف الصالح عنون له: "كتاب

التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ". وكتب أبو منصور الماتريدي (ت:٣٣٣هـ) كتابا سماه: "التوحيد". وانتهج فيه طريقة المتكلمين الذين يقدمون العقل في إثبات الحجج والبراهين.

وقد بقي اصطلاح "علم التوحيد" دائرا بين المتقدمين والمتأخرين منذ عصر النبوة إلى وقتنا هذا. وتجدر الإشارة إلى كتابين أُلفا تحت ذلك الاصطلاح في القرنين الماضيين، وهما: "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٠٦هـ) ، حيث وضعه على نهج السلف الصالح لما انتشر شرك الجاهلية في الجزيرة العربية. وفي المقابل نجد على مذهب المتكلمين الأشعرية "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده (ت:١٣٢٣هـ).

وقد أطلقت عدة اصطلاحات أخرى على هذا العلم من قبل علماء السلف، أو المخالفين لهم، يتمثل أبرزها فيما يلي:

١- علم العقيدة: فالعقيدة هي عقد القلب على تصديق خبر الرب وتنفيذ أمره، والإيمان به إيمانا لا يقبل الشك، مع الثبات عليه.

وكثير من علماء السلف والخلف استخدم هذا الاصطلاح، كل على وجهته أو منهجه في التعامل مع النصوص، فمن علماء السلف: الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) له كتاب بعنوان: "العقيدة". وكذلك كتاب: "العقيدة الطحاوية" للإمام أبي جعفر بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت:٣٢١هـ). وكتاب: "اعتقاد أئمة الحديث"، لأبي بكر

الإسماعيلي (ت:٣٧١هـ).

وقد اشتهر مصطلح العقيدة بين المتمسكين بمنهج السلف حتى اقترن بهم، وأصبح التعرف على العقيدة سمتهم بين الناس، وميزانهم المقدم في مسألة الولاء والبراء. كما برزت فيما بعد كتب أخرى كثيرة على منهج السلف الصالح اشتهرت شهرة واسعة بين الناس ككتاب: "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث" للإمام البيهقي (ت:٤٥٨هـ). وكتاب "العقيدة الواسطية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ). وكتاب: "عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٠٦هـ). وغير ذلك كثير ممن كتبوا في العقيدة على منهج السلف الصالح.

كما تردد هذا المصطلح أيضا بين المنتهجين لطريقة الخلف من المتكلمين، فكتب أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) كتابه المسمي: "قواعد العقائد". وكذلك "العقيدة الأصفهانية" التي ألفها الشيخ أبو عبد الله شمس الدين الأصفهاني (ت:٦٨٨هـ)، وهو أحد رؤوس علماء الكلام وقد شرحها شيخ الإسلام ابن تيمية، وخالفه فيها في كتابه المعروف "شرح العقيدة الأصفهانية".

٢- الفقه الأكبر: في بداية القرن الثاني الهجري ظهرت عقيدة الجهمية بظهور أصلها الجعد بن درهم (ت:١٢٥هـ)، فهو أول من قال بخلق القرآن، ونفي أوصاف الله بحجة التنزيه والتوحيد ونفي التشبيه. وقد تبني فكره تلميذه الجهم بن صفوان (ت:١٢٨هـ)، إلا أن الجعد لم

ينل شهرة الجهم. وقد كان مصطلح الفقه عند السلف يعني العلم بالدين وأحكام العبودية التي وردت بها الأدلة القرآنية والنبوية ، ثم جاء المتأخرون من الفقهاء وغيرهم وحصروه بمعرفة الأحكام الشرعية التكليفية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، دون تعرض منهم لتفصيل مسائل العقيدة، فظهر في المقابل مصطلح الفقه الأكبر لبيان أهمية التوحيد قبل القول والعمل، والرد على الجهمية وأتباعهم.

ويعتبر الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثاب (ت: ١٥٠هـ) أول من أطلق هذا اللفظ في كتابه "الفقه الأكبر"، حيث قال رحمه الله في الكشف عن ذلك المعنى الاصطلاحي: (الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه ﷻ، خير من أن يجمع العلم الكثير) [١].

قال أبو مطيع الحكم البلخي: (قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه؟ قال: يتعلم الرجل الإيمان، والشرائع والسنن، والحدود واختلاف الأئمة.. وذكر مسائل في الإيمان، ثم ذكر مسائل في القدر) [٢]. ونسب بعضهم الفقه الأكبر لأبي مطيع الحكم البلخي الذي ذكر فيه أراء أبي حنيفة وأقواله في التوحيد، وهو متن صغير شرحه الكثير من الأحناف [٣].

---

(١) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية ص٧٤ ، ومجموع الفتاوى ٥/٤٧ بتصرف.
(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٤/٣٩٤.
(٣) انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ٢/١٢٨٧، نشر دار الكتب العلمية.

غير أن الشاهد هنا أن اصطلاح الفقه الأكبر بعد أن ظهر في القرن الثاني الهجري، اشتهر على ألسنة العلماء، وأصبح مرادفا لعلم التوحيد والعقيدة عند السلف الصالح وأتباعهم.

٣- السنة: بمعنى سنة الدلالة والطريقة المسلوكة، وقد أُطلق لفظ السنة على علم التوحيد، وعرف به في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث، وذلك حين بلورت المعتزلة آراءها الفكرية في خمسة أصول عقلية، كان أولها ادعاء التوحيد، فقد رتبوا عليه القول بخلق القرآن وتعطيل السنة، وردوا ما ثبت عن رسول الله ﷺ في باب الصفات، وعطلوه بحجة أنها من أخبار الآحاد التي لا تدل على اليقين في أمور الاعتقاد.

وتلك البدع الاعتزالية دفعت أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) أن يطلقوا مصطلح السنة على مسائل التوحيد والعقيدة تمييزا لها عن أصول المعتزلة، التي أسفرت عن تعطيل السنة وردها، فألف الإمام أحمد بن حنبل كتابه "أصول السنة"، حيث قال في مقدمته:

(أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والإقتداء بهم، وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين. والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول، ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى. ومن السنة اللازمة التي من

ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها، لم يكن من أهلها، الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم؟ ولا كيف؟) [١].

وكذلك الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت:٢٨٧هـ) كتب في الرد على المعتزلة كتابا سماه: "السنة" حيث جاءت مسائله عن الإيمان بالقدر، ورؤية الله تعالى في الآخرة، ومسائل أخرى في صفات الله ﷻ يقف منها أهل الاعتزال موقف التعطيل.

وعلى الوتيرة نفسها جاء لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) كتابه "صريح السنة"، قال فيه: (فأول ما نبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا، القرآن كلام الله وتنزيله إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا، أنه كلام الله غير مخلوق، كيف كتب، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ.. فمن قال غير ذلك، أو ادعي أن قرآنا في الأرض، أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد غير ذلك بقلبه، أو أضمره في نفسه، أو قاله بلسانه دائنا به، فهو بالله كافر، حلال الدم، بريء من الله، والله منه بريء) [٢].

وكذلك أيضا كتاب: "السنة" لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي

---

(١) أصول السنة، نشر دار المنار، من ص١٤، السعودية الخرج سنة ١٤١١هـ.

(٢) صريح السنة ص١٨، تحقيق بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت ١٤٠٥هـ .

(ت:٢٩٤هـ)، ومثله كتاب: "السنة" لأبي بكر الخلال (ت:٣١١هـ)، وكتاب: "شرح السنة" لأبي محمد الحسن البربهاري (ت:٣٢٩هـ).

وكل هؤلاء العلماء يؤكدون على أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، وأن من السنة لزوم الجماعة، ومن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالا مضلا، وأن الأساس الذي بنيت عليه الجماعة، هم أصحاب محمد ﷺ رحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلال وأهله في النار [1].

وهناك كتب كثيرة باسم السنة كاصطلاح يرادف معنى التوحيد والعقيدة، وكلها كما هو ملاحظ ألفت في القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الرابع، وهو عصر سيطرة المعتزلة، وولادة المذهب الأشعري، وظهور أركانه واستقرار بنيانه.

٤- الإيمان: أطلق مصطلح الإيمان على مسائل التوحيد والعقيدة لأنها قضايا تتعلق بتصديق القلب، واستعداده للعمل. وهذان ركنان أساسيان في صلاح الإنسان.

وقد تداول علماء السلف ذلك الاصطلاح منذ وقت مبكر، وأطلقوه على مؤلفاتهم، فمن ذلك كتاب: "الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال

---

(١) انظر بتصرف كتاب شرح السنة لأبي محمد البربهاري، ص٢١ تحقيق د. محمد سعيد سالم القحطاني، نشر دار ابن القيم، الدمام ١٤٠٨هـ.

درجاته"، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٣هـ)، وكتاب "الإيمان" لمحمد بن يحيي بن أبي عمر العدني (ت:٢٤٣هـ)، وكتاب "الإيمان" لمحمد بن إسحاق بن يحيي بن منده (ت:٣٩٥هـ)، وكتاب: "الإيمان وأصوله" لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت:٤٢٩هـ)، وكتاب "شعب الإيمان" لأبي بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ).

ثم كتابان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) وهما "الإيمان الأوسط" "والإيمان الأكبر"، وأيضا كتاب: "تنبيه الوسنان إلى شعب الإيمان" للشيخ زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي (ت:٩٣٦هـ) وغير ذلك كثير [(١)].

٥- أصول الدين: الأصول جمع أصل، وهو في اللغة ما يُفتقر إليه، ولا يَفتقر هو إلى غيره، وفي الشرع ما يُبني عليه غيره، ولا يُبني هو على غيره. وعلى هذا فأصول الدين قوام أركانه، وأساس بنيانه [(٢)].

ومن العجب أن اصطلاح "أصول الدين" الذي اشتهر ولا يزال مشتهرا حتى سميت باسمه الكليات الجامعية في سائر البلاد الإسلامية هو في حقيقته من صنع المبتدعة من المعتزلة والمتكلمين الأشعرية.

فإذا كان مصطلح الأصول قد اشتهر بين السلف مرتبطا بالفقه، إلا أن اقترانه بالدين كان جهمي المنشأ والتكوين، فالمعتزلة أطلقوه على

---

(١) كشف الظنون ١/٤٤٨.

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ص٤٥، والمبدع في شرح المقنع ٤/١٥٨،لأبي إسحاق بن مفلح الحنبلي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـ.

أصولهم الخمسة، وجعلوا تلك الأصول أساسا للدين، لا يقبل إلا من خلالها، وإن لم يكن الاصطلاح مشتهرا في عصرهم.

أما أغلب الذين استعملوه من متكلمي الأشعرية، فكانوا يرغبون أن تكون أصولهم العقلية متميزة عن الأصول الخمسة عند المعتزلة، حيث اعتبروا أنفسهم أهل السنة والجماعة، الذين جمعوا حسب زعمهم بين عقيدة السلف، أو جمعوا بين أصحاب المدرسة النقلية وعقيدة المعتزلة أصحاب المدرسة العقلية، فابتدعوا أصولا عقلية أخرى، أثبتوا بها سبع صفات فقط لإرضاء للسلف، وعطلوا باقي النصوص التي تدل على الصفات الخبرية بما يسمى عندهم بالصفات السلبية لإرضاء للمعتزلة، رافعين شعار المجاز والبلاغة والتأويل لكل النصوص التي يتوهمون فيها التشبيه والتمثيل، وظاهرها عندهم تجسيم باطل مستحيل، ثم أطلقوا على أصولهم في التوحيد الذي ابتدعوه مصطلح: "أصول الدين".

وأول من عرف عنه هذا الاصطلاح في كتاب مدون، هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد البلخي (ت:٣١٩هـ) إذ أنه ألف كتابا سماه: "أوائل الأدلة في أصول الدين"، وقام أبو بكر بن فورك الأصبهاني (ت:٤٠٦هـ) بشرحه، وكلاهما ضليعان في المذهب الأشعري [١].

وقد ألف أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد النيسابوري (ت:٤٧٨هـ)

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٢/٢٠٠.

كتابا سماه: "الغنية في أصول الدين"، نسجه أيضا على طريقة الأشعرية ومنهجهم، قال في بدايته: (فصل في بيان العبارات المصطلح عليها بين أهل الأصول منها: العالم هو اسم لكل موجود سوى الله تعالى، وينقسم قسمين: جواهر وأعراض، فالجوهر كل ذي حجم متحيز، والحيز تقدير المكان، ومعناه أنه لا يجوز أن يكون عين ذلك الجوهر حيث هو، وأما العرض؛ فالمعاني القائمة بالجواهر كالطعوم والروائح والألوان، والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتصور تجزئته عقلا، ولا تقدير تجزئته وهما، وأما الجسم، فهو المؤلف، وأقل الجسم، جوهران بينهما تأليف.. الخ) [1].

ثم بدأ يطبق تلك الأصول العقلية، أو الفلسفية اليونانية على ذات الله ﷻ وصفاته وأفعاله، فينفي بها ما يشاء ويثبت، مستخدما منهج التأويل، سواء تيسر له الدليل، أو لم يتيسر، فالهدف الأعلى هو التعطيل لأن الإثبات في اعتقاده تشبيه وتمثيل.

وعلى الوتيرة نفسها ألف جمال الدين أحمد بن سعيد (ت:٥٩٣هـ) كتابا سماه: "أصول الدين" انتهج فيه مذهب المتكلمين من الأشعرية وطريقتهم في الغيبيات، ومما جاء فيه: (فصل، صانع العالم لا يقال له: أين هو؟ لأن أين يستخبر به عن المكان، ولا مكان له) [2].

هكذا زعم أن صانع العلم لا يسأل عنه بأين، وكأن رسول الله ﷺ

---

(١) الغنية، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ص٣٩.

(٢) أصول الدين تحقيق عمر وفيق الداعوق ص٦٠، ص٨١.

لم يحسن أن يسأل الجارية: أين الله؟ روى مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أنه قال: (وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكنني صككتها صكة، فأتيت رسول الله، فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها، فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة) [١].

وقال حاجي خليفة عن كتاب فخر الدين الرازي: ("الأربعون في أصول الدين" للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت:٦٠٦هـ)، ألفه لولده محمد ورتبه على أربعين مسألة من مسائل الكلام) [٢].

ومعلوم أن الرازي من أبرز المدافعين عن المذهب الأشعري قبل توبته وعودته لمذهب السلف. وقال ياقوت الحموي في ترجمة الجويني (ت:٤٧٨هـ): (أبو المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني إمام الحرمين، أشهر من علم في رأسه نار، كان قليل الرواية، معرضا عن الحديث، وصنف التصانيف المشهورة، نحو الشامل في أصول الدين على مذهب الأشعري، والإرشاد وغير ذلك) [٣].

٦- الشريعة: قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله في كتابه

(١) مسلم في المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ١/٣٨١ (٥٣٧).
(٢) كشف الظنون ١/٦١.
(٣) معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت الحموي ٢/١٩٣،نشر دار الفكر بيروت.

"الشريعة": (كتاب الإيمان والتصديق بأن الله ﷻ كلم موسى عليه السلام، الحمد لله المحمود على كل حال، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم. أما بعد فإنه من ادعى أنه مسلم، ثم زعم أن الله ﷻ لم يكلم موسى فقد كفر، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإن قال قائل: لم؟ قيل: لأنه رد القرآن وجحده، ورد السنة، وخالف جميع علماء المسلمين، وزاغ عن الحق، وكان ممن قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ النساء:١١٥. وأما الحجة عليهم من القرآن: فإن الله ﷻ قال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ النساء:١٦٤. وقال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ الأعراف:١٤٣. وقال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ الأعراف:١٤٤) [١].

وقال في نهاية الكتاب: (وبهذا وبجميع ما رسمته في كتابنا هذا، وهو كتاب الشريعة، ثلاثة وعشرون جزءا ندين الله ﷻ وننصح إخواننا من أهل السنة والجماعة، من أهل القرآن، وأهل الحديث، وأهل الفقه، وجميع المستورين في ذلك؛ فمن قبل فحظه من الخير إن شاء الله، ومن رغب عنه، أو عن شيء منه، فنعوذ بالله منه، وأقول له كما قال نبي من أنبياء الله ﷻ لقومه لما نصحهم، فقال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ

(١) الشريعة للآجري ٥/٢٥٦٦، نشر دار الوطن ، الرياض.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ غافر: ٤٤).

٧- علم الكلام: لما ظهرت مذاهب الضلال في باب العقيدة على يد الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية، وبنوا أصول عقيدتهم على الحجج العقلية، والكلام الفاسد في باب الغيبيات ونفي الصفات، ولم يستندوا إلى ما ورد في الأدلة القرآنية والنبوية إلا باعتبارها دليلا ثانويا وليس دليلا أساسيا في إثبات العقائد، بل ما وافقهم منها أخذوه، وما خالفهم عطلوه، أطلق هؤلاء وغيرهم على مسائل التوحيد والعقيدة علم الكلام لكثرة الجدل بين الطوائف المختلفة في مسائله، أو لأن أعظم مسألة من قضايا هذا العلم كثر فيها النزاع كانت مسألة الحديث عن كلام الله، وهل هو مخلوق أم غير مخلوق؟

وهذه التسمية غير معتمدة عند السلف الصالح الذين يعبرون بحق عن أهل السنة والجماعة، بل آراؤهم مجتمعة على ذم الكلام وأهله الذين عارضوا به الكتاب والسنة. وتجدر الإشارة إلى أن السلف لم يمنعوا الاحتجاج بالأدلة العقلية لتأييد الأصول القرآنية والنبوية، وشرح مضمونها وبيانها، وإنما منعوا أن تكون تلك الأصول هي التي يقيم عليها المسلم عقيدته في الغيبيات أو توحيد الأسماء والصفات والأفعال، أو يعارض بها الأدلة النقلية القرآنية والنبوية.

قال ابن الجوزي رحمه الله: (وقد تنوعت أحوال المتكلمين، وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك، وببعضهم إلى الإلحاد، ولم تسكت القدماء

من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزا، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلا، ثم يرد الصحيح عليلا، فأمسكوا عنه، ونهوا عن الخوض فيه، حتى قال الشافعي رحمه الله: لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام.. وقال: حكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام، وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب كلام أبدا، علماء الكلام زنادقة) [(١)].

وقد حذر أتباع السلف الصالح من علم الكلام، وألفوا كتبا في ذمه وتقبيحه، منها كتاب "تحريم النظر في كتب الكلام" لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، وفي المقابل تجد من كَتَب ليحذر من صعوبة علم الكلام، وأنه علم راق لا يصلح إلا للخواص، كما فعل أبو حامد الغزالي في كتابه: "إلجام العوام عن علم الكلام" .

وقد ألفت كتب كثيرة من قبل المتكلمين في هذا العلم، معتبرين إياه علم التوحيد الأمثل الذي نزل به جبريل على محمد بن عبد الله ﷺ، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر كتاب: "نهاية الإقدام في علم الكلام" لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ). وكذلك كتاب: "الداعي إلى الإسلام في أصول علم الكلام"، لأبي البركات بن محمد الدفع (ت:٥٧٧هـ). وأيضا كتاب: "مطية النقل

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٢. وقواعد العقائد لأبي حامد الغزالي ص٨٥. وتحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي ص٤١.

وعطية العقل في علم الكلام"، لمحمد بن إبراهيم الصوفي (ت:٦٢٢هـ)، وكتاب: "غاية المرام في علم الكلام" لسيف الدين أبي الحسن الآمدي (٦٣١هـ). وكتاب: "زبدة الكلام في علم الكلام" لصفي الدين الهندي (ت:٧١٥هـ). وكذلك: "علم الكرام في علم الكلام"، للشيخ زين الدين المالطي (ت:٧٨٨هـ). "والمواقف في علم الكلام"، للعلامة عضد الدين الإيجي (ت:١٠٠٠) [1].

تلك أغلب المصطلحات التي وردت عَلَما على علم التوحيد تعبر عن التطور التاريخي للمراحل التي مر بها. وقد كان السلف الصالح على أعلى درجات التوحيد والإيمان، وكان المصطلح الشائع بينهم مصطلح الإسلام والإيمان، تعبيرا عن خضوعهم لله وحده، وعدم الإشراك به، والإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة، مما يتعلق بالغيبيات وبذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

- **مفهوم الإلوهية عند السلف الصالح.**

توحيد الإلوهية سمي بذلك عند السلف لأنه المقصود بقول العبد لا إله إلا الله، فالإله هو المعبود بحق، الذي يدعى وحده لا شريك له. وتوحيد الإلوهية عندهم هو توحيد العبادة لله، وتجريدها له وحده، وتلك هي الغاية التي دعت إليها الرسل، ونزلت من أجلها الكتب.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٦/٤٠، وكشف الظنون ١/٧٢٨ ، ٢/١١٦٠.

وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ التوبة: ٣١.

وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ القصص: ٨٨.

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ غافر: ٦٥. وقال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ المزمل: ٩.

ومما ورد في السنة في بيان معنى لا إله إلا الله، وأنه لا معبود بحق سواه، ما تقدم ذكره، مما ثبت فيه أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل الكتاب في اليمن قال له: (فَلْيَكُنْ أَوَّل مَا تَدْعُوهُمْ إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللّٰه تعالى) [١]. وفي رواية أخرى بينت أن المقصود بالتوحيد هو توحيد العبادة وأنه معنى لا إله إلا الله [٢].

قال ابن تيمية رحمه الله: (لا إله إلا أنت، فيه إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته، ورحمته وحكمته، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد، هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزمك أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية

---

(١) انظر ص٢٣٣.

(٢) البخاري في الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس ٢/٥٢٩ (١٣٨٩).

الخضوع، والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل) [١].

- **مفهوم الإلوهية عند الخلف وعلماء الكلام.**

قد يتنوع معنى لا إله إلا الله، أو مفهوم الإلوهية عند قائليه، ولا يعني به المعنى الذي يقصده السلف الصالح، فمنهم من جعل الإلوهية بمعنى الربوبية وحصرها في إفراد الله بالخالقية. ومنهم من يعني أنه لا موجود إلا الله على اعتبار أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق حالة ظهوره بأشكال متعددة، وكثرة متنوعة. ومنهم من يعني بها العلة الأولى، أو العقل الفعال، فليس كل من قال لا إله إلا الله، يعني بها ما أراده الله في كتابه أو أراده رسوله ﷺ في سنته [٢].

والإلوهية عند الخلف الأشعرية والماتريدية، المعروفين بأهل النظر والكلام، الذين اتبعوا فلاسفة اليونان، جعلوها بمعنى الخالق، أو القادر على الاختراع[٣]. وجعلوا غاية التوحيد عندهم إثبات أن صانع العالم واحد، وأن الواحد الحقيقي هو الشيء الذي لا ينقسم.

واحتجوا على وحدانية الإله بما يسمي بدليل التمانع، وهو من الأدلة العقلية على إثبات توحيد الربوبية، وملخصه أنا لو قدرنا إلهين

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٩/١٠، ودقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٣٦٤/٢) نشر مؤسسة علوم القرآن دمشق، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند.

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٤٥٩/١ بتصرف.

(٣) كتاب المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ٣٠٦/٣، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة،، نشر دار الجيل بيروت سنة ١٩٩٧م.

اثنين، وفرضنا أمرين متضادين، وقدرنا إرادة أحدهما لأحد الأمرين، وإرادة الثاني للثاني، فلا يخلو من أمور ثلاثة:

١- إما أن تنفذ إرادتهما.

٢- وإما لا تنفذ إرادتهما.

٣- وإما تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر.

ويستحيل أن تنفذ إرادتهما لاستحالة اجتماع الضدين، كما يستحيل أيضا ألا تنفذ إرادتهما لتمانع الإلهين، وخلو المحل عن كلا الضدين.

وإذا بطل القسمان تعين الثالث، وهو أن تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر، فالذي لا تنفذ إرادته هو المغلوب المقهور المستكره، والذي نفذت إرادته هو الإله القادر على تحصيل ما يشاء، وذلك عندهم مضمون ما ورد في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء:٢٢ [1].

قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية معقبا على الاستدلال بالآية السابقة كحجة على دليل التمانع:

(وقد ظن طوائف أن هذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره، وهو أنه لو كان للعالم صانعان.. الخ، وغفلوا عن مضمون الآية، فإنه سبحانه

---

(١) انظر لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة ص ٩٩، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف، تحقيق د. فوقية حسين نشر عالم الكتب بيروت ١٩٨٧م، وانظر أيضا الغنية في أصول الدين ص٦٧.

أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل: أربابا، وأيضا فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما، وهما موجودتان آلهة سواء لفسدتا، وأيضا فانه قال: لفسدتا، وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا) [١].

وقد بين أيضا في معرض الرد على هؤلاء، أن الآية دلت على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحدا، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره، فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السماوات والأرض، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد [٢].

وقد بين الله ﷻ أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وكانوا يعتقدون أن الله خالقهم ورازقهم ومدبر أمرهم كما قال تعالى في شأنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبوت:٦١. فالقلوب مفطورة على الإقرار بالخالق أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٨٧.

(٢) السابق ص ٨٧.

ولم يذهب إلى غير ذلك طائفة معروفة من بني آدم، بل الأمر كما قالت الرسل لأممهم، وكما ذكر الله ﷻ في شأنهم: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إبراهيم: ١٠ .

وهذا فرعون الذي تظاهر بإنكار الصانع وتجاهله كان مستيقنا بالله في الباطن كما قال له موسى ؑ: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٢. وقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤ [(١)].

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن هؤلاء المتكلمين المتأخرين الذين خلطوا الفلسفة بالكلام كثر اضطرابهم، وازدادت شكوكهم وحيرتهم، بحسب ما ازدادوا به من ظلمة هؤلاء المتفلسفة.. وأخرجوا من التوحيد ما هو منه، كتوحيد الإلهية، وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه، وهذا التوحيد كان يقر به المشركون، وهم مع هذا يعبدون غيره. وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الإلوهية المتضمن لتوحيد الربوبية، وأن يعبد الله وحده، لا يشركون به شيئا، فيكون الدين كله لله، ولا يخاف إلا الله، ولا يدعى إلا الله، ويكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، فيحبون لله، ويبغضون لله، ويعبدون الله،

---

(١) انظر السابق ص ٧٧.

ويتوكلون عليه [١].

ومن ثم فإن توحيد الربوبية والأسماء والصفات في عرف السلف من قبيل الوسيلة إلى الغاية، وليس من قبيل الغاية، فمعرفة المعبود، والإقرار بأن الله ﷻ خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان، هو حق لا ريب فيه، ولكن ذلك وسيلة إلى توحيد العبادة، وتحقيق الغاية من خلق الإنسان، فمعني لا إله إلا الله عند السلف الصالح، لا معبود بحق إلا الله، وعند الخلف معناها لا خالق إلا الله.

• مفهوم الإلوهية عند غلاة الصوفية.

أما مفهوم الإلوهية عند غلاة الصوفية، فإنها تعني لا موجود إلا الله، حيث ذهب فريق من الصوفية يتزعمهم محي الدين بن عربي الأندلسي (ت:٦٣٨) إلى أن الله هو هذا الوجود بعينه، وهو ظاهر في أشكال متعددة، وكثرة متنوعة، وأنه لا موجود إلا هو.

أما الكثرة المشاهدة في العالم من أنواع المخلوقات فهي على زعمهم وَهْمٌ، يحكم أصحاب العقول القاصرة، وهي في حقيقتها مظاهر لله فقط، أو مرآة يري نفسه فيها، ويتعين لنفسه وللآخرين من خلالها، أو أثواب يلبسها ويخلعها وقتما يشاء، فهو السماء بما فيها من شمس وقمر ونجوم، وهو السحاب الذي نراه بين السماء والأرض عند الصفاء

(١) منهاج السنة النبوية ٢٨٨/٣ بتصرف، وانظر أيضا تحقيق هذه المسألة في مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣٦/١، ١١/٢ ، ١٠٠/٣.

والغيوم، لا فرق بين الأنداد والأضداد، ولا فرق بين الرب والعباد، فالعابد عندهم هو المعبود، والذاكر هو المذكور، والإنسان هو ربنا الرحمن، وربنا المنان الديان هو هذا الإنسان، كما يقول ابن عربي عليه من الله ما يستحق: (ما في الوجود مثل، ما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشيء لا يضاد نفس) [١].

ويقول أيضا:

فإنا أعبدٌ حقا : وإن الله مولانا
وإنا عينه فاعلم : إذا ما قلت إنسانا
فلا تحجب بإنسان : فقد أعطاك برهانا:
فكن حقا وكن خلقا : تكن بالله رحمانا [٢].

ويزعم هؤلاء الغلاة أنه كلما فنيت صورة من وجود الله وخلعها عن نفسه لبس صورة أخرى، وكذلك يظل يلبس صورة ويخلع أخرى بلا انقطاع، وهذا حكم منه اقتضاه لظهور هذا الوجود لكي، لا يكون موجود إلا هو.

ويلزم على هذا المذهب الخبيث، تأليه جميع الأشياء وعبادتها، فلا مانع عند ذلك أن يكون المعبود إنسانا، أو وحيوانا، أو ملكا، أو شيطانا، أو صنما، أو أوثانا، ولذلك يري هؤلاء الزنادقة أن الأديان

(١) فصوص الحكم لابن عربي شرح عبد الرزاق الكاشاني ص ٩٢.
(٢) السابق ص ١٤٣.

كلها حق، وأن المجوس عابدي النيران، والمشركين عابدي الأوثان، والنصارى عابدي الصلبان، وغيرهم من أهل الشرك والطغيان، ليسوا كفار ضلالا، بل مذاهبهم هي عين التوحيد والإيمان، لأنهم حين عبدوا النيران، والحجارة والصلبان، ما عبدوا إلا الله ﷻ، تعالى الله عن قولهم، فتلك المعبودات عندهم تجليات ظهرت بها الذات الإلهية.

والتوحيد في زعمهم أن تعبد جميعا، وأن تعظم جميعا، والشرك الضلال عندهم أن تخصص بعض هذه المظاهر بالعبادة دون بعض، فالكفر عندهم ليس هو عبادة غير الله، ولكنه ستر حقيقة المعبود بتخصيص بعض مجاليه بالعبادة دون البعض الآخر.

وحكم هؤلاء الزنادقة أيضا بأن إمام الموحدين هو فرعون، لأنه كان يشاهد عين الحقيقة حين قال: أنا ربكم الأعلى، ولم يكن كاذبا في دعواه أنه هو الله، بل كان في أعلى مقامات التوحيد.

وقد أغرق في البحر تطهيرا له من الشرك عندما هم بالإسلام في لحظاته الأخيرة وتوهم الغيرية. وزعموا أيضا أن موسي عليه السلام لم يلم قومه على عبادة العجل ولم ينكرها عليهم [1].

---

(١) انظر المزيد عن عقيدة الصوفية في وحدة الوجود: ابن تيمية وفلاسفة التصوف للدكتور محمد سليمان داود،، وابن الفارض والحب الإلهي للدكتور محمد مصطفي حلمي، وانظر أيضا مصطلحات ابن عربي وأصحاب وحدة الوجود في المعجم الصوفي للدكتور محمود عبد الرازق الرضواني.

ومعلوم أن تلك العقيدة كفر صريح بآيات القرآن التي نطقت بموت فرعون على الكفر، وأنه لم ينفعه إيمانه حين أدركه الغرق، وأن الله إنما نجاه ببدنه ليكون عبرة ماثلة للأجيال من بعده. فهؤلاء الغلاة من الصوفية يشهدون ألا إله إلا الله ويضعونها على هذا المعنى الخبيث، فيغتر الجاهل بشهادتهم، ويظن أنهم يقصدون ما قصده أصحاب محمد بن عبد الله ﷺ ومن سار على دربهم.

- مفهوم الإلوهية عند الفلاسفة.

وعلى شاكلة الصوفية في تأويلاتهم الباطنية فسر الفلاسفة كابن سينا والفارابي وغيرهما معنى الإلوهية في كلمة التوحيد، فالإله عندهم هو بذاته علة تامة أزلية للعالم بما فيه من الحوادث المتجددة، وقد فاضت المخلوقات عن الذات الإلهية، أو ما يسمونها بالعلة الأولية، أو المبدأ الأول، أو واجب الوجود، فاضت تلك المخلوقات بالعلل والمعلولات بعدها، وكل علة عندهم أكسبت معلولها قوة الإيجاد والإعداد لما بعدها في تسلسل متصل، وليس العالم عندهم ناتجا عن علم وإرادة وقدرة اتصف بها خالقه، ولكنه صدر عنه صدور المعلول عن علته، فهو سبحانه وتعالى عندهم العلة الأولى التي لا يقوم بها شيء من الصفات والأفعال.

ولما قرروا أن العالم معلول لعلة قديمة أزلية، قالوا أيضا بقدم العالم، وأنه لم يزل مع الله أزلا وأبدا، فالرب والعالم على أصلهم متلازمان، كل منهما شرط في الآخر، والرب محتاج إلى العالم، كما أن العالم

محتاج إلى الرب، تعالى الله عن قولهم.

وتلك عقيدة فلسفية باطلة، تؤدي إلى هدم التوحيد، ونسف حقيقة الإلوهية التي اتصف بها الإله الحق؛ لأن الله تعالى لم يزل ذا قدرة ومشيئة وعلم وحياة، ولم يزل فعالا متكلما إذا شاء وكيف شاء، والله سبحانه كان ولم يكن شيء غيره، وليس معه شيء من خلقه، فكيف يقترن الخالق والمخلوق اقتران العلة بمعلولها؟ فهؤلاء استخدموا الأقيسة التي تحكم الأسباب في عالم الشهادة في الحكم على خالقهم الذي ليس كمثله شيء.

ومعلوم أن الله ﷻ لا يخضع لقياس تمثيلي يستوي فيه الفرع والأصل، أو قياس شمولي يستوي فيه مع بقية أفراده، كما أنهم أيضا سلبوا عن رب العزة والجلال ما ثبت له في القرآن والسنة من أوصاف الكمال، عندما جعلوه علة تامة أزلية، لا يحدث فيها ولا منها شيء، وجعلوه ذاتا خاملة لا حراك فيها، ولا علم لها ولا مشيئة، ولا قدرة ولا حكمة، ولا عزة ولا رحمة، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، فالله ﷻ عاب المشركين أنهم عبدوا الحجارة والأصنام، ونعي عليهم أنها لا تخلق ولا تتكلم.

وفضلا عن أن عقيدة السلف في معني الإلوهية تدور حول إفراد الله ﷻ بالعبودية، وهي تختلف عن عقيدة المتكلمين الأشعرية والفلاسفة والصوفية، إلا أنهم يجعلون المرجعية في حدوث المخلوقات هو الكمال المطلق في الصفات التي تقوم بالذات الإلهية، كالعلم والإرادة

والقدرة، والحياة والغني والقوة، والعزة الرحمة والحكمة، والخلق والتقدير، والإبراء والتصوير، وكل ما يلزم لإيجاد المخلوقات من الأسماء والصفات عملا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ يس:٨٢ .

ومن ثم فإن الله ﷻ صانع كل شيء بقدرته، وعلة كل شيء صُنْعُه، ولا علة لصنعه، وهو سبحانه وتعالى واحد أحد، وتر صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وليس الإله علة وجود الأشياء، وإنما العلة صفاته الفاعلة [1].

- **التوحيد عند السلف نوعان باعتبار وثلاثة باعتبار.**

إذا علمنا أن توحيد الإلوهية عند السلف يعني توحيد العبادة، فيجدر بنا أن نذكر أنواع التوحيد عند السلف الصالح حتى يمكن التعرف على عقيدتهم ومنهجهم وأدلتهم في تصنيف التوحيد، فالتوحيد عند السلف نوعان، وقد يقسم إلى ثلاثة أنواع على اعتبار آخر سوف يأتي تفصيله.

أما تصنيف التوحيد إلى نوعين، والأسماء التي قد يرد بها كل نوع

---

(١) انظر في التوحيد عند الفلاسفة: الرسالة العرشية لابن سينا ص١٠: ١٢، وانظر تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي ص٣٧، نشر دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٢م، والتعليقات ص٢٠. وهي رسالة من رسائل الفارابي ضمن أحد عشر رسالة، طبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد الهند سنة ١٩٢٦م.

في كتب العقيدة، فبيانه كالتالي:

الأول: هو توحيد الغاية، ويسمى أيضا توحيد الإلوهية، وربما يطلق عليه أيضا توحيد العبادة، وتوحيد القصد والطلب، وتوحيد الشرع والقدر، وتوحيد الإرادة.

الثاني: هو توحيد الوسيلة، ويسمى توحيد الربوبية والأسماء والصفات، أو يطلق عليه توحيد المعرفة والإثبات، أو توحيد العلم والخبر، وهذا النوع كما تقدم يمثل غاية المطلوب في توحيد الله عند كثير من الخلف، أهل النظر والكلام، وطائفة كبيرة من الصوفية.

- **الأسماء التي أطلقت على النوع الأول من التوحيد.**

أما النوع الأول فسمي توحيد الغاية، وتوحيد العبادة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات:٥٦. فعبادة الله وحده لا شريك له هي الغاية التي خلق الناس من أجلها، وهي أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقد بينت الآية العلة في خلق العباد بلام التعليل في قوله: "إلا ليعبدون" .

ولما جعل أهل الضلال من الجهمية وأصحاب الاعتزال غايتهم في التوحيد تدور حول إثبات الأسماء ونفي الصفات، وكذلك الأشعرية من بعدهم الذين صنفوا التوحيد بقسمة عقلية مبنية على ما يجب للذات من الصفات والأفعال، وجعلوا ذلك غايتهم من التوحيد، كان رد الفعل الطبيعي عند الصادقين من الموحدين أتباع السلف أن

يبينوا لجميع المسلمين الفرق بين توحيد الغاية وتوحيد الوسيلة، وأن توحيد الغاية هو توحيد العبادة، الذي من أجله نزلت الكتب، وبعثت الرسل.

أما التوحيد عند هؤلاء ففضلا عن كون تصنيفاتهم له تخالف النصوص القرآنية والنبوية، إلا أنها وما يدور حولها من موضوعات لم تكن محلا للخلاف بين الرسل وأممهم: لأن الله ﷻ أودع في نفوس البشر من الإقرار بعظمته في ذاته وصفاته وأفعاله وربوبيته لخلقه ما أقر به المشركون في الجاهلية، فقد كانوا يعلمون أن الله ﷻ خالقهم ورازقهم، وأنه عظيم في ذاته، لا يماثل شيئا من معبوداتهم التي يعظمونها. فالنوع الأول هو توحيد الغاية، أو توحيد العبادة.

ويسمي أيضا توحيد الإلوهية أو الإلهية، كلاهما صحيح، وذلك لأنه معنى قول العبد: لا إله إلا الله، فقد تقدم أن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم، وجميع أنواع العبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (توحيد العبادة هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن يقصد الله بالعبادة ويريده بذلك دون ما سواه وهذا هو الإسلام، فإن الإسلام يتضمن أصلين: أحدهما: الاستسلام لله، والثاني: أن يكون ذلك له سالما، فلا يشركه أحد في الإسلام له، وهذا هو الاستسلام لله دون ما سواه) [١].

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/٢٥٠.

ويُسمي توحيد القصد والطلب؛ لأنه يتعلق بنية المسلم ومطلبه في الحياة، روى البخاري في صحيحه من حديث عُمَر بْن الخَطابِ ﷺ أنه سمع رَسُول اللهِ ﷺ يقول: (إِنَّمَا الأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لكُل امْرِئ مَا نَوَي، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى مَا هَاجَرَ إِلَيْه) [(١)].

ومعلوم أن العبادة تتضمن الطلب والقصد، والإرادة والمحبة، وهذا لا يتعلق بمعدوم، فإن القلب يطلب موجودا، فإذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه[(٢)].

وهذا النوع من التوحيد يُسمي أيضا توحيد الإرادة، فالإرادة في الأصل من راد يرود إذا سعي في طلب الشيء، وهي قوة مركبة في قلب الإنسان جعلت اسما لشروع النفس إلى الشيء، مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أولا يفعل [(٣)].

والإرادة قريبة من القصد والنية والعزم على الفعل، وكلها من أعمال القلوب ومنطقة الكسب، كقوله تعالى:

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

(١) البخاري في كتاب بدء الوحي ١/١ (٤٥).
(٢) انظر بتصرف الفتاوى الكبرى لا بن تيمية ٢/٢٩٨.
(٣) المفردات ص٢٠٦/٢٠٧، ولسان العرب ١/٣٦٢.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾ الإسراء:١٨/١٩.

وقد سُمّي هذا التوحيد توحيد الإرادة لتوافق الإرادات، فالعبد إذا حققه توافقت إرادته مع الإرادة الشرعية الدينية والإرادة الكونية القدرية، فالمؤمن الذي كمل إيمانه تتوافق فيه الإرادات. والكافر تتخلف فيه إرادة الله الشرعية فقط، وهي إرادة بمعنى الأمر الشرعي الموجه إلى المكلفين، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة:١٨٥. وكقوله سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ المائدة:٦.

وتلك الإرادة قد تتخلف وقد يعصيها الإنسان، أما إرادة الله الكونية القدرية فهي مشيئة الله النافذة، وهي بمعنى القضاء والقدر والحكم المنتهى، والقضاء المبرم، والتقدير الحتمي الواقع، فمتى قيل: أراد الله كذا على المعنى الكوني، فمعناه شاءه وقضاه وقدره وخلقه وكونه، كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ البروج:١٦.

وكقوله أيضا: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ المائدة:١٧ .

سئل سهل بن عبد الله التستري (ت:٢٩٣هـ) عن الأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ البقرة:٣٤ . فقيل له: لما أمر إبليس بالسجود، أراد

منه ذلك أم لا؟ فقال: أراده، ولم يرده [1].

وهو يقصد بذلك أنه سبحانه أراده شرعا، وإظهارا عليه إيجابا وتكليفا، وهي إرادة الله الشرعية المظهرة للحكمة في اسمه الحكيم، ولم يرده منه وقوعا وكونا، إذ لا يكون في ملكه إلا ما أراد الله تعالى، وهذا وصف القدرة إظهارا لاسمه القدير، فلو أراد كونه لكان، ولو أراده فعلا لوقع، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ يس:٨٢. فلما لم يكن السجود عُلم أنه لم يرده بقدرته، فقد كان الأمران معا، إرادته بالتكليف والتعبد، وإرادته ألا يسجد، ولذلك أراده، ولم يرده، فلم يقدر أن يمتنع من ألا يسجد، كما لم يقدر من أن يمتنع أن يؤمن [2].

وكما سمي هذا النوع بتوحيد الإرادة، فإنه يسمي أيضا توحيد الشرع والقدر؛ لأن عقيدة السلف عقيدة وسط بين الجبرية والقدرية، فالمسلم يجب أن يسلم لله في تدبيره الشرعي وتدبيره الكوني معا، فيعمل بشرعه ويؤمن بقدره، لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، ومعنى ذلك أن المسلم إذا وفقه الله إلى الطاعة واجتهد في أحكام العبودية، وأدى توحيد الإلوهية، نسب الفضل في طاعته إلى ربه، وأنها كانت بمعونته وتوفيقه لما سبق في حكمه وقضائه وقدره، ولا ينسب الفضل إلى نفسه، أو يمن به على ربه.

---

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي ص١٢٨.

(٢) السابق ١/١٢٨.

قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحجرات:١٧.

هذه أغلب الأسماء والمصطلحات التي تطلق على النوع الأول من التوحيد في كتب العقيدة.

- **الأسماء التي أطلقت على النوع الثاني من التوحيد.**

أما النوع الثاني وهو المسمي توحيد الوسيلة، أو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، أو توحيد المعرفة والإثبات، أو توحيد العلم والخبر، فقد سمي توحيد الوسيلة لأن إثباته لله، أو الإيمان به فقط، لا يكفي لدخول الجنة، وعلة ذلك أن الله ﷻ حدد الغاية من خلق الإنسان فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات:٥٦.

ومن ثم فإن عبادة الله وحده لا شريك له، وامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل هي الطريق إلى الجنة، وهي الغاية التي خلق الناس من أجلها، فالحصول على الجنة سببه الطاعة والعبادة.

روى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (كُل أُمَّتِي يَدْخُلونَ الجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَي، قَالوا: يَا رَسُول اللهِ، وَمَنْ يأبى؟ قَال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَل الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَي) [(١)].

أما من يجعل غايته من التوحيد البحث عن وجود الله، والتعرف على

(١) البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله(٦/٢٦٥٥) (٦٨٥١).

أوصافه بقوانين العقل، أو التواجد والذوق، كما هو الحال عند الجهمية والصوفية، وأحفادهم من المعتزلة والأشعرية والماتريدية، أو حتى بالرجوع إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فهذا كله عند السلف وسيلة لتحقيق العبادة من خلال معرفة المعبود، فتوحيد العبادة يدل على توحيد الربوبية بالتضمن، وعلى الأسماء والصفات بالتلازم.

قال ابن القيم: (وأما توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر، وقرره أهل الكلام في كتبهم فلا يكفي وحده، بل هو الحجة عليهم كما بين ذلك سبحانه في كتابه الكريم في عدة مواضع، ولهذا كان حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) [1].

ويسمي النوع الثاني من التوحيد أيضا توحيد الربوبية والأسماء والصفات، لأن موضوعه يدور حول إثبات الوحدانية في ربوبية الله ﷻ من خلال الأدلة النقلية والعقلية، وإثبات أنه سبحانه المنفرد بالخلق والتقدير، والملك والتدبير، فلا خلق، ولا رزق، ولا عطاء، ولا منع، ولا قبض، ولا بسط، ولا موت، ولا حياة، ولا إضلال، ولا هدي، ولا سعادة، ولا شقاوة إلا من بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه، إذ لا مالك ولا ملك إلا الله، ولا مدبر للكون سواه، فهذه حقيقة الربوبية، ومعنى كونه رب العالمين [2].

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٣٠.

(٢) شفاء العليل ١/ ٤٤ بتصرف.

وكذلك فإن هذا النوع يدور أيضا حول الطريقة المثلى في معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله، وحقيقة المنهج الصحيح الذي لم يتلوث بشيء من أفكار المخالفين، ودنس الشبهات التي تؤدي إلى هدم التوحيد في قلوب المسلمين، وكيف أثبت السلف الصالح لربهم حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات؟

وكيف أن مذهبهم في ذلك مذهب وسط بين مذهبين، وهدي بين ضلالتين، خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين، و من بين المجهلين والمشبهين، كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين؟

وكيف وضعوا ضابطا يحكم منهجهم ويبين عقيدتهم في الأسماء والصفات؟ عندما قالوا بإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وعندما قالوا: لا نعطل، ولا نؤول، ولا نمثل، ولا نجهل، ولا نقول: ليس لله يدان، ولا وجه، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، ولا قدرة، ولا استواء على عرشه. ولا نقول: له يدان كأيدي المخلوق، ووجه كوجوههم، وسمع وبصر وحياة وقدرة واستواء كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم. بل قالوا: له ذات حقيقية ليست كسائر الذوات، وله صفات حقيقية ليست كسائر الصفات، وليست دربا من المجازات أو نوعا من التخييلات. وكذلك قولهم في وجهه تبارك وتعالى ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه، ولم يمنعهم ذلك أن يفهموا المراد

من تلك الصفات وحقائقها [١].

هذا مع التعرف على فقه الأسماء الحسنى وتمييزها بنصوصها النقلية التوقيفية الثابتة في أدلتها، وحفظها وفهم دلالتها على الصفات، مطابقة وتضمنا والتزاما، ودعاء الله بها، دعاء مسألة، ودعاء عبادة، وتأثير ذلك في سلوك المسلم واعتقاده .

وهذا النوع يسمي أيضا توحيد العلم والخبر، لأن تحصيل العلم به ورد فيما أخبرنا الله به في كتابه وسنة رسوله ﷺ، فغاية ما للعقل من جهد محدود في هذا الباب، إثبات الخالق ووصفه بأوصاف العظمة، سواء بالنظر إلى الأسباب المشهودة في الآفاق، أو بالنظر إلى النفس وتركيبة الإنسان في دقائق الأعماق، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت:٥٣ .

أما لو تَرك الإنسان لعقله العنان في وصف المعبود، فسوف يضع الأقيسة والقواعد والقيود، وسوف يتجاوز الحدود لا محالة في حكمه على ذات الله تعالى، أو حكمه على صفاته وأفعاله، كما فعل أصحاب المدارس العقلية، المنتهجين لفكر الجهمية، وقد كانت النتيجة الحتمية أن وقعوا بجهلهم في الزيغ والضلال، ووصفوا الله تعالى بالعجز والمحال .

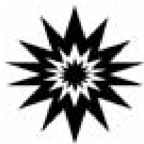
---

(١) الصواعق المرسلة ٢/٤٢٦ بتصرف.

وتوحيد العلم والخبر يُسمي أيضا توحيد المعرفة والإثبات؛ لأن المسلم مطالب بمعرفته، وإثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته رسوله ﷺ، فالتوحيد بغير إثبات الصفات، هو في حقيقته نقص ومذمة، كما هو الحال في الأصل الأول من أصول المعتزلة.

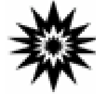
ذلك لأن المتوحد المنفرد عن غيره، لا بد أن ينفرد بصفة يتميز بها، ولا يشاركه فيها أحد سواه، أما الذي لا يتميز بشيء عن غيره ولا يوصف بوصف يلفت الأنظار إليه، فهذا لا يكون منفردا، ولا متوحدا ولا متميزا، فالله وله المثل الأعلى، أثبت لنفسه أوصاف الكمال التي انفرد بها دون غيره، ونفي عن نفسه أوصاف النقص، ليثبت توحده في ذاته وصفاته وأفعاله.

وهذا منهج القرآن، فبعد أن بدأ الله ﷻ بالتوحيد أولا في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ الشورى:١١. اتبع ذلك بإثبات الصفات العليا التي تليق به فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ الشورى:١١. فالتوحيد يستلزم إثبات الصفات وهذا هو المناسب للفطرة السليمة والعقول المستقيمة، ومن أجل هذا سمي هذا النوع من التوحيد بتوحيد المعرفة والإثبات.



المطلب السابع

العلة في تصنيف التوحيد إلى نوعين أو ثلاثة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

ففد تحدثنا في المطلب السابق عن المقصود بعلم التوحيد لغة واصطلاحا، وأن توحيد العبادة كان الاصطلاح السائد بين علماء السلف الصالح منذ عصر النبوة، وقد بينا حقيقة المصطلحات التي وردت في كتب التراث وأطلقت على علم التوحيد، كما دار الحديث أيضا عن مفهوم الإلوهية عند السلف وعند الخلف وعلماء الكلام، وكذلك مفهوم الإلوهية عند غلاة الصوفية والفلاسفة.

كما بينا أن تصنيف التوحيد عند السلف ورد على نوعين باعتبارات معينة، وصنف إلى ثلاثة أنواع باعتبارات آخرى، كان أغلبها الرد على أهل البدعة من أتباع الجهمية، ودلالة النصوص القرآنية والنبوية جملة وتفصيلا، وتحدثنا عن الأسماء الاصطلاحية التي أطلقت على كل نوع من نوعي التوحيد.

وفي هذا المطلب يدور الحديث بإذن الله عن العلة في تصنيف التوحيد إلى نوعين أو ثلاثة أنواع، وذلك من خلال المحاور التالية:

• العلة في تصنيف التوحيد إلى نوعين عند السلف.

كان المعروف والمشتهر بين الصحابة والتابعين مصطلح الإسلام، والإيمان، والإحسان، بل علمهم جبريل ﷺ تلك المصطلحات من خلال حوار أجراه مع النبي ﷺ وهو مع أصحابه ﷺ.

روى البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا للنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيل فَقَال: مَا الإِيمَانُ؟ قَال: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ، قَال: مَا الإِسْلامُ؟ قَال: الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَال: مَا الإِحْسَانُ؟ قَال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَال: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَال: مَا المَسْئُول عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ؟ وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الأَمَةُ رَبَّهَا وَإِذَا تَطَاوَل رُعَاةُ الإِبِل البُهْمُ فِي البُنْيَان فِي خَمْسٍ لا يَعْلمُهُنَّ إِلا اللهُ ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلمُ السَّاعَةِ.. الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ، فَقَال: رُدُّوهُ فَلمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَال: هَذَا جِبْرِيل جَاءَ يُعَلمُ النَّاسَ دِينَهُمْ) [1].

وقد عرف النبي ﷺ الإسلام بالأركان الخمسة، وعرف الإيمان بالأركان الستة، وجعل الإحسان رابطا بينهما، بمعنى أن يكون

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ١/٢٧ (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله ١/٣٩ (٩).

الإسلام الحق عن عقيدة وإيمان. ولا يعني ذلك أن نوعي التوحيد لم يكونا معروفين بين الصحابة والتابعين، فقد سبق وعلمنا أن توحيد العبادة لله هو ما تداوله الصحابة ﭫ فيما بينهم كمعنى وحيد لشهادة التوحيد، وأن إيمانهم بتوحيد الربوبية هو إيمان ضمني مفطور في نفوسهم بمقتضى شهادتهم أنه لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ الزخرف:٩.

وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبوت:٦١. وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الزمر:٣٨.

- **صنف التوحيد إلى نوعين على معنى الإسلام والإيمان.**

كان أصحاب النبي ﷺ يعلمون أن مصطلح الإسلام الذي ورد تعريفه في حديث جبريل ؇ هو في حقيقته توحيد العبادة لله، وإفراده بها، فالإسلام هو الخضوع والاستسلام للمعبود على وجه المحبة والتعظيم، وهذا تعريف العبادة. أما توحيد العبادة فظاهر من الشهادة التي هي أول ركن من أركان الإسلام، فكلهم يعلمون أن الإسلام لا يصح إلا بالتوحيد، وأن توحيد العبادة لله هو الإسلام .

كما أن أركان الإيمان التي وردت في حديث جبريل عليه السلام هي في حقيقتها توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وما يجب على المسلم اعتقاده في باب الغيبيات. وتلك الأركان التي ذكرها النبي ﷺ في مصطلح الإيمان بنيت على الإقرار بما نزل في القرآن من تقرير للحقائق العظمى في حياة الإنسان.

كلهم كانوا على عقيدة واحدة في توحيد الله بالعبودية، والإقرار بما جاء من عنده، سواء في توحيد الربوبية، أو الأسماء والصفات وسائر الغيبيات، فتصنيف السلف الصالح للتوحيد يتوافق مع النقل والعقل والفطرة السليمة. غير أن الأمر يتطلب مزيدا من البيان للعلة التي من أجلها صَنَّف السلف الصالح توحيد الله إلى نوعين .

ويمكن بيان العلل التي تكشف بجلاء ووضوح صدق ما عليه السلف، وبهتان ما يدعيه الخلف من تصنيفات عقلية فلسفية لتوحيد الله ﷻ، وأبرز تلك العلل يتمثل في النقاط التالية:

- **صنف التوحيد إلى نوعين لتمييزه عن توحيد المعتزلة.**

صُنف التوحيد إلى نوعين بناء على رد فعل السلف على المخالفين، فلما ظهرت الجهمية والمعتزلة كنبتة لا أصل لها في عصر السلف، ابتدعوا للتوحيد في اصطلاحهم معنى جديدا غير ما استقر في اعتقاد الصحابة والتابعين وعلماء السلف، فقالوا: إن التوحيد هو إثبات الأسماء ونفي الصفات، فجعلوا القرآن عضين، يقبلون منه ما يوافق

آراءهم الفاسدة، ويعطلون ما يخالفها.

وهذا هو الأصل الأول عند المعتزلة والمسمى بالتوحيد، وقد زعموا فيه أنهم أهل التوحيد وخاصتُه، وأنهم المنزهون لربهم عن التشبيه والتجسيم، وخلاصة رأيهم في التوحيد أن الله تعالى لا صفة له، لأنه منزه عن الشبيه والمثيل، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

وهذا توحيد يناقض الفطرة، ولا ينطلي إلا على أذهان السفهاء، بل هو توحيد يسخر منه جميع العقلاء، لا يقبله عاقل على نفسه، فكيف يقبله على ربه؟ فالعقلاء يمدحون غيرهم بإثبات الصفات التي تليق بهم، والموحدون لله حقا يحمدون ربهم بإثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

وهذا ما دعا علماء السلف الصالح أن يبينوا حقيقة توحيد الأسماء والصفات، وأن ما جاء به القرآن والسنة، وما كان عليه الصحابة ﷺ في هذا الباب هو إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ دون تعطيل للأدلة، أو تأويل لها بما لا تحتمل، ودون تشبيه الله بخلقه، أو قياسه على المخلوق.

وكثر الحديث بين عامة الناس عن توحيد الأسماء والصفات أيام سيطرة المعتزلة، وشاع في الخلافة الإسلامية حتى أصبح الحديث فيه يكشف عن هوية المتكلم، ويحدد نوعية الشخصية المسلمة، واستمر

ذلك حتى عصرنا، بحيث يستطيع الناظر المحقق أن يعلم هوية المتكلم، إن كان من أتباع السلف، أم من أتباع الخلف.

كما أن الأصل الثاني عند أهل الاعتزال أداهم إلى الشرك بالله في الربوبية ،حيث رفعوا شعار العدل لينطلي على الجهال والدهماء. وهم يريدون بذلك أن الله لا يخلق أفعال العباد خيرها وشرها، فعطلوا قوله تعالى في إفراده بالربوبية، وإفراده بالخلق والتدبير: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٦.

وكذلك عطلوا قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنعام:١٠٢.

وعطلوا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فاطر:٣.

وكذلك عطلوا قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ غافر:٦٢. وقوله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ الزمر:٦٢.

وقد ستروا تحت شعار العدل نفي التقدير، وعلم الله السابق بالمقادير، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر، ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم عذبهم عليه كان ذلك جورا وظلما، والله تعالى عدل لا يظلم، ولا يجور، فجعلوا أفعال الله أسيرة، أو مرهونة بأفعال عباده.

وهذا ما دعا علماء السلف الصالح أن يبينوا حقيقة توحيد الربوبية، وأن ما جاء به القرآن والسنة، وما كان عليه الصحابة ﷺ في هذا الباب، هو إفراد الله بأفعاله، وأن كل صغيرة وكبيرة في الكون واقعة بقضائه وقدره، وأن الخالق عند أهل التوحيد واحد، وأن ما سواه مخلوق، فالله ﷻ هو خالق كل شيء، وأن هذا الأمر متفق عليه بين الرسل، اتفقت عليه الكتب الإلهية، والفطرة البشرية، وجميع الأدلة العقلية، فليس في الوجود أمر إلا بمشيئة الله وحده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولم يخالف في ذلك إلا مجوس الأمة من المعتزلة القدرية، الذين أشركوا في الربوبية، وزعموا أن العبد يخلق فعله من دون الله وقدرته.

- صنف التوحيد إلى نوعين لدلالة النقل جملة وتفصيلا.

صُنف التوحيد إلى نوعين بناء على دلالة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية جملة وتفصيلا، ففي الجملة كل نص ورد في الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية شاهد لأحد نوعي التوحيد، فالنصوص التي تضمنت الحديث عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يتعلق بتدبيره الكوني، أو تحدثت عن عالم الغيب وما فيه من مخلوقات، أو ما يحدث في القبر، أو سيحدث من أمور الساعة والبعث، والحساب والجنة والنار، وسائر أمور الجزاء، أو كل ما يجب على المسلم اعتقاده والإيمان به، كل هذه النصوص تمثل شواهد نصية لتوحيد العلم والخبر، أو توحيد المعرفة والإثبات، أو أثار الإيمان

بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والنصوص التي تضمنت الحديث عن تدبير الله الشرعي، وحكمه الديني، أو منهج التكليف في الحياة، وكيفية عبادة الله، من أمر أو نهي على سبيل الحتم والإلزام، أو أمر أو نهي لا على سبيل الحتم والإلزام، أو موقف الناس من تلك الأحكام، وجزاؤهم في الدنيا والآخرة، كلها شواهد لتوحيد الإلوهية والعبادة، وتحقيق لمقتضى النطق بالشهادة التي بعث النبي ﷺ من أجلها.

أما على وجه التفصيل فهذه شواهد نذكرها للتدليل والتمثيل، يمكن أن يُحتذي بها في معرفة الدليل على نوعي التوحيد، ففي أول سور القرآن، ورد ما يدل على أن التوحيد نوعان، توحيد الإلوهية والعبادة كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الفاتحة:٥، وتوحيد الربوبية في رد الاستعانة إلى الله الواحد الأحد قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (يعني إياك نوحد ونخاف، ونرجوك ربنا لا غيرك، وإياك نستعين على طاعتك، وعلى أمورنا كلها) [1].

ويذكر ابن القيم رحمه الله في هذين الأصلين العظيمين أن العبودية تتضمن المقصود المطلوب، لكن على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب، فالأول من معنى ألوهيته، والثاني من معنى ربوبيته، فإن الإله هو الذي تأله القلوب محبة وإنابة، وإجلالا

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ١/٣٧، نشر دار الفكر بيروت.

وإكراما وتعظيما، وذلا وخضوعا، وخوفا ورجاء وتوكلا، والرب هو الذي يربي عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى مصالحه، فلا إله إلا هو، ولا رب إلا هو، فكما أن ربوبية ما سواه أبطل الباطل، فكذلك إلهية ما سواه. وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ هود: ١٢٣. وقوله عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ هود:٨٨. وقوله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ الفرقان:٥٨.

وقوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ المزمل:٨/٩. وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ الرعد: ٣٠.

وقوله عن أتباع إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ الممتحنة:٤. فهذه سبعة مواضع، تنظم هذين الأصلين الجامعين لمعنيي التوحيد اللذين لا سعادة للعبد بدونهما البتة [(١)].

وتأمل كيف شبه المشركون المخلوق بالخالق، وأشركوا في الربوبية والإلوهية معا عندما عظموا الأحبار والرهبان، وأطاعوهم في معصية

(١) انظر بتصرف إغاثة اللهفان ١/ ٢٧.

الله، وجعلوا أمرهم مقدما على أمره، كما ورد في قوله ﷻ:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ التوبة: ٣١.

كانت الأحبار والرهبان أعظم مكانة في قلوبهم من ربهم، وأعلى منزلة وطاعة من خالقهم، فلم يوحدوا الله في الربوبية، وبمفهوم المخالفة كان الواجب عليهم إفراد الله بالربوبية واعتقاد أن ما سواه مهما علا فإنما هو عبد لله، وهم مأمورون على ألسنة رسلهم بتوحيد العبودية لله، وأن يعبدوا إلها واحدا، لا إله إلا هو، ولكنهم وقعوا في شرك الربوبية والعبودية معا. وهذه الآية يماثلها في الدلالة على نوعي التوحيد قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ آل عمران: ٦٤. ففيها دعوة إلى توحيد الإلوهية، وإفراد الله بالعبودية، وفيها دعوة إلى توحيد الربوبية، ونفي أوصافها عن الذات البشرية.

وكثير من آيات القرآن جاءت بنوعي التوحيد في عبارات بليغة، وترتيبات منظمة، ودلالات محكمة، شاهدة لتوحيد الربوبية والعبودية معا كقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١ ﴾ آل عمران: ٥١. فتأمل توحيد الربوبية في قوله تعالى:

إن الله ربي وربكم. وتأمل توحيد العبادة في قوله: فاعبدوه، أي أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه [١].

وهذان النوعان من التوحيد من شك فيهما، أو اعتقد في عيسى عليه السلام الربوبية، أو توجه إليه بشيء من العبودية، فقد انطبق عليه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة:٧٢.

وكثير من الآيات يترابط فيها التوحيد بنوعيه، فإما أن يكون أحدهما متضمنا للآخر، أو يكون أحدهما ملزما للآخر، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنعام:١٠٢، فالله خالق كل شيء وقائم على تدبير أمره، فمن الواجب على عبده إفراده بالعبادة، وهذا توحيد ربوبية يوجب توحيد الإلوهية.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يونس:٣.

قال ابن كثير: (أي أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، أفلا

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/٤٣، نشر دار الفكر، بيروت.

تذكرون أيها المشركون في أمركم، تعبدون مع الله إلها غيره، وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق) [(١)].

وعلى الوتيرة نفسها جاء قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ مريم: ٦٥.

وقوله سبحانه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ فاطر: ١٣.

وكذلك قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ غافر: ٦٢/٦٥. والآيات في هذا الباب أكثر من أن تحصى.

وأما السنة فبابها واسع في الدلالة على نوعي التوحيد، فتأمل توحيد الربوبية في حديث ابن عباس ﷺ عندما قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ الليْل يَتَهَجَّدُ قَال: اللهُمَّ لكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلكَ الحَمْدُ لكَ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلكَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٠٧ نشر دار الفكر بيروت.

الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ) [١].

وتأمل توحيد العبودية في قوله ﷺ بعد ذلك: (اللهُمَّ لكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلهَ إِلا أَنْتَ، أَوْ لا إِلهَ غَيْرُكَ) [٢].

وصح عن أبي هريرة ﷺ أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: (يَا رَسُول اللهِ، مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: قُل: اللهُمَّ عَالمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُل شَيْءٍ وَمَليكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَال: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ) [٣].

فاشتمل الدعاء على الثناء على الله ﷻ بذكر توحيد الربوبية، وشمولية علم الله وملكه للخلق، ثم إقراره بالحق وتوحيد العبودية،

---

(١) رواه البخاري في أبواب التهجد ، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: ومن الليل فتهجد به نافلة لك ٣٧٧/١ (١٠٦٩) .

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٤٦٧/٥ (٣٣٩٢) وقال: هذا حديث حسن صَحِيح ، وأبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣١٦/٤ (٥٠٦٧)، وأحمد في المسند ٩/١ (٥١) ، وصححه الألباني انظر السلسلة الصحيحة (٢٧٥٣.

والاستعاذة به من جماع أسباب الشر كله، المتمثلة في هوى النفس وشبهات الشيطان.

ومثله أيضا دعاء سيد الاستغفار، فقد روى البخاري من حديث شَدَّاد بْن أَوْسٍ ﷺ أن النَّبِيّ ﷺ قال: (سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تقُول: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلهَ إِلا أَنْتَ، خَلقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لكَ بِنِعْمَتِكَ على، وَأَبُوءُ لكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، قَال: وَمَنْ قَالهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْل أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْل الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالهَا مِنَ الليْل وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْل أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْل الجَنَّةِ) (١).

والأمثلة على ذلك كثيرة، وفيما تقدم كفاية لذوي البصيرة في دلالة النصوص على نوعي التوحيد.

- **صنف التوحيد إلى نوعين باعتبار الخبر والطلب.**

علمنا أن غاية التوحيد العظمى، وطريقة السلف المثلى، التي جاهدوا من أجل إثباتها في توحيدهم لربهم، أن يثبتوا ما أثبته الله لنفسه بتصديق خبره، وأن يطيعوا الله فيما أمر على لسان نبيه ﷺ، فالأول عندهم هو ما أُطلق عليه توحيد الوسيلة، أو توحيد العلم والخبر، أو توحيد المعرفة والإثبات، أو توحيد الربوبية والأسماء والصفات. والثاني هو ما أُطلق

(١) البخاري في الدعوات، باب أفضل الاستغفار ٥/٢٣٢٣ (٥٩٤٧).

عليه توحيد الغاية، أو توحيد الإلوهية، أو توحيد العبادة، أو توحيد الإرادة، أو توحيد الشرع والقدر، فهم بقولهم: لا إله إلا الله، قد عقدوا في أنفسهم عقدا، أن يكون الله ﷻ هو المعبود الحق، الذي يصدق في خبره دون تكذيب، والذي يطاع في أمره دون عصيان، وتلك حقيقة الإيمان التي نزل بها القرآن، وفهمها أصحاب اللسان.

ويذكر أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) أن حقيقة الإيمان والتوحيد، تكمن في تصديق الخبر، وتنفيذ الأمر؛ لأن الخبر هو القول الذي يدخله الصدق والكذب، والأمر والنهي كل واحد منهما قول يتردد بين أن يطاع قائله، وبين أن يعصي، فمن سمع خبرا، واعتقد أنه حق، وصدق به، فقد آمن به، ومن سمع أمرا أو نهيا، فاعتقد الطاعة له، فكأنما آمن في نفسه به [(١)].

وقد بين ابن القيم أن جماع الدين شيئان: تصديق الخبر، وطاعة الأمر، وأن أساس التوحيد والهداية التي من الله بها على الموحدين، يترتب على تصديق خبر الله، من غير اعتراض شبهة تقدح في تصديقه، وامتثال أمره من غير اعتراض شهوة تمنع امتثاله.

ثم قال رحمه الله: (وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان، وهما تصديق الخبر، وطاعة الأمر، ويتبعهما أمران آخران، وهما نفي شبهات الباطل الواردة عليه، المانعة من كمال التصديق، وأن لا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ١/٣٥.

يخمش بها وجه تصديقه، ودفع شهوات الغي الواردة عليه، المانعة من كمال الامتثال) [١].

ومن نازع في تقسيم التوحيد إلى هذين النوعين، فيقال له: لنكن على تصديق الخبر تصديقا جازما، وتنفيذ الأمر تنفيذا كاملا، فنصدق كل خبر ورد عن الله ﷻ وصح عن رسوله ﷺ، ونؤمن به على ظاهره الذي أراده الله ورسوله ﷺ، ونمرره قرآنا عربيا إلى سائر الناس، دون تدخل منا بتعطيله أو بادعاء مجاز، فلا نسعى بتأويله إلى تحريف الكلم عن مواضعه، ولا نزعم بتفويضه أنه كلام بلا معنى، ولا نعبث في الإيمان به كما فعلت يهود حين جعلوا القرآن عضين، فلا يليق أن يؤمن بعضا بما يوافق أصوله الكلامية في الصفات السلبية والمعنوية، ويؤول الصفات الخبرية أو يفوضها ويزعم أنها بلا معنى. بل نؤمن بالكتاب كله كما جاءنا عن الله ورسوله ﷺ.

- **التوحيد نوعان باعتبار استخلاف الإنسان في الأرض.**

وهذا الوجه واضح وضوح الشمس، فالله ﷻ قال عن العلة من خلق الإنسان ووجوده في الأرض: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة:٣٠. فالآية دلت على أنه مستخلف في أرض الله. والخلافة في أصلها اللغوي تعني النيابة عن الغير. ولا بد فيها من استخلاف المستخلِف بكسر اللام، للمستخلَف بفتحها،

(١) مفتاح دار السعادة ١/٤٠.

وتحويله وإذنه له بها، ولا تصح في اللغة بغير هذا [(١)].

قال ابن حزم: (ومعني الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفُه، لا الذي يَخْلُفُه دون أن يستخلفَه هو، لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف، تقول: استخْلفَ فلانٌ فلانا يستخلفُه، فهو خليفَتُه ومستخلفُه، فإن قام مكانه دون أن يستخْلفُه هو، لم يُقَل إلا خلف فلان فلانا، يخلفه فهو خالف) [(٢)].

وإذا كانت الخلافة بمعنى التخويل والإنابة، فهل الإنسان خليفة ينوب عن الله في أرضه؟ أم يخلف من سبق بعد موته؟ وحتى نصل إلى مرادنا في ضرورة تصنيف التوحيد إلى نوعين من خلال معنى الاستخلاف، لا بد أن ندرك أن الاستخلاف يأتي على معنيين:

١- استخلاف عن نقص الأوصاف بحكم طبيعة الإنسان، ويكون عند عجز المستخلف عن القيام بملكه، أو تدبير أمره، إما لغيابه أو قلة علمه، وإما لمرضه أو موته، كاستخلاف القائد نائبا على جنده أو قومه، كما ورد في قوله تعالى عن موسي عليه السلام:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ الأعراف:١٤٢.

---

(١) التوقيف علي مهمات التعاريف للمناوي ٣٢٢/١ نشر دار الفكر ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص١٥٦ نشر دار القلم ، دمشق.

(٢) الفصل في الملل والنحل ٨٨/٤، ومنهاج السنة النبوية ٤٩٤/١.

٢- استخلاف عن كمال الأوصاف، وذلك إذا كان لتشريف الإنسان وإكرامه، أو اختباره وامتحانه، وليس لعجز المستخلف عن القيام بشؤونه.ولله المثل الأعلى لما قال سبحانه للملائكة في شأن الإنسان: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة:٣٠. تحقق في الخلافة المعنيان، أحدهما أن يخلف بعضهم بعضا على وجه النقص، والثاني أن يكون خليفة لله في الأرض على وجه الابتلاء والامتحان.

وكذلك يقال في كل آية ورد فيها استخلاف الله للإنسان، فإنها تدل على المعنيين معا، أنه خليفة لمن سبق من الذرية عن نقص في الأوصاف البشرية، وخليفة لله على وجه الكمال وتنفيذ الأحكام الشرعية، غير أنه لا حول له ولا قوة في أي معنى من معاني الربوبية.

ومن هنا يظهر السر في تصنيف التوحيد إلى نوعين فالله ﷻ استخلف الإنسان في أرضه، وهو معه من فوق عرشه، يتابعه، ويراه ويسمعه، ولكنه سبحانه بين لنا أن استخلافه في هذه الدار، إنما هو على وجه الابتلاء والاختبار، والأمانة التي يحاسب عليها بجنة أو نار، فهو استخلاف ليس عن غيبة المستخلف أو عجزه، لأن الاستخلاف وإن اقتضى غياب المستخلف بين الناس في العادة، إلا أنه هنا يكشف سر الإيمان وحقيقة التوحيد في العبادة، بظهور عالم الغيب والشهادة، فالله ﷻ غيب بالنسبة للإنسان، لأنه ﷻ جعل مداركه محدودة، فهما غيب وشهادة ليس بالنسبة لعلم الله ﷻ بخلقه، ولكن بالنسبة لرؤية الإنسان لربه، ومدى علمه بكيفية ذات الله ﷻ ووصفه وفعله، فقال

سبحانه في شمولية علمه، لكل صغيرة وكبيرة في خلقه: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ الرعد:٨/١٠.

وقال: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ السجدة:٦.

وقال سبحانه في المقابل عن حدود علم المستخلف ومدي ضعفه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء:٨٥. وقال: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النمل:٦٥. فعلم الإنسان مهما بلغ محدود، لأن حواسه عليها غطاء وقيود.

ومن ثم كان النطق بشهادة الحق أمرا وتكليفا، وترك الزور وقول الصدق مدحا وتشريفا، فمن الجهل والعيب ادعاء الإنسان لعلم الغيب، أو القول على الله ﷻ بلا علم. ومن أجل ذلك أيضا ظهر تكليف المسلم بالتصديق الجازم لكل خبر ورد عن ذات الله ﷻ وأسمائه وصفاته، وكل ما ورد في القرآن والسنة عن أركان الإيمان، وأن يثبت ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وما أثبته رسول الله ﷺ، وحرم عليه أن يتقول على ربه، بوضع أقيسة عقلية يحكم بها على الأدلة النقلية، فيأخذ منها ما يشاء، ويعطل ما يشاء وفق فلسفة الأهواء، فيقع في التمثيل والتكييف، والتعطيل والتحريف، وهذا هو النوع الأول من

نوعي التوحيد.

أما النوع الثاني فقد ارتبط باستخلاف الإنسان، من جهة أن الاستخلاف مقيد بالخضوع لأمر الله ﷻ فيما استخلفه واسترعاه، وإظهاره لتوحيد العبودية والعمل في أرض الله ﷻ بالشريعة الإسلامية. وليس استخلاف الإنسان في الأرض نيابة عن الله ﷻ في معاني الربوبية، أو تخويلا لغيره في إرادته الكونية، سبحانه وتعالى أن يتخذ شريكا له في ملكه، أو يتخذ وليا من الذل وينعزل عن خلقه، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ الإسراء:١١١. وقال: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الرعد:١٦.

- **العلة في تصنيف التوحيد إلى ثلاثة أنواع .**

كل من أقر بتصنيف التوحيد إلى نوعين على اعتبار تنفيذ الأمر وتصديق الخبر، أو على اعتبار توحيد الغاية والوسيلة، أو توحيد القصد والطلب، وتوحيد العلم والخبر، أو توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، فسوف يقر ضرورة بتصنيف التوحيد إلى ثلاثة أنواع، لو اعتبرنا توحيد الربوبية والأسماء والصفات نوعان، وليس نوعا واحدا كما سبق، فعند الفصل بينهما تظهر أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع اشتهرت بين المتبعين لنهج السلف الصالح بحيث غطت شهرتها علي التصنيف السابق بنسبة كبيرة، وقد كان الباعث على تصنيف التوحيد إلى ثلاثة أنواع يتمثل في النقاط التالية:

الأمر الأول: صُنِّفَ التوحيد عند السلف إلى ثلاثة أنواع على اعتبار وجود تصنيف مبتدع، أحدثه المتكلمون من الأشعرية منذ وقت مبكر، وأذاعوه بين الناس، وانتشر بحكم السطوة والقربة لدى الساسة والأمراء والخلفاء، كما حدث من المعتزلة عندما أداروا البلاد الإسلامية في عهد مجموعة من خلفاء بني العباس، فغيروا وبدلوا في معنى التوحيد.

هذا في مقابل ضعف السلف وزهدهم وبعدهم عن قصور الخلفاء والأمراء وأصحاب الأهواء، فالأشعرية صنفوا التوحيد إلي ثلاثة أنواع مبنية لا علي أدلة قرآنية ونبوية، كما هو الحال عند السلف، ولكن على دلالات عقلية سقيمة، وآراء فلسفية باطلة أطلقوا عليها مصطلح أصول الدين.

قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ) في بيان أنواع التوحيد عند الأشعرية: (وأما التوحيد، فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له) [(١)].

---

(١) الملل والنحل ١/٤٢.

وفضلا عن ادعائهم أن الأشعرية هم أهل السنة، وسلبهم هذا الوصف عن المنتهجين لطريقة السلف، فقد صنفوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع محدثة، لا دليل عليها من كتاب أو سنة، فلم يكن بد من رد الفعل الطبيعي لهذا التقسيم المحدث، بنشر تصنيف السلف لأنواع التوحيد وإذاعته، وتركيز الضوء على أدلته المبنية في جوهرها على الأصول القرآنية والنبوية.

وسواء صنف التوحيد إلي نوعين، أو ثلاثة أنواع عند العلماء المخلصين أتباع السلف، فإن الغاية المرجوة عندهم نشر التوحيد الحق، ورد ما أحدثه الآخرون من البدعة والباطل.

وقد ظهرت سلسلة من الردود المتوالية في مؤلفات كثيرة، تدافع عن مذهب السلف، وتعيد الناس إلى ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في تصديق الخبر، وتنفيذ الأمر. وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الباع الأكبر في ذلك، فقد صنفا حشدا هائلا من الردود والمصنفات في خدمة العقيدة السلفية، ويمكن القول إن من أتى بعدهما كان عالة عليهما، وعلى ما تركاه من مصنفات.

الأمر الثاني: صُنِّفَ التوحيد عند السلف إلى ثلاثة أنواع على اعتبار معنى التوحيد عندهم، وما يتبعه بالضرورة من إثبات معاني الكمال التي انفرد بها رب العزة والجلال عمن سواه، فالتوحيد كما تقدم هو الإفراد، ولا يكون التوحيد توحيدا إلا مع الإثبات، فما

الذي انفرد به رب العزة والجلال مما ورد في الآيات من إثبات؟ عند الحصر والاستقصاء لجميع الأدلة في القرآن والسنة، يتبين أن الله انفرد بثلاثة أشياء جامعة لا يشاركه فيها غيره:

أولها: انفراده سبحانه وتعالى بالربوبية، فلا رب سواه، ولا خالق ولا مدبر للكون إلا الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف:٥٤. وثلث آيات القرآن تقريبا، يدور حول هذا النوع من التوحيد وما يدل عليه.

ثانيا: أنه سبحانه انفرد بالإلوهية والعبادة، فلا يقبل الشركة فيها، فإما يُعْبَد وحده بإخلاص، وإما يَرُد عبادة المشركين عليهم. أما أن يَقْبَل من عباده أن يعبدوه ثم يعبدوا غيره معه في آن واحد، فهذا قد يقبله أحد الطواغيت والمعبودات الباطلة، أما رب العزة والجلال فهو أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معه غيره، تركه وشركه. هكذا جاء الحديث مرفوعا عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) [1].

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ

(١) مسلم في الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله ٤/٢٢٨٩ (٢٩٨٥).

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ النساء:٤٨. وهذا النوع هو حقيقة الشهادة، وتجريد التوحيد والعبادة، وثلث ما ورد في آيات القرآن تقريبا يدور حول هذا النوع من التوحيد.

ثالثا: أنه انفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى، فكما أنه انفرد بالربوبية والإلوهية، فإنه أيضا انفرد بالأسماء والصفات، فلا سمي له ولا نظير، ولا ند له ولا مثيل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

الأمر الثالث: صنف التوحيد إلى ثلاثة أنواع بناء على دلالة النصوص القرآنية والنبوية، فالقرآن والسنة إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو توحيد الأسماء والصفات، أو خبر عن قضائه وقدره، وحكمته ومشيئته، وكمال قدرته، وملكه لخلقه، وتدبيره لكونه، ووصفه لفعله، وهذا توحيد الربوبية، وكلاهما مستلزم للآخر متضمن له.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، وذلك من خلال أمر بالعبادات، ونهي عن المخالفات، فهذا هو توحيد الإلهية والعبادة، وهو مستلزم للنوعين الأولين، متضمن لهما أيضا. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في

العقبى من الوبال، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد [١].

ومن الضرورة أن نبين أن كل مسلم يكفيه أن يصدق بخبر الله تصديقا جازما، دون شك أو تكذيب، وأن ينفذ أمره عن خضوع ومحبة وتعظيم، كما كان الحال في عهد النقاء والصفاء زمن السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ ولكن مع انتشار الأوبئة الفكرية في المستنقعات التي أحدثها أتباع الجهمية في البيئة الإسلامية حتى عصرنا، يلزم المسلم الصادق أن يحصن نفسه في التوحيد بمضادات اعتقادية، وتحصينات قرآنية نبوية، كمناعة لهم وحماية من أفكار المخالفين.

- **تصنيف التوحيد إلى ثلاثة أنواع عند الأشعرية.**

الأشعرية في عصرنا يمثلون الأغلبية في العالم الإسلامي، وذلك ليس عن رغبة معتنقيه من أهل العلم في هذا المذهب، ولكن لكونه واقعا مفروضا في أغلب المؤسسات التعليمية في مرحلة التلقي والتعليم منذ الصغر، فهذا المذهب الذي يطلق عليه معتنقوه على زعمهم مذهب أهل السنة، ما زال مقررا في أغلب المدارس والجامعات في البلاد الإسلامية إلا من رحم ربك.

وطالب العلم يدخل منذ نعومة أظفاره إلى المدارس والمعاهد وهو

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، نشر مكتبة الرياض الحديثة ص١٧ وما بعدها، بتصرف.

خالي الذهن، فيجد مقررا منفرا غريبا في مادة التوحيد، ويجد المدرسين يلقنونه ويحفظونه أنواعا من التوحيد مبنية على أدلة عقلية بعيدة عن طريقة السلف المعتمدة على ما ورد في الكتاب والسنة.

ويستمر الطالب في دراسته حتى يصبح أستاذا جامعيا، وهو يجهل حقيقة ما عليه السلف، ولو نُوقش في ذلك إما أن يستنكف عن الخضوع للحق؛ لأنه أستاذ صاحب هيبة ومكانة، وقبول الحق عنده يعني إقراره بلوازم يصعب تصورها، أو الالتزام بها، وإما يزداد إصرارا على صدق الطريقة الأشعرية، ويتمادى في الدفاع عنها بحجج عقلية حتى يستحيل معه النقاش.

والحق يقال: إن بعض من يقوم على التدريس للطلاب، أو يلخص لهم بعض ما جاء في المقررات أو الكتاب، ربما يشعر بشيء من المسئولية عند فهمه للطريقة السلفية، فينبه طلابه على أن ما يدرسونه يجب أن يكون للنجاح في الامتحان، وليس للاعتقاد والإيمان، الذي يقابل به رب العزة والجلال يوم القيامة.

وقد رأيت ذلك بعيني في بعض الملخصات الخارجية التي تباع للطلاب، مما أثلج صدري، وأثار في نفسي العجب والاستغراب، ومن هنا كانت أهمية التعرف على التوحيد وتصنيفاته عند الأشعرية، والرد عليهم من باب النصيحة لإخواننا من جهة، وتحصين طلاب العلم من جهة أخرى.

لقد اعتمد السلف الصالح في اعتقادهم على الاستسلام لأمر الله وتنفيذه على وجه الكمال، والتصديق بخبره وإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فالله ﷻ أعلم بنفسه ووصفه منا، ونحن ما رأيناه، وما رأينا له مثيلا فكيف نحكم على كيفيته بعقولنا القاصرة؟

وليس هناك من خيار أمام من يدافع بإصرار عن استخدام عقله في وصف ربه إلا أن يقع في المحذور، ويستخدم أقيسة التمثيل والشمول، فيقول: لو كان الله كذا، لكان كذا، ويجب عليه كذا، لأجل كذا، ولو قلنا في وصفه بكذا، لكان كذا وكذا، وهو في حقيقة مبدئه يعتبر ربه فردا من أفراد ذلك القياس، ينطبق عليه ما ينطبق على سائر الناس. ولذلك كان مذهب السلف في التوحيد مذهبا حاسما، قطع الطريق على هؤلاء بمنع الأقيسة العقلية المبنية على اجتهادات فكرية في التعرف على الغيبيات، أو كيفية الذات والصفات، سواء كانت أقيسة تمثيلية أو شمولية.

لكن إصرار الأشعرية على استخدام حصيلتهم العقلية، والتي جمعوها من أفكار فلسفية كلامية يونانية وثنية في وصف الله ﷻ، وزعمهم أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أداهم إلى أن يصنفوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع أساسية، فقالوا: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له. وقد تقدم ما ذكره الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ) في وصف الأشعرية

بأنهم أهل السنة والجماعة، وأن التوحيد عندهم منقسم إلى تلك الأنواع السابقة.

والسؤال الذي يطرح نفسه على العقلاء: على أي أساس عقلي صنف هؤلاء المتكلمون التوحيد إلى ثلاثة أنواع؟ هل استندوا إلى حكم العقل بأن الله أعلم بنفسه ووصفه منا، فجاء هذا التصنيف مستندا على كتاب ربهم وسنة نبيهم؟ أو أنهم استندوا إلى فهم الصحابة والتابعين وأئمة السنة المقبولين عند جميع المسلمين، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم؟

في الحقيقة لم يستندوا في تصنيفهم للتوحيد لا إلى هذا ولا إلى ذاك، وإنما جعلوا الأمر مشاعا عقليا لكل من يدلي بدلوه في الموضوع، فأشبه الأمر استفتاءا شعبيا، واستبيانا فكريا لسائر العقلاء، كان مضمونه: أيها العقلاء الذين لم تروا ربكم، ولم تروا له مثيلا، خمنوا وبينوا لنا ما يجب في حق الله، وما يجوز له، وما يستحيل عليه، وسنأخذ في النتيجة النهائية برأي الأغلبية، لأننا نعلم أنه من المستحيل اتفاق الكل على استفتاء عادي، فضلا عن استفتاء فكري، ولكن سنعتبر رأي الأغلبية أصولا عقلية، ثم نعتبرها بعد ذلك أصولا لديننا وعقيدتنا. فقبلت مجموعة كبيرة من كبار المتكلمين العقلاء المشاركة في هذا الاستفتاء، ثم خرج بعضهم بنتيجة غريبة، لا يعرف فيها مقياس لفرز الآراء، ولا عدد الذين اتفقوا عليها من ذوي الأصوات العقلية الصحيحة.

المهم أن رأيا عاما ظهر في تلك النتيجة، نسبوه إلى زعيم من الزعماء، هو أبو الحسن الأشعري، وقد ظنوا أنه شارك معهم في هذا الاستفتاء، والواقع أنه لم يكن معهم أصلا عند ظهور تلك الآراء، لكنهم على كل حال توصلوا إلى هذه النتيجة، واعتبروا أنها تمثل الدستور الحق ومعيار الصدق في باب الاعتقاد، وأن من دان بها فهو من أهل السنة والجماعة، أو من أهل الحق والتحقق في الدين الخالص وبلوغ الحقيقة، فكان من بنود هذا الاتفاق تصنيف التوحيد إلى ثلاثة أنواع، بناء على الحيثيات التالية:

النوع الأول: أن الله واحد في ذاته، لا ينقسم، وليس له أجزاء وأبعاض، لأنه إن كان له أجزاء، لم يخل إما أن يكون كل جزء منه حيا عالما قادرا، أو كان بعض الأجزاء مختصا بالحياة والعلم والقدرة، فإن كان كل جزء منه حيا عالما قادرا، كان في ذلك إثبات آلهة متعددة، ويُستدل على بطلانه، وإن كانت الحياة والقدرة والعلم في جزء مخصوص، لم يكن الجزء الثاني حيا عالما قادرا، لاستحالة وجود العلة في محل، وثبوت حكمها في محل آخر [(١)].

النوع الثاني: أن الله واحد في صفاته لا شبيه له، لأنه يخالف الحوادث، والحوادث لا تقوم به، والدليل على استحالة قيام الحوادث بذات الباري تعالى، أنها لو قامت به لم يخل عنها، ومن لم يخل عن

(١) لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة للجويني ص ٩٨ بتصرف.

الحوادث فهو حادث، فالرب متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة، لا تحيط به الأقطار، ويجل عن قبول الحد والمقدار، والدليل على ذلك أن كل مختص بجهة شاغل لها متحيز، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، ويرتب على ذلك تعاليه عن الاختصاص بمكان، وملاقاة أجرام وأجسام [١].

النوع الثالث: أن الله واحد في أفعاله لا شريك له، والدليل على وحدانية الإله، دليل التمانع، وفحواه كما تقدم أننا لو قدرنا إلهين اثنين، وفرضنا عرضين ضدين، وقدرنا إرادة أحدهما لأحد الضدين، وإرادة الثاني للثاني، فلا يخلو من أمور ثلاثة، إما أن تنفذ إرادتهما، أو لا تنفذ إرادتهما، أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر، والنتيجة النهائية تنفيذ إرادة واحد فقط، هو الإله القادر على تحصيل ما يشاء.

كما ظهرت ضمن هذا الاستفتاء الكلامي العقلي بنود أخرى كثيرة، تضاف إلى تقسيم التوحيد عند الأشعرية منها:

١- أن أول ما يجب على المكلف القصد إلى النظر الصحيح المؤدي إلى العلم بحدوث العالم، وإثبات العلم بالصانع، والدليل عليه إجماع العقلاء على وجوب معرفة الله تعالى، وعلمنا عقلا أنه لا يُعلم حدوث العالم ولا الصانع إلا بالنظر والتأمل، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب [٢].

---

(١) السابق ص ١٠٦.

(٢) الغنية في أصول الدين ص٥٥.

٢- يجب في حق الله القدم، والبقاء، والقيام بالنفس، والوحدانية، ونفي التركيب وحلول الحوادث، وهي خمس صفات سلبية. وله سبع صفات نفسية فهو بذاته مريد بإرادة، عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه كلها معان وجودية أزلية. وقد ثبتت له هذه المعاني عندهم بناء على ما جاء في النتائج العقلية التي اختارها أغلب المتكلمين. ودليلهم العقلي فيها أن الفعل الحادث يدل على القدرة، والتخصيص يدل على الإرادة، والإتقان يدل على العلم، وهذه الثلاثة لا تكون إلا في حي، والحي لابد أن يكون سميعا بصيرا متكلما [١].

٣- النصوص الخبرية الواردة في الآيات القرآنية وصحيح الأحاديث النبوية التي وردت في صفات الله، هي عندهم موهمة للتشبيه والجسمية، وظاهرها أمور كفرية باطلة ومستحيلة وغير مراد لله في كلامه، والواجب عندهم إما أن تؤول، وإما أنها من أخبار الآحاد التي لا تفيد اليقين في أمور الاعتقاد [٢].

تلك أغلب الآراء التي نتجت عن ذلك الاستفتاء من قبل عقلاء المتكلمين من الأشعرية وغيرهم. وقد اعتبروها أصول الدين،

---

(١) انظر بتصرف رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص١٧ وما بعدها، وكتاب أصول الدين ص٦٣، لجمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد تحقيق عمر وفيق الداعوق، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت سنة ١٩٩٨.

(٢) انظر بتصرف المختار من شرح البيجوري علي جوهرة التوحيد ص ١٠٩.

والقواطع العقلية، والفيصل المبين في النظر إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافق تلك الأصول من النصوص والآيات فهو دليل ثانوي لهم، يقدمونه فقط عند الكتابة في المؤلفات، أو عند المحاجة في المخاصمات والمناظرات، حتى يشعر المخاطب أنهم يعتمدون على نصوص الوحي في إثبات الصفات والاعتقاد في الغيبيات، وما خالف أصولهم وتقسيمهم للتوحيد، فينبغي التعامل معها بأي وسيلة، وأن يبذل لها المرء كل حيلة، بادعاء مجاز أو تأويل، أو تهوين وتعطيل، أو تقبيحها في نفس السامع حتى تبدو ضربا المستحيل، المهم عندهم أن يقر بأن ظاهرها الذي ورد في التنزيل ظاهر باطل ومستحيل، ويجب صرفه إلى شيء آخر.

- **مناقشة الأشعرية في تصنيفهم التوحيد وبيان بطلانه.**

قول الأشعرية في التوحيد: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له. فيه ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيه ما يخالفه، وليس الحق الذي فيه هو الغاية التي جاء بها الرسول ﷺ. بل التوحيد الذي أُمِرَ به يتضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة أخرى، فهذا الكلام ضرب من التلبيس الذي اختلط فيه الحق بالباطل؛ لأن الإنسان لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحدا، بل ولا مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، ويقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة

الله وحده لا شريك له، فإنهم إذا قالوا الله واحد في ذاته لا قسيم له ولا جزء له ولا شبيه له، فهذا اللفظ وإن كانت نيتهم تحمل معنى صحيحا، فإن الله ليس كمثله شيء في ذاته أو صفاته أو أفعاله، وهو سبحانه منزه عن تفرق ذاته أو فسادها، أو تحولها إلى ذات أخرى، بل هو واحد أحد وتر صمد.

والصمد هو الذي لا جوف له، وهو السيد الذي كمل سؤدده، لكنهم يدرجون تحت هذا التوحيد المزعوم، وتحت شعار أنه لا ينقسم نفي علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، الذي أخبر به عن نفسه، ومباينته لمصنوعاته، ونفي ما ينفونه من صفاته، ويقولون إن إثبات ذلك يقتضي أن يكون مركبا منقسما مشابها للحوادث [1].

قال فخر الدين الرازي وهو من أعمدة المذهب الأشعري في نفي علو الله على خلقه، وتعطيل استوائه على عرشه: (لو كان الله مختصا بالمكان، لكان الجانب الذي في يمينه، يلي ما على يساره، فيكون مركبا منقسما، فلا يكون أحدا في الحقيقة، فيبطل قوله: قل هو الله أحد) [2].

وهم لما نفوا الاستواء وعطلوا علو الفوقية بهذه الحجج العقلية، ساءت حجتهم عند عامة المسلمين، فالله ﷻ يقول صراحة هو على

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/٢٢٥ وما بعدها بتصرف.

(٢) انظر أساس التقديس الفخر الرازي ص ٢٠٣.

العرش، وهم يقولون صراحة ليس على العرش، فما المخرج من هذه الورطة التي وضعوا أنفسهم فيها؟

والجواب في قول أحدهم: (لو سئلنا عن قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥؟ لقلنا المراد بالاستواء القهر والغلبة والعلو، ومنه قول العرب استوى فلان على المملكة، أي استعلى عليها واطردت له، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق : من غير سيف ودم مهراق) [(١)].

والعجب كل العجب أن قوة احتجاج الأشعرية بهذا البيت على نفي الاستواء أقوى من قوة الاحتجاج بكلام الله على إثباته. مع أن الأخطل النصراني الذي يعتقد الانقسام والتثليث في الذات الإلهية، هو القائل في شعره مستهزئا بالصلاة والصيام والأضاحي:

ولست بصائم رمضان يوما : ولست بآكل لحم الأضاحي

ولست بزائر بيتا بعيدا : بمكة ابتغي فيه صلاحي

ولست بقائم كالعير أدعو : قبيل الصبح حي على الفلاح [(٢)].

---

(١) انظر لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة ص ١٠٨ بتصرف.

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٣٢/١) ، نشر دار صادر بيروت. والبداية والنهاية لابن كثير (٢٦٣/٩) نشر مكتبة المعارف بيروت. والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي ٣٦/٧، تحقيق محمد ومصطفي عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٢هـ.

وتأويل الاستواء بالاستيلاء تحريف للكلم عن مواضعه في ثوب التأويل، فالتأويل يُقبل إن كان بدليل صحيح، لكن العرب لا تعرف أبدا استوى بمعنى استولى، بل إن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب.

قال الحافظ ابن كثير في التعقيب علي هذا البيت: (هذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل علي ذلك، ولا أراد الله ﷻ باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، ولا نجد أضعف من حجج الجهمية حتى أداهم الإفلاس من الحجج إلي بيت هذا النصراني المقبوح) [(١)].

وقال أبو سليمان الخطابي وهو من أئمة اللغة المعروفين بتحقيق مصادرها، وأصول الاحتجاج بها: (وزعم بعضهم أن الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء، ونزع فيه إلى بيت مجهول لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج بقوله، ولو كان الاستواء ها هنا بمعنى الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة؛ لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكل شيء وكل بقعة من السماوات والأرضين وتحت العرش، فما معنى تخصيصه العرش بالذكر؟! ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشيء، فإذا وقع الظفر به قيل استولى عليه، فأي منع كان هناك

---

(١) انظر البداية والنهاية ٩/٢٩٥.

حتى يوصف بالاستيلاء بعده!) [(١)].

ومن ثم فإن تصنيف التوحيد عند الأشعرية على معنى أن الله ﷻ واحد لا ينقسم، وأن الواحد هو المجرد عن الصفات تحميل للفظ الواحد ما لا يحتمل، وهو ضرب من التحريف. ومعلوم أن كل تأويل لا يحتمله اللفظ في أصل وضعه، وكما جرت به عادة الخطاب بين العرب، هو نوع من التزوير والتدليس، والخلط والتلبيس الذي يضيع ثوابت القول وقواعد الكلم، فأهل العلم يعلمون أن إثبات الاستواء والنزول والوجه واليد والقبض والبسط وسائر صفات الذات والفعل، لا يسمى في لغة العرب التي نزل بها القرآن تركيبا، ولا انقساما، ولا تمثيلا.

وكان أولى بالصحابة والتابعين، وهم أئمة اللغة، وأسياد الفهم، أن يعترض واحد منهم على الأقل ويقول: كيف نؤمن بهذه الصفات التي تدل على التركيب والانقسام في الذات الإلهية؟ ولكن الصحابة والتابعين لم يأت إلى أذهانهم شيء من أصول الكلام عند الأشعرية.

كما أن الكلام في المصطلحات التي أحدثوها كالجسم، والعرض، والجوهر، والمتحيز، وحلول الحوادث، وأمثال ذلك، معاونة على نشر البدع، لأن هذه الألفاظ المبتدعة يدخلون في مسماها الذي ينفونه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية ٢/٤٣٨، نشر مطبعة الحكومة، مكة المكرمة سنة١٣٩٢هـ. وانظر مختصر الصواعق المرسلة علي الجهمية والمعطلة١/٣٧ وما بعدها، حيث فند العلامة ابن القيم ادعاء الأشعرية بأن الاستواء بمعنى الاستيلاء من اثنين وأربعين وجها، وبين ضلال من اعتقد ذلك.

أمورا مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، فيقولون: إن الله لا يتكلم بصوت يسمع، وإلا كان محلا للحوادث، فكلامه عندهم معنى واحد، وإشارات مجملة، يفهمها جبريل عليه السلام بلغة الإشارة، ثم يعبر عنها بلغة كل رسول، فإذا عبر عنها بالعربية كان الكلام قرآنا، وإن عبر عنها بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنها بالسريانية كان إنجيلا. وهم في الحقيقة يفرون على ظنهم من تشبيه الله بالمتكلم السوي إلى تشبيه بالأخرس العاجز، فينسب الكمال في القول إلى جبريل عليه السلام، ويسلبه عن رب جبريل.

وبهذه المصطلحات أيضا نفت المعتزلة رؤية الله في الآخرة؛ لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون إلا لجسم متحيز في جهة، ثم يقولون: والله منزه عن ذلك، فلا تجوز رؤيته، وقالت الأشعرية قولا أعجب وأغرب من قول المعتزلة في النفي، فقالوا: يُرى لا في جهة، لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره، ولا فوقه، ولا تحته. ولا يدري عاقل كيف يلج مثل هذا الكلام إلى أم رأسه؟!

وهذه الألفاظ المجملة التي ابتدعوها وأحدثوها كالجسم، والعرض، والجوهر، والمتحيز، وحلول الحوادث، وأمثال ذلك، ينبغي للمسلم العاقل أن يفصل فيها ويقول: ماذا تريدون بتلك الألفاظ؟ فإن فسروها بالمعنى الذي يوافق القرآن والسنة فنحن مع القرآن والسنة، وإن فسروها بخلاف ذلك ردت، أو يمتنع عن موافقتهم في التكلم بهذه الألفاظ نفيا وإثباتا. ولا عليه إن امتنع عن التكلم بها معهم

القرآن والسنة ونسبوه إلى العجز والانقطاع، لأنه إن تكلم بها معهم دون تفصيل نسبوه إلى أنه أطلق تلك الألفاظ التي تحتمل حقا وباطلا، وأوهموا الجهال بموافقته لهم على اصطلاحاتهم، وحينئذ تتخلف المصلحة في بيان الحق [1].

قال ابن أبي العز الحنفي: (والسلف لم يكرهوا التكلم بالجوهر والجسم والعرض ونحو ذلك لمجرد كونه اصطلاحا جديدا على معان صحيحة، كالاصطلاح على ألفاظ العلوم الصحيحة، ولا كرهوا أيضا الدلالة على الحق، والمحاجة لأهل الباطل، بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها الكتاب والسنة، ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين، فضلا عن علمائهم. ولاشتمال مقدماتهم على الحق والباطل، كثر المراء والجدال، وانتشر القيل والقال، وتولد لهم عنها من الأقوال المخالفة للشرع الصحيح والعقل الصريح، ما يضيق عنه المجال) [2].

- **أبو الحسن الأشعري سلفي المعتقد مخالف للأشعرية.**

وها هنا حقيقة هامة ربما تخفى على كثير من الدارسين للمذهب الأشعري، تلك الحقيقة التي نستطيع الجزم بها، أن أبا الحسن الأشعري الذي ينتسب إليه جميع الأشعرية في البلاد الإسلامية اليوم، يدين لله في

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/٢٣٢ بتصرف.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٧٤.

أغلب أمور العقيدة بغير ما يدين به هؤلاء، فطريقته في التوحيد طريقة سلفية تنطق بما نطقت به الأصول القرآنية والنبوية.

وهذا كتابه الإبانة عن أصول الديانة، وهو من أواخر ما كتب في بيان عقيدته، ولا يجرؤ أحد من الأشعرية التشكيك في نسبته، لتواتر تلك النسبة إليه عند كل من ترجم لشخصيته، وقد جاء فيه بلا لبس أو غموض، أو تعصب أو جمود، جاء فيه التصريح بأن عقيدته التي يدين لله بها هي بذاتها وعينها ونفسها عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وقد أثبت فيها علو الله على خلقه، واستوائه بذاته على عرشه، وأنه تعالى في السماء، وأثبت جميع ما ورد في صفات الذات والأفعال على عكس طريقة الأشعرية في عصرنا، المنتهجين لطريقة الجهمية والمعطلة.

قال رحمه الله: (فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة، فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا ﷻ، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام

مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم) [(١)].

ثم سرد عقيدته التي يدين بها، وقد جاء فيها أن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك، قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد [(٢)].

وقال رحمه الله عن عقيدته في الاستواء وعلو الله على خلقه: (إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وقد قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ فاطر:١٠، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ النساء:١٥٨، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ السجدة:٥. وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ الملك:١٦، فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص١٩.

(٢) السابق ص٢١.

والعرش أعلى السماوات.

وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ نوح:١٦. ولم يرد أن القمر يملؤهن جميعا، وأنه فيهن جميعا. ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله ﷻ على العرش، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطّونها إذا دعوا إلى الأرض) (١).

ثم أبطل رحمه الله قول القائلين من الجهمية وأتباعهم بأن معنى استوى استولى، وأبطل تأويلهم معنى الاستواء بالقدرة، وأنه ملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وشنع على جحدوهم أن يكون الله ﷻ مستويا على عرشه بالكيفية الحقيقية التي يعلمها هو، كما قال أهل الحق، ثم فند أقوالهم، وكشف عورتهم، وأبان للجميع سوأتهم.

كما أنه أثبت من الصفات الخبرية ما يعتبره الأشعرية من بعده حتى اليوم تشبيها وتجسيما، وظاهرا باطلا مستحيلا، يجب صرفه عندهم بالتأويل إلزاما، فأثبت لله وجها بلا كيف، ويدين بلا كيف، وعينين بلا كيف، وغير ذلك من الصفات الخبرية على اصطلاح الأشعرية (٢).

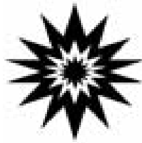
---

(١) السابق ٢٢.

(٢) السابق ص١٢٥.

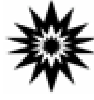
وهو يعني بوضوح شديد أن إثبات الوجه بلا كيف، واليدين بلا كيف، والعينين بلا كيف، هو إثبات حقيقة الصفة الذاتية لله، وأن المراد بقوله: "بلا كيف" هو ما يعنيه الإمام أحمد بن حنبل من نفي العلم بكيفية الصفة الذاتية الحقيقية الملازمة للموصوف، لا أنه يعني بقوله: "بلا كييف" نفي وجود الصفة، كما حاول بعضهم أن يشيع ذلك عن علماء السلف، وحاول أن يجعل نفي الكيفية نفيا لإثبات وجود الصفة، وهذا كذب على علماء السلف؛ لأنه لا خلاف بينهم أن الكيفية الغيبية كيفية حقيقية موجودة، وهي كيفية معلومة لربنا، مجهولة لنا، وأن الله سبحانه هو وحده الذي يعلم كيفية وجهه ويديه وعينيه، فهذا مراد أبي الحسن الأشعري من قوله: وجه ويد وعين "بلا كييف" .

فأين هذا ممن يوجب تأويل الصفات بحجة أنها موهمة للتشبيه والجسمية، ويوجب تأويلها بأي صورة مجازية، أو يُسأل عن الاستواء ويصر على أن معناه استيلاء وقهر، وأنه سبحانه في كل مكان، وليس على عرشه كما ورد في الكتاب والسنة؟!



المطلب الثامن

أنواع الدلالات وتعلقها بالأسماء والصفات



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

ففد تحدثنا في محاور المطلب السابق عن العلة في تصنيف التوحيد إلى نوعين عند السلف، وبينا أنه صُنف إلى نوعين استنادا إلى معنى الإسلام والإيمان، ولتمييزه عن التوحيد المبتدع عند المعتزلة، ولدلالة النصوص جملة وتفصيلا على هذين النوعين، وكذلك صنف التوحيد إلى نوعين باعتبار تصديق الخبر، وتنفيذ الطلب، وباعتبار استخلاف الإنسان في الأرض.

وتناول الحديث أيضا العلة في تصنيف التوحيد إلى ثلاثة أنواع عند المتبعين لنهج السلف، وبينا أن تصنيف التوحيد إلى ثلاثة أنواع عند الأشعرية تصنيف محدث، لا يقوم على كتاب أو سنة، وإنما يقوم على النظر العقلي في التعرف على الغيبيات، ومعارضة العقل ما جاء في النقل من السمعيات، واعتبارها ما ثبت من الصفات من الظواهر المستحيلة التي يوجبون على أتباعهم فيها كل أنواع التأويلات والمجازات، ولو كانت مستكرهة قبيحة.

وفي هذا المطلب بإذن الله نتناول الحديث عن أنواع الدلالات

وتعلقها بالأسماء والصفات، وفهم دلالة الألفاظ على معانيها، مطابقة وتضمنا والتزاما، لما لها من أهمية في فهم عقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **دلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على ما عناه المتكلم.**

الدلالة المقصودة هنا هي الدلالة اللفظية الوضعية، وهي فهم المعنى عند إطلاق اللفظ، أو هي العلم بالمعنى المقصود، أو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام عند صدوره من المتكلم[١].

وتنقسم هذه الدلالة عند العلماء إلى ثلاثة أقسام كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: (الماهية التي يعنيها المتكلم بلفظه، دلالة لفظه عليها دلالة مطابقة، ودلالته على ما دخل فيها دلالة تضمن، ودلالته على ما يلزمها وهو خارج عنها دلالة الالتزام)[٢]. وبيان تلك الدلالات مفصلة على النحو التالي:

١- دلالة المطابقة: وهي دلالة اللفظ على ما عناه المتكلم ووضعه له، أو هي دلالة اللفظ على الحقيقة والمعنى المقصود، مثل دلالة لفظ البيت على مجموع الجدران والسقف والأبواب والنوافذ [٣].

من المعلوم أن الألفاظ، أو الأسماء تطلق على الأشياء لتتميز بها عن

---

(١) تحرير القواعد المنطقية لقطب الدين محمود الرازي ص٢٩ بتصرف.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٥٣/٥.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١٢/١٠، وانظر الصفدية ١٥٤/٢.

غيرها، وكل اسم أو لفظ في أي لغة، وعلى أي لسان، ينطبق في دلالته بين العقلاء على شيء متعارف عليه، سواء بالوضع اللغوي، أو لغة التخاطب التي فُطرت عليها الإنسانية، أو الوضع الشرعي، المرتبط بسائر الشرائع الدينية، كلفظ الصلاة، والزكاة، والصيام، والركوع، والسجود في الإسلام، أو الوضع العرفي الذي يصطلح عليه أهل بلد ما، أو قرية، أو قبيلة، أو الوضع الاصطلاحي الذي يتعارف عليه أهل علم من العلوم؛ فالألفاظ المنطوقة، أو المكتوبة، لها مدلولات معينة يعيها القلب ويدرك معناها، ولها في الواقع مدلولات من قبل المتكلم.

قال ابن تيمية رحمه الله: (والمعنى المدلول عليه باللفظ، لا بد أن يكون مطابقا للفظ؛ فتكون دلالة اللفظ عليه بالمطابقة.. وليست دلالة المطابقة دلالة اللفظ على ما وضع له، كما يظنه بعض الناس.. بل يجب الفرق بين ما وضع له اللفظ، وبين ما عناه المتكلم باللفظ، وبين ما يحمل المستمع عليه اللفظ، فالمتكلم إذا استعمل اللفظ في معنى، فذلك المعنى هو الذي عناه باللفظ. وسمي معنى لأنه عني به، أي قصد وأريد بذلك، فهو مراد المتكلم ومقصوده بلفظه.. وكل لفظ استعمل في معنى فدلالته عليه مطابقة؛ لأن اللفظ طابق المعنى بأي لغة كان، سواء سمي ذلك حقيقة أو مجازا) (١).

ومن أمثلة دلالة المطابقة، دلالة لفظ المسجد على مسماه في أي وضع شرعي، أو عرفي، أو اصطلاحي، إذ يدل في الوضع الشرعي على

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/٤٥٢.

شيء معين، جعل للصلاة والجماعة والجمع، فلو قال أحدهم لأخيه: انتظرني في المسجد؛ فإنه لا ينتظره في السوق؛ لعلمه أن المسجد لفظ يدل على مكان معلوم، جعل للصلاة والعبادة، وأن لفظ السوق يدل على مكان آخر، وضع للبيع والشراء.

وأيضا لو قال المشتري للبائع: أعطني تفاحا، فإن البائع يعطيه شيئا معينا، أو فاكهة معلومة يطلق عليها هذا اللفظ. وليس إذا قال له: أعطني تفاحا أعطاه عنبا أو برتقالا، أو جزرا أو خيارا؛ لأن الله ﷻ فطر العقلاء على أن يتعلموا الأسماء، وما تنطبق عليه من مدلولات في واقعهم، فالمشتري والبائع يعلمان أن لفظ التفاح يدل على شيء معين غير الذي يدل عليه لفظ البرتقال، لكن لو قلت للبائع: أعطني خيارا فأعطاك برتقالا، فذلك إما لأنه لم يسمع، فيعاد اللفظ؛ أو لأنه لم يعقل، ومثل هذا لا يعد من العقلاء، ولا يصلح للبيع والشراء.

وإذا قيل: محمد رسول الله ﷺ؛ فإن المسلم يعلم أن ذلك ينطبق على خاتم الأنبياء، ولا ينصرف ذهنه إلى عيسى عليه السلام، أو موسى عليه السلام أو غيرهما من الأنبياء،؛ لأن كل لفظ أو اسم، ينطبق على شيء معين دون غيره، وإذا قيل: الخالق هو الله ﷻ، فإن الذهن يفهم من دلالة الاسم أنه ينطبق على ذات الله تعالى المتصفة بصفة الخلق، ولا ينصرف إلى ذات أخرى إلا عند من فسدت فطرتهم، ونسبوا الخالقية لغيره.

كما أن الذهن لا ينصرف أيضا عند النطق بلفظ الخالق إلى صفة أخرى غير صفة الخلق، لأن اسم الله الخالق يدل بالمطابقة على ذات الله

وصفة الخلق معا، فلا ينصرف إلى صفة الرزق، أو القوة، أو العزة، أو الحكمة، أو غير ذلك من الصفات؛ لأن صفة الخلق تدل على شيء غير الذي تدل عليه صفة الرزق، وصفة القوة يفهم منها شيء غير الذي يفهم من صفة العزة، أو صفة الحكمة، إلا عند من فسد إدراكهم في فهم دلالة اللفظ على معناه، وقالوا بأن أسماء الله الحسنى التي تعرف الله بها إلى عباده في الكتاب والسنة، لا تدل بالمطابقة إلا على ذات الله فقط، ولا تدل على شيء من الصفات البتة، فعندهم اسم الله السميع يدل على ذات الله فقط، ولا معنى لاسمه السميع، بل معنى السميع عندهم هو معنى الملك الخلاق، القدير الرزاق إلى غير ذلك من أسماء الله الحسنى التي أمر عباده بأن يدعوه بها.

والله ﷻ لما علم آدم عليه السلام الأسماء كلها كما قال سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة:٣١، علمه إمكانية وضع الأسماء كألفاظ تدل بالمطابقة على تمييز الأشياء، والعلم بخصائصها، والتعرف على حقائقها، ذاتا وصفة، مطابقة وتضمنا والتزاما، وليس الذي تعلمه آدم عليه السلام كما يفهم البعض، هو مجرد ألفاظ، أو كلمات يستعملها هو وأبناؤه.

بل إنه تعلم الشيء واسمه وخاصيته، وأنواع دلالاته مطابقة وتضمنا والتزاما، فالذي عرضه الله سبحانه على الملائكة أعيان الأشياء بذواتها وصفاتها، وليست معان أو كلمات لا مدلول لها ولا حقيقة، وإنما علم الله آدم عليه السلام الشيء المادي المحسوس، الذي يمكن أن يحمل الاسم المعين، وكذلك تأثير كل شيء في غيره، وما ينشأ عن ذلك من المعاني والعلوم،

وهذا واضح بيِّن، بدليل أن الله جل شأنه قال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٣١.

قال ابن القيم: (فكانت حكمة ذلك التعليم، تعريف مراد المتكلم، فلو لم يحصل له المعرفة، كان في ذلك إبطال لحكمة الله، وإفساد لمصالح بني آدم، وسلب الإنسان خاصيته التي ميزه بها على سائر الحيوان) [١].

ودلالة المطابقة هي الدلالة الأصلية في الألفاظ التي وضعت لمعانيها، وهي تكشف عن نية القائل بمجرد صدور اللفظ؛ فلا يستفصل فيها عن مراده، وسميت بالمطابقة لمطابقة المعنى للفظ وموافقته، كقولهم: طابق النعل النعل إذا توافقا، والمراد من تطابق اللفظ والمعنى، هو عدم زيادة اللفظ على المعنى، أو قصوره عنه [٢].

- **دلالة التضمن هي دلالة اللفظ على بعض ما عناه المتكلم.**

٢- دلالة التضمن: وهي دلالة اللفظ على بعض المعنى المقصود من قبل المتكلم، أو هي دلالة اللفظ الموضوعة من قبل المتكلم على جزء المعنى المقصود، أو هي دلالة اللفظ الوضعية على جزء مسماه [٣].

كدلالة لفظ الشجرة على الأوراق؛ فإن الشجرة تضمنت الأوراق وغيرها، فالذهن يتصور الأوراق وبقية الأجزاء مباشرة عند النطق

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/٦٤٣.

(٢) انظر بتصرف البحر المحيط للزركشي ٢/٢٧٢.

(٣) انظر الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٦.

بلفظ الشجرة، فيتصور بدلالة التضمن فروعها، وخشبها، وثمارها، وجميع ما حوت من أجزاء.

ومثال ذلك أيضا دلالة لفظ المدرسة على الفصول والتلاميذ والمدرسين؛ فإن الذهن يتصور مباشرة أن لفظ المدرسة ينطبق على عدة أشياء يطلق عليها مجتمعه هذا اللفظ.

وكذلك أيضا دلالة لفظ الصلاة في الاصطلاح الشرعي على الوقوف والركوع والسجود والجلوس بهيئة مخصوصة، وغير ذلك من الحركات والسكنات التي تضمنتها الصلاة؛ فلفظ الصلاة يدل على كل جزء من أجزائها بالتضمن.

وسميت دلالة التضمن بذلك لكون الجزء ضمن المعنى الموضوع له، وعليه فإن دلالة المطابقة تشمل عموم ما دل عليه اللفظ، ودلالة التضمن موضوعة لخصوصه(١).

أما بالنسبة لأسماء الله تعالى، فكل اسم يدل على الذات وحدها بالتضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن؛ فاسم الله العزيز يدل على صفة العزة وحدها بالتضمن، كما يدل أيضا على ذات الله وحدها بالتضمن، ويدل على ذات الله وعلى صفة العزة معا بالمطابقة.

قال ابن القيم: (الاسم من أسمائه له دلالات، دلالة على الذات

---

(١) انظر في بيان المزيد حول دلالة التضمن: المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم للدكتور عوض الله جاد حجازي ص٤٧.

والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن) [١].

• **دلالة اللزوم هي دلالة الشيء على سببه.**

٣- دلالة اللزوم: وهي دلالة الشيء على سببه، أو هي دلالة اللفظ على معنى يخرج عن دلالة المطابقة والتضمن، وهو لازم لوجوده لزوماً عقليا يتصوره الذهن عند ذكر اللفظ، وسمي لازما لارتباطه بمدلول اللفظ، وامتناع انفكاكه عنه [٢].

ومثال ذلك: دلالة الشيء على سبب وجوده، كدلالة البعرة على البعير، والأثر على المسير، وكدلالة الحمل على الزواج أو الزنا، إلا في بعض الخوارق الاستثنائية.

ولذلك لما جاء الملك إلى مريم وأعلمها أنها ستحمل وتلد، أخبرته أن الولد لا يكون إلا من طريق مشروع أو ممنوع بدلالة اللزوم، ولم يحدث أنها تزوجت، أو وقع منها الاحتمال الثاني، فهذا ليس شأنها، فأخبرها أن هذا خارج عن اللوازم العقلية، أو استثناء من دلالة اللزوم.

وقد بين القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ مريم:١٩/٢١.

---

(١) بدائع الفوائد ص١٧٠.

(٢) انظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٦١٥ بتصرف.

ومن ثم فإن دلالة اللزوم مبنية على فهم العقل لترابط الأسباب، بحيث ترتبط العلة بمعلولها، والنتيجة بسببها، فدلالة السقف على الأعمدة دلالة لزوم؛ لأن العاقل يعلم أن السقف لا يوجد إلا بعد وجود الحائط أو الأعمدة، فالذهن لا يتصور السقف إلا مرفوعا على شيء، فلفظ السقف دلنا على الأعمدة باللزوم، مع ملاحظة أن الأعمدة ليست مما دل عليه لفظ السقف بالمطابقة أو بالتضمن، فدلالة اللزوم من الدلالات العقلية والقواعد الشمولية التي تصح بها لغة التخاطب بين الإنسانية، وتسلم من خلالها طرق الاستدلال على توحيد الربوبية؛ فالذي يعلم بدلالة اللزوم أن السقف يلزمه أعمدة، يوقن عند ذلك بقدرة الخالق، وأنه ليس كمثله شيء عندما يقرأ قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ الرعد:٢.

والله ﷻ كثيرا ما يدعو العقلاء للنظر إلى ما في الكون من آيات تدل على عظمة أوصافه، وكمال أفعاله بدلالة اللزوم .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ آل عمران:١٩٠.

- **دلالة الالتزام هي دلالة الشيء على نتيجته.**

إذا كانت دلالة اللزوم هي دلالة الشيء على سببه، فإن دلالة الشيء على نتيجته، وتوقع حدوثه تسمى دلالة التزام، كدلالة الغيوم على اقتراب المطر، وكدلالة الفعل على رد الفعل، فلكل فعل رد فعل

بدلالة الالتزام، وكل رد فعل ناشئ عن فعل باللزوم، ودلالة الالتزام من إضافة المسَبِّب إلى السبب [١].

وكما أن الأسماء الحسنى تدل على الصفات بالمطابقة والتضمن فإنها أيضا تدل على الصفات بدلالة اللزوم، كدلالة اسم الله الخالق على صفة العلم والقدرة؛ فاسم الله الخالق يدل على ذات الله وصفة الخالقية بالمطابقة، ويدل على أحدهما بالتضمن، ويدل على العلم والقدرة باللزوم؛ لأن العاجز أو الجاهل لا يخلق.

ولذلك لما ذكر الله خلق السماوات والأرض، عقب بذكر ما دل عليه وصف الخلق باللزوم، فذكر صفتي القدرة والعلم، فالذي يصنع مثل هذا العالم لا بد أن يكون عليما قديرا. قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ الطلاق:١٢.

ولذلك ذكر الله بطلان إلوهية ما سواه بدلالة اللزوم في مواضع كثيرة، وأن عجز تلك الآلهة عن الخلق والتدبير لازمه عجز ذاتي في أوصافهم، ودليل ظاهر على افتقارهم واحتياجهم.

قال الله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟

---

(١) انظر بتصرف حاشية الصبان على شرح الملوي ص ٥٣.

دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر:١٣/١٤.

والشاهد هنا أن تلك الآلهة المزعومة إن كانت لا تملك من قطمير فكيف لها أن تغني فقير؟ أو تستجيب لصاحب الحاجة إذا التجأ إليها وطلب العون والمدد منها، فتحكم بدلالة اللزوم على نقص أوصافهم من خلالها، وأنهم ومن دعاهم في الفقر والحاجة سواء .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الأعراف:١٤٨.

والشاهد بدلالة اللزوم أن عجز العجل عن مخاطبتهم، دليل على عجزه عن هدايتهم وتلبية احتياجاتهم وقت الشدة وغيرها، فكيف يكون إلها يعبد من دون الله؟

وقس على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ الحج:٧٣/٧٤.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ يونس: ٣٤/٣٥.

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ النحل: ٢٠/٢١.

قال النسفي: (نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين، وأحياء لا يموتون، وعالمين بوقت البعث، وأثبت لهم صفات الخلق، بأنهم مخلوقون، أموات جاهلون بالبعث، ومعنى أموات غير أحياء، أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة، لكانوا أحياء غير أموات، أي غير جائز عليها الموت، وأمرهم بالعكس من ذلك) [١].

ومن وفقه الله لفهم دلالة اللزوم المتعلقة بالأقوال والأفعال، كانت أقواله صادرة عن حكمة، وكانت أفعاله عن روية وفطنة، ووزن جميع أموره بدقة، بحيث يقدر المنفعة والمضرة، ويتخير الأحسن والأفضل على الدوام، فقد وفق إلى خير كثير كما قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ البقرة: ٢٦٩.

وأغلب ما يحل بالإنسان من بلاء وشقاء سببه الغفلة عن لازم قوله وفعله. وقد ثبت عند الإمام البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ العبدَ ليَتكلمُ بالكلمةِ، ما يَتبَينُ فيها، يَزل بها في النار أبعدَ مما بينَ المشرق) [٢].

---

(١) تفسير النسفي ٢/٢٥٣.

(٢) البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان ٥/٢٣٧٧ (٦١١٢).

وعند البخاري في رواية أخرى: (وإن العبدَ ليتكلمَ بالكلمة من سَخَطِ الله، لا يُلقي لهابالاً، يهوي بها في جهنم) [١].

- **هل لازم القول قول يحاسب عليه الإنسان؟**

اختلفوا في لازم القول، هل هو قول يحاسب عليه الإنسان؟ فقال بعضهم: إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله، لزم أن يكون قولاً له محاسبا عليه، لأن ذلك هو الأصل لاسيما، إذا قرب التلازم.

ورد آخرون ذلك، وقالوا هذا مردود بأن الإنسان بشر، وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل، أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه [٢].

وكثير من العامة يغفلون عن لوازم كلامهم، إما لجهلهم، أو سرعة اندفاعهم، أو ما شابه ذلك من تقلب الأحوال، ولو حوسبوا على ذلك، لعجز من يحصي لوازم الأقوال والأفعال.

روي أن أعرابيا خرج إلى الحج مع أصحابه، فلما كان في طريق العودة إلى أهله، لقيه بعض أقربائه؛ فسأله عن أهله ومنزله، فقال: لما خرجت إلى الحج بعد ثلاثة أيام، وقع في بيتك حريق أتى على أهلك ومنزلك، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء وقال: ما أحسن هذا يا رب،

---

(١) الموضع السابق حديث رقم (٦١١٣).

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٢١٧.

تأمرنا بعمارة بيتك، وتخرب علينا بيوتنا [١].

وكذلك خرجت أعرابية إلى الحج، فلما كانت في بعض الطريق عطبت راحلتها، فرفعت يديها إلى السماء وقالت: يا رب أخرجتني من بيتي إلى بيتك، فلا بيتي ولا بيتك [٢]. ومثل هذا الكلام لوازمه كفر، لكن القائل في الغالب غافل عن لازم قوله.

أخذ الحجاج أعرابيا سرق، فأمر بضربه، فلما قرعه السوط قال: يا رب شكرا ،حتى ضرب سبعمائة سوط، فلقيه أشعب فقال له: تدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟ قال: لا، قال: لكثرة شكرك، فإن الله يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم:٧، قال الأعرابي: وهذا في القرآن؟ قال: نعم، فقال: يا رب لا شكرا فلا تزدن، أسأت في شكري فاعف عني، باعد ثواب الشاكرين مني[٣].

وسمع أعرابي إماما يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ البقرة:٢٢١. قرأها بفتح التاء، فقال الأعرابي: ولا إن آمنوا أيضا فقيل له: إنه يلحن، وليس هكذا يقرأ؟ فقال: أخروه قبحه الله، لا تجعلوه إماما، فإنه يحل ما حرم الله [٤].

---

(١) جمهرة خطب العرب ٣/٣٤٠.

(٢) السابق ٣/٣٤٠.

(٣) السابق ٣/٣٨.

(٤) السابق ٣/٣٤٢، وهو يقصد أن اللواط محرم.

قال ابن تيمية: (فخلق كثير من الناس ينفون ألفاظا أو يثبتونها، بل ينفون معاني أو يثبتونها، ويكون ذلك مستلزما لأمور هي كفر، وهم لا يعلمون بالملازمة، بل يتناقضون، وما أكثر تناقض الناس، لاسيما في هذا الباب، وليس التناقض كفراً) [١]. ثم فصل المسألة، وبين أن لازم قول الإنسان نوعان:

أحدهما: لازم قوله الحق، فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه، فإن لازم الحق حق، ويجوز أن يضاف إليه إذا علم من حاله أنه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره، وكثير مما يضيفه الناس إلى مذهب الأئمة من هذا الباب.

الثاني: لازم قوله الذي ليس بحق، فهذا لا يجب التزامه، إذ أكثر ما فيه أنه قد تناقض، وقد ثبت أن التناقض واقع من كل عالم غير النبيين، ثم إن عرف من حاله أنه يلتزمه بعد ظهوره له فقد يضاف إليه، وإلا فلا يجوز أن يضاف إليه قول، لو ظهر له فساده لم يلتزمه [٢].

- **اللازم من النقل الصحيح إذا صح أن يكون لازما فهو حق.**

ولما كان قول الله حق، وليس فيه اختلاف ظاهر، أو تناقض مضمر كما قال تعالى عن كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ فصلت: ٤١/٤٢.

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٣٠٦.

(٢) السابق ٢٩/٤٢/والفتاوى الكبرى ٣/٤٢٥.

وكذلك لما كان قول رسول الله ﷺ حق، حيث قال الله تعالى في شأنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم:٣/٤. فإن اللازم من النقل الصحيح، إذا صح أن يكون لازما، فهو نقل صحيح أيضا، أو بعبارة أخرى، إن اللازم من كلام الله ورسوله ﷺ إذا صح أن يكون لازماً فهو حق، وذلك لأن لازم الحق حق، والله ﷻ عالم بما يكون لازما من كلامه وكلام رسوله ﷺ، وأن العقلاء سوف يدركون ذلك بدلالة اللزوم [(١)].

ومن ثم فإن في دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة والتضمن واللزوم، فالاسم يدل على الذات والصفة بدلالة المطابقة، ويدل على ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن، ويدل باللزوم على أوصاف أخرى غير الوصف الذي اشتق منه الاسم، فالرحمن يدل على ذات الله وعلى صفة الرحمة بدلالة المطابقة، ويدل على الذات وحدها بدلالة التضمن، وعلى صفة الرحمة وحدها بالتضمن، ويدل على الحياة والعلم والقدرة التزاما، وهذا ينطبق على جميع الأسماء الحسنى ودلالتها على الصفات [(٢)].

وتجدر الإشارة إلى أن الأسماء الحسنى عند المعتزلة تدل على الذات بالمطابقة فقط، لأنهم ينفون الصفات، فالأسماء عندهم تنعدم فيها دلالة التضمن واللزوم، مع كونها أدلة عقلية صحيحة تؤيد صحيح المنقول،

(١) انظر بتصرف القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص١٤.
(٢) شرح قصيدة ابن القيم ٢/٢٥٠، وبدائع الفوائد ١/١٧٠.

فما أعجب تناقضهم، إذ يدعون تعظيم العقل، ويزعمون أنهم هم أهل التوحيد والعدل، وحقيقة أمرهم أنهم أبعد الناس عن صريح المعقول.

ومن ثم لا بد أن ننبه على خطأ غير مقصود في ذكر دلالة الأسماء على الصفات ذكره الشيخ حافظ حكمي رحمه الله، وتناقله كثير من الدعاة دون تحقق في فهم المسألة حيث قال رحمه الله: (فدلالة اسمه تعالى الرحمن على ذاته ﷻ مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمنا، وعلى الحياة وغيرها التزاما، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى) [١].

وقوله بأن الرحمن يدل على ذات الله بالمطابقة هو في حقيقته مذهب المعتزلة، والصواب أنه يدل على الذات بالتضمن، وعلى صفة الرحمة بالتضمن، وعليهما معا بالمطابقة، والشيخ لا يقصد مذهب المعتزلة؛ لأنه أثبت الصفات وهم ينفونها، فتنبه.

- **دلالة الأسماء الحسنى على العلمية والوصفية.**

تعريف الاسم كاصطلاح يتردد بين علماء العقائد هو ما دل على علم لتمييزه عن غيره، أو اللفظ الدال على المسمى، وهو إما مشتق من السمو، وهو العلو، أو من السمة وهي العلامة، ويقال لصاحبه مسمى، فالاسم يظهر به المسمى ويعلو، فيقال للمُسَمِّى: سَمِّهِ، أي أظهره، وأعلي ذكره بالاسم، والاسم له خصائص منها جواز الإسناد إليه، ودخول حرف التعريف، والجر والتنوين، والإضافة وسوف يأتي تفصيل

---

(١) معارج القبول ١/١١٩.

ذلك إن شاء الله [١].

أما الصفة عندهم فهي ما دل على معنى، أو دلت على شيء يقوم بذات الموصوف، ولا يمكن أن يقوم بنفسه، أو ينفصل عن موصوفه، كالسعادة والقوة والجمال، والعزة والقدرة والكمال، وغير ذلك من صفات الذات والأفعال، فهذه الصفات لا تقوم بنفسها، ولكنها ملازمة للموصوف، وتتبعه في الحكم، فيقال: سعيد متصف بالسعادة، والقوي متصف بالقوة، والجميل متصف بالجمال وهكذا. قال ابن فارس: (الصفة الأمارة اللازمة للشيء) [٢].

وإذا كان الاسم في اللغة هو ما تميز بعلامات الاسمية المعروفة، فإنه أيضا يتناول الصفة والموصوف والفاعل والمفعول والعلة والمعلول وصيغ المبالغة وأفعل التفضيل[٣]، فمثلا قولنا: سعيد سعيد، هذان اسمان من الناحية اللغوية، لكن الأول يراد به العلمية، والثاني يراد به الوصفية إن كان خبرا، ولم يكن اسما لوالد الأول.

وقولنا: سعيد في منتهى السعادة، فالأول والأخير اسمان من الناحية اللغوية، لكن الأول للعلمية، والثاني للوصفية، فالسعادة لا تقوم بنفسها ولابد من قيامها بموصوف، شأنها في ذلك شأن الأسباب في إضافتها لمن قام بها، فكما لا يصح أن نقول ضرب السوط فلانا، ولا قتله

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/١٩٥.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ٥/٤٤٨، والتعريفات ص١٣٣.

(٣) انظر نتائج الفكر للسهيلي ص٦٣.

السيف، بل السوط والسيف كلاهما اسمان لغويان لا يستقلان بفعل ذاتي، بل يفعل بهما، ويضاف الفعل إلى من فعل بهما، فكذلك لا يصح أن نقول الرحمة استوت على العرش، أو العزة والقدرة نصرت المؤمنين وهزمت الكافرين، بل يقال: الرحمن على العرش استوى، أو الرحمن علم القرآن، والعزيز القدير نصر المؤمنين وهزم الكافرين، فالصفة تقوم بموصوفها ولا يمكن أن تقوم بنفسها.

كما أن الأسماء البشرية يراد بها في الأصل العلمية مع الرغبة في وجود الوصفية، وقياس ذلك على أسماء الخالق هو أصل الضلال. ولذلك لما خلط أهل الاعتزال بين الأحكام المتعلقة بعالم الغيب وعالم الشهادة، وشبهوا الخالق بالمخلوق حدث اللبس والغموض في مسألة الاسم والمسمى، هل هو عينه أو غيره؟ وهل الصفات زائدة علي الذات أم لا؟ وغير ذلك من القضايا التي زعموا فيها أن التوحيد هو إثبات الأسماء ونفي الصفات، وقد تخبطوا هم أنفسهم في فهمها، قبل بيانها وشرحها للآخرين.

لكن عقيدة السلف لما كانت مبنية على أن التوحيد هو إفراد الله ﷻ بما ثبت له من الأسماء والصفات، وأن الله متوحد عن الأقيسة التمثيلية، والقواعد الشمولية التي تحكم ذوات المخلوقات؛ فإنهم وفقوا إلى الفهم الصحيح في باب الأسماء والصفات، فعندهم أن الأسماء في حق الله علمية ووصفية معا، علمية من جهة الدلالة على الذات، ووصفية من جهة المعنى الذي تضمنه كل اسم، فاسم الله

القدير، وكذلك العلي الرحمن القوي العزيز الحكيم السميع العليم، وغير ذلك من الأسماء دلت على إثبات صفة القدرة والعلو والرحمة والقوة والعزة والحكمة والسمع والعلم، فهي أعلام لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ الإسراء:١١٠. كلها تدل على ذات واحدة ومسمى واحد، وهي أيضا أوصاف لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ الأعراف:١٨٠.

والله ﷻ ذكر من أسمائه الحسنى الغفور الرحيم، وكلاهما علم على ذاته، كما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ يونس:١٠٧. وقوله أيضا: ﴿۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩﴾ الحجر:٤٩.

وقد بين في موضع آخر أن الاسم يتضمن الوصف، وأن الغفور ذو مغفرة، والرحيم ذو رحمة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾ الرعد:٦. وقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ الكهف:٥٨. ومن أسمائه الحسنى اسمه القوي حيث ورد علما مطلقا على ذات الله فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ هود:٦٦. وفي موضع آخر بين أنه متصف بالقوة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ الذاريات: ٥٨.

ومن ثم فإن الأدلة قاطعة في أن الله سبحانه رحيم برحمة، قوي بقوة، عزيز بعزة، وكذلك أيضا قدير بقدرة حكيم بحكمة، سميع بسمع، عليم بعلم، وغير ذلك من الأسماء ودلالتها على الصفات، ولا يشبه في

وصفه حال المخلوق، كما نقول سعيد بلا سعادة، أو صالح بلا صلاح أو فالح بلا فلاح، أو سعيد وهو حزين كاسم بلا مسمى، أو منصور وهو مهزوم، أو صالح وهو طالح، فالسلف الصالح أثبتوا أسماء الله ﷻ أعلاما وأوصافا بعكس المعتزلة كما تقدم.

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد اختلف النظار في هذه الأسماء، هل هي متباينة نظرا إلى تباين معانيها؟ وأن كل اسم يدل على غير ما يدل عليه الآخر؟ أم هي مترادفة لأنها تدل على ذات واحدة؛ فمدلولها لا تعدد فيه، وهذا شأن المترادفات؟.. والتحقيق أن يقال: هي مترادفة بالنظر إلى الذات، متباينة بالنظر إلى الصفات. وكل اسم منها يدل على الذات الموصوفة بتلك الصفة بالمطابقة، وعلى أحدهما وحده بالتضمن، وعلى الصفة الأخرى بالالتزام) [١].

وقال أيضا: (أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية؛ فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي اسميتُه وصفيتَه، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، ورود الاسم علما، وكذلك فإن الأسماء مشتقة من الصفات، إذ الصفات مصادر الأسماء الحسنى) [٢].

---

(١) جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية ص١٧٧.

(٢) بدائع الفوائد ٢٨/١.

ومن المعلوم أن فطرة البشر مجبولة على طلب الأوصاف الحميدة والانتساب للنعوت الجميلة، والأفعال الجليلة، ومن ثم فإن أسماء الله ﷻ من باب أولى دالة على أوصاف الجلال، ومعاني الكمال والجمال.

• **أمثلة لأنواع الدلالات في الأسماء الحسنى.**

١- اسم الله المِلك يدل على ذات الله وعلى صفة الملك بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى صفة الملك وحدها بالتضمن، فالمِلك من بيده الملك المطلق التام، الذي لا يشاركه أحد فيه، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ الملك:١.

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ الفرقان:٢. وقال أيضا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ١٣﴾ فاطر:١٣.

واسم الله المِلك يدل باللزوم على الحياة والقيومية، والعلو والأحدية، والسيادة والصمدية، والعلم والمشيئة والقدرة، والسمع والبصر والقوة، والعدل والحكمة والعظمة، فلا يتصور مِلك أول آخر ظاهر باطن له الملك التام المطلق أزلا وأبدا بغير هذه الصفات، وغير ذلك من صفات الكمال، فالملك الحق هو الذي يستغني بذاته وصفاته عن كل ما سواه، ويفتقر إليه كل موجود سواه.

ومن أهم القضايا المتعلقة بدلالة اللزوم، إثبات علو المِلك وفوقيته، واستوائه على عرشه، فإذا كان كل ملك في الدنيا يلزمه لإثبات ملكه

أن يستوي على عرشه، مع دوام فوقيته وعلوه، فالمِلك الخالق أولى بالكمال من المخلوق؛ لاسيما أن الله أثبت ذلك لنفسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥، فإثبات استواء الله على عرشه من لوازم توحيده في اسمه المِلك، ولذلك قال تعالي: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦﴾ المؤمنون:١١٦. واسم الله الملك دل على صفة من صفات الذات.

٢- اسم العزيز يدل على ذات الله وعلى صفة العزة بدلالة المطابقة، وعلى أحدهما بالتضمن، فالله ﷻ له العزة كوصف ذات، والإعزاز كوصف فعل، أما صفة الذات فلأنها صفة قائمة به يستحيل وصفه بضدها. قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨﴾ المنافقون:٨، وقال سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ الصافات:١٨٠.

وعند مسلم من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (العِزُّ إِزَارُهُ، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ)[(١)].

وعند البخاري من حديث أنس بن مالك ؓ أن النبي ﷺ قال: (لاَ تَزَال جَهَنَّمُ تَقُول: هَل مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ،

(١) مسلم في البر والصلة والأدب، باب تحريم الكبر ٤/٢٠٢٣ (٢٦٢٠).

فَتَقُول: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ)(١).

وروى النسائي وصححه الألباني من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: (يَجِيءُ الرَّجُل آخِذًا بِيَدِ الرَّجُل، فَيَقُول: يَا رَبِّ هَذَا قتلني، فَيَقُول الله لهُ: لمَ قَتَلتَهُ؟ فَيَقُول: قَتَلتُهُ لتَكُونَ العِزَّة لكَ، فَيَقُول: فَإِنَّهَا لي، ويجيء الرَّجُل آخِذًا بِيَدِ الرَّجُل، فَيَقُول إِنَّ هَذَا قتلني، فَيَقُول الله لهُ: لمَ قَتَلتَهُ؟ فَيَقُول: لتَكُونَ العِزَّةُ لفُلاَنٍ، فَيَقُول: إِنَّهَا ليْسَتْ لفُلاَنٍ، فَيَبُوءُ بِإِثمِهِ)(٢).

وفي رواية: (يجيء المقتول آخذا قاتله، وأوداجه تشخب دما عند ذي العزة، فيقول: يا رب سل، هذا فيم قتلني؟ فيقول: فيم قتلته؟ قال: قتلته لتكون العزة لفلان، قيل: هي لله)(٣).

وأما الإعزاز كوصف الفعل فالله ﷻ يمنح العزة لمن شاء من خلقه، فيعز من يشاء، ويذل من يشاء، كما قال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ٦/٢٤٥٣ (٦٢٨٤)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٤/٢١٨٨ (٢٨٤٨).

(٢) رواه النسائي في كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم ٢/٢٨٦ (٣٤٦٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله، انظر السلسلة الصحيحة ٦/٤٤٥ (٢٦٩٨) صحيح الجامع (٨٠٢٩).

(٣) السابق ٢/٢٨٨ (٣٤٦٨)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٨)، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾ آل عمران:٢٦.

وعند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال، وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ الله) (١).

وعند الترمذي وصححه الألباني من حديث ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (اللهمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بأبي جَهْل، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ) (٢).

واسم الله العزيز يدل باللزوم على الحياة والقيومية، والعلم القدرة والأحدية، والسيادة والحكمة والصمدية، والكبرياء والعظمة والقدسية، وغير ذلك من صفات الكمال.

٣- اسم الله الخالق يدل على ذات الله وعلى صفة الخالقية بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ آل عمران:٤٧.

---

(١) مسلم في البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع ٤/٢٠٠١ (٢٥٨٨).

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عمر ﷺ ٥/٦١٧ (٣٦٨١)، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح السيرة النبوية ص ١٩٣، ورواه أحمد في المسند ٢/٩٥ (٥٦٩٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير خارجة بن عبد الله الأنصاري وقال عنه ابن معين لا بأس به.

وقال سبحانه : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الشورى:٤٩. وقال ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ ﴾ القصص:٦٨.

واسم الله الخالق يدل باللزوم على الحياة والقيومية والسمع والبصر والعلم والمشيئة والحكمة والقدرة والغنى والقوة والعزة وغير ذلك من الصفات الذاتية والفعلية، ولما وصف الله نفسه بالخالقية فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ الطلاق:١٢. قال بعدها في بيان دلالتها على الصفات باللزوم: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ الطلاق:١٢. واسم الله الخالق دل على صفة من صفات الأفعال.

٤- اسم الله العظيم يدل على ذات الله وعلى صفة العظمة بدلالة المطابقة، وعلى أحدهما بالتضمن. روى البخاري من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ثمَّ أَخِرُّ لهُ سَاجِدًا فيُقَال: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُل يُسْمَعْ، وَسَل تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُول: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لي فِيمَنْ قَال لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، فَيَقُول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَال لاَ إِلهَ إِلاَّ الله) [1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة(٧٥١٠)، ومسلم بلفظ آخر في كتاب الإيمان، باب أدني أهل الجنة منزلة (٥٠٠).

وعند أبي داود وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (قَال الله ﷻ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ) (١).

وقد ورد وصف العظمة أيضا عند أبي داود وصححه الألباني من حديث عوف بن مالك ﷺ أنه قال: (ثُمَّ رَكَعَ ﷺ بِقَدْرِ قِيَامِهِ يقُول فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ) (٢).

واسم الله العظيم يدل باللزوم على الحياة والقيومية، والسيادة والصمدية، والعزة والأحدية، وانتفاء الشبيه والمثلية، وكذلك يدل على السمع والبصر والعلم والحكمة والمشيئة والقدرة، وغير ذلك من صفات الكمال، والاسم دل على صفة من صفات الذات والأفعال.

٥- اسم الله القدير يدل على ذات الله وعلى صفة القدرة بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بدلالة التضمن، وعلى القدرة وحدها بالتضمن.

روى الحاكم وحسنه الشيخ الألباني من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال عن رب العزة في الحديث

---

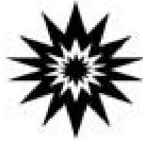
(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ٤/٥٩ (٤٠٩٠)، ورواه أحمد ٢/٤١٤ (٩٣٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٨).

(٢) السابق، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١/٢٣٠ (٨٧٣) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٧٧٦).

القدسي: (مَنْ عَلمَ مِنْكُمْ أَني ذو قُدْرَةٍ عَلى مَغْفِرَةِ الذنُوب، غَفَرْتُ لهُ وَلاَ أُبَالي، ما لم يُشْرك بي شَيْئا) (١).

واسم الله القدير يدل باللزوم على الحياة والقيومية، والعزة والأحدية، والسمع والبصر والعلم والمشيئة والحكمة والغنى والقوة، وغير ذلك من صفات الكمال اللازمة لمعاني القدرة.

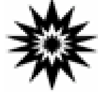
وقد اقترن اسم الله القدير باسمه العليم في غير موضع من القرآن لأن العلم من لوازم القدرة. قال الله تعالى: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الشورى:٥٠.



(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب التوبة والإنابة ٤/٢٩١ (٧٦٧٦)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ١١/٢٤١ (١١٦١٥)، وحسنه الشيخ الألباني، انظر صحيح الجامع حديث (٤٣٣٠).

المطلب التاسع

توحيد الصفات ونفي قياس التمثيل وقياس الشمول



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في محاور المطلب السابق عن أنواع الدلالات وتعلقها بالأسماء والصفات، وبينا أن دلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على ما عناه المتكلم ووضعه له، وأن دلالة التضمن هي دلالة اللفظ على بعض ما عناه المتكلم ووضعه له.

كما علمنا أن دلالة اللزوم هي دلالة الشيء على سببه، ودلالة الالتزام هي دلالة الشيء على نتيجته، وبينا أن اللازم من النقل الصحيح إذا صح أن يكون لازما فهو حق؛ لأن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما أن كلام النبي ﷺ وحي من الله ﷻ لا ينطق فيه عن الهوى .

وبينا أن الأسماء الحسنى تدل على العلمية والوصفية معا، وليس كما ذهبت المعتزلة إلى أن أسماء الله أعلام بلا أوصاف، وضربنا أمثلة لأنواع الدلالات المختلفة لبعض أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب

والسنة.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن توحيد الصفات ونفي قياس التمثيل وقياس الشمول، وبيان بعض القواعد الأساسية لفهم منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **التوحيد أساس الاعتقاد السلفي في باب الصفات.**

القاعدة الأولى التي قام عليها اعتقاد السلف الصالح في التعرف على أوصاف الله ﷻ هي توحيده وإفراده عمن سواه، فهم يتميزون عن سائر الناس بهذه الصفة، صفة التوحيد، سواء كان ذلك في إيمانهم بربوبية الله تعالى وإفراده بالخلق والأمر، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ الأعراف:٥٤.

أو كان في عبادتهم له سبحانه، فلا يخضعون لأحد عن إخلاص ومحبة ورغبة إلا لله، ولا يشركون معه في العبادة سواه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ البينة:٥.

أو كان في إيمانهم بما أثبته الله لنفسه من أنواع الكمالات في الأسماء والصفات، فالتوحيد يُقصد به في باب الصفات إفراد الله سبحانه بذاته وصفاته وأفعاله عن الأقيسة والقواعد والقوانين التي تحكم ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم.

والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١.

والشاهد من الآية أن الله سبحانه بين انفراده عن أوصاف المخلوقين وكل ما يحكمهم، بجميع ما ثبت له من أوصاف الكمال والجمال، وعلو شأنه فيها بأنواع الحسن والجلال.

وقال تعالى في أول سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الإخلاص:١، وقال في نهايتها مبينا معنى الأحدية: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ الإخلاص:٤. أي أن الأحد هو المنفرد بأوصاف الكمال، الذي لا مثيل له فنحكم على كيفية أوصافه من خلاله، ولا يستوي مع سائر الخلق، فيسري عليه قانون، أو قياس، أو قواعد تحكمه كما تحكمهم، لأنه الذي اتصف بالتوحيد، وانفرد عن أحكام العبيد.

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ مريم:٦٥، والمعنى الذي دلت عليه الآية، هل تعلم لله شبيها مناظرا يدانيه أو يساويه، أو يرقي إلي سمو ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى ذلك فلا يمكن بحال من الأحوال أن نخضع أوصاف الله لما يحكم أوصاف البشر من قوانين.

ومن هنا يمكن القول، إنه من البلاهة العقلية أن نطبق قوانين الجاذبية الأرضية على استواء الله على عرشه، أو على حملة العرش، أو على نزوله إلي السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل؛ لأن ذلك ينطبق على الكائنات الأرضية، ولا ينطبق على رب البرية، فهو منفرد

متوحد عن قوانين البشر بذاته وصفاته وأفعاله.

ومعلوم أننا لم نر الله، ولم نر له مثيلا، أو شبيها، أو نظيرا، والشيء لا يعرف إلا برؤيته، أو برؤية نظيره، فكيف نقول كما قالت الجهمية والمعتزلة والمتكلمون الأشعرية لو كان الله على العرش لكان محمولا؟!

ولذلك فإن السلف الصالح فرقوا بين النصوص التي تدل على المخلوق، والنصوص التي تدل على الخالق، فالنصوص التي تدل على المخلوق تليق به، وظاهرها مراد في حقه، وهي معلومة المعني لورودها في القرآن والسنة باللغة العربية، وكذلك معلومة الكيفية؛ لأننا نراها بحواسنا ومداركنا، أو نري نظيرها، فنحكم عليها بالتشابه أو المثلية.

أما النصوص القرآنية والنبوية التي تدل على الخالق فهي معلومة المعني أيضا؛ لأن الله ﷻ خاطبنا باللغة العربية، لا باللغة الأعجمية، فلا يمكن القول إن كلام الله بلا معني، أو إن كلام الله يشبه كلام الأعاجم والألغاز التي لا تفهم.

أما الكيفية الغيبية للصفات الإلهية التي دلت عليها تلك النصوص فهي كيفية حقيقية، معلومة لله، وتليق به، لكنها مجهولة لنا، لا نعلمها، لأننا ما رأينا الله ﷻ. روى مسلم أن النبي ﷺ: (تَعَلَمُوا أَنَّهُ لنْ يَرَي أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حتى يَمُوتَ) [1].

وكذلك ما رأينا لكيفيته سبحانه وتعالى نظيرا، أو مثيلا نحكم عليها

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤٥ (١٦٩).

من خلاله إذ يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

• **لا بد للتوحيد من نفي قياس التمثيل والشمول.**

من الأمور الهامة التي ينبغي الحذر منها صيانة للقاعدة الأولى، وحتى لا يُهدم التوحيد في قلب المسلم، أو تشوبه شائبة، أن يحذر من نوعين من القياس حرمهما الله ﷻ على من استخدمهما في حقه، وقد وقع فيهما أهل الضلال من الممثلة والمشبهة الذين جسدوا في أذهانهم صورا للمخلوقات، وزعموا أن أوصاف الله التي وردت بها النصوص في الكتاب والسنة على هذه الكيفية. وقد استخدم الممثل النوع الأول من القياس، وهو قياس التمثيل، والنوع الثاني استخدمه المشبه، وهو قياس الشمول، وأحيانا يطلق عليه المكيف.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وأعظم المطالب، العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأمره ونهيه، وهذا كله لا تنال خصائصه لا بقياس الشمول، ولا بقياس التمثيل، فإن الله تعالى لا مثل له فيقاس به، ولا يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها، فلهذا كانت طريقة القرآن، وهي طريقة السلف والأئمة، أنهم لا يستعملون في الإلهيات قياس تمثيل وقياس شمول تستوي أفراده، بل يستعملون من هذا وهذا قياس الأولى، فإن الله له المثل الأعلى) [1].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣١٨/٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

النوع الأول: قياس التمثيل، وهو إلحاق فرع بأصل في حكم جامع لعلة؛ فالممثل جعل صفة الإنسان التي لا يعرف غيرها أصلا، وجعل صفة الله ﷻ التي دلت عليها النصوص فرعا، ثم طابق الفرع على الأصل، وحكم بينهما بالتماثل.

ولو سئل عن السبب في هذا التمثيل؟ لقال: لأن الله له أوصاف، والإنسان له أوصاف قد ذكرت بنفس الألفاظ، فهذا يوجب التماثل، ومن أجل ذلك حكمت بأن استواء الله على العرش يماثل استواء الإنسان، ووجه الله يماثل وجه الإنسان، ويد الله تماثل يده، وهكذا في سائر أوصاف الله وأوصاف الإنسان.

قيل له: (ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك وقدر فارق، فمن نفى القدر المشترك فقد عطل، ومن نفى القدر الفارق فقد مثل) [١].

- **ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك وقدر فارق.**

لقد علم العقلاء أن قول الممثل باطل، لا يتوافق مع العقل السليم، فلو قيل: نملة قوية، وسفينة قوية، فهل صورة النملة كصورة السفينة، لاشتراكهما في لفظ قوية؟

وإذا كانت أوصاف البشر مختلفة، فهناك فرق كبير بين عرش بلقيس وعرش سليمان، ووجه يوسف عليه السلام ووجه غيره من بني الإنسان، فإن الفرق أعظم وأكبر من باب أولى بين أوصاف الخالق سبحانه وتعالى

---

(١) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٦٩.

وأوصاف المخلوق، وسيقر المسلم في خشوع وخضوع أن استواء الله ليس كاستواء البشر، ووجهه تعالى ليس كوجوههم، وسائر أوصافه ليست كأوصافهم، وأن الله ﷻ ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، وتلك طريقة الموحدين.

أما الممثل لأوصاف الله بأوصاف البشر فهو ظالم لنفسه، متقول على ربه ما ليس له به علم، فهو في الحقيقة تخيل في ذهنه أن صفة الله الواردة في نصوص الكتاب والسنة كصورة إنسان، ثم عظمها له الشيطان، فعبدها على أنها المقصودة عند ذكره لأوصاف الرحمن، وهو في الحقيقة إنما يعبد صنما، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف حال الممثل: الممثل يعبد صنما [(١)].

- **شرح ابن أبي العز للقدر المشترك والقدر الفارق.**

ذكر ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية أن أهل السنة اتفقوا على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولكن لفظ التشبيه ونفيه عن الله، قد صار في كلام الناس لفظا مجملا، يراد به المعنى الصحيح ويراد به معنى باطل[(٢)].

أما المعنى الصحيح لنفي التشبيه عن الله، والذي يتداوله عامة

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٦/٣٤٨، والأربيلية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٥/١٩٦،ومسألة تحسين العقل وتقبيحه لابن تيمية ضمن الفتاوى ٨/٤٣٢.

(٢) انظر بتصرف شرح العقيدة الطحاوية ص٩٨.

الناس فهو ما نفاه القرآن، ودل عليه العقل من أن خصائص الرب تبارك وتعالى، لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته سبحانه، فقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى:١١. رد على الممثلة المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١. رد على النفاة المعطلة، فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق، فهو المشبه المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق، فهو نظير النصارى في كفرهم لما جعلوا عيسى عليه السلام إلها متصفا بصفات الخالق[1].

وأما المعنى الباطل لنفي التشبيه عن الله الذي يتداوله العامة، فالمراد منه أنهم لا يثبتون لله شيئا من الصفات، فلا يقال له قدرة، ولا علم، ولا حياة؛ لأن العبد موصوف بهذه الصفات! ولازم هذا القول أنه لا يقال له: حي عليم قدير؛ لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك.

وهم يوافقون أهل السنة على أنه موجود حي عليم قدير، والمخلوق يقال له موجود حي عليم قدير، ولا يقال هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه عاقل، فإن الله سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسماء، وسمى صفات خلقه ببعضها، وليس المسمى

(١) السابق بتصرف ص٩٨.

كالمسمى. فسمى نفسه، حيا، عليما، قديرا، رؤوفا، رحيما، عزيزا، حكيما، سميعا، بصيرا، ملكا، مؤمنا، جبارا، متكبرا. وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء[1].

فقال: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾الروم:١٩.

وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) ﴾الذاريات:٢٨.

وقال: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) ﴾ الصافات:١٠١.

وقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) ﴾ التوبة:١٢٨.

وقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) ﴾ الإنسان:٢.

وقال: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ﴾ يوسف:٥١.

وقال: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ الكهف:٧٩.

وقال: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ السجدة:١٨.

وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) ﴾ غافر:٣٥.

ومعلوم أنه لا يماثل الحي الحي، ولا العليم العليم، ولا العزيز العزيز، وكذلك سائر الأسماء .

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ البقرة:٢٥٥.

وقال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ النساء:١٦٦.

وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ فصلت:٤٧.

---

(١) السابق بتصرف ص٩٩.

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات:٥٨.

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فصلت:١٥.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخَارَةَ في الأُمورِ كلها كما يعلمنا السورةَ من القرآن، يقول: إذا هم أَحدُكم بالأمرِ، فليركع ركعتين من غَيرِ الفرِيضَةِ، ثم ليقل: اللهم إِني أَستخِيرُك بعلمك، وأَستقدِرُك بقدْرَتك، وأَسأَلك من فضْلك العظِيم، فإِنك تقدِرُ ولا أَقدِرُ، وتعلم ولا أَعلم، وأَنت علام الغُيوب، اللهم إِن كنت تعلم أَن هذا الأَمرَ خَيرٌ لي في دِيني ومعاشِي وعاقبةِ أَمرِي، أَوْ قال: عاجِل أَمرِي وآجِله، فاقدُرْه لي، ويسرْه لي، ثم بارِك لي فيه، وإِن كنت تعلم أَن هذا الأَمرَ شَرٌّ لي في دِيني ومعاشِي وعاقبةِ أَمرِي، أَوْ قال: عاجِل أَمرِي وآجِله فاصرِفه عني، واصرِفني عنه، واقدُرْ لي الخَيرَ حيث كان، ثم رَضِّني به، ويسمي حاجَته) (١).

وفي حدِيث عمارِ بن ياسرٍ ﷺ الذي رواه النسائِي وغيره عن النبي ﷺ، أَنه كان يدعو بهذا الدعاء: (اللهم بعلمك الغَيب وقدْرَتك على الخَلق، أَحيني ما كانت الحياةُ خَيرًا لي، وتوفني إِذا كانت الوفاةُ خَيرًا لي، اللهم إِني أَسأَلك خَشْيتك في الغَيب والشَّهادَةِ، وأَسأَلك كلمةَ الحق في الغَضَب والرِّضَا، وأَسأَلك القصدَ في الغِنى والفقرِ، وأَسأَلك نعيما لا ينفدُ، وقرَّةَ عين لا تنقطع، وأَسأَلك الرِّضَا بعدَ القضَاء،

---

(١) رواه البخاري في التطوع، باب ما جاء في التطوع ١/٣٩١ (١١٠٩).

وأَسألك برْدَ العيشِ بعدَ الموْت، وأَسألك لذةَ النظَرِ إلى وجْهك الكرِيم، والشَّوْق إلى لقائِك، في غَيرِ ضَرَّاء مضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مضِلةٍ، اللهم زَينا بزِينةِ الإِيمان، واجْعلنا هدَاة مهتدِين) [(١)].

فقدْ سمى الله ﷻ ورسوله ﷺ صفات الله علما وقدرة وقوة. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ الروم:٥. وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ يوسف:٦٨.

ومعلوم أَنه ليس العلم كالعلم، ولا القوةُ كالقوةِ، ونظَائِرُ هذا كثيرَةٌ. فالله تعالى مخْتص بوُجُودِه وعلمه وقدْرَته وسائِرِ صفاته، والعبدُ لا يشْركه في شَيء من ذلك. والعبدُ أَيضًا مختص بوُجُودِه وعلمه وقدْرَته، والله تعالى منزَّه عن مشَاركةِ العبدِ في خَصائِصه [(٢)].

وإِذا اتفقا في مسمى الوُجُودِ والعلم والقدْرَةِ، فهذا القدر المشترك عند التجرد عن الإضافة إلى الخالق أو المخلوق، هو أمر مطلق كلي يُوجَدُ في الأذهان فقط، ولا يوجد في الأعيان، والموْجُودُ في الأَعيان مخْتص بمن أضيف إليه فقط ولا اشْترَاك فيه [(٣)].

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب صفة الصلاة ٣٨٧/١ (١٢٢٨)، وأحمد في المسند ٢٦٤/٤ (١٨٣٥١)، وصححه الألباني والأرنؤوط، وانظر مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني (٢٤٩٧).

(٢) السابق بتصرف ص١٠٠.

(٣) السابق بتصرف ص١٠٢.

• الاتفاق في اللفظ المجرد لا يوجب التماثل.

وهذا موضع اضطرب فيه كثيرٌ من علماء الكلام، حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشْياء عند التجرد، يُوجِب التماثل والتشابه وأن يكون الوُجُودُ الذي للرب ﷻ كالوُجُودِ الذي للعبدِ [(١)].

وأَصل الخَطأ والغلط توهمهم أَن هذه الأَسماء العامة المشتركة الكلية عند التجرد، يكون مسماها المطلق الكلي عند الإضافة والتخصيص هو بعينه ثابت في هذا الشخص المعين وهذا المعين، وليس كذلك، فإِن ما يوجَدُ في الواقع، لا يوجَدُ إِلا معينا مختصا بصاحبه، وبينه وبين غيره عند الإضافة والتخصيص قدر فارق ولا بد.

وهذه الأسماء إِذا سمي الله ﷻ بها كان مسماها مخْتصا به يليق بالله، فإِذا سمي بها العبدُ كان مسماها مخْتصا به يليق به. فوُجُودُ الله ﷻ وحياته لا يشَارِكه فيها غَيرُه، بل وُجُودُ هذا المخلوق يختلف عن وجود مخلوق آخر من نفس النوعية، لا يشْرَكه فيها غَيرُه، فكيف بوُجُودِ الخَالق ووجود المخلوق؟

وبهذا ومثله يتبين لك أَن المشَبهة أَخَذوا هذا المعنى المشترك العام عند التجرد، وزَادُوا فيه على الحق بإلغاء القدر الفارق فضَلوا، وأَن المعطلةَ أَخَذوا نفي المماثلةِ بوجْه من الوُجُوه، وزَادُوا فيه على الحق بإلغاء القدر المشترك عند التجرد حتى ضَلوا، وأَن كتاب الله ﷻ دَل

---

(١) السابق بتصرف ص١٠٣.

على الحق المحضِ الذي تعقله العقول السليمةُ الصحيحةُ، وهو الحق المعتدِل الذي لا انحرَاف فيه. فالنفاةُ أَحسنوا في تنزِيه الخَالق سبحانه عن التشْبيه بشَيء من خَلقه، ولكن أَساءوا في نفي المعاني الثابتةِ لله تعالى عند التخصيص والتقييد، والمشَبهةُ أَحسنوا في إِثبات الصفات، ولكن أَساءوا بزِيادَةِ التشْبيه[١].

واعلم أَن المخَاطب لا يفهم المعاني المعبرَ عنها باللفظِ إِلا أَن يراها بعينه، أَوْ يرى ما يشبهها، وإِلا فلا يمكن تفهم المخَاطبين بدُون هذا قط، حتى في أَول تعليم معاني الكلام بتعليم معاني الأَلفاظِ المفرَدَةِ، مثل ترْبيةِ الصبي الذي يُعلَّم البيان واللغَة، يُنطق له بلفظِ ويشَارُ له إِلى مدلوله إِن كان مشْهودا بالإِحساس الظّاهرِ أَوِ الباطن، فيقال له: لبن، خُبزٌ، أُم، أَب، سماء، أَرْضٌ، شَمس، قمرٌ، ماء، ويشَارُ له مع العبارَةِ إِلى كل مسمى من هذه المسميات، وإِلا لم يفهم معنى اللفظِ ومرَادَ الناطق به.

وليس أَحدٌ من بني آدم يستغني عن التعليم السمعي، كيف وآدَم أَبو البشَرِ أَول ما علمه الله تعالى أُصول الأَدِلةِ السمعيةِ، وهي الأَسماء كلها، وكلمه وعلمه بخِطاب الوحي ما لم يعلمه بمجَرَّدِ العقل. فدَلالةُ اللفظِ على المعنى هي بواسطةِ دَلالته على ما عناه المتكلم وأَرَادَه[٢].

---

(١) السابق بتصرف ص١٠٣.

(٢) السابق بتصرف ص١٠٤.

والرَّسول ﷺ لما بين لنا أُمورًا لم تكن معرُوفة قبل ذلك، وليس في لغة العرب لفظٌ يدُل عليها بعينها، أَتى بأَلفاظٍ تناسب معانيها تلك المعاني، وجَعلها أَسماء لها، فيكون بينها قدْرٌ مشْتَرَك، كالصلاةِ، والزَّكاةِ، والصوْم، والإِيمان، والكفرِ.

وكذلك لما أخبرنا بأُمورٍ تتعلق بالإِيمان بالله واليوْم الآخِرِ، وهم لم يكونوا يعرِفونها قبل ذلك حتى يكون لهم أَلفاظٌ تدُل عليها بعينها، أَخَذ من اللغَةِ الأَلفاظَ المناسبةَ لتلك بما تدُل عليه من القدْرِ المشْتَرَك بين تلك المعاني الغَيبيةِ، والمعاني الشُّهودِيةِ التي كانوا يعرِفونها، وقرَن بذلك من الإِشَارَةِ ونحوِها ما يعلم به حقيقةُ المرَادِ، كتعليم الصبي[1].

وأَما ما يُخبرُ به الرَّسول ﷺ من الأُمورِ الغَائِبةِ، فقدْ يكون مما أَدْرَكوا نظِيرَه بحسهم وعقلهم، كإِخْبارِهم بأَن الرِّيح أَهلكت عادًا، فإِن عادًا من جِنسهم، والرِّيح من جِنس رِيحهم، وإِن كانت أَشَدَّ. وكذلك غَرَق فرْعوْن في البحرِ، وكذا بقيةُ الأَخْبارِ عن الأُمم الماضِيةِ، ولهذا كان الإِخْبارُ بذلك فيه عبرَةٌ لنا، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ يوسف: ١١١.

وقدْ يكون الذي يخْبرُ به الرَّسول ﷺ مما لم يدْرِكوا مثله، أو لم يوافق ما رأوه في الحقيقةِ من كل وجْه، لكن في مفرَدَاته ما يشْبه مفرَدَاتهم من بعضِ الوُجُوه. كما إِذا أَخْبرَهم عن الأُمورِ الغَيبيةِ

(١) السابق بتصرف ص١٠٤.

المتعلقةِ باللهِ واليوْمِ الآخِرِ، فلا بدَّ أَن يعلموا معنى مشْترَكا عاما عند التجرد عن الإضافة، وتشبيها بين مفرَدَات تلك الألفاظِ وبين مفرَدَات الألفاظِ مما علموه في الدُّنيا بحسهم وعقلهم.

فإِذا أخبرنا عن الأُمورِ الغَائِبةِ، فلا بدَّ من تعرِيفنا المعاني المشْترَكة بينها وبين الحقائِق المشْهودَةِ، والاشْتباه الذي بينهما، وذلك بتعرِيفنا الأُمورَ المشْهودَةَ. ثم إِن كانت مثلها، لم نحتجْ إِلى ذكرِ الفارِق، كما تقدَّم في قصص الأُمم، وإِن لم تكن مثلها، بُين ذلك بذكرِ الفارِق، بأَن يقال: ليس ذلك مثل هذا، ونحو ذلك.

وإِذا تقرَّرَ انتفاء المماثلةِ، كانت الإِضَافةُ وحدَها كافية في بيان الفارِق، وانتفاء التساوِي لا يمنع منه وُجُودُ القدْرِ المشْترَك، الذي هو مدْلول اللفظِ المشْترَك عند التجرد [١].

• قياس الشمول يستوي فيه الأفراد تحت حكم واحد.

النوع الثاني من الأقيسة التي حرمها الله في حقه هو قياس الشمول، وهو القانون الشامل، أو الأحكام العامة التي تطبق على جميع الأفراد، أو كما عرفوه بأنه قياس كلي على جزئي، فالمكيف أو المشبه الذي يستخدم قياس الشمول، جعل الكيفية التي تحكم أوصاف الإنسان قانونا يحكم به على أوصاف الرحمن، كقوله: لو كان الله متصفا بالكلام، لكان له فم ولسان، لأنه لم ير المتكلم في

---

(١) السابق بتصرف ص١٠٥.

أحكام الدنيا إلا على هذه الكيفية، وكقوله: لو كان على العرش لكان محمولا، فطبق قانون الجاذبية الأرضية على كيفية استواء الخالق كما يطبقها على استواء الإنسان، أو حمله للأشياء.

ومعلوم أن صاحب الفطرة السليمة يأبى أن يقال مثل هذا في أوصاف الله ﷻ، بل يعلم أن هذه الأحكام ربما لا تطبق على الإنسان خارج نطاق الجاذبية الأرضية، مثل أماكن انعدام الوزن، أو المحطات الفضائية، أو ربما يسمع صوتا من غير فم أو لسان، كما يري المسجل يعيد الصوت ويكرره كأنه إنسان.

وإذا قيل: لا يدخل قاعة الاختبار في الكلية إلا طلاب السنة النهائية، علم العقلاء أن ذلك لا ينطبق على الأساتذة المراقبين، أو القائمين على النواحي الإدارية. وإذا قيل: لا يدخل المصنع إلا العاملون، علم العقلاء أن ذلك لا ينطبق على صاحب المصنع ومن رافقه من أولاده وأهله وأصحابه.

وهكذا يعلم العقلاء وأصحاب الفطرة السليمة أن القوانين التي تحكم أوصاف البشر لا تنطبق على ربهم، وأن الله ﷻ ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله.

- **خطورة استخدام قياس التمثيل والشمول في حق الله.**

وعلى ذلك يلزم الاحتراز من استخدام هذين النوعين من القياس في حق الله ﷻ، وهما قياس التمثيل وقياس الشمول، لأن النتيجة

المترتبة على استخدام الممثل لقياس التمثيل، واستخدام المكيف أو المشبه لقياس الشمول تتمثل فيما يلي:

١- تعطيل العلم الصحيح بأوصاف الحق التي وردت في نصوص الكتاب والسنة تحت ستار التمثيل والتشبيه، فالممثل عطل الصفة الحقيقية لله ﷻ، ولذا قال ابن تيمية: كل ممثل معطل(١).

٢- الافتراء على الله تعالى حيث ادعى في وصف الله ما لا علم له به، وزعم أن أوصاف الله تشبه أوصاف البشر، وهي في الحقيقة ليست كذلك، وقد حرم الله ﷻ ذلك على عباده فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف:٣٣.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء:٣٦.

قال فخر الدين الرازي في بيان السبب الأول لوجوب تغيير ما دل عليه الكتاب والسنة من أمور حقيقية إلى أشياء معنوية مجازية: (ورد في القرآن ذكر الوجه، وذكر العين، وذكر الأيدي، وذكر الساق الواحدة، فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد، وعلى

(١) انظر الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٧، ٣/٤٩. وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية٢/٩٥، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة مكة المكرمة،سنة ١٣٩٢هـ.

ذلك الوجه أعين كثيرة، وعليه أيد كثيرة، وله ساق واحدة، ولا نرى في الدنيا شخصا أقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة) [١].

لقد تخيل الرازي في ذهنه صورة قبيحة لربه، رسمتها حسب زعمه الآيات القرآنية، فحاول أن ينفي تلك الصورة بالتحامل على القرآن وادعاء أن ظاهره يفيد البطلان، فوقع في عدة محاذير:

١- أنه رسم صورة لربه كصورة الإنسان، وجعل صورة الإنسان هي أصل القياس لصورة الرب سبحانه وتعالى، وزعم أن ظاهر الآيات القرآنية الواردة في صفات الله ﷻ رسمت صورة لربه هي أقبح من صورة البشر.

٢- أن ظاهر كلام الله ﷻ يلزم بتكوين تلك الصورة التي فهمها، وهذا بهتان عظيم، فالحق تبارك وتعالى لا يقول كلاما لازمه أنه سبحانه وتعالى بهذه الكيفية القبيحة التي يعتقدها الرازي، والتي حاول نفيها حتى لا يقع في هذا اللازم.

٣- أن هذه اللوازم خفيت على رسول الله ﷺ إذ لم يثبت عنه أنه غير معناها إلى أمور معنوية، لا تدل على حقيقة أو وجود الكيفية، وهذا يقتضي أنهم أعلم من رسول الله ﷺ، وهذا محض افتراء.

٤- أن رسول الله ﷺ لو علم تلك اللوازم وتركها، وأوجب التأويل

---

(١) أساس التقديس ص ١٠٥.

والتبديل من أجلها، دون نص ثابت صرح فيه ﷺ بوجوب التأويل، فما بلغ البلاغ المبين، إذ كيف يترك الناس قرونا في الضلال حتى يأتي الرازي وأمثاله من الأشعرية، ليوضحوا للناس أن الرسول ﷺ وصف ربه بالنقص، ومن ثم يجب أن نغير كلامه بالتأويل حتى يدل على الكمال الواجب في حق الله؟!

٥- يلزمه وصف أصحاب رسول الله ﷺ بضيق الأفق، وعدم الفهم لأنه خفيت عليهم هذه الصورة التي رسمتها الآيات القرآنية لربهم. أما إن علم أصحاب رسول الله ﷺ أن القرآن قد دل على ما يصبوا إليه الرازي من التمثيل، ولم يغيروا المعني إلى أمور معنوية كما فعل هو، فيلزمه وصفهم بالنقص؛ لأنهم رضوا بالباطل، وآمنوا بالرسول ﷺ وهم يعلمون أن خالقهم بهذه الصورة القبيحة.

• **المعطلة ضلوا في فهم القدر المشترك والقدر الفارق.**

أساس مذهب الأشعرية وكل أتباع الجهمية في تعطيل الصفات أو نفيها سوء فهمهم لمعنى التوحيد، وتخبطهم في إدراك القدر المشترك والقدر الفارق عند التعبير عن الأشياء، فمن المعلوم أنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق، فمن نفى القدر الفارق فقد مثل، ومن نفى القدر المشترك فقد عطل [1].

---

(١) انظر الرسالة التدمرية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٦٩.

قال ابن تيمية: (سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه، لا يشركه فيها غيره. وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما، ولم يلزم من اتحاد الاسمين عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص) [(١)].

ومن ثم فإن الأسماء من جهة اللغة عند التجرد عامة مشتركة، تتخصص دلالتها عند العقلاء بالإضافة والتقييد، فلو قال قائل: هذا فيل كبير، وقال آخر: هذا طائر كبير، فالمشترك بين القولين بعد اسم الإشارة لفظ كبير، وهو عند سائر العقلاء من حيث الدلالة له ثلاثة معان ظاهرة:

الأول: عند إضافته إلى الفيل، فأي عاقل يتصور من دلالته معنى معينا يستوعبه الذهن، حيث يتصور فيلا كبيرا بين بني جنسه من الفيلة.

والثاني: عند إضافته إلى الطائر، فإن العاقل يتصور من دلالته معنى آخر غير المعنى السابق، فهو طائر كبير بين الطيور، ولا يزعم عاقل أنه عندما يسمع قول القائل: طائر كبير، فإنه يتصور جبلا، أو جملا،

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/١٠.

أو فيلا، أو بغلا، أو غير ذلك.

والثالث: إذا قطع لفظ كبير عن الإضافة، وكان وحده مجردا، فإن له معنى آخر يتصور الذهن فيه شيئا عاما، يمكن اشتراك الكل فيه، وإن كانت الألفاظ لا تطلق مجردة بين العقلاء، فلا نرى عاقلا يمشى بين الناس، ويردد لفظ "كبير" عشرات المرات، ولو سئل من تعني بالكبير؟ فيقول: كلمة أرددها، خرجت عن غير قصد، ولا أعنى بها شيئا. فيقال: هذا يهذي، أو به جنون، لأن العقلاء لا يتكلمون بألفاظ مجردة عن الإضافة إلى مسمياتها، أو غير مخصصة بأصحابها أو معانيها.

والله ﷻ له المثل الأعلى، إذا قال في كتابه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ الإنسان:٢، وقال عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ النساء:٥٨، فإن السميع والبصير كاسمين أو لفظين من مفردات اللغة لهما من حيث الدلالة ثلاثة أنواع يستوعبها جميع العقلاء:

الأول: إذا أضيفا إلى الإنسان؛ فإن العاقل يعلم معنى كونه سميعا بصيرا، ويعلم الكيفية الحقيقية التي دل عليها هذان الاسمان في حق المخلوق، فالإنسان يسمع بأذن، ويبصر بحدقة، وهذا ظاهر اللفظ عند تخصيصه وتقييده بالإنسان.

الثاني: إذا أضيفا إلى الله ﷻ؛ فإن العاقل يعلم معنى كونه سبحانه سميعا بصيرا، فالله ﷻ يسمع ويرى على الحقيقة، لكن العاقل لا يعلم

الكيفية الحقيقية للوصفين الذين دل عليهما هذان الاسمان في حق الله تعالى؛ فالكيف مجهول لنا؛ لأننا ما رأينا الله ﷻ، وما رأينا له نظيرا، وهو سبحانه وحده الذي يعلم كيف هو؟ وقد أمرنا أن نؤمن بما أخبرنا به عن نفسه، وأن نصدقه تصديقا جازما، وهذا مراد السلف بأن نصوص الصفات على ظاهرها في حق الله ﷻ.

الثالث: إذا قطعا عن الإضافة وانفصلا عن التقييد وكانا مجردين؛ فإن لهما معنى ثالثا عاما ومشتركا غير المعنى الأول والثاني، وهذا لا يكون في الواقع، بل يتصوره الذهن فقط، ولا يلزم أبدا من استعمال الأسماء المجردة في حق الخالق أو المخلوق وجود التطابق بين سمع هذا وذاك، أو بصر هذا وذاك، أو وجود المماثلة والمشابهة بينهما.

ومن هنا يظهر الخطأ الذي وقع فيه المعطل والممثل، لأن المعطل لما شبه الله بخلقه لم يجد الصورة التي كونها في ذهنه مستساغة أو مقبولة؛ فأراد أن ينفيها بمثل ما ذكره المتكلمون من أنواع التأويل، وسحب النصوص عن دلالاتها، فالنصوص المكونة من حروف وكلمات، وهي بدورها تشتمل على الأسماء والصفات، وهذه الألفاظ كمفردات لغوية يستخدمها المتكلم في التعبير عن مراده عند تجردها، وعند ذكر مفرداتها منقطعة عن الإضافة، حيث تكون عامة مشتركة يمكن استخدامها في حق الخالق والمخلوق معا.

أما إذا أضيفت إلى الخالق سبحانه، وقيدت ألفاظها بالدلالة عليه؛

فإنها تدل على معنى يخص الخالق دون غيره، وكذلك إذا أضيفت إلى المخلوق، وقيدت ألفاظها بالدلالة عليه؛ فإنها تدل على معنى آخر يخص المخلوق دون غيره، فهناك قدر مشترك عند التجرد، وقدر فارق عند التخصيص والتقيد، ولا يمكن إهمال القدر الفارق؛ لأن ذلك تمثيل للمخلوق بالخالق، ولا يمكن نفي القدر العام المشترك بين الجميع؛ لأنه تعطيل للألفاظ اللغوية، وإبطال للتفاهم والتواصل في لغة التخاطب بين الإنسانية [1].

وقد تقدم في كلام ابن أبي العز الحنفي أن القرآن تضمن نصوصا كثيرة تدل على أن الله ﷻ سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بأسماء هي في حقهم نظير تلك الأسماء في حقه سبحانه عند التجرد وعموم اللفظ، فسمى نفسه رءوفا رحيما، وسمى بعض عباده رءوفا رحيما، وليس الرءوف كالرءوف، ولا الرحيم كالرحيم، وكذلك سمى نفسه ملكا عزيزا جبارا متكبرا، وسمى بعض عباده ملكا، وبعضهم عزيزا، وبعضهم جبارا متكبرا، وليس هو في ذلك مماثلا لخلقه [2].

قال أبو عمر الطلمنكي: (وقال قوم من المعتزلة والجهمية لا يجوز أن يسمى الله ﷻ بالأسماء على الحقيقة ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه، فإذا سئلوا ما حملهم على هذا

---

(١) انظر في هذا المعنى بيان تلبيس الجهمية ١/٣٩١.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/٤٢٥.

الزيغ، قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه، قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها، لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه لا يحصل بالتسمية، وإنما بتشبيه الأشياء بأنفاسها وذواتها، أو بأوصاف وهيئات فيها، كالبياض بالبياض، والسواد بالسواد، والطويل بالطويل، والقصير بالقصير، ولو كانت الأسماء توجب اشتباها وتماثلا، لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها، وعموم تسمية الأشياء بها) [١].

- **ما معنى خلق الله آدم على صورته؟**

روى البخاري ومسلم من حديث أَبِي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ طُولهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلمَّا خَلقَهُ قَال: اذهَبْ فَسَلمْ عَلى أُولئِكَ النَّفَرِ مِنَ المَلاَئِكَةِ جُلوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذرِيَّتِكَ؛ فَقَال: السَّلاَمُ عَليْكُمْ: فَقَالوا: السَّلاَمُ عَليْكَ وَرَحْمَةَ اللهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةَ اللهِ، فَكل مَنْ يَدْخُل الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ آدَمَ، فَلمْ يَزَل الخَلقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ) [٢].

أعظم تكريم للإنسان من الله ﷻ أنه خلق آدم ﷺ على صورته في القدر المشترك ليوحد الله في القدر الفارق، فقد خلقه على صورته

---

(١) مختصر العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي ص ٢٦٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ٥/٢٢٩٩ (٥٨٧٣)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ٤/٢١٨٣(٢٨٤١).

في المعنى العام عند التجرد ليستخلفه في أرضه ويستأمنه في ملكه.

والحديث ظاهر المعنى في أن الله ﷻ صور آدم ؑ وجعل له سمعا وبصرا وعلما وحكما وخلافة وملكا وغير ذلك من الأوصاف المشتركة عند التجرد، والتي يصح عند إطلاقها استخدامها في حق الخالق والمخلوق، فالله ﷻ له صورة وآدم ؑ له صورة، ولفظ الصورة عند التجرد لا يعني التماثل قط، ولا يكون علة للتشبيه إلا عند من فسدت فطرته من المشبهة والمعطلة.

أما الصورة عند الإضافة والتقييد فصورة الحق لا يعلم كيفيتها إلا هو، لأننا ما رأيناه، وما رأينا له مثيلا، أما صورة آدم ؑ فمعلومة المعنى والكيفية، وقد خلق الله آدم على صورته ﷻ في القدر المشترك مع ثبوت الفارق عند أهل التوحيد.

والمقصود بخلق الله للإنسان على صورته أن نؤمن بالمشترك العام اللفظي في الاسم أو الوصف اللغوي عند تجرده عن الإضافة، لنوحد الله في القدر الفارق عند إضافة الاسم أو الوصف إلى الخالق، وأن الإنسان مهما بلغ في وصفه، أو بالغ في تعظيم اسمه فلن يصل إلى وصف الخالق الذي استخلفه في أرضه، واستأمنه في ملكه، فالعاقل حينها لا يتصرف في الأمانة إلا بإذنه، ولا بد أن يرجع فيها إلى شرعه وأمره ونهيه.

وكل ذلك لتظهر آثار أسماء الله وصفاته من خلال الإيمان بقدرة

الله ﷻ وعلاقتها بحكمته، وكيف نجمع في اعتقادنا بين الإيمان بربوبيته مع تحقيق عبوديته والعمل في أرضه بشريعته؟

وعلى ذلك فإن الله لما استخلف الإنسان في أرضه على وجه الابتلاء والامتحان، جعله على صورته في إظهار آثار أسمائه من خلال عبوديته للملك الديان، حيث تعرّف الله إليه بجملة من أسمائه وصفاته ليتقلب في آثارها كل إنسان، فالله ﷻ من أسمائه الرحمن الرحيم، ومعناه اتصافه بالرحمة العامة التي مقتضاها العدل، والرحمة الخاصة التي مقتضاها الفضل، فوجب على كل إنسان أن يكون متصفا بالرحمة العامة والخاصة ليلتزم مع المخالفين له بالعدل، ويتعامل مع إخوانه المؤمنين بالفضل.

والله ﷻ من أسمائه الملك، ومعناه المتصرف في ملكه بأمره وقضائه وحكمه، بحيث لا يظلم أحدا من خلقه، فوجب على الإنسان أن يكون ملكا عادلا يتصرف أيضا في مملكته بحيث لا يظلم أحدا من رعيته. وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ أن أول السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إِمَامٌ عَادِل [(١)].

ومن أسماء الله ﷻ القدوس، ومعناه المنزه في ذاته عن كل نقص،

---

(١) رواه البخاري في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب فضل من ترك الفواحش ٦/٢٤٩٦ (٦٤٢١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٢/٧١٥ (١٠٣١).

والمتصف بكل كمال وجمال، فوجب على الإنسان أن يكون متصفا بالنزاهة، والبعد عن النجاسة الحسية والمعنوية، ويسعى ما استطاع إلى كمال ذاته، وحسن صفاته، وجمال أفعاله، وبذل الوسع في اكتساب حسن الهيئة والجمال. وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ بأن الله جميل يحب الجمال [1].

والله ﷻ من أسمائه السلام، ومعناه المتصف بالسلامة من كل عيب في ذاته، وسلامة الآخرين من عذابه إذا عبدوه ووحدوه، فوجب على الإنسان أن يكون سالما في نفسه، محافظا على بدنه، محبا لغيره، قد سلم الجميع من لسانه ويده، وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده [2].

وهكذا القول في جميع أسماء الله وصفاته التي تعرّف بها إلى النوعية الإنسانية من وقت آدم ﵇ إلى آخر ولد من الذرية.

ومن ثم فإن أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، أو الأسماء التسعة والتسعين المطلقة، وكذلك التسعة والتسعين المضافة والمقيدة، هذه الأسماء هي تعرف الله بها، أو بما يماثلها من أوصافه إلى الأنبياء السابقين كما تعرف بها إلى خاتم الأنبياء والمرسلين.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ١/٩٣ (٩١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١/١٣ (١٠)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل ١/٦٥(٤٠).

• هل ظاهر نصوص الصفات مراد أو غير مراد؟

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من المتأخرين من يقول بأن مذهب السلف هو إقرار النصوص على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد. وهذا اللفظ مجمل، فإن قوله بأن ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين، مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى أنه مستقر في الحائط الذي يصلى إليه، وأن الله معنا، ظاهره أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أن هذا غير مراد. ومن قال إن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى، لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا هو ظاهر الآيات والأحاديث، فان هذا المحال ليس هو الظاهر، فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية [1].

وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر، أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظا ومعنى.

وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر غير مراد عندهم أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا تختص بصفة المخلوقين غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن

---

(١) انظر بتصرف مجموع الفتاوى ٥/١١١.

واحد من السلف ما يدل لا نصا ولا ظاهرا أنهم كانوا يعتقدون أن ظاهر النصوص، هو أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع، ولا بصر، ولا يد حقيقة.

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقولون إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى، ولكن السلف امسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك.

ويقولون: الفرق بين الطريقين، أن هؤلاء قد يعيِّنون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعيِّنون لجواز أن يراد معنى لا يريده الله ﷻ، وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف.

ومن تأمل كلام السلف المنقول عنهم علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك. والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ـ والكلام لشيخ الإسلام ـ ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن على نفى الصفات الخبرية، أو نفي إثبات حقائقها. بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل إما نصا وإما ظاهرا على تقرير سائر نوعية هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد

منهم إثبات كل صفة على حده، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت أحدا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه، وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله ﷻ بخلقه، مع إنكارهم على من ينفى الصفات أيضا، كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري:

(من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها) [(١)].

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفى التشبيه من غير إثبات الصفات، قالوا: هذا جهمي معطل. وهذا كثير جدا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء، حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتى قال ثمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ الأعراف:١٥٥. وعيسى حيث قال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ المائدة:١١٦.

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥٣٢/٣ (٩٣٦)، نشر دار طيبة الرياض، والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ١٧٢/١ (٤٦٤)، نشر مكتبة أضواء السلف الرياض، وانظر سير أعلام النبلاء ٢٩٩/١٣، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩٦/٥.

ومحمد حيث قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟) [(١)].

وحتى إن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة، مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهوية، وأبى عبيد القاسم بن سلام وغيرهم في قسم المشبهة.

وقد صنف أبو اسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءا سماه "تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة" ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب، وذكر أن أهل البدع، كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتروها، فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة، والمرجئة تسميهم شكاكا، والجهمية تسميهم مشبهة، وأهل الكلام يسمونهم حشوية .. إلى أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ تارة مجنونا، وتارة شاعرا، وتارة كاهنا، وتارة مفتريا.

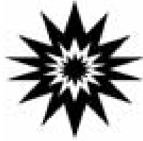
قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء نصف الليل ١/٣٨٤ (١٠٩٤) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء آخر الليل ١/٥٢١ (٧٥٨).

كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، اعتقادا واقتصادا، وقولا وعملا، فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة، وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة، فكذلك التابعون له على بصيرة، الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات، باطنا وظاهرا [(١)].

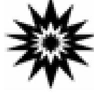
في أحد المناظرات سألوا شيخ الإسلام ابن تيمية عن الظاهر: هل هو مراد أم لا؟ فأجابهم بأن هذا ليس في العقيدة، وأنه يتبرع بالجواب عن أكثر من حكى مذهب السلف.. في نفى الكيفية والتشبيه عن نصوص الصفات، وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات العلم بالكيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات العلم بالكيفية. فظاهر النصوص هو ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، وما يخصه سبحانه دون غيره، وهو المراد عند ذكر أسماء الله تعالى وصفاته، مثل الحي والعليم والقدير والسميع والبصير[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى ٥/١١١ بتصرف.
(٢) السابق ٣/٢٠٧ بتصرف.

المطلب العاشر

قياس الأولى وطريقة السلف الصالح في إثبات الصفات



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

ففد تحدثنا في المطلب السابق عن بعض القواعد السلفية في توحيد الصفات، وبينا أن التوحيد هو أساس الاعتقاد السلفي في هذا الباب، وأنه لا بد للتوحيد من نفي قياس التمثيل والشمول، فقياس التمثيل هو إلحاق فرع بأصل في حكم جامع لعلة، وهذا لا يطبق على ذات الله أو صفاته وأفعاله.

وعلمنا أنه ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك وقدر فارق، فمن نفى القدر المشترك فقد عطل، ومن نفى القدر الفارق فقد مثل، وذكرنا شرح ابن أبي العز الحنفي للقدر المشترك والقدر الفارق، وأن الاتفاق في اللفظ عند التجرد عن الإضافة لا يوجب التماثل، وأن المخَاطب لا يمكن أن يفهم المعاني المعبر عنها بالألفاظ إلا عند تقيدها وتخصيصها، وعلمنا أيضا أن قياس الشمول هو قياس يستوي فيه الأفراد تحت حكم واحد.

ثم بينا النتائج المترتبة على استخدام قياس التمثيل والشمول في حق الله، وأن نفاة الصفات ضلوا في فهم القدر المشترك والقدر الفارق. وبينا معنى حديث الصورة، ومعنى خلق الله آدم على صورته؟ ثم عرضنا رأي ابن تيمية في ظاهر نصوص الصفات، وهل هو مراد أو غير مراد؟

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن قياس الأولى وطريقة السلف في إثبات الصفات، وبيان باقي القواعد الأساسية لفهم منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **التوحيد عند السلف يؤدي إلى إثبات الصفات.**

علمنا أن القاعدة الأولى التي قام عليها اعتقاد السلف الصالح هي توحيد الله في ذاته وصفاته وأفعاله بنفي قياس التمثيل والشمول، أما القاعدة الثانية الأساسية التي قام عليها اعتقاد السلف فهي إثبات الصفات على مراد الله ورسوله ﷺ؛ لأن الله ﷻ بعد أن بدأ بالتوحيد أولا في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى:١١.

اتبع ذلك بإثبات الأسماء والصفات التي تليق به فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١. فالتوحيد يستلزم إثبات الصفات، وهذا ما يناسب الفطرة السليمة والعقول المستقيمة.

وبيان ذلك أن المتوحد المنفرد عن غيره لابد أن ينفرد بشيء يتميز

به، ويكون هو الوحيد المتصف به، أما الذي لا يتميز بشيء عن غيره ولا يوصف بوصف يلفت الأنظار إليه، فهذا لا يكون منفردا، ولا متوحدا، ولا متميزا عن غيره، فلو قلت مثلا: فلان لا نظير له، سيقال لك في ماذا؟ تقول: في علمه، أو في حكمته، أو في غناه، أو في قدرته، أو في ملكه أو في استوائه على عرشه، أو في أي صفة تذكرها، فلا بد من ذكر الوصف الذي يتميز به.

لكن من العبث أن يقال لك: فلان لا نظير له في ماذا؟ فتقول: في لا شيء، أو تقول لا صفة له أصلا، فالله ﷻ ـ وله المثل الأعلى ـ أثبت لنفسه أوصاف الكمال التي انفرد بها دون غيره، ونفي عن نفسه أوصاف النقص ليثبت توحده في ذاته وصفاته، فأثبت لنفسه الوحدانية في استوائه، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. فاستواؤه له كيفية تليق به لا نعلمها، ولا مثيل ولا شبيه له فيها.

وأثبت الوحدانية في كلامه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ النساء:١٦٤. فكلامه بكيفية تليق به، ليس كمثله شيء فيها، ولا علم لنا بها، فمداركنا وإن استوعبت معنى كلامه، فإنها لا تستوعب كيفية أداء الكلام؛ لأنها كيفية غيبية. وأثبت لنفسه يدين لا مثيل ولا شبيه له فيهما فقال: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥﴾ ص:٧٥. وكذلك الحال في سائر الصفات والأفعال.

• طريقة السلف النفي المجمل والإثبات المفصل.

كما أن طريقة السلف الصالح في إثبات الصفات هي طريقة القرآن والسنة، وهي تعتمد على أمرين اثنين:

الأمر الأول: النفي المجمل لصفات النقص، والإثبات المفصل لصفات الكمال. فالله ﷻ نفي عن نفسه كل صفات النقص إجمالا، ولم يفصل فيما نفاه تفصيلا، فقال تعالى في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

وقال أيضا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ الإخلاص:٤.

وقد أثبت الله ﷻ لنفسه صفات الكمال على وجه التفصيل، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ الحديد:٤.

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ الحشر:٢٢/٢٤.

وغير ذلك من الآيات التي عدد الله ﷻ فيها أسماءه وأوصافه

وأفعاله، مثبتا لها ولكمالها وجلالها ومفصلا في ذلك.

واعلم أن طريقة السلف في الإثبات والنفي على العكس من طريقة المتكلمين، فإنهم يجملون في الإثبات ويفصلون في النفي، فمثال الإجمال في الإثبات، ما فعله أهل الاعتزال حين أثبتوا وجود ذات الله فقط، ونفوا عنه الصفات.

ومثال التفصيل في النفي عندهم قولهم في مدح الله: ليس بجسم، ولا شبح، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، ولا بذي لون، ولا طعم، ولا رائحة، ولا مجسة، ولا بذي حرارة، ولا رطوبة، ولا يبوسة، ولا طول، ولا عرض، ولا عمق، ولا.، ولا.. الخ.

وهذا يماثل قول الأحمق في مدح الملك أو الأمير: لست بزبال، ولا كناس ولا حمار، ولا نسناس، ولا خادم، ولا حقير، ولا متسول، ولا فقير، ولا.. ولا... الخ.

وكان يكفيه أن يقول: ليس لك نظير فيما رأت عيناي، أو لا يماثلك أحد في وصف كذا، كما كان يكفيهم أن يقولوا في مدح الله ﷻ كما قال تعالى عن نفسه:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾الشورى:١١.

لكنهم لا يرغبون في إثبات أي صفة من صفات الله ﷻ، فإن سألتهم: من تعبدون؟، قالوا: نعبد من لا صفة له، قيل لهم: من لا صفة له يكون معدوما بلا وجود، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله: المعطل يعبد عدما [1].

- **الممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما.**

وهذه الطريقة التي اتبعتها طائفة المعتزلة، أو طائفة الأشعرية، أو أي طائفة من أتباع الجهمية هي في الحقيقة طريقة ذم لا مدح، فالنفوس مفطورة على أن تمدح بالإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات وليس العكس، فتدبر.

وقد ذكر ابن تيمية أن الله سبحانه بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل. فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل. قال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ مريم:٦٥ [2].

وقال أهل اللغة: هل تعلم له سميا أن نظيرا يستحق مثل اسمه، ويقال: مساميا يساميه، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثيلا أو شبيها.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص:٣/٤.

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ البقرة:٢٢.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/١٩٦ ، ومنهاج السنة النبوية ٢/٥٢٦ ، درء تعارض العقل والنقل ٣/٢٨٣ نشر دار الكنوز الأدبية ، الرياض.

(٢) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٤ بتصرف.

وقال: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٠/١٠١ .

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان: ١/٢ .

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الصافات: ١٤٩/١٥٣ .

وقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠/١٨٢ .

فسبح نفسه عما يصفه المفترون المشركون، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من الإفك والشرك، وسلامة ما نقلوه عن رب العالمين، وحمد نفسه إذ هو سبحانه المستحق للحمد بما له من الأسماء والصفات وبديع المخلوقات.

وأما الإثبات المفصل، فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته كقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٥ .

وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١/٤ .

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ التحريم: ٢ .

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ الروم: ٥٤ .

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٤

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس: ١٠٧

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ البروج: ١٤/١٦ .

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: ٣/٤ .

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ محمد: ٢٨ .

وقوله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤ .

وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ البينة:٨.

وقوله: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ النساء:٩٣.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠﴾ غافر: ١٠.

وقوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ البقرة: ٢١٠.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ فصلت: ١١.

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ النساء:١٦٤.

وقوله: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ مريم:٥٢.

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢﴾ القصص:٦٢.

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ يس:٨٢.

وقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ الحشر: ٢٢/٢٤.

إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في أسماء الرب تعالى وصفاته، فإن ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل، ما هدى الله به عباده سواء السبيل، فهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب، ومن دخل في هؤلاء من الصابئة المتفلسفة والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم، فإنهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجود مطلقا لا حقيقة في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل [1].

قال ابن تيمية: (وأما السلف والأئمة فلم يدخلوا مع طائفة من الطوائف فيما ابتدعوه من نفي أو إثبات، بل اعتصموا بالكتاب والسنة، ورأوا ذلك هو الموافق لصريح العقل، فجعلوا كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته حقا، يجب الإيمان به وإن لم تعرف حقيقة معناه.

وكل لفظ أحدثه الناس فأثبته قوم ونفاه آخرون، فليس علينا أن نطلق إثباته ولا نفيه حتى نفهم مراد المتكلم، فإن كان مراده حقا موافقا لما جاءت به الرسل والكتاب والسنة من نفي أو إثبات قلنا به؛

---

(١) السابق ٣/٥ بتصرف.

وإن كان باطلا مخالفا لما جاء به الكتاب والسنة من نفي أو إثبات منعنا القول به.

ورأوا أن الطريقة التي جاء بها القرآن هي الطريقة الموافقة لصريح المعقول وصحيح المنقول، وهي طريقة الأنبياء والمرسلين.

وأن الرسل صلوات الله عليهم جاءوا بنفي مجمل وإثبات مفصل؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠/١٨٢.

فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وطريقة الرسل هي ما جاء بها القرآن. والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه التشبيه والتمثيل على طريق الإجمال. فهو في القرآن يخبر أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه عزيز حكيم، غفور رحيم، وأنه سميع بصير، وأنه غفور ودود، وأنه تعالى على عظم ذاته يحب المؤمنين ويرضى عنهم، ويغضب على الكفار ويسخط عليهم، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليما، وأنه تجلى للجبل فجعله دكا؛ وأمثال ذلك.

ويقول في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١. ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ مريم: ٦٥. ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ النحل: ٧٤. ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ الإخلاص:١/٤. فيثبت الصفات وينفي مماثلة المخلوقات)[(١)].

• **طريقة السلف النفي المتضمن لكمال الضد.**

الأمر الثاني: في طريقة إثبات الصفات عند السلف الصالح أن طريقتهم في نفي النقص عن الله، النفي المتضمن لإثبات كمال الضد، فإذا قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ البقرة:٢٥٥، علمنا أن نفي السنة والنوم يتضمن كمال الضد، وهو إثبات الكمال في حياته وقيوميته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ الكهف:٤٩، فيه نفي الظلم عن الله المتضمن لكمال الضد، وهو منتهى العدل، وهكذا في سائر ما ورد في الكتاب والسنة.

وكل نفي لا يستلزم ثبوتا لم يصف الله به نفسه، ولذا فإن طريقة الخلف من المعتزلة والأشعرية في نفي صفات النقص عن الله هي بذاتها عين النقص لأنهم إذا قالوا: الله ليس بجسم، وتساءل العقلاء؟ ماذا يكون إذا لم يكن جسما؟ هل يكون عرضا؟ قالوا: ولا عرضا، فماذا يكون إن لم يكن عرضا؟ هل يكون شبحا خياليا؟ قالوا: ولا شبحا، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، ولا بذي لون، ولا طعم، ولا رائحة، ولا مجسة، ولا بذي حرارة، ولا رطوبة، ولا يبوسة، ولا

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٨/٦.

طول، ولا عرض، ولا عمق، فيقال لهم: إن الله إذا نفى عن نفسه وصفا أثبت كمال ضده، فماذا أثبتم بهذا النفي غير الكلام الفارغ من المدح؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالنفي لا يكون مدحا إلا إذا تضمن ثبوتا، وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه، ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله، ولله الأسماء الحسنى، وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنه يتضمن إثبات محاسنه وكماله كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ ﴾ البقرة:٢٥٥. فنفْي أخذ السنة والنوم له يتضمن كمال حياته وقيوميته، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ ق:٣٨. يتضمن كمال قدرته ونحو ذلك، فالتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء ونفي النقض عنه يتضمن تعظيمه) [(١)].

• طريقة السلف في الإثبات استخدام قياس الأولى.

ويجدر التنبيه على أنه يجوز في باب الصفات وإثباتها لله ﷻ استخدام قياس الأولى كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ النحل:٦٠. فإنه من المعلوم أن كل كمال ووصف ممدوح لا نقص فيه يكون لبعض

---

(١) انظر السابق ٣/٣٥. وانظر الكلام على دعوة ذي النون ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٢٥٠. وجواب أهل العلم والإيمان في أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، ضمن مجموع الفتاوى ١٧/١٤٢.

الموجودات المخلوقة المحدثة، فالرب الخالق الصمد القيوم هو أولى به، وكل نقص أو عيب يجب أن ينزه عنه بعض المخلوقات المحدثة، فالرب الخالق القدوس السلام هو أولى أن يتنزه عنه.

واعلم أن كل ما ثبت عن النبي ﷺ من إشارة حسية في الصفات الإلهية فهو من باب إثبات الصفات بقياس الأولى، كما ورد في حديث الإشارة إلى السماء [١]، وحديث قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن[٢]، وحديث اليهودي في حمل السماوات على إصبع[٣]، وغير ذلك مما ثبت عن رسول الله ﷺ فهو محمول على إثبات الصفات بقياس الأولى.

وعدم فهم المتكلمين لذلك، وقياسهم تلك الإشارات بقياس التمثيل والشمول أدى بهم إلى رد السنة وتعطيلها، واتهام الشرع بأن ظاهره باطل مستحيل، وأنهم فهموا ما لم يفهمه النبي ﷺ وأصحابه من تلك الإشارات.

وقد ذكر ابن أبي العز أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي يستوي أفراده،

---

(١) انظر سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله ﷻ به ٥/٥٩٣ (٣٦٢٥) ، ومسند الإمام أحمد ٥/١٨ (٢٠٢٠٩).

(٢) رواه مسلم في القدر ، باب تصريف الله تعالى القلوب ٤/٢٠٤٥ (٢٦٥٤).

(٣) رواه البخاري في التوحيد ، باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٧ (٦٩٧٨) ، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٧ (٢٧٨٦).

فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها، ولهذا لما سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية، لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها. ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواء كان تمثيلا أو شمولا كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾ النحل:٦٠. مثل أن يعلم أن كل كمال للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فالخالق أولى به، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق، فإنما استفاده من ربه وخالقه، وهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه تضمن سلب الكمال، إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات، فإنه يجب نفيه عن الرب تعالى بطريق الأولى [1].

قال ابن تيمية: (ولهذا كانت الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية قياس الأولى، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾ النحل:٦٠، إذ لا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها، ولا يتماثلان في شيء من الأشياء، بل يعلم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق، فالخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه) [2].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص١١٧بتصرف.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١/٣٢٥.

وقد ذكر ابن تيمية أن السلف والأئمة كانوا في ذلك من العدل والاستقامة وموافقة المعقول الصريح والمنقول الصحيح بحال آخر، فالعصمة وإن كانت شاملة لجماعتهم، فآحادهم مع ذلك لا يجترئون في مخالفة النصوص المشهورة والمعقولات المعروفة على ما يجترئ عليه هؤلاء المسفسطون، وكانوا يستعملون القياس العقلي على النحو الذي ورد به القرآن في الأمثال التي ضربها الله تعالى للناس، فإن الله ضرب للناس في القرآن من كل مثل، وبين بالأقيسة العقلية المقبولة بالعقل الصريح من المطالب الإلهية والمقاصد الربانية ما لا تصل إليه آراء هؤلاء المتكلمين.

والله تعالى له المثل الأعلى، فلا يجوز أن يقاس على غيره قياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع، ولا يقاس مع غيره قياس شمول تستوي أفراده في حكمه؛ فإن الله سبحانه ليس مثلا لغيره، ولا مساويا له أصلا، بل مثل هذا القياس هو ضرب الأمثال لله، وهو من الشرك والعدل بالله، وجعل الند لله، وجعل غيره له كفوا وسميا.

وهؤلاء المتكلمون يكثرون من البراءة من التشبيه والذم له، وهم في مثل هذه المقاييس داخلون في حقيقة التمثيل والتشبيه، والعدل بالله وجعل غيره له كفوا وندا وسميا، كما فعلوا في مسائل الصفات والقدر وغير ذلك [١].

(١) السابق ١/٣٢٦ بتصرف.

- **لا بد للموحد أن يحذر من التعطيل والتحريف.**

من الأمور الهامة التي ينبغي للموحد أن يحذر منها صيانة للقاعدة الثانية حتى لا يهدم إيمانه بما أثبته الله ﷻ لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ أن يحذر من نوعين من الضلال، وهما التعطيل والتحريف المبني على التأويل الباطل، وبيان ذلك فيما يأتي:

١- التعطيل: وهو رد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة ورفض محتواها وعدم التسليم لها.

وسببه اعتقاد المعطل أن إثبات الصفات التي وردت في تلك النصوص يلزم منه التمثيل والتشبيه، فالمعطل جسد صورة لربه في ذهنه تشبه صورة الإنسان، فوقع في محذورات القاعدة الأولى حيث اعتقد فيها التمثيل والتشبيه، وزعم أن ظاهر النصوص دل على ذلك، فأحس بالرفض التلقائي لتلك الصورة، والرغبة في تنزيه الله عنها، وبدلا من أن يعيب فهمه السيئ، وظنه الآثم في كلام الله وجه العيب إلي الكتاب والسنة، وبدأ في التحامل على النصوص بالباطل، فادعي أولا أن ظاهرها باطل غير مراد في كلام الله ﷻ، ثم حاول محو ما دلت عليه بأي طريقة، وتعطيلها عن مدلولها الذي يطابق الحقيقة.

رُوي عن الجهم بن صفوان، التصريح بالرغبة في محو كلام الله الذي أثبت فيه الاستواء على العرش لأنه تصور أن إثبات الاستواء تمثيل وتجسيم، والمعطلة كالمعتزلة والأشعرية والماتريدية يرددون مثل هذه العلة

في تأويل الاستواء بالاستيلاء والقهر. فقال الجهم: لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت. يقصد قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ طه:٥ [١].

ورويَ أيضا أن عمرو بن عبيد المعتزلي قال لأبي عمرو بن العلاء وهو أحد القراء: أحب أن تقرأ هذا الحرف: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ النساء:١٦٤. بنصب اسم الله، ليكون موسى عليه السلام هو الذي كلم الله، ولا يكون في الكلام دلالة على أن الله كلم أحدا، فقال له: فكيف تصنع بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ الأعراف:١٤٣؟ فبهت المعتزلي!

وهكذا المعطل اعتقد في النصوص التمثيل، فاضطر إلى أن يعطلها، وقد علمنا من محذورات القاعدة الأولى أن الممثل عطل الصفة الحقيقية لله لأن تمثيله الباطل غطى على الحقيقة، ولذلك قال ابن تيمية: كل ممثل معطل، وكل معطل ممثل.

قال فخر الدين الرازي في بيان وجوب تعطيل صفة الاستواء

---

(١) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١/١٦٧ (١٩٠) نشر دار ابن القيم بالدمام. وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤٠ نشر دار الكتب العلمية بيروت. والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص١٥٤. وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم عيسى ٢/٨٨، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

وتأويلها بالاستيلاء: (إن الجالس على العرش لا بد أن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش، فيكون في نفسه مؤلفا مركبا، وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف والمركب وذلك محال. كما أن الجالس على العرش، إما أن يكون متمكنا من الانتقال والحركة، أو لا يمكنه ذلك، فإن كان الأول فقد صار محلا للحركة والسكون، فيكون محدثا لا محالة، وإن كان الثاني كان كالمربوط، بل كان كالزمِن المشلول، بل أسوأ حالا منه، فإن الزمن إذا شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك، وهو غير ممكن على معبودهم. كما أن العالم كرة، فالجهة التي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض، وبالعكس، فلو كان المعبود مختصا بجهة، فتلك الجهة وإن كانت فوقا لبعض الناس ولكنها تحت بالنسبة لبعض آخرين، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء) [1].

- **رد شيخ الإسلام ابن تيمية على المعطلة .**

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على مثل هذا الكلام أن كثيرا من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها، أو أكثرها، أو كلها، أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي

---

(١) أساس التقديس للفخر الرازي تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا ص ١٩٩، ص٢٠٣، وانظر أيضا مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٨٣/١٤ نشر دار إحياء التراث العربي، وقد تاب الرازي قبل موته، وعاد لمذهب السلف .

فهمه، فيقع في أربعة أنواع من المحاذير:

١- كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

٢- أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله، بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله ﷺ، حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل، يبقى وقد عطل ما أودع الله ورسوله ﷺ في كلامهما من إثبات الصفات والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى.

٣- أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطلا لما يستحقه الرب سبحانه وتعالى.

٤- أن يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات، أو صفات المعدومات، فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب، ومثله بالمعدومات والمنقوصات، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدا في أسماء الله وآياته.

ومثال ذلك ظن المتوهم أنه إذا وصف الله بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام كقوله

تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ الزخرف:١٢. فيتخيل أنه إذا كان مستويا على العرش، كان محتاجا إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام، فلو غرقت السفينة لسقط المستوي عليها، ولو عثرت الدابة لخر من فوقها.

ومقياس هذا عنده أنه لو انعدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى، ثم يريد بزعمه أن ينفي هذا فيقول: ليس له استواء، بل استيلاء، فيخطئ في مفهوم استوائه على العرش، حيث ظن أنه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك، وليس في اللفظ ما يدل على ذلك؛ لأنه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة، كما أضاف إليه سائر أفعاله وصفاته، فذكر أنه خلق ثم استوي، كما ذكر أنه قدر فهدى، وأنه بني السماء بأيد، وكما ذكر أنه مع موسى وهارون يسمع ويرى، وأمثال ذلك. فلم يذكر استواء مطلقا يصلح للمخلوق، ولا عاما يتناول المخلوق، كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته.

وإنما ذكر استواءً أضافه إلى نفسه الكريمة، فلو قدر على وجه الفرض الممتنع أنه هو مثل خلقه، تعالى الله عن ذلك، لكان استواؤه مثل استواء خلقه، أما إذا كان هو سبحانه ليس مماثلا لخلقه، بل قد علم أنه الغني عن المخلوق، وأنه الخالق للعرش ولغيره، وأن ما سواه مفتقر إليه، وهو الغني عن كل ما سواه، فكيف يجوز أن يتوهم أنه إذا كان مستويا على العرش كان محتاجا إليه، وأنه لو سقط العرش لخر من عليه؟!

سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، هل هذا إلا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه، أو ظنه ظاهر اللفظ ومدلوله، أو جوز ذلك على رب العالمين، الغني عن الخلق؟! بل لو قدر أن جاهلا فهم مثل هذا وتوهمه، لبُيّن له أن هذا لا يجوز، وأنه لم يدل اللفظ عليه أصلا، كما دل على نظائره في سائر ما وصف به الرب نفسه فلما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ الذاريات:٤٧. فهل يتوهم أن بناءه مثل بناء الآدمي المحتاج، الذي يحتاج إلى زنبيل ومجارف وضرب لبن وأعوان؟

ثم قد علم أن الله خلق العالم بعضه فوق بعض، ولم يجعل عاليه مفتقرا إلى سافله، فالهواء فوق الأرض، وليس مفتقرا إلى حمل الأرض، والسحاب فوق الأرض، وليس مفتقرا إلى أن تحمله، والسماوات فوق الأرض وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها. فالعلي الأعلى رب كل شئ ومليكه، إذا كان فوق جميع خلقه، كيف يجب أن يكون محتاجا إلى خلقه أو عرشه؟ أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات؟

وقد علم أن ما ثبت لمخلوق من الغني عن غيره، فالخالق سبحانه وتعالى أحق به وأولى من المخلوق، وكذلك قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ الملك:١٦ فمن توهم أن مقتضي هذه الآية زنبيل أن يكون الله داخل السماوات فهو جاهل ضال بالاتفاق. فلو قال قائل: العرش في السماء أو في الأرض؟ لقيل: في

السماء. ولو قيل: الجنة في السماء أم في الأرض؟ لقيل: في السماء. ولا يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السماوات، بل ولا الجنة فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:

(فَإِذا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ) [1].

فهذه الجنة سقفها الذي هو العرش فوق الأفلاك مع أن كون الجنة في السماء يراد به العلو سواء كان فوق الأفلاك أو تحتها. قال تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الحج:١٥. وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ الفرقان:٤٨.

ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى وأنه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله: في السماء، أنه في العلو وأنه فوق كل شيء.

وكذلك الجارية لما قال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها، وإذا قيل: العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها، فما فوقها كلها هو في السماء، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به، إذ ليس فوق العالم موجود إلا الله. كما لو قيل: العرش في السماء. فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شئ آخر موجود مخلوق، وإن قدر أن

---

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٦/٢٧٠٠ (٦٩٨٧).

السماء المراد بها الأفلاك كان المراد أنه عليها كما قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ طه:٧١. وكما قال: ﴿فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾ النحل:٣٦. وكما قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ التوبة:٢. ويقال: فلان في الجبل، وفي السطح، وإن كان على أعلى شئ فيه [١].

إن لفظ الجلوس من الألفاظ المبتدعة التي لا يجوز إطلاقها في حق الله تبارك تعالى، لأنه لا يطلقه على الله إلا من يعتقد أن الله يشبه المخلوق في استوائه، ونحن لسنا أفضل من رسول الله ﷺ، ولا من أصحابه رضوان الله عليهم، حيث يعتقدون أن الله مستو على عرشه دون أن يحتاج إليه، بل يحمله هو وحملته بقدرته تعالى.

ومن ثم فلا نترك الاعتقاد الحق خشية أن يقال: هذا تشبيه، إنما التشبيه هو ما ذهبوا إليه من الاعتقاد الفاسد الذي عطلوا به صفات الله ﷻ.

لقد حاول المعطل أن يقبح الاستواء الحقيقي في نفس السامع بأن يجعل الاستواء في حق الخالق والذي ورد في قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. يعني الجلوس.

ولم يفهم من الآية إلا معنى مستهجن يدل على تمثيل الخالق بالمخلوق ووصف السلف الصالح بالمجسمة أو المشبهة، ولذلك نفي

---

(١) الرسالة التدمرية ص ٢٦: ٢٨ بتصرف.

الاستواء. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ الحاقة:١٧. لم يفهم منه أيضا إلا أنّ حمل الملائكة لعرش الله، يلزم منه أنهم يحملون الله وهو مفتقر إليهم.

وهو في حقيقته قد طبق قانون الجاذبية الأرضية على الله تعالى في استوائه وعلوه على عرشه، فهل يصلح قانون الجاذبية الأرضية أن يطبق على الخالق سبحانه وتعالى، أو على حملة العرش؟!

إن الجالس أو المحمول تجذبه الأرض إليها بقوة منتظمة خلقها الله في ذات الأرض، وتسمي حديثا بعجلة الجاذبية الأرضية، وقد وجد بالتجربة أن عجلة الجاذبية الأرضية تساوي بالقيمة التقريبية ٩,٨ متر/ث٢، ومعني هذا أن الجسم يسقط في كل ثانية مربعة مسافة تسعة أمتار وثمانية أعشار المتر، وتزداد هذه القيمة كلما اتجهنا نحو أحد القطبين لتصبح هناك ٩,٨٣ تقريبا، بينما تقل القيمة كلما اتجهنا نحو خط الاستواء لتصبح هناك ٩,٨٧ تقريبا.

وتلك القوة التي خلقها الله في الأرض هي العلة في عملية الجلوس والاستقرار، وهي العلة في ثقل الأشياء عند رفعها، فالجسم المحمول على الكرسي تجذبه الأرض بفعل قوتها بالعجلة المذكورة، والكرسي أو المقعد أو الحامل له رد فعل يساوي في المقدار قيمة القوة الجاذبة المتجهة نحو الأرض، ويضاده في الاتجاه.

ولذلك يبدو الجسم مستقرا، ويسمي المحمول محمولا، والجالس

جالسا. فقد ثبت من النواميس والقوانين التي وضعها الله في مخلوقاته على الأرض أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، كما هو مقرر في علوم الحركة الميكانيكية.

وعلي ذلك لو فرضنا أن الله الذي خلق قوة الجذب في الأرض أعدمها، فانعدمت عجلة الجاذبية الأرضية، فهل يكون الجالس جالسا أو المحمول محمولا؟! أم أن الجالس سيكون عال على كرسيه والمحمول لا يفتقر إلى من يحمله؟ حينئذ لا يلزم أن يكون المستوي على الشئ محمولا عليه، بل سيكون عال عليه، غير مفتقر إليه.

وماذا لو قلنا لهؤلاء المعطلة: إن هذا الفرض أعني انعدام الجاذبية الأرضية قد حدث بخروج الإنسان عن نطاق الجاذبية الأرضية في السفن الفضائية، أو المحطات الفضائية، والناس يشاهدون ويسمعون أخبار رواد الفضاء يوما بعد يوم في وسائل الإعلام، فرائد الفضاء يكون عال على كرسيه، ولا يكون محمولا عليه، بل هو الحامل له.

وهذا أيضا واقع يتم فيما يسمى بغرفة انعدام الوزن، حيث يصل وزن الإنسان إلى الصفر، ولا تأثير لقوة جذب الأرض عليه. فإن جاز في حق الإنسان المخلوق أن يكون عال الشئ ولا يكون محمولا والمستوي على الشيء لا يفتقر إليه، فإن الله إذا أخبرنا بأنه استوى على العرش، وجب علينا أن نؤمن بذلك دون طلب العلم بالكيفية؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا وليس كمثله شئ. وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة.

• **التأويل بغير دليل تحريف للكلم عن مواضعه.**

تقدم أنه لا بد لمن أثبت الصفات على منهج السلف الصالح أن يحذر من نوعين من الضلال، وهما التعطيل، وقد تقدم ذكره، والثاني التحريف، وبيانه فيما يلي:

٢- التحريف: هو التأويل بغير دليل، وهو تحريف للكلم عن مواضعه؛ لأن المتكلم يقصد شيئا في كلامه يختلف عن المعنى الذي أراده المؤول، والسبب الذي دفع أهل الضلال إلى التأويل الباطل لنصوص الكتاب والسنة، أن المعطل بعد رفضه للنصوص بناء على اعتقاده التمثيل والتشبيه فيها كما سبق، أراد أن يستر جريمة التعطيل حتى لا يقال في حقه إنه يكذب بالقرآن والسنة، فأخفى جريمة التعطيل تحت شعار التأويل وادعاء البلاغة في فهم النصوص، فاستبدل المعنى المراد من النصوص بمعنى بديل لا يقصده المتكلم بها.

روى أن أحمد بن أبي دؤاد القاضي أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، بدلا من قول تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى:١١، فحرف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه يسمع ويبصر، لاعتقاده أن السمع في حق الله ﷻ لا بد أن يكون بأذن أو جارحة.

ويشبه هذا الصنيع الباطل قول المعتزلة والأشعرية بأن الاستواء في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ طه:٥. معناه الاستيلاء

والقهر. واليدان في قوله: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ ص:٧٥. هما القوة والقدرة.

وكل ذلك وأمثاله منكر من القول وتزوير في لغة العرب، لأن العرب عند التحقيق لا تعرف الاستواء بمعنى الاستيلاء والقهر، ولا اليدين في مثل هذا السياق بمعنى القدرة، ولذلك ذكر ابن تيمية أن التحريف بالتأويل أقبح من التعطيل والتكييف والتمثيل، لأنه ما حرف إلا لأنه عطل، وما عطل إلا لأنه كيَّف ومثل، فجمع أنواع الضلال في هذا الباب بتأويله الباطل.

ولا حجة لقول بعضهم إن اللغة مرنة، وحمالة للمعاني، وفضفاضة تتسع لأنواع التأويل، لأن اللغة لها ضوابط معروفة، لا يسعنا أن نخرج عن قواعدها، فالسلف استعملوا التأويل في عصرهم بمعنى غير ما يعرف الآن عند الأشعرية أو سائر علماء الكلام، إذ تقيدوا بما ورد في القرآن والسنة وما عرف بين الصحابة والتابعين من معاني التأويل، وسيأتي إن شاء الله بيان معناه بالتفصيل.

- **مذهب السلف وسط بين التعطيل والتمثيل.**

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن مذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ كما فعل المخالفون، فعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا،

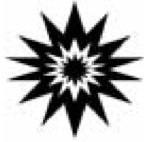
وحرفوا الكلم عن مواضعه، وألحدوا في أسماء الله وآياته.

ثم بين أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل، جامع بين التعطيل والتمثيل. أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثلوا أولا، وعطلوا آخرا. وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله تعالى.

فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر، أو مساويا، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم.

أما استواء يليق بجلال الله تعالى، ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها، كما يلزم من سائر الأجسام، وصار هنا مثل قول الممثل: إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهرا أو عرضا، وكلاهما محال، إذ لا يعقل موجود إلا هذان، وقوله: إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك، إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كليهما مثل، وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

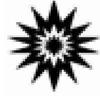
والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط، من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله، ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش، ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها [(١)].



(١) مجموع الفتاوى ٥/٢٧ بتصرف.

المطلب الحادي عشر

معاني التأويل في القرآن والسنة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن منهج السلف في توحيد الصفات، وبينا أن التوحيد عند السلف توحيد يؤدي إلى إثبات الصفات دون تعطيلها، وأن طريقة السلف في إثبات الصفات هي النفي المجمل والإثبات المفصل.

وعلمنا أن الممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما، وأن طريقة السلف في النفي هي النفي المتضمن لكمال الضد، وأن طريقتهم في إثبات الصفات استخدام قياس الأولى، وأنه لا بد للموحد أن يحذر من التعطيل ورد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة بحجة نفي التشبيه، وكذلك لا بد لمن آمن بصفات الله أن يحذر من التأويل بغير دليل؛ لأنه تحريف للكلم عن مواضعه، وعلمنا أيضا أن كل ممثل معطل، وأن كل معطل ممثل، وأن مذهب السلف الصالح مذهب وسط بين التعطيل والتمثيل.

وفي هذا المطلب بإذن الله نتناول الحديث عن معاني التأويل في

القرآن والسنة، وأنواع التأويلات الباطلة، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **التأويل لغة رجوع الكلام ومآله إلى ما ينطبق عليه.**

قال ابن منظور الأفريقي: (آل إِليه وَأْلاً، ووُؤُولاً، وَوَئيلاً، ووَاءَل مُواءَلَةً، ووِئالاً لجأَ، والوَأْل والمَوْئِل الملجأُ، وقد وأَل إِليه يَئِل وَأْلاً ووُؤُولاً، أَي لجأَ) (١).

والتأويل مصدر أوّله يؤوله تأويلا، مثل حول تحويلا، وقولهم: آل يؤول، أي عاد إلى كذا ورجع إليه، ومنه المآل وهو ما يؤول إليه الشيء، ومما يوافقه في اشتقاقه الآل، فإن آل الشخص من يؤول إليه كآل إبراهيم وآل لوط وآل فرعون.

والتأويل من آل يؤول إلى كذا إذا صار إليه، فالتأويل التصيير، وأولته تأويلا إذا صيرته إليه فآل وتأول. وقال الجوهري التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء. ثم تسمى العاقبة تأويلا؛ لأن الأمر يصير إليها ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء:٥٩.

وتسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلا؛ لأن الأمر ينتهي إليها، ومنه

---

(١) لسان العرب لابن منظور الأفريقي ١١/٧١٥ نشر دار صادر، بيروت.

قول الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ الأعراف:٥٣ [١].

• **التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.**

المعنى الأول الذي عرف بين الصحابة والتابعين وسائر السلف المتقدمين، هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، أو الحقيقة المعبرة عن مدلول الكلام [٢].

وهذا المعنى هو الذي نطقت به آيات الكتاب، فلقد تكررت كلمة التأويل في القرآن في أكثر من عشرة مواضع، كان معناها في جميع استعمالاتها، الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

وتأويل الخبر عند السلف الصالح وقوعه، وحدوث ما أخبر عنه، سواء كان ذلك في الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل. وتأويل الأمر تنفيذه وطاعته، ولهذا قال سفيان بن عيينة: (السُّنَّةُ هِيَ تَأويلُ الأمرِ وَالنّهْي) [٣]. فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر، والكلام خبر وأمر.

قال ابن القيم: (فالتأويل في كتاب الله سبحانه وتعالى المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٢٩١، والصواعق المرسلة ص١٧٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/٣٨٢، والرسالة التدمرية ٣/٥٦.

(٣) انظر الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٥٦.

الخارج، فإن الكلام نوعان: خبر وطلب، فتأويل الخبر هو الحقيقة، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به، وتأويل ما أخبر الله به من صفاته وأفعاله نفس ما هو عليه سبحانه، وما هو موصوف به من الصفات العلى، وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور) [(١)].

• أدلة القرآن على المعنى الأول للتأويل .

١- قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف: ١٠٠.

قال ابن جرير: (قال يوسف لأبيه: يا أبت، هذا السجود الذي سجدتَ، أنت وأمّي وإخوتي لي، تأويل رؤياي من قبل، يقول: ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها، وهي رؤياه التي كان رآها قبل صنيع إخوته به ما صنعوا، أنَّ أحد عشر كوكبًا، والشمس والقمر له ساجدون، قد جعلها ربي حقًّا، يقول: قد حقّقها ربي لمجيء تأويلها على الصحَّة) [(٢)].

٢- قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ

---

(١) الصواعق المرسلة ص١٧٧.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٧/٣٠٥.

نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأعراف:٥٣.

قال ابن كثير: (هل ينظرون إلا تأويله، أي ما وعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار، قاله مجاهد وغير واحد، وقال مالك: ثوابه، وقال الربيع: لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يتم يوم الحساب، حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ، وقوله: يوم يأتي تأويله، أي يوم القيامة. قال ابن عباس: يقول الذين نسوه من قبل، أي تركوا العمل به، وتناسوه في الدار الدنيا، قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا، أي في خلاصنا مما صرنا إليه مما نحن فيه، أو نرد إلى الدار الدنيا، فنعمل غير الذي كنا نعمل) [(١)].

٣- قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ يونس:٣٩.

قال البغوي: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، يعني القرآن، كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، أي عاقبة ما وعد الله في القرآن أنه يؤول إليه أمرهم من العقوبة، يريد أنهم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم) [(٢)].

وقال الواحدي: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، أي بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والقيامة، ولما يأتهم تأويله، ولم يأتهم بعد

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٩٤.

(٢) تفسير البغوي ١/١٣٤.

حقيقة ما وعدوا في الكتاب، كذلك كذب الذين من قبلهم بالبعث والقيام) [1].

٤- قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ يوسف:٣٦/٤١.

٥- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران:٧.

• أدلة السنة على المعنى الأول للتأويل .

١- ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُول فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهمَّ اغْفِرْ لي، يَتَأَوَّل القُرْآنَ) [2].

وهي تعني أن النبي ﷺ كان عند ركوعه وسجوده في الصلاة ينفذ

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي ٤٩٨/١.

(٢) البخاري في الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود ٢٨١/١ (٧٨٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٠/١ (٤٨٤).

أمر الله ﷻ الذي ورد في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ النصر:٣. فالتأويل عندها هو الحقيقية التي يؤول إليها الكلام، وتأويل الأمر عندها تنفيذه، والشاهد واضح جدا.

٢- وروى البخاري من حديث أسَامَة بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْل الكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمْ اللهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلى الأَذى، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّل العَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ حَتَّى أَذنَ اللهُ فِيهِمْ، فَلمَّا غزَا رَسُول اللهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَل اللهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ) [(١)].

والشاهد أن التأويل الذي يعنيه أسامة بن زيد رضي الله عنه هو الحقيقية التي يؤول إليها الكلام، وأن تأويل الأمر عنده تنفيذه، فقوله بأن النبي ﷺ كان يتأول العفو أي ينفذ الأمر بالعفو. هذا الأمر الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٦.

وكذلك الأمر بالعفو في قول الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب ٤/١٦٦٣ (٤٢٩٠).

﴿شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٩﴾ البقرة:١٠٩. فالتأويل الذي استخدمه الصحابة ﷺ هو ما ورد معناه في القرآن، وهو الحقيقية التي يؤول إليها الكلام، وكان الصحابة ﷺ يرون أن تأويل الخبر وقوعه، وأن تأويل الأمر تنفيذه.

٣- اجتماع الصحابة على تأويل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾ المائدة:١٠٥. وأن زمن وقوع الأمر بلزوم المسلم نفسه، وترك أصحاب المنكر، ليس هو زمن القوة وتماسك الخلافة الذي كان في عصرهم.

روى الترمذي وصححه، وصححه الشيخ الألباني، أن أبا بكر الصديق ﷺ قال بعد أن حَمِدَ الله ﷻ وأثنى عليه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُول: إِنَّ النَّاسَ إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلمْ يَأْخُذوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ) [(١)]. وفي رواية ابن حبان: (إن الناس إذا رأوا منكرا، فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه) [(٢)].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القران، باب ومن سورة المائدة ٥/٢٥٦ (٣٠٥٧)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وانظر صحيح الجامع (١٩٧٣) ورواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤/١٢٢(٤٣٣٨).

(٢) رواه ابن حبان في البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١/٥٤٠ (٣٠٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيرون، إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب) [(١)].

وقد رأى أبو بكر الصديق ﷺ في تأويل الآية أنها ليست حجة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهم في عصر الخلافة الرشيدة وزمان قوة الإسلام، فلا بد لكل مسلم رأي منكرا أن يغيره، وإن عجز طلب من المحتسبين القائمين من قبل المسئولين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يغيروه.

وكذلك كان فهم أبي ثعلبة الخُشَنِيَّ ﷺ فقد روى أبو داود وصحح الألباني بعض ألفاظه عن أَبي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ أنه قال: (سَأَلتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيَّ فَقُلتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، كَيْفَ تَقُول فِي هَذهِ الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ المائدة:١٠٥. قَال: أَمَا وَاللهِ لقَدْ سَأَلتَ عَنْهَا خبِيرًا، سَأَلتُ عَنْهَا رَسُول اللهِ ﷺ فَقَال: بَل ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ المُنْكَرِ، حَتَّى إذا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُل ذي رَأْيٍ بِرأْيِهِ، فَعَلَيْكَ، يَعْنِي بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْل قَبْضٍ عَلى الجَمْرِ، للعَامِل فِيهِمْ مِثْل أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا

---

(١) صحيح، مشكاة المصابيح، كتاب الآداب، باب السلام(٥١٤٢).

يَعْمَلونَ مِثْل عَمَلِهِ، وَزَادَنِي غَيْرُهُ، قَال يَا رَسُول اللهِ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَال: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ) [1].

والذي يجمع ما سبق على أن التأويل الذي استخدمه الصحابة ﵃ هو الحقيقية التي يؤول إليها الكلام، وأن تأويل الخبر عندهم وقوعه، وتأويل الأمر تنفيذه، هو ما ورد عن عبد الله بن مسعود ﵁ في بيان معنى التأويل.

روى البيهقي عن أبي العالية قال: كانوا عند عبد الله، فوقع بين رجلين ما يقع بين الناس، فوثب كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال بعضهم: ألا أقوم فأمرهما بالمعروف، وأنهاهما عن المنكر؟ فقال بعضهم: عليك نفسك، إن الله تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ المائدة:١٠٥.

فسمعها عبد الله بن مسعود ﵁ فقال: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قبلت منكم، فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل حيث نزل فمنه آي قد مضي تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آي وقع

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي ١٢٣/٤ (٤٣٤١)، والترمذي في كتاب تفسير القران، باب ومن سورة المائدة ٢٥٧/٥ (٣٠٥٨)، وضعفه الألباني إلا بعض ألفاظه ورد في روايات أخرى صحيحة، انظر مشكاة المصابيح (٥١٤٤) وضعيف الترغيب والترهيب، كتاب التوبة والزهد، باب الترغيب في التوبة ١٦٢/٢ (١٨٤٦) نشر مكتبة المعارف الرياض.

تأويلهن على عهد النبي ﷺ، ومنه آي وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير، ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة، ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعا، ولم يذق بعضكم بأس بعض، فأمروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء، وألبستم شيعا، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية) [(١)].

قال ابن تيمية: (فابن مسعود ﷺ قد ذكر في هذا الكلام تأويل الأمر وتأويل الخبر، فهذه الآية: عليكم أنفسكم من باب الأمر، وما ذكر من الحساب والقيامة من باب الخبر، وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود المخبر به، وتأويل الأمر هو فعل المأمور به، فالآية التي مضي تأويلها قبل نزولها، هي من باب الخبر يقع الشيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول وتكذيبهم له، وهي وإن مضي تأويلها فهي عبرة، ومعناها ثابت في نظيرها) [(٢)].

وقال: (وأما لفظ التأويل في التنزيل، فمعناه الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب، وهي نفس الحقائق التي أخبر الله عنها، فتأويل ما أخبر

(١) السنن الكبري للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب ما يستدل به على أن القضاء وسائر أعمال الولاة مما يكون أمرا بالمعروف أو نهيا عن منكر من فروض الكفايات ١٠/٩٢ (١٩٩٨١) .

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/٣٧١.

به عن اليوم الآخر، هو نفس ما يكون في اليوم الآخر، وتأويل ما أخبر به عن نفسه، هو نفسه المقدسة الموصوفة بصفاته العلية، وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله، ولهذا كان السلف يقولون: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فيثبتون العلم بالاستواء، وهو التأويل الذي بمعنى التفسير، وهو معرفة المراد بالكلام حتى يتدبر ويعقل ويفقه، ويقولون: الكيف مجهول، وهو التأويل الذي انفرد الله بعلمه، وهو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو) (١).

- **المعنى الثاني للتأويل هو التفسير والبيان.**

المعنى الثاني للتأويل في عرف السلف الصالح هو التفسير والبيان، ويقصدون به كشف المعنى، وتوضيح مراد المتكلم، وهذا التأويل كالتفسير، يحمد حقه، ويرد باطله.

ومثاله دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (اللهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلمْهُ التَّأْوِيل) (٢).

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما التأويل في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث، فمرادهم به معنى التفسير والبيان،

---

(١) درء التعارض ٣/٩٥.

(٢) رواه البخاري بلفظ (اللهم فقهه في الدين) ١/٦٦ (١٤٣) ورواه أحمد بالزيادة المذكورة في مسند عبد الله بن عباس ﷺ ١/٣٢٨ (٣٠٣٣)، قال الأرنؤوط: إسناده قوي علي شرط مسلم، ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٦١٥ (٦٢٨٠)، وقال الذهبي في التلخيص صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٨٩).

ومنه قول ابن جرير وغيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا. يريد تفسيره، ومنه قول الإمام أحمد في كتابه في الرد على الجهمية فيما تأولته من القرآن على غير تأويله [(١)]، فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها، وهي تفسيرها المراد بها، وهو تأويلها عنده، فهذا التأويل يرجع إلى فهم المعنى وتحصيله في الذهن، والأول يعود إلى وقوع حقيقته في الخارج) [(٢)].

وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ الذينَ يَعْلمُونَ تَأْوِيلهُ) [(٣)].

قال ابن أبي العز شارح الطحاوية: (وَلقَدْ صَدَقَ ﷺ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لهُ وَقَال: اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلمْهُ التَّأْوِيل. رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ. وَدُعَاؤُهُ ﷺ لا يُرَدُّ. قَال مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ المُصْحَفَ عَلى ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنْ أَوَّلهِ إِلى آخِرِهِ، أَقِفُهُ عِنْدَ كُل آيَةٍ، وَأَسْأَلهُ عَنْهَا. وَقَدْ تَوَاتَرَتِ النُّقُول عَنْهُ أَنَّهُ تَكَلمَ فِي جَمِيعِ مَعَانِي القُرْآنِ، وَلمْ يَقُل عَنْ آيَةٍ: إِنَّهَا مِنَ المُتَشَابِهِ الذي لا يَعْلمُ أَحَدٌ تَأْوِيلهُ إِلا اللهُ. وَقَوْل

---

(١) انظر كتاب الرد على الزنادقة والجهمية، لناصر السنة وقامع البدعة الإمام أحمد بن حنبل ص٢٠، نشر المطبعة السلفية، القاهرة.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ١/١٧٨.

(٤) انظر ما رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣/١٨٣) عن ابن عباس من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وانظر كذلك مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/٤٠٢.

الأَصْحَابِ رَحِمَهُمُ اللهُ فِي الأُصُول: إِنَّ المُتَشَابِهَ الحُرُوفُ المُقَطَّعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، وَيُرْوَى هَذا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. مَعَ أَنَّ هَذِهِ الحُرُوفَ قَدْ تَكَلَّمَ فِي مَعْنَاهَا أَكْثَرُ النَّاسِ) [١].

قال ابن تيمية: (التأويل بمعنى التفسير، هذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير: واختلف علماء التأويل، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به معرفة تفسيره) [٢].

- **المعنى الثالث صرف اللفظ من معنى إلى آخر بدليل.**

ظهر للتأويل معنى جديد اشتهر في عرف المتأخرين من الفقهاء ورجال الأصول بمعنى صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى آخر بدليل من الكتاب والسنة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الزمر:٤٢.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/٢٣٤.

(٢) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٥٥.

فهو سبحانه يتوفاهم برسله الذين يتقدمهم ملك الموت كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١.

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنعام: ٦١.

وكقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق: ١٦.

والله سبحانه وملائكته يعلمون ما توسوس به نفس العبد من حسنة وسيئة، والهم في النفس قبل العمل، فقوله: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله، فذاتهم أقرب إلى قلب العبد من حبل الوريد، فيجوز أن يكون بعضهم أقرب إلى بعضه من بعض، ولهذا قال في تمام الآية: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٦. فقوله: "إذ" ظرف، فأخبر أنهم أقرب إليه من حبل الوريد حين يتلقى المتلقيان ما يقول، فهذا كله خبر عن الملائكة [(١)].

وقال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة: ١٦/ ١٨.

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ١٢٩ بتصرف.

والشاهد أن قوله تعالى: فإذا قرأناه. يراد به قراءة جبريل ، لما ورد عند البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ الَتِي فِي لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. قَالَ: عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ، فَإِذا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. فَإِذا أَنْزَلنَاهُ فَاسْتَمِعْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ، قَالَ: فَكَانَ إِذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذا ذهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ ﷻ [١].

قال ابن القيم: (وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد، ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك، وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول ﷺ فهو المقبول، وما خالفه فهو المردود) [٢].

- **التحريف هو صرف اللفظ عن معناه بغير دليل.**

وقد وجد كثير من علماء الخلف من المعتزلة والمتكلمين الأشاعرة

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة القيامة قوله تعالى: فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ٤/١٨٧٧ (٤٦٤٥). ومسلم في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة ١/٣٣٠ (٤٤٨).

(٢) الصواعق المرسلة ص ١٨٧.

بغيتهم في هذا التأويل، واستخدموه بدليل أو بغير دليل، ليضفوا الشرعية على آرائهم، ويبرروا تعطيلهم لأوصاف الله ﷻ، فصرفوا معاني النصوص الظاهرة إلى معان ابتدعوها بغير دليل، وقاموا بلي أعناق النصوص وذبحها بصورة لا تخفى على عاقل، فقالوا في الاستواء كما سبق استيلاء وقهر هروبا من إثبات فوقية الله على خلقه، وقالوا: معنى في السماء، أي عذابه وسلطانه، ومعني اليدين القدرة، ومعني الوجه الذات، ومعني المجيء مجيء الأمر، ومعني النزول نزول الرحمة، ومعني الرضا إرادة الإكرام، والغضب إرادة الانتقام، والقدم مثل للردع والانزجار.

وهكذا أغلب الصفات حتى تشعر من أقوالهم بأن المتبادر إلى الذهن عند قراءة الكتاب والسنة معان باطلة، واعتقادات فاسدة، وأنه كان ينبغي أن يكون القرآن الكريم أحسن من هذا، وكان ينبغي لكلمات النبي ﷺ في الأحاديث أن تكون بغير هذه الألفاظ حتى لا يتكلفوا مشقة صرف الكلام عن معناه، وتأويله بغير دليل.

قال ابن تيمية: (وأما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، كتأويل من تأول استوى بمعنى استولى ونحوه، فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته، فلا يقال في مثل هذا التأويل لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، بل يقال فيه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يونس:١٨. كتأويلات الجهمية والقرامطة الباطنية، كتأويل من تأول الصلوات الخمس بمعرفة أسرارهم، والصيام بكتمان أسرارهم، والحج بزيارة شيوخهم، والإمام المبين بعلي بن أبي طالب، وأئمة الكفر بطلحة والزبير، والشجرة الملعونة في القرآن ببني أمية، واللؤلؤ والمرجان بالحسن والحسين، والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والبقرة بعائشة، وفرعون بالقلب، والنجم والقمر والشمس بالنفس والعقل ونحو ذلك، فهذه التأويلات من باب التحريف للكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، وهي من باب الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وكتابه.

ومثل هذه لا تُجعل حقا حتى يقال إن الله استأثر بعلمها، بل هي باطل مثل شهادة الزور.. وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه، وهذا هو من أعظم المحادة لله وللرسول، لكن على وجه النفاق والخداع) [١].

- **التحريف بالتأويل أقبح من التعطيل والتكييف والتمثيل.**

ذكر العلامة ابن القيم أن التأويل شر من التعطيل، فإنه يتضمن التشبيه والتعطيل، والتلاعب بالنصوص، وإساءة الظن بها، فإن المعطل والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات، وامتاز المؤول

---

(١) درء التعارض ٣/٣٠٨.

بتلاعبه بالنصوص، وانتهاكه لحرمتها، وإساءة الظن بها، ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال، فجمعوا بين أربعة محاذير:

المحذور الأول: اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله ﷺ المحال الباطل، ففهموا التشبيه أولا، ثم انتقلوا عنه إلى ما هو أكثر ضلالا.

المحذور الثاني: هو التعطيل فعطلوا حقائقها بناء منهم على ذلك الفهم الذي يليق بهم، ولا يليق بالرب جل جلاله.

المحذور الثالث: نسبة المتكلم الكامل العلم، الكامل البيان، التام النصح إلى ضد البيان والهدى والإرشاد، وإن المتحيرين المتهوكين أجادوا العبادة في هذا الباب وعبروا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص، ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه، أو أفصح، أو أنصح للناس.

المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها فلو رأيتها وهم يلوكونها بأفواههم، وقد حلت بها المثلات، وتلاعبت بها أمواج التأويلات، وتقاذفت بها رياح الآراء، واحتوشتها رماح الأهواء، ونادى عليها أهل التأويل في سوق من يزيد، فبذل كل واحد في ثمنها من التأويلات ما يريد، فلو شاهدتها بينهم وقد تخطفتها أيدي الاحتمالات، ثم قيدت بعدما كانت مطلقة بأنواع الإشكالات، وعزلت عن سلطنة اليقين، وجعلت تحت حكم تأويل الجاهلين هذا، وطالما نصبت لها حبائل الإلحاد، وبقيت عرضة

للمطاعن والإفساد، وقعد النفاة على صراطها المستقيم بالدفع في صدورها والأعجاز، وقالوا: لا طريق لك علينا، وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز، فنحن أهل المعقولات، وأصحاب البراهين، وأنت أدلة لفظية، وظواهر سمعية، لا تفيد العلم ولا اليقين، فسندك آحاد، وهو عرضة للطعن في الناقلين، وإن صح وتواتر ففهم مراد المتكلم منه موقوف على انتفاء عشرة أشياء، لا سبيل إلى العلم بانتفائها عند الناظرين والباحثين، فلا إله إلا الله والله أكبر، كم هدمت بهذه المعاول من معاقل الإيمان، وكم أطلقت في نصوص الوحي من لسان كل جاهل أخرق، ومنافق أرعن، وطرقت لأعداء الدين الطريق، وفتحت الباب لكل مبتدع وزنديق [1].

ومن نظر في التأويلات المخالفة لحقائق النصوص رأى من ذلك ما يضحك عجبا، ويبكي حزنا، ويثير حمية للنصوص وغضبا، قد أعاد عذب النصوص ملحا أجاجا، وخرجت الناس من الهدى والعلم أفواجا، فتحيزت كل طائفة إلى طاغوتها، وتصادمت تصادم النصارى في شأن ناسوتها ولاهوتها، ثم تمالأ الكل على غزو جند الرحمن، ومعاداة حزب السنة والقرآن، فتداعوا إلى حربهم تداعي الأكلة إلى قصعتها، وقالوا: نحن وإن كنا مختلفين، فإنا على محاربة هذا الجند متفقون، فميلوا بنا عليهم ميلة واحدة حتى تعود دعوتهم باطلة، وكلمتهم خامدة، وَغَرّ المخدوعين كثرتُهم التي ما زادتهم عند

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ص٢٩٦ بتصرف.

الله ورسوله وحزبه إلا قلة، وقواعدهم التي ما زادتهم إلا ضلالا وبعدا عن الملة، وظنوا أنهم بجموعهم المعلولة يملئون قلوب أهل السنة إرهابا منهم وتعظيما [(١)].

وأكثر هذه التأويلات المخالفة للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام، الذين لهم في الأمة لسان صدق، أكثر هذه التأويلات يتضمن من عبث المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه من أهل النفاق والإلحاد، لما فيه من دعوى أن ظاهر كلامه إفك ومحال، وكفر وضلال، وتشبيه وتمثيل أو تخييل، ثم صرفها إلى معان يُعلم أن إرادتها بتلك الألفاظ من نوع الأحاجي والألغاز، لا يصدر ممن قَصْدُه نصح وبيان.

فالمدافعة عن كلام الله ورسوله ﷺ والذب عنه من أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وأنفعها للعبد، ومن رزقه الله بصيرة نافذة، علم سخافة عقول هؤلاء المحرفين، وأنهم من أهل الضلال المبين، وأنهم إخوان الذين ذمهم الله ﷻ بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، الذين لا يفقهون، ولا يتدبرون القول، الذين شبههم الله ﷻ بالحمر المستنفرة تارة، وبالحمار الذي يحمل أسفارا تارة.

ومن قَبِل التأويلات المفتراة على الله ورسوله ﷺ التي هي تحريف

---

(١) السابق ص ٢٩٧ بتصرف.

لكلام الله ورسوله ﷺ عن مواضعه، فهو من جنس الذين قبلوا قرآن مسيلمة المختلق المفترى، وقد زعم أنه شريك لرسول الله ﷺ، وكان رئيسا كبيرا مطاعا بجعله شريكا له في التصديق والطاعة والقبول، إن لم يقدمه عليه، لاسيما الغالية من الجهمية والباطنية والرافضة والاتحادية، فإن عندهم من كلام ساداتهم وكبرائهم ما يضاهون به كلام الله ورسوله ﷺ.

وكثيرا ما يقدمونه عليه علما وعملا، ويدعون فيه من التحقيق والتدقيق والعلم والعرفان ما لا يثبتون مثله للسنة والقرآن، ومن تلبس منهم بالإسلام يقول: كلامنا يوصل إلى الله والقرآن، وكلام الرسول ﷺ يوصل إلى الجنة، وكلامنا للخواص والقرآن للعوام.

وكثير منهم يقول: كلامنا برهان، وطريق القرآن خطابة، ومنهم من يقول: القرآن والسنة طريق السلامة، وكلامنا طريق العلم والتحقيق، وكثير منهم يقول: لم يكن الصحابة ﷺ معنيين بهذا الشأن، بل كانوا قوما أميين فتحوا البلاد وأقاموا الدين بالسيف، وسلموا إلينا النصوص نتصرف فيها ونستنبط منها، فلهم علينا مزية الجهاد والزهد والورع، ولنا عليهم مزية العلم بالحقائق والتأويل وإن لم يعلموا هذا من قلوبهم، والله يشهد به عليهم، ويعلمه كامنا في صدورهم، يبدو على فلتات لسان من لم يصرح به منهم(١).

---

(١) السابق ص ٢٩٨ بتصرف.

ومن محققي هؤلاء المتكلمين وأهل التأويل من يدعي أن الرسل يستفيدون العلم بالله من طريقهم، ويتلقونه من مشكاتهم، ولكن يخاطبون الناس على قدر عقولهم، فلم يصرحوا لهم بالحق، ولم ينصحوا لهم به، وكل من هؤلاء قد نصب دون الله ورسوله ﷺ طاغوتا، يعول عليه ويدعوه عند التحاكم إليه، فكلامه عنده محكم لا يسوغ تأويله، ولا يخالف ظاهره، وكلام الله ورسوله ﷺ إذا لم يوافقه فهو مجمل متشابه يجب تأويله، أو يسوغ، فضابط التأويل عندهم ما خالف تلك الطواغيت [1].

• **أنواع التأويلات الباطلة التي من قبيل التحريف.**

١- كل تأويل لا يحتمله اللفظ في أصل وضعه وكما جرت به عادة الخطاب بين العرب، كتأويلهم لفظ الأحد بأنه المجرد من الصفات، أو هو الذي لا جزء له، ولا قسيم له، فإن هذا غير معروف في لغة العرب.

٢- كل تأويل لا يحتمله اللفظ بحسب التركيب الخاص من تثنية وجمع، وإن جاز أن يحتمله اللفظ في تركيب آخر، كتأويلهم قول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ ص:٧٥. بأن اليدين هما القدرة أو النعمة؛ فإن لفظ اليد مفردا وعند إطلاقه قد يحتمل أحد هذين المعنيين، أما وهو في صيغة

(١) السابق ص ٣٠٦ بتصرف.

التثنية، وفي هذا التركيب بالذات، فإنه لم يرد في لغة العرب بهذا المعنى وتأويله بالقدرة أو النعمة تحريف للكلم عن مواضعه.

٣- كل تأويل لا يحتمله السياق المعين، وإن جاز في غيره كتأويلهم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ الأنعام:١٥٨. بأن إتيان الرب هنا، معناه إتيان بعض آياته، أو إتيان أمره فهذا التأويل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال.

٤- كل تأويل لا يؤلف استعمال اللفظ في ذلك المعني المراد في لغة المخاطب، وإن كان مألوفا كاصطلاح خاص، كتأويل لفظ الأفول بالحركة في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ الأنعام:٧٦. فإن هذا غير معهود في لغة العرب البتة، بل المعهود الأفول بمعني الغياب، فلا يجوز حمل آية من القرآن عليه؛ لأنه نوع من التلبيس.

٥- التأويل الذي لا دليل عليه من سياق أو قرينة؛ لأن هذا لا يقصده المتكلم الذي يريد في خطابه هداية الناس والبيان له.

ولا تغرنك الأشكال اللفظية المزخرفة بأنواع البديع وأجناس البيان التي حالوا بها ترويج ابتداعاتهم تحت ستار التأويل ولو حسنت نواياهم، أو محاولتهم تهجين المعنى الأصلي المسوقة له الآية، وتقبيحه

إلى نفس السامع، كتسميتهم إثبات الصفات الإلهية كما يليق بجلال الله تشبيها وتمثيلا وتجسيما، وكتسميتهم للعرش بالحيز، أو الصفات بالأعراض، وكقولهم: إن ربكم منزه عن الأعراض والأبعاض، والتركيب والتجسيم.

ولا يشك مسلم أن الله منزه عن كل نقص وعيب، وأنه موصوف بصفات الكمال التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، ولكن مراد هؤلاء أن يجعلوا أوصاف الكمال في القرآن السنة دالة على غير ذلك من صفات النقص وإن كانت نيتهم التنزيه، ومن أجل ذلك عطلوا ما دل عليه القرآن من نصوص الصفات، ووقعوا في محاذير لا حصر لها [(١)].

- **نتائج التأويل الباطل وتحريف الكلم عن مواضعه.**

ذكر ابن القيم أن من أعظم آفات التأويل وجناياته أنه إذا سلط على أصول الإيمان والإسلام اجتثها وقلعها، فإن أصول الإيمان ستة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأصول الإسلام خمسة وهي كلمة الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، فعمد أرباب التأويل إلى أصول الإيمان والإسلام فهدموها بالتأويل، وذلك أن معقد هذه الأصول تصديق

---

(١) انظر في أنواع التأويلات الباطلة مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٣ وما بعدها.

الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، فعمدوا إلى أجل الأخبار وهو ما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته ونعوت كماله فأخرجوه عن حقيقته وما وضع له[(١)].

وهذا القسم من الأخبار أشرف أنواع الخبر، والإيمان به أصل الإيمان بما عداه، واشتمال القرآن بل والكتب الإلهية عليه أكثر من اشتمالها على ما عداه، وتنوع الدلالة بها على ثبوت مخبره أعظم من تنوعها في غيره، وذلك لشرف متعلقة وعظمته، وشدة الحاجة إلى معرفته، وكانت الطرق إلى تحصيل معرفته أكثر وأسهل وأبين من غيره، وهذا من كمال حكمة الرب تبارك وتعالى، وتمام نعمته وإحسانه[(٢)].

- **مثال من أول شيئا بعقله وقدمه على النقل الصحيح.**

ضرب ابن القيم رحمه الله مثالا لمن أوَّل شيئا من الشرع، وزعم أن ما أوَّله هو الذي قصده الشرع، بمن أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر ليحفظ بسببه صحة جميع الناس، أو أكثرهم، فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء الأعظم لرداءة مزاجه وشذوذه عن سائر الناس، فزعم أن بعض تلك الأدوية التي صرح باسمها الطبيب الأول فيها بعض البدائل، فأزال بعض الأدوية من ذلك المركب الأعظم، وجعل

---

(١) الصواعق المرسلة ص٣٦٥ بتصرف.

(٢) السابق بتصرف ص٣٦٥.

فيه بدله الدواء الذي ظن أنه تعافى بسببه.

وقال للناس: هذا هو الذي قصده الطبيب الأول، فاستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوله عليه هذا المتأول، ففسدت أمزجه كثير من الناس، فجاء آخرون فشعروا بفساد أمزجه الناس من ذلك الدواء المركب، فراموا إصلاحه بأن بدلوا بعض أدويته بدواء آخر غير الدواء الأول، فظهرت آثار جانبية لتركيبة الدواء بسبب تلك البدائل، فجاء ثالث فتأول في أدوية ذلك المركب غير التأويل الأول والثاني، فظهرت آثار جانبية أخرى معقدة ومؤلمة، فجاء متأول رابع فتأول دواء آخر غير الأدوية المتقدمة، فظهرت آثار جانبية أخرى أشد تعقيدا وإيلاما، فلما طال الزمان بهذا الدواء المركب الأعظم، وسلط الناس التأويل على أدويته وغيروها وبدلوها ظهرت منه للناس أمراض شتى حتى فسدت المنفعة المقصود بذلك الدواء المركب في حق أكثر الناس، وهذه هي حالة الفرق الحادثة في هذه الشريعة مع الشريعة [١].

وذلك أن كل فرقة منهم تأولت غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه هو الذي قصده صاحب الشرع، حتى تمزقت معاني الشرع وأهدافه كل ممزق، وبعد جدا عن موضوعه الأول.

ولما علم صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أن

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٤/٢٥٢ بتصرف.

مثل هذا يعرض، ولا بد في شريعته قال ﷺ: (سَتفترقُ أمتي عَلَى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا وَاحِدَةٌ) (١)، يعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشرع ولم تؤوله (٢).

وأنت إذا تأملت ما ظهر في الشريعة في هذا الوقت من الكلام الفاسد العارض فيها من قبل التأويل، تبينت أن هذا المثال صحيح، وأول من غير هذا الدواء الأعظم هم الخوارج، ثم المعتزلة بعدهم، ثم الأشعرية ثم الصوفية ثم جاء أبو حامد الغزالي فطم الوادي على القرى (٣).

• لوازم القول بالتأويل الباطل.

القول بالتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره بدعوى أنه ليس مرادا يتضمن محالات كثيرة ولوازم باطلة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- أن يكون الرسول ﷺ قد ترك الناس في ذلك بدون بيان للحق الواجب سلوكه ولم يهد الأمة، بل رمز إليه رمزا، وألغز إلغازا، ومعلوم أنه ليس في الرمز والألغاز بيان وهداية.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١٣٧/٥ (٤٨٨٦)، وفي المعجم الصغير ٢٩/٢ (٧٢٤)، وابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ١٣٢٢/٢ (٣٩٩٢) بلفظ قريب، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٤٩٢) انظر: صحيح سنن بن ماجه (٣٩٩٣)، وصحيح الجامع (٢٠٤٢).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٢٥٢/٤ بتصرف.

(٢) السابق ٢٥٢/٤ بتصرف.

٢- أن يكون الرسول ﷺ قد تكلم في باب الصفات بما ظاهره خلاف الحق، ولم يتكلم في ذلك كلمة واحدة توافق مذهب الخلف المتكلمين من النفاة أتباع الجهمية.

٣- الطعن في القرآن الذي هو تبيان لكل شئ، وهدي ورحمة، وقول فصل ليس بالهزل، وأن من قال به فقد هدي إلى صراط مستقيم، وأين الهداية إذا كان ما يقوله المتأولون بلا دليل حقا؟!

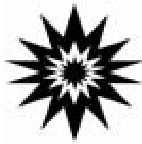
٤- الطعن في وظيفة الرسول ﷺ التي هي البلاغ، والله وصفه بأنه قد بلغ البلاغ المبين، وقد نزل عليه قوله تعالى قبل وفاته ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة:٣. فإذا كان حقا ما ذهب إليه المتأولون بلا دليل، فأين كمال الدين وتمام النعمة؟! بل أين البلاغ المبين وأين الهدي والبيان؟!

وقد وقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وجه أولئك الذين سماهم بأهل التحريف والتبديل وقفة مسلم يغار على دينه، فمن المحال أن يكون الرسول ﷺ قد ترك الناس في هذا الأمر الأهم بلا بيان لما يجب اعتقاده حتى يأتي أمثال هؤلاء من أصحاب العقول القاصرة من المتكلمين وأتباع الجهمية ليبينوا للناس بتأويلاتهم الفاسدة ما نزل إليهم من ربهم.

ومحال أن يكون الرسول ﷺ قد استعمل في خطابه ألفاظا لا يفيد ظاهرها إلا الإلحاد والضلال والتشبيه والتجسيم .

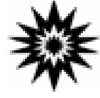
ومحال على من أرسله الله هاديا ومبينا أن يستعمل في خطابه رموزا وطلاسم لا يفهمها المخاطب، فاللهم ثبتنا على صراطك المستقيم.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٦ ﴾ سبأ:٥/٦ .



المطلب الثاني عشر

المحكم والمتشابه وحقيقة القول بالتفويض



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن معاني التأويل في القرآن والسنة وبينا أن معنى التأويل لغة رجوع الكلام ومآله إلى ما ينطبق عليه، وأن المعنى الأول للتأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وذكرنا أدلة القرآن أدلة السنة على المعنى الأول، كما تحدثنا عن المعنى الثاني للتأويل وهو التفسير والبيان.

وأما المعنى الثالث وهو صرف اللفظ من معنى إلى آخر بدليل، فقد بينا أنه معنى محدث لم يكن معروفا في عصر السلف، وعلمنا أن صرف اللفظ من معنى إلى آخر بغير دليل يسمى تحريفا ولا يسمى تأويلا، وأن التحريف بالتأويل أقبح من التعطيل والتكييف والتمثيل.

كما تحدثنا عن أنواع التأويلات الباطلة التي هي من قبيل التحريف، ونتائج هذه التأويلات الباطلة وخطورتها على العقيدة الإسلامية، وبينا المثال الذي ضربه ابن القيم لمن أوّل شيئا بعقله وقدمه على ما أوجبته الأدلة النقلية، ثم علمنا لوازم القول بالتأويل الباطل.

وفي هذا المطلب بإذن الله نتناول الحديث عن معاني المحكم والمتشابه وحقيقة القول بالتفويض، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **تعريف المحكم والمتشابه لغة.**

المحكم لغة: من الحكم والإحكام والقضاء، والعلم والفقه والحكمة، وهو مصدر حكم يحكم، والحَكْمَةُ عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لِمَنْ يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويُتقنها حكيم، والمحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فَعِيلٌ بمعنى مُفْعَلٍ أحكم فهو محكم [١].

وروى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (ثم توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم) [٢]. يريد المفصل من القرآن لأنه لم ينسخ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن متشابها لأنه أحكم بيانه بنفسه، ولم يفتقر إلى غيره [٣].

والمتشابه لغة: الشبه ضرب من النحاس، يلقى عليه دواء فيصفر، وسمي شبها لأنه شبه بالذهب، وفي فلان شبة من فلان أي توافق في بعض أوصافه فهو شبيهه، وتقول: شبهت هذا بهذا، وأشبه فلان فلانا، وأشبه الشيء الشيء ماثله. والمشبهات من الأمور المشكلات،

---

(١) النهاية في غريب الأثر ١/١٠٢٣، لسان العرب لابن منظور ١٢/١٤٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القران، باب تعليم الصبيان القران ٤/١٩٢٢ (٤٧٤٨)، وأحمد في المسند ١/٢٥٣ (٢٢٨٣) .

(٣) لسان العرب ١٢/١٤٠.

تشابه الشيئان، أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وشبه فلان عليَّ إذا خلط الأمر واشتبه ولم يعرف [(١)].

• **المحكم والمتشابه في الاصطلاح.**

يمكن بالتتبع والاستقراء حصر الآراء التي فسرت معنى المحكم والمتشابه في القرآن الكريم في الوجوه الآتية:

١- المحكم ما عرف تأويله، وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل.

٢- المحكم ما لا يحتمل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما يحتمل وجوها، فإذا رُدَّت إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكما.

٣- المحكم ناسخه وحرامه وحلاله وفرائضه، وما نؤمن به ونعمل عليه، والمتشابه منسوخه وأمثاله وأقسامه، وما نؤمن به ولا نعمل به.

٤- المحكم الذي ليس فيه تصريف ولا تحريف عما وضع له، والمتشابه ما فيه تصريف وتحريف وتأويل.

٥- المحكم ما كان قائما بنفسه، لا يحتاج إلى أن يرجع فيه إلى غيره، والمتشابه ما يرجع فيه إلى غيره.

---

(١) انظر لسان العرب ١٣/٥٠٥، وتهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ٦/٥٨ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣/٤٠٤ نشر مكتبة الهلال.

ويذكر الإمام السيوطي أن ما لم يأت في القرآن بلفظه البتة مما يقصده علماء القرآن، من وقوع النظم الواحد على صور شتى، تتشابه في أمور وتختلف في أخرى، يطلقون عليه متشابه النظم أو متشابه اللفظ [١].

يقول الزركشي عن المتشابه من هذا النوع: (ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرر) [٢] .

- **القرآن متشابه في البلاغة والإعجاز.**

وربما يطلق المتشابه كصفة مدح لجميع القرآن، ولفظ المتشابه على هذا المعنى هو الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الزمر:٢٣.

أما تبيان كيف أن المتشابه بهذا الإطلاق نعت كمال لجميع القرآن، فإنه من الواضح الجلي أن صوغ مادة التشابه في هذه الآية يقضى بأن الكتاب الكريم ذو أجزاء، كلها يشبه بعضها بعضا من حيث الصحة والإحكام، وإعجاز الصياغة في سائر الكلام، والبناء

---

(١) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ٣/٣٩٠، طبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة.

(٢) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي ١/١١٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٩٧٢.

على الحق والصدق والهداية ومنفعته الخلق، وتناسب ألفاظه وتناسقها في البلاغة والإصابة، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتحدي.

وجميع آيات القرآن متشابهة في الحسن وإظهار المعاني النافعة المزكية للعقول، المطهرة للقلوب، المُصلحة للأحوال، فألفاظه أحسن الألفاظ، ومعانيه أحسن المعاني[١].

قال الزرقاني: (ومعنى كونه كله متشابها، أنه يشبه بعضه بعضا في إحكامه، وحسنه وبلوغه حد الإعجاز في ألفاظه ومعانيه، حتى إنك لا تستطيع أن تفاضل بين كلماته وآياته في هذا الحسن والإحكام والإعجاز، كأنه حلقة مفرغة لا يدري أين طرفاها) [٢].

• **القرآن محكم باعتبار وضوح معناه.**

والتشابه بهذا المعنى الذي يعم جميع القرآن على نحو ما رأينا، لا يتنافى بحال مع وصف الإحكام المذكور في قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود:١، والذي يعم هو الآخر القرآن الكريم بأسره.

بل يجب الأخذ بكلا الوصفين جميعا في كتاب الله ﷻ دون أن يأتي كلام الحق في ذلك باطل من بين يديه أو من خلفه، وذلك بأن

---

(١) القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي ص٥٧ بتصرف.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١٩٥/٢ نشر دار الفكر، بيروت.

التناقض إنما يلزم إذا كان بين المادتين في هاتين الآيتين تقابل التضاد، وكيف وكل منهم صفة مدح، لا يمكن أن تدل على ما يضاد الأخرى، وإنما على ما يؤيدهما ويشد من أزرهما، وبانطوائهما معا في صفته شاهد صدقه وآية تنزيل رب العالمين[1].

وأما الإحكام فمعناه أن أي القرآن كلها قد نظمت نظما محكما، لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى، ولا من جهة الهدف والغاية، أو أنها أحكمت بالحجج والدلائل، أو جعلت حكمة، فنقول حُكِم إذا صار محكما، لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية، وإذن فالقرآن بهذا المعنى محكم في تشابهه، متشابه في إحكامه [2].

• **القرآن الكريم فيه المحكم والمتشابه.**

وقد يرد لفظ المتشابه في القرآن مقولا على بعض منه مخصوص، مقابلا وقسيما للبعض الآخر الذي يقال عليه وصف المحكم، وبحيث لا يجتمع هذان الوصفان المتقابلان في شيء واحد، وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾ آل عمران:٧.

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/٩٥ بتصرف.

(٢) تفسير القرآن للبيضاوي ٣/٢١٩، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة، نشر دار الفكر بيروت.

وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه لفظ المتشابه عند الإطلاق، أو التجرد من القرينة. وإن الناظر في هذين الوصفين المتقابلين، واللذين لا يصدق واحد منهما على ما يصدق عليه الآخر من القرآن، ليرى اختلافا عظيما بين العلماء في تبيان هذا المعنى.

• التفويض لغة واصطلاحا.

التفويض لغة، فوض إليه الأمر تفويضا صيره إليه، وجعله الحاكم فيه، قال الله ﷻ: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ غافر:٤٤. أي أتكل عليه.

وعند البخاري من حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِب ﷺ مرفوعا: (اللهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ) [١]. أي رددته إليك.

والتفويض في النكاح التزويج بلا مهر، وقوم فوضى مختلطون، وقيل: هم الذين لا أمير لهم، ولا من يجمعهم، وصار الناس فوضى أي متفرقين، وقوم فوضى، أي متساوون لا رئيس لهم، ونعام فوضى، أي مختلط بعضه ببعض.

أما التفويض في الاصطلاح، فهو زعم الخلف الأشعرية أن عقيدة السلف في الصفات الإلهية هو تفويض العلم بالمعنى لا الكيفية.

فبعد موت أبي الحسن الأشعري (ت:٣٢٤هـ) الذي أعلن اتباعه

---

(١) البخاري في كتاب الوضوء، باب فضل من بات علي الوضوء(٢٤٧)

للمنهج السلفي في كتابه الإبانة عن أصول الديانة، ظن علماء الخلف من الأشعرية كالقاضي أبى بكر الباقلاني (ت:٤٠٢هـ)، وأبى إسحاق الإسفراييني (ت:٤١٨هـ)، وعبد الكريم الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ)، وأبى إسحاق الشيرازي (ت:٤٧٦هـ)، وإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت:٤٧٨هـ)، وكأبي حامد الغزالي الصوفي (ت:٥٠٥هـ)، وفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، وكذلك سيف الدين الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، وشمس الدين الأصفهاني (ت:٦٨٨هـ)، وغيرهم من علماء الخلف المتكلمين الأشعرية، ظن هؤلاء أن مذهب السلف الصالح هو التفويض.

والتفويض عندهم هو القول بأن معنى النص مجهول، ولا يعلمه أحد من السلف، لا من الصحابة ﷺ ولا من التابعين، وأنهم فوضوا العلم به إلى الله ﷻ، أو ردوا العلم بالمعنى إلى الله لعدم علمهم به، كالأعجمي حين ينظر إلى القرآن.

والأمر في حقيقته ليس كذلك، فالسلف الصالح فوضوا العلم بالكيفية الغيبية فقط إلى الله ﷻ، أو ردوا العلم بكيفية الصفات إلى الله ﷻ، أما المعنى فهو معلوم واضح من دلالة اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

وحجتهم في ذلك اعتقادهم الخاطئ أن النصوص القرآنية والنبوية في الغيبيات، أو في باب الأسماء والصفات موهمة للتشبيه والجسمية، ومعانيها من المتشابهات دون المحكمات.

وقد بقى الحال على هذا الفهم عند كثير من الناس حتى الآن، فأغلبهم يخطئون في فهم عقيدة الإمام مالك بن أنس رحمه الله، عندما سأله سائل مبتدع عن كيفية الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥؟ وقال له: يا أبا عبد الله: كيف استوى؟! فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالا، وأمر به فأخرج) [(١)].

لقد ظنوا أن مالكا رحمه الله دعا إلى عدم التعرض للآيات بتفسير معناها، وإيجاب تفويض العلم بالألفاظ إلى الله ﷻ، وأمر عقيدة السلف التي قررها الإمام مالك ليس كذلك، فمعتقد الإمام مالك هو تفويض العلم بالكيفية إلى الله فقط، أما المعنى فهو معلوم ظاهر من لغة العرب، ومراد من مفهوم الآية.

وهذا واضح بيِّن في كلامه حيث قال: الاستواء غير مجهول، أي معلوم المعنى، والكيف غير معقول، أي مجهول للعقل البشرى بسبب عجزه عن إدراكه، ومن ثم لو قلنا كما قالت الأشعرية بأن مالكا فوض العلم بالمعنى لا الكيفية، فهذا يجعل السلف كالأعاجم والأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، كما ورد في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ البقرة:٧٨.

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/٣٩٨، تحقيق د، أحمد سعد حمدان، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: إسناده جيد انظر الفتح ١٣/٤٠٧.

- **العقيدة السلفية في فهم المعنى والكيفية.**

لما قال علماء الخلف من الأشعرية بأن نصوص الصفات الإلهية موهمة للتشبيه والجسمية، تغير تبعا لذلك مفهوم المحكم والمتشابه عندهم وعند أتباعهم، من معنى سلفي يعتبر المتشابه من القرآن آيات معلومات المعنى، واضحات الدلالة، ظاهرها مراد في حق الله ﷻ، وليس كمثله شيء في حقائقها، وأن المجهول فقط وهو كيفية الصفات الإلهية التي دلت عليها هذه الآيات، تغير مفهوم المتشابه عندهم إلى اعتبار تلك النصوص نصوصا تدل على ظاهر باطل محال يحمل التشبيه والتجسيم، ويجب صرفه عن الصورة المنفرة التي صورها لربهم، كل ذلك ليجعلوا الناس مؤيدين لآرائهم وأصولهم، مهيئين لقبول تأويلهم وتبديلهم.

ثم طرحوا بديلا آخر أمام الناس كخيار ينسبونه لعقيدة السلف، وهو القول بأن نصوص الصفات الإلهية معانيها معان مجهولة كدلالة الألفاظ الأعجمية، يفوض فيها الأمر والعلم إلى الله ﷻ، ثم ألصقوا هذا الطرح بدعوى التسليم، وعدم الخوض في توحيد الصفات كما كان شأن السلف الصالح، ومن هنا كان لابد من تحقيق الأمر في قضية المحكم والمتشابه وتجليته بصورة جديدة تبين حقيقة الفهم السلفي الصحيح.

ذكر أبو بكر الجصاص أن كلا من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ينقسم إلى معنيين: أحدهما يصح وصف القرآن بجميعه.

والآخر إنما يختص به بعض القرآن دون بعض، قال الله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ هود:١. فوصف جميع القرآن في هذه الموضع بالإحكام.

وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الزمر:٢٣. فوصف جميعه بالمتشابه.

ثم قال في موضع آخر: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾ آل عمران:٧. فوصف بعضه هاهنا بأنه محكم، وبعضه متشابه.

والإحكام الذي عم به الجميع هو الصواب والإتقان اللذان يفضل بهما القرآن كل قول. وأما موضع الخصوص في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾. فإن المراد به اللفظ الذي لا اشتراك فيه، ولا يحتمل سامعه إلا معنى واحدا [١].

ويحاول أبو بكر الجصاص في كلامه السابق أن يبلور آراء الناس في المحكم والمتشابه، لأنهم اختلفوا اختلافا عظيما في قضية العلم بتأويل المتشابه بهذا الإطلاق الأخير، هل هو مقصور على الله تعالى؟ أو هو

---

(١) أحكام القران لأبي بكر الجصاص، سورة آل عمران ٢/٢٨٠، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

مما يتأتى للراسخين في العلم أيضا؟

ومن أبرز المتشابه بهذا الإطلاق في القرآن ما يعرف لدى علماء الخلف والمتكلمين بآيات الصفات الخبرية، أو متشابه الصفات، كالآيات التي جاء فيها ذكر صفات الذات والأفعال، مثل الوجه واليد والجنب والفوقية، والاستواء والمجيء والرضا والغضب وغير ذلك من الصفات الإلهية.

ويهمنا أن نبين مقدمة هامة مبنية على ما سبق من الآراء في المحكم والمتشابه، فجميع تلك الآراء في معنى المحكم والمتشابه، تكاد تتمثل في أن المحكم هو المعلوم الواضح الذي يمكن تحديده وتمييزه، كتمييز الصورة في المرآة المصقولة عند تحديد معالمها، وضبط ملامحها، والتمكن من وصفها، فما لا يحتمل إلا وجها واحدا يصبح معلوما مميزا، كما أن المتشابه عكس المحكم، وهو المجهول الذي لا يعلم.

إما من التشابه والتماثل كقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ البقرة:١١٨، أي أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعتو.

وإما من الاختلاط، وعدم التمييز بين الأشياء، كقول الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ البقرة:٧٠.

وعلى المعنى السابق للمحكم والمتشابه سوف ننظر إلى الآية السابعة من آل عمران، والتي هي محل النظر في قضية المحكم والمتشابه، وأثرها هذه الرؤية على القول بالتفويض.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ آل عمران:٧.

كثير من علماء الخلف الأشعرية يعتبرون معاني نصوص الصفات الإلهية من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله مستدلين بهذه الآية، وفي هذا نظر حيث يترتب على ذلك من اللوازم الباطلة ما لا يرضاه المسلم على كلام الله.

قال أبو محمد بن قدامة المقدسي: (وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن، وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله، إتباعا لطريق الراسخين في العلم) [(١)].

وقال الشيخ أحمد الرفاعي معبرا عن فهمه في قضية المحكم والمتشابه: (فعاملوا الله بحسن النيات، واتقوه في الحركات والسكنات،

(١) لمعة الاعتقاد ص٣٧.

وصونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، لأن ذلك من أصول الكفر.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾ آل عمران:٧.

والواجب عليكم وعلى كل مكلف في المتشابه، الإيمان بأنه من عند الله، أنزله على عبده سيدنا رسول الله ﷺ، وما كلفنا سبحانه وتعالى تفصيل علم تأويله، قال جلت عظمته: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ آل عمران:٧. فسبيل المتقين من السلف تنزيه الله تعالى عما دل عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد منه إلى الحق تعالى وتقدس، وبهذا سلامة الدين) [١].

فهؤلاء يَدْعُون إلى ترك التأويل، والبعد عن طريقة الخلف لعدم قناعتهم بها، لكن الطرح الذي يقدمونه لأتباعهم يزعمون فيه أن طريقة السلف هي الكف عن معاني نصوص الصفات، ومنع البحث عن مدلول الآيات، ثم يجعلون ذلك سبيل المتقين ظنا منهم أن الظواهر تدل على التشبيه والمعاني الكفرية، فلا هم فهموا طريقة السلف، ولا صوبوا طريقة الخلف.

وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان

---

(١) البرهان المؤيد لأحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني، باب المحكم والمتشابه ص١٥، تحقيق عبد الغني النكهمي، نشر دار الكتاب النفيس، بيروت.

بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة:٧٨. وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد هو الذي قام عليه قولهم: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد تقولوا على طريقة السلف، ولم يقتنعوا في قرارة أنفسهم بطريقة الخلف.

قال شارح الطحاوية في وصف حالهم في باب الصفات: (يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه إما أن يتأوله تأويلا يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدوا ما أنزله من معانيه، وهو في معنى الكفر بذلك، لأن الإيمان باللفظ بلا معنى، هو من جنس إيمان أهل الكتاب.

كما قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ الجمعة:٥.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة:٧٨.

أي إلا تلاوة من غير فهم معناه، وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القرآن، فعمل به واشتبه عليه بعضه، فوكل علمه إلى الله كما

أمره النبي ﷺ بقوله: "فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه" ، فامتثل ما أمر به) [١].

وسبب ذلك كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان أخرى بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل، وتعطيل السمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات، وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله [٢].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٥١٢. والحديث رواه أحمد في المسند ٢/١٨١ (٦٧٠٢) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

(٢) الفتوي الحموية الكبري ضمن مجموع الفتاوى ٥/١٠.

- **دقة الفهم السلفي للمحكم والمتشابه .**

والحقيقة أن الفهم السلفي لمسألة المحكم والمتشابه التي وردت في آية آل عمران يتسم بالدقة والأصالة والعمق، ويتسق مع اعتقادهم في التوحيد، لاسيما في توحيد الصفات، فهم لما آمنوا بصفات حقيقية جاءت بها الأدلة السمعية، وفرقوا بين فهم المعنى الذي حواه اللفظ العربي وفهم الكيفية، ووفقوا في تفسير المحكم والمتشابه.

فإذا كان المحكم هو المعلوم الواضح المعنى، وكان المتشابه عكس المحكم، وهو المجهول الذي لا يعلم على نحو ما تقدم، فإنهم يعتبرون معاني نصوص الصفات محكمات، والكيفية الغيبية فقط من المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله.

أما إذا كان معنى النص معلوما، والكيفية التي دل عليها معلومة أيضا، كانت الآية محكمة لأهل العلم على تفاوتهم في المعرفة والفهم، كما هو الحال في جميع آيات الأحكام، ولذلك والله أعلم سميت نصوص التكليف بما تحويه من أحكامٍ أحكاماً، لوضوح معناها والعلم بكيفية أدائها.

وإن كان المعنى معلوما، والكيف مجهولا، كان النص محكم المعنى متشابه الكيف، وإذا قيل في عرف السلف: هذا النص متشابه، فيحمل على هذا المعنى أي أنه متشابه باعتبار الكيف لا المعنى، كما قال الإمام أحمد (ت:٢٤١هـ): (فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله

ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾ القصص:٨٨، ونحو هذا من متشابه القرآن)[1].

وكما روى أبو القاسم بسنده عن سليمان بن يسار أن رجلا من بني غنيم يقال له صبيغ بن عسل، قدم المدينة وكانت عنده كتب، فجعل يسأله عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر ﷺ، فبعث إليه، وقد أعد له عراجين النخيل، فلما دخل عليه جلس، قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال عمر ﷺ: وأنا عبد الله عمر، وأومأ عليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه وجعل الدم يسيل عن وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي[2].

ويقول ابن بطة العكبري (ت:٣٧٨هـ): (فالجهمي ينكر أن المؤمنين يرون ربهم في القيامة، فإذا سئل عن حجته في ذلك نزع بآيات من متشابه القرآن)[3].

---

(١) العقيدة لأحمد بن حنبل رواية أبي بكر الخلال ٧٧/١.

(٢) الشريعة للآجري، باب تحذير النبي ﷺ أمته الذين يجادلون بمتشابه القران ٧١/١. وإيضاح الدليل لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، باب السلف الصالح يخوضون في علم التوحيد ١٤/١، تحقيق وهبي سليمان غاوبي الألباني، دار السلام. واعتقاد أهل السنة لأبي القاسم اللالكائي ٦٣٦/٤.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة ٧٠/٣، تحقيق د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية، الرياض.

هؤلاء جميعا يقصدون بمتشابه القرآن، ما يؤدي الخوض فيه إلى الضلال من جهة التجهم على وصف الغيبيات، وتصوير ما فيها من الكيفيات، وتمثيلها من خلال الأقيسة التي تحكم سائر المخلوقات، أو القول بتعطيل الصفات، وتأويلها على غير مراد الله من الآيات.

والنتيجة التي نصل إليها من هذه الرؤية أن القرآن جميعه محكم المعنى لقوله تعالى عن جميع آيات القرآن: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ هود:١.

أي أحكمت باعتبار المعنى، فليس في القرآن كلام بلا معنى، أما من جهة الكيفية التي دلت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فبعضها محكم معلوم، وبعضها متشابه مجهول، وهذا هو المقصود بقول الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

وهو المعنى المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾ آل عمران:٧. فلو سأل سائل عن استواء الله في قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ طه:٥. هل هو من المحكمات أم من المتشابهات؟ قيل له: الاستواء محكم المعنى متشابه الكيف.

وما عاينه الإنسان من الكيفيات التي تتعلق بالمخلوقات، والتي دلت عليها ألفاظ الآيات، ككيفية أداء الصلاة والزكاة والصيام وأفعال الحج وما شابه ذلك، فهذا محكم المعنى والكيفية، فلو سأل

مسلم أعجمي لا يعرف العربية عن معنى الصلاة في قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ البقرة:٣؟

لقيل له بلسانه: الصلاة أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، فيسأل عن كيفية أدائها؟ يقال له: أمرنا رسول الله ﷺ بأن نحاكيه تماما في الكيفية، فقال مبينا ذلك في بعض الأحاديث النبوية: (وَصَلوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَلْيُؤَذنْ لكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) [(١)].

أما إذا كان المعنى معلوما والكيف الذي دل عليه المعنى مجهولا كانت الآية من المتشابه باعتبار الكيف لا باعتبار المعنى، كما في جميع الأخبار والنصوص التي وردت في وصف عالم الغيب؛ فالجنة مثلا سمعنا عن وجود ألوان النعيم فيها، وأخبرنا الله بذلك في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وعلى الرغم من ذلك قال رسول الله ﷺ عن كيفية ألوان النعيم فيها: (قَال اللهُ: أَعْدَدْتُ لعِبَادِي الصَّالحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ السجدة:١٧) [(٢)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكذلك بعرفة وجمع ١/٢٢٦ (٦٠٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٣/١١٨٥(٣٠٧٢)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/٢١٧٤ (٢٨٢٤).

فتأمل قوله: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ماذا يعنى؟ هل يعنى معنى الآيات والنصوص التي وردت عن وصف الجنة؟ أم الكيفية التي دلت عليها؟ فإن قيل المعنى: فخطأ لأننا سمعنا به في الكتاب والسنة وفهمناه، كما أن المعنى لا يرى بعين البصر، وإنما يدرك بعين البصيرة. وإن قيل: الكيفية التي دل عليها، فصواب، لأننا لم نره، ولم نر له مثيلا. فالمتشابه إذا كيفية الموجودات في الجنة، لا المعنى الذي يدل عليها. وعلى ذلك فجميع آيات الصفات محكمة المعنى متشابهة في الكيفية فقط، فلا يدخل في المتشابه معاني الآيات التي وصف الله بها نفسه، كما اعتقد الخلف ذلك في مذهب السلف، وإلا لكانت الآيات بلا معنى، وكانت ألفاظها معطلة عن الهداية والبيان، فقوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ آل عمران:٧، أي باعتبار الكيف لا المعنى.

وجميع آيات القرآن لها معنى معلوم عند الراسخين في العلم حسب اجتهادهم في تحصيله، وعليه جاء قول عبد الله بن عباس ﷺ في آية آل عمران: (أنا من الراسخين في العلم) [(١)].

أما المتشابه في هذا الباب فهو الذي استأثر الله بعلمه، من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا هو، والتي أخبرنا بها في كتابه.

ومن ثم فإن القرآن كله محكم باعتبار المعنى الذي دل عليه اللفظ،

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٨٣/٣ نشر دار الفكر بيروت، وتفسير البغوي ١٠/٢ نشر دار طيبة، وتفسير الخازن ٣٢٢/١ نشر دار الفكر بيروت.

وباعتبار الكيفية ففيه المحكم والمتشابه.

وفي قول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ ص:٢٩. قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله معقبا: (وهذا يعم الآيات المحكمات، والآيات المتشابهات، وما لا يعقل له معنى لا يتدبر) (١).

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ محمد:٢٤. قال ابن تيمية: (فلم يستثن شيئا منه نهي عن تدبره، والله ورسوله ﷺ إنما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله، وطلب فهمه ومعرفة معناه، فلم يذمه الله، بل أمر بذلك ومدح عليه) (٢).

وقد ذكر رحمه الله أن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، أو قال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة، ولا من الأئمة المتبوعين، إن في القرآن آيات لا تعلم معناها، ولا يفهمها رسول الله ﷺ، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض الناس، وهذا لا ريب فيه (٣).

---

(١) مجموع الفتاوى، الإكليل في المتشابه والتأويل ١٣/٢٧٥.

(٢) السابق ١٣/٢٧٥.

(٣) السابق ١٣/٢٨٥.

ويذكر ابن القيم أننا لو قلنا كما قال الخلف بإن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ آل عمران:٧. يتناول المعنى، يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الصحابة والتابعون لهم بإحسان، بل يقرؤون كلاما لا يعقلون معناه، فهم إذا على زعم الخلف متناقضون أفحش تناقض، فإنهم يقولون: النصوص تجري على ظاهرها، وتأويلها باطل، ثم يقولون: لها تأويل لا يعلمه إلا الله.

وقول هؤلاء باطل، فإن الله سبحانه أمر بتدبر كتابه، وتفهمه وتعقله، وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء لما في الصدور، وحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومن أعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والأفعال، واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم، لا يحصل به حكم، ولا هدى، ولا شفاء، ولا بيان.

وهؤلاء لم يفهموا مراد السلف بقولهم: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، فإن التأويل في عرف السلف المراد به الحقيقة التي يؤول إليه الكلام، كالتأويل في مثل قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ الأعراف:٥٣.

وكقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ يوسف:١٠٠، فتأويل الكلام الطلبي هو نفس فعل المأمور به والمنهي عنه، تأويله تنفيذه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (كَانَ

النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُول فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللهُمَّ اغْفِرْ لي يَتَأَوَّل القُرْآنَ) (١).

وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو وقوعة، وهو نفس الحقيقة التي أخبر الله عنها، وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك وربيعة: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

وفي رده على الخلف في زعمهم أن آيات الصفات من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله، يذكر ابن القيم أن التشابه والإحكام نوعان، تشابه وإحكام يعم الكتاب كله، وتشابه وإحكام يخص بعضه دون بعض، فإن أردتم بتشابه آيات الصفات النوع الأول، فنعم هي متشابهة غير متناقضة يشبه بعضها بعضا، وكذلك آيات الأحكام، وإن أردتم أنه يشتبه المراد بها بغير المراد، فهذا وإن كان يعرض لبعض الناس فهو أمر نسبي إضافي، فيكون متشابها بالنسبة إليه دون غيره، ولا فرق في هذا بين آيات الأحكام وآيات الصفات، فإن المراد قد يشتبه فيهما بغيره على بعض الناس دون بعض.

وقد تنازع الناس في المحكم والمتشابه تنازعا كثيرا، ولم يعرف عن أحد من الصحابة قط أن المتشابهات آيات الصفات، بل المنقول عنهم

---

(١) الصواعق المرسلة ٩٢١/٣ والحديث رواه البخاري في صفة الصلاة، باب التسبيح والدعاء في السجود ٢٨١/١ (٧٨٤).

يدل على خلاف ذلك، فكيف تكون آيات الصفات متشابهة عندهم، وهم لا يتنازعون في شيء منها، وآيات الأحكام هي المحكمة وقد وقع بينهم النزاع في بعضها؟

والمقصود أنه لا يجوز أن يكون الله ﷻ أنزل كلاما لا معنى له، ولا يجوز أن يكون الرسول ﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ، سواء كان تأويل القرآن مع هذا لا يعلمه الراسخون، أو كان للتأويل معنيان يعلمون أحدهما، ولا يعلمون الآخر.

- **توجيه الوقف في الآية السابعة من آل عمران.**

وعلى هذا المنهج السلفي لفهم المحكم والمتشابه يمكن تفسير الآية السابعة من سورة آل عمران، بأن الله ﷻ يخبر أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، سواء من جهة المعنى أو الكيفية، وهي أصل الدين وقوام العبودية، وتتمثل في الأحكام الشرعية الدينية، فلا بد من وضوحها وبيان معانيها، ولا بد من وصف كيفيتها لسائر الناس دون اشتباه أو التباس، فهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع خصوم الباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه.

وفي هذا ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (المحكمات ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمر به،

ويعمل به) [١]. وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والسدي أنهم قالوا: المحكم الذي يعمل به [٢].

وأخر متشابهات كآيات الصفات من حيث اشتراك الألفاظ والكلمات عند تجردها عن الإضافة والتخصيص والتركيب لا من حيث المعنى المراد، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام، ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ آل عمران:٧، أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾، أي تحريفه على ما يريدون.

روى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (تَلا رَسُول اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ آل عمران:٧. قَالتْ: قَال

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١٧٥/٦، وفهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبي في ٣٢٦/١، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢٠٣/١، نشر دار ابن الجوزي.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٧/٢ نشر دار طيبة، وتفسير ابن أبي حاتم ٥٩٢/٢ (٣١٦٧)، نشر المكتبة العصرية، صيدا.

رَسُول اللهِ ﷺ: فَإِذا رَأَيْتِ الذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولئِكِ الذِينَ سَمَّي اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ) (١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يجب الوقف هاهنا إذا كان المقصود هو العلم بكيفية الحقائق الغيبية، وكيفية الصفات الإلهية، فلا يعلم ذلك إلا الله ﷻ، ويجوز الوقف على قوله سبحانه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ إذا كان المقصود هو العلم بمعاني الآيات القرآنية سواء المتعلقة بالخالق أو المخلوق، وكذلك كيفية أداء الأحكام الشرعية، أو كيفية ما دلت عليه الآيات في الإخبار عن سائر المخلوقات في الدنيا.

قال ابن كثير: (وأما إن أريد بالتأويل التفسير والبيان، والتعبير عن الشيء، فالوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾؛ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه) (٢).

• أمثلة معاصرة على عقيدة التفويض.

١- قال صاحب جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيه : أوله أو فوِّض ورم تنزيها

ويذكر شارح الجوهرة تحت هذا البيت في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ

(١) رواه البخاري في التفسير، باب منه آيات محكمات ٤/١٦٥٥ (٤٢٧٣)، ومسلم في العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القران ٤/٢٠٥٣ (٢٦٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٢.

رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ الفجر: ٢٢ .

وحديث الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قال: (يَنْزِل رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالى كُل لَيْلةٍ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلثُ اللَيْلِ الآخِرُ، يَقُول: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له، مَنْ يَسْأَلنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لهُ) [١]. يقول: فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمه) [٢].

ادعى الناظم والشارح معا أن مذهب السلف الصالح هو تفويض المعنى، وهذا باطل لأنه جعل كلام الله بلا معنى، وجعل السلف بمنزلة الجهلة الذين خاطبهم الله ﷻ بالألغاز والأحاجي وما لا يفهم معناه، ولا يعقل أن نسمع رجلا أجنبيا يتحدث بلغة لا نفهمها، ولا نعلم لسان أهلها، ثم نقول بعد سماعنا له: كلامك جيد، ووصفك سليم، وكلامك ليس فيه باطل، ونحن نصدق كل ما تقول!

وإذا كان هذا مستقبحا بين البشر فكيف نقبله في كلام الله ﷻ؟! فالسلف لم يقولوا: مجيء ونزول لا نعلمه، كما ادعى شارح الجوهرة، وإنما قالوا: مجيء ونزول لا نعلم كيفيته، وفرق بينهما عظيم.

٢- قال الشيخ أمين محمود خطاب عن نصوص الصفات: (إن

---

(١) رواه البخاري في أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ١/٣٨٤ (١٠٩٤) (٥٩٦٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ١/٥٢١ (٧٥٨).

(٢) شرح البيجوري على الجوهرة، طبعة المعاهد الأزهرية ص١٠٩.

السلف فوضوا علم المراد منها إلى الله تعالى. فقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥، يقول فيه السلف، هو مصروف عن ظاهره، ويفوضون علم المراد منه إلى الله) [١].

والسلف الصالح ما قالوا هذا، وإنما قالوا في الآية: هي على ظاهرها، والمعنى معلوم واضح، والمجهول هو الكيف فقط، ولكن الأشعرية ظنوا أن الظاهر منها يتحتم أن يكون الظاهر من استواء بلقيس على عرشها، ولو سئل أحدهم: هل رأيت استواء بلقيس؟ فيقول: لا. يقال له: وهل رأيت له مثيلا؟ فيقول: نعم، فيقال عند ذلك: معنى استواء بلقيس معلوم، وكيفية استوائها معلومة أيضا من رؤيتك للمثيل، لكن إذا سئل: هل رأيت استواء الله؟ فيقول: لا، فيقال: وهل رأيت له مثيلا؟ فيقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ الشورى:١١. فيقال له: كيف حكمت أن الظاهر في استواء الله يماثل الظاهر في استواء بلقيس؟ أليس هذا قول على الله بلا علم؟ إنما يكفي القول إن معنى استواء الله معلوم، وهو العلو والارتفاع، وكيفية استوائه معلومة لله مجهولة لنا.

٣- ما ذكره الشيخ إبراهيم الدسوقي في مقالته عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وآراء العلماء في المتشابه إذ يقول: فذهب السلف إلى التفويض في المعنى الذي أراده الله تعالى، بعد الإيمان به والتنزيه عن الظاهر المستحيل.. ثم ينسب ذلك إلى الأئمة الأربعة

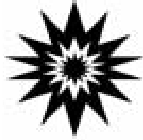
---

(١) الفتاوى الأمينية ص٩٧.

وأنهم يدينون لله بهذه العقيدة [١].

هؤلاء جميعا مع فضلهم وحسن ظننا بهم، ظنوا أن اعتقاد السلف الصالح هو التفويض، وعند التحقيق نجد الأمر يكمن في إثباتهم للصفة من عدمه، فهل استواء الله علي عرشه حقيقة موجودة ولها كيفية؟ أم أنهم لا يؤمنون بهذه الحقيقة الغيبية؟ فلا خلاف بين السلف في وجود كيفية حقيقية للاستواء، وإنما الخلاف بين السلف ومخالفيهم من الأشعرية وغيرهم، في ادعائهم جهل السلف بمعنى الاستواء، وتفويض العلم به إلى الله ﷻ، فالكيفية لها وجود حقيقي معلوم لله ﷻ، ومجهول لنا.

ومن ثم فالقول بأن الاستواء غير معلوم، أو لا نعلمه، أو نجهله، قول باطل، وكذلك القول بأن معنى الاستواء غير معلوم، قول باطل أيضا، أما القول بأن كيفية الاستواء فقط غير معلومة، أو مجهولة لنا، فهو الحق الذي دلت عليه جميع الأدلة.

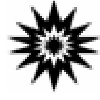


---

(١) انظر مجلة الأزهر ص٢٨، عدد محرم سنة ١٤١٤هـ، وانظر أيضا للمقارنة مجموعة الرسائل للشيخ حسن البنا رحمه الله ص٣٣٠.

المطلب الثالث عشر

التفويض والهروب من إثبات الصفات



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن تعريف المحكم والمتشابه لغة واصطلاحا، وبينا أن جميع آيات القرآن من المتشابه باعتبار الحسن والبلاغة والإعجاز، وأن جميع آيات القرآن محكمات أيضا باعتبار وضوح معناه، فهو كلام عربي مبين.

وبينا معنى التفويض لغة واصطلاحا، وكيف أن العقيدة السلفية في فهم المعنى والكيفية لها علاقة وثيقة بفهم المحكم والمتشابه، وكذلك علمنا دقة الفهم السلفي للمحكم والمتشابه الذي ورد في الآية السابعة من سورة آل عمران، كما تناولنا توجيه الوقف في هذه الآية حسب معاني التأويل عند السلف الصالح، وضربنا أمثلة معاصرة على اعتقاد المتكلمين من الأشعرية أن مذهب السلف هو التفويض في المعنى دون إثبات وجود الكيفية .

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن التفويض والهروب من كلمة الحق في توحيد الصفات، وكيف أنه ملجأ العاجزين عند

إلزامهم بتصديق خبر الله في أسمائه وصفاته وأفعاله على ظاهره، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **أثر التفويض على منع الكلام في الصفات والتوحيد.**

نظرا لأن بعض المنتسبين لمذهب الخلف من الأشعرية قد يُواجهون بقوة النصوص وما دلت عليه من إثبات الصفات عند قولهم بتأويلها، لاسيما إذا كان تأويلهم أقرب إلى التحريف، فإنهم يفرون من مواجهة الحق بدعوى السكوت وعدم الخوض في المتشابه كما كان شأن السلف، أو زعمهم بأن مسائل الصفات لا يترتب عليها عمل ولا سلوك، فلا داعي لأن نختلف، ويكفينا المحكم من القرآن والسنة وما يدعو إلى تأليف القلوب، وهذه دعوة قديمة منذ أن ظهرت عقيدة التفويض وغاب الفهم الصحيح لما عليه السلف في هذا الباب .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن قول القائل: لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام، ولا يكتب بها إلى البلاد، ولا في الفتاوى المتعلقة بها. إما أن يريد بذلك أنه لا تتلى هذه الآيات وهذه الأحاديث عند عوام المؤمنين، فهذا مما يعلم بطلانه بالاضطرار من دين المسلمين، بل هذا القول إن أخذ على إطلاقه فهو كفر صريح، فإن الأمة مجمعة على ما علموه بالاضطرار من تلاوة هذه الآيات في الصلوات فرضها ونفلها، واستماع جميع المؤمنين لذلك، وكذلك تلاوتها وإقرائها واستماعها خارج الصلاة هو من الدين الذي لا نزاع فيه بين المسلمين، وكذلك تبليغ الأحاديث في الجملة هو مما اتفق عليه المسلمون، وهو

معلوم بالاضطرار من دين المسلمين، إذ ما من طائفة من السلف والخلف إلا ولا بد أن تروي عن النبي ﷺ شيئا من صفات الإثبات أو النفي، فإن الله ﷻ يوصف بالإثبات، وهو إثبات محامده بالثناء عليه وتمجيده، ويوصف بالنفي، وهو نفي العيوب والنقائص عنه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

وإما أن يريد أنه لا يقال: حكمها كذا وكذا إقرارا أو تأويلا، أو غير ذلك. فإن أراد هذا فينبغي لقائل ذلك أن يلتزم ما ألزم به غيره، فلا ينطق في حكم هذه الآيات والأحاديث بشيء، ولا يقول: الظاهر مراد أو غير مراد، ولا التأويل سائغ، ولا هذه النصوص لها معان أخر، ونحو ذلك. إذ هذا تعرض لآيات الصفات وأحاديثها على هذا التقدير، وإذا التزم هو ذلك، وقال لغيره: التزم ما التزمته ولا تزد عليها ولا تنقص منها؛ فإن هذا عدل، بخلاف ما إذا نهي غيره عن الكلام عليها مع تكلمه هو عليها كما هو الواقع.

وكذلك قوله: ولا يكتب بها إلى البلاد، ولا في الفتاوى المتعلقة بها. إن أراد أنها أنفسها لا تكتب ولا يفتى بها، فهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام كما تقدم، وإن أراد أنها لا يكتب بحكمها ولا يفتي المستفتي عن حكمها، فيقال له: فعليك أيضا أن تلتزم ذلك، ولا تفتي أحدا فيها بشيء من الأمور النافية. وحينئذ يكون أمرك لغيرك بمثل ما فعلته عدلا.

أما أن يجيء الرجل إلى هذه النصوص فيتصرف فيها بأنواع

التحريفات والتأويلات جملة أو تفصيلا، ويقول لأهل العلم والإيمان: أنتم لا تعارضوا ولا تتكلموا فيها. فهذا من أعظم الجهل والظلم والإلحاد في أسماء الله وآياته.

كما أن سلف الأمة وأئمتها ما زالوا يتكلمون ويفتون ويحدثون العامة والخاصة بما في الكتاب والسنة من الصفات، وهذا في كتب التفسير والحديث والسنن أكثر من أن يحصيه إلا الله ﷻ.

وقد قيل: إن مالكا لما صنف الموطأ قال: جمعت هذا خوفا من الجهمية أن يضلوا الناس. لما ابتدعت الجهمية النفي والتعطيل[1].

• **أسباب القول بتفويض معاني النصوص.**

إن القول بتفويض معاني النصوص نوع من تعطيل الحق وكتمانه، ودعوة إلى تجهيل رسالة الإسلام في هذا الباب، لأن مراد الله ﷻ من ذكر أسمائه وصفاته في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ هو تعريف العباد بها، فلا غنى لهم عن دعاء ربهم، واستغاثتهم به في قضاء حوائجهم، ولا بد لهم من مدحه، والثناء عليه بما مدح نفسه، أو مدحه نبيه ﷺ، وكيف يتحقق ذلك مع عقيدة التفويض.

ومن المؤسف أن الدعوة للقول بالتفويض ما زالت قائمة حتى عصرنا الحاضر، ويمكن إجمال الأسباب الداعية لذلك منذ ظهور عقيدة

---

(١) الفتاوي الكبري لشيخ الإسلام، كتاب في الرد على الطوائف الملحدة والزنادقة والجهمية والمعتزلة والرافضة ٦/٣٣٥ بتصرف، نشر دار الكتب العلمية.

التفويض حتى عصرنا في الأمور التالية:

أولا: الأصول العقلية المستمدة من الفلسفة اليونانية، كقولهم بنفي حلول الحوادث ليتوصلوا إلى تعطيل الصفات الفعلية، كالاستواء والنزول والرضا والغضب، وقولهم بنفي الجسمية ليتوصلوا إلى تعطيل الصفات الخبرية، كالوجه واليدين والعينين والقدم غيرها، وقولهم بنفي التحيز والجهة ليتوصلوا إلى تعطيل العلو والفوقية.

ثانيا: من الأسباب الرئيسية أيضا دعوى الخوف على عقائد العوام، وإلزام قطاع كبير من شباب المسلمين بانتحال هذه المذاهب الكلامية، كتبني بعض المؤسسات التعليمية لهذا الأمر، كما قال صاحب جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيه : أوّله أو فوِّض ورم تنزيها

فيدّعي أن مذهب السلف الصالح هو التفويض، ومن ثم يشبّ طالب العلم من مهده على ذلك، وهو لا يعرف غير هذا الاعتقاد الفاسد حتى يصبح أستاذا كبيرا في الجامعة، أو مدرسا في المادة يدافع عما درسه بقوة ظنا منه أنه على شيء، وإذا ظهر له الحق في هذا الموضوع، فقل من لا تأخذه عزة المكانة، فيتراجع عن عقيدته ليلحق في ركب السلف أهل السنة والجماعة.

ثالثا: تقليد بعض المشاهير الذين شبوا على دراسة القول بالتفويض، وتربوا عليه دون علم منهم ببطلانه، كتبني بعض الجمعيات الشرعية

وبعض الإخوان في الجماعات الإسلامية لعقيدة بعض مؤسسيها دون نظر فيها أو تمحيص، ومحاولتهم الخلط بين قضية التفويض ومذهب السلف في دعوتهم ومؤلفاتهم.

رابعا: الجهل بمذهب السلف من ناحية، وانعدام القناعة بالمذهب الأشعري من ناحية أخرى، إذ أن الخلف من الأشعرية وغيرهم قاموا بليّ أعناق النصوص بصورة لا تخفى على عاقل، فأغلبهم لا يقر في نفسه تفسير الاستواء بالاستيلاء، أو تفسيره بالقهر والغلبة، وإذا أقر به مكرها أقر ليفر من إثبات صفة الاستواء التي ظاهرها عنده باطل قبيح، فإذا خلا بنفسه تردد على ذهنه سؤال لا يفارقه، ومن الذي نازع الله على العرش حتى قهره واستولى عليه؟! فلا يجد جوابا شافيا، فيُرضى نفسه بالسكوت وتفويض المعنى إلى الله ﷻ، ومن ثم يتجاهل الأمر بكليته مدعيا أن هذا هو مذهب السلف، فلا يتحدث في محاضراته، أو ندواته، أو مؤلفاته عن قضية الأسماء والصفات، ويزهد فيها زهدا ينافي ما ورد في الآيات الواضحات البينات، ويخالف ما كان عليه السلف الصالح في اعتبارهم هذا العلم هو أشرف علوم الاعتقادات الداعية إلى الصدق والإخلاص في العبادات.

• لوازم القول بتفويض معاني النصوص.

يجب على العقلاء من المسلمين التنبه إلى خطورة القول بالتفويض وسلب كلام الله ﷻ عن معناه، أو محاولة تقبيح إثبات الصفات في نفس السامع تحت مسمى التجسيم وإثبات الأعضاء والجوارح لله ﷻ، لأن

القول بالتفويض يؤدى إلى إلزامات قبيحة يتمثل أبرزها فيما يلي:

١- أن القرآن مليء بالحشو الذي لا فائدة منه مما يحتم حذفه ليوصف بالكمال، وهذا باطل لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت:٤٢.

٢- أن الله خاطب عباده بالألغاز والأحاجي، وهو قادر على غير ذلك، وهذا باطل لأنه يؤدى إلى القول بأن كلام الله بلا معنى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل:١٠٣.

وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر:٢٣. فوصف كلامه بأنه أحسن الحديث.

٣- أن الرسول ﷺ بلغ ما لا يعلم، ولم يفهم ما جاء في التنزيل حاشاه، فكيف يفهمه من آمنوا به؟ وهذا باطل لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم:٤.

٤- أن الصحابة ﷺ خدعوا أنفسهم بادعائهم الفهم وموافقتهم النبي ﷺ في إيمان لا يعلمون حقيقته، وهذا باطل لقول الله تعالى عنهم:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ الأنفال:٧٤.

ولقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ الأنفال:٢. فكيف يزدادون إيمانا بتلاوة ما ليس له معنى؟

٥- أن القول بالتفويض يلزم منه أن ظاهر النصوص يحمل معنى باطلا مستهجنا يخاف المفوض من مواجهته، وهذا باطل لأن الله ﷻ أمرنا بتدبر آياته والنظر فيها، وتعقلها وفهمها، واستخراج أوجه الإعجاز منها، فقال جل ذكره: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ النساء:٨٢.

وفي الحقيقة إن القول بالتفويض ما هو إلا محاولة للهروب من مواجهة الأدلة لقوة ما ورد فيها من إثبات الصفات.

- **أمثلة تطبيقية على فهم حقيقة التفويض.**

ذكر ابن رجب في الفتح أن طريقة أئمة أهل الحديث وسلف الأمة هي إقرار النصوص وإمرارها كما جاءت، ونفي العلم بالكيفية عنها، ونفي التمثيل. وقد قال الخطابي: مذهب السلف في أحاديث الصفات الإيمان، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها. ومن قال: الظاهر منها غير مراد، قيل له: الظاهر ظاهران:

١- ظاهر يليق بالمخلوقين ويختص بهم، فهو غير مراد.

٢- ظاهر يليق بذي الجلال والإكرام، فهو مراد، ونفيه تعطيل[١].

إن المتكلمين بالغوا في تنزيه الله ﷻ عن مشابهة الأجسام، فوقعوا في تشبيهه بالمعاني، والمعاني محدثة كالأجسام، فلم يخرجوا عن تشبيهه بالمخلوقات، وهذا كله إنما أتى مِن ظنهم أن تفاصيل معرفة الجائز على الله ﷻ والمستحيل عليه تؤخذ من أدلة العقول، ولا تؤخذ مما جاء به الرسول ﷺ. وأما أهل العلم والإيمان، فيعلمون أن ذلك كله متلقى مما جاء به الرسول ﷺ، وأن ما جاء به من ذلك عن ربه فهو الحق الذي لا مزيد عليه ولا عدول، وأنه لا سبيل لتلقي الهدى إلا منه، وأنه ليس في كتاب الله ﷻ ولا سنة رسوله ﷺ الصحيحة ما ظاهره كفر أو تشبيه، أو مستحيل، بل كل ما أثبته الله ﷻ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ فإنه حق وصدق، يجب اعتقاد ثبوته مع نفي التمثيل، فكما أن الله ﷻ ليس كمثله شيء في ذاته، فكذلك في صفاته [٢].

وما أشكل فهمه من ذلك، فإنه يقال فيه ما مدح الله ﷻ الراسخين من أهل العلم، أنهم يقولون عند المتشابهات: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۞﴾ آل عمران:٧.

وما أمر به رسول الله ﷺ في متشابه الكتاب، أنه يرد إلى عالمه، والله ﷻ يقول الحق وهو يهدي السبيل. وكلمة السلف وأئمة أهل الحديث

(١) فتح الباري لابن رجب الحنبلي ٤١/٦ بتصرف.
(٢) السابق ٤١/٦ بتصرف.

متفقة على أن آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة كلها تمر كما جاءت، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل [(١)].

• **المراد بكلام السلف في التمرير من غير تفسير.**

ينبغي التنبه إلى حقيقة بعض الروايات الواردة عن علماء السلف الصالح بأنهم لا يفسرون شيئا من نصوص الصفات، وأنهم يمررونها كما جاءت، فيظن من رماهم بالتفويض من الأشعرية أنهم يعتقدون أن نصوص الصفات غير معلومة المعنى، أو من قبيل إيمانهم بكلام لا معنى له عندهم، أو أن معناها لا يعلمه إلا الله ﷻ، وهذا باطل، ولا يقصده السلف في كلامهم.

وإنما يقصدون إما عدم الحديث عن بيان الكيفية التي عليها الصفات، فهذا لا يعلمه إلا الله، أو عدم الخوض في التأويلات الباطلة التي فسر بها المتكلمون من الجهمية نصوص الصفات، لاسيما إذا تنبهنا إلى أن التأويل في عرف السلف يأتي في أحد معنييه بمعنى التفسير والبيان الذي يحمد حقه ويرد باطله، وأن التفسير الباطل الذي ذهبت إليه الجهمية سمته تأويلا، فكان مقصد السلف من عدم التفسير هو عدم التأويل الباطل، والعبث في النصوص بالأصول العقلية للمبتدعة، بل يجب إجراؤها وإمرارها على ظواهرها كما جاءت، فهذا مقصدهم إذا نقل عنهم أنهم لا يفسرون شيئا من نصوص الصفات، وأنهم يمررونها

---

(١) السابق ٦/٤٢ بتصرف.

كما جاءت. ولا يعنون أبدا منع الحديث عن بيان معناها الحق الذي يدل على وجود الصفات كما يليق بجلال الله ﷻ، وإثبات حقائقها، وما دلت عليه من أنواع الكمال والجمال الذي اتصف به رب العزة والجلال.

وهذا واضح من قولهم: ليس لأحد أن يفسره إلا الله ﷻ، أي ليس لأحد أن يخوض في الكيفية التي لا يعلمها إلا الله ﷻ. أما المعنى فقد خاطبنا الله ﷻ به لنتعلمه ونعلمه للآخرين، وليس لتفويض معنى كلام الله ﷻ والزعم بأن كلامه في نصوص الصفات كلام بلا معنى.

وقد زعم مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي مثل ذلك، ونسب فهمه الباطل إلى عقيدة السلف الصالح، وهم بريئون منه، فقال: (اعلم أن من المتشابهات آيات الصفات التي التأويل فيها بعيد، فلا تؤول ولا تفسر، وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها، فقد روى الإمام اللالكائي الحافظ عن محمد بن الحسن قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه.

وقد روى اللاكائي أيضا في السنة من طريق قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان

به واجب، والسؤال عنه بدعه، والبحث عنه كفر، وهذا له حكم الحديث المرفوع لأن مثله لا يقال من قبيل الرأي. وقال الإمام الترمذي في الكلام على حديث الرؤية: المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، وابن المبارك، ومالك، وابن عيينة ووكيع، وغيرهم، أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت، ونؤمن بها، ولا يقال: كيف. ولا نفسر، ولا نتوهم، وذكرت في كتابي البرهان في تفسير القرآن عند قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ البقرة:٢١٠. وبعد أن ذكرت مذاهب المتأوّلين، أن مذهب السلف هو عدم الخوض في مثل هذا، والسكوت عنه وتفويض علمه إلى الله تعالى)[١].

وكلامه يدل على غير ما كان عليه السلف، ويشبهه زعم صاحب المناهل حيث قال: (ولنطبق هذه المذاهب على قوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. فنقول: يتفق الجميع من سلف وخلف على أن ظاهر الاستواء على العرش وهو الجلوس عليه مع التمكن والتحيز مستحيل، لأن الأدلة القاطعة تنزه الله عن أن يشبه خلقه، أو يحتاج إلى شيء منه، سواء أكان مكانا يحل فيه أم غيره.

وكذلك اتفق السلف والخلف على أن هذا الظاهر غير مراد لله

---

(١) انظر أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات المحكمات والمتشابهات ص٦١، تأليف مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

قطعا؛ لأنه تعالى نفى عن نفسه المماثلة لخلقه، وأثبت لنفسه الغنى عنهم فقال﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى:١١. وقال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ فاطر:١٥. فلو أراد هذا الظاهر لكان متناقضا.

ثم اختلف السلف والخلف بعد ما تقدم، فرأى السلفيون أن يفوضوا تعيين معنى الاستواء إلى الله، فهو أعلم بما نسبه إلى نفسه، وأعلم بما يليق به، ولا دليل عندهم على هذا التعيين. ورأى الخلف أن يؤولوا لأنه يبعد كل البعد أن يخاطب الله عباده بما لا يفهمون، وما دام ميدان اللغة متسعا للتأويل وجب التأويل. بيد أنهم افترقوا في هذا التأويل فرقتين: فطائفة الأشاعرة يؤولون من غير تعيين، ويقولون: إن المراد من الآية إثبات أنه تعالى متصف بصفة سمعية لا نعلمها على التعيين تسمى صفة الاستواء. وطائفة المتأخرين يعينون فيقولون: إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف، لأن اللغة تتسع لهذا المعنى ومنه قول الشاعر العربي:

قد استوى بشر على العراق : من غير سيف ودم مهراق

أي استوى وقهر، أو دبر وحكم، فكذلك يكون معنى النص الكريم، الرحمن استولى على عرش العالم، وحكم العالم بقدرته، ودبره بمشيئته. وابن دقيق العيد يقول بهذا التأويل إن رآه قريبا، ويتوقف إن رآه بعيدا. ومثل ذلك في نحو: ويبقى وجه ربك، ولتصنع على عيني، يد الله فوق أيديهم، والسموات مطويات بيمنه، يخافون ربهم من

فوقهم، وجاء ربك، وعنده مفاتح الغيب. فالسلف يفوضون في معانيها تفويضا مطلقا بعد تنزيه الله عن ظواهرها المستحيلة.

والأشاعرة يفسرونها بصفات سمعية زائدة على الصفات التي نعلمها، ولكنهم يفوضون الأمر في تعيين هذه الصفات إلى الله، فهم مؤولون من وجه مفوضون من وجه. والمتأخرون يفسرون الوجه بالذات، ولفظ ولتصنع على عيني بتربية موسى ملحوظا بعناية الله وجميل رعايته، ولفظ اليد بالقدرة، ولفظ اليمين بالقوة، والفوقية بالعلو المعنوي دون الحسي، والمجيء في قوله: وجاء ربك، بمجيء أمره، والعندية في قوله: وعنده مفاتح الغيب، بالإحاطة والتمكن، أو بمثل ذلك في الجميع) [١].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية كلام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة المذكور بعضه أعلاه، وأنه قال: (اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير، ولا وصف، ولا تشبيه، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا، ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة) [٢].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/٢٠٨.

(٢) مجموع الفتاوى٤/٥.

ثم قال معقبا في بيان أن التفسير الذي يقصدون نفيه هو تفسير الجهمية وليس تفسير السلف: (محمد بن الحسن أخذ عن أبى حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكى هذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبا أو دائما، وقوله: من غير تفسير أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات) [(١)].

وعلى ذلك يتبين القصد مما روي عن الحسن أن رجلا سأله عن شيء من صفة الرب ﷻ؟ فقال: أمروها بلا مثال. أي اتركوها على ظواهرها المرادة في حق الله دون المخلوق [(٢)].

وقال وكيع: أدركت إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعرا يحدثون بهذه الأحاديث، ولا يفسرون شيئا [(٣)]. أي لا يؤولونها تأويلا باطلا كالجهمية، بل يتركونها على ظواهرها.

وقال الأوزاعي: سُئِل مكحول والزهري عن تفسير هذه الأحاديث، فقالا: أمرها على ما جاءت[(٤)]. أي على ظواهرها.

وقال الوليد بن مسلم الذي أدرج الأسماء المشتهرة: سألت

---

(١) السابق ٤/٥.

(٢) فتح الباري لابن رجب الحنبلي ٦/٤٢.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٧/١٤٩ نشر مؤسسة قرطبة.

(٤) فتح الباري لابن رجب ٦/٤٢.

الأوزاعي ومالكا وسفيان وليثا عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة والقرآن، فقالوا: أمروها بلا كيف[(١)]. أي لا تبحثوا عن العلم بالكيفية الحقيقية التي دلت عليها النصوص.

وقال ابن عيينة: ما وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ﷻ [(٢)]. وهو يقصد أنها جاءت بلغة عربية مفهومة فهي على ظواهرها .

وقال أشهب: سمعت مالكا يقول: إياكم وأهل البدع، فقيل: يا أبا عبد الله: وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان [(٣)].

• التفويض آخر مهرب لتقديم العقل على النقل.

ذكر ابن أبي العز أن كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، فإنه عند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم في كتابه تهافت التهافت: ومن

---

(١) السابق ٦/٤٢.

(٢) السابق ٦/٤٢.

(٣) السابق ٦/٤٣.

الذي قال في الإلهيات شيئا يعتد به؟

وكذلك الآمدي أفضل أهل زمانه واقف في المسائل الكبار حائر، وكذلك الغزالي رحمه الله انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره.

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوما فقال: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ أو كما قال، فقال: نعم، فقال: أشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته.

ومن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق، كما قال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب.

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز فيقر بما أقروا به، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم إذا سلموا من العذاب، بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب.

والدواء النافع لمثل هذا المرض ما كان طبيب القلوب صلوات الله وسلامه عليه يقوله إذا قام من الليل يفتتح الصلاة: (اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [(١)].

توجه ﷺ إلى ربه بربوبية جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إذ حياة القلب بالهداية، وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة، فجبرائيل موكل بالوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة، له تأثير عظيم في حصول المطلوب والله المستعان [(٢)].

• سقوط المتكلمين في الباطل بالتأويل أو التفويض.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن غاية ما ينتهي إليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله ﷺ بآرائهم من المشهورين بالإسلام هو التأويل أو التفويض، فأما الذين ينتهون إلي أن يقولوا: الأنبياء أوهموا

---

(١) مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل ١/٥٣٤ (٧٧٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٨.

وخيلوا ما لا حقيقة له في نفس الأمر، فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالإلحاد والزندقة [(١)].

والتأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم، والتأويلات التي يذكرونها، لا يعلم أن الرسول ﷺ أرادها، بل يعلم بالاضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قاله الرسول ﷺ، كما يعلم مثل ذلك في تأويلات القرامطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك إلى دليل خاص. وحينئذ فالمتأول إن لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والإلحاد، لا من باب التفسير وبيان المراد [(٢)].

وأما التفويض فإن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟ وأيضا فالخطاب الذي أُريد به هُدانا، والبيان لنا، وإخراجنا من الظلمات إلي النور، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك، فعلى التقديرين لم نخاطب بما بيّن فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر[(٣)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/١١٥ بتصرف.

(٢) السابق ١/١١٦ بتصرف.

(٣) السابق ١/١١٦ بتصرف.

وحقيقة قول هؤلاء في المخاطِب لنا: أنه لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به، وأمرنا باتباعه، والرد إليه، لم يبين به الحق، ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا ألا نفهم منه شيئا، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه، وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد [١].

وقولهم: إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمه إلا الله، وأن معناها الذي أراده الله ﷻ بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها، فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله ﷻ عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله ﷻ به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله ﷻ به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه [٢].

ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله ﷻ أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدي وبيانا للناس، وأمر الرسول ﷺ أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقا لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر

---

(١) السابق ١/١١٧ بتصرف.

(٢) السابق ١/١١٨ بتصرف.

ونهي، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر، لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول ﷺ بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين(١).

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقي هذا الكلام سدا لباب الهدي والبيان من جهة الأنبياء، وفتحا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدي والبيان في طريقنا، لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلا عن أن يبينوا مرادهم. فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد (٢).

فإن قيل: أنتم تعلمون أن كثيرا من السلف رأوا أن الوقف عند قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ آل عمران:٧، بل كثير من الناس يقول: هذا هو قول السلف، ونقلوا هذا القول عن أبي بن كعب، وابن مسعود، وعائشة، وابن عباس، وعروة بن الزبير ﷺ، وغير واحد من السلف والخلف.

---

(١) السابق ١/١١٨ بتصرف.

(٢) السابق ١/١١٩ بتصرف.

وإن كان القول الآخر وهو أن السلف يعلمون تأويله منقولا عن ابن عباس أيضا، وهو قول مجاهد ومحمد بن جعفر وابن إسحاق وابن قتيبة وغيرهم، وما ذكرتموه قدح في أولئك السلف وأتباعهم.

قيل: ليس الأمر كذلك، فإن أولئك السلف الذين قالوا: لا يعلم تأويله إلا الله كانوا يتكلمون بلغتهم المعروفة بينهم، ولم يكن لفظ التأويل عندهم يراد به معنى التأويل الاصطلاحي الخاص، وهو صرف اللفظ عن المعني المدلول عليه المفهوم منه إلى معنى يخالف ذلك، فإن تسمية هذا المعنى وحده تأويلا، إنما هو اصطلاح طائفة من المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم، ليس هو عرف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، لاسيما ومن يقول إن لفظ التأويل هذا معناه، يقول إنه يحمل اللفظ على المعني المرجوح لدليل يقترن به، وهؤلاء يقولون هذا المعني المرجوح لا يعلمه أحد من الخلق، والمعني الراجح لم يرده الله ﷻ [1].

وإنما كان لفظ التأويل في عرف السلف يراد به ما أراده الله ﷻ بلفظ التأويل، فتأويل الكلام الطلبي الأمر والنهي، وهو نفس فعل المأمور به وترك المنهي عنه، كما قال سفيان بن عيينة: السنة تأويل الأمر والنهي.

وأما تأويل ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس

---

(١) السابق ١/١١٩ بتصرف.

الحقيقة التي أخبر عنها، وذلك في حق الله ﷻ هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما: الاستواء معلوم والكيف مجهول. وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه، وإن علمنا تفسيره ومعناه.

ولهذا رد أحمد بن حنبل على الجهمية والزنادقة فيما طعنوا فيه من متشابه القرآن، وتأولوه على غير تأويله، فرد على من حمله على غير ما أريد به، وفسر هو جميع الآيات المتشابهة وبين المراد بها.

وكذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن، وكانوا يقولون: إن العلماء يعلمون تفسيره، وما أريد به، وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه، وكذلك لا يعلمون كيفية الغيب، فإن ما أعده الله ﷻ لأوليائه من النعيم، لا عين رأته، ولا أذن سمعته، ولا خطر على قلب بشر، فذاك الذي أخبر به لا يعلمه إلا الله، فمن قال من السلف: إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعني فهذا حق[1].

وأما من قال: إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد به لا يعلمه إلا الله، فهذا ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله وقالوا: إنهم يعلمون معناه، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلي خاتمته، أقفه عند كل آية وأسأله عنها.

---

(١) السابق ١/١٢٠ بتصرف.

وقال ابن مسعود: ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، وقال الحسن البصري: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم ما أراد بها.

ولهذا كانوا يجعلون القرآن يحيط بكل ما يطلب من علم الدين، كما قال مسروق: ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه. وقال الشعبي: ما ابتدع قوم بدعة إلا في كتاب الله بيانها. وأمثال ذلك من الآثار الكثيرة المذكورة بالأسانيد الثابتة مما ليس هذا موضع بسطه[1].

- **الاستواء معلوم ليس بمعنى أنه موجود في القرآن.**

زعم بعضهم أن قول السلف في سائر الصفات: إن المعنى معلوم أي معلوم وجوده في القرآن، وأن معنى الاستواء معلوم يعنى أن آية الاستواء موجودة في القرآن .

وقد رد ابن تيمية رحمه الله على هذه الشبهة فقال: (فإن قيل: معنى قوله: الاستواء معلوم، أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم، كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله ﷻ بعلمه! قيل: هذا ضعيف، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، فإن السائل قد علم أن هذا موجود في القرآن، وقد تلا الآية، وأيضا لم يقل الإمام مالك: ذكر الاستواء في القرآن معلوم، ولا إخبار الله ﷻ بالاستواء معلوم، وإنما قال الاستواء معلوم .. وأيضا

(١) السابق ١/١٢٠ بتصرف.

فإنه قال: والكيف مجهول، ولو أراد ذلك لقال: معنى الاستواء مجهول، أو تفسير الاستواء مجهول، أو بيان الاستواء غير معلوم، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء، لا العلم بنفس الاستواء، وهذا شأن جميع ما وصف الله ﷻ به نفسه) [(١)] .

ونحن إذا نظرنا إلى كتاب الله ﷻ واستقرأنا جميع الأدلة النقلية التي تتعلق بالأمور الغيبية على وجه العموم وبذات الله وصفاته على وجه الخصوص، لا نجد آية واحدة أو حديثا يتحدث عن كيفية الذات وصفاتها، أو كيفية الموجودات التي في عالم الغيب، وكل ما ورد كان الهدف منه إثبات وجود ذات الله وصفاته وأفعاله على التفصيل الوارد في الكتاب والسنة، وبكيفية تليق بالله ﷻ، يعلمها هو، ولا نعلمها نحن، وهذا يتطلب كلاما يحمل معنى مفهوما. وعلى هذا المفهوم كما سبق جاءت أقوال السلف الصالح في نصوص الصفات وسائر الغيبيات: أمروها كما جاءت بلا كيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله معقبا: (قولهم أمروها كما جاءت، يقتضى إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان ، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله ﷻ لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد

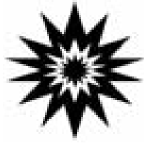
---

(١) رسالة الإكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٣.

أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ: بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول) [١] .

قال ابن القيم: (فلا سعادة للعباد، ولا صلاح لهم، ولا نعيم إلا بأن يعرفوا ربهم، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم) [٢] .

ولا شك أنه كلامه حق، فلا سعادة للعباد إلا بتوحيد الله ﷻ في عبوديته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فكيف تتم هذه السعادة في ظل عقيدة التفويض؟!

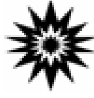


(١) الفتوى الحموية ص٢٨.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/٤٧.

المطلب الرابع عشر

وحدة المنهج السلفي في الحديث عن الذات والصفات وسائر الغيبيات



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن أثر عقيدة التفويض في الدعوة إلى عدم الكلام في توحيد الأسماء الصفات مع كونه من أشرف العلوم والموضوعات، وبينا أسباب القول بتفويض معاني نصوص الصفات، وادعاء أن كلام الله بلا معنى في هذا الباب، وما يترتب على ذلك من اللوازم الباطلة. ثم ضربنا بعض الأمثلة التطبيقية التي تدل على فهم حقيقة التفويض والفرق بين معتقد السلف والخلف في إثبات المعنى والجهل بالكيفية .

وبينا أن التفويض هو آخر مهرب لكل من قدم العقل على النقل، وأن المعارضين للسلف ينتهون إما إلى التأويل أو التفويض، وهما مذهبان باطلان، كما علمنا خطأ من زعم أن قول السلف في سائر الصفات: المعنى معلوم، أي معلوم وجوده في القرآن.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن وحدة المنهج

السلفي في الإيمان بما جاء في الوحي كله على نسق واحد، سواء في باب الأسماء والصفات، أو في سائر الغيبيات والموضوعات الأخرى، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **شمولية المنهج في الحديث عن الذات والصفات.**

من أبرز القواعد التي قام عليها اعتقاد السلف الصالح، الإيمان بما جاء في الوحي كله، سواء في الأسماء والصفات، أو سائر الغيبيات والموضوعات الأخرى، فالوحي وحدة واحدة، لا بد من أن نذعن له كله، ونسلم بكل ما جاء فيه على وجه المحبة والتعظيم، لعلمنا أن الله ﷻ يريد لنا الخير، وهو أعلم بما ينفعنا من أنفسنا.

وهذا معنى الإيمان في حديث سُفْيَان بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ ﷺ حيث قَال: (قُلتُ يَا رَسُول الله: قُل لي فِي الإِسْلامِ قَوْلا، لا أَسْأَل عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَال: قُل آمَنْتُ بِالله فَاسْتَقِمْ) [(١)].

ومن ثم فإن الله ﷻ إذا أخبرنا بشيء صدقناه في كل ما أخبر، وإذا أمر بشيء نفذناه في كل ما أمر، ونستقيم على ذلك مدى الحياة، فهذا مقتضى الإيمان الحق.

ومن الواجب أيضا الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الثابتة بكل ما فيهما لمعرفة الدليل على الموضوع الواحد، سواء في باب توحيد الأسماء والصفات، أو غيره من أبواب العقيدة والشريعة. وذلك لكي يكون

---

(١) مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام ١/٦٥ (٣٨).

المنهج منهجا صحيحا نابعا من القرآن والسنة بالفعل، فالقرآن هو كلام الله تعالى إلى عباده، الذي يمثل نورا لهم. وعباد الله متعددون في النوعية ومختلفون في العقلية، يختلفون ويتنوعون زمانا ومكانا.

كما أن القرآن يتحدث عن كثير من الحقائق، ويعرض كثيرا من الموضوعات، لكنها ليست في خطة دراسية مكونة من أبواب وفصول، أو مباحث جزئية، أو مطالب بحثية، للحصول على درجة التخصص أو الإجازة العالية، فليس فيه باب مستقل عن الصلاة، أو فصل مختص بالزكاة، أو غير ذلك من أحكام الله ﷻ، ولكن الموضوع الواحد قد يكون مطروحا في سور القرآن العديدة التي تضم آلاف الآيات والجمل والكلمات.

والله ﷻ ترك الاجتهاد مفتوحا لجمع المعلومات، والنظر في الأدلة لموضوع من الموضوعات، وذلك حتى يرفع الله ﷻ الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، فالقرآن نور لمن نور الله ﷻ بصيرته في النظر إلى الآيات، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ الشورى:٥٢.

ولا بد لكل مسلم أن يعلم أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، فما أجمله في موضع، أفاض فيه في موضع آخر، فينبغي علينا حتى نتعرف على دليل من القرآن والسنة لحقيقة غيبية أو مشهودة واقعية، أو أي

موضوع من الموضوعات، ينبغي علينا أن ننظر في جميع الآيات، وما ثبت في السنة من الأخبار والمرويات.وأن تكون نظرتنا للقرآن والسنة نظرة شاملة، حتى نخرج بالحقيقة صحيحة كاملة، ولو اقتصر الأمر على بعض الآيات دون بعض، فسوف نصل إلى حقيقة مشوهة ناقصة، وتبريرات عقلية خاوية مفلسة، أو سنصل إلى جزء من الحقيقة في القرآن والسنة دون الأخر.

فمثلا في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ الماعون:٤. إذا وقفت عندها يصبح معناها وعيدا للمصلين، وحجة للعصاة والمفسدين، ولو وصلتها بما بعدها لبان لك مراد رب العالمين، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ الماعون:٤/٧.

والأمر الذي وقع فيه كثير من طوائف المسلمين وفرقهم، هو عدم أخذهم للأدلة كلها كوحدة واحدة، في الموضوع الواحد، شأنهم في ذلك شأن علماء بني إسرائيل وأحبارهم مع كتابهم، أخذوا بعض الكتاب ليوافق آراءهم وعقولهم وأهواءهم، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، فبدلوا وغيروا وأولوا وحرفوا، تحريفا لفظيا، أو تحريفا معنويا يقوم على إخفاء بعض الحقائق وإلغائها، أو التغاضي عنها وتكذيبها، أو كفر الأحكام بتغطيتها وجحودها.

قال تعالى في وصفهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ

فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ البقرة:٨٤/٨٥.

وإذا كان بنو إسرائيل قد آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض عن سوء نية، وسوء قصد، فإن كثيرا من المتصوفة والمتكلمين أتباع الجهمية، قد شابهوا اليهود في فعلهم، فأخذوا ببعض ما ورد في كتاب ربهم وسنة نبيهم، وتركوا البعض، سواء عن قصد، أو غير قصد، فتركوا النظرة الشاملة الكاملة للقرآن والسنة التي تتوافق مع العقل والفطرة، فجاء اعتقادهم مشوها قاصرا، مضطربا مختلفا باطلا.

- **غلاة الصوفية وأكثر المتكلمين جعلوا القرآن عضين.**

ومثال ذلك أن بعض الصوفية بدلوا مجال اختيار المسلم من اختيار بين الدنيا والآخرة، أو بين الجنة والنار كما دلت النصوص، إلى اختيار بين الله ﷻ وبين سائر المخلوقات في الدنيا والآخرة.

كما روى عن رابعة العدوية من نساء الصوفية أنها قالت: (ما عبدتك خوفا من نارك، ولا طمعا في جنتك، ولكن حبا لذاتك) [(١)].

---

(١) هى رابعة بنت إسماعيل العدوية العابدة المشهورة، قال ابن كثير: (أثنى عليها الناس، وتكلم فيها أبو داود السجستاني واتهمها بالزندقة، فلعله بلغه عنها أمر، وقد ذكروا لها أحوالا وأعمالا صالحة، وصيام نهار وقيام ليل توفيت بالقدس الشريف سنة ١٨٥هـ). انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٠/١٨٦، نشر مكتبة المعارف، بيروت، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٤/٢٧ نشر دار المعرفة، بيروت.

جعلت رابعة حب الذات الإلهية خيارا مطروحا في مقابل الدنيا والآخرة، ومن ثم صرح أغلب الصوفية بأقوال باطلة، حيث زعموا أن العبد ينبغي أن يعبد الله ﷻ دون انتظار للثواب أو خوف من العقاب، بل يعبد الله ﷻ حبا لذاته، فأدى ذلك إلى أن وصلوا إلى درجة يحتقرون فيها من عبد الله ﷻ انتظار لثوابه، أو خوفا من عقابه على السلف وأهل السنة، وقد وصفوه من التجار الذين لا يعطون إلا لانتظار البديل.

بل غالى بعضهم فوصف هذا أهل الحق والسنة بأنهم عبيد السوء الذين لا يوقرون الله ﷻ لذاته، ولكن لما يصلهم من نفع أو نعمة في الآخرة، حتى قال أبو بكر الشبلي الصوفي: (إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها) [١].

وقال أيضا: (لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق منى شعره، لكنت مشركا) [٢].

ولما رجعوا إلى القرآن الكريم ، لم يرجعوا إلى القرآن كله بالتكامل مع السنة لكي يكون موضوع الاستدلال صحيحا، أو يكون المنهج منهجا نابعا من القرآن والسنة بالفعل، ولكنهم استدلوا ببعض، وتركوا دلالة البعض الآخر معطلة، فاستدل أبو بكر الكلاباذي على

(١) اللمع في التصوف لأبي نصر السراج الطوسي ص٤٩٠، وانظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٤٣٦، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) السابق ص ٤٩١.

هذا الفكر الصوفي بجزء من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ التوبة: ١١١. وقال معقبا: (ليعبدوه بالرق لا بالطمع). أو استدلال الآخر على هذه الدعوة الباطلة بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ الإنسان: ٩ [(١)].

وقطع الآيات عن نهايتها، التي لو استكملت لتغير المعنى تماما، فشراء الله لأنفس المؤمنين وأموالهم إنما كان بعوض وهو الجنة، وعمل المؤمنين كان سببا للوصول إلى هذه الجنة، وإن كان لا يزنها، ولكن هذا لا يمنع المؤمن أن يطمع في فضل الله ورحمته فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة: ١١١.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ الإنسان: ٩/١٢.

وإذا أخذت نصوص القرآن والسنة مجتمعة، فسوف نجد الثناء على

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن اسحاق بن إبراهيم البخاري الكلاباذي ص١٦٨، طبعة دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٠م، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

عباد الله وأوليائه بسؤال الجنة ورجائها، والاستعاذة من النار وعذابها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الأنبياء: ٩٠.

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ الفرقان: ٦٥/٦٦.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل: (ما تقول في الصلاة؟ فقال: أتشهد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أنا والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ فقال ﷺ: حولها ندندن) [١].

• محبة الصوفية وعبادتهم بلا عوض عبادة بدعية.

ادعى أغلب الصوفية أن العبادة الحقة هي ما كانت دون طلب العوض من الله ﷻ، وأن التطلع إلى الجنة عندهم معصية، وطلبها نقص في حق العابد.

---

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب مسألة الله الجنة بعد التشهد وقبل التسليم والاستعاذة بالله من النار ١/٣٥٨ (٧٢٥)، واصل الحديث عند أبي داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة ١/٢١٠ (٧٩٢)، وابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ﷺ ١/٢٩٥ (٩١٠)، وصححه الشيخ الألباني في كتاب صفة الصلاة.

روي أن جماعة دخلوا على رابعة العدوية يعودونها من شكوى، فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سببا، غير أني عرضت على الجنة فملت بقلبي إليها، فأحسب أن مولاي غار علي، فعاتبني فله العتبى[١].

ومعنى هذا أن مجرد ميل القلب إلى الجنة يعتبره المتصوفة ذنبا يستوجب العقاب، ومن ثم كان هذا الاعتقاد الباطل دافعا لأن يحولوا معاني الآيات والأحاديث إلى ما يريدون إثباته من أفكارهم البدعية فحاولوا لي أعناق النصوص وبترها للتوافق مع ما ذهبوا إليه، فقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ التوبة: ١١١.

استدلوا بهذا المقطع من الآية فقط، وقطعوا الآية عن نهايتها التي ترد قولهم وهي قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ التوبة: ١١١. فشراء الله ﷻ لأنفس المؤمنين وأموالهم، إنما كان بعوض وهو الجنة، وعمل المؤمنين كان سببا للوصول إلى هذه الجنة، وإن كان لا يكافئها، ولكن هذا لا يمنع المؤمن أن يطمع في فضل الله ﷻ ورحمته، والسعي لدخول جنته، بل هذا هو التعبد الصحيح.

والقصد أن مثل هذا الاعتقاد المبني على انحراف العقل والذوق، سوف يؤدي إلى الإيمان ببعض الكتاب ورد البعض الآخر وتعطيله عن مدلوله الحقيقي، أو لي أعناق النصوص بالتحريف أو التأويل

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١٨٤.

المتعسف، لتسير الأدلة في غير اتجاهها، كمطية يركبها صاحب الأهواء ويوجهها حيث يشاء، وهذا العمل كان مسلكا لليهود حتى لعنهم الله ﷻ وقال في وصفهم: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ الحجر: ٩٠/٩١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هُمْ أَهْلُ الكِتَابِ، جَزَّءُوهُ أَجْزَاءً، فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ)[(١)].

وقال تعالى في شأنهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥﴾ البقرة: ٨٥.

وقال عن تأويلهم الباطل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾ آل عمران: ٧٨.

وقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦﴾ النساء: ٤٦.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة ٣/١٤٣٥(٣٧٢٩).

وقد فعل أغلب الجهمية من أهل الكلام فعل اليهود لما قال الله ﷻ لهم: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ البقرة:٥٨. أي حط عنا خطايانا واغفر لنا، فبدلوا كلام الله ﷻ وزادوا نونا وقالوا: حنطة، أي نريد القمح والشعير، فقال الله تعالى في شأنهم: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾ البقرة:٥٩. وقال الله ﷻ لأهل الكلام: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾ طه:٥. فزادوا لاما وقالوا: استولى عليه وقهر. فما أشبه نون اليهود بلام أهل الكلام .

وقد وضع علماء الكلام من الأشعرية والماتريدية وغيرهم لأنفسهم قانونا عقليا يحكمون به على ما ورد في الكتاب والسنة، وخصوصا في مسائل الصفات، فما وافقهم أخذوا به وأيدوه، وما خالفهم أنكروه وأولوه .

قال ابن تيمية: (وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم، وردوا نصوص التوراة والإنجيل إليها، لكن تلك الأمانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء، أو ما بلغهم عنهم، وغلطوا في الفهم، أو في تصديق الناقل، كسائر الغالطين ممن يحتج بالسمعيات، فإن غلطه إما في الإسناد، وإما في المتن، وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على ما رأوه بعقولهم، وقد غلطوا في الرأي والعقل، فالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء، لكن

النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص، أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول، كالخوارج والوعيدية والمرجئة والإمامية وغيرهم، بخلاف بدعة الجهمية والفلاسفة فإنها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الأنبياء، وأولئك يظنون أن ما ابتدعوه هو المعروف من كلام الأنبياء وأنه صحيح عندهم) [(١)].

وقد عبر ابن تيمية رحمه الله عن وحدة المنهج السلفي وعمومه في معرفة أوصاف الله ﷻ بأصلين شريفين يوضحان تلك القاعدة:

- **القول في الصفات كالقول في الذات.**

والمقصود بهذا الأصل الرد على المعتزلة، فالقول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ﷻ ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان لذات الله ﷻ وجود حقيقي لا يماثل سائر الذوات من المخلوقات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات، فإذا قال السائل: كيف استوي على العرش؟ وما كيفية أوصافه؟

قيل له: كيف هو؟ فإن قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية أوصافه، ولا كيفية استوائه، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٦.

وإذا كنت تقر بأن لله ﷻ ذات حقيقية لا يماثله شيء فيها، فكذلك وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوق وبصره وكلامه ونزوله واستوائه وسائر أوصافه [(١)].

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: (أما الكلام في الصفات، فإنَّ ما روي منها في السنن الصحاح، مذهبُ السلف إثباتُها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قومٌ فأبطلوا ما أثبته الله ﷻ، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصدُ إنَّما هو سلوك الطريقة المتوسّطة بين الأمرين، ودينُ الله تعالى بين الغالي فيه والمقصِّر عنه.

والأصل في هذا أنَّ الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أنَّ إثبات ربِّ العالمين إنّما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنَّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله ﷻ يدٌ وسمعٌ وبصرٌ، فإنَّما هي صفاتٌ أثبتها الله ﷻ لنفسه، ولا نقول: إنَّ معنى اليد القدرة، ولا إنَّ معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنَّها جوارح، ولا نشبّهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارحُ وأدوات للفعل، ونقول: إنَّما وجب إثباتها؛ لأنَّ التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى:١١.

(١) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٥.

ولقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص:٤)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟، قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنَّه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه. وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا؟، قيل له: كيف هو؟، فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره، وتكليمه، واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته ؟!)[٢].

وقال أيضا: (ومن أوَّل الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك وسلك غير سبيله، وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصفات مثل: النزول والمجيء، واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في مثل النزول: النزول، معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهكذا يُقال في سائر

---

(١) انظر العلو للعلو الغفار الذهبي ص٢٥٣، نشر مكتبة أضواء السلف الرياض. وذم التأويل لابن قدامة المقدسي ص١٥ نشر الدار السلفية، الكويت. وانظر إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة ص٤٩، نشر دار السلام. وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨٤/١٨ نشر مؤسسة الرسالة.

(٢) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥/٣ .

الصفات؛ إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة) [(١)].

- **بدعة المعتزلة في إثبات الأسماء ونفي الصفات.**

ابتدع أهل الاعتزال من أتباع الجهمية معنى جديدا للتوحيد غير ما عرف بين الصحابة والتابعين وعلماء السلف، فقالوا: إن التوحيد هو إثبات الأسماء ونفي الصفات، فجعلوا القرآن عضين، يقبلون منه ما يوافق آراءهم الفاسدة ويعطلون ما يخالفها.

ومعني قولهم بإثبات الأسماء ونفي الصفات أنهم أثبتوا وجود ذات الله ﷻ فقط دون أي صفة لها، وجعلوا أسماء الله ﷻ الدالة عليها أسماء فارغة من الأوصاف، أو أسماء بلا مسمى، فقالوا: هو العليم، لكنه لا يتصف بصفة العلم، والسميع بلا سمع، وهو البصير بلا بصر، وهكذا سائر الأسماء الحسنى.

ولتبسيط فكرتهم نقول: فلان اسمه سعيد، لكن لو بحثت عن صفة السعادة فيه، فربما يكون سعيدا أو شقيا، فإن كانت الأولى قلنا: سعيد اسم على مسمى، وذاته متصفة بصفة السعادة، وإن كانت الثانية قلنا: سعيد اسم فارغ من المسمى وذات بلا صفة لأنه شقي.

ومن ثم فإن أسماء الله ﷻ عند السلف أسماء على مسمى، فهو الغني الذي يتصف بالغني لا الفقر، وهو القوي الذي يتصف بصفة القوة لا الضعف، وهو السميع يتصف بصفة السمع تعالى الله عن ضدها، وهو

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٤.

البصير الذي يتصف بالبصر وهكذا في سائر الأسماء والصفات، ولهذا كانت أسماؤه حسنى وعظمى، ولا تكون حسنى وعظمى بغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ الأعراف: ١٨٠.

ودعاء الله بها أن يقول الفقير: يا غني أغنني بفضلك عمن سواك، ولولا يقين الداعي الفقير أن الله ﷻ غني ولا نظير له في غناه ما دعاه، وأن يقول الضعيف: يا قوي قوني، فلولا يقينه أنه سبحانه لا شبيه له في قوته ما دعاه، وهكذا يعلم أصحاب الفطرة السليمة فطرة التوحيد أن الله ﷻ يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء بسبب العظمة في أسمائه وأوصافه كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ النمل: ٦٢، فعلم العقلاء أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه وهو عاجز لا صفة له مطلقا، أو أسماؤه فارغة بلا مسمى.

وهذا المذهب الخبيث يترتب عليه أن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ لا قيمة له عندهم، وكذلك تعداد الأسماء الحسنى في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ) [1]. لأن تعداد الأسماء

---

(١) رواه البخاري في الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط ٢/٩٨١ (٢٥٨٥) ومسلم في الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى ٤/٢٠٦٣ (٢٦٧٧).

الحسني، أو الدعاء بها مبني على إثبات الصفات.

وأي نقص في حق الله ﷻ أعظم من ألا يكون له صفة عند المعتزلة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. إن الواحد منا لا يقبل هذا على نفسه، فلو قال لك قائل: أنت لا صفة لك عندي. ربما خاصمته دهرا؛ لأن الفطرة مجبولة على إثبات الأوصاف الحميدة ونفي الأوصاف البغيضة، فمن العجب أن يثبتوا لأنفسهم أجود الأوصاف وينفون عن الله ﷻ الذي ليس كمثله شيء سائر أوصاف الكمال.

ومن ثم لا بد من الإيمان بصفات الله جميعها، كالإيمان بوجود ذاته، والذي لا يعرف كيفية الذات، كذلك فإنه لا يعرف كيفية الصفات، والذي يزعم أن إثبات الصفات يدل على التشبيه فيخاصم بأن إثبات الذات أيضا يدل على التشبيه، فالقول في الذات كالقول في الصفات سواء بسواء[1].

• القول في الصفات كالقول في بعض.

الأصل الثاني المعبر عن وحدة المنهج السلفي وعموم النظر في التعرف على أوصاف الله ﷻ هو أن يقال: القول في الصفات كالقول في بعض. فلا يجوز أن نثبت بعض الصفات، وننازع في إثبات باقي الصفات، أو نردها بالتعطيل والتأويل بغير دليل، لأن منهج السلف

---

(١) انظر المزيد عن هذا الموضوع في المسألة المصرية في القرآن ضمن مجموع الفتاوى ١٢/١٨٣، وبيان تلبيس الجهمية ١/٥١٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/١٩.

واحد في كل ما ورد من الصفات وسائر الغيبيات، إما أن تثبت الجميع وتكون مؤمنا، أو ترد الجميع وتكون جاحدا معطلا.

أما إثبات البعض ورد البعض تحت أي حجة، فهذا عمل اليهود كما سبق، وهو أشد بطلانا؛ لأنه استخفاف بكلام الله ﷻ ونوع من العبث بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

وينبغي أن يحترز بهذا الأصل في معرفة صفات الله من بدعة الأشعرية، ومن سلك سبيلهم في الصفات الإلهية، حيث ابتدعوا تقسيما عجيبا في صفات الله ﷻ على أهوائهم، جعلوا منه ما هو واجب لله ﷻ، وما هو جائز له، وما هو مستحيل عليه. فقالوا: الوجود صفة نفسية، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية صفات سلبية. والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر صفات معاني أو معنوية.

وبقية الصفات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية صفات خبرية، تدل على التشبيه والأعضاء والجسمية، وظاهرها غير مراد؛ لأنه باطل قبيح دل على معان كفرية شركية، لا يثبتها العقل لربه، حتى قال قائلهم كما سبق:

وكل نص أوهم التشبيه : أوِّله أو فوِّض ورم تنزيها.

ولو سألناهم: لم أثبتم قدرته سبحانه، وإرادته، وعلمه، وحياته، وكلامه، وسمعه، وبصره مع أنها وردت في الكتاب والسنة، ونفيتم

صفة المحبة، والرضي، والغضب، والاستواء، والعلو، والمجيء، وسائر الصفات الخبرية مع أنها أيضا وردت في الكتاب والسنة؟

قالوا: لأن الصفات التي أثبتناها لا تدل على التشبيه، أما الصفات التي نفيناها تدل على التشبيه، فيقال لهم: إن العقلاء لا يقرون هذا، فالقول في الصفات كالقول في بعض، فإما أن تقولوا بالتمثيل الباطل في الذات وجميع الصفات كما فعل الممثل، وقال: إرادة الله مثل إرادة المخلوق، ومحبته، ورضاه، وغضبه، واستواءه، وعلوه، وسائر الصفات الخبرية مثل أوصاف المخلوق، ومعلوم أن هذا كذب على الله ﷻ وقياس باطل محرم.

وإما أن تقولوا كما قال أهل التوحيد إرادة الله تليق به، وإرادة المخلوق تليق به، والله ﷻ ليس كمثله شيء في إرادته، ومحبته، ورضاه، وغضبه، واستواءه، وعلوه، وسائر الصفات الثابتة في الكتاب والسنة كما هو اعتقاد أهل الحق.

وصاحب المذهب الأشعري إن أتى بحجج عقلية سقيمة ينفي بها ما يشاء ويثبت من صفات الله ﷻ، فالعقل لن يسأم من مقارعة الحجة بالحجة، فإن قال: نفيت الغضب لأنه غليان دم القلب لطلب الانتقام، وهذا لا يجوز على الخالق سبحانه وتعالى، قيل له: والإرادة التي أثبتها ميل القلب إلي جلب منفعة، أو دفع مضرة، وهذا لا يجوز على الخالق سبحانه وتعالى. فإن قال: تلك إرادة المخلوق، أما إرادة

الخالق فليست كذلك، قيل له: وهذا الغضب الذي وصفته غضب المخلوق، أما غضب الخالق فليس كذلك، وهذا لازم في كل صفة أثبتها أو نفاها.

- **بدعة الأشعرية في إثبات بعض الصفات ورد البعض.**

ولا ريب أننا وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام لله تعالى. ونحن قطعا لا نعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضا تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، وهي صفات تليق به لا كما يليق بنا، فكذلك نقول أيضا حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم ليس مكيفا، وكذلك سمعه وبصره معلومان كما يليق به.

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان، ولا يكيفان، كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة، بل هي كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة، أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته وجلاله، وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة من حيث التكييف والتحديد، فيكون العبد بها مدركا من وجه، غير مدرك من وجه، مبصرا من حيث

الإثبات والوجود، ولا يعلم من حيث التكييف والتحديد[1].

وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله ﷻ نفسه به، وبين نفي التحريف والتعطيل، والتشبيه التمثيل، وذلك هو مراد الرب تعالى في إبراز صفاته لنا، لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها، وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل.

ولا فرق بين النزول والبصر، الكل ورد في النص، فإن قالوا لنا: في الاستواء شبهتم، نقول لهم في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بوصف المخلوق، فإن قالوا: لا تشبيه بل هو كما يليق به، قلنا في الاستواء والفوقية لا تشبيه، بل ذلك كما يليق به، فجميع ما يلزموننا به في الاستواء، والنزول، واليد، والوجه، والقدم، والضحك، والعجب من التشبيه، نلزمهم به في الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، فكما لا يجعلونها من جنس ما يوصف به المخلوق، فكذلك نحن لا نجعلها من جنس صفات المخلوق.

وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء، والنزول، والوجه، واليد صفات المخلوقين، فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف، ولا يفهموا ذلك في الصفات السبع، فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في السمع والبصر وبقية ما يثبتونه من الصفات صفات

---

(١) انظر أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، لمرعي بن يوسف الكرمي ص ٢٠٢، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

المخلوقين، فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نلزمهم به في هذه الصفات، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع، وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نقول في تلك التي ينسبونا فيها إلى التشبيه، سواء بسواء[١].

ومن أنصف عرف الحق ودان لله ﷻ بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التمثيل والتشبيه والتعطيل والتأويل بغير دليل، وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك؛ لأن تلك الصفات جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأولناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، فالقول في الصفات واحد ﷻ لا فرق بين صفة وأخرى.

قال ابن تيمية: (وأما قول القائل: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام.. فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا، لم يلزم أن يكون غضب الله تعالى مثل غضبنا، كما أن حقيقة ذات الله ﷻ ليست مثل ذاتنا، فليس هو مماثلا لنا، لا لذاتنا، ولا لأرواحنا، وصفاته كذاته) [٢].

وقال رحمه الله مفصلا لذلك: (فإن قالوا: الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام، والوجه هو ذو الأنف والشفتين واللسان والخد

---

(١) انظر رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لأبي محمد عبد الله بن يوسف ص٧٤، نشر دار طويق الرياض.

(٢) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/٣.

أو نحو ذلك، قيل لهم: إن كنتم تريدون غضب العبد ووجه العبد فوزانه أن يقال لكم: ولا يعقل بصر إلا ما كان بشحمة، ولا سمع إلا ما كان بصماخ، ولا كلاما إلا ما كان بشفتين ولسان، ولا إرادة إلا ما كان لاجتلاب منفعة، أو استدفاع مضرة، وأنتم تثبتون للرب السمع والبصر والكلام والإرادة على خلاف صفات العبد، فان كان ما تثبتونه مماثلا لصفات العبد، لزمكم التمثيل في الجميع، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله تعالى من غير مماثلة بصفات المخلوقات، فاثبتوا الجميع على هذا الوجه المحدود، ولا فرق بين صفة وصفة؛ فإن ما نفيتموه من الصفات يلزمكم فيه نظير ما أثبتموه، فإما أن تعطلوا الجميع وهو ممتنع، وإما أن تمثلوه بالمخلوقات وهو ممتنع، وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره، وحينئذ فلا فرق بين صفة وصفة، فالفرق بينهما بإثبات أحدهما ونفى الآخر فرارا من التشبيه والتجسيم قول باطل، يتضمن الفرق بين المتماثلين والتناقض في المقالتين) [1].

• أسلم الضوابط التي وضعت للتعريف باعتقاد السلف.

إن من أسلم الضوابط الشمولية التي وضعت لتوضيح اعتقاد السلف الصالح في توحيد الصفات هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (ومذهب السلف أنهم يصفون الله ﷻ بما وصف

(١) رسالة في مسألة تأويل الصفات ضمن مجموع الفتاوى ٤٦/٦.

به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله ﷻ به من ذلك فهو حق، ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق، وأفصحهم في البيان والدلالة والإرشاد، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله) [(١)].

لقد جاءت هذه الكلمات معبرة عما دلت عليه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الباب بمجموعها، منبها على مواطن الانحراف، وتسلسله من أعلاه إلي أدناه في عبارة بليغة موجزة.

ونحن لو تأملنا تلك المحذورات لظهر لنا مدى الدقة في التعبير عن المنهج السلفي، وكيف أخطأ من ضل عن طريقهم من المخالفين حيث توهموا في بعض الصفات، أو كثير منها، أو أكثرها، أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم يريدون أن ينفى ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير كما تقدم، أولها: أنه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٩٥، وشرح العقيدة الأصفهانية ١/٢٥ نشر مكتبة الرشد الرياض، والعقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ٣/١٣٠، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ضمن مجموع الفتاوى ١١/٢٥٠، وقاعدة في الكلام علي المرشدة لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى١١/٤٨٠.

ثم عطل بتمثيله هذا ما دلت عليه، وبقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله ﷻ، فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيئ الذي فهم به التمثيل الباطل من كلام الله ورسوله ﷺ، يبقى وقد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله ﷻ والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى.

ثم نفى تلك الصفات عن الله ﷻ بغير علم فيكون معطلا بالفعل لما يستحقه الرب. ثم يصف الرب سبحانه بنقيض تلك الصفات مما اخترعه بعقله من صفات الأموات والجمادات، أو صفات المعدومات، فيجمع في كلام الله وفى الله ﷻ بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدا في أسماء الله وآياته [1].

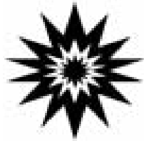
هذا الضابط الذي وضعه شيخ الإسلام ابن تيمية يعد بحق من أسلم الضوابط في توحيد الصفات؛ لأنه اشتمل على قواعد مذهب السلف الصالح، وحذر من التمثيل والتكييف والتعطيل والتحريف والتفويض، بحيث تنكشف أنواع التدرج في الضلال والانحراف الذي وقع فيه المخالفون من أتباع الجهمية.

وقد بان لنا أن أعلاها وأشرها وأقبحها هو التأويل الباطل الذي سماه شيخ الإسلام ابن تيمية بالتحريف، ولذلك بدأ به جملة المحذورات لأنه مبني على التعطيل، والتعطيل سببه التكييف،

---

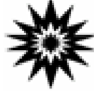
(١) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٤٨.

والتكييف مرده إلى التمثيل، ثم حذر بعد ذلك من تفويض معاني النصوص، والنظر إليها على أنها كاللغة الأعجمية والألغاز والأحاجي، وأن ذلك مخالف لمذهب السلف، وبين أيضا شمولية هذا المنهج لكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ في باب الأسماء والصفات، فمن أراد النجاة فعليه إتباع من سلف وترك ما أحدثته الجهمية وأتباعهم من الخلف.



المطلب الخامس عشر

إثبات علو الذات والفوقية والنصوص الواردة في المعية



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن شمولية منهج أهل السنة في الحديث عن الذات والصفات وسائر الغيبيات، وبينا أن منهج غلاة الصوفية وأغلب المتكلمين هو منهج اليهود الذين جعلوا القرآن عضين، فهم يقدمون آراءهم العقلية على كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ثم ينظرون بعد ذلك في الأدلة، فما وافقهم أخذوه، وما خالفهم عطلوه وتركوه.

وعلمنا أنه لما زعم بعض الصوفية أن العبادة الحقة هي ما كانت دون طلب العوض، اقتطعوا النصوص لتصدق قولهم، وكذلك فعلت المعتزلة حين قالت في الصفات قولا يخالف قولهم في الذات، فظهرت بدعتهم في إثبات الأسماء ونفي الصفات، وعلى شاكلتهم الأشعرية حين قالت في بعض الصفات قولا يخالف قولهم في بقية الصفات.

وبينا أن كل ذلك سببه عدم الإيمان بما جاء في الوحي كله،

سواء في الأسماء والصفات، أو في الغيبيات، أو سائر الموضوعات الأخرى، وقد بينا أن أسلم الضوابط الشمولية التي وضعت لتوضيح اعتقاد السلف هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله ﷻ الحديث عن تطبيق منهج السلف الصالح في فهم مسألة علو الذات والفوقية، والجمع بينها وبين نصوص المعية، وذلك من خلال المحاور التالية:

• **دلالة النصوص على إثبات العرش والاستواء.**

١- قول الله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه١/٥.

٢- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف:٥٤.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ يونس:٣.

٤- قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ السجدة: ٤/٥.

٥- قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ الحديد: ٤.

٦- ومما ورد في السنة ما رواه البخاري من حديث أبي هُرَيْرَة ﷺ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِه، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلى اللهِ أَنْ يُدْخِلهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيل اللهِ، أَوْ جَلسَ فِي أَرْضِهِ التِي وُلدَ فِيهَا. فَقَالوا: يَا رَسُول اللهِ، أَفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَال: إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ للمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيل اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض، فَإِذا سَأَلتُمُ اللهَ فَاسْأَلوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلى الجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ) (١) .

٧- ومما ورد في السنة أن الرسول ﷺ قال لسعد بن معاذ ﷺ في حكمه على بني قريظة: (لقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ اليَوْمَ بِحُكْمِ اللهِ الذي حَكَمَ

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ٣/١٠٢٨ (٢٦٣٧).

بِهِ مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات)[١].

وفي رواية: (لقَدْ حَكَمْت فِيهِمْ بِحُكْمِ الله الذي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْق سَبْعَة أَرْقِعَة)[٢].

• دلالة النصوص النقلية على أن الله في السماء.

١- ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ الملك:١٦.

٢- قوله سبحانه: ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ الملك:١٧.

٣- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾ الأنعام:٣.

٤- ومما ورد في السنة ما رواه مسلم عن مُعَاوِيَة بْنِ الحَكَمِ السُّلمِيِّ أنه قال: (بَيْنَا أَنَا أُصَلي مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ، إِذ عَطَسَ رَجُل مِنْ القَوْمِ، فَقُلتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلتُ: وَاثكْل

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب القضاء، باب إذا نزل قوم على حكم رجل فحكم فيهم وفي ذراريهم ٣/٤٦٥ (٥٩٣٩)، وانظر تصحيح الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٦/٢٤٨.

(٢) انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ الألباني (١٤٥٣)، والسلسلة الصحيحة ٦/٢٤٨.

أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِليَّ؟ فَجَعَلوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلى أَفْخَاذهِمْ، فَلمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي سَكَتُّ، فَلمَّا صلى رَسُول اللّهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلمًا قَبْلهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْليمًا مِنْهُ، فَوَاللّهِ مَا كَهَرَنِي، وَلا ضَرَبَنِي، وَلا شَتَمَنِي. قَال: إنَّ هَذهِ الصَّلاةَ لا يَصلْحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَال رَسُول اللّهِ ﷺ .

قُلتُ: يَا رَسُول اللّهِ، إِنِّي حَدِيث عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللّهُ بِالإِسْلامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالا يَأْتُونَ الكُهَّانَ؟ قَال: فَلا تَأْتِهِمْ. قَال: وَمِنَّا رِجَال يَتَطَيَّرُونَ؟ قَال: ذاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلا يَصُدَّنَّهُمْ. قَال قُلتُ: وَمِنَّا رِجَال يَخُطُّونَ؟ قَال: كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذاكَ.

قَال: وَكَانَتْ لي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لي قِبَل أُحُدٍ وَالجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلعْتُ ذات يَوْمٍ فَإِذا الذيبُ قَدْ ذهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُل مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُول اللّهِ ﷺ، فَعَظَّمَ ذلكَ عَليَّ، قُلتُ: يَا رَسُول اللّهِ، أَفَلا أُعْتِقُهَا؟ قَال: ائْتِنِي بِهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَال لهَا: أَيْنَ اللّهُ؟ قَالتْ: فِي السَّمَاءِ. قَال: مَنْ أَنَا؟ قَالتْ: أَنْتَ رَسُول اللّهِ. قَال: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) [1].

---

(١) مسلم في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ١/٣٨١ (٥٣٧).

• النصوص الدالة على معية الله لخلقه.

١- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ المجادلة:٧.

٢- قوله ﷻ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ النساء:١٠٨.

٣- قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ آل عمران:٥/٦.

٤- قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة:٤٠.

٥- قوله سبحانه: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ طه:٤٣/٤٦.

٦- قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ المائدة:١٢.

٧- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ محمد:٣٥.

٨- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق:١٦.

٩- قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الواقعة:٨٣/٨٥.

١٠- قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة:١٨٦.

• اعتقاد الصحابة في الجمع بين النصوص.

١- روى البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه قال: (جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُول: اتَّقِ اللهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ. قَال: أَنَسٌ، لوْ كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لكَتَمَ هَذِهِ. قَال: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُول: زَوَّجَكُنَّ أَهَاليكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ)[١].

وهي رضي الله عنها تقصد ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الأحزاب:٣٧.

---

(١) البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه علي الماء ٦/٢٦٩٩ (٦٩٨٤).

٢- روى البخاري من حديث أَنَس بن مَالكٍ ﷺ قال: نَزَلتْ آيَةُ الحِجَابِ في زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَأَطْعَمَ عليها يَوْمَئِذ خُبْزًا وَلحْمًا، وَكَانَتْ تَفْخَرُ على نِسَاءِ النبي ﷺ وَكَانَتْ تَقُول: (إنَّ اللهَ أَنْكَحَنِي في السَّمَاءِ)[1].

٣- وعند ابن ماجة من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (تَبَارَكَ الذي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لأَسْمَعُ كَلامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثعْلبَةَ، وَيَخْفَى عَليَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إلى رَسُول اللهِ ﷺ، وَهِيَ تَقُول: يَا رَسُول اللهِ، أَكَل شَبَابِي، وَنَثرْتُ لهُ بَطْنِي، حَتَّى إذا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِليْك. فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَل جِبْرَائِيل بِهَؤُلاءِ الآيَاتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ①﴾ المجادلة: ١)[2].

٤- وفي المسند عن ذكْوَان مولى عَائِشَةَ أنه استَأْذنَ لابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ على عَائِشَةَ رضي الله عنها وَهِيَ تَمُوتُ، وَعِنْدَهَا ابن أَخِيهَا عبد اللهِ بن عبد الرحمن ﷺ فقال: (هذا ابن عَبَّاسٍ، يَسْتَأْذنُ عَليْكِ وهو من خَيْرِ بَنِيكِ، فقالت: دعني مِنِ ابن عَبَّاسٍ وَمِنْ تَزْكِيَتِهِ، فقال لها عبد اللهِ بن عبد الرحمن: إنه قاري لكِتَابِ اللهِ، فَقِيهٌ في دِينِ اللهِ، فأذني له فَليُسَلمْ عَليْكِ وَليُوَدِّعْكِ، قالت: فأذن له إن شِئْتَ، قال:

(١) السابق ٦/٢٧٠٠ (٦٩٨٥).

(٢) رواه ابن ماجة في الطلاق، باب الظهار ١/٦٦٦ (٢٠٦٣) وصححه الشيخ الألباني انظر إرواء الغليل ٧/١٧٥.

فَأَذنَ له، فَدَخَل ابن عَبَّاسٍ، ثمَّ سَلمَ وَجَلسَ، وقال: أبشري يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، فَوَاللهِ ما بَيْنَك وَبَيْنَ أن يَذهَبَ عَنْكِ كُل أَذى وَنَصَبٍ، أو قال: وَصَبٍ، وَتَلقَى الأَحِبَّةَ مُحَمَّداً وَحِزْبَهُ، أو قال: أَصْحَابَهُ إلا أن تُفَارِقَ رُوحُكِ جَسَدَكِ. فقالت: وَأَيْضاً، فقال ابن عَبَّاس: كُنْتِ أَحَبَّ أَزْوَاجِ رسول اللهِ ﷺ إليه، ولم يَكُنْ يُحِبُّ إلا طَيِّباً، وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ بَرَاءَتَكِ من فَوْق سَبْعِ سماوات، فَلَيْسَ في الأَرْضِ مَسْجِدٌ إلا وهو يُتْلى فيه أناء الليْل وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَسَقَطَتْ قِلاَدَتُك بِالأَبْوَاءِ فَاحْتَبَسَ النبي ﷺ في المَنْزِل، وَالنَّاسُ معه في ابْتِغَائِهَا، أو قال: في طَلَبِهَا، حتى أَصْبَحَ القَوْمُ على غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ، فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً.. الآيَةَ، فَكَانَ في ذلك رُخْصَةٌ للنَّاسِ عَامَّةً في سَبَبِكِ، فَوَاللهِ إنك لَمُبَارَكَةٌ، فقالت: دعني يا بن عَبَّاسٍ من هذا، فَوَاللهِ لوَدِدْتُ أني كنت نَسْياً مَنْسِيًّا) (١).

٥- روى البيهقي بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه مر في ناس من أصحابه، فلقيته عجوز فاستوقفته، فوقف عليها، فوضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها، فلما فرغت قال رجل: حبست رجالات قريش على هذه العجوز، قال: ويحك تدري من هذه؟ هذه عجوز سمع الله ﷻ شكواها من فوق سبع سماوات. والله لو

---

(١) رواه أحمد في المسند مسند عبد الله بن عباس ٣٤٩/١ (٣٢٦٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي علي شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير ابن خثيم فمن رجال مسلم.

استوقفتني إلى الليل لوقفت عليها، إلا آتي الصلاة ثم أعود إليها حتى تقضي حاجتها [١].

٦- قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (ما بين السماء القصوى والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء كذلك، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم) [٢] .

• اعتقاد الأئمة الأربعة في الجمع بين النصوص.

١- رأي الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله (ت:١٥٠هـ). قال نوح بن أبي مريم: كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر، إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما، فدخلت الكوفة، فقيل لها: إن ها هنا رجلا قد نظر في المعقول يقال له: أبو حنيفة، فَأْتِيهِ، فأتته، فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك؟ أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضع كتابا: إنّ الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ الحديد:٤. قال: هو كما تكتب للرجل: إني معك وأنت عنه غائب.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، باب قول الله ﷻ: وهو القاهر فوق عباده ٣٢٢/٢ (٨٨٦) نشر مكتبة السوادي جدة.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٩٥/٣ نشر دار طيبة الرياض والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٩٢/٢ نشر مكتبة السوادي جدة. وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢٤٢/١ نشر مكتبة الرشيد الرياض.

قال البيهقي: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيما نفي عن الله تعالى وتقدّس من الكون في الأرض، وفيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع في قوله: إنّ الله ﷻ في السماء [1].

وقال أبو حنيفة أيضا في الفقه الأكبر: من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقد كفر، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وعرشه فوق سبع سماوات. قلت: فإن قال إنه على العرش، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يُدْعى من أعلى لا من أسفل. وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أَمَ في الأرض؟ قال: فقد كفر، لأن اللهَ يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وعرشه فوق سبع سموات.قال: فإنه يقول: على العرش استوى، ولكنه لا يدري العرش في الأرض أو في السماء؟ قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر) [2].

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب قول الله ﷻ لعيسى ﵇: إني متوفيك ورافعك إلي ٣٣٨/٢ (٩٠٥) نشر مكتبة السوادي جدة. وانظر العلو للعلي الغفار للذهبي ١٣٤/١. واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ذكر أقوال الأئمة الأربعة ٧٣/١ نشر دار الكتب العلمية.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٤٧/٥. واجتماع الجيوش الإسلامية ٧٤/١. والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١٢٩٧/٤ نشر دار العاصمة الرياض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله عند أصحابه أنه كَفَّرَ الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء ولا في الأرض؟ واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾. قال: وعرشه فوق سبع سموات، وبيّن بهذا أن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ بيّن في أن الله ﷻ فوق السموات، فوق العرش، وأن الاستواء على العرش، ثم أردف ذلك بكفر من توقّف في كَوْنِ العرش في السماء أو في الأرض. قال: لأنه أنكر أن يكون في السماء، وأن الله ﷻ في أعلى عليين، وأن الله ﷻ يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإنّ القلوبَ مفطورةٌ على الإقرار بأنّ الله ﷻ في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل(١).

٢- رأي إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله (ت:١٧٩هـ) قال: إن الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان. وقيل لمالك: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ طه:٥. كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله تعالى: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء (٢).

---

(١) المصدر السابق ٤٨/٥ بتصرف.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ١٣٨/٧ نشر مؤسسة قرطبة وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ٧٥/١.

وقال مالك: (الله ﷻ في السماء، وعلمه في كل مكان وتلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)﴾ المجادلة:٧) [(١)].

٣- رأي الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله (ت:٢٠٤هـ) حيث قال: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله، وأنّ الله تعالى على عرشه، في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء.

وقد سئل الإمام الشافعي عن صفات الله وما يؤمن به؟ فقال: لله تعالى أسماء وصفات، جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصحّ عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر. أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرؤية

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٠١/٣ نشر دار طيبة الرياض. وانظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١٠٧/١، نشر دار ابن القيم الدمام. والشريعة للآجري ١٠٧٧/٣، نشر دار الوطن الرياض. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٣/٥.

والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ويثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفي التشبيه عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

وصح عن الإمام الشافعي أيضا أنه قال: خلافة أبي بكر الصديق ﷺ حَقٌّ قضاها الله في سمائه، وجمع عليها قلوبَ عباده[١].

٤- رأي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت:٢٤١هـ). قال أبو طالب سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال: إن الله معنا، وتلا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. قال: قد تجهم هذا، يأخذون بآخر الآية، ويدعون أولها، هلا قرأت عليه: ألم تر أن الله يعلم. فالعلم معهم، وقال في سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ ق:١٦. فعلمه معهم[٢].

وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: إن رجلا قال: أقول كما قال الله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره. فقال أبو عبد الله: هذا كلام الجهمية. قلت: فكيف نقول؟ قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/١٨١ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية١/٩٤. ومختصر العلو للعلي الغفار ص ١٧٦.

(٢) الإبانة لابن بطة العكبري ٣/١٥٩ نشر دار الراية الرياض. والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص١٧٦ نشر مكتبة أضواء السلف الرياض.

﴿خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ المجادلة:٧. علمه في كل مكان، وعلمه معهم، ثم قال: أول الآية يدل على أنه علمه [(١)].

وقال أحمد بن حنبل: (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا. وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق..

إلى أن قال: وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أراضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن ﷻ فوق الماء، والله ﷻ العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد، وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نور

---

(١) المصدر السابق ٣/١٥٩.

ونار وظلمة وما هو أعلم به.

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ ق:١٦. وبقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد:٤. وبقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ المجادلة:٧. ونحو هذا من متشابه القرآن فقال: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله تعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا، ويعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان [١].

• **اعتقاد علماء السلف وأتباعهم في الاستواء والمعية.**

١- رأي مقاتل بن حيان رحمه الله توفي في نهاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري حيث قال في قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. قال: هو على العرش، ولا يخل شيء من علمه [٢].

٢- رأي عبد الله بن المبارك رحمه الله (ت:١٨١هـ)، قال علي

---

(١) انظر العقيدة للإمام أحمد بن حنبل رواية أبي بكر الخلال ص ٧٣، ص٧٨ نشر دار قتيبة دمشق وطبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى ١/٢٤، نشر دار المعرفة بيروت.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٤٠٠ (٦٧٠).

بن الحسن بن شقيق، شيخ البخاري: (قلت لعبد الله ابن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه. وفي لفظ: على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض. وقال أيضا: سألت ابن المبارك: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا؟ قال: على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض [١].

٣- رأي أبي يوسف الأنصاري (ت:١٨٢هـ) صاحب أبي حنيفة رحمه الله. فقد جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال له: تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعليٌّ الأحْوَل وفلان يتكلمون، فقال: وما يقولون؟ قال: يقولون: إن الله في كل مكان. فبعث أبو يوسف فقال: عليَّ بهم، فانتهوا إليهم، وقد قام بشر، فجيء بعلي الأحول والشيخ، يعني الآخر، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك، فأمر به إلى الحبس، وضرب عليا الأحْوَل وطوَّف به [٢].

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص٣١ نشر دار المعارف الرياض. والرد على الجهمية للدارمي ٤٧/١ نشر دار الأثير الكويت. والإبانة لابن بطة العكبري ١٥٥/٣ (١٢٢) نشر دار الراية الرياض. والتمهيد لابن عبد البر ١٤٢/٧.

(٢) ذكر ابن تيمية هذه القصة في مجموع الفتاوى ٥٤/٥، وعزاها لابن أبي حاتم. وأوردها الإمام الذهبي في العلو للعلي الغفار ص١٥١. وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٨.

٤- رأي حماد بن هنَّاد رحمه الله (ت: ٢٣٠هـ) حيث قال: (هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار، وما دلت عليه مذاهبهم فيه، وإيضاح مناهج العلماء وطرق الفقهاء، وصفة السنة وأهلها، أن الله فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان) [(١)].

٥- رأي أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله (ت: ٢٣١هـ)، قال إبراهيم الحربي: (سئل أحمد بن نصر عن علم الله؟ فقال: علم الله معنا وهو على عرشه) [(٢)].

٦- رأي الإمام إسحاق بن راهويه (ت:٢٣٨هـ)، قال حرب بن إسماعيل: (قلت لإسحاق بن راهويه في قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ المجادلة:٧ كيف تقول فيه؟ قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه) [(٣)].

---

(١) انظر العلو للذهبي ص١٥١. واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٤٢.

(٢) السابق ص١٢٨.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١٦١/٣. وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤٠. والعلو للعلي الغفار للذهبي ص١٧٧. وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٧٠/١١.

٧- رأي الحارث بن أسد المحاسبي (ت:٢٤٣هـ)، قال: (وأما قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ طه:٥. وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ الأنعام:١٨. وقوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك:١٦. وقوله تعالى: ﴿ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ الإسراء:٤٢. وقوله: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ فاطر:١٠. هذا يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها متنزه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك:١٦. يعني فوق العرش، والعرش على السماء، لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ التوبة:٢. يعني علي الأرض لا يريد الدخول في جوفها) [(١)].

٨- رأي يحي بن معاذ الرازي رحمه الله (ت:٢٥٨هـ) حيث قال: (الله تعالى على العرش، بائن من الخلق، قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء، ضليل هالك مرتاب، يمزج الله بخلقه، ويخلط الذات بالأقذار والأنتان)[(٢)].

٩- رأي أبي زرعة الرازي (ت:٢٦٤هـ) رحمهما الله، قال عبد

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٦٩ واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٢.

(٢) السابق ٥/٤٩، واجتماع الجيوش ص٢٧٠.

الرحمن بن أبي حاتم: (سألت أبا حاتم وأبا زرعة الرازيين رحمهما الله عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازا، وعراقا، ومصرا، وشاما، ويمنا، وكان من مذهبهم أن الله على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علما) [1].

١٠- رأي الإمام ابن قتيبة رحمه الله (ت:٢٧٦هـ) في تأويل مختلف الحديث: (نحن نقول في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. إنه معهم يعلم ما هم عليه، كما تقول للرجل وجّهته إلى بلد شاسع، احذر التقصير فإني معك، تريد أنه لا يخفى عليَّ تقصيرك، وكيف يسوغ لأحد أن يقول: إنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. ومع قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ فاطر:١٠؟ كيف يصعد إليه شيء هو معه؟ وكيف تعرج الملائكة إليه وهي معه؟ ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم، وما ركبت عليه خِلقُهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله هو العلي، وهو الأعلى، وأن الأيدي ترتفع بالدعاء إليه، والأمم كلها عجميها وعربيها، تقول: إن الله في السماء ما تركت على فطرها) [2].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/١٧٧.

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٢٧١، نشر دار الجيل، بيروت. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/٤٠٣. والعلو للعلي الغفار للذهبي ص١٩٦.

١١- رأي الإمام الدارمي عثمان بن سعيد بن خالد رحمه الله (ت: ٢٨٠هـ) في كتابه الرد على الجهمية، قال: (فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة، استوحش من ذكرها، وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال: قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ المجادلة:٧. قلنا: هذه الآية لنا عليكم، لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط، وبصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش، بائن من خلقه، يعلم السر وأخفى، أقرب إلى أحدهم من فوق العرش، من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك، لأنه لا يبعد عن شيء، ولا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، فهو كذلك رابعهم، وخامسهم، وسادسهم، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم، وكذلك فسرته العلماء) [١].

١٢- رأي الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة رحمه الله تعالى (ت:٢٩٧هـ) حيث قال: (ذكروا أن الجهمية يقولون: إن ليس بين الله ﷻ وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش، وأن يكون الله ﷻ فوقه، وقالوا: إنه في كل مكان.. ثم بين أن العلماء فسروا المعية بالعلم. وقال: توافرت الأخبار أن الله ﷻ خلق العرش، فاستوى عليه بذاته، فهو فوق

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص٤٢، نشر دار ابن الأثير، الكويت.

العرش بذاته، متخلصا من خلقه بائنا منهم) [١].

١٣- رأي أبي بكر الآجري رحمه الله (٣٦٠هـ) الذي كان معتزليا ثم تاب ورجع إلى معتقد أهل السنة، حيث قال في التحذير من مذهب الحلولية: (الذي يذهب إليه أهل العلم، أن الله ﷻ على عرشه، فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى، وبجميع ما في سبع أراضين، يرفع إليه أعمال العباد. فإن قال قائل: إيش يكون معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ المجادلة:٧. الآية التي احتجوا بها؟ قيل له: علمه، والله ﷻ على عرشه، وعلمه محيط بهم، كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم، وهو على عرشه، فهذا قول المسلمين) [٢].

١٤- رأي الإمام أبي عمر الطلمنكي (ت:٤٢٩هـ) حيث قال في كتابه الوصول إلى معرفة الأصول: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته. وقال أيضا: أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز... ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء، وعلمه في كل مكان. ثم قال: وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ

(١) العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة ص ٤٩ نشر مكتبة المعلا، الكويت.
(٢) الشريعة للآجري ٣/١٠٧٥. العلو للعلي الغفار للذهبي ص٢٢٨.

﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد:٤. ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء) [١].

١٥- رأي الإمام ابن عبد البر (ت:٤٦٣هـ) حيث قال رحمه الله تعالى: (وأما احتجاجهم بقوله ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. الآية، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن، قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله) [٢].

• **اعتقاد أبي الحسن الأشعري في إثبات الاستواء والمعية.**

ذكر أبو الحسن الأشعري في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الاستواء وإبطال من قال بأنه استيلاء وقهر إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار، كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وقد قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر:١٠. وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ النساء:١٥٨. وقال تعالى:

---

(١) العلو للعلي الغفار للذهبي ص٢٤٦.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر١٣٨/٧ نشر مؤسسة قرطبة. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٣/٥. والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص٢٤٩. واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١١٤.

﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ السجدة:٥. وقال تعالى حاكيا عن فرعون لعنه الله: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾ غافر:٣٦/٣٧. كذب موسى عليه السلام في قوله: إن الله سبحانه فوق السماوات. وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ ﴾ الملك:١٦. فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ من يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا ﴾ نوح:١٦. ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا، وأنه فيهن جميعا، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ طه:٥. أنه استولى وملك وقهر وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان

هذا كما ذكروه، كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء، والأرض لله سبحانه قادر عليها، وعلى الحشوش ـ والحُشُوشُ مواضعُ الغائط ـ وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله ﷻ مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو تعالى مستو على الأشياء كلها، لكان مستويا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها. وإذا كان قادرا على الأشياء كلها، لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله تعالى مستو على الحشوش والأخلية، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها. وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم، وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا [1].

• **الرد على المتكلمين في تأويلهم لقول الجارية في السماء.**

قال بعض المعاصرين المتمسكين بعقيدة الأشعرية في تأويلهم الباطل لحديث الجارية: (ويقولون في قول النبيﷺ للجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء، هو مصروف عن ظاهره، وإنما اكتفى ﷺ منها بقولها في

---

(١) الابانة عن أصول الديانة ذكر الاستواء على العرش ص١٠٥ وما بعدها.

السماء، لأنه كان يكفي في صدر البعثة بالنسبة للعامة اعتقاد وجود الله تعالى ووحدانيته. فعامل الجارية بما ألفته، وأقرها على اعتقاد وجود الله تعالى وانفراده بالإلهية. ولما أشارت إلى السماء علم النبي ﷺ أنها تعظم الله تعالى، وتعتقد وحدانيته، وتنفر من آلهة الأرض التي كانوا يعبدونها)[1].

الحقيقة التي تكشف عن مذهب هؤلاء المتكلمين الأشعرية أنهم يقدمون عقولهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويزعمون أن نصوص الصفات ظاهرها باطل يدل على التشبيه والجسمية، وهي مصروفة عن ظاهرها بالحتم واللزوم فرارا من هذا التشبيه المزعوم، فهم يقولون في قول الجارية: إن الله في السماء، هو مصروف عن ظاهره.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل قول الجارية: في السماء ظاهره يدل على معنى باطل؟! لقد أراد هذا القائل أن يجعل الظاهر المتبادر من قول الجارية، هو أن الله ﷻ في داخل السماء، وأنها تحيط به، وحاشا للنبي ﷺ أن يقر هذا الظاهر، وأن يشهد للجارية بالإيمان لأنها تعتقده، فقد قال الله في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ النساء:١٢٦. فكيف بالذي وسع كرسيه السماوات والأرض أن تحيط السماء به، ويكون في داخلها

(١) حق الله على العباد وحق العباد على الله لطه عبد الله عفيفي ص٩٨: ٩٩ .

كما قطع الخلف بأن هذا هو ظاهر النص المتبادر إلى الذهن؟!!

وإن تعجب فعجب قولهم: إنما اكتفى النبي ﷺ منها بقولها في السماء، لأنه كان يكفي في صدر البعثة بالنسبة للعامة وجود الله تعالى ووحدانيته، فعامل الجارية بما ألفته، وأقرها على اعتقاد وجود الله تعالى وانفراده بالإلهية، وهذا القول باطل لأنه من لوازمه أنهم جعلوا الاعتقاد على نوعين: اعتقاد العوام، وهو كاعتقاد الجارية أن الله ﷻ في السماء. واعتقاد الخواص، وهو أن الله ﷻ ليس في السماء على العكس من اعتقاد العامة، ولكن النبي ﷺ أخفاه مع كونه الحق وسكت عنه، ولم يوضحه للجارية حتى لا تفتن. ولا شك في بطلان ذلك.

ويلزم أيضا أنه في أوّل البعثة كان الاعتقاد مغايرا لنهايتها، وهذا كذب صريح، فإننا نجزم أن اعتقاد الناس ومنهجهم في الصدر الأول أفضل ممن جاء بعدهم كما هو معلوم في بابه، وقولهم هذا قول على الله بلا علم.

وقد حرم الله ذلك فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف:٣٣. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء:٣٦.

ثم ما هو الدليل على أنه كان يكفي في صدر البعثة اعتقاد وجود

الله ووحدانيته، وإن اعتقد المسلم في الله ما لا يجوز؟!

ويلزم من قولهم هذا أن أعلم الخلق بربه، وأنصحهم لأمته قد أخطأ عندما سأل الجارية أين الله؟ وأنه كان يجب أن يسألها بما لا يوهم باطلا، وهذا افتراء عظيم على الله ورسوله ﷺ.

ولازم قولهم أيضا أننا لا نعرف أين معبودنا؟ أهو في السماء أم في الأرض؟ ما دام أنه لا يسأل عنه بأين؟ وهذا هدم لنصوص القرآن ودفع لكلام الله ﷻ.

أما الجارية فكانت أعلم بدلالة الألفاظ على معانيها من علماء الكلام الأشعرية؛ لأنها تقصد العلو، ولا تقصد بوجه من الوجوه أن السماء تحيط به كما زعموا.

وهذا المعنى اجتمعت عليه أدلة النقل والعقل، فالنبي ﷺ في حجة الوداع في اليوم الأعظم في المكان الأعظم لما كان بالمجمع الأعظم قال لهم: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لنْ تَضِلوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلونَ؟ قَالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَال بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلى النَّاسِ: اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ، ثلاث مَرَّاتٍ)[1].

وفي هذا بيان واضح بالمقصود من قول الجارية: إن الله في السماء

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ٢/٨٩٠ (١٢١٨).

أن المراد به العلو، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ الملك:١٦. كما أن التصريح بأنه تعالى في السماء عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين:

١- إما أن تكون في بمعنى على كما جاء في قوله تعالى عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ طه:٧١. أي على جزوع النخل وكقوله تعالى أيضا: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ التوبة:٢.

٢- وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره [(١)].

ومن ثم فإن مراد الجارية بقولها: في السماء هو علو الله تعالى على خلقه، وأن من قال: إن مرادها هو اعتقاد وحدانية الله تعالى وتعظيمه دون إثبات علو الذات كما قال هؤلاء المتكلمون، فهو مخطئ قد جانب الصواب.

واعلم أنه لو لم يكن مرادها علو الله على خلقه لما سألها النبي ﷺ بلفظ الأين، فلو كان المقصود اعتقاد وجود الله تعالى ووحدانيته لسألها بغير هذا السؤال، كأن قال لها: هل تعتقدين أن الله موجود؟ وأنه واحد لا شريك له؟! أو هل تعظمين الله تعالى؟! فعلم عند ذلك المراد بجوابها، وأن معنى في السماء العلو.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٠ بتصرف.

والعجب أن بعض هؤلاء الأشاعرة يزعم أنه لا ضير في ألا يعرف الإنسان أين ربه؟ كما قال أحدهم: (وماذا يضيرنا لو قلنا: إننا نؤمن بالله، وبوجوده المتيقن المؤكد، وبهيمنته على الخلق، ولكننا لا ندري أين هو؟! وهل لو سألني سائل عن رئيس من الرؤساء أموجود هو؟ فقلت هو موجود، يأمر وينهي، ويصرف الأمور، فإذا سألني: وأين هو؟ فقلت: لا أدري، غير أني أؤمن أنه موجود، أيكون جوابي هذا حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه؟ اللهم إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) [1].

وهذا كلام باطل، لأن لازمه رد النصوص الثابتة عن الله ورسوله ﷺ، وقد نهانا الله ﷻ عن ذلك، وحرمه علينا فقال:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ البقرة:٨٥.

فكيف نرد النصوص القرآنية والنبوية التي قطعت بأن الله على عرشه في السماء، يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، يدبر الأمر في مملكته، ما يكون من نجوي ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدني من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم.

أو كيف نرد الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في إثبات

---

(١) حق الله على العباد ص ١٠٥ .

العرش، وعلو الله ﷻ عليه وعلي جميع المخلوقات.

ومن لوازم قولهم هذا أن الله ﷻ كلم عباده بما لا فائدة فيه، ويكون القرآن والسنة مليئين بالحشو والألفاظ الغامضة، وهذا باطل لقوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ يوسف:١/٢. فكيف يزعمون مثل ذلك في كلام الله ورسوله ﷺ ويقول قائلهم: هذا لا يضيرنا في شئ؟!.

وقول هذا الأشعري: لو سألني سائل عن رئيس من رؤساء، أموجود هو؟ فقلت: هو موجود يأمر وينهي، فإن سألني أين هو فقلت: لا أدري، أيكون جوابي حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه؟ يرد عليه بقياس الأولى فيقال: وماذا يضيرنا لو سألنا سائل عن رئيس من الرؤساء أين هو؟ فقلنا في مدينة كذا، هل نكون قد قلنا غير الحق؟ أم أجبنا بما يريح النفس، ويطمئن الفؤاد، ويكف طلبها، وذلك أفضل بكثير من قولك: لا أدري؟

ولله المثل الأعلى لو سألنا سائل عن الله كما سأل رسول الله ﷺ الجارية أين الله؟ فأجبنا بما أجابت به الجارية: أنه سبحانه في السماء استوى على العرش، هل نكون قد شبهنا الله ومثلناه بالمخلوق كما يعتقدون؟ أم الحق عندهم هو قولنا: لا ندري، ولو تعطل كلام رسول الله ﷺ عن مدلوله؟

ولو فرضنا بقياس الأولى أن شخصا ما أراد أن يقابل ذلك الرئيس

الذي لا يدري هذا الأشعري أين هو؟ وأخذ يسأل عنه في كل مكان، فكلما سأل عنه شخصا أجابه بقوله: لا أدري إلى أن انتهى كل الجنس البشرى وغير البشري على الأرض، ولم يجد شخصا واحدا يعلم أين هو؟! هل يكون الرئيس بذلك موجودا أم معدوما؟!

إن الله ﷻ وله المثل الأعلى، فطر الخلائق على أن يتوجهوا إلى السماء بالدعاء لأنه في السماء فوق عرشه، ولا غنى لأحد عن ربه، فهل بعد ذلك نحرم السؤال عن الله بأين؟ وطلب العلو مفطور في أعماق كل نفس .

وهل كون هذا الأشعري لا يدري أين الرئيس لعدم متابعته للأخبار المذاعة، أو المرئية، أو المقروءة لعدم سؤاله عنه يلزم منه عدم العلم لمن تابع الأخبار وعلم أن الرئيس في مدينة كذا؟ ولله المثل الأعلى لقد تابع أهل السنة كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، فوجدنا النبيﷺ شهد للجارية بالإيمان؛ لأنها قالت: إن الله في السماء. والنصوص التي تقدمت كافية شافية في بيان أنه سبحانه على العرش استوى، عال على خلقه إلى آخر ما يجب معرفته في توحيد بالأسماء والصفات.

ومن العجب أيضا أن هؤلاء المتكلمين يحتجون بكلام يروى عن يحي بن معاذ الرازي، ويجعلونه أفضل من قول رسول الله ﷺ، فقد قيل ليحي بن معاذ الرازي: أخبرنا عن الله تعالى. فقال: إنه واحد. فقيل: كيف هو؟ فقال: ملك قادر. فقيل: أين هو؟ فقال: بالمرصاد.

قال السائل: لم أسألك عن هذا؟ فقال: ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرت عنه [١].

ويكفي لبيان بطلان مثل هذا الكلام أن نقارن بين قول النبي ﷺ للجارية أين الله؟ فقالت في السماء، وبين قول يحيي الرازي لما سئل عن الله ﷻ أين هو؟ فقال بالمرصاد. فهل يحي الرازي علم شيئا من صفات الله والرسول ﷺ لم يعلمها؟ أو أن رسول الله ﷺ أخطأ حين سأل الجارية أين الله؟ أو هل هو أعلم من رسول الله ﷺ؟ أو أن كلام الرسول في الله ﷻ يوهم التشبيه والتمثيل بالمخلوق، أما كلام يحي الرازي فهو الحق الذي لا تشوبه شائبة!

وتعجب أيضا حينما يذكرون من الكلام الباطل ما يدللون به على تقبيح القول بأن الله ﷻ في السماء، مثل قول بعض العلماء لتلميذ يمتحنه: لو قال لك أحد: أين معبودك؟ فأي شئ تقول؟ قال: كنت أقول: حيث لم يزل، قال: فإن قال لك: فأين كان في الأزل؟ فأي شئ تقول؟ قال: أقول: حيث هو الآن ولا مكان، فهو الآن على ما عليه كان. قال التلميذ: فارتضى الشيخ ذلك [٢].

ونلاحظ أن طريقة الجهمية والنفاة المعطلة من الأشعرية هي هذه بعينها، فلا يريدون أن يثبتوا لله استواء يليق بجلاله، ولا نزولا، ولا

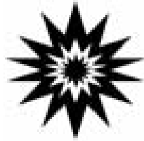
---

(١) انظر السابق ص١٠٥، ومجموعة الرسائل للشيخ حسن البنا رحمه الله ص٢٩٧.

(٢) انظر السابق ص١٠٦.

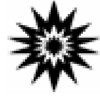
مجيئا إلى غير ذلك من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة. وكأن رسول الله ﷺ لم يبلغ البلاغ المبين حين سأل الجارية أين الله؟ أو كأن هذا التلميذ أعلم بالله من رسول الله ﷺ؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ البقرة:٣٢.

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ الصافات: ١٨٠/١٨٢.



المطلب السادس عشر

معاني العلو
والرد على تأويل الاستواء بالاستيلاء



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن النصوص النقلية في إثبات استواء الله ﷻ على عرشه، وأوردنا النصوص النقلية الدالة على أن الله ﷻ في العلو على السماء، وكذلك النصوص الدالة على معية الله لخلقه وهو فوق عرشه، وبينا اعتقاد الصحابة ﷺ في الجمع بين تلك النصوص، وما ورد في اعتقاد الأئمة الأربعة من الجمع بين نصوص الاستواء والمعية، وما كان عليه اعتقاد السلف وأتباعهم في ذلك.

ثم أوردنا ما كان عليه الأمام أبو الحسن الأشعري الذي تنسب إليه طائفة الأشعرية حتى عصرنا، من إثبات الاستواء فوق العرش على الحقيقة لا على المجاز، وإثبات أن العرش هو أعلى سماء، وأن الله ﷻ من فوق العرش مع جميع الخلائق بعلمه وقدرته، ثم بينا وجه الرد على المتكلمين في تأويلهم لقول الجارية في السماء.

وفي هذا المطلب بإذن الله ﷻ نتناول الحديث عن معاني العلو عند

السلف الصالح، والرد على من فسر الاستواء بالاستيلاء والقهر، وذلك من خلال المحاور التالية:

• رد ابن القيم على من تأول الاستواء بالاستيلاء.

١- من اعتقد بأن استواء الله ﷻ هو الاستيلاء والقهر فاعتقاده باطل، وهو تحريف للكلم عن مواضعه؛ لأن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم، وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يوسف:٢٢. وهذا معناه كمل وتم، يقال: استوى النبات، واستوى الطعام. وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ البقرة:٢٩. واستوى إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه:

أ- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ البقرة:٢٩.

ب- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ فصلت:١١. وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف الصالح.

والثاني: مقيد بعلى كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ

رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الزخرف:١٣. وقوله تعالى: ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود:٤٤. وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ الفتح:٢٩. وهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

والثالث: المقرون بواو المعية التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها.

هذه هي معاني الاستواء المعقولة في كلامهم، ليس فيها معنى استولى البتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة، ومن جاء بعدهم من النفاة متأثرا بهم.

٢- أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب، قال ابن الأعرابي وقد سئل: هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولي؟ فقال: لا تعرف العرب ذلك.

٣- أن الذين قالوا: إن استوى معناها استولى، لم يقولوه نقلا، فإنه مجاهرة بالكذب، وإنما قالوه استنباطا وحملا منهم للفظة استوى على استولى، مستدلين بقول الأخطل النصراني:

قد استوى بشر على العراق :

من غير سيف أو دم مهراق[١]

وهذا البيت ليس من شعر العرب [٢].

٤- ما قاله الخطابي في كتابه شعار الدين: وزعم بعضهم أن الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء، ونزع فيه إلى بيت مجهول، لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج بقوله، ولو كان الاستواء ها هنا بمعنى الاستيلاء، لكان الكلام عديم الفائدة، لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكل شئ، وكل بقعة من السماوات والأرضين وتحت العرش، فما معنى تخصيصه العرش بالذكر؟! ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشئ، فإذا وقع الظفر به قيل: استولى عليه، فأي منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده؟! وهذا لفظ الخطابي، وهو من أئمة اللغة [٣].

٥- أن هذا تفسير لكلام الله ﷻ بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل

---

(١) انظر لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة للإمام الجويني.

(٢) قال الحافظ ابن كثير: (هذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، ولا نجد أضعف من حجج الجهمية حتى أداهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح، تعالى الله عما تقول الجهمية علوا كبيرا). انظر البداية والنهاية ٩/٢٩٥، وما بعدها بتصرف.

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ٢/٤٣٧.

التفسير الذين يحكون أقوال السلف.

٦- أن القائل بأن معنى استوى استولى شاهد على الله ﷻ أنه أراد بكلامه هذا المعنى، وهذه شهادة لا علم لقائلها بمضمونها، بل هي قول على الله ﷻ بلا علم، فلو كان اللفظ محتملا لها في اللغة وهيهات، لم يجز أن يشهد على الله ﷻ أنه أراد هذا المعنى، بخلاف من أخبر عن الله تعالى أنه أراد الحقيقة والظاهر؛ فإنه شاهد بما أجرى الله سبحانه عادته من خطاب خلقه بحقائق لغاتهم وظواهرها، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم:٤. فإذا كان الاستواء في لغة العرب معلوما، كان هو المراد لكون الخطاب بلسانهم، وهو المقتضي لقيام الحجة عليهم، فإذا خاطبهم بغير ما يعرفونه، كان بمنزلة خطاب العربي بالعجمية.

٧- أن الإجماع منعقد على أن الله سبحانه وتعالى استوى على عرشه حقيقة لا مجازا، فقد ذكر أبو عمر الطلمنكي أحد أئمة المالكية أن أهل السنة أجمعوا على أن الله تعالى على عرشه، على الحقيقة لا على المجاز.

٨- أنه إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى هذه الآية كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض، ثم غلب العرش بعد ذلك وقهره وحكمه، أفلا يستحي من في قلبه أدنى وقار لله ﷻ ولكلامه أن ينسب ذلك إليه! وأنه أراد بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. أي اعلموا يا عبادي أني بعد فراغي من

خلق السموات والأرض، غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه!

٩- أن الاستيلاء والاستواء لفظان متغايران، ومعنيان مختلفان، فحمل أحدهما على الآخر إن ادعى أنه بطريقة الوضع فكذب ظاهر؛ فإن العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البتة، وإن كان بطريقة الاستعمال في لغتهم فكذب أيضا، فهذا نظمهم ونثرهم شاهد بخلاف ما قالوه، فتتبع لفظ استوى وموارده في القرآن والسنة وكلام العرب، هل تجدها في موضع واحد بمعنى الاستيلاء؟! وهناك وجوه أخرى للرد على من فسر الاستواء بالاستيلاء تبين ما في هذا التفسير من تحريف وزيع وفساد، فكيف يتشدق المتكلمون ويزعمون أن تفسير الاستواء بالاستيلاء من المعاني المعقولة والمقبولة! [1].

• علو الله في الكتاب والسنة له ثلاثة معان.

أورد الشيخ حافظ حكمي رحمه الله في معارج القبول معاني العلو التي دل عليها الكتاب والسنة، وهي ثلاثة معان:

• المعنى الأول علو الفوقية: وهو علو الذات وهو ثابت على الحقيقة بالكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، فهو سبحانه وتعالى مستو على عرشه، بائن من خلقه، لا شئ من ذاته في خلقه، ولا خلقه في شئ من ذاته، يعلم أعمالهم، ويسمع أقوالهم،

---

(١) انظر تفصيل هذه الوجوه وما هو أكثر منها في مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية ١/٣٧ وما بعدها.

ويرى حركاتهم وسكناتهم، لا تخفى عليه منهم خافية.

والأدلة في ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تستقصى، والفطرة السليمة والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك، ولا ينكره إلا كل قلب تنجس بالتمثيل والتشبيه، والتعطيل والتأويل بغير دليل، ومن تلك الأدلة:

١- التصريح بالفوقية مقرونا بأداة من المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ النحل: ٥٠.

٢- ذكر الفوقية مجردة عن الأداة كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٨.

٣- التصريح بالعروج إليه نحو قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ المعارج: ٤ وكقوله: ﴿ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ ﴾ المعارج: ٣. وكقوله ﷺ: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار.. إلى أن قال: فيعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم) (١).

٤- التصريح بالصعود إليه نحو قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ فاطر: ١٠.

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ١/٢٠٣ (٥٣٠)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ١/٤٣٩ (٦٣٢).

٥- التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ النساء:١٥٨. وقوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ آل عمران:٥٥.

٦- التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرا وشرفا كقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ الأعلى:١. ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ البقرة:٢٥٥. ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٢٣ ﴾ سبأ:٢٣.

٧- التصريح بتنزيل الكتب منه كقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ ﴾ غافر:٢. وقول الله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ فصلت:٢.

٨- التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب من بعض نحو قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ الأعراف:٢٠٦. وكقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾ الأنبياء:١٩. ففرق سبحانه بين من له عموما، وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصا. وكقول رسول الله ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه وأنه عنده فوق العرش: (إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي)[(١)].

٩- التصريح برفع الأيدي إليه سبحانه كقوله ﷺ: (إِنَّ رَبَّكُمْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: وكان عرشه على الماء ٦/٢٧٠٠ (٦٩٨٦)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/٢١٠٨ (٢٧٥١).

تَبارَكَ وتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا) [(١)]. وهناك أدلة أخرى كثيرة تدل على علو ذات الله ﷻ على خلقه.

• المعنى الثاني للعلو: علو القهر فلا مغالب له ولا منازع، بل كل شئ تحت سلطانه وقهره. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ ص:٦٥. وقال: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر:٤.

وقد جمع الله تعالى بين علو الذات وعلو القهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنعام:١٨. أي وهو الذي قهر كل شئ، وخضع لجلاله كل شئ، وذل لعظمته وكبريائه كل شئ، وعلا على عرشه فوق كل شئ.

• المعنى الثالث للعلو: علو الشأن، فالله ﷻ تعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وتعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصر، وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بغير إذنه. وتعالى في

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء ٧٨/٢ (١٤٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات ٥٥٦/٥ (٣٥٥٦)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء ١٢٧١/٢ (٣٨٦٥)، وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (٣٨٦٥) .

صمديته عن الصاحبة والولد والوالد، وأن يكون له كفوا أحد، وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم، وتعالى في علمه عن الغفلة والنسيان، وعن عزوب مثقال ذرة في السماوات أو في الأرض عن علمه.

تعالى في كمال حكمته عن الخلق عبثا، وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهي، ولا بعث ولا جزاء. تعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحدا مثقال ذرة من حسناته. تعالى في كمال غناه عن أن يُطعم أو يُرزق، أو أن يفتقر إلى غيره في شئ تعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى: ١١ (١).

ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني إمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول: كان الله ولا عرش ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان! فقال الشيخ أبو جعفر الهمداني: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة العلو، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟! قال: فلطم أبو المعالي الجويني على رأسه، ونزل وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني!

---

(١) انظر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٩٢/١ وما بعدها بتصرف .

أراد الشيخ الهمداني: أن هذا أمر فطر الله ﷻ عليه عباده، من غير أن يتلقوه من المرسلين، يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجه إلى الله ﷻ ويطلبه في العلو [(١)].

- **شبهات المتكلمين الأشعرية في تعطيل علو الفوقية.**

زعم بعض الأشعرية المعاصرين أن التوحيد الخالص أن تعتقد أن الله ﷻ لا يسأل عنه بأين، وأن سلف الأمة وخلفها اتفقوا على أن الآيات والأحاديث المتشابهة مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى:١١. غير أن السلف فوضوا علم المراد منها إلى الله تعالى وقالوا: إن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ آل عمران:٧.

وأما الخلف فأوّلوها وحملوها على معان معقولة مقبولة فبينوا المراد منها وقالوا: إن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ آل عمران:٧. فقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. يقول فيه السلف: هو مصروف عن ظاهره، ويفوضون علم المراد منه إلى الله تعالى، والخلف يقولون: هو مصروف عن ظاهره، والمراد من استوى استولى.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص١٧٤. والعلو للعلي الغفار للذهبي ص٢٥٩. ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٤٤. وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٣٢٥.

ويقولون في قول النبي ﷺ للجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء. هو مصروف عن ظاهره، وإنما اكتفى ﷺ منها بقولها في السماء، لأنه كان يكفي في صدر البعثة بالنسبة للعامة اعتقاد وجود الله تعالى ووحدانيته. فعامل ﷺ الجارية بما ألفته وأقرها على اعتقاد وجود الله تعالى وانفراده بالإلهية. ولما أشارت إلى السماء علم النبي ﷺ أنها تعظم الله تعالى وتعتقد وحدانيته، وتنفر من آلهة الأرض التي كانوا يعبدونها [(١)].

- **أين المكانية الغيبية لا تعني ما ينفيه الأشعرية.**

قول القائل: ناقشنا شخص في مكان الله سبحانه وتعالى، ونحن نعتقد أن الله ﷻ ليس له مكان، فأبى إلا أن الله ﷻ في السماء مستدلا

---

(١) كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله للشيخ طه عبد الله عفيفي ص٩٧، حيث قال: (والذي أريد أن أوقفك على مذهب السلف والخلف في المتشابه حتى لا تنحرف عن التوحيد الخالص، فحسبي أن أسوق إليك هذا السؤال، قال السائل: ناقشنا شخص في مكان الله سبحانه وتعالى، ونحن نعتقد أن الله تعالى ليس له مكان، فأبى إلا أن الله في السماء مستدلا بحديث الجارية، فنرجو التفضل بشرح هذا الحديث، وهل يجوز الأخذ بظاهره، وحاشا أن نعتقد ذلك؟) والسؤال في الأصل موجه إلى الشيخ أمين محمود خطاب السبكي، ونقل الشيخ طه العفيفي إجابته بنصها من كتابه الفتاوى الأمينية، وكل ما ورد فيها من شبهات الخلف نقلها الشيخ السبكي عن كتاب أساس التقديس لفخر الدين الرازي المتكلم الأشعري، الذي تاب وندم على مسلكه الباطل في اتباع مذهب المتكلمين، ومات على طريقة السلف الصالح في إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته رسوله ﷺ بلا تأويل ولا تعطيل.

بحديث الجارية.

يقال له: نفي المكان عن الله بمفهوم الأشعرية، لا يلزم منه نفي علو الله تعالى على خلقه بمفهوم العقيدة السلفية، أو عدم جواز السؤال عن الله بأين المكانية؛ لأن المكان في الاعتقاد السلفي له وجهان، وليس وجها واحدا كما هو حال الأشعرية:

الوجه الأول: أن يراد به ما كان محصورا في محيط عالم الشهادة، أو المحاور الفراغية الهندسية التي نراها. وقد فهم المتكلمون أن معنى قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك:١٦. أو قول الجارية: في السماء فهموا من ذلك الظرفية والحلول في تلك المحاور الفراغية الهندسية التي نراها بالمشاهدة العينية، وأن الله محصور داخل هذا المحيط المذكور، تعالى الله عن قولهم. وهذا باطل من وجهين:

١- أن الله سبحانه أعظم من أن تحيط به مخلوقاته، بل قد وسع كرسيه السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر:٦٧. وقال ﷺ: (يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟) [1].

---

(١) البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ٢٣٨٩/٥ (٦١٥٤)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨/٤ (٢٧٨٧).

٢- أن معنى في السماء في العلو، وهذا العلو يمتد إلى أعلى شيء في المخلوقات، وهو عرش الرحمن الذي هو فوق سبع سماوات، حيث يخبر رب العزة عن نفسه بأنه على عرشه قائلا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥.

ولم يفهم أحد من أصحاب النبي ﷺ أن معنى في السماء الظرفية، وأن الله ﷻ داخل السماء، أو أن السماء تحوزه. ومن دقق النظر في قول أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها الذي ورد في صحيح البخاري: (زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ). والرواية الأخرى الثابتة عنها: (إِنَّ اللهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ). علم أنها تعني قطعا أن الله ﷻ في العلو، فوق سبع سماوات، عال على عرشه، بائن من خلقه، لا شئ من ذاته في خلقه، ولا خلقه في شئ من ذاته، ولا تعني شيئا غير ذلك، وقد اجتمعت كلمة المفسرين من أهل السنة على ذلك، لا يختلفون فيه، ولا يجوز الحمل على غيره (١).

الوجه الثاني: أن يراد بالمكان ما كان خارجا عن محيط عالم الشهادة، أو المحاور الفراغية الهندسية التي نراها، فقد ثبت علميا أن محاور الفراغ تزيد عن ثلاثة محاور بعشرة أخرى أو أكثر غير مرئية، وتمثل عالما غيبيا لا يقاس بمقاييس عالم الشهادة، وهو ما يطلق عليه

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٨٠.

السلف المكان العدمي، أو المكان الذي تنعدم فيه أقيسة التمثيل والشمول [١].

والمكان بهذا الاعتبار لا يخضع بحال لمقاييس المكان في حسابات المخلوقين، فمكان الشئ يحدد في حساب المقاييس العقلية الحديثة باعتبار ثلاثة محاور رئيسية متعامدة، اثنان يمثلان المستوى الأفقي الموازي لسطح الأرض، والثالث يمثل الارتفاع عن ذلك المستوي، فأجسام الدنيا يحدد مكانها بمدى الارتفاع في المحور الرأسي عن مستوى المحورين الأفقيين.

ولا شك أن تلك المقاييس المكانية لا تصلح بحال ما في قياس ما هو خارج عن محيط العالم، فضلا عن عدم صلاحيتها في تحديد أماكن الفضاء الخارجي لرواد الفضاء، فرائد الفضاء يسير بمركبته خارج نطاق الكرة الأرضية، لا يدري عن عامل الزمان شيئا إلا بالاتصال المباشر بمن على الأرض ليحدد المدة التي يمكثها خارج الأرض، وذلك لوجود الظلام الدامس، وبعده عن إدراك الزمان الناشئ عن تعاقب الليل والنهار، والذي لا يفهم إلا في نطاق الكرة الأرضية. وكذلك الحال بالنسبة لتحديد المكان، حيث يعجز عن تحديد المستوى الأفقي الذي يقيس من خلاله ضابط المكان.

---

(١) مختصر العلو للعلي الغفار ص ٧٣ بتصرف، تحقيق محمد ناصر الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق سوريا، سنة١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

ولو كانت المقاييس المكانية التي تحكم عالم الغيب هي ذات المقاييس التي تحكم الإنسان في عالم الشهادة، لما استطاع ملك الموت أن يقبض روح إنسان وضع مثلا في غرفة مغلقة بإحكام، لأنه حينئذ يعجز عن دخولها بالمقاييس المكانية التي يقيسون بها الخالق على المخلوق، ويزعمون فيها أن النصوص القرآنية والنبوية ظاهرها هو هذا الباطل المستحيل الذي يجب صرفه إلى تأويلاتهم الباطلة، وإلا وقعنا في التشبيه الذي تنجست به أذهانهم. قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ النساء:٧٨. وقال سبحانه وتعالى في بيان وقوع الأجل على التقدير، فورا دون تأخير: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النحل:٦١.

ولو كانت المقاييس الزمانية التي تحكم عالم الغيب هي ذات المقاييس التي تحكم الإنسان في عالم الشهادة، لما استطاع ملك الموت أن يقبض روح إنسان في مشرق الأرض، ويقض روح آخر في مغربها، لأن انتقاله يتطلب سفرا طويلا، تقطعه الطائرات في ساعات وساعات، ولتأخر الأجل عما قدره الله في اللوح المحفوظ، فعلم أن الزمان في عالم الغيب يختلف عن الزمان في عالم الشهادة، وأن ملك الموت تطوى له الأرض بكيفية زمانية ومكانية لا نعلمها. فكيف يقاس الخالق وله المثل الأعلى في نزوله إلى السماء الدنيا بمقاييس النازل من البشر، ثم يطالبنا الأشعري وأمثاله من أصحاب الفهم السيئ بتعطيل النزول وتأويله بغير دليل، وإلا صرنا عنده من أصحاب

التجسيم والتشبيه الذين يثبتون الظاهر الباطل المستحيل.

ومن ثم فلا يصلح بحال أن نمنع دلالة الآيات والأحاديث على ظاهرها اللائق في حق الله ﷻ بحجة أننا لو أثبتناها لكان الله ﷻ في مكان، وما كان في مكان فهو حادث مخلوق.

وعلى ذلك سأل رسول الله ﷺ الجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء. وشهد لها رسول الله ﷺ بالإيمان، علم أنه لا إشكال في ذلك، وأن الأمر واضح ظاهر جلي، وأن العيب في سوء ظن الأشعري ولا يستلزم ما زعموه في كلام النبي ﷺ.

ويجب أن يعلم أيضا أن رسول الله ﷺ سأل الجارية بلفظ الأين الذي يدل على المكان من وجهة نظرهم الضيقة، والذي يمنعون السؤال به في حق الله ﷻ، ولا شك أن رسول الله ﷺ يعلم أن أين الاستفهامية المكانية تدل على المكان في حق المخلوق، ولكنه بالرغم من ذلك سأل عن الله ﷻ بأين؟ وأجابت الجارية بقولها: في السماء، وقال ﷺ لسيدها: اعتقها فإنها مؤمنة. فأي اعتراض منهم على ذلك إنما هو اعتراض على رسول الله ﷺ، ووصف له بعدم العلم الفهم، أو بعدم القدرة على التعبير عن المراد.

- **الرد على القائلين بأن العالم كرة وهذا ينفي الاستواء.**

زعم المتكلمون الأشاعرة أن العالم كرة، فالجهة التي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض

وبالعكس، فلو كان المعبود مختصا بجهة، فتلك الجهات وإن كانت فوق لبعض الناس، لكنها تحت بالنسبة لبعض آخرين منهم، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال: المعبود تحت جميع الأشياء.

وكلامهم باطل وليس بحجة في نفي استواء الله ﷻ على عرشه، أو تحريفه بالاستيلاء والقهر. والعلة في ذلك أنهم نظروا إلى السماء الدنيا بقياس التمثيل والشمول، وأن السماوات تشبه طبقات العمارة المرتفعة، وأن السماء الدنيا هي فقط ما يرى من اللون الأزرق الناشئ عن انعكاس ضوء الشمس على الذرات المتفرقة في الطبقات العليا للغلاف الجوي.

ولكن إذا تأملنا وضع الأرض ككرة متناهية في الصغر، ومعلقة في الفضاء الخارجي، كما رآها رواد الفضاء من قريب، أو أقل من ذلك بكثير لمن رآها من بعيد، أو ابتعد عنها أكثر فأكثر، أدرك الإنسان أن الأرض ومن عليها لا يمثلون ذرة بالمعنى الحديث للكلمة في ملك الله ﷻ الكائن تحت السماء الدنيا.

ولا يرى الإنسان إذا خرج إلى الفضاء الخارجي سماء بلون أزرق كما هو الحال في الأرض، ولا يرى إلا سوادا قاتما، وعماء مظلما لا يدرك مداه، ولا منتهاه إلا الله ﷻ. فانظر كيف أن الأرض بما فيها قد رآها الإنسان من أقرب الكواكب إلى الأرض كرة صغيرة معلقة في الفضاء أمسكها الله ﷻ بقدرته؟

وماذا لو وصل الإنسان إلى الكواكب البعيدة في المجموعة الشمسية أو المجرات الأخرى، ونظر إلى الأرض ومن عليها؟ لربما انعدمت رؤية الأرض تماما!

إذا أدركنا هذه العظمة الإلهية في خلقه للكون بصفة عامة والأرض وما فيها بصفة خاصة، علمنا أن الله ﷻ في العلو بالنسبة لكل مخلوق على سطح الكرة الأرضية، كما دلت الأدلة النقلية القطعية، وأن كيفية السماء الدنيا وحقيقتها أمر غيبي لا نعلم، ويعجز عقل الإنسان عن تصوره، فالسماء الدنيا علو بالنسبة للكرة الأرضية بأكملها، وعلى كل نقطة فيها.

وسطح الكرة الأرضية يجد المرء نفسه وهو واقف عليه في كل موضع فيه، يجد نفسه عند دعائه لربه متجها بفطرته إلى العلو، قلبه يستشرف السماء الدنيا التي حجب الله ﷻ عنا كيفيتها، وكيفية ما عليها من الملائكة أو البشر، أو كيفية ما فوقها من السماوات، والتي لا تخضع بحال من الأحوال للمقاييس العقلية التي تخمرت في عقل كل أشعري، وأراد بها أن يخضع عالم الغيب لقوانين الأرض أولا، ثم يطالب سائر الناس بنفي دلالة القرآن والسنة عن ظاهرها، وتعطل حقائقها الثابتة.

روى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع، وما فيهن، وما

بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)[١].

وقال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة:٢٥٥. وروى البيهقي وابن أبي شيبة من حديث أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ما الكرْسِي في العَرشِ إلا كحَلقةٍ مِن حَديد أُلْقِيَت بَيْن ظهْرَانِي فَلاة مِن الأرْضِ)[٢].

إذا كان الكرسي الذي وسع السماوات والأرض قد ذكر الرسول ﷺ أنه لا يمثل بالنسبة لعرش الرحمن إلا كنسبة الحلقة وسط الصحراء، ألا يظهر ذلك مدى الضخامة العظمى لحجم الكون، ومدى العظمة التي خص الله ﷻ بها العرش من بين المخلوقات، وأن الأرض لا تكاد تمثل شيئا في هذا العالم.

وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي بعد قول ابن عباس السابق، أنه من المعلوم ولله المثل الأعلى، أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ٢٥/٢٤. وانظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ٤٧٦/٢. والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري ٣٠٨/٣. ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٨٢/٥. وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣١٤.

(٢) حديث صحيح، أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٣٠٠/٢. وابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم ٧٧/١ (٥٨). والذهبي في العلو ص٣٠. وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٠٩)، وفي مختصر العلو ص.١٣٠ وقال في تعليقه على شرح الطحاوية: حديث صحيح انظر ص.٢٨٠

قبضها وأحاط قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها، عال عليها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف. فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم، وهو على عرشه فوق سمواته؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفي ذلك لم يقدره حق قدره [1].

ومن ثم إذ قال رب العزة والجلال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. قال المؤمنون الموحدون لله حقا: آمنا بالله ﷻ، وبقول الله ﷻ، على مراد الله ﷻ، ووسعنا ما وسع رسول الله ﷺ.

- **تعطيل حقيقة الاستواء تعطيل لمعاني الربوبية.**

إن خطورة القول بتعطيل استواء الله ﷻ على عرشه وتفسير استوائه باستيلائه وقهره، لا تكمن فقط في كون ذلك تحريفا للكلم عن مواضعه، وإنما تكمن أيضا في نفي معاني الربوبية، ووصف الله ﷻ بالنقص في أوصاف الإلوهية.

وذلك أنه لما كان استواء الله ﷻ على عرشه، فيه دلالة على الإقرار له بأنه الملك العظيم الذي له حق التصرف والتدبير المطلق في مملكته، وكان استواء كل ملك في الدنيا على عرشه من لوازم دوام ملكه

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٤ بتصرف.

وكماله وعظمته، فإن إثبات استواء الله على عرشه من لوازم توحيده من باب أولى، فهل يصح أن نقر بالكمال للملك المخلوق، ونسلبه عن ملك الملوك؟ فمن لوازم توحيد الربوبية والأسماء والصفات إثبات علو الذات والفوقية، والاستواء على العرش على الطريقة السلفية، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ طه:١/٥.

ومن المعلوم أن عظة العرش مقترنة بعظمة من استوى عليه، وقد ذكر الله ﷻ العرش في سورة النمل وحدها في أربعة عشر موضعا، لبيان ارتباط الملك بالاستواء على العرش، وأن كل ملك من الملوك يتخذ لنفسه عرشا عظيما يدل على منزلته وقدره، فشتان بين عرش سليمان وعرش بلقيس، وأن عجز بلقيس عن تمييز عرشها دليل على هوانها وهوان ملكها إن لم تكن مسلمة موحدة.

وعلى الرغم من كون مُلْك الدنيا محدود زائل، والمُلْك يهبه الله ﷻ وفق مشيئته للملوك على سبيل الأمانة والاستخلاف، فهو الذي يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، إلا أن ملوك الدنيا يبالغون في الحفاظ على عروشهم، ويجعلون قصورهم في الأماكن المرتفعة على الماء، وما ذلك إلا ليوقعه الشيطان في التشبيه، والشرك بالملك الذي انفرد بالاستواء على العرش في السماء، وليفتخر كل منهم بأنه صاحب العرش والسلطنة، والقوة والهيمنة، فهذا فرعون طاغوت

ادعى لنفسه الملك بغير حق على جزء قليل من الأرض، قال الله تعالى في وصفه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ الزخرف:٥١.

والشيطان الذي هو رأس الطواغيت لما نزل إلى الأرض وضع لنفسه عرشا على الماء ليتشبه في استواءه باستواء الله على عرشه في السماء، وجعل نفسه إلها لأتباعه من العصاة، وحبب إلى نفسه من جنسه أسوأ الدعاة، وجلس على عرشه ليبعث في الأرض سراياه.كما ورود في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلى المَاءِ، ثم يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُول: فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُول: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُول: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَال: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُول: نِعْمَ أَنْتَ) [(١)].

ومن هنا كان لا بد من توحيد الله في أسمائه وصفاته، وكان لا بد لمن وهبه الله ﷻ الملك، وجعله مستويا على عرش في مملكته، أن يوحد ملك الملوك في استوائه على عرشه، ولا يكون ذلك في المقام الأول إلا بإثبات حقيقة الاستواء على الكيفية التي لا يعلمها إلا الله

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينا ٤/٢١٦٧ (٢٨١٣).

ﷻ، وذلك هو مقتضى توحيد الربوبية والأسماء والصفات، ثم ينفذ أمر الله التكليفي الشرعي في مملكته، ويحكم بالعدل في رعيته، وذلك مقتضى توحيد العبودية والحاكمية. أما تعطيل الإيمان بحقيقة الاستواء فهو نفي لمعاني التوحيد جميعها.

- **أوصاف عرش الرحمن تدل على حقيقة الاستواء.**

وقد ثبت من نصوص الكتاب والسنة في ذكر عرش الرحمن، أنه موصوف بأوصاف كثيرة تدل على سموه في حقيقته، وفضله عند ربه، وعلوه على سائر المخلوقات منها:

١- عرش الله عظيم ذاتا وصفة لقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة:١٢٩.

وصفه عرشه بالعظمة في مقابل تولي الخلق وكفرهم، لأنه لما كان الاستواء على العرش دليلا على تولي أمور الملك، فلو أعرض الناس عن ملك من ملوك الدنيا خلعوه من عرشه، ونصبوا غيره، لأنه ما وصل إلى الملك إلا بهم، سواء بانتخاب أهله وعشيرته، أو حزبه وجماعته، أما ملك الملوك فإنه لو أعرض عنه سائر الخلق، فمن الذي يتغير؟ أيتغير الملك أم المملوك؟ أيزول الخالق أم المخلوق؟ قال الله تعالى في بيان غناه: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ محمد:٣٨. وقال: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ النساء:١٣٣.

٢- وصف الله ﷻ عرشه بأنه كريم فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ المؤمنون:١١٦.

٣- عرش الله ﷻ مجيد أي رفيع عال في المكان والمكانة كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ البروج:١٤/١٥. على قراءة الخفض.

٤- عرش الله ﷻ أول المخلوقات المعلومة لدينا، فقد ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إن الله قَدَّرَ مَقَادِير الْخَلاَئِق قَبْل أَنْ يَخْلُق السَّمَاوَات وَالأَرْض بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَة، وَكَانَ عَرْشه عَلَى الْمَاء) [(١)].

٥- عرش الله ﷻ له حملة اليوم كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ غافر:٧. وله حملة يوم القيامة: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَآۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ الحاقة:١٧.

٦- عرش الله ﷻ له قوائم كما ورد عند البخاري من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ أن النبيِّ ﷺ قال: (الناسُ يصعَقون يومَ القِيامةِ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/٢٠٤٤ (٢٦٥٣).

فأكونُ أول مَن يُفِيقُ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمةٍ من قوائم العرشِ، فلا أدرِي، أفاقَ قبلي، أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطُّور) [(١)].

٧- عرش الله ﷻ أعلى المخلوقات وسقف جنة الفردوس، فعند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (من آمَنَ باللهِ وبرسوله، وأقامَ الصلاةَ، وصامَ رمضانَ، كان حَقّاً على الله أن يُدْخلهُ الجنَّة، جاهدَ في سبيل اللهِ، أو جلسَ في أرضهِ التي وُلدَ فيها. فقالوا: يا رسول اللهِ، أفلا تُبَشِّرُ الناس؟ قال: إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيل الله، ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض، فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ؛ فإنهُ أوْسَطُ الجنة، وأعلى الجنة، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ) [(٢)].

٨- عرش الله ﷻ يهتز لعظائم الأمور، كما ورد عند البخاري من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: (اهتزَّ العرش لموتِ سعدِ بن مُعاذ) [(٣)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ١٢٤٥/٣ (٣٢١٧). ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم ١٨٤٤/٤ (٢٣٧٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ١٠٢٨/٣ (٢٦٣٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن معاذ ﷺ ١٣٨٤/٣ (٣٥٩٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ ﷺ ١٩١٥/٤ (٢٤٦٦.

٩- عرش الله ﷻ تسجد الشمس تحته، روى البخاري من حديث أبي ذرّ ﷺ أن النبيُّ ﷺ قال لأبي ذرّ حينَ غَرَبَتِ الشمسُ: أتدري أينَ تَذهَبُ؟ قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم، قال: فإنها تَذهب حتّى تَسجُدَ تحتَ العَرش، فتستأذنَ فيُؤْذَنُ لها، ويوشِكُ أن تَسجدَ فلا يُقبَل منها، وتستأذِنَ فلاُ يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيثُ جِئتِ، فتطلعُ من مَغربها. فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ يس:٣٨ [(١)].

١٠- عرش الله ﷻ من أثقل الأوزان عند الله، وروى البخاري من حديث جُوَيْرِيَة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلى؟ الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالسَةٌ. فَقَال: مَا زِلتِ عَلى الحَال التِي فَارَقْتُكِ عَليْهَا؟ قَالتْ: نَعَمْ. قَال النَّبِيُّ: لقَدْ قُلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلمَاتٍ ثلاَثَ مَرَّاتٍ، لوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلتِ مُنْذُ اليَوْمِ لوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلمَاتِه [(٢)].

١١- عرش الله ﷻ يظل من شاء من خلقه تحته يوم القيامة، روى الترمذي من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَنْظَرَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان ٣/١١٧٠ (٣٠٢٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التسبيح أول النهار وعند النوم ٤/٢٠٩٠ (٢٧٢٦).

مُعْسِراً، أوْ وَضَعَ لهُ، أظَلَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ تحْتَ ظِل عرشِهِ يَوْمَ لاَ ظِل إلاَّ ظِلهُ) [١].

وعند البخاري من حديث أبي هُرَيْرَة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (سَبعةٌ يُظِلهم اللهُ في ظِلهِ يومَ لا ظِل إلا ظِلهُ: الإمامُ العادِل، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه، ورجل قلبُه مُعَلقٌ في المساجد، وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه، ورجل طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجل تَصدَّقَ أخفي؟ حتى لا تَعلمَ شِماله ما تُنفِقُ يمينُه، ورَجُل ذكرَ اللهَ خالياً ففاضَتْ عَيناه) [٢].

١٢- عرش الله ﷻ كان على الماء: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ هود:٧ .

١٣- عرش الله ﷻ لا يزال على الماء، فعند البخاري من حديث أبي هريرةَ ﷺ أن النبيِّ ﷺ قال: (إنَّ يمينَ اللهَ ملأى، لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهارَ، أرأيتم ما أنفَقَ منذُ خلقَ السماوات والأرضَ،

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به ٥٩٩/٣ (١٣٠٦)، وأحمد في المسند، مسند أبي هريرة ﷺ ٣٥٩/٢ (٨٦٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٢١/١ (٩٠٩) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ٢٣٤/١ (٦٢٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢ (١٠٣١).

فإنه لم ينقص ما في يمينِهِ، وعرشه على الماء، وبيدِهِ الأخرى الفيض، أو القبض، يرفع ويخفِض)[(١)].

١٤- عرش الله ﷻ امتدح الله نفسه بإضافته إليه فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ الإسراء:٤٢/٤٣. وقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ غافر:١٥. فإذا كان ملك الدنيا يزين عرشه، ويتباهى به بين رعيته، ويفتخر به بين الملوك من أمثاله، فأولى بنا أن نوحد الله ﷻ بإفراد عرشه عن أنواع العروش الأخرى، وإثبات المباينة بينه وبين سائر المخلوقات، فإن عرش الله ﷻ أولى بالكمال الذي لا يماثله شيء من عروش الدنيا، والله ﷻ أولى بالمدح عند ذكره بين سائر خلقه.

١٥- عرش الله ﷻ خصه بالاستواء عليه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه:٥. وقد وردت نصوص أخرى في أوصاف عرش الرحمن تدل بما لا يدع مجالا للشك، أن عرش الرحمن حقيقة لا مجاز، وأن الله ﷻ استوى عليه حقيقة لا مجازا.

وقد اتفق على هذا جميع الأنبياء، كلهم وذكر في كل كتاب أنزل

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٦/٢٦٩٩ (٦٩٨٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف ٢/٦٩١ (٩٩٣).

على كل نبي، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من جميع الطوائف إلا من ضل عن الحق واتبع غير سبيل المؤمنين من الجهمية والمعتزلة والأشعرية وغيرهم.

وقد سلك كثير من الأشاعرة المعاصرين مسلك الجهمية المتقدمين في محاولتهم أن يجعلوا كل النصوص السابقة التي وردت في العرش وصفته أمورا مجازية خيالية، لا تدل على حقيقة الاستواء البتة، وهذا ضلال بين نسأل الله ﷻ العصمة والسلامة [1].

- **هل السلف يثبتون لله الجهة أم ينفونها عنه؟**

زعم بعض الأشعرية أنه لا بد للتوحيد الخالص من نفي الجهة عن الله ﷻ فقال: (فهو سبحانه ليس في جهة من الجهات، لأن ذلك من صفات الأجسام) [2].

ولا بد من وقفة لبيان القول الحق في ذلك. فلو سأل سائل هل نثبت لله ﷻ تعالى جهة؟ قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء.

وأما المراد من معنى الجهة ،فإما أن يراد به جهة سفل، أو جهة

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ص٤٣٦ وما بعدها بتصرف، تأليف عبد الله بن محمد الغنيمان، طبعة مكتبة الدار، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص٩٩.

علو تحيط بالله ﷻ، أو جهة علو لا تحيط به. فالأول باطل لمنافاته لعلو الله ﷻ الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع. والثاني باطل أيضا لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شئ من مخلوقاته. والثالث حق لأن الله تعالى هو العلي فوق خلقه، ولا يحيط به شئ من مخلوقاته [١].

وقد طلب من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن يعتقد نفي الجهة عن الله ﷻ فأجاب رحمه الله: (أما قول القائل يطلب نفي الجهة عن الله ﷻ فليس في كلامي إثبات هذا اللفظ، لأن إطلاق هذا اللفظ نفيا أو إثباتا بدعة، وأنا لم أقل إلا ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة. فإن أراد قائل هذا القول: أنه ليس فوق السماوات رب، ولا فوق العرش إله، وأن محمدا لم يعرج به إلى ربه، وما فوق العالم إلا العدم المحض، فهذا باطل مخالف لإجماع سلف الأمة. وإن أراد بذلك أن الله ﷻ لا يحيط به مخلوقاته، ولا يكون في جوف الموجودات، فهذا مذكور مصرح به في كلامي) [٢].

وكلام شيخ الإسلام يدل على أن السلف الصالح أثبتوا علو الله ﷻ على خلقه، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة، ويدل أيضا على أن لفظ الجهة على إطلاقه غير محدد الدلالة، فوجب فيه الاستفصال، فإن

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسني ص٣١ بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٢٦.

من لا يكون في جهة على الإطلاق يقتضي عدم وجوده بالكلية، وهذا يؤدي إلى نفي الاستواء والعلو والرؤية وغير ذلك مما ثبت في النقل الصحيح.

- **صفة النزول وارتباطها بإثبات العلو والاستواء.**

زعم بعض الأشعرية أنه لا بد للتوحيد الخالص من نفي صفة النزول والعلو فقال: (ثم نسأل عمن في السماء؟ أي سماء هي؟ هل الأولى أم الثانية أم السابعة.. الخ، والآية تقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ الطلاق:١٢. ثم نزوله كل ليلة حينما يحل الثلث الأخير من الليل، والثلث الأخير من الليل يحل كل لحظة على بلد من البلدان، فكيف نتصور معبودهم نازلا صاعدا مدة الأربع والعشرين ساعة كلها، لأن الليل هنا قد يكون نهارا هناك) [١].

ويقال له: أما عن كون الله تعالى في السماء فقد تقدم الرد على زعمهم أن العالم كرة، وأن الجهة التي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس، وأن كلامهم باطل، وليس بحجة في نفي استواء الله ﷻ على عرشه وتحريفه بالاستيلاء والقهر.

وأما عن النزول فقد قال ابن القيم رحمه الله: (إن نزول الرب

---

(١) انظر كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص ٩٩.

تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة، وهذا يدل على أنه ﷺ كان يبلغه في كل موطن ومجمع) [(١)].

ومن تلك الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) [(٢)].

والنزول والإنزال حقيقته مجيء الشيء، أو الإتيان به من علو إلى أسفل، وهذا هو المفهوم لغة وشرعا. كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ ق:٩. وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ الشعراء:١٩٣.

واعتقاد السلف في النزول كاعتقادهم في الاستواء فكما قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فكذلك القول في النزول: النزول معلوم المعنى غير معلوم الكيفية، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

كما أن حقيقة السماء الدنيا لا يعلم كيفيتها إلا الله، قال تعالى:

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٤٥٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل ٥/٢٣٣٠ (٥٩٦٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ١/٥٢١ (٧٥٨).

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ الملك:٥. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ الصافات:٦. فهذه الكواكب والنجوم التي لا يحصيها إلا الله ﷻ، قد عجز الإنسان في العصر الحديث أن يخرج من مجال المجموعة الشمسية التي لا تمثل شيئا في هذه النجوم.

ومن المعلوم أن بيننا وبين أقرب الكواكب من المجرات الأخرى ملايين الملايين من السنوات الضوئية، في كون فسيح لا يعلم مداه ولا منتهاه إلا الله ﷻ، فهؤلاء لما أرادوا أن يكيفوا السماء الدنيا، ويكيفوا نزول الله ﷻ إليها، وقعوا في التمثيل، فجعلوا شأن السماء كشأن طبقات البناء في عمارة مكونة من عدة طوابق، ينزل النازل على درجات سلمها، ثم أرادوا بعد هذا الفهم السيء تعطيل النزل بالتأويل الباطل، وأنكروا نزول الخالق سبحانه وتعالى.

كما أن نزول الخالق سبحانه لا يعني أنه يتخلل في طبقات السماوات حتى يصل إلى السماء الدنيا كما كيفوه. وهذا الفهم لا يمكن أن يرد بخال على ذهن واحد من أهل الحق، لأنهم يعلمون أن الله ﷻ لا يحيط به شئ من مخلوقاته، وهو مستو على عرشه بائن من خلقه كما بينت النصوص.

وقد سبق قول عبد الله بن عباس ﵄ في بيان حقيقة الكون، وعظمة الله ﷻ وسعة كرسيه وعرشه، فالكرسي الذي وسع السماوات والأرض كما ورد في السنة، لا يمثل بالنسبة لعرش الرحمن إلا كنسبة

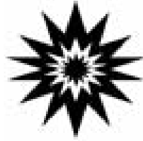
الحلقة في الصحراء.

ويضاف أيضا أن الزمان والمكان في عالم الشهادة يختلفان تماما عن الزمان والمكان في عالم الغيب، ولا بد للموحد من أن يثبت المباينة بينهما، وإلا فهو ممثل، ومن ثم فلا يلزم قولهم: الليل هنا نهار هناك، أو الثلث الأخير يحل في كل لحظة على مدار خطوط الطول على سطح الأرض، فالله سبحانه وتعالى نزوله حقيقي معلوم، له كيفية مجهولة لنا، معلومة لله ﷻ والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

والرسول ﷺ وهو أعلم الخلق بالله ﷻ، وأنصحهم للأمة، وأقدرهم على البيان وحسن العبارة التي لا توقع لبسا، قد صرح بالنزول مضافا إلى الرب في جميع الأحاديث، ولم يذكر في موضع واحد ما ينفي الحقيقة. فمن حاول رد هذه الأحاديث، أو قال بأن النزول نزول معنوي وليس حقيقيا، فقد نسب إلى الرسول ﷺ التقصير في بيانه وتعليمه ونصحه.

قال أبو عبد الله الرباطي: حضرت يوما مجلس الأمير عبد الله بن طاهر أمير خرسان، وحضر اسحق بن راهوية. فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ فقال: نعم. فقيل له: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم. قال: كيف ينزل؟ قال: أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق. فقال له اسحاق: قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ ﴾ الفجر:٢٢. فقال الأمير عبد الله بن طاهر: هذا يوم القيامة. فقال اسحاق: أعز الله الأمير،

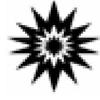
ومن يجئ يوم القيامة، من يمنعه اليوم؟! [١].



(١) قوله: أثبته فوق. لأن حاشية الأمير من أتباع الجهمية وهم ينفون علو الذات، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالنزول، فالنزول يكون من علو، فأراد منهم أن يثبتوا العلو أولا. انظر أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات لمرعي بن يوسف الكرمي ص٢٠١. والعلو للعلي الغفار للذهبي ص١٧٩. ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٧٥/٥. انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٣٩.

المطلب السابع عشر

صفة البقاء ورؤية الله في الآخرة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تناولنا في المطلب السابق الرد على من زعم من الأشعرية أن استواء الله ﷻ على عرشه هو استيلاء عليه، وبينا أن علو الله تعالى على خلقه في الكتاب والسنة له ثلاثة معان، كما بينا أوجه الرد على شبهات المتكلمين الأشعرية في تعطيل علو الفوقية، وزعمهم الباطل أن العالم كرة ولا يصح أن يكون الله ﷻ فوق جميع الأشياء وتحتها معا مما يحتم تعطيل الاستواء على العرش.

وبينا أيضا أن تعطيل حقيقة الاستواء هو تعطيل لمعاني الربوبية، وأن أوصاف عرش الرحمن تدل على وجود فوقية حقيقية وإن كنا لا نعلم الكيفية، ثم بينا موقف السلف الصالح في كونهم يثبتون لله ﷻ الجهة أم ينفونها عنه؟ وتناولنا أيضا الحديث عن صفة النزول، وارتباطها بإثبات العلو والاستواء.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله ﷻ الحديث عن صفة الأولية

والبقاء ورؤية الله تعالى في الآخرة، وهل رأى النبي ﷺ ربه في الدنيا رؤية عينية، أم رؤية منامية؟ وذلك من خلال المحاور التالية:

- **أولية الله أولية ذاتية وأولية وصفية وأولية فعلية.**

عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد مبنية على أن وصف الغنى والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال، وأن وصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

ومن عقيدتهم أيضا أن توحيد الربوبية والأسماء والصفات يقوم على إثبات وصف الأولية لله ﷻ بلا قبلية، والآخرية بلا بعدية، ولازمه وصف الغنى والكمال كوصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال.

ومن عقيدتهم أيضا أن توحيد الله ﷻ بالعبودية يقوم على إثبات وصف الأولية للمخلوق بالقبلية، والآخرية بالبعدية، ولازمه وصف الحاجة والافتقار كوصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

والقصد بالأولية والآخرية إثبات دوام الغنى بالنفس أزلا وأبدا، والانفراد بالاسم والوصف عمن سواه، بحيث يبقى غنيا بذاته على الدوام، لا يحتاج إلى غيره في شيء، وهو أساس الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

وذلك هو ما عبر عنه الطحاوي بقوله: (ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان

بصفاته أزليا، كذلك لا يزال عليها أبديا)[١].

أي أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله ﷻ وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده.

ولا يَرِدُ على هذه صفات الأفعال كالخلق والتصوير، والإماتة، والإحياء، والقبض، والبسط، والطي، والاستواء، والإتيان، والمجيء، والنزول، والغضب، والرضا ونحو ذلك مما وصف به نفسه ﷻ ووصفه به رسوله ﷺ، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا.كما قال الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وغيرها: كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

ولا بد أن نفرق بين الفعل ووصف الفعل، فكلاهما يتعلقان بالمشيئة، وينفرد الفعل بزيادة التعلق بالزمن، فإن شاء فعل وخلق ما شاء، في الوقت الذي يشاء، كما قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ آل عمران:٤٠. وقال: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ

(١) متن العقيدة الطحاوية ص٢٠ نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٧﴾ آل عمران:٤٧.

وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ القصص:٦٨.

وقال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩﴾ الشورى:٤٩.

وإن كانت هذه الأفعال تحدث في وقت دون وقت، كما ورد في حديث الشفاعة: (إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثلهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثلهُ) (١).

• **الأولية ودوام الخالقية والقدرة والفاعلية.**

وربما يستشكل البعض وصف الله ﷻ بالأولية مع وصفه بدوام الخالقية والقدرة والفاعلية، فإذا كان الله ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فهل يعني ذلك أنه كان معطلا عن الفعل، ثم أصبح خالقا فاعلا قادرا بعد أن لم يكن؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن الله ﷻ موصوف بأنه مريد فعال، يفعل ما يشاء، وقت ما يشاء كما قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا ٤/١٧٤٥ (٤٤٣٥). ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/١٨٥ (١٩٤).

لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ البروج:١٥/١٦.

وقد بين الله ﷻ أنه قبل وجود السماوات والأرض، لم يكن سوى العرش والماء، وقد شاء أن يوقف علمنا عن بداية المخلوقات عند العرش والماء، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ البقرة:٢٥٥، فالله أعلم، هل توجد مخلوقات قبل العرش والماء أم لا؟ لكننا نعتقد أن وجودها أمر ممكن متعلق بمشيئة الله وقدرته، فالله ﷻ أخبرنا أنه يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، وهو على ما يشاء قدير، وأنه متصف بصفات الأفعال.

ومن لوازم الكمال أنه فعال لما يريد على الدوام أزلا وأبدا، سواء كان ذلك قبل العرش والماء، أو بعد وجودهما، لكن الله ﷻ أوقف علمنا عند هذا الحد، كما أن جهلنا بذلك لا يؤثر فيما يخصنا، أو يتعلق بحياتنا من معلومات ضرورية لتحقيق الكمال في حياة الإنسان.

قال سليمان التيمي: (لو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء، فإن قال السائل: أين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلم).

ويعقب الإمام البخاري بقوله: وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ البقرة:٢٥٥، يعني إلا بما بين [1].

---

(١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص ٣٧ نشر دار المعارف، الرياض.

وهذه المسألة تسمى في باب العقيدة بالتسلسل، وهو ترتيب وجود المخلوقات في متوالية مستمرة غير متناهية من الأزل والأبد، ومعتقد السلف الصالح أن التسلسل في الأزل جائز ممكن، ولا يلزم من ذلك أن الخلق يشارك الله ﷻ في الأزلية والأولية.

قال ابن أبي العز الحنفي في بيان اعتقاد السلف: (وَالتَّسَلسُل لفْظٌ مُجْمَل، لمْ يَرِدْ بِنَفْيِهِ وَلا إِثبَاتِهِ كِتَابٌ وَلا سُنَّةٌ، لِيَجِبَ مُرَاعَاةُ لفْظِهِ، وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلى وَاجِبٍ، وَمُمْتَنِعٍ، وَمُمْكِنٍ) [1].

- **تحقيق المراد لأهل الجنة علَّقه الله بمشيئتهم إكراما لهم.**

والتسلسل الواجب علينا اعتقاده هو ما دل عليه العقل والنقل، فالواجب علينا اعتقاد دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، ووجود مفعولاته ومخلوقاته على الدوام، وإن تغيرت صورها وعللها، بمعنى أن الوجود في الدنيا صورته مستمرة، ولعلة ذكرها الله ﷻ تتمثل في الابتلاء، ثم بمشيئة الله ﷻ يتغير الوجود في الآخرة إلى صورة أخرى مستمرة، ولعلة ذكرها الله ﷻ تتمثل في الجزاء، وبقاء أهل الخلدين في دار النعيم والشقاء، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم، أو لأهل النار عذاب، أحدث لهما نعيما وعذابا آخر، لا نفاد لها.

قال تعالى عن خلد أهل الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص١٣٥.

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ النساء:٥٧.

وقال تعالى عن خلد أهل النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ النساء:١٦٨/١٦٩. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝٢٣﴾ الجن:٢٣.

ومن ثم فإن الواجب اعتقاده أن وجود المخلوقات في الأبد والمستقبل متوال غير منقطع أبد الآبدين، وهذا هو ما دل عليه كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نفاد له. فتحقيق المراد لأهل الجنة علقه الله ﷻ بمشيئتهم إكراما لهم، وإظهار لمحبتهم، بعكس الوضع في الدنيا فتحقيق المراد لأهل الدنيا علقه الله ﷻ بمشيئته لا بمشيئتهم، ابتلاء لهم وإظهار لإيمانهم.

قال تعالى في تحقيقه لمشيئة أهل الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ ق: ٣١/٣٥.

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۝٣٠ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ۝٣١﴾ النحل: ٣٠/٣١.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾ الفرقان:١٥/١٦.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۖ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ الشورى:٢٢.

وقال تعالى في بيان أن تحقيق المراد في الدنيا متعلق بمشيئته وابتلائه لخلقه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ الإسراء:١٨.

وقال الله جل شأنه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ الكهف:٢٣/٢٤.

وإذا كان أهل الجنة في نعيم دائم لا ينقضي، كلما نفذ نعيم أحدث لهم نعيما آخر بمشيئته إكراما لهم، إذا كان هذا هو الوضع في الأبد والمستقبل، فما الذي يمنعه في الأزل والماضي.

قال ابن أبي العز الحنفي: (وَلَمَّا كَانَ تَسَلسُل الحَوَادِث فِي المُسْتَقبَل لا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الآخِرَ الذي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، فَكَذا تَسَلسُل الحَوَادِث فِي المَاضِي، لا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى هُوَ الأَوَّل الذي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ. فَإِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لَمْ يَزَل، وَلا

يَزَال، يَفْعَل مَا يَشَاءُ، وَيَتَكَلَّمُ إِذا يَشَاءُ) [(١)].

ومن ثم فإن عقيد السلف الصالح أن التسلسل في الأزل جائز ممكن، وفي المستقبل واجب، وفي المؤثرات ممتنع، ولا يلزم من ذلك أن الخلق يشاركون الله ﷻ في الأولية أو الأبدية؛ لأنه فرق كبير بين ما يبقي ببقاء الله ﷻ كذاته وصفاته، وما يبقى بإبقاء الله ﷻ كمخلوقاته ومصنوعاته، لكننا نعتقد أن وجود المخلوقات قبل العرش والماء أمر ممكن يتعلق بمشيئة الله وقدرته، فالله ﷻ أخبرنا أنه يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، وهو على ما يشاء قدير.

- **شتان بين ما يبقى ببقاء الله وما يبقي بإبقائه.**

كيف نجمع بين وصف الله ﷻ بأنه الآخر الذي ليس بعده شيء، وبقاء المخلوقات في الجنة ودوامها وأبديتها؟

لا بد هنا أن نفرق في قضية البقاء بين ما يبقى ببقاء الله ﷻ، وما يبقي بإبقاء الله ﷻ، أو نفرق بين بقاء الذات والصفات الإلهية، وبقاء المخلوقات التي وجدت بالصفات الإلهية، فالجنة مثلا باقية بإبقائه، وصفاته باقية ببقائه، وشتان بين ما يبقي ببقائه، وما يبقي بإبقائه، فالجنة مخلوقة خلقها الله ﷻ وكائنة بأمره، ورهن مشيئة وحكمه، فمشيئة الله ﷻ حاكمة علي ما يبقى وما لا يبقى.

ومن ثم فإن السلف يعتبرون خلد الجنة وأهلها إلى ما لا نهاية، إنما

---

(١) السابق ص١٣٤.

هو بإبقاء الله ﷻ وإرادته، فالبقاء عندهم ليس من طبيعة المخلوقات ولا من خصائصها الذاتية، بل من طبيعتها جميعا كمخلوقات خلقها الله ﷻ الفناء، فالخلود ليس لذات المخلوق أو طبيعته، وإنما هو بمدد دائم من الله تعالى، وإبقاء مستمر لا ينقطع.

أما صفات الله ﷻ ومنها وجهه ويده وعينه وعلوه، ورحمته وعزته وقوته وملكه، فهي صفات باقية ببقائه ملازمة لذاته، باقية ببقاء ذاته سبحانه، حيث البقاء صفة ذاتية له، كما أن الأزلية صفة ذاتية لله تعالى، فلا بد أن نفرق بين صفات الأفعال الإلهية وأبديتها، وبين مخلوقات الله الأبدية وطبيعتها. وقد فرق القرآن الكريم بين نوعين من البقاء:

الأول: ما ورد في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ الرحمن:٢٦/٢٧. وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾ القصص:٨٨. فالآيات دلت على صفة من صفات الذات، وهى صفة الوجه، ودلت على أن بقاء الصفة ببقاء الذات، فأثبتت بقاء الذات بصفاتها، وأثبت فناء ما دونها، أو إمكانية فنائه، إذ أن الله ﷻ هو الأول والآخر، وهو قبل كل شيء، وبعد كل شيء وكما جاء في الحديث المرفوع: (اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّل فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ) [(١)].

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٤ (٢٧١٣).

والثاني: ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الشورى:٣٦، وقوله: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ الأعلى:١٧. فبقاء المخلوقات الذي ورد في الآيات لا لذاته، ولكن بعطاء دائم مستمر من الله ﷻ، لإكرام أهل طاعته، وإنفاذ عدله في أهل معصيته. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾﴾ النبأ: ٣١/٣٦.

• الأدلة النقلية على إثبات رؤية الله في الآخرة.

اعتقاد أهل السنة والجماعة في الرؤية أن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة عيانا بأبصارهم، كما يرون الشمس صحوا، ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته، أي لا يلحقهم ضيم في طلب رؤيته حين يُرى، يرونه سبحانه وهم في أرض المحشر أو عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة، كما يشاء الله سبحانه فيكرمهم، ويتجلى لهم من فوقهم، ولا يراه الكافرون، كما قال تعالى في شأنهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ المطففين:١٥.

قال الربيع بن سليمان: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ المطففين:١٥. فقال الشافعي: لما أن حجب

هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا[(١)].

وقال تعالى في إثبات رؤية المؤمنين له في الآخرة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ القيامة:٢٢/٢٣.

قال أبو الحسن الأشعري: (ناضرة يعني مشرقة، إلى ربها ناظرة يعني رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها: إما أن يكون الله سبحانه عنى نظر الاعتبار، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)﴾ الغاشية:١٧. أو يكون عنى نظر الانتظار، كقوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩)﴾ يس:٤٩. أو يكون عنى نظر التعطف، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾ آل عمران:٧٧. أو يكون عنى نظر الرؤية. وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو أن معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ القيامة:٢٣. أنها رائية ترى ربها ﷻ)[(٢)].

وقال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٥٠٦. وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٦. وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٢/٤١٦.
(٢) الإبانة عن أصول الديانة ص٣٥.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يونس:٢٦. وقال: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق:٣٥.

روى مسلم من حديث صُهَيْبٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا، أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ. ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ [(١)].

روى البخاري عن جَرِير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: (كُنَّا جُلوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إذ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْل طُلوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاةٍ قَبْل غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلوا) [(٢)].

وروى البخاري من حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه أنه قال: (قَال رَسُول اللهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١/١٦٣ (١٨١).

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٦/٢٧٠٣ (٦٩٩٧). ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ١/٤٣٩ (٦٣٣).

تُرْجُمَانٌ وَلا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ) (١).

وروى البخاري من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (جَنَّتَان مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَان مِنْ ذهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلى رَبِّهِمْ، إِلا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ) (٢).

وروى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (قال رَسُول اللهِ ﷺ: مَنْ اقْتَطَعَ مَال امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لقِيَ اللهَ وَهُوَ عَليْهِ غَضْبَانُ ، قَال عَبْدُ اللهِ ثمَّ قَرَأَ رَسُول اللهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَل ذِكْرُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ آل عمران:٧٧) (٣).

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٢٧٠٩/٦ (٧٠٠٥). ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ٧٠٣/٢ (١٠١٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة الرحمن، باب قوله: ومن دونهما جنتان ١٨٤٨/٤ (٤٥٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١٦٣/١ (١٨٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٢٧١٠/٦ (٧٠٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ١٢٣/١ (١٣٨).

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَال: (ثلاثةٌ لا يُكَلمُهُمْ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، رَجُل حَلفَ عَلى سِلعَةٍ لقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذبٌ، وَرَجُل حَلفَ عَلى يَمِينٍ كَاذبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، ليَقْتَطِعَ بِهَا مَال امْرِئٍ مُسْلمٍ، وَرَجُل مَنَعَ فَضْل مَاءٍ، فَيَقُول اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلي كَمَا مَنَعْتَ فَضْل مَا لمْ تَعْمَل يَدَاكَ) [(١)].

قال ابن القيم: (دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث على أن الله سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانا، كما يرى القمر ليلة البدر صحوا، وكما ترى الشمس في الظهيرة) [(٢)].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته: (وأجمع أهل الحق، واتفق أهل التوحيد والصدق، أن الله يُرى في الآخرة كما جاء في كتابه، وصح به النقل عن رسوله ﷺ) [(٣)].

وقال أبو الحسن الأشعري: (وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله ﷻ

---

(١) رواه البخاري في كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه ٢/٨٣٤ (٢٢٤٠).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص٢٤١.

(٣) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي ص٣٠، وانظر تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد ص١٧١، طبعة غراس للنشر والتوزيع.

يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخبر به تعالى)[1].

وقال الإمام الطحاوي: (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ القيامة:٢٢/٢٣. وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعَلمه)[2].

• مذاهب الناس في رؤية العبد لربه.

المسلمون في رؤية الله ﷻ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الصحابة والتابعين وسائر السلف المتقدمين ومن سار على نهجهم من أئمة المسلمين، جميعهم على أن الله ﷻ يرى في الآخرة بالأبصار عيانا، وأن أحدا لا يراه في الدنيا، وقد تقدمت الأدلة مفصلة على اعتقادهم.

القول الثاني: قول نفاة الجهمية، أن الله ﷻ لا يرى في الدنيا، ولا في الآخرة. وقد أجمعت المعتزلة على ذلك.

القول الثالث: قول غلاة الصوفية فيزعمون أنه يرى في الدنيا والآخرة، ولا يرى في الدنيا والآخرة، كقول ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله من أصحاب وحدة الوجود الذين يرون الذات الإلهية متجلية في الوجود بأسره.

(١) رسالة إلى أهل الثغر ص٢٣٧ نشر مكتبة العلوم والحكم السعودية.

(٢) متن العقيدة الطحاوية ص٢٦.

قال ابن تيمية: (وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والإثبات فيقولون: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وإنه يرى في الدنيا والآخرة، وهذا قول ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله؛ لأن الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى، وهو وجود الحق عندهم، ثم من أثبت الذات قال: يرى متجليا فيها، ومن فرق بين المطلق والمعين قال: لا يرى إلا مقيدا بصورة، وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين: إنكار رؤية الله، واثبات رؤية المخلوقات، ويجعلون المخلوق هو الخالق، أو يجعلون الخالق حالا في المخلوق) [(١)].

القول الرابع: وهو قول الأشعرية وأغلب المتكلمين يقولون: إن الله ﷻ لا يرى في الدنيا، ويرى في الآخرة لا في جهة. فاشترطوا شروطا جعلوا الرؤية فيها من المستحيلات، ولذلك قال بعضهم: لا خلاف بيننا وبين المعتزلة في الرؤية، بل كلنا على الرؤية العلمية لا البصرية، ولذلك قالوا بجواز رؤية أعمى في الصين بَقّة في الأندلس، ولا شك أن رؤية أعمى في الصين بَقَّة في الأندلس من الرؤية العلمية، وليست من الرؤية البصرية في شيء [(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٣٣٧.

(٢) كتاب التوحيد للماتريدي ص٥٨، والعقائد النسفية ص٧٣، وحاشية الكستري على شرح العقائد ص١٠٨، نقلا عن اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، وانظر المواقف لعضد الدين الإيجي ٣/١٩٩ نشر دار الجيل، بيروت، وعمدة القاري لبدر الدين العيني ٢٢/٢٤٤، نشر دار إحياء التراث العربي.

• الرد على شبهات المعتزلة في نفي الرؤية.

استدلت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ الأعراف:١٤٣. وبقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ الأنعام:١٠٣. على نفي رؤية الله ﷻ، مع العلم بأن استدلالهم بالقرآن على عدم الرؤية، ليس عملا منهم بتصديق خبر الله ﷻ عن نفسه، وتقديما لكلام الله ﷻ على عقولهم وأصولهم المبتدعة، ولكنه دليل ثانوي عندهم يأتي في المقام الثاني بعد دلالة العقل التي يقطعون بها على أن إثبات رؤية الله ﷻ تجسيم وتشبيه باطل، وهذه مجاهرة برد كلام الله ورسوله ﷺ وتعطيله عن مدلوله بشبهاتهم الفاسدة .

وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي في شرحه لاعتقاد الإمام الطحاوي أن الآيتين دليل عليهم، وعلى إثبات رؤية الله ﷻ، أما الآية الأولى فالاستدلال منها على ثبوت رؤية الله من وجوه ﷻ :

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته، أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله ﷻ لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال: ﴿يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ هود:٤٦ .

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾. ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن

من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل. أما إذا كان طعاما صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى.

الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ الأعراف:١٤٣. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته، لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا لعلقها بمستحيل، كما قال تعالى عن استحالة دخول الكفار الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾ الأعراف:٤٠.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ الأعراف:١٤٣ فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله عليه السلام وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله عز وجل أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف

السابع: أن الله عز وجل كلم موسى عليه السلام وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى

بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

الثامن: أن دعواهم تأبيد النفي بلن تراني، وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد، فإنها حتى لو قيدت بالتأبيد، لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى عن اليهود وعدم تمنيهم الموت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ البقرة:٩٥. وقال عن جميع من دخل النار في الآخرة: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ الزخرف:٧٧.

ولأن لن لو كانت للتأبيد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها، وتعليقه بثبوت الجبل، وقد جاء مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)﴾ يوسف:٨٠. فثبت أن لن لا تقتضي النفي المؤبد. قال ابن مالك في ألفيته:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا : فقوله أردد وسواه فاعضدا [(١)].

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ الأنعام:١٠٣. فالاستدلال بها على ثبوت الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٦ بتصرف.

بالنفي إذا تضمن أمرا وجوديا وهو كمال المقابل، كمدحه تعالى بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ،ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والإلوهية، وقهره ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يمدح الله ﷻ نفسه بعدم محض لم يتضمن أمرا ثبوتيا، فإن المعنى في الآية أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به فقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ الأنعام:١٠٣. يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى:﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الشعراء:٦١. فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علما.

وهذا هو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم والأئمة من الآية، كما ذكرت

أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

• **الأدلة على أن النبي لم ير ربه في الدنيا بعينيه.**

أجمعت الأمة على أن الله ﷻ لا يراه أحد في الدنيا بعينه. لما رواه مسلم من حديث عَبْد اللهِ بْن عُمَر أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ قِبَل ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدَهُ يَلعَبُ مَعَ الصِّبْيَان.. ثمَّ ذكَرَ الدَّجَّال فقَال: إِنِّي لأنْذرُكُمُوهُ، مَا مِنْ نَبِيٍّ إلا وَقَدْ أَنْذرَهُ قَوْمَهُ، لقَدْ أَنْذرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلكِنْ أَقُول لكُمْ فِيهِ قَوْلا لمْ يَقُلهُ نَبِيٌّ لقَوْمِهِ، تَعَلمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى ليْسَ بِأَعْوَرَ، تَعَلمُوا أَنَّهُ لنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ [(١)].

وروى البخاري عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قَالتْ: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فقَدْ أَعْظَمَ، وَلكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيل فِي صُورَتِهِ وَخَلقُهُ سَادٌّ مَا بيْنَ الأُفُقِ) [(٢)].

وروى مسلم عَنْ مَسْرُوق ؓ قَال: (كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثلاث مَنْ تَكَلمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ، قُلتُ: مَا هُنَّ؟ قَالتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤٥ (١٦٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٣/١١٨١ (٣٠٦٢).

أَعْظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ. قَال: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجلسْتُ فَقُلتُ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلا تَعْجَلينِي، أَلَمْ يَقُل اللهُ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ التكوير:٢٣. ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ النجم:١٣. فَقَالتْ: أَنَا أَوَّل هَذهِ الأُمَّةِ سَأَل عَنْ ذلكَ رَسُول اللهِ ﷺ فَقَال: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيل، لَمْ أَرَهُ عَلى صُورَتِهِ التِي خُلقَ عَليْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ، سَادًّا عِظَمُ خَلقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ. فَقَالتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنعام:١٠٣. أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُول: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى:٥١. قَالتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ وَاللهُ يَقُول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ المائدة:٦٧. قَالتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النمل:٦٥) [1].

وفي رواية عند مسلم عَنْ مَسْرُوق أنه قال: (سَأَلتُ عَائِشَةَ هَل رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالتْ: سُبْحَانَ اللهِ، لقَدْ قَفَّ شَعَرِي لِمَا قُلتَ، وَسَاقَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ولقد رآه نزلة أخرى ١/١٥٩ (١٧٧).

الحَدِيث بِقِصَّتِهِ) [(١)].

وروى مسلم من حديث أَبِي ذرٍّ ﷺ أنه قَال: (سَأَلتُ رَسُول اللهِ ﷺ: هَل رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَال: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ) [(٢)].

وعند الترمذي وصححه الألباني من حديث عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر ﷺ: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، قال: عما كنت تسأله؟ قال: إذن لسألته هل رأى ربه؟ فقال: قد سألته أنا، قلت: فما قال؟ قال: نور أنى أراه. وفي رواية قال: رأيت نورا [(٣)].

• **الخلاف في الرؤية المنامية لله دون الرؤية العينية.**

ذكر ابن تيمية أن أئمة المسلمين اتفقوا على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله ﷻ بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ. وقد اتفقوا أيضا على أنه ﷺ لم ير ربه بعينه في الأرض، أو أن الله ﷻ ينزل له إلى الأرض، وليس عن النبي ﷺ قط حديث فيه أن الله ﷻ نزل له إلى الأرض، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ وأئمة المسلمين.

ولم يثبت عن ابن عباس ﷺ، ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم

---

(١) السابق ١/١٦٠ (١٧٧).

(٢) السابق، باب في قوله عليه السلام: نور أنى أراه ١/١٦١ (١٧٨).

(٣) رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم ٥/٣٩٦ (٣٢٨٢)، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٥٦٥٩).

قالوا: رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه. وقول النبي ﷺ: (أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ .. الحديث) [(١)]. رواه الترمذي وغيره، إنما كان بالمدينة في المنام، هكذا جاء مفسرا.. وقد ثبت بنص قرآني أن موسى عليه السلام قيل له: لن تراني، وأن رؤية الله عز وجل أعظم من إنزال كتاب من السماء، فمن قال أن أحدا من الناس يراه، فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران عليه السلام، ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله عز وجل أنزل عليه كتابا من السماء [(٢)].

وقال ابن تيمية: (وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ﷺ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه.

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ الإسراء: ١. ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، سورة ص ٥/٣٦٦ (٣٢٣٣) وصححه الشيخ الألباني، وانظر صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٢٣٣)، والسلسلة الصحيحة (٣١٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/٣٣٦ بتصرف.

وكذلك قوله: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ النجم:١٢. وقوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ النجم:١٨. ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى. وفي الصحيح عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ الإسراء:٦٠. قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به [١].

وهذه رؤيا الآيات لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم، حيث صدقه قوم، وكذبه قوم، ولم يخبرهم أنه رأى ربه بعينه، وليس في شئ من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك، لذكره كما ذكر ما دونه) [٢].

وذكر ابن تيمية أن الإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله ﷻ في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يرى في المنام، لا يجب أن يكون مماثلاً، وهذه الرؤية شأنها شأن سائر الرؤى المنامية تُعبر، فإن النائم لا يرى الله ﷻ حقيقة، فرؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل، لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق [٣].

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب المعراج ١٤١٢/٣ (٣٦٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥١٠/٦.

(٣) السابق ٣٩٠/٣ بتصرف.

- **إثبات توحيد الله في صفة اليدين والأصابع والعينين.**

قال بعض الأشعرية المعاصرين الذين يجعلون إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه من الصفات تشبيها وتجسيما: (وليت شعري، أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر، فيثبتون له يدا بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الفتح:١٠؟ أم يدين بمقتضى قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة:٦٤؟ أم أيدٍ عديدة بمقتضى قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١﴾ يس:٧١) [١].

وقوله باطل لأن مذهب السلف الصالح في اليدين، ليس فيه ما يحاول إثباته من التناقض، بل هو الحق الذي اجتمعت عليه الأدلة النقلية الظاهرة الجلية. فمثل هذا الأشعري يحاول أن يجعل صفة اليدين شيئا معنويا لا حقيقة له، كما هو مذهب المتكلمين ومتخفيا خلف ستار ما يسمى بالنصوص التي توهم التشبيه.

والحقيقة أن مذهب السلف هو عين الكمال والتنزيه، فمذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وما أثبته رسوله ﷺ من أن لله تعالى يدين حقيقيتين، هما من صفات ذاته، ونثبتهما من غير تمثيل ولا تكييف، ومن غير تعطيل ولا تحريف.

وقد تنوعت الأدلة في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ على إثبات اليدين لله ﷻ وإثبات الأصابع لهما، وإثبات القبض بهما، وتثنيتهما،

---

(١) حق الله على العباد للشيخ العفيفي ص١٠٣.

فمن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ ص:٧٥. وقد ترجم البخاري لهذه الآية بابا في كتاب التوحيد من صحيحه؛ لأنها نص صريح في بيان مذهب أهل السنة، ولا يقبل التأويل بحال من الأحوال[١].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ المائدة:٦٤. فالله ﷻ لم ينكر على اليهود وصفهم له باليد، وإنما أنكر عليهم وصف اليد بالغلول، وهذه الآية من الأدلة الواضحة على إثبات يدين لله ﷻ على الحقيقة، والآيات في ذلك كثيرة.

٣- وفي حديث الشفاعة المشهور الذي رواه البخاري في قوله ﷺ: (فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لك مَلائِكَتَهُ، وَعَلمَكَ أَسْمَاءَ كُل شَيْءٍ)[٢]. فجعلوا خلق الله ﷻ لآدم عليه السلام بيده ميزة له من بين الخلق، فدل على أن اليد على ظاهرها كما يليق بجلال الله ﷻ.

---

(١) انظر كتاب التوحيد في صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدي ٢٦٩٥/٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدي ٢٦٩٥/٦ (٦٩٧٥)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٠/١ (١٩٣) .

٤- ومن الأحاديث الدالة على أن لله ﷻ يدين حقيقة ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (يَدُ اللهِ مَلأَى، لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ الليْل وَالنَّهَارَ، وَقَال: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَال: عَرْشُهُ عَلى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ) (١).

٥- كما أن اليد وصفت بأوصاف تدل على أنها حقيقية منها القبض، وهو في اللغة إمساك الشئ بجميع كف اليد، فقبض اليد على الشئ، جمعها له بعد تناوله(٢). وعند البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثمَّ يَقُول: أَنَا المَلكُ) (٣).

وقد وردت رواية أخرى في صحيح مسلم فيها ذكر الشمال لله تعالى، وإن كان لفظ الشمال فيه مقال. فمن حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثمَّ يَقُول: أَنَا المَلكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٥ (٦٩٧٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف ٢/٦٩١ (٩٩٣).

(٢) المفردات للراغب ص٣٩١.

(٣) رواه البخاري في التوحيد، باب قوله تعالى: لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٧ (٦٩٧٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٨ (٢٧٨٧) .

المُتَكَبِّرُونَ؟ ثمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثمَّ يَقُول: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ) [١]. فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على إثبات اليدين لله تعالى.

وأما ما ذكر في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ: (إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الذِينَ يَعْدِلونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْليهِمْ وَمَا وَلوا) [٢]. فلا تعارض بينه وذكر اليمين والشمال في الحديث السابق، فكلتا يديه يمين بالنسبة للكمال، فإحدى يديه تبارك وتعالى فيها الفضل كما دل على ذلك حديث يد الله ﷻ ملأى، لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار. أما اليد الأخرى ففيها العدل، لما ورد أن بيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع. ومعلوم أن الفضل يمن والعدل يمن، وكلاهما كمال لله تعالى فكلتا يديه يمين، أما بالنسبة لتفاضل صفاته فالفضل أيمن من العدل، فاليمين فيها الفضل، والشمال فيها العدل.

٥- ووصفت اليد أيضا بالأصابع التي تدل على أن اليد حقيقية وليست مجازية كما ادعى أهل التأويل الباطل، ففي الحديث الذي رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: (أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلى إِصْبَعٍ، وَالجِبَال عَلى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلى إِصْبَعٍ،

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٨ (٢٧٨٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل ٣/١٤٥٨ (١٨٢٧).

وَالخَلائِقَ عَلى إِصْبَعٍ، ثمَّ يَقُول: أَنَا المَلكُ، فَضَحِكَ رَسُول اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر:٦٧. فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لقَوْلِهِ) [(١)].

• الرد على شبهة تأويل اليدين بالنعمة أو القدرة.

أغلب المتكلمين يؤولون اليدين إما بالقدرة أو النعمة تارة أو الخزائن تارة أخرى، فيقولون في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ ص:٧٥. أي بقدرتي. وقد أرادوا بذلك أن يجعلوها معان لا تدل على يدين حقيقيتين ليس كمثله شيء فيهما كما أراد الله ﷻ من الآية، بل أرادوا أن يجعلوها شيئا مجازيا وأن يخترعوا لها أي معنى يوافق قواعدهم وأصولهم ولو كان ذلك باطلا ولا دليل عليه. والرد عليهم من هذه الوجوه:

١- أن تأويل اليدين بالقدرة أو النعمة في سياق التثنية قول على الله ﷻ بلا علم، ولا قال به أحد من السلف الصالح.

٢- أن تناقضهم يدل على بطلان قولهم، لأنهم لو كانوا على الحق لاتفقوا على معنى واحد، فهل اليدان قدرة، أم نعمة، أم خزائن؟ وهل

---

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى:لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٧ (٦٩٧٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٨ (٢٧٨٦).

يمكن الجزم بأن هذا ما أراده الله ﷻ من الآيات.

٣- أن الأصل عدم صرف النص عن ظاهره إلا بدليل واضح، وليس لديهم دليل على تأويلاتهم في سياق التثنية.

٤- أنه قد تنوعت النصوص من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على إثبات يدين لله تبارك وتعالى، ووصفها بأوصاف تمنع تأويلها بالقدرة أو النعمة كما تقدم.

٥- أن من لغة العرب استعمال الواحد في الجمع، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ العصر:٢. والجمع في الواحد كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ آل عمران:١٧٣. فالناس الأولى يقصد بها شخص واحد، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي، والناس الثانية هم عسكر قريش . والجمع في الاثنين كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم:٤.

ولكنها لم تستعمل الواحد في الاثنين، فلا تقول عندي رجل، وأنت تعني رجلين، ولم تستعمل الاثنين في الواحد، فلا تقول عندي رجلان، وأنت تعني به جنس الرجال. فلا يجوز تأويل اليدين بالقدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد. ولا يجوز تأويل اليدين بالنعمة، لأن نعم الله ﷻ لا تحصى ولا تعد، وعلى ذلك فلا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الجمع، مما يبطل

تأويل اليدين بالنعمة أو القدرة.

وأما عن الآيات الثلاث التي أوردها طه العفيفي فقد أمرنا الله ﷻ برد المبهم إلى المحكم. وقد أحكم الله ورسوله إثبات يدين حقيقتين، فعلينا أن نرد الآيات إلى ما أحكم، فالمحكم من الآيات الثلاث التي أوردها هو قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة:٦٤. أما قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ يس:٧١. فالمقصود من الجمع التعظيم، وهذا وارد في لغة العرب، فلما قال في بداية الآية: خلقنا، قال: أيدينا. ولما قال: خلقت، قال: بيدي.

وأما قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح:١٠. وقوله ﷻ: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ آل عمران:٢٦. وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ المائدة:٦٤. فإطلاق اليد هنا من باب تسمية الشئ باسم سببه، فقد تكون بمعنى القدرة، لأن القدرة هي أثر فعل اليد، يقال: فلان له يد في كذا وكذا، أي له قدرة، ومن لوازم اليد للرحمن القوة والخير والسَّح..الخ، ولا يقال: يد، لمن ليس له يد.

أما قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة:٦٤. وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص:٧٥. فلا يمكن أن تأول بالقدرة أو النعمة؛ لأن تركيب السياق يمنع ذلك، والتأويل هنا تحريف للكلم عن مواضعه [١].

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٤١١ بتصرف.

• **الرد على الأشعرية في تأويلهم للعينين بالرعاية.**

قال بعض الأشعرية المعاصرين الذين يجعلون إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه من الصفات تشبيها وتجسيما: (وليت شعري، أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر، فيثبتون له عينا بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ طه:٣٩. أما أعينا بمقتضى قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ القمر:١٤)[1].

هذا الأشعري يحاول أن يجعل النصوص الثابتة في صفة العينين تدل على أمور معنوية لا حقيقة لها ولا وجود، وقد دل كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع أهل العلم على أن الله تعالى موصوف بأن له عينين حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته.

وقد جاء ذكر العين وصفا لله تعالى في القرآن مفردة مضافة إلى ضمير المفرد، كما جاءت مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع كما في هاتين الآيتين، ولم يأت ذكر العين وصفا لله تعالى في القرآن مثناه ولكن جاء ذلك في السنة.

قال ابن القيم: (ذكر العين مفردة لا يدل على أنها واحدة، ليس إلا كقولك: أفعل هذا على عيني، لا يريد أن له عينا واحدة، ولما أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرا أو مضمرا حسن جمعها مشاكلة للفظ، كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ القمر:١٤. وقوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ

---

(١) حق الله على العباد للشيخ العفيفي ص١٠٣.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ هود:٣٧. وهذا نظير لفظ اليد المضافة إلى المفرد كقوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ الملك:١. وقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ آل عمران:٢٦.

ولما أضيفت إلى ضمير الجمع جمعت كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ يس: ٧١) [(١)].

وقال ابن جرير في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ طه:٣٩. أي بمرأى مني ومحبة وإرادة. وهذا نظير لفظ اليد المضافة إلى المفرد. وقال ابن جرير في معنى قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾. ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾. يقول جل ثناؤه: تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر [(٢)].

ومن الأحاديث التي تثبت العينين لله ﷻ كما يليق بجلاله ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (ذُكِرَ الدَّجَّال عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى عَيْنِهِ، وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّال أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ) [(٣)].

ووجه دلالة الحديث أن العور فقد أحد العينين وذهاب نورها،

---

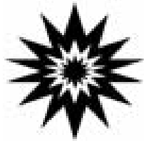
(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ١/٢٥٥.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/٥٨١، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق أحمد شاكر.

(٣) البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال برقم (٧١٢٧).

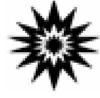
فهذا يدل على أن لله ﷻ عينين حقيقيتين كما يليق بجلاله دون تمثيل أو تكييف، وغير معنويتين دون تعطيل أو تحريف.

فهذه الصفات الخبرية يجب إثباتها لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله من غير مشابهة المخلوقين، فكما أنه حي وحياته لا تشبه حياة المخلوقين، فكذلك وصف الله ﷻ باليدين والعينين وغيرهما من الصفات، نثبتها بالكيفية التي تليق بجلاله كما ورد الخبر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع اعتقادنا أنه سبحانه ليس كمثله شئ.



المطلب الثامن عشر

صفة الكلام وبدعة القول بخلق القرآن



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تناولنا في المطلب السابق الحديث عن بعض التطبيقات المنهجية لفهم طريقة السلف في إثبات توحيد الصفات، وعلمنا أن أولية الله ﷻ أولية ذاتية، وأولية وصفية، وأولية فعلية، وأن الله ﷻ موصوف بدوام الخالقية والقدرة والفاعلية، وأنه سبحانه وتعالى علق تحقيق المراد لأهل الجنة بمشيئتهم إكراما لهم، وعلق تحقيق مراد العباد في الدنيا على مشيئته ابتلاء لهم.

وفرقنا بين ما يبقى ببقاء الله ﷻ وما يبقي بإبقائه، ثم تناولنا بيان الأدلة النقلية على إثبات العقيدة السلفية في رؤية الله ﷻ في الآخرة، وبينا مذاهب الناس في رؤية العبد لربه، ووجه الرد على المعتزلة في استدلالهم على نفي الرؤية بمنع موسى عليه السلام منها، وأن الله ﷻ لا تدركه الأبصار.

كما تناولنا النصوص النقلية تدل على أن النبي ﷺ لم ير ربه في الدنيا بعينيه، وأن الخلاف إنما هو في الرؤية المنامية لله ﷻ دون الرؤية

العينية، ثم دار الحديث عن إثبات توحيد الله ﷻ في صفة اليدين والأصابع والعينين، ووجه الرد على الأشعرية في تأويلهم لليدين بالنعمة أو القدرة وتأويلهم للعينين بالرعاية.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن صفة الكلام وإثباتها لله ﷻ، وما حدث للأمة الإسلامية بسبب المعتزلة لما هيمنوا على الخلافة الإسلامية أيام الخليفة المأمون بن هارون الرشيد وألزموا الناس بخلق القرآن أو حملهم على السيف، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **عقيدة السلف في صفة الكلام وتوحيد الله فيها.**

مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم هو ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة، أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس مخلوقاً منفصلاً عنه، بل هو صفة قائمة بذاته، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فلم يزل الله ﷻ متكلما إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، ويمكن بيان اعتقاد السلف الصالح في صفة الكلام من خلال النقاط التالية:

أولا: أن الله ﷻ يتكلم بالكيفية التي تليق بجلاله. كما قال الله تعالى في سائر أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى:١١. ولا يلزم من إثبات صفة الكلام

التشبيه والتجسيم كما هو اعتقاد المعتزلة والمتكلمين، بل أخبرنا الله تبارك وتعالى أن بعض المخلوقات تتكلم بدون جارحة لإخراج الحروف، فقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ يس:٦٥، فنحن نؤمن أنها تتكلم كما أخبر الله ﷻ في كتابه، ولا نعلم كيف تتكلم.

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ فصلت:٢١.

وعند البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ) (١).

والنصوص واضحة في كون الأيدي والأرجل والجلود والطعام، كل ذلك يتكلم بلا فم يخرج منه الصوت المعتمد على مقاطع الحروف، فأصل قياس الخالق على المخلوق قياس فاسد لا يجوز.

ثانيا: أن صفة الكلام صفة ذات، والتكليم صفة فعل. وكونه من صفات الذات لأنه من لوازم الكمال، وضده من أوصاف النقص، والله سبحانه له الكمال المطلق، ولهذا ذم بني إسرائيل لاتخاذهم عجلا لا يتكلم إلها من دون الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ

---

(١) رواه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة ٣/١٣١٢ (٣٣٨٦).

حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الأعراف:١٤٨.

وقال أيضا عن العجل: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ طه:٨٩. فعجْز العجل عن مخاطبتهم ونفْي الكلام عنه من صفات النقص التي يستدل بها على عدم ألوهيته.

وأما كون التكليم من صفات الأفعال فلأن الله ﷻ أخبرنا أنه يتكلم بمشيئته، فإن شاء كلم من شاء من خلقه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل:٤٠. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ يس:٨٢.

ومعلوم أن الشيء واقع بقوله تعالى له كن بعد أن لم يكن، وليس الشيء نفسه وهو كلامه وقوله كن.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف:١٤٣.

والآيات والأحاديث التي لا حصر لها تدل على أن الله يتكلم متى شاء، وإذا شاء ،وكيف شاء.

قال ابن القيم بعد أن أورد الأدلة على صفة الكلام: (وهناك

أضعاف أضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي إن دفعت دفعت الرسالة بأجمعها، وإن كانت مجازا كان الوحي كله مجازا، وإن كانت من المتشابه كان الوحي كله من المتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها، ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره؛ فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب، وظهور معانيها، وتعدد أنواعها، واختلاف مراتبها، أظهر من كل ظاهر، وأوضح من كل واضح) [(١)].

ثالثا: أنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت يسمع، سمعه جبريل عليه السلام من الله، وسمعه موسى عليه السلام، وسمعه محمد ﷺ، وأدلة الكتاب والسنة على ذلك كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ البقرة:٢٥٣.

٢- وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ النازعات:١٥/١٧.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ سبأ: ٢٣.

٤- وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم ص ٥١٨.

النبي ﷺ قال: (إنَّ اللهَ تبارك وتعالى إذا أحَبّ عَبْدا نادَى جبْريل: إنَّ اللهَ قَدْ أحَبّ فُلانا فأحِبَّه، فيُحِبه جبْريل، ثمَّ يُنادي جبْريلُ في السَّماء: إنَّ اللهَ قَدْ أحَبّ فُلانا فأحِبَّوه، فيُحِبه أهْل السَّماء، ويُوضعُ له القَبُول في الأرْضِ) [١].

٥- وقد بوب الإمام البخاري أبوابا كثيرة في إثبات كلام الربِّ ﷻ يوم القيامةِ مع الأنبياء وأهل الجنة وغيرهم. وروى من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول اللهِ ﷺ قال: (إن آخِرَ أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخِرَ أهل النار خروجاً من النارِ رجل يخرجُ حَبْواً، فيقول له ربُّه: ادخل الجنةَ، فيقول: رب، الجنةُ ملأى، فيقول له ذلكَ ثلاثَ مَرَّات، فكل ذلك يعيد عليه، الجنة ملأى، فيقول: إنَّ لكَ مثل الدنيا عشرَ مرار) [٢].

٦- وروى البخاري من حديث عدي بن حاتم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلمهُ ربهُ، ليس بينَهُ وبينَهُ ترجمان، فينظرُ أيمنَ منهُ فلا يرى إلاّ ما قدَّمَ من عمله، وينظرُ أَشْأَمَ منه فلا

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الملائكة ٢٧٢١/٦ (٧٠٤٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده ٢٠٣٠/٤ (٢٦٣٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء ٢٧٢٨/٦ (٧٠٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجا ١٧٣/١ (١٨٦).

يَرَى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ بين يديه فلا يرى إلاَّ النارَ تِلقاء وجهه، فاتَّقوا النار ولو بِشقٍّ تمرة) (١).

٧- وعند البخاري من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (يحشُرُ اللهُ العبادَ، فيُنادِيهم بصَوتٍ يَسْمَعُه مَن بَعُد كَما يَسْمَعُه مَن قَرُبَ: أنا الملِكُ أنا الدَّيانُ) (٢).

٨- وروى البخاري من حديث صفوان بنِ مُحْرِز أنَّ رجلاً سأل ابن عُمر ﷺ: كيف سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: (يدنو أحدُكم من ربِّه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: أعملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقررهُ ثم يقول: إني سَترتُ عليك في الدنيا، وأنا أغفِرها لك اليوم) (٣).

٩- وفي كلام الله ﷻ مع أهل الجنة، روى البخاري من حديث

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٢٧٢٩/٦ (٧٠٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ٧٠٣/٢ (١٠١٦).

(٢) رواه البخاري معلقا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ٢٧١٩/٦، وقد وصله ابن حجر في تغليق التعليق ٣٥٥/٥، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة ٢٢٥/١.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٢٧٢٩/٦ (٧٠٧٦)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٢١٢٠/٤ (٢٧٦٨).

أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: (إن اللهَ يقول لأهل الجنةِ: يا أهل الجنةِ، فيقولون: لبيْك ربنا وسعدَيك، والخير في يَدَيْك، فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نَرضى يا رب وقد أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقِك، فيقول: ألا أُعطيكُم أفضَل من ذلك؟ فيقولون: يا ربّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِل عليكم رِضواني فلا أسخَطُ عليكم بعدَهُ أبدا) (١).

١٠- ومن حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان يوماً يُحدثُ وعندَه رجل من أهل الباديةِ: أنَّ رجلاً من أهل الجنة استأذنَ ربَّهُ في الزَّرع، فقال: أو لستَ فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحبُّ أن أزرعَ، فأسرعَ وبذر، فتبادَرَ الطَّرْفَ نباته واستواؤه واستحصاؤه وتكويرهُ أمثال الجبال، فيقول اللهُ تعالى: دونَك يا ابن آدم؛ فإنه لا يُشبعُك شيءٌ، فقال الأعرابيُّ: يا رسول الله، لا تَجِد هذا إلاَّ قُرشياً أو أنصارِيّاً، فإنَّهم أصحابُ زَرْعٍ، فأمَّا نحن فَلسنا بأصحابِ زَرْعٍ، فضحِك رسول الله) (٢).

وقد تواترت الأدلة بما لا يدع مجالا للشك على ثبوت صفة الكلام لربنا ﷻ، وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء، وأنه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ٢٣٩٨/٥ (٦١٨٣)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا ٢١٧٦/٤ (٢٨٢٩).

(٢) البخارى في التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة ٢٧٣٣/٦ (٧٠٨١).

يتكلم بكلام يُسْمعه من يشاء، وأن القرآن الكريم الذي هو سور وآيات، وحروف وكلمات هو عين كلامه حقا، لا هو من تأليف ملك، ولا هو من تأليف بشر، وأن القرآن بجميع حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به، وليس ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبريل ﷺ أو محمد ﷺ عما قام بالرب من المعني من غير أن يتكلم الله بها (١).

• أقوال الناس في صفة الكلام بين النفي والإثبات.

افترق الناس في مسألة الكلام بين الإثبات والنفي على عدة أقوال متباينة كان أبرزها:

١- قول الفلاسفة: أن كلام الله ﷻ هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهؤلاء يقولون: إنما كلم الله ﷻ موسى ﷺ من سماء عقله، أي بكلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج.

٢- قول المعتزلة: أنه مخلوق خلقه الله ﷻ منفصلا عنه، وقولهم مبني على مذهبهم أو أصلهم الأول، حيث ينفون أوصاف الله ﷻ تحت مسمى التوحيد ونفي التشبيه، فزعموا أن إثبات الكلام بصوت يُسْمَع تجسيم وتشبيه، فعطلوا وصف الكلام عن الله ﷻ، وزعموا أن

---

(١) انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ بن أحمد حكمي ١/٢٤٧ وما بعدها بتصرف، والفتاوى الكبرى لابن تيمية ٦/٥٢٢.

الذي تكلم به محمد ﷺ، ولما كان محمد ﷺ مخلوقا فكلامه مخلوق أيضا، والقرآن مخلوق خلقه الله ﷻ كما خلق سائر الأشياء.

٣- قول الكلابية والأشعرية: أنه معنى واحد قائم بذات الله ﷻ هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عُبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عُبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول الكلابية والأشعرية.

٤- قول أئمة الحديث والسنة: أنه تعالى لم يزل متكلما، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وأن القرآن كلام الله ﷻ منزل غير مخلوق، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس مخلوقا منفصلا عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته.

- **مناقشة الأشعرية في صفة الكلام والرد عليهم.**

زعم الأشعرية أنهم أهل السنة والجماعة، وأن مذهبهم في تأويل الصفات وتعطيلها، هو الحق المبين، والمذهب الوسط بين المعتزلة والحشوية، وهم يطلقون على علماء السلف الصالح الذين أثبتوا الصفات على مراد الله ورسوله ﷺ حشوية.

قال ابن حيدرة: (ومذهبنا هو الحق المبين، وهو مذهب بين طريقي الإفراط من المعتزلة والتفريط من الحشوية، وهو أن الله تعالى متكلم بكلام أزلي قديم كسائر صفاته، وأن حقيقة الكلام أنه معنى قائم

بالنفس، وليس بحرف ولا صوت، وإنما يستدل عليه بالحروف والأصوات) [١].

وقال بعض الأشعرية المعاصرين في بيان اعتقادهم: (ليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت، ولا يوصف بجهر ولا سر، ولا تقديم ولا تأخير، ولا وقف ولا سكون، ولا وصل ولا فصل؛ لأن هذا كله من صفات الحوادث) [٢].

ولازم قولهم أن الله ﷻ لا يتكلم بصوت يسمع، وإنما كلامه معنى واحد، وإشارات مجملة يفهمها جبريل عليه السلام ثم يعبر عن ذلك بلغة الرسل. فإذا عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، فكلام الله سبحانه عندهم ليس فيه أمر ولا نهي، ولا خبر ولا استخبار، بل هو معنى واحد استوعبه جبريل عليه السلام ولم يسمعه، ثم فصله بطريقته الخاصة إلى الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وعبر عن ذلك باللغات المناسبة.

والذي دفعهم إلى ذلك كما سبق هو قياس كلام الخالق وصفاته على كلام المخلوق وصفاته بقياس تمثيلي أو قياس شمولي، فهم يرون أن المخلوق إذا تكلم فكلامه مكون من حروف وأصوات

---

(١) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر لأبي الحسن بن حيدرة القفطي ص٩١ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

(٢) كتاب حق الله على العباد ص٩٢.

وموصوف بالجهر والسر، والتقديم والتأخير، والوقف والسكوت، والوصل والفصل وغير ذلك، وكل ذلك لا يكون عندهم إلا بجارحه بها محل مخارج الحروف التي يصدر منها الكلام، والخالق إذا تكلم بكلام مسموع يفهمه البشر، فإن كلامه سيكون حتما بلسان وفم قياسا على المخلوق.

من أجل ذلك عددوا القيود والشروط السلبية حتى يثبتوا لله ﷻ صفة الكلام وهم كارهون. وأبرز دليل عند الأشعرية يستدلون به على أن كلام الله ﷻ هو الكلام النفسي هو قول الأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما : جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهذا استدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به لقالوا هذا من أخبار الآحاد التي لا تفيد اليقين في أمور الاعتقاد! فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟! وقيل إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد، وهذا أقرب إلى الصحة.

وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به لكونه بعد عصر الاحتجاج على لغة العرب، كما أن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت! فاختلط شيء من الإله بشيء من الناس! وزعموا أن كلام الله ﷻ هو المعنى القائم بالذات الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم

المسموع فمخلوق لإفهام المعنى القديم.

وهل يستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على حقيقة كلام الله ﷻ، أو على تفسير الاستواء بالاستيلاء والقهر، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟!

وعلى فرض جواز استدلالهم بكلام هذا النصراني فمعناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلما لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به، ولم يسمع منه، ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله ﷻ، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله ﷻ، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى.

وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، تعالى الله ﷻ عن لازم قولهم، حيث فروا من تشبيه الله ﷻ بالإنسان السوي كلازم لنفي الكلام عند المعتزلة إلى تشبيه الله ﷻ بالإنسان الأخرس كلازم لإثبات الكلام عند الأشعرية، فعندهم أن جبريل عليه السلام فهم منه إيحاءا ومعنى قائما بنفسه، ولم يسمع منه حرفا ولا صوتا، بل فهم معنى كليا مجردا ثم عبر عنه بلغة العرب التي سمعها منه محمد ﷺ، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي.

ويقال لمن قال إنه معنى واحد: هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى

أو بعضه؟ فإن قال: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله ﷻ، وفساد هذا ظاهر، لأن كلمات الله لا تنفد، وإن قال: بعضه فقد قال يتبعض، وخالف قوله بأنه معنى واحد.

ولما قال تعالى للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة:٣٠. ولما قال لهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ البقرة:٣٤. وأمثال ذلك: هل هذا جميع كلامه أو بعضه؟ فإن قال: إنه جميعه فهذا مكابرة، وإن قال: بعضه فقد اعترف بأن كلام الله ﷻ ليس معنى واحدا كما زعم.

ويرد قول من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، ما ورد عند مسلم من حديث معاوية بن الحكم ﷺ أن رسول الله ﷺ: (إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ) [١].

وعند البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النَّبِي ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلاةِ) [٢].

واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدا لغير مصلحتها بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم

---

(١) رواه مسلم في المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ١/٣٨١ (٥٣٧).

(٢) البخاري معلقا في كتاب التوحيد، باب كل يوم هو في شأن ٦/٢٧٣٥.

بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

وعند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلوا بِهِ) [(١)].

أخبر النبي ﷺ أن الله ﷻ عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة؛ لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

وأيضا ففي السنن أن معاذ بن جبل ﷺ قال: (فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِم؟) [(٢)]. فبين أن الكلام إنما هو باللسان، فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما من فعل ماض، ومضارع، وأمر، واسم فاعل وغيره، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون ٥/٢٠٢٠ (٤٩٦٨)، ومسلم واللفظ له في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب ١/١١٦ (١٢٧).

(٢) رواه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ٥/١١ (٢٦١٦) وقال: حسن صحيح، والنسائي في التفسير، تفسير سورة السجدة، باب قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع ٦/٤٢٨ (١١٣٩٤). وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٢٦١٦). وانظر صحيح الجامع (٥١٣٦).

ومعنى، ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء البدعة [١].

• **مذهب الأشعرية لا يمكن وصفه بالوسطية.**

ولا شك أن من قال إن كلام الله ﷻ معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله ﷻ وهو مخلوق، فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر، فأي وسطية واعتدال في القول بخلق القرآن، فإن الله ﷻ يقول: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء:٨٨. أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه؟ أو إلى المتلو المسموع؟ لا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله ﷻ غير مشار إليه، ولا منزل، ولا متلو، ولا مسموع. وليس القرآن الكريم إلا سورا مسورة، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ هود:١٣.

وقد ثبت الدليل على أنه يكتب لمن قرأ بكل حرف عشر حسنات، فعند الترمذي وصححه الألباني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُول الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلَفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٨وما بعدها بتصرف.

حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ)[1].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء:٨٨. أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه؟ ومعلوم أن ما في نفس الله ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

كما أن الله ﷻ توعد بسقر من سمع القرآن وقال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المدثر:٢٥ فمن أنكر أن القرآن كلام الله ﷻ، وقال إنه كلام محمد ﷺ أو غيره من الخلق ملكا كان أو بشرا، فقد كفر. ولذلك قال الطحاوي: (ولا يشبه قول البشر)[2].

يعني أنه أشرف وأفصح وأصدق حديث. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ النساء:٨٧. وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس:٣٨. فلما عجزوا عن

---

(١) رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر ٥/١٧٥ (٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٩١٠)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب، كتاب قراءة القرآن، باب الترغيب في قراءة القرآن في الصلاة وغيرها ٢/٧٧ (١٤١٦).

(٢) متن العقيدة الطحاوية ص ٢٤ نشر المكتب الإسلامي.

الإتيان بسورة مثله، وهم فصحاء العرب مع شدة العداوة، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله ﷻ، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط.

هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي بلغة العربية، فنفي المشابهة من حيث التكلم، ومن حيث التكلم به، ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف. وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة:١/٢. وقوله: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ الأعراف:١/٢. وقوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ يونس:١. وكذلك الباقي ينبههم فيه أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم.

ومن ثم فإن حقيقة مذهب الأشعرية في صفة الكلام، والذي تأباه الفطرة ويقبحه العقل، أنهم شبهوا الله ﷻ بالأخرس الأبكم الذي يعبر عن مراده الداخلي بإشارات يُفهم منها المعنى المقصود لعدم قدرته على الكلام، سبحانه وتعالى عن وصفهم. فهم فروا من التشبيه حسب زعمهم بتعطيل ما يجب إثباته لله تعالى إلى أشد أنواع التشبيه

قبحا ونقصا حيث شبهوا الله ﷻ بالأبكم، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، فأي اعتدال ووسطية في مذهب الأشعرية.

• كيف ظهرت بدعة القول بخلق القرآن؟

لما تأصلت فكرة الجهم بن صفوان عند المعتزلة في استقلال العقل بإثبات الصفات أو نفيها، وتشبعوا بالرغبة في تعطيل النصوص وردها، محتجين بأن إثباتها يدل على التشبيه وأنواع المحال، وأن ظاهر النصوص باطل واعتقاده ضلال، رتبوا على هذا الأصل نفي أوصاف الكمال، فنفوا رؤية رب العزة والجلال، وردوا الأخبار، وأنكروا الآثار التي ثبتت في رؤية الله ﷻ يوم القيامة، وقالوا أيضا بنفي صفة الكلام عن الله ﷻ، وجعلوه عاجزا عن التكلم بالقرآن بحجة أنه لو كان متكلما في زعمهم لكان له فم ولسان، وأن إثبات صفة الكلام تشبيه لله ﷻ بالإنسان.

وقد استفحل أمر المعتزلة، وكثر عددهم، وانتشر في البلاد خبرهم، ومن المؤسف أن بعض خلفاء الدولة العباسية قربهم وجعلهم في أعلى المناصب القيادية، متعللين بأنهم كانوا يجادلون المخالفين مجادلة عقلية، وكانوا يقطعون الزنادقة والشيعة والجبرية في كثير من المناظرات الكلامية، وأن مشايخ الحديث تعجز عن ذلك.

وفي بداية القرن الثالث الهجري تصادق المأمون بن هارون، وهو من أبرز خلفاء الدولة العباسية، تصادق مع بعض دعاة المعتزلة، وذلك

قبل أن يكون خليفة المسلمين، فقرب إليه رجلا يقال له بشر بن غياث المرييسي، وهو منحدر من أصل يهودي.

وكان هذا الرجل قد نظر في صفات الله ﷻ بالفكر الجهمي، فغلب عليه، وقال به وانسلخ من دواعي التقوى والإيمان، وأعلن القول بخلق القرآن، ودعا إليه حتى كان عينَ الجهمية في عصره، وكان عالَمهم المقتدى بأمره، فمقته كثير من أهل العلم وناظروه، وحكموا عليه بالفسق وكفروه.

قال الإمام الشافعي رحمه الله عن هذا الجهمي: ناظرت بشر بن غياث المريسي، فكان مما قال: القرعة قمار، وهي حرام. فذكرت له حديث عمران بن حصين رضي الله عنه في القرعة، فبهت. والشاهد أن أبسط أمور السنة لا يعرفها بشر المريسي [(١)].

واختلط الخليفة المأمون أيضا برجل يقال له أحمد بن أبي دؤاد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥١/٣٨٠، نشر دار الفكر. بيروت، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/٢٠٠. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧/٦٠، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وحديث عمران ﷺ رواه مسلم وفيه: (أَنَّ رَجُلًا أَعْتَقَ سِتَّةَ مَمْلوكِينَ لهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، لَمْ يَكُنْ لهُ مَال غَيْرَهُمْ، فَدَعَا بِهِمْ رَسُول اللهِ ﷺ فَجَزَّأَهُمْ أَثلاثا، ثمَّ أَقْرَعَ بَيْنَهُمْ، فَأَعْتَقَ اثْنَيْنِ وَأَرَقَّ أَرْبَعَةً، وَقَال لهُ قَوْلا شَدِيدًا). ومعلوم أن الوصية فيما دون الثلث، ولذلك أجرى النبي ﷺ القرعة بينهم، ومعنى: قال له قولا شديدا، أي أنكر ﷺ فعله وكرهه. الحديث رواه مسلم في كتاب الأيمان، باب من أعتق شركا له في عبد ٣/١٢٨٨ (١٦٦٨).

الإيادي، وكان من أشد المتعصبين للمذهب الاعتزالي، قربه المأمون واتخذه صاحبا، ومن شدة تعلق المأمون به عظمه الشعراء نفاقا منهم للخليفة حتى قال بعض الشعراء من بني العباس الذين تولوا المعتزلة:

رسول الله والخلفاء منا : ومنا أحمد بن أبي دؤاد [(١)].

وقد رد عليه بعض شعراء أهل السنة الذين أدركوا خطورة هذا الرجل وأمثاله فقال:

رسول الله والخلفاء منا : ونبرأ من دعي بني إياد
وما منا إياد إذا أقرت : بدعوة أحمد بن أبي دؤاد [(٢)].

ومن شدة الترابط بين أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي والخليفة المأمون أشار على الخليفة أن يكتب على سترة الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، بدلا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١. فأراد أن يحرف كلام الله ﷻ لينفي وصفه بالسمع البصر. تماما كما قال الجهم بن صفوان عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه:٥. قال: لو وجدت السبيل إلى أن

---

(١) هذا الشاعر هو مروان بن أبي حفصة، انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤٣/٤، دار الكتب العلمية، بيروت. ووفيات الأعيان لابن خلكان ٨٦/١، نشر دار الثقافة. والبداية والنهاية لابن كثير ٣١٩/١٠، نشر مكتبة المعارف بيروت.

(٢) هذا الشاعر هو أبو عفان رد بذلك لما سمع شعر مروان، انظر تاريخ بغداد ١٥٣/٤. والبداية والنهاية ٣٢١/١٠. وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٤/١٧، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

أحكها من المصحف لفعلت [١].

وقد وصل الأمر ببعضهم إلى محاولته تحريف القرآن حتى لا يؤمن بتلك الصفة، فقال لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريدك أن تقرأ هذه الآية: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء:١٦٤. بنصب لفظ الجلالة، وذلك ليكون موسى عليه السلام هو المتكلم، أما الرب عنده فلا يتكلم؛ لأن الكلام لا يكون إلا بفم ولسان حسب زعمه فقال أبو عمرو: هب أني وافقتك في ذلك، فماذا تفعل بقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ الأعراف:١٤٣. فبهت المعتزلي؟ [٢].

ولما أصر أبناء الجهمية من المعتزلة على نفي صفة الكلام عن الله عز وجل تبادر إلى الذهن سؤال هام، وهو: إذا كان الله عز وجل لا يتكلم فهذا القرآن كلام من؟ ومن الذي تكلم به؟ قالوا تكلم به محمد ﷺ، ولما كان محمد ﷺ مخلوقا فكلامه إذا مخلوق، وقد خلق الله محمدا وخلق كلامه كما خلق سائر الأشياء.

أما هو سبحانه فلا يتكلم ولا يكلم أحدا من خلقه، ومرة ينسبونه إلى جبريل! ومرة ينسبونه إلى محمد ﷺ! ومرة يزعمون أن الله عز وجل

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٢. وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١٢/٢. والصواعق المرسلة لابن القيم ١٠٣٧/٣.

كان ولم يكن عرب ولا كلام عربي، فالله ﷻ خلق القرآن كما خلق العرب! وغير ذلك من ألوان التخبط في الأدلة والتضارب في القول.

وقد عبر ابن القيم عن ذلك في نونيته، فقال عن تضاربهم، وتهافت قولهم، ومستهزئا بعقيدتهم [(١)] :

إن الذي جاء الرسول به	لمخلوق ولم يسمع من الديان
والخلف بينهم فقيل محمد	أنشاه تعبيرا عن القرآن
والآخرون أبوا وقالوا إنما	جبريل أنشاه عن المنان
وتكايست أخرى وقالت إنه	نقل من اللوح الرفيع الشان
فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد	أنشاه خلقا فيه ذا حدثان
هذي مقالات لهم فانظر ترى	في كتبهم يا من له عينان
لكن أهل الحق قالوا إنما	جبريل بلغه عن الرحمن
ألقاه مسموعا له من ربه	للصادق المصدوق بالبرهان

ولما قرب الخليفة المأمون رجالا من هؤلاء المعتزلة راودوه على مذهبهم، وأقنعوه ببدعتهم، وأصبح ألعوبة في أيديهم، ثم نصحوه أن يأخذ على أيدي الناس، ويلزمهم أن يقولوا بقولهم توحيدا وإرضاء لربهم، وإصلاحا للدين على زعمهم. وقد وقع المأمون بن هارون في شباكهم، وفرض على الناس بدعة جديدة لم تكن في أسلافهم، وهي البدعة الكبرى، أو بدعة تعطيل الصفات والقول بخلق القرآن. تلك

---

(١) متن القصيدة النونية لابن القيم ص٣٩، نشر مكتبة ابن تيمية.

البدعة التي أحدثت انقساما شديدا في الأمة الإسلامية، فصار الناس وقتها على فريقين:

الفريق الأول: فريق يتابع الخليفة المأمون على رأي المعتزلة، وينفون صفة الكلام عن الله ﷻ، ويعتقدون أن القرآن مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو عندهم كافر مشبه، وضال مضل يستوجب القتل حدا، وهؤلاء هم أهل القوة والمكانة، أتباع الخليفة، فالمأمون استخدم قوة الدولة في تأييد هذا الرأي وإلزام الناس بتلك البدعة، وأصبحت آراء المعتزلة قضية على رأس القضايا في اهتمامات الخلافة.

والمسألة وقتها لم تعد كلاما فاسدا يطوف على ألسنة الناس بين متأفف منكر، ومستحسن مؤيد، بل أصبح الأمر خطرا داهما يهدد كافة المسلمين في كل مكان، ويواجه أضعف الناس قوة الدولة ورهبة الخلافة والسلطان.

الفريق الثاني: فريق مستضعف يمثلهم علماء أهل السنة وعامة الناس من الضعفاء وغيرهم، وهؤلاء يقولون بأن القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق، ويؤمنون بما ورد من صفات الله في الكتاب والسنة، من غير تمثيل ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تحريف، وهم بدافع إيمانهم لا يجرؤون على تحريف الكلم عن مواضعه بالتأويلات الممقوتة التي دعاهم إليها أهل البدعة.

غير أن المواجهة اشتدت بين الفريقين إلى أن امتُحن فيها الناس أشد

امتحان، فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث، ولا مؤذن ولا معلم إلا أخذ بالمحنة، وهرب كثير من الناس فرارا بدينهم، وملئت السجون بمن أنكر على أهل البدعة من المعتزلة وأتباع الخليفة، وقد وصل التحدي إلى أن أمر الخليفة المأمون بن هارون، أن يكتب على أبواب المساجد: لا اله إلا الله رب القرآن وخالقه، ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد من الجلوس للفتيا في المساجد أو تبليغ العلم، لأنهم صرحوا بمخالفته، فاعتبر المأمون ذلك منهم معارضة لسياسة الدولة، وأرسل إليهم رسالته الشهيرة.

- **رسالة المأمون في خلق القرآن وما فيها من زور وبهتان.**

أوجب الخليفة على كل مسلم أن ينفي عن الله ﷻ صفة الكلام ويقر بخلق القرآن تحقيقا لسلامته وإلا سيواجه قوة الدولة بمفرده. وقد نصر الله سنته وأعز دينه بالإمام أحمد بن حنبل، هذا الحبر الجليل الذي وقف لله ﷻ وقفة يضرب بها المثل في الثبات على الحق والتمسك بالسنة حتى قيل: أبو بكر ليوم الردة، وعمر ليوم السقيفة وأحمد ليوم البدعة.

قال الميمون: قال لي على بن المديني بعدما امتحن أحمد بن حنبل يا ميمون: ما قام أحد في الإسلام أحد مثل ما قام أحمد بن حنبل، قال ميمون: فعجبت من هذا عجبا شديدا، وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام، فحكيت له مقالة على بن المديني، فقال: صدق، إن أبا بكر وجد له يوم الردة أنصارا وأعوانا، وإن أحمد لم يكن له أنصار

ولا أعوان [١].

بدأت المحنة الحقيقية سنة ٢١٨هـ عندما أرسل المأمون كتابه الشهير الذي طلب فيه من الولاة أن يختبروا أهل العلم في القول بخلق القرآن، أرسل كتابه الشهير إلى إسحاق بن إبراهيم والي الخليفة على بغداد، يلزم الناس فيه بأن يقروا بخلق القرآن تأييدا لرأي المعتزلة فجاء فيه: (أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، ومواريث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم والعمل بالحق في رعيتهم، والتشمير لطاعة الله فيهم) [٢].

من المعلوم أن الاجتهاد المحمود هو الاجتهاد المبذول لخدمة دين الله ﷻ بعد تقديم النصوص، فلا اجتهاد مع نص، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب:٣٦.

لكن الاجتهاد الذي بذله المأمون ودعا إليه اجتهاد هدم به عقيدة السلف أهل السنة، وهو يظن أنه يحسن صنعا، فإذا وصل الأمر به إلى أن يعتقد أن آراء المعتزلة هي عين التوحيد، وأن القول بخلق القرآن هو الحق، وينفي صفة الكلام عن الله ﷻ، ويشبهه بالعاجز الناقص، ويرد

(١) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧٨/٥. وتهذيب الكمال للمزي ٤٥٢/١. والبداية والنهاية لابن كثير ٣٣٦/١٠.
(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ١٨٦/٥ دار الكتب العلمية.

ما جاء في الكتاب والسنة، ثم يدعو إلى ذلك ويسميه عملا بالحق في الرعية، فهذا شر البلية، فلو مات المأمون على عقيدة العجائز من العامة لكان خيرا له.

قال المأمون في رسالته الشهيرة: (والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريمته، والإقساط فيما ولاه الله من رعيته، برحمته ومنته، وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، والاستضاءة بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق، أهل جهالة بالله وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به، ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم ونقص عقولهم، وجفائهم عن التفكير والتذكر) (١).

إن أهل الجهالة والعمى هم الذين تركوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وارتضوا غيره من أحكام العقول الفاسدة بديلا، غير أن المأمون في رسالته بين السبب في وصفه لهم بالجهالة والضلالة فقال: (وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين، واتفقوا غير متعاجمين على أنه قديم أول، لم يخلقه الله ويحدثه

(١) السابق ٥/١٨٦.

ويخترعه، وقد قال الله ﷻ في محكم كتابه الذي جعله لما في الصدور شفاء، وللمؤمنين رحمة وهدى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ﴾ الزخرف:٣، فكل ما جعله الله فقد خلقه. وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ الأنعام:١ وقال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ طه:٩٩، فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها وتلا به متقدمها، وقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود:١، وكل محكَم مفصَّل فله محكِم مفصِّل، والله محكم كتابه ومفصله، فهو خالقه ومبتدعه)[1].

• **حجة المأمون في القول بخلق القرآن والرد عليه.**

ذكرنا أن مذهب المأمون تبنى فيه أصول المعتزلة الذين ينفون أوصاف الله ﷻ تحت مسمى التوحيد ونفي التشبيه، وأنهم لما أصروا على نفي صفة الكلام لزمهم الإفصاح عمن تكلم بهذا القرآن؟ فأداهم فكر الشيطان الذي عبث بعقولهم إلى القول بأن الذي تكلم به محمد ﷺ، ومحمد مخلوق فكلامه مخلوق، فهذا القرآن مخلوق خلقه الله ﷻ كما خلق سائر الأشياء.

وهم لم يستندوا في اعتقادهم إلى قرآن أو سنة، وليس منهجهم هو الاعتماد عليهما أساسا، ولكنهم لما أصلوا أصولهم، وسلموا أنفسهم

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٨/٢. وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٠/١٥. وتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ١٨٧/٥.

لما قررته عقولهم، وساقتهم إلى الضلال أهواؤهم، ووجدوا أن عامة الناس لن يصدقوا كلامهم لمخالفته صريح القرآن، ولن يعتقدوا في كلامهم إلا بدليل من قرآن أو سنة، نظروا في كتاب الله ﷻ ليجدوا دليلا يقوي آراءهم، وليخدعوا العامة من ورائهم بأنهم يعتمدون على الكتاب والسنة.

وهم في حقيقة أمرهم يضربون بكلام ربهم وسنة نبيهم عرض الحائط، فاستدلوا بالآيات التي كتبها المأمون في رسالته وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾ الزخرف:٣. فقالوا كل ما جعله الله ﷻ فقد خلقه، وهذا كلام باطل يدل على جهلهم بكتاب الله ﷻ ولغة العرب؛ لأن جعل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ ليست بمعنى خلق، فلفظ جعل قد يضاف إلى الله ﷻ، وقد يضاف إلى المخلوق، فإذا أضيف إلى الله ﷻ فهو على معنيين:

المعنى الأول: هو المعنى الكوني، ويعني الخلق والتقدير، والتكوين والتدبير الذي يقع لا محالة، كقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ ﴾ النبأ:٦/٨، وكقوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ الأنعام:١.

المعنى الثاني: هو المعنى الشرعي الديني الذي يتضمن منهج المكلفين، وشريعة المسلمين، ويبين طريق عبادتهم، وصلاح دنيتهم،

وهذا قد يقع وقد لا يقع، ومعنى جعل هنا التشريع ووضع التكليف الديني الذي يتضمن أحكام المكلفين وشريعة المسلمين، كقول الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ۝٩٠﴾ النساء:٩٠، أي لم يجعل لكم حكما شرعيا في قتالهم. وكقوله تعالى أيضا: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ المائدة:٤٨. وكقوله ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ المائدة:١٠٣.

ومن هذا المعنى الشرعي ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ الزخرف:٣. أي أنزل كلامه وشريعته بلغة العرب. قد بين الله سبحانه السبب في ذلك فقال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ﴾ فصلت:٤٤. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ الشورى:٥٢.

لكن الخليفة المأمون لم يدرك تلك القضية وأبعادها، فأداه ذلك العمى إلى أن يلبس الأمور، ويخلط معاني الجعل بعضها ببعض، فيجعل الجعل الكوني بالمعنى الشرعي، والجعل الشرعي بالمعني الكوني وأن كل ما جعله الله ﷻ فقد خلقه.

وكذلك جعل إذا تعدت إلى مفعول واحد كانت بمعنى خلق كما

في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ الأنعام:١. وإذا تعدت إلى مفعولين، لم تكن بمعنى خلق كقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ البقرة:٢٢٤. وكذلك قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ الزخرف:٣. فإنها تعدت إلى مفعولين.

قال الخليفة المأمون يصف علماء السلف الصالح: (ثم هم الذين جادلوا بالباطل، فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته مبطل قولهم، ومكذب دعواهم، يرد عليهم قولهم ونحلتهم، ثم أظهروا مع ذلك، أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة، فاستطالوا بذلك على الناس، وأغروا به الجهال) [1].

• بطلان ادعاء تكفير علماء السلف للمعتزلة.

زعم الخليفة المأمون في رسالته أن أهل السنة والجماعة يكفرون المعتزلة، وهذا زعم باطل، فهم لا يكفرون إلا من كذب منهم بآيات الكتاب صراحة، أو قامت عليه البينة في أن قوله تكذيب لكلام الله ﷻ وأصر على ما هو فيه، ولذلك لما حمل الإمام أحمد من دار الخلافة بعد أن جلدوه، وحضرت صلاة الظهر صلى معهم ولم يكفرهم فيما اعتقدوه، لأنه يعلم أنهم أهل جهالة بالله ﷻ وعمى عنه .

وانظر إلى تحامل الخليفة المأمون على أهل السنة، ووصفه لهم في

---

(١) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ١٨٧/٥.

رسالته بأبشع الأوصاف؛ لأنهم عارضوه وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فحاول أن يفَصِّل لهم تهمة تبرر اعتقالهم وعقابهم، وهي زعمه أنهم يستترون بالدين من خلال إصرارهم على هذا الاعتقاد طلبا للسلطة والرياسة، فقال في رسالته: (حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب، والتخشع لغير الله، والتقشف لغير الدين إلى موافقتهم عليه، ومواطأتهم على سيء آرائهم، تزينا بذلك عندهم وتصنعا للرياسة والعدالة فيهم، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم) [1].

يشير المأمون بن هارون إلى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ التوبة:١٦.

ومعنى الآية أن الله ﷻ ابتلى المؤمنين بالجهاد ليمحص أهل الحق، ويميز الذين ناصروا الله ورسوله ظاهرا وباطنا ممن نافقوا وناصروا الله ﷻ في الظاهر فقط، أما الباطن فقد اتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة، يعني بطانة من الكافرين والمشركين، يوالونهم على الكفر ويفشون إليهم أسرارهم بعداوة المسلمين، فالمأمون يشبه المعتزلة

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨٨/١٠. وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٨/٢. وتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ١٨٧/٥. والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ٢١٩/٢. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٠٩/١ نشر مطبعة السعادة، مصر.

ودعوتهم إلى ما يسمى بالتوحيد ونفي الصفات وما أحدثوه في الأمة من فتن ومنازعات، يشبههم بالمجاهدين الأولين من الصحابة ﷺ في المعارك والغزوات لإعلاء راية التوحيد والقضاء على الشركيات.

وفي المقابل يشبه علماء السلف الصالح بالمنافقين الذين يتخذون وليجة من دون المؤمنين، فينافقون الخليفة في الظاهر، ويدعون الناس في الباطن إلى خلاف ما يعتقدون، فأي عمى أصاب الخليفة حين انقلبت لدية الموازين وأصبح الباطل حقا والحق باطلا؟!

ثم قال المأمون بن هارون يصف علماء السلف بأن الله ﷻ أعماهم وأصم أبصارهم: (وقد أُخِذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد:٢٤) [(١)].

لقد وصف المأمون علماء السلف الصالح بأنهم لا يفهمون، ولا يسمعون، ولا يبصرون، ولا يعقلون، وأن المعتزلة هم أهل البصيرة الذين يفهمون ويعقلون، فمن الأولى بذلك الوصف؟ الأولى به أهل البدعة من المعتزلة ومن شايعهم، فهم اعتمدوا عقولهم وأهوائهم حجة وحيدة في وصف ربهم، وأوجبوا عليه أن يتصف بكذا وكذا مما استحسنوه، ولا يتصف بكذا وكذا مما قبحوه.

وقد نزه الله تعالى نفسه عن وصف العباد له، واستثنى الوصف

---

(١) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ٥/١٨٧.

الذي بلغه عن الله ﷻ المرسلون، فقال تعالى في مثل قول المأمون بن هارون: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الصافات:١٨٠/١٨٢. فنزه نفسه عما وصفه به الظالمون، ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوا به رب العالمين، وأنهم لم يكونوا مشبهين ولا معطلين، وإنما كانوا موحدين مثبتين كل ما أثبته الله ﷻ لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ، ثم حمد نفسه سبحانه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد فقال تعالى: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ فلولا أن الله ﷻ عرفنا بنفسه في كتابه وفي سنة رسوله ما عرفناه، ولو تركنا لعقولنا كما أراد الخليفة والمعتزلة لضل الناس في معرفة ربهم.

وقد ومضى خير القرون من الصحابة والتابعين على ما كان عليه رسول الله ﷺ، كلهم بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى منهاجه سالكون، ولم يبتدعوا كما ابتدع المأمون بن هارون، بل هم أصحاب البصيرة، وهم خير القرون، يقرؤون القرآن ويتدبرون معناه، ويؤمنون به ويعملون بمقتضاه.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف:١٠٨.

ونبينا ﷺ أوتي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، فبعث بعلوم الأولين والآخرين، ولم يدع إلى هذه البدع التي يسميها المأمون بن

هارون توحيدا وجهادا. ثم قال هذا الخليفة يصف علماء السنة بأن شر الأمة: (فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة، ورؤوس الضلالة، المنقوصين من التوحيد حظا، والمبخوسون من الإيمان نصيبا، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب، ولسان إبليس الناطق في أوليائه، والهائل على أعدائه من أهل دين الله) (١).

انظر مدى تمسك المأمون بمذهب المعتزلة؟ وكيف غرسوا فيه هذا الاعتقاد إلى درجة أنه يعتبر المخالفين له من السلف الصالح هم شر الأمة ورؤوس الضلالة؟! وأنهم لا إيمان لهم ولا توحيد، وإنما هم أولياء الشيطان الذين يتكلمون بلسان إبليس.

لقد أسهمت بطانة السوء من المعتزلة في إضلال الخليفة، وصاروا كالأفعى التي بثت سمها في قلبه، حتى ظن أن قولهم في نفي الصفات هو الحق الذي لا تشوبه شائبة، وأنه منتهى التوحيد الذي يضبط به نوعيات العاملين لديه في مؤسسات الدولة، ومن ثم أوجب على أولي الأمر اختيار البطانة الصالحة من أهل العلم حتى يتم صلاح الراعي والرعية بزعمه.

- **إحداث البدعة يفتح بابا لتوالي الابتداع.**

قال الخليفة المأمون بن هارون متهما علماء السنة في صدقهم وشهادتهم: (وهم أحق من يتهم في صدقه، وتطرح شهادته، ولا

---

(١) السابق ٥/١٨٨.

يوثق بقوله ولا عمله، فإنه لا عمل إلا بعد يقين، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام وإخلاص التوحيد ـ وهو يقصد بالتوحيد الأصل الأول من أصول المعتزلة ـ ومن عمي عن رشده وحظه من الإيمان بالله وبتوحيده، كان عما سوى ذلك من عمله والقصد في شهادته أعمى وأضل سبيلا) [١].

ثم أمر الوالي بامتحان العلماء في تلك البدعة التي عرفت بالبدعة الكبرى، أو بدعة القول بخلق القرآن فقال: (فاجمع من بحضرتك من القضاة واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون، وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله، ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه، وخلوص توحيده ويقينه، فإذا أقروا بذلك، ووافقوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة، فمرهم بأن يسألوا من يحضرهم عن علمهم في القرآن، وأن يتركوا إثبات شهادة من لم يقر بأنه مخلوق محدث، والامتناع من توقيعها عندهم) [٢].

إن إحداث البدعة في الدين يفتح بابا لتوالي مسلسل الابتداع وهدم النصوص، فأي دليل من كتاب الله ﷻ أو من سنة رسول الله ﷺ يدل على أن الشاهد عند أداء الشهادة أمام القاضي لا بد أن

---

(١) السابق ٥/١٨٨.

(٢) السابق ٥/١٨٨.

يمتحن في خلق القرآن، فإن أقر بأن الله ﷻ يتكلم ردت شهادته، وإن اعتقد اعتقاد الخليفة المأمون بأن الله ﷻ لا يتصف بالكلام قبلت شهادته؟ أليست تلك بدعة لا نظير لها بنيت على بدعة كبرى لا عهد للمسلمين بها، ولا يختلف اثنان على بدعيتها ؟

فمن هم أهل البدعة والجهالة والعمى؟ لقد صدق قول القائل السلفي في الخليفة المأمون:

يا أيها الناس لا قول ولا عمل : لمن يقول كلام الله مخلوق
ما قال ذاك أبو بكر ولا عمر : ولا النبي ولم يذكره صديق
ولم يقل ذاك إلا كل مبتدع : على الرسول وعند الله زنديق [(١)].

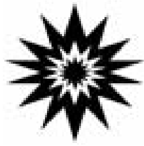
ولما ولَّى الخليفة المأمون بشر بن الوليد الكندي أمور القضاء بعد أن أقر بمذهب المعتزلة في خلق القرآن، كان بشر إذا جاءه الشاهد سأله عن كلام الله وخلق القرآن، هل الله ﷻ يتكلم أم لا؟ فإن قال بأنه يتكلم رد شهادته، وإن قال: لا يتكلم، وشبه الله ﷻ بالعاجز الأبكم قبل شهادته، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وقد جاء رجل ذات يوم ليشهد أما القاضي بشر بن الوليد، فسأله عن كلام الله هل هو مخلوق أم لا، فقال الشاهد: إن الله يتكلم كما يليق بجلاله، والقرآن غير مخلوق، واحتج على عقيدته بقوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ۝١٦٤﴾ النساء:١٦٤، فرد بِشرٌ شهادته

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٩/١٠.

واتهمه في دينه، فخرج الرجل يصيح عند قصر الخليفة، ويقول مخاطبا المأمون:

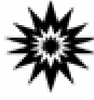
يا أَيُها الرجل المُوَحِّـــدُ رَبَّهُ : قاضِيكَ بشرُ بن الوليد حِمارُ
يَنْفِي شهادة من يَدِينُ بما بِهِ : نَطَقَ الكتابُ وجاءت الأخبارُ
ويعُــدُّ عَـدْلاً من يقول بأنه : شيخٌ تُحيطُ بِجِسْمِـهِ الأَقْطارُ [1].



(١) السابق ١٠/٢٦٢.

المطلب التاسع عشر

مناظرة الإمام أحمد بن حنبل لأهل البدعة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تناولنا في المطلب السابق الحديث عن عقيدة السلف الصالح في إثبات صفة الكلام وتوحيد الله ﷻ فيها، وذكرنا أدلتهم على ذلك، وبينا أقوال الناس في صفة الكلام بين النفي والإثبات، وكذلك تناول الحديث مناقشة الأشعرية في الكلام النفسي والرد عليهم، وأن مذهبهم في صفة الكلام لا يمكن وصفه بالوسطية.

ثم تناولنا الحديث عن كيفية ظهور بدعة القول بخلق القرآن؟ وناقشنا الرسالة التي ألزم فيها الخليفة المأمون سائر الأمة بالقول بخلق القرآن وكيفية الرد عليه، وبينا بطلان ادعاء المأمون أن أهل السنة يكفرون المعتزلة، وعلمنا أن إحداث البدعة يفتح بابا لتوالي الابتداع في دين الله ﷻ .

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله ﷻ الحديث عن البدعة الكبرى وكيف كان علماء السلف يناظرون المبتدعة مهما علت سطوتهم، وذلك من خلال المحاور التالية:

• مناظرة علماء السنة للمبتدعة في خلق القرآن.

قال المأمون بن هارون لنائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم: (واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مساءلتهم، والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرف عليهم، وتفقد آثارهم، حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين، والإخلاص للتوحيد، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله، وكتب في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ومائتين) (١).

هذا كتاب المأمون الذي حمل من ألوان الفتنة وأنواع الضلال بسبب تبنيه للأصول الخمسة عند أهل الاعتزال، وهو يدل بحق على مقدار البلاء الذي حل بالأمة الإسلامية بسبب الآراء الاعتزالية، فقد أمر الوالي إسحاق بن إبراهيم أن يجمع من بحضرته من القضاة، وأن يقرأ هذا الكتاب عليهم، ويبدأ في امتحانهم، والكشف عن اعتقادهم، وأن يقرأ هذا الخطاب عليهم مرارا حتى يدركوا مراد الخلفية منهم.

وقد كان رد الفعل في بغداد أن الوالي إسحاق بن إبراهيم أحضر الفقهاء والمحدثين والقضاة، وكان من أبرزهم أحمد بن حنبل، وأبو حيان الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلى بن أبي مقاتل، وسعدويه الواسطي، وعلى بن الجعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ويحي بن عبد الحميد العمري، وشيخ آخر من سلالة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ١٨٧/٥.

عمر كان قاضيا على الرقة، وأبو نصر التمار، وأبو معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، ومحمد بن نوح، وابن الفرخان، والنضر بن شميلة، وأبو على بن عاصم، وأبو العوام البارد، وأبو شجاع، وعبد الرحمن بن إسحاق، وجماعة من أهل العلم، قرأ عليهم خطاب المأمون مرتين حتى فهموه.

ثم سأل بشر بن الوليد عن القرآن؟ فقال بشر: قد عرفت مقالتي لأمير المؤمنين غير مرة: القرآن كلام الله. قال إسحاق بن إبراهيم: أمخلوق هو؟ قال بشر: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ الرعد:١٦. قال إسحاق: أليس القرآن شيء؟ قال بشر: هو شيء. قال إسحاق: فمخلوق هو؟ قال: ليس بخالق. قال إسحاق: ليس أسألك عن هذا. قال بشر: لا أحسن غير ما قلت، وقد استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه، وليس عندي غير ما قلت [1].

أراد بشر بن الوليد الكندي أن يحيد عن الجواب، فهو يبطن اعتقاد السلف، ولكنه أراد أن يحيد عن الإجابة التي يريدونها ليتخلص من امتحان الوالي وبطش الخليفة محتجا بقوله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ الرعد:١٦. فيسكتوا عنه، لأن العموم في الآية مخصوص بالمخلوقات فقط، أما ذات الله ﷻ وصفاته ومنها صفة الكلام وما تكلم الله ﷻ به في القرآن، فلا يندرج تحت عموم الآية.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣١٠ نشر مطبعة السعادة، مصر.

والدليل على أنه سبحانه لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة قوله تعالى عن الريح التي أرسلها على عاد فأهلكتهم: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ الأحقاف:٢٥. وقد أتت تلك الريح على أشياء كثيرة لم تدمرها كمنازلهم ومساكنهم والجبال التي كانت بحضرتهم، فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها، وبالرغم من ذلك قال: تدمر كل شيء.

ومثل ذلك أيضا قول الهدهد عن بلقيس ملكة اليمن: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ النمل:٢٣. وعرش سليمان عليه السلام كان موجودا وقتها، ولم تستحوذ عليه بلقيس، فكذلك إذا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الرعد:١٦، لا يعني نفسه، ولا علمه، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقد أثبت الله عز وجل النفس له فقال سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ طه:٤١. وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ آل عمران:٢٨. وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ الأنعام:٥٤. وقال عز وجل: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ المائدة:١١٦. ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ آل عمران:١٨٥. فالعقلاء يعلمون أن الله عز وجل لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت، فكذلك إذا قال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الرعد:١٦. لا يعني نفسه، ولا علمه، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

ومن ثم فإن القول الذي عليه السلف الصالح أن الله عز وجل خالق كل

شيء من الممكنات، أو المخلوقات، أما القرآن الذي تكلم به الله ﷻ وبدا من كلامه فليس بمخلوق، بل كلام الله ﷻ وصف أزلي قائم بالذات، وهو سبحانه شيء لا كسائر الأشياء، ولا يطبق عليه ما يطبق على سائر الأشياء. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١. وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ النحل: ٧٤.

ولما قال بشر بن الوليد: لا أحسن غير ما قلت، وقد استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه، وليس عندي غيرُ ما قلت، أخذ إسحاق بن إبراهيم رقعة كانت بين يديه مكتوب فيها إقرار سيوقع عليه كل من لا يقر بخلق القرآن، وكان فيها: "أشهد أن الله واحد أحد، فرد صمد، لم يكن قبله شيء، ولا بعده شيء، ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني، ولا وجه من الوجوه" . فقرأها إسحاق بن إبراهيم على بشر بن الوليد الكندي وقال له: أتشهد على ما في هذه الرقعة؟ قال بشر: نعم، فقال إسحاق لكاتبه: أكتب ما قال [١].

• **التلبيس والخلط بين القدر المشترك والقدر الفارق.**

لكن العبارة التي أشهده عليها عبارة مرنة، ظاهرها حق، وفي داخلها

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ٥/١٩٠. والكامل في التاريخ لابن الأثير، حوادث سنة ثماني عشرة ومائتين. ذكر المحنة بالقرآن المجيد ٦/٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

إقرار ضمني بمذهب المعتزلة، لأن معنى أن الله ﷻ لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني، ولا في وجه من الوجوه، يلزم منها عندهم نفي الصفات عن الله ﷻ مطلقا، كالسمع والبصر والكلام وغير ذلك، لأن المخلوق له صفات أيضا كالسمع والبصر والكلام، فالاجتماع في الألفاظ العامة المشتركة يوجب عند المعتزلة التشبيه والتمثيل، وهذا من فساد الفطرة، وخراب العقل، لأن التشبيه لا يكون إلا إذا قال: سمع الله مثل سمعي، وبصره كبصري، وكلامه ككلامي فهذا تشبيه. ومن ثم فقد أخطأ بشر بن الوليد الكندي حين أقر بهذه العبارة على إطلاقها وسوف نرى موقف الإمام أحمد منها.

ثم توجه الوالي إسحاق بن إبراهيم إلى على بن مقاتل فسأله عن قوله وعقيدته في القرآن، فقال على: هو كلام الله ﷻ، وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا. ثم قال: قد يكون قوله كاختلاف أصحاب الرسول ﷺ في الفرائض والمواريث، ولم يحملوا الناس عليها، فأشهده على الرقعة التي فيها: أشهد أن الله واحد أحد فرد صمد، لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء، ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه. وقال له: أتشهد على ما في هذه الرقعة قال: نعم، فقال إسحاق لكاتبه: أكتب ما قال.

ثم توجه إلى أبي حسان الزيادي وسأله عن القرآن فقال: القرآن كلام الله، والله ﷻ خالق كل شيء، وما دون الله ﷻ مخلوق، وأمير المؤمنين قلده الله ﷻ أمرنا يقيم حجنا وصلاتنا، ونؤدي إليه زكاة أموالنا، وإن

أمرنا ائتمرنا، وإن نهانا انتهينا، قال إسحاق بن إبراهيم: القرآن مخلوق؟ فأعاد أبو إسحاق ما قاله، قال إسحاق: إن هذه مقالة أمير المؤمنين، قال أبو حسان: قد تكون مقالة أمير المؤمنين، ولا يأمر بها الناس، ولا يدعوهم إليها، إن أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول بخلق القرآن قلت به، قال إسحاق: ما أمرني أن أبلغك شيئا، إنما أمرني أن أمتحنك، فأشهده على الرقعة فشهد، وكتب جوابه.

ثم جاء دور الإمام أحمد في محنته، وهو قوي بسيف الحق في حجته، صريح في دليله ومقولته، لا يلمح ولا يلوح، ظاهره ينبئ عن باطنه، لا يستخدم الحيدة أو التأويل، فهو بحول الله ﷻ على الحق قائم، ولا يخشى في الله ﷻ لومة لائم، فقال له بن إبراهيم: ما تقول في القرآن؟ قال أحمد: هو كلام الله ﷻ، قال إسحاق: أمخلوق هو؟ قال أحمد: هو كلام الله ﷻ ولا أزيد على ذلك، قال إسحاق بن إبراهيم أتوافق على الرقعة التي فيها: أشهد أن الله واحد أحد فرد صمد، لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه؟ قال الإمام أحمد رحمه الله أقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١، ورفض ما في الرقعة لاشتمالها على حق وباطل.

وقد التزم الإمام أحمد بمنهج أهل السنة فأثبت القدر الفارق ولم يمثل، وأثبت القدر المشترك ولم يعطل، وأمسك عن عبارة: ولا يشبهه أحد من خلقه في معنى من المعاني، ولا وجه من الوجوه.

قال أحد الحاضرين من المعتزلة ينبئ عن جهله بصفات الله ﷻ يقال له ابن البكاء الصغير، قال لإسحاق بن إبراهيم: يا أمير، إنه يقول: سميع بأذن بصير بعين، قال إسحاق لأحمد: ماذا أردت بقولك وهو السميع البصير؟ قال أحمد مفحما لهما: أردت منها ما أراده الله ورسوله.

ثم اختبرهم رجلا رجلا، وكتب ما كان منهم، وبعث جوابهم إلى الخليفة المأمون بن هارون. فمكث القوم تسعة أيام ثم دعا بهم إسحاق بن إبراهيم وإلي الخليفة على بغداد، وقد ورد الكتاب الثاني للخليفة المأمون وقد جاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد بلغ أميرَ المؤمنين كتابُك جوابَ كتابه إليك، فيما ذهب إليه متصنعة أهل القبلة، وملتمسو الرئاسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة، وما كان من قولهم في القرآن لما أمرك أمير المؤمنين بامتحانهم، وتكشيف أحوالهم، فأما ما قاله المغرور بشر بن الوليد في نفي التشبيه، وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق، وادعاء تركه الكلام في ذلك، واستعهاده أمير المؤمنين، فقد كذب بشر في ذلك وكفر، وقال الزور والمنكر.

ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهد ولا نظر، أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص، والقول بأن القرآن مخلوق، فادعه إليك، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وأنصصه عن قوله في القرآن، واستتبه منه، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقالته، إذ كانت تلك المقالة الكفر الصريح

والشرك المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها، فأشهر أمره، وأمسك عنه، وإن أصر على شركه، ورفض أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده، فاضرب عنقه، وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله. وكذلك إبراهيم بن المهدي، فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا؛ فإنه كان يقول بقوله، فإن قال: إن القرآن مخلوق، فأشهر أمره وأكشفه، وإلا فاضرب عنقه، وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله، وأما أحمد بن حنبل وما تكتب عنه، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة وسبيله فيها، واستدل على جهله وآفته) (١).

وقد سمى الخليفة المأمون في خطابه رجلا رجلا ثم قال: (ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمير المؤمنين في كتابك، وذكره أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا، ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بشر بن الوليد، وإبراهيم بن المهدي، فاحملهم أجمعين موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم حتى يؤديهم إلى عسكر أمير المؤمنين، ويسلمهم إلى من يؤمن بتسليمهم إليه، لينصحهم أمير المؤمنين، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله. وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بندارية، ولم ينتظر اجتماع الكتب

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٤١ نشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع. وتاريخ الإسلام للذهبي ١٥/ ٢٣. والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/ ٢٢١. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١/ ٣١١.

الخرائطية ـ يعني الرسائل العادية ـ معجلا به تقربا إلى الله ﷻ بما أصدر من الحكم ورجاء ما اعتمد، وإدراك ما أمل من جميل ثواب الله عليه، فأنفذ لما أتاك من أمر المؤمنين، وعجل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك خريطة بندارية مفردة عن سائر الخرائط، لتعريف أمير المؤمنين ما يعلم شاء الله) [1].

عند ذلك أدرك المحدثون والفقهاء وعلماء السلف أن الخليفة قد أجمع أمره، وأنه فوض نائبه في بغداد إسحاق بن إبراهيم بقطع الرقاب، وأن الأمر شديد، فأجابوا مكرهين متأولين قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ النحل:١٠٦.

أجاب القوم كلهم إلى أن القرآن مخلوق حين دعاهم إسحاق بن إبراهيم، وأعاد امتحانهم، ولم يمتنع إلا أربعة نفر منهم الإمام أحمد بن حنبل والحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ الحَضْرَمِيُّ المكني بسجادة، وعبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن نوح.

أمر إسحاق بن إبراهيم باعتقالهم وشدهم في الحديد ووضعهم في السجن، ثم في اليوم الثاني دعاهم جميعا، فأتي بهم يساقون في الحديد، فأعاد عليهم المحنة، فأجابه سجادةُ الحَسَنُ بن حَمَّاد إلى أن القرآن مخلوق، فأمر بإطلاق قيده وخلى سبيله، وأصر الآخرون على قولهم، فلما كان من بعد الغد عاودهم أيضا، فأعاد عليهم القول، فأجاب عبيد

---

(١) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ١٩٣/٥.

الله بن عمر القواريري إلى أن القرآن مخلوق، فأمر بإطلاق قيده وخلى سبيله.

وأصر الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما في نفي خلق القرآن، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يستجيبا لوالي الخليفة، فزاد إسحاق بن إبراهيم من قيودهما في الحديد، ووضعهما في سجن بغداد، استعدادا لترحيلهما إلى الخليفة المأمون. وكان إسحاق بن إبراهيم قد كتب للمأمون كلاما خاصا عن الإمام أحمد يلفت نظر الخليفة إلى أن له منزلةً في قلوب الأمة من حيث العلم والصدق والزهد في الدنيا، وأنه يرى الطاعة لأمير المؤمنين.

- **ثبات الإمام أحمد على إثبات توحيد الصفات.**

أُخْرِج أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح من سجن بغداد متوجهين إلى الخليفة المأمون، وكان بطرسوس أحد المدن في شمال الشام تقع على نهر طرسوس، حيث كان المأمون بن هارون وقتها في طريقه لغزو الروم [1].

أكد إسحاق بن إبراهيم قيودهما وجمعهما في سلسلة واحدة وعلى بعير واحد متعادلين، الإمام أحمد في ناحية، ومحمد بن نوح في الناحية الأخرى، بصورة مذرية مشينة تدل على مدى الغضب الذي هيمن على المأمون ونائبه، ومدى الثبات الذي عليه إمام أهل السنة وصاحبه.

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٣٢ بتصرف.

وفي الطريق قيل لأحمد: ألا ترى الباطل، كيف ظهر على الحق؟ قال: كلا إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل قلوب الرجال من الهدى إلى الضلال، وقلوبنا بعد لازمة للحق [١].

وهذا الكلام يدل على وصف هام يتميز به دعاة أهل السنة، وهو يقينهم بالله ﷻ الذي يقلب الأمور في خلقه، وله علو القهر في ملكه، وله القوة المطلقة التي يمكن بها لأوليائه، وإن طالت صولة الباطل، فهو سبحانه الذي ابتلى الظالمين بتلك القوة، وهو الذي سيحاسبهم لا محالة، ولكن تمسك القلب بالحق هو الذي يبني الأمة ولو بعد حين. ومن ثم فإن الدعوة لإصلاح القلوب بحسن الاعتقاد في الله وإخلاص العبودية له هو الشغل الشاغل لأتباع الأنبياء والمرسلين، فإذا انصلحت القلوب ستنصلح الأركان في أبدانها، ثم تنصلح الدنيا بأسرها.

وفي الطريق جاءه رجل أعرابي من العابدين الزاهدين يقال له جابر بن عامر فقال: من يدل على أحمد بن حنبل؟ فأشاروا إليه وهو مقيد بالحديد، فسلم على الإمام وقال له: يا هذا، إنك وافد الناس اليوم فلا تكن شؤما عليهم، وإنك رأس الناس، فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا، فتحمل أوزار الناس إلى يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر، فإن ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل، وإنك إن لم تقتل تمت، وإن عشت عشت حميدا. قال أحمد رحمه الله: كان

---

(١) السابق ٣٣٢/١٠.

كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من رد الذي يدعونني إليه [(١)].

لقيهما في الطريق أيضا أبو جعفر الأنباري فقال للإمام أحمد: أنت اليوم رأس الناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت بخلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فأنت تموت، ولا بد من الموت، فاتق الله ولا تجبهم بشيء، فجعل الإمام أحمد يقول له: ما شاء الله كائن، ما شاء الله ما سيكون [(٢)].

قال الربيع: بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل، فأتيته وقد انتهى من صلاة الفجر، فدفعت إليه الكتاب فقال: أقرأته؟ قلت: لا، قال أحمد: يذكر الشافعي أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرأ عليه مني السلام، وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجبهم، يرفع الله لك علما إلى يوم القيامة [(٣)].

وانطلقا السفيران عن مذهب أهل السنة والجماعة القائمان بكلمة الحق، وهما يعلمان أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، كما ثبت عند أبي داود من حديث أَبِي سَعِيد الخُدْرِيِّ ﷺ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (أَفْضَل الجِهَادِ كَلمَةُ عَدْل عِنْدَ سُلطَان جَائِر، أَوْ أَمِير

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣١٣/٥. وانظر السابق ٣٣٢/١٠.
(٢) تهذيب الكمال ٤٦٠/١ .
(٣) البداية والنهاية ٣٣١/١٠.

جَائِر)[(١)].

انطلقا السفيران يجران أقيادهما في الطريق إلى طرسوس حيث ينتظرهما المأمون بن هارون، حتى اقتربا من معسكر الخليفة في الثامن عشر من رجب سنة ٢١٨هـ، ولم يكن في آذان الناس وقتها إلا الأسماء الثلاثة: المأمون أمير المؤمنين خليفة المسلمين، وهو شاهر سيفه يتهدد ويتوعد، إن لم يجبه الأسيران بخلق القرآن ضرب منهم الأعناق، وأحمد بن حنبل سفير عن عامة الناس، وكل من أجاب المأمون تقية، أو خوفا على نفسه وأهله، ومحمد بن نوح وهو دون الإمام في العلم، لكنه كان أقوم الناس بأمر الله ﷻ في وجه الخليفة، وهما يحشران إلى المأمون بن هارون. والرأي العام في المدن والقرى وفي بغداد وما حولها ينتظر بأسف وحزن أخبار المذبحة التي ستحدث عما قريب.

ولكن سيف الحق أقوى من سيف المأمون، والله ﷻ غالب على أمره وهو سبحانه القائل في كتابه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ إبراهيم:٤٢.

لما اقتربا من معسكر الخليفة ونزلوا على مسافة منه، قال له محمد

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي ٤/١٢٤ (٤٣٤٤). وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢/١٣٢٩ (٤٠١١). وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح ابن ماجه (٤٠١١). وصحيح الجامع (١١٠٠).

نوح: يا أحمد إني موصيك بوصية فاحفظها عني، راقب الله في السراء والضراء، واشكره على الشدة والرخاء، وإن دعانا هذا الرجل أن نقول القرآن مخلوق فلا تقل، وإن أنا قلت فلا تركن إلى، وتأول قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ هود:١١٣[١].

ثم جاء خادم المأمون وسيافه يبكي ويمسح دموعه ويقول: يعز على يا أبا عبد الله، إن المأمون قد سل سيفا لم يسلله من قبل، وأقسم بقرابته من رسول الله ﷺ، لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف.

كان قلبه مع الإمام أحمد وبدنه موظف في خدمة الخليفة، فرفع الإمام أحمد بصره إلى السماء، وجثى على ركبتيه، ودعا ربه قائلا: سيدي ومولاي غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته، فما أن انتهى من دعائه حتى طار الخبر في كل مكان، في الثلث الأخير من الليل، مات المأمون، مات الخليفة، ودخل رجل يبشرهم قائلا: البشرى قد هلك الرجل[٢].

استجاب الله ﷻ للإمام أحمد ولم يلق المأمون، قال تعالى: ﴿ وَلَا

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني .

(٢) البداية والنهاية ١٠/٣٣٢ بتصرف.

تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ إبراهيم:٤٢. وقال: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الأنعام:٤٥، وقال: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ هود:١١٣.

• **استعانة أهل السنة بربهم في محاربة البدعة.**

مات المأمون غير مأسوف عليه، فقد جمع أهل البدعة والضلالة وقربهم إليه، وآزرهم ومكنهم من رقاب العباد، فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل، مع أنه كان مسلما يحب العلم والفقه لكنه لم يكن له بصيرة نافذة فيه، فدخلت عليه بسبب جهله الدواخل، وراج عنده بقصر نظره الباطل، ودعا العلماء بالقوة إلى ما ذهب إليه، وحمل عامة الناس قهرا عليه، وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته.

وقد تأكد للعامة قبل الخاصة صدق ما عليه إمام أهل السنة، وقويت مكانته في القلوب، وتعلقت به النفوس، ولكن المعتصم الذي تولى الخلافة بعد هلاك المأمون لم يتعظ بما حدث لأخيه، إذ أخذ ينفذ وصيته التي وصاه بها قبل موته بلحظات قائلا: خذ بسيرة أخيك في خلق القرآن، واجعل قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقك الشركة في المشورة في كل أمرك. فأمر المعتصم بردهما إلى بغداد، وتجديد اعتقالهما حتى يفرغ لهما، وحتى تهدأ الأمور في الدولة، فلو قتلهما أو عذبهما قد لا يأمن على دولته من ثورة الرأي العام، أو حدوث انقلاب في البلاد، فكانت الدواعي السياسية تحتم عليه الانتظار، وتأجيل الأمر حتى

يتمكن من إحكام قبضته وإخضاع العامة والأمة له.

لم يتحمل محمد بن نوح في طريق العودة إلى بغداد آثار القيود والإهانة، وهو في عنفوان شبابه فمات رحمه الله، وأكد على الإمام أحمد في وصيته له قبل موته قائلا: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدي به، وقد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله.

صلى عليه الإمام أحمد ودفنه في الطريق، وكان يقول عنه: ما رأيت أحدا على حداثة سنه وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح [(١)].

وبقي الإمام أحمد بن حنبل وحيدا في تلك المحنة سجينا في بغداد، والقيود في يديه ورجليه طيلة ثمانية وعشرين شهرا لم تحل عنه، وهو صامد صادق يؤم السجناء في سجن بغداد، ويخفف عنهم ويعلمهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال له عمه إسحاق بن حنبل: يا بني لم لا تجيبهم إلى القول بخلق القرآن تقية؟ فقال أحمد: وكيف تصنعون بحديث خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ﷺ، قَال: (شَكَوْنا إلى رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوسِّدٌ بُرْدَة لهُ فِي ظِل الكَعْبَةِ، قُلنَا لهُ: أَلا تَسْتَنْصِرُ لنَا؟ أَلا تَدْعُو اللهَ لنَا؟ قَال: كَانَ الرَّجُل فِيمَنْ قَبْلكُمْ يُحْفَرُ لهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَل فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ على رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ

(١) الوافي بالوفيات ١/٦٣٨.

لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَب، وَمَا يَصُدُّهُ ذلكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلا اللهَ أَوِ الذِّئبَ على غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلونَ) [(١)].

ثم قال رحمه الله: وإذا سكت العالم تقية، والجاهل يجهل، فمتى يظهر الحق؟ إني لا أبالي بالحبس، فما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، وأخاف أن لا أصبر فأوافقهم. قال أحد السجناء: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هما إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي؟ [(٢)].

وبعد أن تلاحقت عليه ثلاث سنوات، وهو في أغلاله حولوه من السجن العام إلى دار إسحاق بن إبراهيم وإلي الخليفة على بغداد، ليتداولوه على انفراد قبل أن يدخل على الخليفة في داره، فناظروه وغلبهم في الحجة، فقالوا له: يا أحمد، إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آثر إن لم تجبه أن يضربك، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس. فلم يعبأ بهم وقال: يأتوني بآية من كتاب الله ﷻ وأنا أجيبهم.

زادوا قيوده الحديدية حتى أصبحت في رجله أربعة، فلم يستطع أن يمشي بها، فربطها في تكة السروال، وحملها بيده من ثقلها، ثم جاءوا

---

(١) البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٣/١٣٢٢ (٣٤١٦).

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٠ بتصرف.

بدابة وحملوه عليها، فكاد أن يسقط على وجهه من ثقل القيود، وليس معه أحد يمسكه على الدابة، فسلم الله ﷻ حتى جاءوا دار المعتصم[(١)].

وخرج الخليفة على قومه في زينته، والحاضرون يرتجفون من بطشه وقوته، ورهط السوء من المعتزلة يشعلون قلب المعتصم بفتنته، وعلى رأسهم قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد، وعبد الرحمن بن إسحاق، وغيرهم مجموعون لليوم المشهود، يوحون إلى الخليفة أنه داعي العدل والتوحيد والصدق، وأنهم معه مجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الحق، وهم في حقيقة أمرهم متقولون على الله ورسوله ﷺ[(٢)].

وكان صاحب السجن قد ضرب عنق رجلين في ذلك اليوم، لترتجف القلوب والجلادون وقوف، والسياط كالسيوف، ورهبة لا يسلم منها إلا من جعل خوفه من الله ﷻ أقوى، ويقينه بنصر الله ﷻ وتأييده لأوليائه وحزبه أعلى.

- **مناظرة الإمام أحمد لأهل البدعة بين يدي المعتصم.**

ولما أدخلوا الإمام أحمد بن حنبل على أمير المؤمنين المعتصم، قال المعتصم: قربوه، فلم يزل يقربوه حتى أجلسه المعتصم بجواره.

قال الإمام أحمد: فجلست وقد أثقلتني القيود، فمكثت قليلا ثم قلت: تأذن لي في الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: تكلم. فقلت: إلى ما

---

(١) السابق ١١/٢٤٤ بتصرف.

(٢) السابق ١١/٢٤٥ بتصرف.

دعا ابن عمك رسول الله ﷺ؟ قال المعتصم: إلى شهادة أن لا إله إلا الله. فقلت له: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قلت: إن جدك عبد الله بن عباس قال: لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ سألوه عن الإيمان بالله وحده؟ فقال لهم: أتدرون ما الإيمان؟ فقالوا: الله وسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا الخمس من المغنم [(١)].

قال الخليفة المعتصم: لولا أني وجدتك في يدي أخي المأمون ما تعرضت لك. ثم قال: يا عبد الرحمن بن إسحاق: ألم آمرك برفع المحنة؟ ناظروه وكلموه، ناظره يا عبد الرحمن. فقال: ما تقول في القرآن؟ قال أحمد: فلم أجبه. فقال المعتصم: أجبه. فقلت: ما تقول في علم الله؟ فسكت عبد الرحمن، قال أحمد: القرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق، فقد كفر بالله. فسكت عبد الرحمن. فقالت حاشية الخليفة فيما بينهم: يا أمير المؤمنين كفرك وكفرنا. فلم يلتفت المعتصم إلى ذلك. فقال عبد الرحمن: كان الله ولا قرآن.

قال الإمام أحمد: كان الله ولا علم، فسكت عبد الرحمن. قال أحمد: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئا من كتاب الله ﷻ أو سنة رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان ١/٢٩ (٥٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه ١/٤٦ (١٧).

حتى أقول به [١].

لقد اعتمد الإمام أحمد في حجته لإثبات صفة الكلام على إثبات الأزلية في صفات الأفعال ومنها صفة التكليم، كالأزلية في صفات الذات التي هي من لوازم الكمال، فباعتبار أصل الصفة وملازمتها للذات فلم يزل الله ﷻ ولا يزال متصفا بها، كصفة الكلام فإنها صفة ذاتية باعتبار أصله والقدرة عليه، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، فالكلام من لوازم الكمال وضده من أوصاف النقص، والله سبحانه له الكمال المطلق في أسمائه وصفاته.

قال تعالى عن إبراهيم ؈ وشأنه مع قومه: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ الأنبياء:٦٢/٦٣. فدلت الآية على أن صفة الكلام من لوازم الكمال للمعبود.

أما باعتبار تعلق صفة الكلام بمشيئة الله ﷻ وقدرته، فالكلام صفة فعلية باعتبار أنه سبحانه يتكلم في وقت دون وقت، فالله ﷻ متصف بالكلام في الأزل، وشاء أن يتكلم بالقرآن، وينزله وحيا عربيا على محمد ﷺ فتم ما شاءه، أما قبل خلق السماوات والأرض وخلق اللوح والقلم ووجود محمد ﷺ كان القرآن في العلم الأزلي، فكل صفة كمال تعلقت بمشيئة الله تعالى فإنها تابعة لعلمه وحكمته كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٣٢.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠﴾ الإنسان: ٣٠ [(١)].

ولهذا رد الإمام أحمد صفة الكلام باعتبارها صفة من صفات الأفعال إلى صفة العلم باعتبارها صفة من صفات الذات، وهذا يدل على سعة علمه وفهمه رحمه الله.

• النصوص التي استدل بها المعطلة على القول بخلق القرآن.

قال بعض الحاضرين للإمام أحمد: أليس قد قال الله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ الزمر: ٦٢. القرآن أليس هو شيء؟

قال أحمد: قال الله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ الأحقاف: ٢٥. فهل دمرت إلا ما أراد الله ﷻ؟ قد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها، كمنازلهم ومساكنهم والجبال التي بحضرتهم، فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها وبالرغم من ذلك قال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾.

وقد ذكر الله كلامه في غير موضع من القرآن فسماه كلاما، ولم يسمه خلقا، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦. ولم يقل حتى يسمع خلق الله، فهذا منصوص بلسان عربي مبين لا يحتاج إلى تفسير [(٢)].

قال بعض الحاضرين للإمام أحمد: أليس قد قال الله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/١٣٣ بتصرف.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٤٧، والبداية والنهاية ١٠/٣٣٢ بتصرف.

﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ الأنبياء:٢. أفيكون محدثا إلا مخلوقا؟ قال أحمد رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾ ص:١. والذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا لام، فالمراد هو ذكر الرسول ﷺ، وذكر الرسول ﷺ يجري عليه الحدث، أما ذكر الله ﷻ إذا ورد لا يجري عليه الحدث، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت:٤٥. فعلم النبي ﷺ وكلامه فهو محدث مخلوق.

والشيئان بقياس الأولى إذا اجتمعا في اسم يجمعهما، فكان أحدهما أعلى من الآخر ثم جرى عليهما اسم مدح، كان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليهما اسم ذم فأدناهما أولى به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ البقرة:١٤٣، فالمؤمن أولى برحمته سبحانه من الكافر، وإن كانا يجتمعان في اسم الناس. وكذلك لما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ الأنبياء:٢. جمع بين ذكرين، ذكر الله ﷻ وذكر نبيه ﷺ، فأما ذكر الله ﷻ إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث [1].

ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت:٤٥، وقوله سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ الأنبياء:٥٠. وإذا انفرد ذكر النبي ﷺ، فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ الصافات:٩٦، فذكر النبي خلقه الله ﷻ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٥ بتصرف.

وأحدثه، وقال: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الذاريات:٥٥. وقال: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ الأعلى:٩. وقال: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الغاشية:٢١. فالله ﷻ جمع بين ذكرين في قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ الأنبياء:٢. فأوقع الحدث على المبلغ المذكر وهو رسول الله ﷺ، فهو سبب لإظهار كلام الله والنبي ﷺ مخلوق محدث، أما المتكلم الأول قبل خلق القائلين فهو الله ﷻ، وكلامه صفته ليس بمخلوق (١).

وقد استمرت المناظرة عدة ساعات، والإمام أحمد واقف يجادلهم ويناظرهم، ويغلبهم في الحجة، والخليفة المعتصم يعلوه الهم والغم، ويرى ضعف أتباعه من المعتزلة في مواجهته، كلما استدلوا بدليل بَّين للخليفة بطلانه، فربما يستدلون بآية في غير موضعها، وربما يحرفون المعاني عن دلالتها.

ذكر بعضهم في المناظرة حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، فقال محرفا للحديث إن رسول الله ﷺ يقول: إن الله ﷻ خلق الذكر، والذكر هو القرآن. قال أحمد: هذا خطأ، حدثنا غير واحد: إن الله كتب الذكر.

وحديث عمران رواه البخاري في صحيحه عن صفوانَ بن مُحرزٍ عن عَمرانَ بن حُصينٍ رضي الله عنه قال: (إنِّي عندَ النبيِّ ﷺ إذ جاءهُ قومٌ من بني تميم فقال: اقبَلوا البُشرى يا بنِي تميم، قالوا: بشَّرْتنا فأعطِنا، فدخل

---

(١) حلية الأولياء ٩/١٩٧.

ناسٌ من أهل اليمن فقال: أقبلوا البُشرَى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا جئناك لنتفقه في الدِّين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: كان اللهَ ولم يكن شيء قبلهُ، وكان عرشه على الماء، ثم خلقَ السماواتِ والأرضَ، وكتب في الذكر كل شيء) (١).

واحتج بعضهم على خلق القرآن بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ الزخرف:٣. فكل مجعول مخلوق، فأجاب الإمام أحمد: ليس كل مجعول مخلوق، وقد تقدم الحديث عن ذلك بما يغني عن إعادته. وقد فتح الله ﷻ على الإمام أحمد بن حنبل بمعاني النصوص، وأفاض عليه بالحجج والردود، وانقطع الآخرون وأصابهم اليأس؛ فانطلقوا يشتمون ويقسمون قسم العاجزين (٢).

قال سليمان بن عبد الله: أتيت إلى باب المعتصم، وإذا الناس قد ازدحموا على بابه كيوم العيد، فدخلت الدار فرأيت بساطا مبسوطا وكرسيا مطروحا، فوقفت بإزاء الكرسي، فبينما أنا قائم، إذا المعتصم قد أقبل، فجلس على الكرسي، ونزع نعله من رجله، ووضع رجلا على رجل، ثم قال: يحضر أحمد بن حنبل، فأحضر، فلما وقف بين يديه وسلم عليه. قال له: يا أحمد تكلم ولا تخف. فقال أحمد: والله يا أمير المؤمنين لقد دخلت عليك، وما في قلبي مثقال حبة من الفزع. فقال له المعتصم: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله غير مخلوق، قال

---

(١) البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٢٦٩٩/٦ (٦٩٨٢).

(٢) حلية الأولياء ١٩٧/٩ بتصرف.

الله ﷻ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة:٦. فقال له المعتصم: هل عندك حجة غيرُ هذا؟ فقال أحمد: نعم يا أمير المؤمنين قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣﴾ الرحمن:١/٣. ولم يقل الرحمن خلق القرآن كما خَلق الإِنسان. وقوله ﷻ: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ يس:١/٢، ولم يقل يَس والقرآن المخلوق. فقال المعتصم: ناظروه. فلما غلبهم قال: احبسوه، فحبس وتفرق الناس [1].

وفي اليوم الثاني أحضروه إلى دار الخليفة، قال سليمان بن عبد الله: فلما أصبحت قصدت باب الخليفة، فأدخل الناس فدخلت معهم، فأقبل المعتصم وجلس على كرسيه، فقال: هاتوا أحمد بن حنبل، فجيء به، فلما أن وقف بين يديه، قال له المعتصم: كيف كنت يا أحمد في محبسك البارحة؟ فقال: بخير والحمد لله، إلا أني رأيت يا أمير المؤمنين في محبسك أمرا عجبا. قال له: وما رأيت؟ قال: قمت في نصف الليل، فتوضأت للصلاة وصليت ركعتين، فقرأت في ركعة: الحمد لله، وقل أعوذ برب الفلق، وفي الثانية: الحمد لله، وقل أعوذ برب الناس، ثم جلست وتشهدت وسلمت، ثم قمت فكبرت لكي أصلي ركعتين، وقرأت: الحمد لله، وأردت أن أقرأ: قل هو الله أحد فلم أقدر، ثم اجتهدت أن أقرأ غير ذلك من القرآن فلم أقدر، فمددت عيني في

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٣٢ بتصرف.

زاوية السجن، فإذا القرآن ميتا وجثته مغطاة، فغسلته وكفنته، وصليت عليه، ودفنته في زاوية من زوايا السجن. فقال له: ويلك يا أحمد وهل القرآن يموت؟ فقال له أحمد: أنت تقول إنه مخلوق، وكل مخلوق يموت، فقال: المعتصم قهرنا أحمد قهرنا أحمد، فقال: ابن أبي دؤاد وبشر المريسي اقتله حتى نستريح منه فقال: إني قد عاهدت الله ﷻ أن لا أقتله بسيف (١).

قال قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين هو والله ضال مضل مبتدع، وتتابع الحاضرون يلعنون ويسبون، فلم يأخذ الخليفة بتشويشهم وأهاب بهم قائلا: ناظروه وكلموه، فكانوا يتكلمون كلاما عقيما، يقدمون آراءهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال أحمد: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله ﷻ.

ثم أقبل قاضي القضاة المعتزلي أحمد بن أبي دؤاد أقبل على أحمد يكلمه ويناظره فلم يلتفت إليه لفرط جهله فهو لا يرقى للمناظرة، كما أنه قد رمى الإمام أحمد بالضلال والابتداع.

---

(١) طبقات الحنابلة ١/١٦٤، وروي ذلك أيضا لعبَّادة أيام الخليفة الواثق حيث أدخل عليه والناس يُضربون ويقتلون في الامتحان فقال: أعظم الله أجرك أيها الخليفة، فقال: في من؟ قال في القرآن؟ قال: ويحك والقرآن يموت؟ قال: نعم، أليس كل مخلوق يموت؟ فإذا مات القرآن في شعبان فمن يصلي بالناس في رمضان؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون. انظر تاريخ دمشق ٢٦/٢٢١.

قال المعتصم لأحمد: ألا تكلم أبي عبد الله بن أبي دؤاد؟ قال أحمد: لا أعرفه من أهل العلم فأحدثه. فتوجه ابن أبي دؤاد بالكلام للخليفة وقال: أقسم يا أمير المؤمنين، إن استجابة أحمد لرأي الخليفة أحبُ إليه من مائتي ألف دينار، قال المعتصم: والله لئن أجابني لأطلقنه من قيوده بيدي. ثم قال: يا أحمد إني والله عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك شفقتي على ابني هارون. قال أحمد: أعطوني شيئا من كتاب الله ﷻ.

وطال المجلس وغلب الهم على المعتصم، وانتقل من الترغيب إلى الترهيب فقال المعتصم: يا أحمد أما كنت تعرف صالح الرشيدي؟ قال أحمد: سمعت باسمه. قال المعتصم: لقد كان معلمي ومؤدبي، وكان في ذلك الموضع جالسا، وأشار إلى ناحية من القصر، فسألته عن القرآن فخالفني، فانتقمت منه. يا أحمد أجبني إلى القول بخلق القرآن حتى أطلق عنك بيدي. فأعاد أحمد قولته: أعطوني شيئا من كتاب الله ﷻ [1].

• **انقطاع حجة المعتزلة ويأس الخليفة المعتصم.**

وركب الخليفة من الهم ما ركبه، فقاموا وفضوا المجلس، وردوا الإمام أحمد إلى السجن، وكان ذلك في رمضان، فذهب إليه رجلان من أصحاب أحمد بن أبي دؤاد يناظرانه ويلزمانه بخلق القرآن، حتى إذا كان وقت الإفطار جئ بالطعام، فحاول أن يفطر فلم يستطع من

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٠ بتصرف.

شدة الإجهاد والإرهاق [(١)].

وفي الليل جاءه قاضي القضاة ابن أبي دؤاد يقول له: إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، وإن أجبته جاء إليك وفك قيودك بيديه، فلم يلتفت إليه الإمام فانصرف [(٢)].

وفي اليوم التالي أعيد أحمد إلى مجلس الخليفة، وأعادوا المناظرة، فإذا جاءوا بكلام ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله قال: ما أدري ما هذا. قال قائل منهم: يا أمير المؤمنين إذا توجهت الحجة له علينا ثبت، وإن ألزمناه بشيء يقول: ما أدري ما هذا؟

قال الإمام أحمد: لقد احتجوا عليا بشيء لا يقوى قلبي ولا ينطق لساني أن أحكيه أنكروا الآثار، وما ظننتهم على هذا حتى سمعتُه منهم. فاحتججت عليهم بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ مريم:٤٢، فقالوا: شبه يا أمير المؤمنين [(٣)].

وهم يعتقدون أن إثبات الصفات تشبيه وتمثيل، ونفيها عدل وتوحيد، فمذهبهم مبني على أمرين أساسين يحددان دوافعهم لتعطيل

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ٩/٢٠١ بتصرف، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٢٤٩. وتاريخ الإسلام للذهبي ١٨/١٠٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٣٣٤ بتصرف، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٨/١٠٣ بتصرف، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٢٤٧ بتصرف.

(٣) السابق ١٠/٣٣٤.

الكتاب والسنة:

الأمر الأول: هو قياسهم الخالق سبحانه وتعالى بالقوانين والمقاييس التي تحكم المخلوق، فلم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو خاص بالمخلوق، وهذا باطل لأن الله ﷻ منعنا أن نمثله بشيء من خلقه، وحرم علينا قياس ذاته وصفاته بذوات المخلوقين وصفاتهم، فالله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه الوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله، ثم أوجب علينا أن نثبت الصفات كما قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ الشورى:١١، فالله ﷻ وحَّد نفسه، ومع ذلك أثبت الصفات اللائقة بجلاله وكماله، فعلمنا أن استواءه ونزوله ويده ووجهه وسمعه وبصره، وكل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ مخالف في الأصل لاستواء المخلوق ونزوله ويده ووجهه وسمعه وبصره وكل ما له من صفات الذات والأفعال.

الأمر الثاني: الذي يحدد مذهب هؤلاء المبتدعة، أنهم لما نظروا إلى الخالق سبحانه وتعالى بقياس التمثيل والشمول وبنفس الكيفية للصورة البشرية، وجدوا أن الصورة التي يتخيلونها عن ذات الله وصفاته صورة قبيحة جدا فوقعوا بين نارين، إما أن يكذبوا بالنصوص الواردة في وصف الله ﷻ بتلك الصورة التي تخيلوها، ويعطلونها عن مدلولها كما فعل الجهم بن صفوان وسائر أتباعه. وإما أن يحولوا مدلول الآيات إلى أمور معنوية مجازية لا تدل على حقيقة معينة، وهذا هو الدافع المباشر لانتشار التأويل حتى عصرنا، والدفاع عنه بكل سبيل، وهو ما فعلته

المعتزلة ومن جاء بعدهم من الأشعرية، كما سنرى على اعتبار أن ذلك أخف الأمرين في اعتقادهم، فالزمخشري المعتزلي يستخدم هذا المنهج الباطل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ ق:٣٠. حيث قال: سؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته [1].

جعل الزمخشري المعتزلي قول الله ﷻ الصريح الواضح الحقيقي أمرا معنويا مجازيا لا حقيقة له، وجعله مجرد خيال لا يدل على شيء، فالله تعالى أثبت لنفسه الكلام صراحة كما يليق بجلاله، وأثبت الكلام لجهنم كما يليق بها، وإن كنا لا ندري كيف تتكلم، والزمخشري نفى ذلك وجعله مجرد خيال. ولو سألنا عن الدافع وراء ذلك لوجدنا الجواب هو قياسهم كلام الخالق على كلام المخلوق بأقيسة التمثيل والشمول، فلو كان الخالق متكلما في نظرهم لكان له لسان وفم وهذا أصل الضلال.

واحتج عليهم الإمام أحمد في مناظرته لهم بين يدي الخليفة المعتصم بحديث الرؤية الذي رواه بسنده عن قَيْس بن أَبِي حَازِمٍ عَنْ جَرِير بْنِ عَبْد الله ﷺ قَال: (كنَّا عِنْدَ رَسُول اللهِ ﷺ ليْلةَ البَدْرِ فقَال: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِن اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلبُوا على هَاتَيْنِ الصَّلاتَيْنِ قَبْل طُلوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ، ثمَ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٤/٣٩٢ نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ﭐﻟۡﻐُﺮُﻭﺏِ ٣٩﴾ ق:٣٩ [(١)].

وأحاديث الرؤية من الأحاديث المتواترة، لكن لما سمع قاضي القضاة أحمد ابن أبي دؤاد هذا الحديث انصرف متوجها إلى على بن المديني من كبار المحدثين، مستغلا أزمته ومحنته وانقطاع راتبه من الدولة لمدة عامين بسبب وقفته للحق، وعدم الاستجابة إلى القول بخلق القرآن، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وما تأخر من مستحقاته، وقال لعلى: هذه هدية من أمير المؤمنين. ثم قال له: يا أبا الحسن ما تقول في حديث الرؤية؟ قال علي بن المديني: حديث صحيح. قال قاضي القضاة: هل عندك فيه شيء؟ قال علي: يعفني القاضي من هذا. قال قاضي القضاة: يا أبا الحسن هذه حاجة الدهر، فاجعل مخرجا لضعفه، ولم يزل به حتى قال علي: في الإسناد من لا يعول عليه، ولا على ما يرويه، وهو قيس بن حازم إنما كان أعربيا. ففرح بن أبي دؤاد وذهب مسرعا إلى مجلس المعتصم يجرح قيسا، وينفي صحة الحديث، فعلم أحمد جهله لأن المحدثين جميعا يعدلون قيسا، فهو من أجود التابعين إسنادا [(٢)].

قال رجل للإمام أحمد: ما تقول في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ النساء:١١. أليس ذلك عاما في

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ٢٠٣/١ (٥٢٩)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ٤٣٩/١ (٦٣٣).

(٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج بن الجوزي ٢١٦/١١.

جميع الأولاد؟ فقال أحمد: خص الله ﷻ بها المؤمنين دون الكافرين. قال أحمد: ما تقول في الوارث إن كان قاتلا أو عبدا فسكت. قال أحمد: وإنما احتجت عليه بهذا لأنهم كانوا يحتجون بالعموم على خلق القرآن في مثل قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ الزمر:٦٢. فبينت أن السنة خصصت العموم، فأخرجت القاتل والعبد من عموم الآية [١].

ولم يزالوا به من الصباح حتى الظهر وهو صامد بقوة الله ﷻ وتوفيقه ،وإجراء الحكمة على لسانه، ليدافع عن منهج الحق، أهل السنة والجماعة، حتى غضب المعتصم واكفهر وجهه، وقام من المجلس وتركه، فردوه إلى سجنه وقيوده مرة أخرى.

- **المعتصم يأمر بجلد الإمام أحمد لإثباته صفات الله.**

وفي الصباح أدخل الإمام أحمد بن حنبل على الخليفة، وقد ملئت الدار بالحاضرين، فجعلوا ينقلونه من موضع إلى موضع، فيرى سيافين وجلادين وأناسا آخرين أعدهم المعتصم لينالوا من الإمام إذا أصر على موقفه، فلما انتهى إلى مجلس الخليفة أقعده، ثم قال للحاضرين: ناظروه وكلموه، فناظروه وكلموه وصوت الإمام يعلوا أصواتهم، وحجته تدحض شبهاتِهم حتى ضاق به المعتصم زرعا، وبلغ منه الغضب والكرب مبلغه، فوسوس الخبيث أحمد بن أبي دؤاد وهمس للخليفة قائلا: إن تركته سيقول الناس: إنك تركت مذهب المأمون ووصيته،

---

(١) حلية الأولياء ٩/٢٠٠ بتصرف.

وأنه غلب على خليفتين. فهاج الخليفة وانتصر لسلطانه، وقام إلى أحمد وقال: عليك اللعنة خذوه واسحبوه، وقيدوه وعلقوه.

ثم جلس على كرسي ونادي: أحضروا العقابين والسياط. والعقبان خشبتان منصوبتان، يربط فيهما المجلود من يديه، ويرفع عن الأرض ليبقى معلقا فيهما. فقال أحمد: يا أمير المؤمنين، الله الله، إن رسول الله ﷺ قال: (لا يَحِل دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إلا اللهُ وَأني رَسُول اللهِ إلا بِإِحْدَى، ثلاثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ للجَمَاعَةِ) [١].

وإنه ﷺ قال: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِل النَّاسَ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ على اللهِ) [٢].

يا أمير المؤمنين بم تستحل دمي ولم آت شيئا من هذا؟ يا أمير المؤمنين: تذكر وقوفك بين يدي الله ﷻ كوقوفي بين يديك، فارتجف الخليفة المعتصم من قوله، وكأنه أراد أن يعفو عنه، فقال أهل الضلال

---

(١) رواه البخاري في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف ٦/٢٥٢١ (٦٤٨٤)، ومسلم في كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم ٣/١٣٠٢ (١٦٧٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١/١٧ (٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/٥٢ (٢١).

من المعتزلة: يا أمير المؤمنين إنه كافر ضال مضل، هو والله ضال مضل مبتدع. وتتابع الحاضرون يلعنون الإمام ويسبونه. قال أحمد: فأمر بي فقمت بين الخشبتين وجئ بكرسي فوقفت عليه، فهمس إلىّ بعضهم وأمرني أن آخذ بيدي بأي الخشبتين، فلم أفهم ما قال، فتخلعت يداي ثم أمر بضربي.

كان الجلاد الذي قام بتعليق الإمام أحمد وربطه في الخشبتين ينفذ الأمر خوفا من الخليفة، فأشفق على الإمام، وهمس إليه دون أن يسمع المعتصم أن لا يترك جسده ويديه للحبل؛ لأن مفصل اليدين لا يتحمل ثقل الجسم، فأراده أن يمسك بيديه في الخشبتين، لكن الإمام أحمد علق بالخشبتين وصار بينه وبين الأرض مقدار قبضة [١].

قال الخليفة المعتصم: اضربوه، فلما ضرب أحمد رحمه الله سوطا، قال: بسم الله والحمد لله. فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق. فلما ضرب الرابع قال: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا [٢].

وقد اجتمع الناس وكبار المحدثين في الوقت الذي يضرب فيه الإمام وهم في ثورة وغضب، بعضهم خارج أسوار القصر ينتظرون خروج

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٣٣٤ بتصرف.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي١١/٢٥٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٥١، وطبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى ١/١٦٥، نشر دار المعرفة.

الإمام، وبعضهم في الطرقات يدعون للإمام بالصبر والثبات، وبعضهم في بيت عاصم بن علي، ومعهم أبو عبيد القاسم بن سلام وإبراهيم بن الليث وغيرهم .

قال عاصم بن علي: ألا يقوم رجل معي فنأتي الخليفة فنكلمه، فما يجيبه أحد من الخوف وبطش الخليفة. فقال أحدهم: أنا أقوم معك، ولكن أني لعاصم بن علي أن تأتيه الجرأة في الحق، وقد امتحن في خلق القرآن فأجاب بأنه مخلوق. وقد كانت بنات عاصم قد أرسلن لأبيهن أن يبلغ أحمد أنهن يقلن له: إن نعيك أحبُ إلينا من أن تجيب الخليفة إلى القول بخلق القرآن. وكذلك كان موقف سائر النساء من المحنة بارزا في بكائهن الشديد على الإمام، ودعائهن له بالثبات على الدوام في وجه هذا الظلم والإجرام [(١)].

وقد ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام إلى باب المعتصم يحجبه الحرس، وهو يرفع صوته بين الناس ويقول: أيضرب سيدنا ومولانا، أيضرب سيدنا ومولانا. ووقف بشر بن الحافي الصوفي خارج القصر حيرانا يدعوا الله ويقول: اللهم ثبته، اللهم ثبته، ويتابع كل من خرج من دار المعتصم ويقول له: إن كان أجاب الخليفة إلى القول بخلق القرآن أدخل فأقوم مقامه، فخرج رجل فقال: لم يجبهم فقال بِشر: الحمد الله [(٢)].

وظلت القلوب معلقة بين دعاء بالتثبيت للإمام أو دعاء على الظالمين

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢/٢٤٩ بتصرف.

(٢) السابق ١٢/٢٤٩ بتصرف.

بالانتقام، وقد أرسلوا أبا بكر المروزي ينقل أخبار المحدثين إليه وينصحه بالإجابة للخليفة تقية. فيقول له أحمد: أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء الناس. ولم يزل الإمام قائما بين العقابين والسياط تقطع جسده، كل جلاد يضرب سوطين ثم ينصرف، حتى ذهب وعيه بعد ثمانية وثلاثين سوطا، فأحدث ذلك ذعرا عند الحاشية والزبانية، فلما سكن الضرب عاد عقله مرة أخرى.

قام المعتصم حتى وقف أمامه وقال له: يا أحمد أجبني إلى القول بخلق القرآن، وأنا أطلق عنك بيدي. فقال أحمد: آتوني شيئا من كتاب الله ﷿ وأنا أجيبكم. وجعلوا يقولون له: ويحك الخليفة على رأسك. فلم يقبل عليهم بشيء، فأعادوا الضرب، ثم دعاه الخليفة مرة أخرى فلم يعقل من شدة الضرب حتى ذهب عقله وحسه، فأرعب ذلك المعتصم وأحس بقوة الحق التي تدفع الإمام أحمد إلى الصبر والثبات، فأمر به فأطلقوه [1].

وأفاق الإمام أحمد من غيبوبته فوجد القيود قد حلت من يديه ورجليه. قال له أحدهم: إنا كببناك على وجهك، وطرحنا عليك بارية ودسناك بأقدامنا [2].

وضرب الإمام أحمد رحمه الله نحو ثمانين سوطا ضربا مبرحا شديدا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٣٣٤ بتصرف، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ٩/٢٠٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٤٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/٢٥٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٨/١٠٨.

حتى سال دمه على ثيابه، وتقطع اللحم من جسده، فحملوه من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم نائب الخليفة على بغداد، وكان الإمام صائما، فجاءوا بشراب ليفطر، فامتنع من ذلك وأتم صومه، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وعشرين ومائتين.

وقد جعل الإمام أحمد كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة، وكان يتلوا في ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ النور:٢٢. وكان رحمه الله يقول: ماذا ينفعك أن يعذب المسلم بسبك وقد قال تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠ [(١)].

وقد جاءه الجراح فقطع من جسد الإمام لحما ميتا، وجعل يداويه، ونائب الخليفة يسأل عنه في كل وقت، فالخليفة المعتصم ندم على ما كان منه في حق الإمام أحمد بن حنبل ندما شديدا، وجعل يسأل النائب عنه والنائب يستعلم خبره، فلما عوفي فرح المعتصم، وفرح المسلمون بذلك.

قال الحسن بن عرفة: (دخلت على أحمد بن حنبل بعد المحنة، فقلت له: يا أبا عبد الله، قمت مقام الأنبياء، فقال لي: اسكت، فإني رأيت الناس يبيعون دينهم، ورأيت العلماء ممن كان معي يقولون ويميلون،

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٣٤.

فقلت: من أنا؟ وما أنا؟ وماذا أقول لربي غدا إذا وقفت بين يديه جل جلاله؟ فقال لي: بعت دينك كما باعه غيرك، ففكرت في أمري ونظرت إلى السيف والسوط فاخترتهما، وقلت: إن أنا مت صرت إلى ربي ﷻ فأقول: دعيت إلى أن أقول في صفة من صفاتك مخلوقة فلم أقل، فالأمر إليه إن شاء عذب، وإن شاء رحم. قال له الحسن بن عرفة: وهل وجدت لأسواطهم ألما؟ قال: نعم، وتجلدت إلى أن تجاوزت العشرين، ثم لم أدر بعد ذلك، فلما حل العقابان كأني لم أجد له ألما، وصليت الظهر قائما. قال الحسن: فبكيت، فقال لي: ما يبكيك؟ قلت: بكيت مما نزل بك، قال: طالما لم أكفر بالله فما أبالي لو تلفت) [(١)].

• ندم أهل العلم الذين قالوا بخلق القرآن تقية.

وبعد الامتحان أجاب الفقهاء الكبار إلى القول بخلق القرآن تقية، ومنهم أعلام المحدثين كيحيي بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب حيث أقرا بذلك بين يدي الخليفة المأمون، وكذلك أقر أبو نصر التمار، وهؤلاء كانوا عند الإمام أحمد في مرتبة عليا، ولم يكن يتوقع منهم سرعة الإجابة إلى القول بخلق القرآن، فكان رحمه الله يقول فيهم: لو كانوا صبروا وقاموا لله ﷻ لا نقطع الأمر وخافهم الرجل، ولكن لما أجابوا وهم عين البلد اجترأ على غيرهم [(٢)].

---

(١) طبقات الحنابلة ١/١٤٠.

(٢) السابق ١٠/٣٣٥.

وشعر كثير من أهل العلم بالندم على إجابته، وعدم الثبات على الحق في وجه الخليفة كما فعل الإمام أحمد. قال أبو معمر القطيعي بعد أن أجاب إلى القول بخلق القرآن وخرج من دار الخليفة: لو تكلمت بغلتي هذه لقالت إنها سنية. يعني أنها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في إثبات الصفات لله ﷻ على ما يليق به، لأن هذه هي الفطرة (١).

وقال سعدويه وقد حج ستين حجة، بعد أن أجاب وخرج من دار الخليفة: يا غلام قدم الدابة على مولاك، فإن مولاك قد كفر. قيل له: ماذا فعلتم؟ قال: كفرنا ورجعنا (٢).

قال أبو بكر المروذي: جاء يحيى بن معين فدخل على أحمد بن حنبل وهو مريض، فسلم فلم يرد عليه السلام، وكان أحمد قد حلف بالعهد أن لا يكلم أحد ممن أجاب حتى يلقى الله ﷻ، فما زال يعتذر ويقول: حديث عمار، وقال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ النحل:١٠٦. فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر، فقال له يحيى: لا تقبل عذرا، فخرج فخرجت بعده، وهو جالس على الباب خارج بيت الإمام أحمد، فقال: إيش قال أحمد

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٧٠، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ١/٢٣٩ نشر دار الفكر بيروت، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦/٢٧١.

(٢) النجوم الزاهرة ٢/٢٤٣، والبداية والنهاية ١٠/٣٣٥.

بعدي؟ قلت: قال: يحتج بحديث عمار، وحديث عمار قال فيه: مررت بالمشركين وهم يسبونك، فنهيتهم فضربوني، وأنتم قيل لكم نريد أن نضربكم استجبتم [(١)].

يقصد الإمام أحمد أن يحيى بن معين وباقي علماء الحديث خافوا واستجابوا لمجرد تهديد الخليفة المأمون لهم بالضرب، وقالوا بقوله في خلق القرآن، فأي وجه شبه بين حديث عمار بن ياسر ﷺ وما فعلتم. وذلك أن المشركين من بني المغيرة أصابوا عمار بن ياسر ﷺ لما نهاهم عن سب النبي ﷺ فأخذوه وعذّبوه وغطسوه في بئر ميمون حتى كاد يموت، وقالوا: اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك دون أن يشعر، وقلبه كاره، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فحدّثه بالذي لقي من قريش، فأنزل الله تعالى عذره، وبين أنه سبحانه يعاقب من أتى الكفر على اختيار واستحباب فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ النحل:١٠٦.

قال أبو بكر المروذي: فسمعت يحيى بن معين يقول: مررها يا أحمد غفر الله لك، فما رأيت والله تحت أديم السماء أفقه في دين الله منك. وقوله مررها يا أحمد، أي مرر هذه السقطة التي وقعنا فيها، وسامحنا عليها [(٢)].

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى ١/٤٠٤.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٢٥٧.

• **المعتصم يندم على تعذيب أحمد ويفتح عمورية.**

ندم المعتصم على جلده للإمام أحمد، وأرسل إليه من يتابع خبر معافاته من آثار ما فعل به، حتى صح الإمام أحمد وبرئ، وبقيت إبهاماه منخلعتين يضربان عليه في البرد، فيسخن له الماء، وقد جعل الخليفة المعتصم في حل من ذنبه إلا أهل البدعة من المعتزلة [(١)].

كانت الصلة بينهما طيبة إلى وقت وفاته وإن كانت المعتزلة لم تسأم من الوقيعة فيه عند الخليفة، وكان من بركة عفو الإمام أحمد عن المعتصم فتحه عمورية. وذلك أن ملك الروم خرج إلى بلاد المسلمين فنهب حصناً من حصونهم يقال له زبطرة، وقتل من به من الرجال وسبى الذرية والنساء، وكان من جملة السبي امرأة مسلمة هاشمية، فلطمها ملك الروم على وجهها، فاستغاثت وقالت: وامعتصماه، وامعتصماه. فقال لها هذا العلج الرومي: عساه أن يأتيك على خيل بلق، أي خيل بيضاء تطير بأجنحتها! فبلغ المعتصم ما فعله ملك الروم بالمسلمين، فاستعظمه وكبر عليه، وبلغه ما قالت الهاشمية، فقال وهو في مجلسه: لبيك أختاه، لبيك أختاه!

ونهض من ساعته وصاح في قصره: الرحيل الرحيل! ثم ركب دابته وتجهز تجهزا لم يتجهز بمثله خليفة من قبله، فقد سار في خمسمائة ألف مقاتل، وتوجه إلى أعظم بلادهم وقتها وهي عمورية، فحاصرها حتى

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى ١/٤٠٤.

فتحها، ثم هدمها وأزال آثارها كأنها لم تكن، واستنقد المرأة المسلم عزيزة بعزة الإسلام. وقال لها إذا مت: اشهدي لي عند جدك المصطفى ﷺ أني جئت لخلاصك [(١)].

وعلى الرغم من ذلك ظل أمر العقيدة أيام المعتصم والمذهب الرسمي للخلافة الإسلامية في جميع الأقطار هو مذهب المعتزلة، بسبب حاشية الخليفة، وبطانة السوء من اتباع الجهمية وعلماء الكلام، فبقيت المساجد مكتوب عليها: "لا اله إلا الله رب القرآن وخالقه". وكان الفقهاء والمحدثون وغيرهم من العلماء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ممنوعين من الجلوس في المساجد للفتيا وتبليغ العلم، والسجون مكتظة بمن أنكر على هؤلاء المعطلة الذين يعبثون بدين الله ﷻ تحت مسمى التأويل، والناس يهربون إلى البادية، ويفرون إلى البراري خوفا من البطش والقتل وفرارا بدينهم، فكم من دماء سفكت، وكم من رقاب قطعت، وكم من رؤوس علقت، وكم من قضاة وأئمة عزلت؛ لأنهم عارضوا منهج الجهمية الذي أوجبوه على كل القائمين في مؤسسات الدولة الإسلامية.

ولم يبق في الشارع العام إلا كل جبان يخاف على نفسه، فما من فقيه، أو محدث، أو إمامٍ، أو مؤذن، أو قاضٍ، أو معلم إلا ويقول راغبا

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٢/٦٣، نشر دار بن كثير، دمشق، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/٤٠، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وتاريخ ابن خلدون ٣/٣٢٧ نشر دار القلم، بيروت.

أو راهبا بنفي أوصاف الله ﷻ وتعطيلها، وأن الله ﷻ لا يرى في الآخرة ولا يشار إليه في جهة، وأن الله ﷻ لا يتكلم بكلام يسمع، وأن القرآن مخلوق، وأن تقديم العقل والهوى على كتاب الله ﷻ هو أساس التوحيد وأصل العدل.

وقد ظهر جيل جديد من الأمة شب وترعرع في هذه البيئة التي تمثل مستنقعا فكريا نتن الرائحة بسبب انتشار جيفة الأصول الخمسة لمذهب المعتزلة، مستغلين سطوة بعضِ الخلفاء، وبعض الأغَبَياءِ الذين لجموا العلماء الضعفاء من النطق بكلمة الحق، وتحصين الأمة من أفكار البدع والتشبيه والتعطيل والشرك.

• قصة أحمد بن نصر الخزاعي في إثبات الصفات.

لما كثر فساد المعتزلة وإرهابهم لعامة المسلمين سنين طويلة حتى طُمس نور الحق في توحيد أسماء الله وصفاته، وغلبت البدعة والتعطيل الذي أطلق عليه المعتزلة توحيدا، وكذلك ظهر الشرك في الربوبية وأن العباد يخلقون أفعالهم دون الله ﷻ تحت شعار الأصل الثاني من الأصول الخمسة، والمسمى عند المعتزلة بالعدل، لما فشت أفكار الضلال تلك اجتمع جماعة من العامة من أهل بغداد على عالم من علماء السلف يقال له أحمد بن نصر الخزاعي، والتف عليه من الألوف أعداد، وتطوع للدعوة مع أحمد بن نصر رجلان، أحدهما يقال له أبو هارون السراج حيث يدعو أهل الجانب الشرقي من بغداد، وآخر يقال له طالب يدعو أهل الجانب الغربي، فاجتمع عليه من الخلائق ألوف كثيرة وجماعات

غزيرة أشبهت المظاهرة العامة في بغداد.

ثم تعاهد الناس فيما بينهم أن يعيدوا الأمة إلى مذهب السنة، والقضاء على مذهب الجهمية والبدعة، فبايعوا أحمد بن نصر الخزاعي على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على الخليفة الواثق الذي تولى الخلافة بعد أبيه المعتصم، لاسيما أنه كان عنيدا مصرا على هذا المذهب الخبيث، وأيضا انتشرت الفواحش والرزائل والمعاصي بين أمرائه وحاشيته وبطانته، فتواعدوا في ليلة حددوها أن يجتمع الناس كلهم للخروج على السلطان، وهي ليلة الجمعة الموافقة للثالث من شعبان سنة مائتين وواحد وثلاثين [١].

غير أن خطأ ما حدث في خطتهم، ووشي بهم بعض المنافقين من شيعتهم، وأعلموا حرس الخليفة عن ليلتهم، فقبضوا على أحمد بن نصر وأتباعه في ليلة جمعتهم، وأرسلوا بهم إلى الخليفة في سرى من رأى، فأحضر الخليفة جماعة من الأعيان، وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي، وأحضر أحمد بن نصر الخزاعي، فلما أوقفوه بين يدي الواثق، لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بل أعرض عن كل ذلك وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله.

وكان أحمد بن نصر الخزاعي قد رتب نفسه على أنه سيقتل، فاغتسل

---

(١) السابق ٥/٢٨٣ بتصرف.

قبل أن يقبضوا عليه، وتطيب بحنوطه استعدادا للقاء ربه، وشد ثيابه على عورته حتى لا يتكشف، فقال له الواثق: فما تقول في ربك؟ أتراه يوم القيامة؟ [١].

قال يا أمير المؤمنين: قد جاءت آيات القرآن ونصوص السنة بذلك قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ القيامة:٢٢/٢٣. وقال رسول الله ﷺ: (إنكم تَروْن ربكم كما تَروْن هذا القَمر، لا تضامون في رؤيته). ونحن على تصديق الخبر. قال الواثق: تكذب على رسول الله، فقال للواثق: بل أنت الذي تكذب على رسول الله ﷺ، فقال: ويحك أيرى كما يُرى الجسم المحدود؟ ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته. فلما قال الواثق ما قال في إنكار ما ثبت عن رسول الله ﷺ، أراد أحمد بن نصر الخزاعي أن يحتقر الواثق، وأن يبالغ في إغاظته وإهانته بإثبات الصفات التي وردت في السنة والتي يرى المعتزلة أنها تشبيه وشرك وتجسيم، وظاهرها باطل مستحيل.

قال أحمد بن نصر للواثق: وحدثني سفيان بحديث يرفعه إلى رسول الله ﷺ: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ كَقَلبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ) [٢].

وكان النبي ﷺ يُكثِر أنْ يقول: (يا مُقَلبَ القُلُوبِ، ثبتْ قَلبِي على

(١) البداية والنهاية ٣٠٤/١٠ بتصرف.

(٢) مسلم في القدر، باب تصريف الله القلوب كيف شاء ٢٠٤٥/٤ (٢٦٥٤).

دِينِكَ) [١]. فقال له إسحاق بن إبراهيم وإلى الخليفة على بغداد: ويحك، انظر ماذا تقول؟ فقال: أنت أمرتني بذلك؟ فأشفق إسحاق من ذلك، وقال: أنا أمرتك؟ قال: نعم، أنت أمرتني أن أنصح للخليفة، ومن النصح له أن يثبت ما أثبته الله ﷻ لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ.

قال الخليفة الواثق لمن حوله: ما تقولون في هذا الرجل؟ فأكثروا القول فيه، فقال عبد الرحمن بن إسحاق، وكان قاضيا على الجانب الغربي من بغداد فعزل، وكان صديقا لأحمد بن نصر قبل ذلك فأقر بخلق القرآن، قال: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم. وقال آخر: اسقني دمه يا أمير المؤمنين. فقال الواثق: لابد أن يأتي ما تريد. وقال أحمد بن أبي دؤاد: هو كافر يستتاب، لعل به عاهة، أو نقص عقل. فقال الواثق: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطأي إلى هذا الكافر، الذي يعبد ربا لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها. ثم نهض إليه بالسيف وضربه على عاتقه وهو مربوط بحبل، وقد أوقفوه على نطع. ثم ضربه مرة أخرى على رأسه، ثم طعنه بالسيف في بطنه، فسقط صريعا على النطع ميتا رحمه الله [٢].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ٤٤٨/٤ (٢١٤٠)، ورواه أحمد في المسند ١١٢/٣ (١٢١٢٨)، وصححه الشيخ الألباني، انظر مشكاة المصابيح (١٠٢)، وصحيح سنن الترمذي (٢١٤٠)، وصحيح الجامع (٤٨٠١).

(٢) تاريخ الخلفاء ٢٩٦/١، وطبقات الحنابلة ٨١/١ بتصرف.

ثم قام أحد الحاضرين بسيفه فضرب عنقه وحز رأسه، ثم حملوا جثته مفصولة عن رأسه، وكان في رجليه زوج من القيود، وعليه سراويل وقميص، فعلقت الجثة في سري من رأى فصلب فيها، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياما معدودة، وفي الغربي أيضا، وعنده الحرس في الليل والنهار، وقد علقوا في أذنه رقعة مكتوب فيها: هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي، ممن قتل على يدي الخليفة الواثقِ بالله أميرِ المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه، وعرض عليه التوبة، ومكنه من الرجوع إلى الحق، فأبى إلا المعاندة والتصريح بإثبات الصفات، فالحمد لله الذي عجله إلى ناره وأليم عقابه بكفره وخروجه على الحق، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه [١].

ثم أمر الخليفة الواثق باعتقال أتباعه، فأودع نحو ثلاثين رجلا منهم في السجون، وأطلق عليهم الخليفة اسم الظلمة، ومنعوا أن يزورهم أحد، وقيدوا بالحديد، ومنعوهم من حقهم في الطعام والشراب، وسائر الحقوق الأخرى التي كانت تجري على المحبوسين حتى ماتوا [٢].

قال الحافظ ابن كثير: (وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكابر العلماء العاملين القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ذكره يحي بن

---

(١) السابق ١/٣٤١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٥٢، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥/١٧٧.

(٢) البداية والنهاية ١٠/٣٠٤.

معين يوما فترحم عليه وقال: قد ختم الله ﷻ له بالشهادة. وذكره الإمام أحمد بن حنبل يوما فقال رحمه الله: ما كان أسخاه بنفسه لله ﷻ لقد جاد بنفسه له) [(١)].

ولم تزل رأسه منصوبة في بغداد من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان في سنة إحدى وثلاثين ومائتين ٢٣١هـ، إلى ما بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين ٢٣٧هـ حين غاب ظلام الباطل، وظهرت شمس الحق، فجمع أهله بين رأسه وجثته، ودفن بالجانب الشرقي من بغداد، وكان ذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق [(٢)].

• نصرة السنة وإكرام الإمام أحمد حتى وفاته.

وقد ظهر انتقام الله ﷻ وعدله في الظالمين، ومنتُه وفضله على المؤمنين، فاستبشر الناس بولاية المتوكل خيرا؛ فإنه كان محبا للسنة وأهلها، ورفع المحنة عن الناس، وكتب إلى الآفاق ألا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن.

ثم كتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه، فاستدعاه إسحاق وأكرمه لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه، وسأله عن القرآن؟ فقال له أحمد: سؤالك هذا سؤال تعنت، أو

---

(١) السابق ١٠/٣٠٥ .

(٢) السابق ١٠/٣٠٦ .

استرشاد؟ فقال: بل سؤال استرشاد. فقال: هو كلام الله ﷻ منزل غير مخلوق، فسكن إلى قوله [١].

ولما علم أهل البدعة ظهور المودة بين الخليفة والإمام أحمد حاولوا الوشاية به، فزعموا للخليفة أنه يريد قلب نظام الحكم. وزعم رجل من المبتدعة عند الخليفة المتوكل يقال له ابن البلخي، أن رجلا من العلويين نصبه أحمد بن حنبل خليفة، وقد آواه إلى منزله، وهو يبايع الناس له في الباطن، فأمر الخليفة نائب بغداد أن يحاصر العسكر منزل الإمام أحمد من الليل، فلم يشعروا إلا والمشاعل قد أحاطت بالدار من كل جانب حتى من فوق الأسطح، فوجدوا الإمام جالسا في داره مع عياله، فسألوه عما ذكر لهم، فقال: ليس عندي علم من هذا، وليس من هذا شيء، ولا هذا في نيتي، وإني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والعلانية، وفي عسري ويسري، ومنشطي ومكرهي، وأثره على، وإني لأدعو الله ﷻ له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار، ففتشوا منزله حتى مكان الكتب وبيوت النساء وسطح المنزل وغير ذلك، فلم يروا شيئا مريبا [٢].

ولما بلغ المتوكل ذلك وعلم براءته مما نسب إليه، علم أنهم يكذبون عليه كثيرا، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم عطية من الخليفة، فامتنع من قبولها. فقال رسول الخليفة: يا أبا عبد الله إني أخشى من ردك إياها أن تقع وحشة أو قطيعة بينك وبين الخليفة، والمصلحة في قبول عطيته،

---

(١) البداية والنهاية ٣٣٧/١٠ بتصرف.

(٢) السابق ٣٣٧/١٠ بتصرف.

فوضعها عنده ثم ذهب، فلما كان من آخر الليل استدعى أحمد أهله، وبني عمه، وعياله، وقال لهم: لم أنم هذه الليلة من هذا المال، فجلسوا وكتبوا أسماء جماعة من الفقراء من أهل الحديث وغيرهم في بغداد والبصرة، ثم أصبح ففرقها في الناس، ولم يُبق منها درهما، حتى تصدق بالكيس الذي كانت فيه، ولم يعط منها لأهله شيئا، وهم في غاية الفقر والجهد [١].

وبلغ الخليفة أنه تصدق بالجائزة كلها حتى كيسها، فقال على بن الجهم: يا أمير المؤمنين إنه قد قبلها منك، وتصدق بها عنك، وماذا يصنع أحمد بالمال؟ إنما يكفيه رغيف من الخبز. فقال الخليفة: صدقت. وكان الخليفة يبعث إليه في كل يوم مائدة فيها ألوان الأطعمة والفاكهة والثلج، والخليفة يحسب أنه يأكل من ذلك، ولم يكن يأكل من ذلك شيئا بالكلية، بل كان صائما يطوي الأيام بالصوم. وقد قال بعض الأمراء للمتوكل: إن أحمد لا يأكل لك طعاما ولا يشرب لك شرابا، ولا يجلس على فرشك، ويحرم ما تشربه، فقال: والله لو قام المعتصم من قبره وكلمني في أحمد ما قبلت منه. وجعلت رسل الخليفة تفد إليه في كل يوم تستعلم أخباره وكيفية حاله، وجعل يستفتيه في أموال أحمد بن أبي دؤاد فلا يجيبه بشيء [٢].

وقد كتب رجل من المعتزلة رقعة إلى المتوكل يقول فيها: يا أمير

---

(١) السابق ١٠/٣٣٩ بتصرف.

(٢) السابق ١٠/٣٤٠ بتصرف.

المؤمنين، إن أحمد يشتم آباءك، ويرميهم بالزندقة، فكتب فيها المتوكل: أما المأمون فإنه خلط الحق بالباطل، فسلط الناس على نفسه. وأما أبي المعتصم؛ فإنه كان رجل حرب ولم يكن له بصر بالكلام. وأما أخي الواثق فإنه استحق ما قيل فيه. ثم أمر أن يضرب هذا الرجل الذي رفع إليه الرقعة مائتي سوط، فأخذه عبد الله بن إسحاق ابن إبراهيم فضربه خمسَمائة سوط، فقال له الخليفة: لم ضربته خمسمائة سوط؟ فقال: مائتين لطاعتك، ومائتين لطاعة الله ﷻ، ومائة لكونه قذف الشيخ الصالح أحمد بن حنبل [(١)].

واشتد المرض على الإمام أحمد بن حنبل، قال ولده صالح بن أحمد: كان مرضه في أول ربيع الأول سنة مائتين وواحد وأربعين، ودخلت عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو محموم ضعيف، ضيق النفس، واجتمع الناس من الأكابر والعامة بالآلاف اجتمعوا حول بيته لعيادته. وكتب الإمام أحمد وصيته، جاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد بن حنبل، أوصى أنه يشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين، وأن يحمدوه في الحامدين، وأن ينصحوا المسلمين، وأوصى أني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد

---

(١) السابق ١٠/٣٤٠ بتصرف.

نبيا. ثم أوصى بالصدقة من ماله على من شاء) [(١)].

قال أبو بكر المروذي: مرض أحمد تسعة أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا، يسلمون ويرد بيده، وتسامع الناس بمرضه، وتكاثروا على بيته، وسمع السلطان بكثرة الناس، فوكل الحرس ببابه وعلى أبواب الشوارع المؤدية إلى بيته من شدة الزحام، وتحقيقا للنظام، فكان الناس متوافدين عليه في الشوارع والمساجد حتى أغلق بعض الباعة متاجرهم. وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه ربما دخل من بعض الدور وطرز الحياكة، وربما تسلق بعض المنازل.

وجاء أصحاب الأخبار وهم في منزلة الصحفيين والمراسلين في وقتنا فقعدوا على الأبواب، وجاءه حاجب الأمير فقال: إن الأمير يقرئك السلام، وهو يشتهي أن يراك، فقال: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره [(٢)].

قال صالح بن أحمد: ودخل على أبي مجاهد بن موسى فقال: يا أبا عبد الله قد جاءتك البشرى، هذا الخلق يشهدون لك، ما تبالي لو وردت على الله ﷻ الساعة، وجعل يقبل يده ويبكي، ويقول: أوصني يا أبا عبد الله ﷺ، فأشار إلى لسانه [(٣)].

---

(١) تاريخ دمشق ٥/٣٢٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/٣٣٦ بتصرف.
(٣) السابق ١١/٣٤١ بتصرف.

وكان أصحاب الخبر يكتبون إلى العسكر في الثغور، والبريد يتواصل كل يوم، وجاء بنوا هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه، ودخل عليه شيخ فقال له: اذكر وقوفك بين يدي الله ﷻ، فشهق أبو عبد الله وسالت دموعه. ثم أشار إلى أهله أن يوضئوه، فجعلوا يوضئونه وهو يشير إليهم أن خللوا أصابعي، وهو يذكر الله ﷻ في جميع ذلك، فما أكملوا وضوءه توفى رحمه الله [1].

صاح الناس بالدعاء، وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجت، ولا ترى الشوارع إلا وقد امتلأت، والناس يدعون له ويترحمون عليه، فرحمه الله رحمة واسعة. وقد أمر الخليفة أن يبعثوا له الكفن، فرده أولاد الإمام وقالوا: إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره، وأبوا أن يكفنوه بهذه الأكفان، وكفنوه بثوب غزلته جاريته. وخرج الناس بنعشه، والخلائق من حوله لا يعلم عددهم إلا الله ﷻ، وقد اجتمع عليه من الناس قرابة المليونين ونصف للصلاة عليه. وقد صلى عليه خلق كثير عند القبر بعد أن دفن، لعدم اتساع المكان في المسجد، ولم يستقر في قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر، وذلك لكثرة الخلق الذين اجتمعوا عليه من كل مصر [2].

وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول: قولوا لأهل البدع، بيننا وبينكم يوم الجنائز. ويعني أن أهل العلم يحمدون عند موتهم بذكر موقفهم من

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٤١ بتصرف.

(٢) السابق ١٠/٣٤١، وانظر سير أعلام النبلاء ١١/٣٤١ بتصرف.

التمسك بالسنة ومحاربة البدع، والتفاف الناس حول آرائهم. وقد بدا ذلك جليا يوم موت الإمام أحمد، فلا تعرف جنازة في الجاهلية ولا في الإسلام كجنازة الإمام أحمد من كثرة من حضرها. قال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أن جمعا في الجاهلية ولا في الإسلام اجتمعوا في جنازة أكثر من الجمع الذي اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل (١).

هذا إكرام الله لعباده المؤمنين وإنعامه على أوليائه الموحدين في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ الرعد:٢٢.

وقال سبحانه: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ النحل:٩٦.

- **نصرة السنة وانتقام الله من دعاة البدعة.**

لقد جعل الله ﷻ في قصة الإمام أحمد ومن ناصره على التمسك بالسنة آية شاهدة على عدل الله ﷻ في الظالمين الذين استخدموا قوة الدولة لإرهاب الموحدين، وقتل من خالفهم من عامة المسلمين وخاصتهم، فانظر كيف ظهر انتقام الله ﷻ لأهل الإيمان من أهل الظلم والطغيان؟

دخل عبد العزيز الكتاني على الخليفة المتوكل فقال: يا أمير المؤمنين،

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٤٠ بتصرف.

ما رأيت أعجب من أمر الواثق، قتل أحمد بن نصر الخزاعي، وكان لسانه يقرأ القرآن، فوجل المتوكل من كلامه، وساءه ما سمع في أخيه الواثق، فلما دخل عليه وزير الواثق محمد بن عبد الملك بن الزيات، وكان قد حضر قتل أحمد الخزاعي، قال له المتوكل: في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين، أحرقني الله بالنار، إن أمير المؤمنين الواثق قتله كافرا مرتدا. ودخل عليه هرثمة وكان قد حضر التمثيل بجثة أحمد بن نصر الخزاعي، فقال له المتوكل: في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر فقال هرثمة: يا أمير المؤمنين، قطعني الله إرباً إربا، إن أمير المؤمنين الواثق قتله كافرا مرتدا. ودخل عليه الخبيث قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد فقال له المتوكل: في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين، ضربني الله بالفالج أو الشلل إن أمير المؤمنين الواثق قتله كافرا مرتدا [1].

وقد تم عدل الله ﷻ فيهم وهم أحياء، فقد أمر الخليفة المتوكل بالقبض على الوزير ابن الزيات وزير الخليفة الواثق، فطلبه الجند ليحضر إلى الخليفة، فركب إليه بعد غدائه، وهو يظن أن الخليفة بعث إليه يوليه كما كان في عهد أخيه الواثق، فانتهى به الرسول إلى دار أمير الشرطة، فاعتقلوه وقيدوه، وأخذوه على الفور إلى منزله، وأخذوا جميع ما فيها من الأموال واللآلئ والجواهر والجواري والأثاث، ووجدوا في مجلسه الخاص آلات الشرب وكاسات الخمر.

---

(١) المنتظم ١١/١٦٨، والبداية والنهاية ١٠/٣٠٦، تاريخ بغداد ٥/١٧٨بتصرف.

وأمر المتوكل أيضا بمصادرة أمواله ومحاصيله وضياعه بمدينة سر من رأى، ثم أمر جنده أن يعذبوه، كما عذب العلماء وحرض على ضربهم وقتلهم وصلبهم وتعليق رؤوسهم. ثم منعوه من الكلام، ونخسوه بالحديد كلما أراد أن ينام، ومكث على هذا الحال عدة أيام، ثم وضعوه بعد ذلك على خشب فيه مسامير، وأوقفوه عليه، ومنعوه من الجلوس أو النوم. ثم أحرقوه في فرن أو تنور، ثم أخرجوه من التنور مشويا وكان فيه رمق، فضرب على بطنه، ثم على ظهره حتى مات، ثم سلموا جثته إلى أولاده فدفنوه، فنبشت الكلاب جثته، وأكلت ما بقي من لحمه وجلده. وقد سبق أن الخليفة المتوكل سأله عن قتل أحمد بن نصر الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين، أحرقني الله بالنار، إن أمير المؤمنين الواثق قتله كافرا مرتدا، قال الخليفة المتوكل: فأنا أحرقته بالنار [(١)].

ماذا حل بالظالمين الآخرين الذين أفسدوا على المسلمين عقيدتهم بأهوائهم وتأويلاتهم الفاسدة؟

بعد مهلك الوزير ابن الزيات، أخرج الخليفة المتوكل رأس الفتنة

---

(١) البداية والنهاية ٣٠٦/١٠، وهذا الفعل من المتوكل لا يجوز لأنه قد ثبت عند أبي داود وصححه الألباني من حديث مُحَمَّد بْن حَمْزَةَ الأَسْلَمِي عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَّرَهُ عَلَى سَرِيَّةٍ قَالَ: فَخَرَجْتُ فِيهَا، وَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فُلاَنًا فَاحْرِقُوهُ بِالنَّارِ، فَوَلَّيْتُ فَنَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فُلاَنًا فَاقْتُلُوهُ وَلاَ تُحْرِقُوهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ. انظر سنن أبي داود كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار ٥٤/٣ (٢٦٧٣)، وانظر صحيح أبي داود ٥٠٨/٢ (٢٣٢٧).

أحمد ابن أبي دؤاد من مدينة سر من رأى إلى بغداد، وذلك بعد أن أشهد عليه نفسه ببيع ضياعه وأملاكه ورد أمواله إلى بيت المال، فاهتم واغتم وأصابه الشلل، وأصبح عبرة للناس ببدعته، لا يجد من يقوم على خدمته، أو مساعدته في قضاء حاجته، وسقاه الله ﷻ من الكأس الذي أذاقه للإمام أحمد بن حنبل حين حبسه في قيود كثيرة ثلاث سنوات ليعجز الإمام أحمد عن قضاء حاجته وتطهير نفسه، وقد بقي أحمد بن أبي دؤاد مشلولا أربعة أعوام، وكل من يراه يقول انتقام الله للإمام العالم الجليل أحمد بن حنبل، والشهيد الكبير أحمد بن نصر الخزاعي، فقد ظل هذا الخبيث الذي أذاق الأمة ألوان البدع والابتلاءات يصارع الألم والمرض حتى مات، وهو الذي قال: أصابني الله بالشلل، إن أمير المؤمنين الواثق قتله كافرا مرتدا. لما سأله الخليفة المتوكل عن قتل أحمد بن نصر الخزاعي [١].

ولما رأى هرثمة المعتزلي ما حدث لرفقائه في المذهب الاعتزالي فر هاربا متخفيا، فمر دون أن يدري بقبيلة خزاعة، وتلك قبيلة أحمد بن نصر الخزاعي، فعرفه رجل من الحي، فقال بأعلى صوته: يا معشر خزاعة، هذا هو الذي قتل ابن عمكم أحمد بن نصر وقطع رأسه، فاجتمعوا عليه، وقطعوه إرباً إربا، قطعوا أوصاله، ولم يتركوا شيا من جثته إلا مزقوها [٢].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٠٦ بتصرف .

(٢) السابق ١٠/٣٠٦ بتصرف .

وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ غافر:٥١. وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّـٰلِمُونَ﴾ إبراهيم:٤٢.

إن القرآن الكريم له منزلة في قلوب المسلمين لا يزعزعها قوة ظالم، ولا يزلزلها بدعة غاشم، مهما فعل المبتدعون ومهما أيدهم الظالمون، فهو كلام الله ﷻ المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، والمكتوب في المصاحف، والمنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، والمبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس، وقد تلقاه النبي ﷺ بحروفه وألفاظه عن رب العزة، وتلك مسألة مسلمة عند جميع الصحابة والتابعين وأئمة السلف الصالحين.

أما أتباع الجهمية من المعطلة والمبدعة فقد أحدثوا بدعة كبرى تبناها أهل الضلال، وزعموا فيها أن الله ﷻ لا يتكلم، ولم يتكلم بالقرآن، وأن الذي تكلم بحروفه وأصواته هو جبريل أو محمد ﷺ، وبنوا على هذا الأصل الفاسد أن القرآن مخلوق لأن كلام المخلوق مخلوق.

وقد كانت بداية المحنة التي فرضها خلفاء السوء من المعتزلة أبناء الجهمية سنة ٢١٨ هـ، واستمرت أيام الخليفة المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق بن المعتصم، ثم رفعت في عهد المتوكل بن المعتصم سنة ٢٣٢هـ، ذلك الخليفة الذي انتصر لأهل السنة وأكرم إمامهم، الإمام أحمد بن حنبل، وأنهى عهد البؤس الذي سيطرت فيه المعتزلة على الحكم، وفرضوا عقائدهم بالقوة والظلم.

غير أن أمور العقيدة لم تعد على نقائها فيما سلف، بل تشبعت بالآراء الكلامية، والفلسفات العقلية في القضايا الغيبية حتى أصبح النقاء الذي عرف به مذهب السلف قبل المحنة فيه دخن، فقد كان الواقع يعج بالفرق والأحزاب والطوائف المتعددة، التي نتجت عن جيل البدعة والجرأة على تعطيل السنة، ونفي أوصاف الله ﷻ، ومن نظر في كتب الفرق واختلافات المتكلمين التي أعقبت المحنة، وجد من الفوضى الفكرية والأمراض الكلامية ما يصعب تتبعها، أو فهم العلة من الخوض فيها.

وفي خضم تلك المعمعة الفكرية والمعارك العقلية، ولد أبو الحسن الأشعري الذي تنسب إليه فرقة الأشعرية، وهو علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، نشأ بالبصرة يتيما، فتزوجت أمه رجلا من شيوخ المعتزلة يقال له أبو علي الجبائي، فتربى في حجره، وتعلم من فنه في نفي صفات الله [(١)].

وقد وكان واقع المسلمين الفكري ملوثا بعلم الكلام كما وصفناه، فقد وجد أبو الحسن الأشعري منذ نشأته ساحة من الفكر الكلامي الاعتزالي كالوباء الذي يصعب تحديد مصله، فأخذ ينظر فيها ويقيّمُها، ويجمع أقوال الضالين ويدققها، حتى ألف في ذلك كتابا كبيرا سماه: "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" ووصل إلى قناعة خاصة بيَّن فيها بصورة واضحة أن الأدلة العقلية تكافأت عنده في العقائد الغيبية،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣٤٧.

ولم يترجح عنده شيء من الآراء الاعتزالية، بل وجدها آراء سقيمة، واعتقادات بدعية، وجاهلية عقلية عقيمة (١).

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري أنه كان نائما في ليلة من شهر رمضان فرأى النبي ﷺ في المنام، فقال له: يا علي انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق، فلما استيقظ دخل عليه أمر عظيم، ولم يزل مفكرا مهموما حزينا، ما المقصود بتلك الرؤية ؟ وما المراد منها ؟ ثم بعد أيام رأى النبي ﷺ مرة ثانية في المنام فقال له: يا علي ما فعلت فيما أمرتك به ؟ فقال أبو الحسن الأشعري: يا رسول الله، وما عسى أن أفعل وقد خرجت مذاهب الفقه المروية عنك على محامل صحيحة ؟ فقال لي: انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق، فاستيقظ وهو شديد الأسف والحزن، وعلم أن النبي ﷺ يقصد نصرته في باب العقيدة، والدفاع عما ورد في الكتاب والسنة بالدلالات العقلية، فأجمع على عدم الخوض في تتبع الآراء الكلامية، والنظر في الطريقة السلفية، وأن يكثر من تلاوة الآيات القرآنية، وأن يلم بالأحاديث النبوية في سائر الأمور الاعتقادية.

قال أبو الحسن الأشعري: فلما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان وكان من عادتي أن أسهر في تلك الليلة، أخذني من النعاس ما لم أتمالك معه السهر، فنمت وأنا أتأسف على ترك القيام، فرأيت النبي ﷺ مرة ثالثة، فقال لي: يا علي ما صنعت فيما أمرتك به؟ فقالت: يا رسول

---

(١) السابق ٣/٣٤٨.

الله، قد تركت الكلام والمتكلمين ولزمت كتاب الله ﷻ وسنتك، فقال لي: أنا أمرتك بنصرة المذاهب المروية عني فإنها الحق، قال: فقلت: يا رسول الله: كيف أدع مذهبا تصورت مسائله، وعرفت دلائله منذ ثلاثين سنة لرؤيا رأيتها ؟ فقال لي: إن الله ﷻ سيعينك ويمدك بمدد من عنده، فاستيقظت وقلت في نفسي: وماذا بعد الحق إلا الضلال، وأخذ في نصرة الآيات والأحاديث التي وردت في إثبات الاستواء وعلو الله ﷻ على خلقة، ورؤية المؤمن لربه، وأنواع الشفاعة بعد الممات، وإثبات سائر الصفات، وفتح الله ﷻ عليه من الأدلة والبراهين بما لم يسمعه أحد من المعاصرين له [1].

وروي أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله أقام على المذهب الاعتزالي أربعين سنة بحكم تربيته في حجر أبي علي الجبائي، فلما شرح الله ﷻ صدره لاتباع المذهب السلفي غاب عن الناس في بيته أسبوعين، ثم خرج إلى المسجد الجامع وصعد المنبر وقال: معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتابي هذا "الإبانة عن أصول الديانة"، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وخلع ثوبا كان عليه ورمى به [2].

وقد ذكر البيهقي في ترجمة أبي الحسن الأشعري أنه لم يحدث في دين

---

(١) السابق ٣/٣٤٩.

(٢) السابق ٣/٣٤٨.

الله ﷻ حدثا، ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين والأئمةِ من بعدهم في أصول الدين فنصرها وأيدها، بزيادة شرح وتبيين، وأن ما قالوه وجاء به الشرع في الأصول صحيح في العقول، بخلاف ما زعم أهل الأهواء، أن بعضه لا يستقيم في الآراء، فكان يعمل في بيانه وثبوته، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة، كأبي حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة، والأوزاعي وغيره من أهل الشام، ومالك والشافعي من أهل الحرمين، ومن نحا نحوهما من أهل الحجاز، وغيرها من سائر البلاد، وكأحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث والليث بن سعد وغيره، وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري إمامي أهل الآثار، وحفاظ السنن التي عليها مدار الشرع.

وحين كثرت المبتدعة في هذه الأمة، وتركوا ظاهر الكتاب والسنة، وأنكروا ما ورد من صفات الله تعالى، وجحدوا المعراج وعذاب القبر والميزان، وأن الجنة والنار مخلوقتان، وأن أهل الإيمان يخرجون من النيران، وما لنبينا ﷺ من الحوض والشفاعة، وما لأهل الحنة من الرؤية، وأن الخلفاء الأربعة كانوا محقين فيما قاموا به من الولاية، وزعموا أن شيئا من ذلك لا يستقيم على العقل، ولا يصح على الرأي، أخرج الله ﷻ من نسل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه إماما قام بنصرة دين الله ﷻ، وجاهد بلسانه وبيانه كل من صد عن سبيل الله ﷻ، وزاد في التبيين لأهل اليقين أن ما جاء به الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف هذه

الأمة أمر مستقيم على العقول الصحيحة [١].

• الفرق بين اعتقاد الأشعري وعقيدة المتكلمين الأشعرية

ظهر المذهب الأشعري بعد عصر المعتزلة متبنيا بعض الأصول العقلية الاعتزالية، واستمر من وقتها حتى الآن. وبعد استقراء ما تركه أبو الحسن الأشعري من تراث، ومقارنته بما ورد في أقول العلماء الذين انتسبوا إلى المذهب الأشعري، تبين أن الفرق واسع بين عقيدة الأشعري، والمنتسبين إليه من المتكلمين الأشعرية الذين يزعمون أنهم هم أهل السنة والجماعة، بل بينهما بون شاسع، فقد نصر أبو الحسن الأشعري ما كان عليه السلف الصالح ومنع التأويل، ودافع عن مذهبهم وحارب البدعة بالنصوص النقلية وملكاته العقلية، أو بمعنى آخر استخدم عقله وخبرته في علم الكلام لنصرة النصوص وإثباتها.

وذلك خلاف ما عليه علماء الأشعرية من وقتها حتى اليوم في كثير من المؤسسات التعليمية، فهم بزعمهم قالوا: نصالح أو نوفق أو نقرب بين طريقة السلف في تصديق خبر الله ﷻ الذي ورد به النص القرآني النبوي، والمنهج الاعتزالي الكلامي العقلي الذي يصدق من القرآن والسنة ما يوافق العقل ويعطل بالتأويل ما يخالفه، فأخذوا طريقة المعتزلة التي قرروا بها الأصول الخمسة، والمبنية على تقديم العقل على النقل، ثم نظروا بها إلى نصوص الكتاب والسنة، فما وافق أصولهم أخذوه وما

---

(١) السابق ٣/٣٩٧.

خالفها عطلوه بالتأويل، ولو كان باطلا، فأظهروا لنا منهجا مسخا مشوها مخنثا، مذبذبين فيه لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، وهو في حقيقته أشد تعقيدا من مذهب المعتزلة؛ لأن رؤيتهم العقلية لا تثبت لله إلا خمس صفات سلبية فقط، وسبع صفات معنوية فقط، وما عدا ذلك مما ورد من النصوص الخبرية فهي نصوص موهمة للتشبيه والجسمية وإثباتها لله كما أثبتها لنفسه ضلال مبين.

وقد كان الإمام أبو الحسن الأشعري دائما ما يفند مذهب المعتزلة ليثبت نصوص السنة، فقد كان منهجه منهجا قرآنيا نبويا يقدم فيه النقل على العقل، ويبذل ما استطاع من الجهد ليثبت ما أرده الله ورسوله ﷺ من النصوص، فخلف لنا اجتهادات رائعة في إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وقد تقدم الحديث عن منهجه بما يغني عن إعادته.

أما الأشعرية بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، فأئمة مذهبهم وضعوا أصوله وأركانه، وطوروا مذهبا عقليا هجينا مترهلا هشا مسخا مخنثا نسبوه ظلما وزورا للإمام أبي الحسن الأشعري هو منه براء. وذلك لأن هذا المذهب المنسوب إليه تعددت فيه الآراء الكلامية المخلوطة بالفلسفية العقلية اليونانية لتكون خليطا من أصول المذهب الاعتقادية، فلم يقم هذا المذهب الباطل على منهج أبي الحسن الأشعري الذي وضعه في كتابه الإبانة أو بقية كتبه، وإنما قام على أصول مبتدعة شأنهم فيها شأن المعتزلة، فبدا مذهبهم مذهبا يعبر عن معتزلة جدد، هيمنوا على العالم

الإسلامي من وقتها إلى الآن.

ومن أبرز أئمة هذا المذهب الأشعري السقيم القاضي أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد (ت:٤٠٢هـ) وهو من كبار علماء الكلام، وأبو إسحاق الإسفراييني (ت:٤١٨هـ)، وأبو القاسم القشيري صاحب الرسالة القشيرية (ت:٤٦٥هـ)، وأبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي الفيروز أبادي الشيرازي (ت:٤٧٦هـ)، وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٤٧٨هـ)، وأبو حامد الغزالي الصوفي (ت:٥٠٥هـ).

ومن أشدهم وأخطرهم قبل توبته وعودته لمذهب السلف فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، وهو أبو عبد الله محمد الطبرستاني الرازي الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب، كان فقيها شافعيا، قال عنه ابن خلكان: (إنه فريد عصره، ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات) [(١)].

واعتقاد الرازي هو المعبر عن المذهب الأشعري في مرحلته الأخيرة، تلك المرحلة السائدة الآن في البلاد الإسلامية والمقررة على طلاب المعاهد والجامعات الإسلامية حيث خلط الكلام بالفلسفة.

قال فيه الحافظ ابن حجر رحمه الله: (الفخر بن الخطيب صاحب التصانيف رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عري من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، نسأل الله أن

(١) وفيات الأعيان وأنباء الزمان ٩/٢٤٩.

يثبت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب "السر المكتوم في مخاطبة النجوم"، وهو سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى) [(١)].

ومصدر التلقي عند الأشعرية ليس مبدأه الكتاب والسنة كما هو الحال عن أبي الحسن الأشعري وسائر علماء السلف، بل أساسه القواعد المظلمة لعلم الكلام، ولذلك فإنهم يقدمون العقل على النقل عند توهم التعارض في نصوص القرآن والسنة، كما أنهم لا يحتجون بأحاديث الآحاد على تقرير الاعتقاد حتى لو ثبتت في الصحاح؛ فهي عندهم لا تفيد اليقين في أمور الاعتقاد، ولا مانع عندهم من الاحتجاج بها في الصلاة أو بقية الأحكام، أو يأخذونها إن كانت لتقوية مذهبهم وتثبيت أصولهم، أو فيما لا يعارض قوانينهم في الصفات السلبية الخمس، أو الصفات المعنوية السبع. أما الأحاديث المتواترة لو عارضت أصولهم العقلية فيجب تأويلها بأي وسيلة، مقبولة كانت أو غير مقبولة.

ولا يخفى مخالفة هذا المذهب لما كان عليه السلف الصالح أصحاب القرون الفاضلة، ومن سار على دربهم، فجميع أصحاب النبي ﷺ صدقوا خبر الواحد ولم يكذبوه.

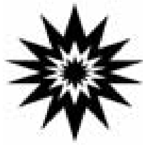
قال أبو طالب المكي رحمه الله: (فإنا قوم متبعون نقفوا الأثر غير مبتدعين بالرأي والمعقول نرد به الخبر، وفي رد أخبار الصفات بطلان شرائع الإسلام من قبل أن الناقلين إلينا ذلك، هم ناقلو شرائع الدين

---

(١) لسان الميزان ٤/٤٢٦.

وأحكام الإيمان، فإن كانوا عدولا فيما نقلوه من الشريعة، فالعدل مقبول القول في كل ما نقلوه، وإن كانوا كذبوا فيما نقلوا من إخبار الصفات، فالكذب مردود القول في كل ما جاء به) [1].

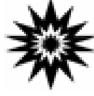
والقصد أن منهج أبي الحسن الأشعري منهج سلفي قائم على تصديق كل خبر ورد في الكتاب، أو صح في السنة على وجه اليقين، وتنفيذه الأمر على وجه الكمال، فقد سعى بكل حجة نصية، أو عقلية إلى إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وما أثبته رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فحقيقة مذهبه امتداد لمنهج السلف الصالح في التعامل مع نصوص الوحي.



(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبى طالب المكي ٢/١٢٤.

المطلب العشرون

معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى عند الشيخ ابن عثيمين



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فإن شرف العلم مقترن بشرف المعلوم، وعلم توحيد الله في أسمائه وصفاته هو أشرف العلوم، فلن نجد له سميا بين سائر العلوم، بل تزداد المعرفة بالله ﷻ شرفا إن كان العلم بأسمائه وصفاته بجميع دقائقه وتفصيلاته مصدره من الله ﷻ الذي نسعى إلى معرفته، فعرفنا الله ﷻ بنفسه في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ، وبدأ كتابه الكريم باسم الله الرحمن الرحيم، لنحمد الله رب العالمين على أنه منَّ علينا بنعمة معرفته، ومعرفة أوصافه وأفعاله من وراء هذا العالم بأسره.

يخلق الله ﷻ في الكون ما يشاء بقدرته المطلقة التي دل عليها اسمه القدير، ويقلب أموره ويدبرها كيف شاء بحكمته المطلقة التي دل عليها اسمه الحكيم، فنتدبر آثار أسماء وصفاته، ونعلم أنه الرحمن الرحيم الحي القيوم العلي العظيم الذي ليس كمثله شيء في مخلوقاته.

وقد أمرنا الله ﷻ في كتابه أن ندعوه بأسمائه الحسنى فقال: ﴿وَلِلَّهِ

ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠.

وأنزل الله ﷻ في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ جملة من أسمائه لندعوه بها، فقد ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إنّ لله تسْعَة وتسْعِين اسْمًا مِائة إلا واحِدًا، مَنْ أحْصَاهَا دَخَل الجنة) [١].

ويعتبر إحصاء الأسماء الحسنى وجمعها بنصوصها من الكتاب والسنة قضية لها من الأهمية والمكانة في قلوب المسلمين ما تتطلع إليه نفوس الموحدين، وتتعلق بها ألسنة الذاكرين، ويرتقي الطالبون من خلالها مدارج السالكين.

قال ابن القيم رحمه الله: فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها [٢].

ونحاول في هذا المطلب بإذن الله ﷻ أن نتعرف على منهج القرآن

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ٢٦٩١/٦ (٦٩٥٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٢٠٦٣/٤ (٢٦٧٧).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ١٧١/١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

والسنة الذي يمثل معتقد السلف الصالح في معرفة أسماء الله الحسنى، ومعرفة الضوابط التي يمكن من خلالها استخراجها وإحصاؤها من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

وسوف نستخلص الضوابط التي التزمها العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وفق ما التزمه في منهجه من قرآن وسنة بفهم سلف الأمة في كتابه القيم: " القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى". وذلك لما له من منزلة كبيرة في قلوب أهل الحق المعاصرين، مع بعض التوسع الذي يقتضيه الأمر بتصرف منا لبيان الحجة للدارسين، ونتعرف بتلك القواعد على منهجه في تتبع الأسماء الحسنى وإحصائها، وذلك من خلال النقاط التالية:

- **أسماء الله تعالى كلها حسنى وكلها عظمى.**

ومعنى أن أسماء الله ﷻ حسنى أنها مطلقة في الدلالة على الحسن، فهي الأحسن على الإطلاق؛ لأنها دلت على الله ﷻ الغني بذاته عمن سواه، فهي بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠. وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالا ولا تقديرا.

مثال ذلك: اسم الله الحي، فهو اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ البقرة:٢٥٥.

ومثال آخر: اسم الله العليم فهو اسم من أسماء الله ﷻ متضمن للعلم الكامل، الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢ ﴾ طه:٥١/٥٢.

ومثال ثالث: اسم الله الرحمن فهو اسم من أسماء الله ﷻ متضمن للرحمة الكاملة، روى البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (قَدِمَ عَلى النَّبيِّ ﷺ سَبيٌ، فَإِذا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبيِ قَدْ تحْلب ثدْيَهَا تسْقِي، إِذا وَجَدَت صَبيًّا فِي السَّبي أَخَذَتهُ فَأَلصَقَتهُ ببطْنِهَا وَأَرْضَعَتهُ، فَقَال لنَا النَّبيُّ ﷺ: أَترَوْنَ هَذهِ طَارحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلنَا: لا، وَهِيَ تقْدِرُ عَلى أَنْ لا تطْرَحَهُ. فقَال: للهُ أَرْحَمُ بعِبادِهِ مِنْ هَذهِ بوَلَدِهَا) (١) .

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٢٢٣٥/٥ (٥٦٥٣)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٢١٠٩/٤ (٢٧٥٤).

فوق كمال.

مثال ذلك: العزيز الحكيم؛ فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرا، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران:١٨.

وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم:٤.

فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم.

والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم، فيظلم ويجور ويسيء التصرف.

وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته؛ فإنهما يعتريهما الذل.

قال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ النحل:٦٠.

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ الروم:٢٧ .

• أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، لابد فيها من شرط العلمية والوصفية معا، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ الإسراء:١١٠. فجميع أسماء الله ﷻ تدل على مسمى واحد وهو الله تعالى.

أما الاعتبار الثاني وهو ما دلت عليه من المعاني، فهي متباينة ومختلفة لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص فالحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم، كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا، فلا بد في أسماء الله الحسنى من العلمية والوصفية معا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها كما في قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ الزمر:٥٣. فاسم الله الرحيم ورد علما على ذات الله ﷻ.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ

﴿ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ الكهف:٥٨. فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة.

ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر.

وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل، وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة وهكذا .

وبهذا أيضا علم أن الدهر ليس من أسماء الله تعالى؛ لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، فهو اسم بلا وصف، كما أنه من إضافة المخلوق لخالقه؛ لأنه اسم للوقت والزمن.

قال الله تعالى عن منكري البعث: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ الجاثية:٢٤. وهم يريدون مرور الليالي والأيام.

أما ما ورد من حديث أَبِي هريرة ﷺ أن رسول الله قال ﷺ: (قَالَ اللَّهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (١). فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى؛ وذلك

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة حم الجاثية ، باب وما يهلكنا إلا الدهر ٤/١٨٢٥ (٤٥٤٩)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر ٤/١٧٦٢ (٢٢٤٦).

أن الذين يسبون الدهر، إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله: وأنا الدهر، ما فسره بقوله: بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه.

وقد بين أنه يقلب الليل والنهار، وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلب بكسر اللام هو المقلب بفتحها، وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله تعالى .

- **دلالة الأسماء تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.**

مثال ذلك اسم الله الخالق يدل على ذات الله ﷻ وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام. ولهذا لما ذكر الله خلق السموات والأرض فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ الطلاق:١٢. قال بعدها: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ الطلاق:١٢.

ودلالة الالتزام مفيدة جدا لطالب العلم إذا تدبر المعنى، ووفقه الله تعالى فهما للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

- **أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها.**

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة،

فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء:٣٦. وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف:٣٣.

ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص .

وعليه فإن العقيدة الصحيحة التي عليها العلامة ابن عثيمين، والمعبرة عن منهج السلف الصالح أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص دون زيادة أو نقصان، ولا يجوز أن نشتق لله ﷻ من أوصافه وأفعاله ما نشاء من الأسماء، فنستحدث لله ﷻ اسما ليس أزليا ولا أبدا، فدورنا تجاه أسماء الله الحسنى الإحصاء، ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء.

ولا عبرة بمن يعبث بعقله جهلا بمذهب السلف، فيزيد في أسماء ربه وينقص، مدعيا أنه رأى كمالا في اسم استحدثه من فعل فاشتقه لله ﷻ ، أو رأى نقصا وإيهاما في اسم استبعد اشتقاقه من فعل من أفعال الله ﷻ، ثم يرجح هذا المسلك الجهمي الاعتزالي العقلي، ثم

يزعم أنه لا ينافى التوقيف، وأن الصحيح الذي عليه عامة السلف أنهم يصححون الاشتقاق بشرط أن يكون المعنى صحيحا دالا على الكمال، ولا يوهم نقصا بوجه من الوجوه. فيجعل الستير الذي ورد به التوقيف نصا ستارا، لأنه رأى بعقله أن اسم الستار قريب جدا في المعنى من اسم الستير، وأجاز تسمية الله بالمنعم اشتقاقا من الفعل أنعم الذي ورد في القرآن! وهكذا يزيد في أسماء الله ما يشاء، أو ينقص منها ما يشاء تحت ادعاء أنه رأى ذلك كمالا عقليا لا يوهم نقصا .

• **أقوال العلماء في أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص.**

١- اشتهرت مناظرة بين أبي الحسن الأشعري (ت:٣٢٤هـ) وشيخه أبي على الجبائي المعتزلي عندما دخل عليهما رجل يسأل: هل يجوز أن يسمى الله تعالى عاقلا؟ فقال أبو علي الجبائي: لا يجوز؛ لأن العقل مشتق من العقال وهو المانع، والمنع في حق الله محال، فامتنع الإطلاق، فقال له أبو الحسن الأشعري: فعلى قياسك لا يسمى الله ﷻ حكيما؛ لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام، وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج، ويشهد لذلك قول حسان بن ثابت ﷺ:

فنحكم بالقوافي من هجانا : ونضرب حين تختلط الدماء

وقول الآخر:

أبني حنيفة حكموا سفهاءكم : إني أخاف عليكمُ أن أغضبا

والمعنى نمنع بالقوافي من هجانا، وامنعوا سفهاءكم؛ فإذا كان

اللفظ مشتقا من المنع، والمنع على الله ﷻ محال، لزمك أن تمنع إطلاق حكيم على الله تعالى. فلم يجب الجبائي إلا أنه قال لأبي الحسن الأشعري: فلم منعت أنت أن يسمى الله ﷻ عاقلا وأجزت أن يسمى حكيما؟ قال الأشعري: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله ﷻ الإذن الشرعي دون القياس اللغوي؛ فأطلقت حكيما لأن الشرع أطلقه، ومنعت عاقلا لأن الشرع منعه، ولو أطلقه الشرع لأطلقته[١] .

٢- قال فخر الدين الرازي (ت:٦٠٤هـ): مذهبنا أن أسماء الله تعالى توقيفية لا قياسية، فقوله أولا: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ الأحزاب:٤١. أمر بالذكر، وقوله ثانيا: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ البقرة:١٩٨. أمر لنا بأن نذكره سبحانه بالأسماء والصفات التي بينها لنا، وأمرنا أن نذكره بها، لا بالأسماء التي نذكرها بحسب الرأي والقياس[٢].

وقال أيضا: وهذا يدل على أن أسماء الله توقيفية لا اصطلاحية، ومما يؤكد هذا أنه يجوز أن يقال: يا جواد، ولا يجوز أن يقال: يا سخي، ولا أن يقال: يا عاقل، يا طبيب، يا فقيه، وذلك يدل على أن أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية [٣] .

ونلاحظ هنا أن اسم الطبيب ورد بنصه التوقيفي مقيدا، وقد

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٣٥٨ نشر دار هجر.

(٢) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/١٥٢ نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) السابق ١٥/٥٨.

ذكرناه في قائمة الأسماء المقيدة التي وردت بصيغة الاسم، ولعل الرازي يقصد أن الاسم لا يصلح فيه الإطلاق، وأنه لا بد أن يُذكر مقيدا كما ورد النص، أو أنه لم يبلغه الحديث، أو بلغه واستضعفه.

غير أن الشيء الغريب أن الرازي متكلم أشعري لا يرى التوقيف في صفات الله ﷻ، ويجيز إعمال العقل في تعطيلها وتأويلها، ولا يثبت إلا سبع صفات معنوية، ويرى جميع الصفات الخبرية موهمة للتشبيه والجسمية وظاهرها عنده باطل مستحيل، أما في الأسماء الحسنى فإنه كما ترى يتقيد بالتوقيف النصي والدليل تقييدا حازما!

٣- وقال ابن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ): لا يجوز أن يسمى الله تعالى، ولا أن يخبر عنه إلا بما سمى به نفسه، أو أخبر به عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، أو صح به إجماع جميع أهل الإسلام المتيقن ولا مزيد، وحتى وإن كان المعنى صحيحا، فلا يجوز أن يطلق عليه تعالى اللفظ. وقد علمنا يقينا أن الله ﷻ بنى السماء فقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا ﴾ الذاريات:٤٧. ولا يجوز أن يسمى بناء.

وأنه تعالى خلق أصباغ النبات والحيوان وأنه تعالى قال: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾ البقرة:١٣٨. ولا يجوز أن يسمى صباغا. وأنه تعالى سقانا الغيث ومياه الأرض ولا يسمى سقاء ولا ساقيا، وهكذا كل شيء لم يسم به نفسه[1].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٨/٢، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤- احتج أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) على أن الأسماء توقيفية بالاتفاق على أنه لا يجوز لنا أن نسمي رسول الله ﷺ باسم لم يسمه به أبوه، ولا سمى به نفسه، وكذا كل كبير من الخلق. قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين، فامتناعه في حق الله أولى[١].

٥- قال بدر الدين الزركشي (ت:٧٩٤هـ): (أَجْمَعَ أَصْحَابنا على أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ توْقِيفِيَّةٌ، وَلا يَجُوزُ إطْلاقُ شَيْءٍ منها بالقِيَاسِ وَإِنْ كان في مَعْنَى المَنْصُوصِ) [٢].

٦- قال أبو القاسم عبد الكريم القشيري (ت:٤٦٥هـ) في بيان موقف الصوفية : (الأسماء تؤخذ توقيفا من الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لم يجز، ولو صح معناه) [٣].

٧- قال أحمد النفراوي المالكي (ت:١١٢٥هـ): (نص علماؤنا على أنه لا يجوز أن يدعى سبحانه إلا بالأسماء التي سمى بها نفسه في كتابه، أو على لسان نبيه، أو اجتمعت عليها الأمة لأنها توقيفية) [٤] .

٨- قال الإمام الشافعي رحمه الله (ت:٢٠٤هـ): (لله ﷻ أسماء

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/٢٢٣.

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ١/٤٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) سبل السلام ٤/١٠٩.

(٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم النفراوي المالكي /٥٣، نشر دار الفكر، بيروت.

وصفات لا يسع أحدا ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا الروية والفكر) [١] .

٩- قال شمس الدين الرملي الشافعي (ت:١٠٠٤هـ): (وأسماؤه تعالى توقيفية، فلا يجوز اختراع اسم، أو وصف له سبحانه وتعالى إلا بقرآن، أو خبر صحيح مصرح به، لا بأصله الذي اشتق منه فحسب، وبشرط أن لا يكون ذكره لمقابلة، كما هو ظاهر، نحو ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ الواقعة:٦٤. ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ آل عمران:٥٤) [٢].

١٠- قال الإمام النووي رحمه الله (ت:٦٧٦هـ): (وَقَوْلهمْ إِنَّ رمضان اِسْم مِنْ أَسْمَاء اللهَ تعَالى ليْسَ بصَحِيحٍ ؛ وَلَمْ يَصِحّ فِيهِ شَيْء؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ فِيهِ أَثَرٌ ضَعِيفٌ، وَأَسْمَاء الله تعَالى توْقِيفِيَّةٌ، لا تطْلَقُ إِلا بدَليل صَحِيحٍ) [٣].

١١- وقال ابن الوزير المرتضى: (فأسماء الله وصفاته توقيفية شرعية، وهو أعز من أن يطلق عليه عبيده الجهلة ما رأوا من ذلك، فلا يجوز تسميته رب الكلاب والخنازير ونحو ذلك من غير إذن شرعي،

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٣/٤٠٧، وإيضاح الدليل لابن جماعة ص٣٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/٧٩.

(٢) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين الرملي الشافعي ١/٢٨ نشر دار الفكر للطباعة، بيروت.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٧/١٨٨ نشر دار إحياء التراث العربي.

وإنما يسمى بما سمى به نفسه) [(١)] .

١٢- قال شيخ الأزهر د.سيد طنطاوي: (والمعنى ولله تعالى أشرف الأسماء وأجلها، فسموه بها أيها المؤمنون، واتركوا جميع الذين يلحدون في أسمائه سبحانه بالميل لألفاظها أو معانيها عن الحق، من تحريف، أو تأويل، أو تشبيه، أو تعطيل، أو ما ينافي وصفها بالحسنى، اتركوا هؤلاء جميعا؛ فإنهم سيلقون جزاء عملهم من الله رب العالمين. ومن مظاهر إلحاد الملحدين في أسمائه تعالى تسمية أصنامهم بأسماء مشتقة منها، كاللات من الله تعالى، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وتسميته تعالى بما يوهم معنى فاسدا، كقولهم له سبحانه يا أبيض الوجه. كذلك من مظاهر الإلحاد في أسمائه تعالى تسميته بما لم يسم به نفسه في كتابه، أو فيما صح من حديث رسوله ﷺ إلى غير ذلك مما يفعله الجاهلون والضالون) [(٢)] .

١٣- قال الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر رحمه الله: (أسماء الله ﷻ لا دخل للإنسان فيها، وليس للمسلم أن يناجي ربه باسم أو صفة لم يضعه الله ﷻ لنفسه، فهو أعلم بما يدل على ذاته وآثاره وصفاته، ولا يتلقى ذلك إلا عنه سبحانه عن طريق قرآنه، أو عن طريق إخبار الرسول ﷺ القطعي، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد لابن الوزير المرتضى اليماني ٣٠٨/١ نشر دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٢) التفسير الوسيط، تفسير قوله تعالى: وذروا الذين يلحدون ص١٧٤٤ .

﴿فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ الأعراف: ١٨٠ [١].

١٤- قال أبو الحسن علي بن محمد الخازن (ت: ٧٤١هـ): (الإلحاد في أسماء الله، هو تسميته بما لم يسمّ به نفسه، ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة، لأن أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم، فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع، بل ندعو الله ﷻ بأسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم) [٢] .

١٥- وقال إسماعيل حقي مصطفى الحنفي الصوفي: (الإلحاد واللحد الميل والانحراف عن القصد، أي واتركوا الذين يميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل، إما بأن يسموه تعالى بما لم يسم به نفسه، ولم ينطق به كتاب سماوي، ولا ورد فيه نص نبوي، أو بما يوهم معنى فاسدا، وإن كان له محمل شرعي كما في قول أهل البدو: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه) [٣] .

١٦- قال ناصر الدين عبد الله البيضاوي: (واتركوا تسمية الزائغين فيها، الذين يسمونه بما لا توقيف فيه، إذ ربما يوهم معنى فاسدا، كقولهم: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه كقولهم: ما نعرف إلا رحمن اليمامة) [٤].

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت ص٢٥.
(٢) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ٣/١٣٧.
(٣) تفسير حقي روح البيان في تفسير القرآن ٤/٣٣١.
(٤) تفسيرالبيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/٣٤٠.

وخلاصة أقوال أهل العلم أن عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، وكذلك أغلب المخالفين لهم من الخلف المتكلمين الأشعرية وأئمة الصوفية عقيدتهم جميعا عقيدة مبنية على أن الأسماء الحسنى توقيفية، لا زيادة فيها ولا نقصان، وأنه لا بد في كل اسم من دليل نصي صحيح، يُذكر فيه الاسم بنصه، فدورنا حيال الأسماء الجمع والإحصاء، ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء.

- **الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها.**

الإلحاد في أسماء الله أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا منها، أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحادا لوجوب الإيمان بها، وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله ﷻ، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

والثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل، لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: الأب، وتسمية الفلاسفة إياه: العلة الفاعلة، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه، ميل بها عما يجب

فيها، كما أن هذه الأسماء التي سمو الله ﷻ بها أسماء باطلة ينزه الله ﷻ تعالى عنها .

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ طه:٨ . قوله﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ الحشر:٢٤. وكما اختص سبحانه بالعبادة وبالإلوهية الحق، وبأنه يسبح له ما في السموات والأرض، فهو سبحانه مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله ﷻ ميل بها عما يجب فيها، ومنه ما يكون شركا، أو كفرا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

• أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين.

أسماء الله ﷻ لا تحصى ولا تعد، وهو سبحانه الذي يعلم عددها، فعند أحمد وصححه الشيخ الألباني من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال في دعاء الكرب: (أَسْأَلكَ بكُل اسْمٍ هُوَ لك، سَمَّيت بهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلتهُ فِي كِتابكَ، أَوْ عَلمْتهُ أَحَداً مِنْ خَلقِكَ، أَوْ اسْتأْثرْت بهِ فِي عِلمِ الغَيْب عِنْدَكَ) [(١)] .

(١) رواه أحمد ٤٥٢/١ (٤٣١٨)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحد حصره، ولا الإحاطة به. فأما قوله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة). فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك. إذن فمعنى الحديث أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة، وعلى هذا فيكون قوله: من أحصاها دخل الجنة جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة .

ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف. قال شيخ الإسلام ابن تيميه: (تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه) [(١)]. وقال قبل ذلك: (إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرا في بعض طرق حديثه) [(٢)].

وقال ابن حجر العسقلاني: (ليست العلة عند الشيخين، البخاري ومسلم، تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج) [(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٨٢/٦.

(٢) السابق ٣٧٩/٦.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢١٥/١١.

ونظرا لأنه لم يصح تعيينها عن النبي ﷺ، فإن ما سرده الوليد بن مسلم ورد مختلفا ومضطربا في روايات كثيرة، وكذلك إدراج عبد الملك الصنعاني اختلف عن سرد الأسماء عند الوليد بن مسلم. وما أدرجه عبد العزيز بن حصين اختلف في سرده عن الأسماء المدرجة من صاحبيه، وروي عنهم في ذلك أنواع مختلفة، جعلت الشيخ بن عثيمين يجمعها بنصوصها من الكتاب والسنة فقال رحمه الله:

(وقد جمعت تسعة وتسعين اسما مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. واحد وثمانون اسما في كتاب الله تعالى وهي: الله الأحد الأعلى الأكرم الإله الأول والآخر والظاهر والباطن الباريء البر البصير التواب الجبار الحافظ الحسيب الحفيظ الحفي الحق المبين الحكيم الحليم الحميد الحي القيوم الخبير الخالق الخلاق الرءوف الرحمن الرحيم الرزاق الرقيب السلام السميع الشاكر الشكور الشهيد الصمد العالم العزيز العظيم العفو العليم العلي الغفار الغفور الغني الفتاح القادر القاهر القدوس القدير القريب القوي القهار الكبير الكريم اللطيف المؤمن المتعالي المتكبر المتين المجيب المجيد المحيط المصور المقتدر المقيت الملك المليك المولى المهيمن النصير الواحد الوارث الواسع الودود الوكيل الولي الوهاب.

وثمانية عشر اسما في سنة رسول الله ﷺ وهي: الجميل الجواد الحكم الحي الرب الرفيق السبوح السيد الشافي الطيب القابض الباسط المقدم المؤخر المحسن المعطي المنان الوتر .

وإن كان عندنا تردد في إدخال الحفي؛ لأنه إنما ورد مقيدا في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ مريم:٤٧. وكذلك المحسن، لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني، وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء) [1].

وقد نبه الشيخ رحمه الله على أنه جمع الأسماء المطلقة فقط، وأنه متردد في اسم الحفي، فراعى في جمعه شرط الإطلاق.

ثم بين أن من أسماء الله ﷻ الأسماء المضافة التي تذكر مقيدة بالإضافة كما ورد النص فقال: (ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافا مثل مالك الملك، ذي الجلال والإكرام). ومعلوم أن المالك ورد مطلقا في صحيح مسلم كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

- **معالم منهج الشيخ ابن عثيمين في إحصاء الأسماء الحسنى.**

١- عدم اعتماده للأسماء المشتهرة، لأنها من إدراج الوليد بن مسلم.

٢- اعتماده التوقيف أو الأخذ بالاشتقاق في إحصاء الأسماء.

٣- التزامه إحصاء الأسماء الحسنى التي وردت بصيغة الاسم فقط.

٤- مراعاته شرط العلمية، فلا بد أن يرد اسما علما على ذات الله.

٥- مراعاته شرط الوصفية، فلا بد من دلالة الاسم على الوصف.

٦- مراعاته شرط الإطلاق، وإن خالفه في بعض الأسماء، فقد صرح

(١) القواعد المثلي ص١٦، نشر دار الأرقم، ط١، الكويت سنة ١٤٠٦هـ .

بترديده في اسم واحد هو الحفي؛ لأنه إنما ورد مقيدا.

٧- التزامه بأن من أسماء الله ﷻ الأسماء المضافة، وأنها لا بد أن تذكر مقيدة بالإضافة كما ورد النص.

٨- أن الأسماء الحسنى التي اختارها من القرآن الكريم واحدا وثمانين اسما، والأسماء التي اختارها من السنة ثمانية عشر اسما.

إن من أفضل المناهج المتبعة لإحصاء الأسماء الحسنى حتى عصرنا هو منهج الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في كتابه القيم القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، حيث اعتمد في منهج الإحصاء على تتبع ما ورد في القرآن وصحيح السنة من غير أن يذكر شروطا معلنة، أو ضوابط محددة في تقرير كل اسم على حدة، وإن كانت تلك الضوابط ظاهرة استنباطا من كلامه كما بينا في معالم منهجه أعلاه.

غير أن المدقق في تطبيق منهجه على الأسماء التي ذكرها يجد أنه استبعد أسماء كان ينبغي إدخالها على مقتضى منهج التتبع كاسم الله الديان والمسعر والرازق والستير والمالك، مع أن اسم الله الديان ثبت في نص صحيح، وهو وإن كان معلقا عند الإمام البخاري إلا أنه موصول ثابت صحيح عند غيره، كما سيأتي بيانه في أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة.

وكذلك اسم الله المسعر والرازق وردا مع القابض والباسط في أكثر

من حديث صحيح، فأدخل الشيخ ابن عثيمين اسمين اثنين، واستبعد اثنين من الحديث دون ذكر علة أو سبب، فهما اسمان توقيفيان مطلقان يدلان على أوصاف الكمال اللائقة برب العزة والجلال، شأنهما في ذلك شأن اسم القابض والباسط من حيث تحقق الشروط والضوابط، فما العلة إذا في إحصاء اسمين واستبعاد اثنين مع أن الجميع نص ظاهر في كلام من لا ينطق عن الهوى؟

وكذلك اسم الله ﷻ الستير ورد مع اسمه الحييِّ في نص واحد صحيح، صححه الشيخ الألباني وغيره، فأدخل أحدهما واستبعد الآخر دون بيان السبب في ذلك.

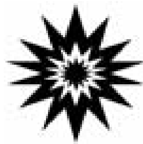
واسم الله المالك ورد مطلقا في السنة ومضافا في القرآن، ولم يدخله الشيخ رحمه الله في الأسماء، وأدخل اسم الله العالم والحافظ والمحيط والحفي مع أن هذه الأسماء إنما وردت مضافة أو مقيدة.

والشيخ رحمه الله كما تقدم نبه على علة تردده في إدخال اسم الله الحفي، وبين بوضوح أن العلة هي التقييد، مما يشعر بمفهوم المخالفة أن العالم والحافظ والمحيط أسماء وردت مطلقة وهي ليست كذلك، وإذا كان الشيخ رحمه الله قد تردد في الحفي لأنه إنما ورد مقيدا، فكان الأولى أن يذكر الأسماء المطلقة الصريحة كالمسعر والرازق .

كما أن إدخال هذه الأسماء المضافة أو المقيدة يؤدي إلى ضرورة إدخال جميع الأسماء التي تركها الشيخ رحمه الله كالبديع، والفاطر،

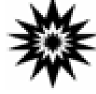
والنور، والغافر، والسريع، والواسع، والفالق، والجامع، والقابل، والزارع، والمنزل، والبالغ، والجاعل، والكاتب، والمتم، والحاسب، والخليفة، والصاحب، والمقلب، والمحيي، والماهد، والمرسل، والمبتلي، والمخرج، والهادي، والمخزي، والمستعان، والشديد، والعلام، والكفيل، والمنتقم، وغير ذلك من الأسماء المضافة أو المقيدة.

والقصد أن منهج الشيخ ابن عثيمين رحمه الله قد التزم فيه بقواعد السلف أهل السنة والجماعة في إحصاء الأسماء الحسنى، وهي ثبوت النص لأن الأسماء الحسنى عند السلف توقيفية، وعلمية الاسم لأنهم لا يجيزون الاشتقاق من الأوصاف والأفعال، وإن أجازوا الاشتقاق اللغوي لبيان دلالة الاسم على أوصاف الكمال، وأنها أسماء على مسمى، فلا بد عندهم من دلالة الاسم على الوصف، وكذلك مراعاة الإطلاق الذي يفيد المدحَ والثناء على الله بنفسه، وإلا يذكر الاسم مقيدا كما قيده الله ورسوله ﷺ.



المطلب الواحد والعشرون

كيف ظهرت الأسماء
المشهورة التي يرددها المسلمون منذ قرون؟



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد دارت محاور المطلب السابق حول معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى كما قرره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وبينا فيه أن أسماء الله تعالى كلها حسنى وكلها عظمى، وأن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، كما أن دلالة الأسماء على الذات والصفات تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام.

وعلمنا أن أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وذكرنا أقوال العلماء في أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص، وأن الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها.

وبينا أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، وتعرفنا على معالم منهج الشيخ ابن عثيمين في إحصاء الأسماء الحسنى من جهة القواعد التي اتبعها، وتطبيقها على الأسماء التي قام بإحصائها.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن كيفية ظهور الأسماء المشهورة التي يرددها المسلمون منذ قرون، وذلك من خلال المحاور التالية:

• **روايات حديث أبي هريرة في إحصاء الأسماء.**

قال رسول الله ﷺ: (إنّ لله تِسْعَة وَتِسْعِين اسْمَا، مِائة إلا وَاحِدًا مَنْ أحْصَاهَا دَخَلَ الجنة).

هذا الحديث الشريف لم يسمعه من رسول الله ﷺ إلا صحابي واحد هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر (ت:٥٧هـ) رضي الله عنه. وقد روى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم كأبي ذر، وسلمان الفارسي، وابن عباس، وابن عمر، وعلى كلها روايات لا تصح .

وحتى سنة سبع وخمسين من الهجرة، وهي السنة التي توفي فيها أبو هريرة رضي الله عنه، لم تظهر الأسماء المشهورة بسردها المعروف الآن، لأن الحديث ليست فيه تلك الزيادة. وقد تناقله الرواة عن أبي هريرة رضي الله عنه بنفس النص دون زيادة كما سمعه من رسول الله ﷺ.

وعند التحقيق في الموروث الحديثي فإنه لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه إلا خمسة رواة فقط، هم حسب ترتيب وفاتهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن (ت:٩٤هـ)، ثم نُفَيْع بن رافع توفي بعد (ت:١٠٠هـ) تقريبا، ومحمد بن سيرين (ت:١١٠هـ)، ثم عبد الرحمن بن هُرْمُز

(ت:١١٧هـ)، وهمام بن مُنَبِّه (ت:١٣٢هـ). وجميع هؤلاء حدثوا عن أبي هريرة ﷺ بالحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ دون ذكر الأسماء المشهورة بسردها المعروف.

وهذا يعني أنه حتى سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة، وهي السنة التي توفي فيها أخر هؤلاء الخمسة، هَمَّام بْن مُنَبِّه (ت:١٣٢هـ)، لم تكن الأسماء المشهورة بسردها المعروف الآن معلومة لدى السلف الصالح، ولا يعرف أحد منهم عن إحصائها شيئا.

وأما من روى عن هؤلاء الخمسة من رواة الحديث، فلم يذكر أحد منهم أيضا في جميع الروايات الثابتة عنه تلك الأسماء التي يحفظها الناس في عصرنا ويرددونها كأنها آية من كتاب الله تعالى، أو حديث نصي مرفوع من كلام رسول الله ﷺ.

وتفصيل ذلك أن أبا سلمة بن عبد الرحمن (ت:٩٤هـ)، روى عنه محمد بن عمرو (ت:١٤٥هـ) هذا الحديث دون سرد الأسماء المشهورة، ولم يثبت عنه زيادة اسم واحد في الحديث، فضلا عن تسعة وتسعين اسما يرددها الناس الآن.

وأما نُفَيْع بن رافع الذي توفي بعد المائة تقريبا، فقد روى الحديث عنه راو واحد هو قتادة بن دعامة (ت:١١٧هـ)، وقد نقله قتادة عنه كما سمعه من نفيع، وكما سمعه نفيع من أبي هريرة ﷺ، ودون سرد

الأسماء المشهورة، ولم يثبت عنه زيادة اسم واحد.

وأما محمد بن سيرين (ت:١١٠هـ) فقد روى الحديث عنه ستة من الرواة، وهم حسب ترتيب وفاتهم أَيُّوب بْنِ أَبِي تَمِيمَةَ السَّخْتِيَانِيّ (ت:١٣١هـ)، وخَالِدٌ الْحَذَّاءُ (ت:١٤١هـ)، وعاصم بن سليمان (ت:١٤٢هـ)، وهشام بن حسان (ت:١٤٨هـ)، وعوف بن أبي جميلة (ت:١٤٦هـ)، وعبد الله بن عون (ت:١٥٠هـ).

ولم يثبت عن واحد من هؤلاء الستة أنه نقل زيادة سرد الأسماء التي يحفظها الناس في عصرنا، مما يعني أنه لم تكن معرفة عند أحد من السلف حتى منتصف القرن الثاني الهجري .

وأما همام بن منبه (ت:١٣٢هـ) فقد روى الحديث عنه راويان اثنان هما أيوب السختياني (ت:١٣١هـ)، ومَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ (ت:١٥٤هـ)، ولم يثبت عن أحدهما أيضا أنه نقل زيادة سرد الأسماء التي يحفظها الناس في عصرنا.

وأما عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت:١١٧هـ)، فقد روى الحديث عنه راو واحد، هو أَبُو الزِّنَادِ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذَكْوَان (ت:١٣٠هـ)، ولم يثبت عنه في جميع الروايات أنه نقل زيادة سرد الأسماء التي يحفظها الناس في عصرنا.

- **الرواة عن أبي الزناد لم يزيدوا في النص سرد الأسماء.**

ينبغي هنا أن ندقق في حديث الإحصاء من رواية أبي الزناد عَبْد اللهِ بْن ذَكْوَان (ت:١٣٠هـ) عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت:١١٧هـ)، عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر (ت:٥٧هـ) ﷺ أنه سمع رسول الله قال ﷺ: (إنّ لله تِسْعَة وَتِسْعِين اسْمًا، مِائة إلا وَاحِدًا، مَنْ أحْصَاهَا دَخَل الجنة).

فقد روى الحديث عن أبي الزناد أربعةُ من الرواة، هم حسب ترتيب وفاتهم: ورقاء بن عمر بعد (ت:١٥٠هـ)، والإمام مالك بن أنس (ت:١٧٩هـ)، وشعيب بن أبي حمزة (ت:١٦٢هـ)، وسفيان بن عيينة (ت:١٩٨هـ).

ولم يثبت في رواية واحدة عن واحد من هؤلاء الرواة الأربعة أنه نقل زيادة سرد الأسماء التسعة والتسعين المشتهرة على النص المنقول عن أبي هريرة ﷺ، مما يعني أنه لم تكن تلك الأسماء معرفة عند أحد من السلف حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ولم يكن السلف الصالح يعلمون شيئا عن تلك الأسماء لمدة قرنين من الزمان بعد هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وعليه فلا عبرة بما صرح به كثير من علماء العصر مع علو مكانتهم في المؤسسات العلمية الإسلامية، وشهرتهم وتولييهم لأعلى مناصب الفتوى في البلاد الإسلامية حتى يومنا هذا، والذين أدلوا إلى

وسائل الإعلام المختلفة بتصريحات مؤسفة عن حقيقة الأسماء المشتهرة، فمن قائل: إن أبا هريرة ﷺ هو الذي وضعها وأدرجها في الحديث النبوي، ومن قائل: إنها من المعلوم من الدين بالضرورة منذ عصر النبوة؛ فالرسول ﷺ هو الذي نص عليها وعلمها للصحابة ﷺ اسما اسما، ومن قائل: إنها قد وردت جميعها في القرآن وفي صحيح البخاري ومسلم، ومن قائل: هي نص توقيفي مرفوع، لا يجوز لأحد أن يحيد عنه، والأسماء توقيفية على النص، وغير ذلك مما يوجب الحسرة والأسف من سقطة هؤلاء المشاهير .

• الوليد بن مسلم هو من أدرج الأسماء المشهورة .

جميع الروايات التي وردت في حديث إحصاء التسعة والتسعين اسما، ونقلت عن شعيب بن أبي حمزة (ت:١٦٢هـ)، عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان (ت:١٣٠هـ)، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت:١١٧هـ)، عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر (ت:٥٧هـ) ﷺ خلت من سرد التسعة والتسعين اسما المشهورة.

غير أنه في نهاية عصر السلف الصالح حاول أحد رواة الحديث يقال له: الوليد بن مسلم الشامي الدمشقي مولى بني أمية (ت:١٩٥هـ)، وهو راو من رواة حديث أبي هريرة ﷺ في إحصاء التسعة والتسعين، رواه عن شيخه شعيب بن أبي حمزة (ت:١٦٢هـ)، حاول الوليد بن مسلم أن يحصي أسماء الله الحسنى اسما اسما باجتهاده الشخصي، إما

استنباطا وإحصاء من القرآن والسنة، وإما نقلا عن بعض العلماء في عصره، ثم أراد أن يفسر بما توصل إليه من الأسماء حديث التسعة والتسعين. فقد جمع ثمانية وتسعين اسما بالإضافة إلى اسم الجلالة وهي بترتيب ما ورد عند الترمذي في سننه:

(الرحمن الرحيم الملك القُدُّوس السلاَم المؤْمن المهيمن العَزِيزُ الجبار المتَكَبر الخالقُ البارِيءُ المصَور الغَفَّار القَهار الوهاب الرزَّاقُ الفتَّاح العَليم القَابضُ الباسطُ الخافضُ الرافِعُ المعزُّ المذِل السميعُ البصِير الحكَم العَدْل اللطِيفُ الخبير الحليم العَظِيم الغَفُور الشَّكُور العَليُّ الكَبير الحفِيظُ المقِيتُ الحسيب الجليل الكَريم الرقِيب المجيب الواسعُ الحكِيم الودُودُ المجيدُ الباعِثُ الشَّهيدُ الحق الوكِيل القَويُّ المتِين الوليُّ الحميدُ المحصِي المبدِيءُ المعِيدُ المحيِي المميتُ الحيُّ القَيُّوم الواجدُ الماجدُ الواحدُ الصَّمدُ القَادِر المقْتَدِر المقَدِّم المؤَخر الأول الآخر الظَّاهر الباطِن الوالي المتَعَالي البر التَّواب المنتَقِم العَفُو الرءوف مالكُ الملكِ ذُو الجلاَل والإكْرام المقْسط الجامعُ الغَنيُّ المغْني المانعُ الضَّار النافِعُ النور الهادِي البدِيعُ الباقِي الوارثُ الرشِيدُ الصَّبور) (١).

ولننظر كيف اشتهرت تلك الأسماء التي اجتهد الوليد بن مسلم في

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٥٣٠ (٣٥٠٧)، وانظر ضعيف الجامع الصغير (١٩٤٥)، وضعيف سنن الترمذي ١/٤٥٦، ومشكاة المصابيح (٢٢٨٨).

جمعها؟! كان الوليد كثيرا ما يحدث الناس بحديث أبي هريرة ﷺ المتفق عليه والذي يشير إجمالا إلى إحصاء تسعة وتسعين اسما، ثم يتبعه في كثير من الأحيان بذكر هذه الأسماء التي توصل إليها كتفسير شخصي منه للحديث.

وهذه الأسماء لم يعرفها إلا بعض الرواة الذين نقلوها عنه كتفسير منه للحديث، ولم تعلم على مستوى العامة في الأمة الإسلامية إلا في نهاية القرن الثالث الهجري بعد أن دونها الإمام أبو عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ) في سننه مدرجة في حديث أبي هريرة ﷺ، واشتهرت مع اشتهار كتابه السنن، فالإمام أبو عيسى الترمذي كان هو السبب المباشر في نقلها للأمة الإسلامية وتعريفهم بها.

والحقيقة التي يمكن أن نتوصل إليها أن الأسماء المشهورة اليوم لم تكن معروفة عند علماء السلف الصالح، أو على مستوى العامة أو الخاصة في أمة محمد ﷺ قبل منتصف القرن الثالث الهجري، وقبل تدوين الإمام الترمذي لها.

وهذه الأسماء لما نُقِلت في سنن الترمذي مدرجة مع كلام النبي ﷺ وألحقت، أو بمعنى آخر ألصقت بالحديث النبوي في فضل إحصاء التسعة والتسعين اسما، ظن أغلب الناس من العامة والخاصة بعد ذلك أنها نص من كلام النبي ﷺ أيضا، فحفظوها وعظموها كأنها من نصوص الوحي الإلهي، وأصبح كلام الوليد بن مسلم الشامي

الدمشقي عند الناس في منزلة كلام النبي ﷺ، وانتشرت بين العامة والخاصة حتى الآن.

ومع أن الإمام الترمذي لما دون هذه الأسماء في سننه مدرجة مع الحديث النبوي الذي ورد في فضل إحصائها نبه على غرابتها، وهو يقصد بغرابتها ضعفها وانعدام ثبوتها مع نص الحديث المرفوع كما ذكر الشيخ الألباني رحمه الله، إلا أن التساهل في نقل الأحاديث بين العامة الناس وكثير من الدعاة، أو عدم تحقيقها عند كثير من أصحاب المدارس العقلية والذوقية، كالمتكلمين الأشعرية وغلاة الصوفية، وكثير من أهل البدع الاعتقادية والعملية كان سببا في تقديس العامة للمشهور من الأسماء كتقديسهم للقرآن سواء بسواء [1] .

- **اضطراب الوليد بن مسلم في جمعه للأسماء المشهورة .**

من الأمور العجيبة أن محاولات الوليد بن مسلم (ت:١٩٥هـ)، التي نقلت عنه في تفسيره لحديث التسعة والتسعين كانت محاولات متعددة ومضطربة، تدل بما لا يدع مجالا للشك على المعاناة الشديدة التي واجهها في جمع الأسماء وإحصائها، واختيار الأقرب من حيث ثبوتها، وتحري الدليل النقلي على علميتها، وأن تكون بصيغة الأسماء في نصوصها، فالأسماء التي كان يذكرها للناس كتفسير شخصي منه

---

(١) انظر مشكاة المصابيح ٢/١٥ (٢٢٨٨) .

للحديث، لم تكن واحدة في كل مرة، ولم تكن متطابقة قط، بل يتنوع الإحصاء عند الشرح والإلقاء، فيذكر لتلاميذه أسماء أخرى مختلفة عما ذكره في اللقاء السابق.

ودليل ذلك أن الأسماء التي رواها عنه الإمام الطبراني (ت٣٦٠هـ) وضع فيها اسم القائم والدائم، وحذف في المقابل اسم القابض والباسط اللذين وردا في الأسماء المشهورة التي نقلها عنه الإمام الترمذي، وحذف الرشيد من الأسماء المشهورة، ووضع فيها اسم الشديد، وكذلك وضع في الأسماء التي نقلها عنه الطبراني اسم الأعلى والمحيط والمالك، وحذف في المقابل من الأسماء المشهورة اسم الودود والمجيد والحكيم.

والأسماء التي رواها عنه ابن حبان (ت٣٥٤هـ) وضع فيها اسم الرافع، وحذف في المقابل من الأسماء المشهورة اسم المانع.

وما رواه عنه الإمام البيهقي من الأسماء وضع فيها اسم المغيث وحذف اسم المقيت من الأسماء المشهورة.

وما رواه عنه الإمام ابن خزيمة في صحيحه من الأسماء، وضع فيها اسم الحاكم وحذف في المقابل اسم الحكيم من الأسماء المشهورة التي نقلها عنه الإمام الترمذي، ووضع اسم القريب وحذف اسم الرقيب، ووضع اسم المولى وحذف اسم الوالي، ووضع اسم الأحد وحذف اسم المغني من الأسماء المشهورة.

والأسماء التي نقلها عنه الإمام اِبْن مَنْدَهْ وضع فيها الوليد بن مسلم أربعة وعشرين اسما وهي: الحافظ العادل الفرد الرب الكافي الدائم العالم المعطي القاهر المبين الأحد الصادق الأبد الجميل البادي القديم البار الوفي الوتر ذو القوة البرهان الشديد القدير الواقي

وحذف الوليد في المقابل من الأسماء المشهورة التي نقلها عنه الإمام الترمذي أربعة وعشرين اسما وهي: القدوس الغفار القهار الفتاح الحكم العدل الكبير الحفيظ الحسيب الجليل الواسع المحصي الماجد المقتدر المقدم المؤخر البر المنتقم مالك الملك ذو الجلال والإكرام المغني النافع البديع الصبور [1].

والعجيب أن الأسماء المدرجة في رواية الترمذي هي الأسماء المشهورة المعروفة من بداية القرن الرابع الهجري حتى عصرنا، وفي المقابل أصبحت أسماء الله الحسنى الثابتة بنصوصها التوقيفية في الكتاب والسنة، والتي سمى الله نفسه بها، أصبحت أسماء مغيبة لا تكاد تنال من الحفظ والاهتمام أو الشرح والبسط والكلام ما تناله الأسماء التي لا دليل عليها، ولا يجوز تسمية الله بها.

ومن ثم فإن الأسماء المشهورة هي ليست وحيا مقدسا كالقرآن وصحيح السنة، وإنما هي جمع بشري مطالب فيه صاحبه بذكر النص

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/٢١٦ .

التوقيفي على كل اسم منها، وقد كان الوليد بن مسلم كما رأينا يغير فيها ويبدل ليصل إلى أفضل إحصاء ممكن.

وينبغي أن يعلم أن الأسماء التي لا دليل عليها في الأسماء المشهورة لا يصح نسبتها إلى الله ﷻ، وهي مردودة على من جمعها، وليس مرجع الخطأ في تقديس الناس لها على أنها من الأسماء الحسنى يلام فيه الوليد بن مسلم أو يلام فيه الإمام الترمذي الذي نقلها، وإنما الخطأ يكمن في أن عامة الناس تعودوا على ترديد أسماء لا يسألون عن أدلتها التوقيفية النصية من القرآن الكريم أو ما صح في السنة النبوية، بل سار أغلبهم على منهجية الإمعية لكل متكلم في المسائل الاعتقادية والغيبية أو الأحكام الشرعية التكليفية دون محاسبته وتوقيفيه وسؤاله: من أين لك هذا؟

• **كلام العلماء المحققين عن رواية الوليد ونقدها.**

قال ابن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ): (وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين اسما مضطربة، لا يصح منها شيء أصلا، فإنما تؤخذ من نص القرآن، ومما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر) [1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت:٧٢٨هـ) عن رواية

---

(١) انظر المحلى لابن حزم ٣١/٨، والفصل في الملل والنحل ١١٢/٢.

الترمذي وابن ماجه: (وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف) [(١)].

وقال أيضا في شأن الأسماء المشهورة: (لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث. وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواه ابن ماجه. وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف) [(٢)] .

وقال ابن الوزير اليماني (ت:٨٤٠هـ): (تمييز التسعة والتسعين يحتاج إلى نص متفق على صحته أو توفيق رباني، وقد عدم النص المتفق على صحته في تعيينها، فينبغي في تعيين ما تعين منها الرجوع إلى ما ورد في كتاب الله ﷻ بنصه، أو ما ورد في المتفق على صحته من الحديث) [(٣)] .

وقال الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): (اتفق

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٧٣/٢ .

(٢) الفتاوى الكبرى ٢١٧/١.

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ٢٢٨/٧ .

الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة) [(١)].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ): (والتحقيق أن سردها من إدراج الرواة) [(٢)].

• كلام ابن الوزير في وصف تدليس الوليد بن مسلم .

قال ابن الوزير اليماني في وصف تدليس الوليد بن مسلم وإدراجه الأسماء الحسنى المشهورة في رواية الترمذي: (الوليد مدلس مكثر من التدليس حتى عن الكذابين، ويعانى تدليس التسوية، فلا ينفع قوله حدثنا ولا سمعت، لأن معنى تدليس التسوية أنه قد سمع من شيخه شعيب، ثم أسقط شيخ شعيب الذي بينه وبين أبي الزناد، فيحتمل أن يكون في الإسناد ساقط ضعيف بل كذاب، فكيف يحسن الحديث مع هذا؟ مع أنه قد رواه الثقات والحفاظ عن أبي الزناد بغير ذكر الأسماء. وحديث الأسماء المشهورة قد رواه البخاري ومسلم والترمذي عن ابن عيينة، عن أبي الزناد بغير ذكر الأسماء، ورواه البخاري والنسائي من حديث شعيب بغير ذكرها، ورواه البخاري عن أبي اليمان الحكم بن نافع، والنسائي عن علي بن عياش كلاهما عن شعيب بغير ذكر الأسماء. وأما قول الحاكم: إنه لا خلاف أن الوليد بن مسلم أوثق

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للصنعاني، كتاب الأيمان والنذور ٤/١٠٨، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ص٣٤٦ .

وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان، وبشر بن شعيب وعلي بن عياش فما يغني ذلك شيئا مع ما ذكرنا من التدليس الفاحش عنه، وهو تدليس التسوية، فما يصح له مع ذلك حديث إلا أن يخلو الإسناد عنه وعمن فوقه من العنعنة ونحوها، منه إلى الصحابي على أقل الأحوال، ولم يحصل ذلك) (١) .

قال شعبة بن الحجاج: (التدليس أخو الكذب، والتدليس في الحديث أشد من الزنا، ولأن أسقط من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أدلس، ولأن أزني أحب إلي من أن أدلس) (٢).

قال ابن الصلاح معقبا على قول شعبة: (وهذا من شعبة إفراط محمول على المبالغة في الزجر عنه، والتنفير منه) (٣) .

قال الهيثم بن خارجة: (قلت للوليد بن مسلم: قد أفسدت حديث الأوزاعي. قال: وكيف؟ قلت: تروي عن الأوزاعي عن نافع، وعن

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ٢٢٨/٧ .

(٢) انظر الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٣٥٦ نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة، وتدريب الراوي للسيوطي ٢٢٨/١، نشر مكتبة الرياض الحديثة الرياض، ومقدمة ابن الصلاح ص٧٥ نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، التقرير والتحبير في علم الأصول لابن أمير الحاج ٣٣٩/٢.

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص٧٥ نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، وتوضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للأمير الصنعاني ٣٦٧/١ نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

الأوزاعي عن الزهري، وعن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، وغيرك يدخل بين الأوزاعي وبين نافع عبد الله بن عامر الأسلمي، وبينه وبين الزهري قُرَّة وغيره، فما يحملك على هذا؟ قال: أنبل الأوزاعي أن يروي عن مثل هؤلاء الضعفاء، قلت: فإذا روى الأوزاعي عن هؤلاء الضعفاء مناكير فأسقطتهم أنت، وصيرتها من رواية الأوزاعي عن الثقات، ضعف الأوزاعي. قال: فلم يلتفت إلى قولي) [1] .

• **تناقض الوليد بن مسلم في جمعه للأسماء الحسنى .**

إنه لمن العجب أن نرى في الأسماء المشهورة منذ أكثر من ألف عام أن الوليد بن مسلم الذي قام بإحصائها وجمعها نسب لله ﷻ أسماء لا دليل عليها في الكتاب أو السنة، في حين ترك أسماء تحققت فيها العلمية والوصفية، وقد ثبتت بنصها في ذات الموضع الذي أخذ منه بعضها وترك البعض .

ومثال ذلك أننا وجدنا في الأسماء المشهورة اسم المقتدر، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ القمر:٥٤/٥٥.

---

(١) انظر التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقي ص٩٧ نشر دار الفكر للنشر والتوزيع ، وتدريب الراوي للسيوطي ١/٢٢٥، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ١١/ ١٣٥ نشر دار الفكر، بيروت.

وقد ورد معه اسم الله المليك، وكما هو ظاهر لكل ناظر عاقل، الاسمان وردا معا، أحدهما يقارن الآخر في ثبوت النص والعلمية وثبوت الحجة النقلية، فجعل الوليد بن مسلم اسم المقتدر اسما مدرجا فيما اشتهر بين الناس منذ أكثر من ألف عام، وترك اسما من أسماء الله ﷻ بنص القرآن وهو اسم الله المليك. وأي عاقل له الحق في أن يتساءل: أليس اسم المليك أولى وأوجب من اسم لا دليل عليه كالضار النافع الرشيد ؟!

ويتكرر الأمر عند الوليد بن مسلم في اسم الله ﷻ الحق، وهو ضمن ما أورده في الأسماء المشهور منذ أكثر من ألف عام، حيث اقترن اسم الحق باسم المبين في نص قرآني واحد، فأخذ الوليد اسما وترك آخر. قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ النور:٢٥ .

وكذلك ورد في الأسماء المشهورة اسم الله العليم، وقد ورد مع اسم الله الخلاق في نص واحد، فأخذ الوليد بن مسلم اسم العليم ووضعه في الأسماء المشهورة وترك اسم الخلاق.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ يس:٨١.

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ الحجر:٨٦ .

وورد في الأسماء المشهورة اسم المجيب، وقد ورد معه في النص اسم القريب، فأخذ الوليد بن مسلم اسم الله المجيب، وأدرجه في الأسماء المشهورة وترك اسم المجيب. قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود:٦١.

وكذلك ورد في الأسماء المشهورة اسم الله الغفور الرحيم، وقد ورد الاسمان مع اسم الله القدير في نص واحد، فأخذ اسم الغفور والرحيم وترك اسم القدير. قال تعالى: ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ الممتحنة:٧.

ومن العجب أيضا أن يرد في الأسماء المشهورة اسم الواحد، وقد ورد معه في النص اسم الإله، فأخذ الوليد بن مسلم اسم الله الواحد وأدرجه في الأسماء المشهورة وترك اسم الإله.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم:٥٢.

وأيضا ورد في الأسماء المشهورة اسم الله الصمد، وقد ورد مع اسمه الأحد في نص واحد، فأخذ الصمد وترك الأحد. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ الإخلاص:١/٤.

وورد عند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

(قال الله تعالى: كذَّبني ابنُ آدمَ، ولم يكُن له ذلك، وشتَمني ولم يكن له ذلك، فأَما تكذيُبهُ إِيايَ فقوله: لن يعيدني كما بدأنِي، وليس أوَّلُ الخلقِ بأَهونَ عليَّ من إعادته وأما شتمُهُ إِيايَ فقولُه: اتَّخَذَ اللهُ ولداً، وأَنا الأَحدُ الصمدُ لم أَلِدْ ولم أُولَد، ولم يكُن لي كُفواً أحد) [١] .

وكذلك لم يرد دليل على اسم القابض والباسط إلا النص النبوي المرفوع الذي ورد فيه اسم المسعر والرازق، فأخذ الوليد بن مسلم اسمين وترك اسمين، دون بيان علة أو سبب .

روى أبو داود وابن ماجه وأحمد وصححه الشيخ الألباني جميعهم يروي عن أَنسٍ بن مالك ﷺ أنه قال: (قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ غَلاَ السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وإني لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلاَ مَال) [٢] .

وورد في الأسماء المشهورة أيضا اسم الله القدوس، وقد ورد مع اسمه

---

(١) رواه البخاري في التفسير، باب تفسير قل هو الله أحد ١٩٠٣/٤ (٤٦٩٠) .

(٢) الترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير ٦٠٥/٣ (١٣١٤)، وأبو داود في كتاب الإجارة، باب في التسعير ٢٧٢/٣ (٣٤٥١)، وابن ماجه في التجارات، باب من كره أن يسعر ٧٤١/٢ (٢٢٠٠)، وأحمد في المسند ٢٨٦/٣ (١٤٠٨٩)، وانظر تصحيح الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجة (١٧٨٧)، وغاية المرام (٣٢٣)، ومشكاة المصابيح (٢٨٩٤) .

السبوح في نص واحد، فأخذ الوليد بن مسلم اسم القدوس وترك السبوح دون بيان علة أو سبب.

روى مسلم عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ كَانَ يَقُول فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ) [(١)].

والأمثلة في ذلك كثيرة والقصد أن كثيرا من الأسماء المدرجة والمشتهرة على ألسنة العامة والخاصة ليست من الأسماء الحسنى، وإنما هي أوصاف لله ﷻ أو أفعال، وهي إن كان معناها حق إلا أن دورنا تجاه الأسماء الجمع والإحصاء، ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء، أو تسمية الله كما نشاء.

- **عبد الملك يفعل كما فعل الوليد ولم يشتهر جمعه.**

لقد حاول بعض رواة الحديث أن يصنع ما صنعه الوليد بن مسلم ويجمع الأسماء الحسنى أيضا، فكان منهم عبد الملك بن محمد الصنعاني الذي كان ينفرد بالموضوعات ورواية الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ، ومرتبته عند علماء الجرح والتعديل أنه لا يجوز الاحتجاج بروايته [(٢)].

---

(١) رواه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٣ (٤٨٧).

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٦/٣٧٢، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ١/٦٦٩، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

لقد جمع عبد الملك بن محمد الصنعاني ما يقارب المائة اسم وأدرجها في حديث أبي هريرة ﷺ، ونقلها عنه أبو عبد الله محمد بن ماجة في سننه حيث قال رحمه الله: حدثنا هِشَام بن عمار حدثنا عبد الملكِ بن محمد الصَّنعاني، حدثنا أَبو المنذِر زُهَير بن محمد التميمي، حدثنا موسى بن عقبةَ، حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أَبي هُريرةَ ﷺ أَن رسول اللهِ ﷺ قال:

(إِن للهِ تسعة وتسعين اسما مائَة إِلا واحدا إِنهُ وتر يحب الوتر من حفظهَا دخل الجنةَ وهِي اللهُ الواحد الصَّمد الأَول الآخر الظاهِر الباطِن الخالق البارئُ المصَور الملكُ الحق السلام المؤْمن المهَيمن العزِيزُ الجبار المتكَبر الرحمن الرحيم اللطِيف الخبير السميع البصِير العليم العظيم البار المتعال الجليل الجميل الحي القيوم القادر القاهِر العلي الحكِيم القريب المجيب الغَني الوهَّاب الودود الشَّكُور الماجد الواجد الوالي الراشِد العفو الغَفور الحليم الكَريم التواب الرب المجيد الولي الشَّهِيد المبين البرهَان الرءُوف الرحيم المبدئُ المعيد الباعث الوارث القوي الشَّديد الضَّار النافع الباقي الواقي الخافضُ الرافع القابضُ الباسطُ المعزُّ المذِل المقسطُ الرزَّاق ذُو القوةِ المتين القائِم الدائِم الحافظ الوكِيل الفاطِر السامع المعطِي المحيي المميت المانع الجامع الهَادي الكَافي الأَبد العالم الصَّادق النور المنير التام القديم الوتر الأَحد الصَّمد الذِي

لم يلد ولم يولد، ولم يكُن لهُ كُفوا أَحد) [١] .

وعلى الرغم من كون هذا الإحصاء تضمن أسماء ثابتة بنصها في القرآن والسنة، لم يذكرها الوليد بن مسلم كالقريب الجميل القاهر الرب المبين المعطي الوتر الأحد، بل ما جمعه عبد الملك من الأسماء الصحيحة يعادل الأسماء الصحيحة التي وردت في جمع الوليد بن مسلم، إلا أنها لم تنل أي حظ من الاشتهار بين عامة المسلمين.

- **عبد العزيز بن الحصين يجمع الأسماء ولم يشتهر جمعه.**

وعلى منوال ما فعله الوليد بن مسلم الدمشقي ومحمد بن عبد الملك الصنعاني، حاول مجتهد ثالث اسمه عبد العزيز بن الحصين، وهو عند علماء الحديث ممن لا يجوز الاحتجاج به بحال من الأحوال لأنه ضعيف متروك، أو ذاهب الحديث كما قال في تجريحه الإمام مسلم رحمه الله [٢] .

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء، باب أسماء الله ﷻ ٢/١٢٦٩ (٣٨٦١)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح دون عد الأسماء. انظر ضعيف ابن ماجة (٨٤٢)، وضعيف الجامع (١٩٤٣) .

(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي ٢/١٣٨ نشر دار الوعي، حلب، وميزان الاعتدال للذهبي ٤/٣٦٢ نشر دار الكتب العلمية، بيروت، والتلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ٤/٤٢٣، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

لقد حاول عبد العزيز بن الحصين أن يجمع تسعة وتسعين اسما ويدرجها هو أيضا في حديث فضل الإحصاء، وقد رواها عنه الحاكم النيسابوري مدرجة في مستدركه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا إلى النبي ﷺ قال: (إن لله تسعة وتسعين أسما من أحصاها دخل الجنة. الله الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحليم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير الحنان المنان البديع الودود الغفور الشكور المجيد المبديء المعيد النور الأول الآخر الظاهر الباطن الغفار الوهاب القادر الأحد الصمد الكافي الباقي الوكيل المجيد المغيث الدائم المتعال ذو الجلال والإكرام المولى النصير الحق المبين الباعث المجيب المحيي المميت الجميل الصادق الحفيظ الكبير القريب الرقيب الفتاح التواب القديم الوتر الفاطر الرزاق العلام العلي العظيم الغني المليك المقتدر الأكرم الرءوف المدبر المالك القدير الهادي الشاكر الرفيع الشهيد الواحد ذو الطول ذو المعارج ذو الفضل الخلاق الكفيل الجليل الكريم. قال الحاكم: هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مختصرا دون ذكر الأسامي الزائدة فيها) [١] .

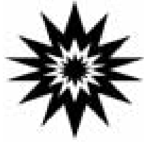
وقد سقط من النص أربعة أسماء أوردها البيهقي في الاعتقاد، وهي

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري، كتاب الإيمان ١/٦٣ (٤٢).

على ترتيب ورودها عنده: البادي العفو الحميد المحيط [1] .

وعلى الرغم من كون الأسماء التي أحصاها عبد العزيز بن الحصين تضمنت من أسماء الله الحسنى الثابتة بنصها في القرآن والسنة ستة عشر اسما صحيحا لم يذكرها الوليد بن مسلم في الأسماء المشهورة مثل الإله الرب المنان المليك المولى النصير المبين المجيب الجميل الوتر المقتدر الأكرم القدير الشاكر الخلاق الأحد، وكذلك تضمنت ما لم يذكره عبد الملك بن محمد الصنعاني إلا أنها لم تنل حظا يذكر من الاشتهار بين عامة المسلمين.

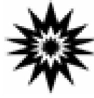


(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص٥١.

المطلب الثاني والعشرون

الأسماء الصحيحة فيما جمعه علماء السلف

وابن حزم وابن حجر



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد دار الحديث في المطلب السابق حول الأسماء المشتهرة وكيف ظهرت وانتشرت منذ قرابة الألف عام، وتناولنا الحديث عن روايات حديث أبي هريرة ﷺ في إحصاء الأسماء التسعة والتسعين، وبينا أن رواة حديث الإحصاء عن أبي الزناد لم يزيدوا في النص سرد الأسماء، وأن الوليد بن مسلم هو من أدرج الأسماء المشهورة من عنده.

كما بينا اضطراب الوليد في جمعه للأسماء المشهورة، وذكرنا كلام العلماء المحققين عن رواية الوليد بن مسلم ونقدها، وكلام ابن الوزير اليماني في وصف تدليسه وتناقضه في جمعه للأسماء الحسنى.

كما بينا أن عبد الملك الصنعاني فعل كما فعل الوليد في إحصاء الأسماء وإدراجها في الحديث ولم يشتهر جمعه، وكذلك فعل عبد العزيز بن الحصين حيث جمع الأسماء وأدرجها فيما رواه عنه الحاكم في المستدرك غير أن جمعه لم يشتهر أيضا.

وفي هذا المطلب بإذن الله تعالى نتناول الحديث عن الأسماء الصحيحة فيما جمعه علماء السلف الصالح وابن حزم وابن حجر رحمهم الله جميعا، من خلال المحاور التالية:

• إحصاء أبي زيد وإقرار سفيان واستدراك جعفر.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في الفتح بعد أن بين أن تعيين الأسماء الواردة في رواية الترمذي ضعيف وأنه مدرج في الحديث من قبل الوليد بن مسلم:

(وإِذا تقرر رجحان أن سرد الأسماء ليس مرفوعا فقد اعتنى جماعة بتتبعها من القرآن من غير تقييد بعدد.. وكذا أخرج أبو نعيم عن الطبراني، عن أحمد بن عمرو الخلال، عن ابن أبي عمرو، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، سألت أبا جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء الحسنى فقال: هي في القرآن. وَرُوِّينَا في فوائِد تمام، من طريق أبي الطاهر بن السرح، عن حبان بن نافع، عن سفيان بن عيينة الحديث، يعني حديث " إِن لله تسعة وتسعين اِسما". قال: فوعدنا سفيان أن يخرجها لنا من القرآن فأبطأ، فأتينا أبا زيد فأخرجها لنا، فعرضناها على سفيان، فنظر فيها أربع مرات وقال: نعم هي هذه، وهذا سياق ما ذكره جعفر، وأبو زيد قالا: ففي الفاتحة خمسة، الله، رب، الرحمن، الرحيم، مالك) [1].

---

(١) الفتح ١/ ٢١٧، وانظر الأمالي المطلقة ص٢٤٤، نشر المكتب الإسلامي.

نلاحظ أن الأسماء الخمسة التي استخرجها الأئمة الثلاثة من فاتحة الكتاب ـ أعني الإمام سفيان بن عيينة، والإمام جعفر الصادق، وأبا زيد اللغوي ـ نلاحظ أنها وردت بصيغة الاسم، وجميعها وردت إما مطلقة في الفاتحة كاسم الرحمن والرحيم ، أو مطلقة في مواضع أخرى من القرآن كاسم الرب في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ يس:٥٨. وقوله ﷻ: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ ﴾ سبأ:١٥، أو مطلقة في مواضع أخرى من السنة كإطلاق المالك في قوله ﷺ: (لاَ مالكَ إلا اللهُ ﷻ) [١].

ونلاحظ أيضا أن الأئمة الثلاثة رحمهم الله لم يشتقوا الأسماء من الأفعال حتى لو كان الاشتقاق دالا على الكمال، فلم يشتقوا اسم الهادي من الفعل "اهدنا" في قوله ﷻ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ الفاتحة:٦. ولم يشتقوا اسم المنعم من الفعل "أنعمت" في قوله ﷻ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الفاتحة:٧.

- **تحقيق الأسماء التي استخرجها الثلاثة من سورة البقرة.**

قال ابن حجر في بيان ما جمعه أبو زيد اللغوي، وشاركه جعفر، وأقرهما سفيان: (وفي البقرة: محيط، قدير، عليم، حكيم، عليٌّ، عظيم، تواب، بصير، وليٌّ، واسع، كاف، رءوف، بديع، شاكر، واحد، سميع،

---

(١) مسلم في كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك ٣/١٦٨٨ (٢١٤٣).

قابض، باسط، حي، قيوم، غني، حميد، غفور، حليم. وزاد جعفر: إله، قريب، مجيب، عزيز، نصير، قوي، شديد، سريع، خبير)[(١)].

وقال جعفر الصادق: (في فاتحة الكتاب خمسة أسماء، وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسما)[(٢)].

نلاحظ أن اسم المحيط أخذه أبو زيد اللغوي نصا من قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ البقرة:١٩. واسم القدير أخذه من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ البقرة:٢٠.

وأخذ اسمي العليم والحكيم من قوله: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ البقرة:٣٢. وأخذ أبو زيد اسمي العلي والعظيم من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ البقرة:٢٥٥. وأخذ اسم التواب من قوله ﷻ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ البقرة:٣٧. وأخذ اسم البصير من قوله ﷻ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ البقرة:٩٦ .

واسم الولي أخذه أبو زيد اللغوي من قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ البقرة:٢٥٧. واسم الواسع أخذه من قوله:

---

(١) فتح الباري ١١/ ٢١٧.

(٢) طرق حديث الأسماء الحسنى لأبي نعيم الأصبهاني ص١٦٤.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ البقرة:١١٥.

واسم الكافي أخذه أبو زيد اشتقاقا من الفعل "فسيكفيكهم" في قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ البقرة:١٣٧. وهو سهو منه؛ لأن سورة البقرة لم يرد فيها اسم الكافي. وكان ينبغي أن يؤخذ الاسم مقيدا من قوله ﷻ في سورة الزمر: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ الزمر:٣٦.

ولو صح أنه أخذه اشتقاقا كما زعم البعض، لما ترك أبو زيد إحصاء اسم الخالق اشتقاقا من الفعل الوارد في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ البقرة:٢١. أو قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة:٢٩. ويلزمه أيضا إحصاء اسم الفتاح اشتقاقا من الفعل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة:٧٦.

وهناك أسماء كثيرة يمكن أخذها بالاشتقاق، يلزمه إحصاؤها من سورة البقرة حتى لو اشترط دلالتها على الكمال المطلق، مما يدل على أن ذكره لاسم الكافي ضمن الأسماء التي اشتقها من سورة البقرة هو سهو منه رحمه الله.

وأخذ أبو زيد اللغوي اسم الرؤوف من قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)﴾ البقرة:١٤٣. وأخذ اسم

البديع من قوله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧ ﴾ البقرة:١١٧. واسم الشاكر أخذه من قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨ ﴾ البقرة:١٥٨. واسم الواحد أخذه من قوله: ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٣ ﴾ البقرة:١٣٣. وأخذ اسم السميع من قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٢٧ ﴾ البقرة:١٢٧.

وأخذ أبو زيد اللغوي اسمي القابض الباسط اشتقاقا من قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٤٥ ﴾ البقرة:٢٤٥.

وهو سهو منه لأنه لا دليل على الاسمين في القرآن أو السنة إلا النص النبوي المرفوع الذي رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد جميعهم يرويه عن أَنس بن مالك ﷺ أنه قال: (قَال الناسُ: يَا رَسُول اللهِ غَلاَ السِّعْرُ فَسَعِّرْ لنا، فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: إن اللهَ هُو المسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازقُ، وإني لأَرْجُو أَن أَلقَى اللهَ وليْسَ أَحَدٌ منكُم يُطَالبُني بِمظْلمةٍ فِي دَم ولاَ مال) (١).

ولو كان منهجه اشتقاق الأسماء من الأفعال للزمه استخرج أغلب

(١) حديث صحيح، صححه الألباني في صحيح ابن ماجة (١٧٨٧)، وغاية المرام (٣٢٣)، ومشكاة المصابيح (٢٨٩٤).

الأسماء اشتقاقا من الأفعال التي وردت في سورة البقرة، وهي أطول سور القرآن وهي كافية وحدها لذلك.

وأخذ أبو زيد اللغوي اسمي الحي القيوم من قوله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ البقرة:٢٥٥. وأخذ اسمي الغني الحميد من قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ البقرة:٢٦٧. وأخذ اسمي الغفور الحليم من قوله: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٢٥﴾﴾ البقرة:٢٢٥.

- **الزيادة التي استدركها جعفر على أبي زيد من سورة البقرة.**

زاد الإمام جعفر الصادق في إحصائه للأسماء الحسنى من سورة البقرة تسعة أسماء على ما جمعه أبو زيد اللغوي وهي: إله، قريب، مجيب، عزيز، نصير، قوي، شديد، سريع، خبير.

ونلاحظ أن اسم الإله ورد مع اسم الواحد في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ البقرة:١٣٣، فأخذ أبو زيد اللغوي اسم الواحد في جمعه وترك اسم الإله، فتداركه جعفر الصادق في إحصائه، وأضافه للأسماء التي وردت في سورة البقرة، وهو مصيب فيما استدركه.

واسم القريب كذلك استدركه عليه من قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ البقرة:١٨٦. وهو

صواب، لأن اسم القريب ورد بصيغة الاسم علما على ذات الله ﷻ متضمنا الوصف.

أما استدراك جعفر الصادق لاسم المجيب من سورة البقرة فهو سهو منه وليس من أبي زيد اللغوي؛ لأن اسم المجيب لا يؤخذ اشتقاقا من الفعل "أجيب" الذي ورد مع اسم القريب، بل يؤخذ من قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١﴾ هود:٦١.

وأما اسم العزيز فقد استدركه جعفر الصادق علي أبي زيد اللغوي وهو صحيح؛ لأنه ورد بصيغة الاسم علما على ذات الله ﷻ متضمنا الدلالة على الوصف في قول الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ البقرة:١٢٩.

وأما اسم النصير فقد استدركه جعفر الصادق علي أبي زيد اللغوي وهو سهو من جعفر، لأن الاسم لم يرد في سورة البقرة نصا صريحا، وإنما أخذه جعفر بمفهوم المخالفة من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧﴾ البقرة:١٠٧. والمفترض أن يؤخذ الاسم التوقيفي من سورة الأنفال من قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ الأنفال:٤٠.

وأما اسم القوي فقد استدركه جعفر الصادق علي أبي زيد اللغوي

وهو سهو من جعفر؛ لأن الاسم لم يرد في سورة البقرة، ولكن ورد بصيغة الاسم في أول وروده في القرآن في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ الأنفال:٥٢.

وأما باقي الأسماء التي استدركها جعفر الصادق علي أبي زيد اللغوي وهي الشديد والسريع والخبير فقد كان السهو فعلا من أبي زيد اللغوي؛ لأنها وردت بنصوصها في سورة البقرة، وإن كانت مقيدة بالإضافة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ البقرة:١٦٥. وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ البقرة:٢٠٢. وقوله: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ البقرة:٢٧١.

- **سهو الأئمة الثلاثة عن كثير من الأسماء في سورة البقرة.**

لقد سها الأئمة الثلاثة رحمهم الله عن أسماء توقيفية وردت جميعها في سورة البقرة بصيغة الاسم، وهي إن كانت في مواضعها مضافة أو مقيدة إلا أنها متفقة تماما مع منهجهم في الإحصاء، ويفترض إدخالها كما أدخلوا الأسماء الآتية: محيط بديع شديد ولي سريع، إذ لم ترد في البقرة إلا مقيدة.

بل إن إحصاء الأسماء التي سهوا عنها أولى من إحصاء الأسماء التي لم ترد أصلا في سورة البقرة، وأخذوها اشتقاقا من الأفعال كاسم الكافي والقابض والباسط، على اعتبار أن اسمي القابض الباسط لم يردا نصا في القرآن، وهم لم يأخذوا الأسماء من السنة النبوية، أو أولى من الأسماء التي أخذوها من المعاني المستنبطة من سورة البقرة بمفهوم المخالفة كاسم الله النصير.

أما الأسماء التوقيفية المقيدة التي وردت جميعها في سورة البقرة بصيغة الاسم، وقد سها الثلاثة جميعا عنها فهي: اسم البارئ في قوله الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ البقرة:٥٤.

واسم المولى في قول الله تعالى: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة:٢٨٦. واسم ذي الفضل في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ البقرة:١٠٥.

اسم المبتلي من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ﴾ البقرة:٢٤٩.

واسم الجاعل من قوله: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ البقرة:١٢٤.

واسم المخرج من قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ البقرة:٧٢.

وجميعها كما نرى أسماء صريحة وردت بصيغة الاسم في سورة البقرة. فإن قال قائل: إنما تركوها عمدا لأنها مقيدة، ولا يحسن إطلاقها، قيل: إن كثيرا مما ذكروه من الأسماء في سورة البقرة ورد مقيدا كذلك. فإن قيل: إنما اجتهدوا بالاستنباط العقلي واخرجوا ما استحسنوه مما دل على الكمال من الأسماء، قيل: إن السلف جميعا يقولون بأن الأسماء توقيفية على النص، وليست مسألة إحصائها مسألة عقلية، ولماذا إذا استبعدوا اسم البارئ والمولى من سورة البقرة ولم يستحسنوه؟ فليس ثمة مخرج للمنازع إلا أن يقر بأن ما حدث منهم كان سهوا من غير تعمد.

- **سهو الأئمة الثلاثة عن الأسماء لا يقدح في مكانتهم.**

ونتبه إلى أن هؤلاء الأعلام جميعا، أعني الإمام سفيان بن عيينة والإمام جعفر الصادق وأبا زيد اللغوي، هم من أئمة السلف وخير القرون، وهم أهل السبق والفضل، غير أننا نعتقد أنهم بشر يؤخذ منهم ويرد، وجميع علماء السلف قد صرحوا أو أقروا بذلك، وأقروا جميعا أن المعصوم في البلاغ عن ربه هو رسول الله ﷺ، وأن العصمة في كلام الله ﷻ وكلام نبيه ﷺ، وأن فهمهم للعقيدة الصحيحة قائم على تصديق خبر الله ﷻ وتنفيذ أمره، وأن العقيدة الحق مبنية على

تعظيم الدليل القرآني وما ثبت عن النبي ﷺ، دون اعتبار ألفاظ العلماء وكلماتهم في منزلة الوحي الإلهي .

ومعلوم أن النظر في استدلالهم وأدلتهم لا يؤثر أبدا في مكانتهم، بل لو فات أحدهم دليلا من القرآن والسنة، فهو مع الدليل الذي سها عنه، يصدق به تصديقا جازما إن كان خبرا، وينفذه تنفيذا كاملا إن كان أمر، ولا يعني أنه إن فاته اسم توقيفي فإنه لن يأخذ به، وأنه لو كان حيا الآن فلن يؤمن أنه من كلام الله ورسوله ﷺ.

من أجل ذلك اتفق السلف جميعا في فهمهم وعقيدتهم ومنهجهم ومصدر التلقي لديهم، وتوافقوا على القول بما يقتضيه الدليل النصي، واجتمعوا كافة على الإيمان بالنص القرآني النبوي .

ولا يظنن أحد أو يزعم أننا باستدراكنا هذا على ما سهوا عنه قد قدحنا في علماء السلف الصالح، أو قللنا من شأنهم، وإنما القصد أن يُعلم خطأ من زعم أن كل ما قاله السلف فهو توقيفي، وأن ما لم يقله السلف مطلقا فهو باطل، حتى لو استدل صاحبه بتسعة وتسعين دليلا من القرآن وصحيح السنة استدلالا صريحا ومنهجا سلفيا صحيحا. وأنه من الخطأ الشديد والبعد عن القول السديد أن نربي شباب المسلمين على التعصب الأعمى لكل ما ورد في التراث دون تحقيق الدليل ،بحيث نجعل كلام السلف وألفاظهم قرآنا وسنة، وأن نسوي بين ما لم يرد في كلام السابقين، وما لم يرد في كتاب رب العالمين، ولا في سنة خاتم النبيين ﷺ، وأن ما لم يذكره أحدهم من الأسماء الحسنى مما فاته، أو أخطأ فيه

بسهو، أو غير تعمد، لا يحق لأحد من المعاصرين الآن استدراكه بنصوصه القرآنية، ولا تتبعه بأدلته النبوية التوقيفية.

- **سهو الإمام جعفر فيما استدركه من آل عمران .**

وها نحن ما زلنا نتعقب ما جمعه وقرره الأعلام الثلاثة: جعفر الصادق، وأبو زيد اللغوي، وسفيان بن عيينة، لنبين بجلاء ووضوح أن سهوهم أمر وارد، وأن الإمام جعفر الصادق الذي زعم فيه الشيعة الإمامية الإثنا عشرية العصمة بالباطل، وأنه يوحى إليه كالأنبياء سواء بسواء، ها هو جمعه يشهد بأنه إمام معظم في نفوسنا، ولكنه غير معصوم شأنه في ذلك شأن سائر السلف المتقدمين .

وها هو أبو زيد اللغوي يحصي ويقرر أن الأسماء الحسنى التي وردت في سورة آل عمران اسمان فقط، هما اسما الوهاب والقائم، فالوهاب أخذه من قوله تعالى: ﴿ وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ آل عمران:٨. والقائم من قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ آل عمران:١٨.

وقد زاد جعفر ثلاثة أسماء وهي الباعث والمنعم والمتفضل، وهذا سهو منه؛ لأنها زيادة لا دليل عليها، فقد أخذ اسم الباعث من قوله: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ آل عمران:١٦٤. وهذا خطأ لأنه لم يرد اسما توقيفيا في القرآن كله، ولو فرض أنه أخذه اشتقاقا لكان الواجب أن يؤخذ من سورة البقرة؛ لأن الفعل

ذكر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾ البقرة:٥٦.

وكذلك اسم المنعم لم يرد في القرآن اسما، ولو فرض أن جعفر الصادق أخذه اشتقاقا من الفعل لكان الواجب أن يؤخذ من سورة الفاتحة من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ الفاتحة:٧ . أو من سورة البقرة من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ البقرة:٤٧.

وكذلك اسم المتفضل أخذه جعفر اشتقا من قوله تعالى: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ آل عمران:٧٤، مع أن ذا الفضل اسم مقيد، ولو جاز اشتقاق اسم المتفضل للزمه أن يشتق اسم المختص أيضا من الفعل "يختص" ، ولزمه أن يشتق المتفضل من الفعل فضل الذي ورد في الآية السابقة، وهي السابعة والأربعين من سورة البقرة، لا أن يشتقه من سورة آل عمران .

وقد سها الجميع أعني، الإمام سفيان بن عيينة وجعفر الصادق وأبا زيد اللغوي، عن اسم المتوفي والرافع والمطهر والجاعل في قوله تعالى في آل عمران: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥﴾ آل عمران:٥٥.

وسها الثلاثة أيضا عن اسم الشهيد الذي ورد في قوله تعالى في

سورة آل عمران: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) ﴾ آل عمران:٩٨. ولم يذكروا اسم المولى الذي ورد في سورة البقرة وفي آل عمران في قوله تعالى: ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) ﴾ آل عمران: ١٥٠.

وسها الثلاثة أيضا عن اسم الوكيل في قوله: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ آل عمران:١٧٣.

ولم يذكروا اسم الأعلم الذي ورد في قول الله تعالى عن مريم: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ آل عمران:٣٦. أو قول الله سبحانه: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) ﴾ آل عمران:١٦٧. أو قوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) ﴾ أل عمران:١٦٧.

- **سهو الثلاثة عن كثير من الأسماء في القرآن .**

وهناك كثير من الأسماء التي سهوا عنها يمكن التعرف عليها بتتبع الأسماء في سورة آل عمران وباقي سور القرآن، قال ابن حجر: (وفِي النسَاء: رَقِيب حَسِيب شَهِيد مقِيت وكَيْل، زادَ جَعْفَر: عَلِيّ كَبِير، وزادَ سُفْيَان: عَفُو) [١] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/٢١٨.

وقال سها الثلاثة عن أسماء مضافة ومقيدة وردت بصيغة الاسم في سورة النساء كاسم الأشد والأولى والجامع في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ النساء:٨٤. وقوله ﷻ: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ النساء:١٣٥. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ النساء:١٤٠ .

كما أنهم سهو ولم يستخرجوا اسما واحدا من سورة المائدة على الرغم من وجود الأسماء فيها صريحة بصيغة الاسم، كاسم العلام في قوله تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ المائدة:١٠٩. وقوله : ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ المائدة:١١٦. وكخير الرازقين في قوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ المائدة:١١٤. وكاسم المنزل في قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ المائدة:١١٥.

أما إحصاؤهم للأسماء من سور الأنعام فقد قال أبو زيد: وفِي الأَنعَام: فَاطِر قَاهِر، وزادَ جَعْفَر: مميت غَفُور بُرْهَان، وزادَ سُفْيَان: لطِيف خَبِير قَادِر [1] .

(١) السابق ١١/٢١٨.

وقد سها الإمام جعفر الصادق حين أدخل في إحصائه اسمي المميت والبرهان، لأنهما لم يردا اسمين في سورة الأنعام، ولا في أي سورة من سور القرآن.

ولو أخذ اسم المميت اشتقاقا من الفعل، فالواجب أن يأخذه من سورة البقرة عند أول وروده في القرآن من قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ البقرة:٢٨.

كما أن الأئمة الثلاثة، سفيان وجعفر وأبا زيد اللغوي، قد فاتهم عدة أسماء وردت بصيغة الاسم في سورة الأنعام كاسم خير الفاصلين في قوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ الأنعام:٥٧.

وكذلك اسم أسرع الحاسبين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ الأنعام:٦٢.

واسم فالق الحب والنوى كاسم مقيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ الأنعام:٩٥. واسم الخالق في قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ الأنعام:١٠٢. واسم الصادق في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ الأنعام:١٤٦.

• **المتتبع لإحصاء الثلاثة يجد أسماء لا دليل عليها.**

وقس على ذلك لو أردنا أن نتتبع باقي ما جمعه الأعلام الثلاثة سفيان بن عيينه، وأبو زيد اللغوي، وجعفر الصادق، وسوف نجد الكثير من الأسماء التي ذكروها ولا دليل عليها لا نصا ولا اشتقاقا، أو تجد أسماء تركوها سهوا، وهي أعلام على ذات الله ﷻ تتضمن صفات الكمال، إما بإطلاق وإما بتقييد، قد وردت بصيغة الاسم واضحة في النصوص القرآنية.

قال ابن حجر في نقله عنهم: (وفي الأعراف محيي مميت، وفي الأنفال نعم المولى ونعم النصير، وفي هود حفيظ مجيد ودود فعال لما يريد، زاد سفيان: قريب مجيب، وفي الرعد كبير متعال، وفي إبراهيم منان، زاد جعفر صادق وارث، وفي الحجر خلاق، وفي طه عند جعفر وحده غفار، وفي المؤْمنون كريم، وفي النور حق مبين، زاد سفيان نور، وفي الفرقان هاد، وفي سبأ فتاح، وفي الزمر عالم عند جعفر وحده، وفي المؤْمن غافر قابل ذو الطول، زاد سفيان: شديد، وزاد جعفر رفيع، وفي الذاريات رزاق ذو القوة المتين بالتاءِ، وفي الطور بر، وفي اقتربت مقتدر، زاد جعفر مليك، وفي الرحمن ذو الجلال والإِكرام، زاد جعفر رب المشرقين ورب المغربين باق معين، وفي الحديد أول آخر ظاهر باطن، وفي الحشر قدوس سلام مؤْمن مهيمن عزيز جبار متكبر خالق بارئ مصور، زاد جعفر: ملك، وفي البروج مبدئ معيد، وفي الفجر وتر عند جعفر وحده، وفي الإخلاص

أحد صمد) [(١)].

ويكفي في بيان القصد أن الأعلام الثلاثة كل منهم قد سها عن غير عمد عن اسم من أوضح الأسماء في القرآن، ذكره الله بالنص على اسميته وعلميته، وهو اسم الأعلى في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ الأعلى:١.

والعجب من استدلال البعض وهو يشرح عقيدة السلف الصالح في أسماء الله الحسنى بأن ما ذكروه سهوا من الأسماء كاسمي المبدئ المعيد، يدل على أنهم متفقون على جواز الاشتقاق العقلي، أو اختراع أسماء لله ﷻ على نسق المذهب الاعتزالي الجهمي، الذي يقيِّم ما يجوز وما لا يجوز من الكمال اللائق برب العزة والجلال، ثم يزعم أن ذلك الاشتقاق لا ينافي التوقيف عندهم، وإنما الذي ينافيه عندهم اختراع أسماء لم ترد، ولم يدل عليها فعل ولا صفة.

وهذا لا يقوله باحث محقق فضلا عن صغار طلاب العلم، لأن ما ينقض كلامه بالكلية، هو أنهم ذكروا اسم البرهان إحصاءً له من سورة الأنعام، وهذا الاسم لم يرد نصا لا في سورة الأنعام، وفي لا غيرها من سور القرآن، كما أنه لم يرد في القرآن وصفا أو فعلا ليشتقوا منه مثل هذا الاسم.

ثم يزعم أن جماعات من العلماء، من المتقدمين والمتأخرين نقلوا

---

(١) المصدر السابق ٢١٨/١١.

عن هؤلاء الأئمة الثلاثة هذه الأسماء التي جمعوها بما فيها الأسماء المشتقة دون نكير. وكأنه يظن أن طلابَ العِلم أسْرى عنده، وأنهم فقط مقلِّدون مقيَّدون برأيه، وسوف يَغْفُلون ولا يُميِّزون التناقض في قوله وزعمه، حين يقرؤون تعقيب العلامة ابن حجر نفسِهِ وعينِهِ منكرا على إحصائهم، ومصرحا بما فيه من اختلاف واضطراب وتكرار وأسماء جمعوها وهي ليست أسماء، فقال رحمه الله:

(هذا آخر ما رُوِّينَاه عن جعفر وأبي زيد وتقرير سفيان من تتبع الأسماء من القرآن، وفيها اختلاف شديد، وتكرار، وعدة أسماء لم ترد بلفظ الاسم وهي: صادق، منعم، متفضل، منان، مبدئ، معيد، باعث، قابض، باسط، برهان، معين، مميت، باقي) [1] .

- **جمع العلامة ابن حجر العسقلاني لأسماء الله الحسنى.**

بعد أن رجح العلامة ابن حجر رحمه الله أن سرد الأسماء ليس مرفوعا، وبعد أن أورد إحصاء الأئمة الثلاثة سفيان بن عيينة وجعفر الصادق وأبي زيد اللغوي لأسماء الله من القرآن، ثم أنكر عليهم الاختلاف والاضطراب والتكرار في إحصائهم، وأنكر أنهم ذكروا أسماء وهي ليست أسماء، كان لا بد لمن عاصروه من مطالبته هو الآخر بجمع الأسماء الحسنى، والقيام بتقرير ما يجب أن تتعبد به الأمة، لأنها ضرورة قائمة كتعقب لازم على تعقيبه.

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/٢١٨.

لاسيما أنه عقب أيضا على كتابٍ لم يصلنا في هذا العصر، وهو كتاب المقصد الأسنى لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزاهد، الذي تتبع فيه الأسماء من القرآن، فحين تأمله العلامة ابن حجر وجد صاحبه قد كرر أسماء سهوا منه، ووجده قد ذكر أسماء لم ترد في القرآن، ووجده قد ذكر أسماء مضافة، وهو يرى أن تذكر مطلقة.

قال العلامة ابن حجر: (ووقفت في كتاب المقصد الأسنى لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزاهد أنه تتبع الأسماء من القرآن، فتأملته فوجدته كرر أسماء، وذكر مما لم أره فيه بصيغة الاسم: الصادق، والكاشف، والعلام، وذكر من المضاف الفالق من قوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾الأنعام:٩٥. وكان يلزمه أن يذكر القابل من قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ غافر:٣) [1].

والمتأمل في كلام ابن حجر رحمه الله يجد أنه قد سها حين قال بأن اسم الصادق والكاشف والعلام لم ترد في القرآن بصيغة الاسم، وأن الصواب كان مع أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزاهد، لأن اسم الصادق ورد في القرآن بصيغة الاسم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾ الأنعام:١٤٦.

وليس الحال كما ذكر العلامة ابن حجر، واسم الكاشف ورد في القرآن بصيغة الاسم في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ

(١) المصدر السابق ١١/٢١٨.

عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الدخان:١٥. وكذلك اسم العلام ورد في القرآن بصيغة الاسم في ثلاثة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ التوبة:٧٨.

اللهم إلا إن كان العلامة ابن حجر يعني بالاسم عنده الاسم المطلق فقط دون المضاف، وهو احتمال قائم لأنه أنكر على محمد بن إبراهيم الزاهد أنه أدخل أسماء مضافة، ثم ألزمه بإحصاء جميع الأسماء المقيدة بالإضافة، لو أراد اتباع المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يكون، فقال رحمه الله كما سبق: وذكر من المضاف الفالق .. وكان يلزمه أن يذكر القابل.

غير أن العلامة ابن حجر لم يلتزم ما ألزم به محمد بن إبراهيم الزاهد من الأسماء المضافة، بل وقع في سهو وأخطاء كثيرة، ربما تكون أكثر مما جمعه محمد بن إبراهيم الزاهد كما سنرى.

- **ابن حجر يحذف سبعة وعشرين اسما من الأسماء المشتهرة.**

لقد بدأ العلامة ابن حجر رحمه الله بإحصائه للأسماء الحسنى من القرآن معتمدا على التوقيف وعدم الاشتقاق، وملتزما بإحصاء الأسماء الحسنى التي وردت بصيغة الاسم فقط.

وكذلك لم يعتمد سرد الأسماء المشتهرة لأنها من إدراج الوليد بن مسلم، وفيها كثير من الأسماء التي لم يرد بها توقيف، فحذف منها رحمه الله سبعة وعشرين اسما، وأحصى بدلا منها سبعة وعشرين وردت

بنصها أسماء في القرآن الكريم، وإن تراجع عن مراعاته شرط الإطلاق بعد عجزه عن استكمال التسعة والتسعين المطلقة من القرآن.

قال ابن حجر: (وقد تتبعت ما بقي من الأسماء مما ورد في القرآن بصيغةِ الاسم مما لم يذكر في رواية الترمذي وهي: الرب، الإله، المحيط، القدير، الكافي، الشاكر، الشديد، القائِم، الحاكم، الفاطر، الغافر، القاهر، المولى، النصير، الغالب، الخالق، الرفيع، المليك، الكفيل، الخلاق، الأكرم، الأعلى، المبين بالموحدةِ، الحفي بالحاءِ المهملة والفاء، القريب، الأحد، الحافظ. فهذه سبعة وعشرون اسما إِذا انضمت إِلى الأسماء التي وقعت في رواية الترمذي، مما وقعت في القرآن بصيغة الاسم تكمل بها التسعة والتسعون وكلها في القرآن، لكن بعضها بِإضافة) [١] .

نلاحظ الخطأ الذي وقع فيه العلامة ابن حجر سهوا في عدم إدراكه أن اسم الخالق موجود في الأسماء المشتهرة. وعليه فإن قوله: فهذه سبعة وعشرون اسما. هو سهو واضح منه أيضا، والصواب أن الأسماء التي أضافها ستة وعشرون اسما.

ونلاحظ أيضا أن أحدا من القدامى أو المعاصرين لم ينكر على العلامة ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥١هـ) منذ زمنه حتى الآن (١٤٣٠هـ) أنه تجرأ على حذف سبعة وعشرين اسما من الأسماء المشتهرة.

---

(١) المصدر السابق ١١/٢١٨.

تلك الأسماء التي كتبت على الحوائط في كل مسجد، وما زالت في وسائل الإعلام تنشد وتردد، بل زعم فيها بعض علماء عصرنا المتوسدين لأعلى مناصب الفتوى ومجامع البحوث العلمية في بعض البلاد الإسلامية، أنها من المجمع عليها بين الأمة منذ عصر النبوة، وأنها من المعلوم من الدين بالضرورة.

ونلاحظ أيضا أن الأسماء المطلقة التي أضافها ابن حجر وأراد للأمة الإسلامية أن تكون ضمن الأسماء التسعة والتسعين التي يتعبد بها الناس ربهم هي: الرب، الإله، القدير، الشاكر، القاهر، المولى، النصير، المليك، الخلاق، الأكرم، الأعلى، المبين، القريب، الأحد.

وها هو العلامة ابن حجر يصرح بلا لبس أو غموض بالأسماء التي تُحذف من الأسماء المشهورة، مع كونه أخطأ سهوا في كثير منها كما سنرى، فقال رحمه الله: (والأسماء التي تقابل هذه مما وقع في رواية الترمذي مما لم تقع في القرآن بصيغةِ الاسم، وهي سبعة وعشرون اسما: القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل العدل الجليل الباعث المحصي المبدئ المعيد المميت الواجد الماجد المقدم المؤَخر الوالي ذو الجلال والإِكرام المقسط المغني المانع الضار النافع الباقي الرشيد الصبور. فإِذا اقتصر من رواية الترمذي على ما عدا هذه الأسماء، وأُبدلت بالسبعةِ والعشرين التي ذكرتها خرج من ذلك تسعة وتسعون اسما كلها في القرآن، واردة بصيغةِ الاسم، ومواضعها كلها ظاهرة من القرآن إلا قوله الحفي؛ فإِنه في سورة مريم في قول إبراهيم: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ

بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ مريم:٤٧. وقل من نبه على ذلك) [(١)].

• التعقيب على منهج ابن حجر في نقده للأسماء المشتهرة.

نلاحظ أن العلامة ابن حجر أخطأ سهوا حين حذف من الأسماء المشهورة اسم الرافع واسم ذي الجلال والإِكرام، مع كونهما من الأسماء المضافة الواردة بصيغة الاسم نصا، ومنهجه يقتضي عدم حذفهما، وبالرغم من ذلك لم ينكر عليه أحد من أهل العلم القدامى والمعاصرين، فاسم الرافع ورد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ آل عمران:٥٥ . واسم ذي الجلال والإكرام ورد في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ الرحمن:٧٨. وفي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أَلَظُّوا بِيَا ذا الجَلال والإِكْرَام) [(٢)] .

ونلاحظ إلى أنه حذف من الأسماء المشهورة أربعة أسماء من الأسماء الصحيحة الصريحة التوقيفية الواردة بصيغة الاسم في صحيح السنة، وهي المقدم المؤَخر الذين وردا في الصحيحين من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أَنتَ المقَدِّم وأَنتَ المؤَخِّرُ لا إِلهَ إِلا أَنتَ

---

(١) المصدر السابق ٢١٩/١١.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات ٥٤٠/٥ (٣٥٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٥٢٥)، وصحيح الجامع (١٢٥٠).

أَو لا إِلهَ غَيْرُكَ) (١).

وكذلك القابض الباسط الذين وردا في الصحيحين من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِن اللهَ هُو المسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازقُ) (٢).

ولم يقل أحد من العلماء القدامى والمعاصرين، أو من الذين يزعمون بجهلهم الانتصار للسلف الأخيار: إن العلامة ابن حجر ابتدع في دين الله ﷻ؛ لأنه ترك الأسماء التي رواها الصدوق الذي خف ضبطه قليلا عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ، فضلا عن تركه لكامل السنة، وما ورد فيها من الأسماء الصريحة الصحيحة .

ونلاحظ أيضا أن العلامة ابن حجر حذف من الأسماء المشهورة اسم الخافض، المعز، المذل، العدل، الجليل، الباعث، المحصي، المبدئ، المعيد، المميت، الواجد، الماجد، الوالي، المقسط، المغني، المانع، الضار، النافع، الباقي، الرشيد، الصبور. لأنها ليست أسماء توقيفية، وإنما أغلبها أفعال وأوصاف، لا يجيز العلامة ابن حجر اشتقاق الأسماء منها وإن دلت على الكمال.

ولم يقل أحد من العلماء القدامى والمعاصرين: إن ابن حجر في بحثه للأسماء نظر لتخطئته عامة السلف وأهل العلم، وهناك قواعد لم يسبق

---

(١) البخاري في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ٥/٢٣٢٨ (٥٩٥٨).

(٢) حديث صحيح تقدم تخريجه ص٨١٢.

إليها، ولا دليل عليها هي التي دفعته لتخطئة ما اعتاد عليه السلف من جواز الاشتقاق دون نكير. ولم يقل أحد: إن الراجح الذي غفل عنه ابن حجر هو صحة الأسماء المشتقة من الصفات والأفعال الواردة إذا كانت تدل على الكمال المطلق لله ﷻ، ولا توهم نقصا، وهذا قول عامة السلف على زعمهم.

والقصد أن ننبه عامة المسلمين وطلاب العلم إلى أن الدعوة التي يسوقها الهوي والتخبط، وإن زعم صاحبها أنه سلفي، يُعرَفُ فيها الحقُ بالرجال وشهرتهم، ولا يٌعرًف فيها الرجال بالحق وظهور أدلتهم، وأن صاحب السنة المتمسك بنهج السلف الصالح هو المتجرد للحق المتبع للدليل التوقيفي حتى لو جاء على لسان أصغر صبي، لأن الحق عندهم لا يُعرَفُ بالرجال، ولكن يُعرَفُ الرجال بالحق.

وتنبه إلى قول ابن حجر: (وقل من نبه على ذلك) [(١)]. وقوله أيضا: (وقد عاودت تتبعها من الكتاب العزيز إلى أن حررتها منه تسعة وتسعين اسما، ولا أعلم من سبقني إلى تحرير ذلك) [(٢)].

صرح ابن حجر رحمه الله أنه أول من حذف من الأسماء المشهورة سبعة وعشرين اسما، حيث مكثت الأمة تتعبد لله ﷻ بها قروناً طويلةً

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/٢١٩.

(٢) تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر ٤/١٧٣، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، طبعة المدينة المنورة سنة ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

منذ أن وضعها الوليد بن مسلم (ت:١٩٥هـ) إلى زمن ابن حجر (ت:٨٥٢هـ)، وهي عنده ليست من أسماء الله الحسنى، ثم أحصى هو من القرآن سبعة وعشرين اسما دون السنة، وجميعها كما ذكر ابن حجر وارد بصيغة الاسم ليكمل العدد تسعة وتسعين، وهذه التسعة والتسعين كما رأى ابن حجر أولى عنده وأفضل من الأسماء المشتهرة التي جمعها الوليد بن مسلم.

ولم يقل أحد من العلماء القدامى والمعاصرين: إن ما فعله ابن حجر ابتداع في دين الله ﷻ، أو أنه زعم أنه أتى بما لم يأت به الأوائل، أو أنه أخطأ وقفز على علماء السلف الصالح ليأخذ الأسماء من القرآن مباشرة، ويترك اجتهاد الوليد الذي أجمعت أو لم تجمع عليه الأمة.

وتنبه إلى أن العلامة ابن حجر أخذ يعتذر عما أدخله في إحصائه من الأسماء المقيدة، بعد أن أنكر على محمد بن إبراهيم الزاهد أنه أدخل أسماء مضافة، ثم ألزمه بإحصاء جميع الأسماء المقيدة بالإضافة لو أراد اتباع المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يكون، وذلك حين أشار إلى أن محمد الزاهد ذكر من المضاف الفالق، وكان يلزمه أن يذكر القابل.

ولما عجز ابن حجر عن إحصاء سبعة وعشرين اسما مطلقا من القرآن ليضيفها إلى الاثنين والسبعين اسما المطلقة التي انتقاها هو من الأسماء المشهورة ورآها صحيحة، ولما لم يجد في القرآن من الأسماء المطلقة إلا خمسة عشر اسما فقط، اضطر إلى الرجوع إلى تحكيم العقل دون النقل، ومخالفة منهجه في إدخال بعض الأسماء المضافة ليكمل

التسعة والتسعين ويترك البعض الآخر وهو كثير، فأخذ يعتذر عن ذلك، وكأن لسان حاله يقول: لو احتج عليَّ أحد بأنني أدخلت المضاف في إحصائي للأسماء التسعة والتسعين التي اخترتها، فسأحتج عليه أيضا بأن الوليد بن مسلم فعل ذلك في الأسماء المشهورة التي أدرجها في الحديث، ورواها عنه الترمذي وبقيت قرونا طويلة لم يحتج عليه أحد فيها.

قال ابن حجر رحمه الله في بيان علة إدخاله الأسماء المقيدة بالإضافة: (وقد وقع نحو ذلك من الأسماء التي في رواية الترمذي وهي المحيي من قوله: ﴿ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ الروم:٥٠. والمالك من قوله: ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ آل عمران:٢٦. والنور من قوله: ﴿ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النور:٣٥. والبديع من قوله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ البقرة:١١٧. والجامع من قوله: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ ﴾ آل عمران:٩. والحكم من قوله: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ الأنعام:١١٤. والوارث من قوله: ﴿ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحجر:٢٣)[1].

مع العلم أن اسم الحكم اسم توقيفي صحيح ورد اسما مطلقا في السنة، وهو لم يأخذ بالأسماء الواردة فيها.

وقد ثبت اسم الحكم في سنن أبي داود وسنن النسائي وغيرهما من حديث شريح بن هانئ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِن الله هُو الحَكَم،

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢١٩/١١.

وإِلَيْهِ الحُكْم) [١]. واسم الوارث ورد صريحا مطلقا في القرآن، فجعله ابن حجر مقيدا.

- **أغرب الأشياء في إحصاء العلامة ابن حجر .**

أما أغرب الأشياء التي يلاحظها أي محقق في جمع العلامة ابن حجر رحمه الله وإحصائه لأسماء الله من القرآن هو ما فعله عندما أعاد سرد الأسماء التي استخرجها بترتيبه المختار ليحفظها عامة المسلمين، حيث أدرج اسمين لا محل لهما على الإطلاق في جمعه السابق.

وإني لأعجب لماذا أقدم العلامة ابن حجر، وهو من هو، على مثل ذلك الصنيع؟! فالمفترض أن الأسماء التي سيعيد سردها وترتيبها هي مجموع السبعة والعشرين التي أحصاها من القرآن، مضافة إلى الاثنين والسبعين اسما الصحيحة المتبقية في الأسماء المشتهرة من جمع الوليد بن مسلم، فأما السبعة والعشرون التي جمعها فهي: الرب، الإله، المحيط، القدير، الكافي، الشاكر، الشديد، القائِم، الحاكم، الفاطر، الغافر، القاهر، المولى، النصير، الغالب، الخالق، الرفيع، المليك، الكفيل، الخلاق، الأكرم، الأعلى، المبين، الحفي، القريب، الأحد، الحافظ. وأما الاثنين والسبعين اسما المشتهرة فمعروفة للعامة والخاصة .

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ٢٨٢/١ (٨١١)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح ٢٨٩/٤ (٤٩٥٥)، والنسائي في كتاب القضاء، باب إذا حكموا رجلا فقضى بينهم ٤٦٦/٣ (٥٩٤٠) وصححه الألباني، وانظر إرواء الغليل (٢٦١٥)، وصحيح الأدب المفرد (٨١١.

ما الذي صنعه العلامة ابن حجر؟ عند إعادة سرده للأسماء التي جمعها أدخل اسمين لا محل لهما في إحصائه السابق، وهما المستعان والعالم، فلن تجدهما لا في السبعة والعشرون التي جمعها هو، ولا في الأسماء المشتهرة المعروفة حتى الآن، وهذا بالفعل أعجب شيء وأغربه فيما صنعه العلامة ابن حجر عند إحصائه لأسماء الله الحسنى الثابتة في كتاب الله .

قال رحمه الله: (وهذا سردها لتحفظ، ولو كان في ذلك إِعادة لكنه يغتفر لهذا القصد، الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤْمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار التواب الوهاب الخلاق الرزاق الفتاح العليم الحليم العظيم الواسع الحكيم الحي القيوم السميع البصير اللطيف الخبير العلي الكبير المحيط القدير المولى النصير الكريم الرقيب القريب المجيب الوكيل الحسيب الحفيظ المقيت الودود المجيد الوارث الشهيد الولي الحميد الحق المبين القوي المتين الغني المالك الشديد القادر المقتدر القاهر الكافي الشاكر المستعان الفاطر البديع الغافر الأول الآخر الظاهر الباطن الكفيل الغالب الحكم العالم الرفيع الحافظ المنتقم القائِم المحيي الجامع المليك المتعالي النور الهادي الغفور الشكور العفو الرءُوف الأكرم الأعلى البر الحفي الرب الإِله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) (١).

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/٢١٩.

وإني بعد المعاناة التي عشتها في تحقيق أسماء الله الحسنى بالرغم من استخدام أحدث أساليب التقنية، يمكن أن نلتمس ألف عذر للعلامة ابن حجر؛ لأن قضية إحصاء أسماء الله الحسنى كانت بالفعل مسألة شاقة ومجهدة، فمجرد السهو عن اسم من الأسماء يوقع الخلل والاضطراب في حساب العدد في لبقية الأسماء.

وأغلب الظن عندي في تبرير ما صنعه العلامة ابن حجر أنه لما حدث سهو منه حين اعتبر اسم الخالق اسما لم يرد في الأسماء المشهورة، والأمر ليس كذلك، وكذلك لما حذف أيضا من الأسماء المشهورة اسم الرافع وظن أنه لم يرد في القرآن اسما، وهو في حقيقته اسم مقيد واجب إبقاؤه على منهجه في إحصاء المضاف، اختلط الأمر عليه عند عدها وسرها، فنقص العدد اسمان حتى يكتمل عنده العدد تسعة وتسعين اسما، فأضاف سهوا اسم المستعان والعالم، مع مراعاة أنه ربما اعتبر اسم ذي الجلال والإكرام وصفا وليس اسما.

وقد تمنى العلامة ابن حجر وقتها أن يعيد النظر في منهجه بكليته ليحصي جميع الأسماء المطلقة فقط من القرآن والسنة معا، غير أن مشقة إحصائها بالمنهج الاستقرائي من جميع كتب السنة مشقة كبيرة جدا تتطلب جهدا جماعيا لقراءة عشرات الآلاف من صفحات السنة، أو شيئا جديدا غير مألوف في أيامهم، والأجل لم يسعفه ليفعلها فقال رحمه الله مبينا رغبته في ذلك: (ويتتبع من الأحاديث الصحيحة تكملة العدة المذكورة، فهو نمط آخر من التتبع عسى الله أن يعين عليه بحوله

وقوته آمين) [1].

ونتبه إلى أن محاولات علماء السلف الصالح ومن جاء بعدهم في تعيين التسعة والتسعين اسما، كلها اجتهادات مأجورة، ولكنها غير مقبولة على إطلاقها، ولا يجوز للمسلم تقليد إحداها إلا إذا وجد الدليل التوقيفي الذي ورد فيه النص على ذكر الاسم بصيغته، فها نحن رأينا أن جهد البشر يعتريه الخطأ، وأن جهد ابن حجر تعدد فيه السهو والخطأ، فكيف يزعم بعض المتصدرين للفتوى في البلاد الإسلامية أنه يجوز للمسلم تقليد اجتهاد ابن حجر أو غيره على علته دون تحقيق؟

• منهج ابن حزم في إحصاء الأسماء الحسنى .

ما يميز ابن حزم رحمه الله (ت:٤٥٦هـ) في منهجه أنه استبعد سرد الأسماء المشهورة واعتمد على شرط التوقيف من الكتاب وصحيح السنة، وأن يكون الاسم علما على ذات الله مطلقا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه، وإن لم يوفق إلى جمع تسعة وتسعين اسما، غير أن ما يؤخذ عليه أنه لم يشترط دلالة الاسم على الوصف وهو خطأ منه، فقال رحمه الله: (فصح أنه لا يحل لأحد أن يسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، وصح أن أسماءه لا تزيد على تسعة وتسعين شيئا لقوله ﷺ: مائة إلا واحدا، فنفى الزيادة وأبطلها، لكن يخبر عنه بما يفعل تعالى، وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين أسماء مضطربة

(١) المرجع السابق ٢٢١/١١.

لا يصحح منها شئ أصلا فإنما تؤخذ من نص القرآن، ومما صح عن النبي ﷺ، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر) [(١)].

ثم ذكر أربعة وثمانين اسما وهي: اللهُ الرحمن الرحيم العَليم الحكِيم الكَريم العَظِيم الحليم القيوم الأَكْرم السَّلاَم التَّواب الرب الوهَّاب الإِلهُ القريب السَّميعُ المجِيب الواسِعُ العَزِيزُ الشَّاكِر القاهِر الآخِر الظَّاهِر الكَبير الخَبير القدِير البصِير الغَفور الشَّكُور الغَفار القهَّار الجَبار المتَكَبر المصَور البر المقتَدِر الباري العَلي الغَني الولي القوي الحي الحميدُ المجِيدُ الودُودُ الصَّمدُ الأَحدُ الواحدُ الأَول الأَعْلى المتَعَال الخَالق الخَلاق الرزَّاق الحق اللطِيف الرؤوف العَفو الفتَّاح المتِين المبين المؤْمن المهَيمن الباطِن القدُّوسُ الملكُ المليكٌ الأَكْبر الأَعَزُّ السَّيدُ السُبوح الوتْر المحسَن الجَميل الرفيق المسَعِّر القابضُ الباسِطُ الشَّافي المعْطِي المقدِّم المؤَخِّر الدَّهْر [(٢)].

• **بعض الإحصائيات للراغبين في إحصاء الأسماء الحسنى.**

عدد الأسماء الصحيحة المطلقة من القرآن التي اتفق فيها ابن حجر وابن حزم معا ثمانية وستون اسما، وهي: الأَحد الآخِر الأعْلى الأكْرم الإِله الأوّل البارئ الباطِن البرّ البصِير التَّواب الجَبار الحق الحكِيم الحليم الحميد الحي الخَالق الخَبير الخَلاق الرءُوف الرب الرحمن الرحيم

---

(١) المحلى لأبي محمد بن حزم ٨/٣١ .

(٢) السابق ٨/٣١ .

الرزَّاق السَّلام السَّميع الشَّاكِر الشَّكُور الصَّمد الظَّاهِر العَزِيز العَظِيم العَفُو العَليم العَلي الغَفّار الغَفُور الغَني الفَتَّاح القدُّوس القدِير القريب القهَّار القوي القيوم الكَبير الكَريم اللطِيف الله المؤْمن المبين المتَعَالي المتَكَبر المتِين المجِيب المجِيد المصَور المقتَدِر الملك المليك المهَيمن الواحد الواسِع الودُود الولي الوهَّاب القاهِر.

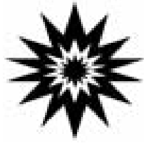
عدد الأسماء الحسنى الصحيحة المطلقة الثابتة في السنة النبوية التي أضافها ابن حزم، ولم يذكرها ابن حجر ثلاثة عشر اسما وهي: الباسِطُ الجَميلٌ الرفِيق السُبوح السَّيِّدُ الشَّافي القابضُ المؤَخِّر المحسَن المسَعِّر المعْطِي المقدِّم الوتر .

عدد الأسماء الصحيحة المطلقة الثابتة في القرآن التي أضافها ابن حجر ولم يذكرها ابن حزم اثنا عشر اسما وهي: الحسِيب الحفِيظ الحكَم الرقيب الشَّهِيد المالك المقيت المولى النصِير الوارث الوكِيل القادِر.

عدد الأسماء الصحيحة المطلقة التي وردت في القرآن والسنة في مجموع ما ذكره ابن حزم وابن حجر ثلاثة وتسعون اسما وهي: الله الأحد الآخِر الأعْلى الأكْرم الإله الأول البارئ الباطِن البر البصِير التَّواب الجَبار الحق الحكِيم الحليم الحميد الحي الخَالق الخَبير الخَلاق الرءُوف الرب الرحمن الرحيم الرزَّاق السَّلام السَّميع الشَّاكِر الشَّكُور الصَّمد الظَّاهِر العَزِيز العَظِيم العَفُو العَليم العَلي الغَفَّار الغَفُور الغَني الفتَّاح القدُّوس القدِير القريب القهَّار القوي القيوم الكَبير الكَريم اللطِيف المؤْمن المبين المتَعَالي المتَكَبر المتِين المجِيب المجِيد المصَور المقتَدِر

الملك المليك المهَيمن الواحد الواسِع الودُود الولي الوهَّاب القاهِر الباسِطُ الجَميلٌ الرفِيق السُبوح السَّيدُ الشَّافِي القابضُ المؤَخِّر المحسَن المسَعِّر المعْطِي المقدِّم الوتْر الحسِيب الحفِيظ الحكَم الرقيب الشَّهِيد المالك المقيت المولى النصِير الوارث الوكِيل القادِر.

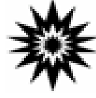
عدد الأسماء الصحيحة المطلقة التي تضاف إلى مجموع ما ذكره ابن حجر وابن حزم لاستكمال تسعة وتسعين اسما مطلقا بالإضافة إلى اسم الجلالة الله سبعة أسماء هي: الجَوادُ الديان الرازِق الطَّيب الحيي الرفيق المنان.



المطلب الثالث والعشرون

أسماء الله الحسنى

بين الحصر ومعاني الإحصاء



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

ففي المطلب السابق دار الحديث حول إحصاء بعض علماء السلف الصالح لأسماء الله الحسنى، وهم أبو زيد اللغوي وإقرار سفيان بن عيينة له، واستدراك جعفر الصادق عليهما، وتناول الحديث أيضا تحقيق مواضع الأسماء التي استخرجها الأئمة الثلاثة من سورة البقرة، والزيادة التي استدركها جعفر على أبي زيد في تلك السورة.

ثم بينا سهو الأئمة الثلاثة عن كثير من الأسماء في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن، وأن المتتبع لجمع الثلاثة يجد أسماء كثيرة ذكروها سهوا بلا دليل، وأن سهو الأئمة الثلاثة عن كثير من الأسماء لا يقدح في مكانتهم، أو يقلل من شأنهم، لأنهم بشر يؤخذ منهم ويرد، ولهم السبق في محاولة إحصاء الأسماء.

ثم تناولنا تحقيق إحصاء العلامة ابن حجر العسقلاني لأسماء الله الحسنى، وبينا نقده للأسماء المشتهرة، وأنه حذف منها سبعة وعشرين

اسما، رآها لا تقدم على الأسماء التي وردت بصيغة الاسم في القرآن الكريم، ثم استخرج رحمه الله من القرآن سبعة وعشرين أخرى ووضعها بدلا منها.

ثم تحدثنا عن أغرب الأشياء في إحصاء العلامة ابن حجر، وعرضنا المنهج التوقيفي لابن حزم الأندلسي في إحصائه للأسماء الحسنى، وبينا أنه التزم بعلمية الاسم كشرط صارم في الإحصاء دون النظر إلى دلالته على الوصف. ثم ذكرنا بعض الإحصائيات المفيدة للراغبين في إحصاء الأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة.

وفي هذا المطلب بإذن الله ﷻ نتناول الحديث عن أسماء الله الحسنى بين الحصر ومعاني الإحصاء، من خلال المحاور التالية:

- **أسماء الله بين الحصر والإحصاء وشبهات المستشرقين.**

استغل أحد قساوسة النصارى في بحثه لأسماء الله الحسنى عند المسلمين ما وجده بعقله القاصر من التعارض المزعوم بين عدم حصر الأسماء، والدعوة إلى الحفظ والإحصاء للتسعة والتسعين اسما، وذكر مشككا أنه عند دراسة أحاديث نبي الإسلام عن أسماء الله، نجد أن جميع هذه الأحاديث، وبدون استثناء، تؤكد على أن عدد هذه الأسماء هو تسعة وتسعون اسما، أي مائة إلا واحد.

ومن جملة هذه الأحاديث عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: لله تسعةٌ وتسعون اسما من حَفِظَها دخل الجنَّةَ، وإنَّ اللهَ وترٌ يحبُّ الوترَ.

وفي روايَة "من أحصاها" (١).

ثم يبين أن الأمر الغريب عنده بل والعجيب أيضا أنه على الرغم من حث النبي ﷺ على حفظِ أو إحصاء أسماء الله التسعة والتسعين، إلا أنه لا يوجد حتى ولو قائمة واحدة صحيحة ومعتمدة لدى جميع المسلمين! وهل عدم وجود ولو قائمة واحدة صحيحة يعني أن عملية جمع وإحصاء أسماء الله في الإسلام هي مسألة اجتهاديّة يختلف فيها المفسرون وعلماء الإسلام؟ (٢).

وإن كان لله تسعة وتسعون اسما حسنا بالضبط، كما يؤكد نبي الإسلام، فإن ينبغي على الإنسان المسلم أن يحفظ، أو يحصي هذه الأسماء بالضبَّط، بدون زيادة أو نقصان، أو تبديل أو تغيير، وهذا يعني أيضا أن يحفظ جميع المسلمين أسماء الله الحسنى هذه، ومن ثم لابد أن توجد قائمة واحدة معتمدة ومشتركة لدى جميع المسلمين، أي أن ما يحفظه أي مسلم، يجب أن يكون بالضبط مثل ما يحفظه أخوه المسلم. ولذلك يبقى لدينا سؤال مُلحُ: أين هي قائمة أسماء الله الحسنى المتَّفَق عليها بين المسلمين؟ (٣).

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ٦/٢٦٩١ (٦٩٥٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٤/٢٠٦٣ (٢٦٧٧).

(٢) بحث لقسيس سمى نفسه د.عبد الله يوسف الأمين بعنوان: "الله إله المسلمين وليس الله الحي الحقيقي" منشور على شبكة الإنترنت في مواقع عديدة.

(٣) السابق بتصرف .

ثم عقب هذا الباحث النصراني بأنه من خلال دراسته للعديد من كتب الأحاديث والتفاسير والمراجع الإسلامية حصل حتى يوم كتابته لبحثه هذا على ستة قوائم لأسماء الله الحُسنى في الإسلام.

ولاحظ هذا القسيس عدم انطباق أية قائمة مع غيرها من القوائم، علما بأنها جميعا تشترك بعددٍ كبير من الأسماء فيما بينها، وخصوصا أول عشرين اسما من كل قائمة، بعد ذلك تبدأ الاختلافات في الظهور، لدرجة أن إحدى هذه القوائم تحتوي على عشرين اسما من أسماء الله الحسنى لم يرد لها ذكرٌ في أية قائمة أُخرى.

ثم ينقل عن الشيخ محمود جوده في كتابه "هذه عقيدتنا" أنه يعترف بمشكلة تحديد وإحصاء أسماء الله الحسنى في الإسلام، حيث كتب قائلا: وأما عن تعيين هذه الأسماء، فلم يصح حديث في تعيين الأسماء الحسنى كلها، وإن الأحاديث التي أوردت التعيَّين لا تخلو من كلام يقدح في صحتها، وأن التعيين الوارد فيها لم يُجْزم برفعه إلى النبي ﷺ، ومن أراد معرفة ذلك تفصيلا فعليه الاطلاع على فتح الباري ومجموع الفتاوى لابن تيميه. وأضاف قائلا: إن مسألة إحصائها مسألة اجتهادية تركها الله لعباده [1].

ثم تساءل هذا القسيس مشككا: إن كانت عملية حفظ وإحصاء أسماء الله الحسنى هي من العمليات الأساسية والرئيسية من أجل

(١) السابق بتصرف .

دخول الجنة، كما يؤكد نبي الإسلام محمد ﷺ، فكيف ترك الله في القرآن، وكذلك كيف ترك النبي محمد ﷺ مسألة إحصاء الأسماء اجتهادا للعباد؟ فالعباد قاصرون وخطاءون، ومن الصعب أن يتَّفقوا فيما بينهم، كما يتضح ذلك من تعدد القوائم التي تحتوي على أسماء الله الحسنى، وإذا كان من الصعب على العلماء والباحثين الاتفاق فيما بينهم على عدد الأسماء الموجودة في القرآن والأسماء الموجودة في أحاديث نبي الإسلام، فكيف ستكون حالة عامة المسلمين؟ [(١)].

ثم قال هذا النصراني: "كذلك يحق لنا طرح الأسئلة التالية حول أسماء الله في الإسلام: هل سيدخل الجنة كل من يحفظ أو يحصي أسماء الله الحُسنى؟ وما هو جزاء الشخص الذي يخطأ في عملية الحفظ أو الإحصاء؟ خصوصا إن كان الخطأ في عدد قليل من الأسماء؟ أو حتى في اسم واحد؟ وإذا حفظ شخص مسلم تسعة وتسعين اسما لله، وحفظ مسلم آخر تسعة وتسعين اسما، ولكنها لا تنطبق مع الأسماء التي حفظها المسلم الأول، فهل سيدخل الاثنان الجنة؟ " [(٢)].

وأضاف النصراني قائلا: طالما أنَّهُ لا توجد قائمة واضحة ومتكاملة بأسماء الله الحسنى في القرآن، أو في أحاديث نبي الإسلام، فإن علماء المسلمين يتبعون المنهج الاستقرائي في البحث عن هذه الأسماء في القرآن والسنَّة النبوية الصحيحة.

---

(١) السابق بتصرف .

(٢) السابق بتصرف .

وتواجه الباحثين عن أسماء الله الحسنى عدة أسئلة صعبة، نذكر منها: هل تعتبر الأسماء التوقيفية من الأسماء الحسنى؟ وبالتالي هل يمكن إطلاق اسم على الله لم يرد في القرآن والسنة؟ مثل أسماء الشّارع، أو المشّرع، والمنزِّل، والموحي، والمُرسل؟! وهل يمكن اشتقاق أسماء الله من أفعاله المعروفة، كأسماء المعز والمذل والقابض والباسط؟ وهل يمكن إعطاء اسم لله بشكل مطلق، مع أن هذا الاسم مضافُ، أو مضافٌ إليه، أو مقيد في القرآن؟ مثل اسم الفاضل من ذي الفضل، والرفيع من رفيع الدرجات، والطويل من ذي الطول، والجليل من ذي الجلال، والمالك من مالك الملك؟

وهل الأسماء المطلقة في القرآن هي فقط أسماء الله الحُسنى؟ ولا يجوز بالتالي اشتقاق أو استشفاف أي اسم آخر له من خلال معرفة إرادة الله في القرآن؟ أو من خلال أعماله وأقواله وأوامره ووصاياه وتعاليمه وشرائعه؟ مثل أسماء الفادي والعادل والمحب والمخلص والعجيب؟ وإذا كانت الأسماء المشتقة من أفعال الله وأوامره وشرائعه عند علماء المسلمين معتبرة، فإنه يمكننا إضافة أسماء أخرى لله لم يعمل علماء المسلمين على اشتقاقها؟ مثل أسماء الشارع أو المشرِّع، والموحي، والمرسل، والمنزِّل، والفادي، والمخلص، والعجيب، والعادل، والمحب؟

والحقيقة أن غياب هذه الأسماء تدفعنا إلى التساؤل المشروع: هل تحاشى علماء المسلمون وضع هذه بين أسماء الله الحسنى مِنْ أجل

العمل على عدم إظهار أي اتفاق مع العقيدة المسيحية فيما يختص بالله؟ لا يقدم لنا العلماء المسلمون أية قاعدة أو مبدأ محدد يمكن استخدامه في البحث عن أسماء الله الحسنى في القرآن أو السنة النبوية، وبالتالي كيف لنا أن نحكم إن كان أحد أسماء الله هو من الأسماء الحسنى أو ليس منها؟

وهل سيتوصل المسلمون في أحد الأيام إلى الاجتماع والاتفاق على قائمة موحدة ومشتركة لأسماء الله الحسنى، وبالتالي يستطيع الجميع حفظها وإحصاءها ودخول الجنة ؟! [١].

- **إحصاء الأسماء في الإسلام ليس أحجية أو مسألة رياضية.**

وفي الإجابة على تساؤلات هذا النصراني عابد الصليب لا بد أن نعلم أن أسماء الله ﷻ التي تعرف بها إلى عباده بالنص التوقيفي في القرآن والسنة، والتي خصها النبي ﷺ بالعدد المشار إليه في الأحاديث كلها حسنى وكلها عظمى، وتتناسب مع أحوال العباد ودعائهم لله ﷻ بها، وذلك ابتلاء من الله ﷻ لهم في الاستعانة به، والصدق معه، والرغبة إليه، والخوف منه، والتوكل عليه، وغير ذلك من معاني العبودية التي تحقق العلة من خلقهم .

والنبي ﷺ لم يبين التسعة والتسعين اسما على وجه العد والتفصيل ليجتهد المسلمون في البحث والتحصيل، وفي ذلك حكمة بالغة يعجز

---

(١) السابق بتصرف .

عن إدراكها المتغافلون، ومعان ساطعة لا يراها المشركون، فالشيء النفيس لا بد أن يتنافس في طلبه المتنافسون، ويبذل المسلمون غاية جهدهم في التعرف على أسماء ربهم التي ثبتت في القرآن وصحيح السنة، ثم يؤمنوا بها ويعملوا بمقتضاها .

وكل ذلك من باب المسارعة في الخيرات، ورفعة الدرجات، وتتفاوت المنازل في الجنات، وتحقيق وعد النبي ﷺ الذي يحفز الهمم، ويبث على الطاعات، كما جاء في الحديث: (إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ) [١].

وليست قضية إحصاء أسماء الله الحسنى عند المسلمين لغز أو أحجية، أو مسألة رياضية، من فشل في التوصل إلى حلها سينال العذاب في النار الأبدية، أو لن يدخل الجنة كما يصورها هذا النصراني، بل الأمر في الإسلام مرهون بمنهج توقيفي دون العبث في أسماء الله ﷻ بالاختراع العقلي، فلا نسمي الله ﷻ إلا بما سمى به نفسه في نص قرآني، أو سماه رسوله ﷺ في نص صحيح نبوي.

كما أن الدعوة إلى سعي المسلم لإحصاء أسماء الله الحسنى من الكتاب والسنة ما هو إلا للمسارعة في كثرة ذكر الله ﷻ، والحث على ملازمة القراءة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وألا نقع فيما وقع فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى حين نبذوا كتاب الله ﷻ وراء

---

(١) تقدم تخريجه .

ظهورهم، وتركوا حقوق المطالبة بالدليل النصي على كل اسم أو وصف إلهي لقساوستهم دون عامتهم، فلا يجرؤ أحد من العوام أن يسأل أسقفا من أساقفتهم، أو يحاسبه عن الدليل الصريح على مثل هذا الاعتقاد الغيبي: من أين لك هذا؟

ذلك لأن عامتهم لا يحفظون شيئا يذكر من كتابهم فضلا عن عدم قراءتهم له، ولا يقوى أحدهم على حفظ بعض صفحات من أسفارهم، ولا يدققون في نصوصه للتعرف على أسماء خالقهم، تلك الأسماء التي تطوعنا نحن لاستخراجها لهم من كتابهم في كتابنا "أسماء الله الحسنى الثابتة في كتاب النصارى المقدس" على الرغم من اعتقادنا في تحريف كتابهم وتبديل الكثير من نصوصه، فاستخرجناها لهم إحصاء لها لأول مرة في تاريخهم حين عجز قساوستهم وعلماء اللاهوت عندهم عن استخراجها قرونا طويلة، وحين شغلوا أنفسهم بالتشكيك في أسماء الله ﷻ التي ورد في كتابنا وسنة نبينا ﷺ، لعلهم يعلمون من هو محمد بن عبد الله ﷺ الذي أخبرنا أن لله ﷻ تسعة وتسعين اسما.

وأنا على يقين أن من قرأ منهم كتابنا "ثم شتان"، أو كتابنا "أسماء الله الحسنى الثابتة في كتاب النصارى المقدس"، وكان راغبا بحق في معرفة الحق مخلصا لله ﷻ وحده دون ميول عصبية، أو نوازع نفسية لشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ .

غير أننا نبين لهؤلاء المشككين أن شرط دخول الجنة في الإسلام هو شهادة التوحيد والتزام الإخلاص لله ﷻ في العبادة، وعدم الشرك به، أو اتخاذ غيره من البشر والملائكة أربابا من دون الله ﷻ والمسيح ابن مريم، فيشركون بالله ﷻ ويجعلون الإله الخالق القدوس من فوق عرشه ثالث ثلاثة.

وقد ثبت عن نبينا المصطفى ﷺ أنه قال: (من شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عبد اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ على ما كان من العَمَل) [١].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ قال: (أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَال: لا إِلهَ إِلا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ) [٢].

إذا كان شرط دخول الجنة في الإسلام كذلك، فما بالنا بمن سارع في طلب معرفة أسماء الله ﷻ، ورغب في إحصائها والعمل بمقتضاها.

هكذا تركت مسألة إحصاء الأسماء الحسنى اجتهادا للعباد، وإحصاء

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ١٢٦٧/٣ (٣٢٥٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ٥٧/١ (٢٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ٢٤٠٢/٥ (٦٢٠١).

لها من الكتاب والسنة، ليتحرى كل مسلم ما ثبت من الدليل التوقيفي، ويتحقق من الصواب، ويسأل أي عالم عندنا مهما بلغ علمه أو علت مكانته عن الدليل النصي على كل اسم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فليس الحال عندنا كما هو حال غيرنا، لا يجرأ أحدهم أن يسأل أسقفا أو قسيسا عن أسماء الله في الكتاب المقدس، فضلا عن الدليل النصي على كل اسم منها.

إن السؤال الذي يراود كل عاقل، ويوجه أولا إلى هذا القسيس الذي شغل نفسه بأسماء الله ﷻ في الإسلام وهو كافر به: لماذا أحجم أساقفة النصارى عن دراسة أسماء الله ﷻ في الكتاب المقدس بصورة موسوعية حصرية عبر هذه المدة الطويلة منذ اعتماد الأناجيل الأربعة من قبل مجامعهم الكنسية؟ فها هي الأسماء قد استخرجت من الكتاب المقدس، وظهر تسعة وتسعون اسما تتفق في معظمها نصا مع ما جاء بها محمد رسول الله ﷺ؟

هل كان الأمر صعبا إلى هذا الحد؟ أم أنهم يخشون تساءل كل عاقل من شعبهم: هل الأسماء الحسنى التي وردت في الكتاب المقدس هي التي تدل على المسمى أبا أو المسمى ابنا؟ فإن كان الأب فهو الإله الحق، وسيكون الابن مخلوقا حادثا، ليس ربا ولا إلها؟ وإن كانت تلك الأسماء للابن دون الأب، فلم يرد في الكتاب المقدس حتى وقتنا هذا أن الابن قد وصف بصفات الإله الرب التي نطق بها الكتاب المقدس عندهم، بل ما ورد في أوصاف الابن يدل على أنه

كان مصلوبا عاجزا فقيرا مضروبا مهانا مسمرا مصابا في يديه ورجليه يصرخ بصوت عظيم من شدة الألم؟ أم أن الأسماء الحسنى التي استخرجناها بأدلتها من نصوصها في الكتاب المقدس هي أسماء الله الرب الواحد العلي الأعلى المتعال التي بلغها عنه عيسى عليه السلام وسائر الأنبياء إلى كافة الناس ليوحدوا ربهم فيها ويعبدوه من خلالها؟ وهل سيتوصل النصارى في أحد الأيام إلى القول الحق الذي يمكن لكل عاقل أن يعتقده، ويطمئن إليه، ويناسب فطرته، ويحقق العلة من وجوده في هذه الحياة؟

وعلى الرغم مما استخرجناه لهم من أسماء الله في كتابنا أسماء الله الحسنى الثابتة في كتابهم الذي يقدسونه: هل يمكن لعامتهم وخاصتهم أن يقارنوا بين ما ورد في الإسلام، وما ورد في كتابهم الذي يقدسونه، ثم يحكمون بأنفسهم بصورة مستقلة دون وصاية قسيسيهم ومن يخشى أن يعرف الناس حقيقة ما هم عليه؟!

هنا نجد الفرق بين سؤال المسلمين لأي عالم مهما كان وضعه ومهما كانت مكانته عن دليل كل اسم من أسماء الله عز وجل، وعجز الآخرين عن تحري الدليل من كتابهم على تسمية معبودهم.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ التوبة: ٣١.

أما العلة في عدم النص على تسعة وتسعين اسما فقد بان ظاهرا أنها دعوة شرعية نبوية لرفعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فوق رأس كل عالم يؤمن بما ورد في التنزيل، بحيث لا يكون أحد منهم أعظم أو أكبر أو على من الدليل، وأن الحق مع نص الاسم حتى لو نطق بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ صبي صغير، تمكن من إحصاء اسم من أسماء الله ﷻ .

ومن المعلوم أنه يلزم لحفظ أسماء الله الحسنى إحصاؤها واستيفاؤها أولا، وهذا يتطلب اجتهادا وبحثا طويلا ينال صاحبه من الفضل والنعمة أجرا كبيرا، ثم الإحاطة بمعانيها، والإيمان بها، والعمل بمقتضاها ثانيا، وهذا يتطلب مجاهدة وجهادا كبيرا، ثم دعاء الله بها وحسن المراعاة لأحكامها، وهذا يتطلب علما وفقها وبصيرة، وتلك مراتب الإحصاء على ما ترجح من أقوال العلماء .

قال ابن القيم: (مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠. وهو مرتبتان، إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته

العلى. وكذلك لا يسأل إلا بها؛ فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني؛ بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل ولاسيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا) [١] .

• تفنيد الشبهات حول حصر الأسماء ومعاني الإحصاء.

لقد أخبرنا الله ﷻ أنه خلق آدم ﵇ وسواه، ثم خيره ممتحنا إياه، وعرض عليه أن يكون أمينا في ملك الله ﷻ، حين رفضت السماوات والأرض والجبال ذلك المبدأ، وأن الإنسان لما قبل أن يكون أمينا وفِّق مراد الله الشرعي، وأن يكون مسئولا عن فعله لو خالف أمره الديني التكليفي، رفعه الله ﷻ على كثير من خلقه، وفضله وكرمه ثم استخلفه في أرضه، واستأمنه فيها بين الخلائق في ملكه، وسخر له كل الكائنات من حوله، وجعله مخلوقا عاقلا مكلفا، لا يفعل شيئا فيما استرعاه الله ﷻ إلا بالعودة إلى أمره، من خلال الرسالة التي نزلت من السماء وحملها جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام .

ومن ثم تعرف الإنسان على الهدف من وجوده في الحياة، وأصبح عاقلا مكلفا يفهم معاني الشرائع والأحكام، ويميز الحلال من الحرام، ويقر بمسئوليته عن فعله.

ومن منَّ الله ﷻ عليه وأصبح لديه هذا الفهم، هيأ نفسه للقاء ربه

(١) انظر بدائع الفوائد ١/١٧١ .

استعدادا ليوم الحساب، وخوفا مما أعده الله ﷻ لمن خالف أمره من أصناف العذاب، وطمعا في أن ينال الجنة وحسن الثواب، وقد بينا ذلك مفصلا في كتابنا الإنسان وبداية الكون .

وقد ورد الوحي إلى رسول الله ﷺ يخبره فيه أن الله ﷻ خلق آدم على صورته، فقال رسول الله ﷺ: (خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلمَّا خَلقَهُ قَال: اذْهَبْ فَسَلمْ عَلى أُولئِكَ النَّفَرِ مِنْ المَلائِكَةِ جُلوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُك وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِك، فَقَال: السَّلامُ عَليْكُمْ، فَقَالوا، السَّلامُ عَليْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُل مَنْ يَدْخُل الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ آدَمَ فَلمْ يَزَل الخَلقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ) [١] .

ويخطئ من يسمع كلمة "على صورته" فلا يأتي في ذهنه إلا أن يتخيل الذات الإلهية مجسدة في الصورة البشرية، فيتصور لربه صورة شخصية بالكيفية التي يراها في بطاقة الهوية، فهذا من تلبيس الشيطان بشبهاته على الإنسان، فمن المعلوم أن الله ﷻ ليس كمثله شيء، ونحن ما رأيناه، وما رأينا له مثيلا، فكيف نتصور حقيقة كيفيته؟

أما المقصود بخلق الله للإنسان على صورته فهو أن نؤمن بالقدر المشترك العام من اللفظ في الاسم أو الوصف عند تجرده عن الإضافة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ في كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ٥/٢٢٩٩ (٥٨٧٣)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ٤/٢١٨٣ (٢٨٤١) .

إلى الخالق أو المخلوق، لنوحد الله في القدر الفارق عند إضافة الاسم أو الوصف إلى الخالق، أو إلى المخلوق، وأن الإنسان مهما بلغ في وصفه، أو بالغ في اسمه فلن يصل إلى شيء من وصف الخالق الذي استخلفه في أرضه واستأمنه في ملكه، فالعاقل حينها لا يتصرف في الأمانة إلا بإذنه، ولا بد أن يرجع فيها إلى شرعه وأمره ونهيه.

وكل ذلك لتظهر آثار أسماء الله وصفاته في خلقه من خلال الإيمان بقدرة الله وعلاقتها بحكمته، وكيف نجمع في اعتقادنا بين الإيمان بتوحيد الله ﷻ في ربوبيته مع تحقيق التوحيد في عبوديته والعمل بشريعته .

وعلى ذلك فإن الله ﷻ لما استخلف الإنسان في أرضه على وجه الابتلاء والامتحان جعله على صورته في إظهار آثار أسمائه وتحقيق عبوديته، فتعرف الله إليه بجملة من أسمائه وصفاته ليتقلب في آثارها كل إنسان، فالله ﷻ من أسمائه الرحمن الرحيم، ومعناه اتصافه بالرحمة العامة التي مقتضاها العدل، والرحمة الخاصة التي مقتضاها الفضل، فوجب على كل إنسان أن يكون متصفا بالرحمة العامة والخاصة ليلتزم مع المخالفين له بالعدل، ويتعامل مع إخوانه المؤمنين بالفضل.

والله ﷻ من أسمائه الملك، ومعناه المتصرف في ملكه بأمره وقضائه وحكمه، بحيث لا يظلم أحدا من خلقه، فوجب على الإنسان أن كان ملكا أن يكون عادلا يتصرف أيضا في مملكته بحيث لا يظلم أحدا من وعيته، وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ أن أول السبعة الذين يظلهم

الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله إِمَامٌ عَادِلٍ [(١)].

ومن أسماء الله ﷻ القدوس، ومعناه المنزه في ذاته عن كل نقص والمتصف بكل كمال وجمال، فوجب على الإنسان أن يكون متصفا بالنزاهة والبعد عن النجاسة الحسية والمعنوية، ويسعى ما استطاع إلى كمال ذاته، وحسن صفاته وجمال أفعاله، وبذل الوسع في اكتساب حسن الهيئة والجمال، وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ أن قال: إن الله جميل يحب الجمال [(٢)].

والله ﷻ من أسمائه السلام، ومعناه المتصف بالسلامة من كل عيب في ذاته، ويمنح السلامة للعباد إذا عبدوه ووحدوه، فوجب على الإنسان أن يكون سالما في نفسه محافظا على بدنه محبا لغيره، قد سلم الجميع من لسانه ويده، وقد صح الخبر عن سيدنا رسول الله ﷺ أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده [(٣)].

وهكذا القول في جميع أسماء الله ﷻ وصفاته التي تعرف بها إلى النوعية الإنسانية من وقت آدم عليه السلام إلى آخر ولد من الذرية .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين ٢/٥١٧ (١٣٥٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٢/٧١٥ (١٠٣١) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ١/٩٣ (٩١) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١/١٣ (١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ١/٦٥(٤١) .

ومن ثم فإن أسماء الله الحسنى التي تعرف الله ﷻ بها إلى عباده فيما نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، ، تعرف الله ﷻ بها أيضا، أو بما يماثلها من أوصافه إلى الأنبياء السابقين.

• تفسير معنى الإحصاء واستحالة حصر الأسماء الكلية.

من المسائل الضرورية التي تطرح نفسها عند الحديث عن أسماء الله الحسنى، هي التمييز بين معتقد السلف الصالح في عدم حصر أسماء الله ﷻ الكلية في تسعة وتسعين اسما ومعاني الإحصاء .

وقد ورد في السنة النبوية حديثان صحيحان أحدهما في الحصر والآخر في الإحصاء، الأول رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال في دعاء الكرب: (مَا أَصَابَ أَحَدا قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْل فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلكَ بِكُل اسْمٍ هُوَ لكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلتَهُ فِي كِتَابِك، أَوْ عَلمْتَهُ أَحَدا مِنْ خَلقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَل القُرْآنَ رَبِيعَ قَلبِي، وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاَءَ حُزْنِي وَذَهَابَ همِّي إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلهُ مَكَانَهُ فَرَجا، فَقِيل: يَا رَسُول اللهِ أَلاَ نَتَعَلمُهَا؟ فَقَال: بَلى يَنْبَغِي لمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلمَهَا) (١).

والثاني حديث أبي هريرة ﷺ الذي ورد فيه النص والتأكيد على

(١) المسند ١/٣٩١ (٣٧١٢)، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ١/٣٨٣.

ذكر العدد تسعة وتسعين في قول النبي ﷺ: (إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ) .

وما نود التنبيه إليه مما تجتمع الأدلة عليه في هذه القضية، ومن خلال اعتقاد السلف المبني على النصوص القرآنية والنبوية أنه لا شك في أن جملة أسماء الله تعالى الكلية تعد أمرا من الأمور الغيبية التي استأثر الله ﷻ بها، وأنها غير محصورة في عدد معين.

وهذا نص ظاهر في رواية ابن مسعود ﷺ، ولا يفهم من حديث أبي هريرة ﷺ الذي ورد فيه النص على تسعة وتسعين اسما حصرها جميعها بمجموعها الكلي؛ لأن المقصود بإحصاء هذا العدد إحصاء الأسماء الحسنى التي تعرف الله ﷻ بها إلى عباده في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، وهذا لا يدل على حصر أسماء الله ﷻ الكلية في هذا العدد، ولو كان المراد الحصر لقال النبي ﷺ: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

ومن ثم فإن معنى الحديث أن هذا العدد الذي تعرف الله به إلى عباده في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ من جملة أسماء الله ﷻ ومن شأنه أن من أحصاه دخل الجنة، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة؛ فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة؛ فالمراد إذا الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار

بحصر أسماء الله ﷻ الكلية [١].

قال ابن القيم: (الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد؛ فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال: استأثرت به، أي انفردت بعلمه) [٢].

• ظهور الأسماء الحسنى مرتبط بمقتضى الحكمة الإلهية.

الإحصاء في اللغة معناه الحفظ والجمع والعد والإحاطة، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ المجادلة:٦.

وقوله سبحانه: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ الجن:٢٨.

---

(١) انظر بتصرف شرح سنن ابن ماجه للسيوطي ص٢٧٥، وانظر أيضا مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/٣٨١، والفتاوى الكبرى ١/٢١٨.

(٢) بدائع الفوائد ١/١٧١، وانظر أيضا شفاء العليل ص٢٧٧.

قال ابن منظور: (الإِحْصَاءُ العَدُّ والحِفْظ، وأَحْصَيْت الشيءَ عَدَدته، وأَحْصَى الشيءَ أَحاط به) [١] .

من الواضح اتفاق العلماء على أن أسماء الله ﷻ الكلية لا تحصى ولا تعد؛ فهو سبحانه الذي يعلم عددها، أما تخصيص بعضها بتسعة وتسعين اسما، وتأكيد النبي ﷺ بقوله: مائة إلا واحدا، فالعلة في ذلك والله أعلم أن كل مرحلة من مراحل الخلق يُظهر فيها الحق سبحانه وتعالى من أسمائه وصفاته ما يناسب الغاية من وجودها، ويحقق كمال الحكمة في تكوينها، ويظهر دلائل التوحيد في إبداعها، ففي مرحلة الدنيا وما فيها من شهوات وأهواء وشبهات واختلاف وتباين في الآراء، وتقليب الأمور للإنسان على أنواع الابتلاء، وحكمة الله في تكليفه بالشرائع والأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، في هذه المرحلة تعرف الله ﷻ إلى عباده بجملة من أسمائه وصفاته تناسب حاجة الإنسان وضرورياته، فيبدي لربه أقصى طاقاته وإمكانياته في تحقيق التوحيد بمقتضى هذه الأسماء، تلك الأسماء هي المعنية بقول النبي ﷺ: (إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا) [٢] .

ولمزيد من البيان يمكن القول: إن الدنيا لما كانت دارا للابتلاء والامتحان، ومحلا لاختيار الكفر أو الإيمان، وكان الناس فيها متفاوتين مختلفين آجالا وأرزاقا، وألوانا وأخلاقا، منهم الغني والفقير

---

(١) لسان العرب ١٤/١٨٤ .

(٢) البخاري في الشروط، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ٦/٢٦٩١ (٦٩٥٧) .

والأعمى البصير، منهم القوي والضعيف، والظالم والمظلوم، والحاكم والمحكوم، والمالك والمعدوم، منهم الكاذب والصادق، والمخلص والمنافق إلى غير ذلك من أنواع الأخلاق، وتنوع الأرزاق، واختلاف السلوك، وابتلاء ملك الملوك؛ لما كانت الدنيا كذلك فإن حكمة الله ﷻ تَظهر في تعريف الخلائق ما يناسبهم من أسمائه وصفاته؛ فالمذنب من العباد إن أراد التوبة سيجد الله ﷻ توابا رحيما عفوا غفورا، والمظلوم سيجده حقا مبينا حكما وليا نصيرا، والضعيف المقهور سيجده قويا عزيزا جبارا قديرا، والفقير سيجد الله ﷻ رزاقا حسيبا مقيتا وكيلا، وهكذا سيجد العباد من أسماء الله ﷻ وصفاته ما يناسب حاجتهم ويلبي بغيتهم؛ فالفطرة التي فطر الله ﷻ الخلائق عليها اقتضت أن تلجأ النفوس إلى قوة عليا عند ضعفها، وتطلب غنيا أعلى عند فقرها، وتوابا رحيما عند ذنبها، وسميعا قريبا بصيرا مجيبا عند سؤالها، ومن هنا كانت لكل مرحلة من مراحل الخلق التي قدرها الله ﷻ ما يناسبها من أسمائه وصفاته وأفعاله .

ألا ترى أنه في البدء عندما أسكن الله ﷻ آدم وحواء جنة الابتلاء فأكلا من الشجرة، وانكشفت العورة، وتطلبت الفطرة فرجا ومخرجا، كان الفرج والمخرج في تعريفهم بأسماء الله ﷻ التي تناسب حالهما، وما يغفر به ذنبهما؛ فعلمهما كلمات هي في حقيقتها أسماء لله ﷻ وصفات، علم آدم عليه السلام أن يدعو الله ﷻ باسمه التواب الرحيم، أو يدعو بوصف التوبة والرحمة، كما قال سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن

رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة:٣٧ ، فتَعَلمها ودعا الله ﷻ بها: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف:٢٣.

روي عن أنس بن مالك وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن يزيد وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف ﷺ أنهم قالوا: (الكلمَاتُ التي تلقّى آدمٌ مِن رَبِّهِ فَتَابَ عَليْه: لا إله إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللهُم وَبحمْدِكَ عَمِلتُ سُوءا وَظَلَمْتُ نَفْسي فاغفر لي إنَّكَ خَيْر الغافِرين، لا إله إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبحمْدِكَ عَمِلتُ سُوءا وَظَلَمْتُ نَفْسي فَارْحَمْني إنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الراحِمين، لا إله إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبحمْدِكَ عَمِلتُ سُوءا وَظَلَمْتُ نَفْسي فَتُبْ عَليَّ إنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحِيم) (١) .

• **دنيا الابتلاء لا بد من معرفة ما يناسبنا فيها من الأسماء.**

وطالما أن الدنيا خلقت للابتلاء فإن الله ﷻ قد عرفنا بما يناسبنا ويناسبها من الأسماء، وقد لا ينفع الدعاء بهذه الأسماء أو بعضها في مرحلة أخرى كمرحلة القيامة والدار الآخرة؛ فلو دعا المشركون، أو الكفار المخلدون ربهم يوم القيامة باسمه العظيم القريب الرفيق المجيب

(١) انظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٩٨/٨، وشعب الإيمان للبيهقي ٤٣٤/٥، وكتاب العظمة لأبى محمد الأصفهاني ٥/ ١٥٤٩، وكتاب الزهد لهناد بن السري الكوفي ٤٦١/٢، وقد ضعف الشيخ الألباني رفعه إلى النبي ﷺ، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (١٠٠٦) .

الواسع المنان الرحيم الرحمن المحسن السلام الجواد الفتاح الستير الرءوف الودود اللطيف الكريم الأكرم الغفور الغفار البر الطيب العفو التواب، لو دعا المخلدون في النار ربهم بأي اسم من هذه الأسماء أن يغفر ذنبهم، وأن يفرج كربهم، وأن يعفو عنهم، وأن يقبل التوبة منهم، وأن يرحمهم من العذاب؛ فإن ذلك لا يتحقق ولا يستجاب لمخالفته مقتضى الحكمة، وما دون في أم الكتاب.

ولذلك قال الله تعالى عن أهل النار ودعائهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر:٤٩/٥١.

وقال سبحانه في شأنهم أيضا: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ المؤمنون:١٠٦/١٠٨ .

ومن ثم فإن كل مرحلة من مراحل الخلق لها ما يناسبها من الحِكَم وإبداء الأسماء والصفات، وقد بين النبي ﷺ أيضا أنه عند مجيء الحق للفصل بين الخلق يوم القيامة، يغضب غضبا شديدا لم يَغضَبْ قبله مثله، ولن يَغضبَ بعدَهُ مثله، فيَبْلغُ الناس من الغمِّ والكَرَبِ ما لا يُطيقون ولا يَحتمِلون، فيبحثون عن شفيع قريب لكن الأنبياء يعتذرون عن الشفاعة

إلا صاحب المقام المحمود يقول عندها: أنا لها.

كما ورد عند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا: (فأنطِلقُ فآتي تحتَ العرش فأقَعُ ساجدا لربي ﷻ ثمَّ يَفتح اللّهُ عليَّ من مَحامِدِه وحُسنِ الثناءِ عليهِ شيئا لم يَفتحْهُ على أحدٍ قبلي، ثم يُقال: يا محمد، ارفَعْ رأسك، سَل تُعطَهْ، واشفعْ تُشَفع) (١).

وتلك المحامد أو ما ذكره النبي ﷺ في الثناء على ربه، كما ذكر كثير من أهل العلم، أسماء من أسماء الله ﷻ لم يعلمها أحد من قبل، يتعلمها النبي ﷺ ويدعوا الله ﷻ بها فيستجيب له (٢).

- **رأي ابن القيم في مقتضى الأسماء الحسنى.**

ذكر ابن القيم رحمه الله في شأن الموحدين أصحاب الهمم العالية، أن العبد إذا كانت همته أعلى، ونفسه أشرف، أقبل على ربه متدبرا لعهده، ففهمه وحفظه، وعلم أن لربه شأنا في عهده ليس كشأن غيره، فوجد ربه قد تعرف إليه، وعرفه بنفسه ووصفه واسمه وفعله، وعرفه أيضا بأحكامه، فعرف العبد من ذلك العهد ربا قيوما بنفسه، مقيما لغيره، غنيا عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، وأنه مستو على عرشه، فوق جميع خلقه، يرى ويسمع، ويرضي ويغضب، ويحب ويبغض، ويدبر أمر مملكته، وهو فوق عرشه متكلم آمر ناه،

---

(١) البخاري في التفسير، باب ذرية من حملنا مع نوح ٤/١٧٤٦ (٤٤٣٥).

(٢) بدائع الفوائد ١/١٧٦، وطريق الهجرتين ص٢٢٤ .

يرسل رسله إلى أقطار مملكته بكلامه الذي يسمعه من يشاء من خلقه، وأنه قائم بالقسط، مجاز بالإحسان والإساءة، وأنه حليم غفور، جواد محسن شكور، موصوف بكل كمال، منزه عن كل عيب ونقص، وأنه لا مثيل له ولا نظير .

وشهد العبد أيضا حكمته في تدبير مملكته، وكيف يقدر المقادير بمشيئته، من غير منازعة لعدله وحكمته، وفهم عن الله سبحانه ما وصف به نفسه في كتابه من حقائق أسمائه، وأشرقت أنوارها على قلبه، فصارت له كالمعاينة، فرأى حينئذ تعلق الأسماء والصفات بالخلق والأمر، وارتباطهما بهما، وسريان آثارهما في العالم الحسي والعالم الروحي.

ورأى تصرف الأسماء ومقتضياتها في الخلائق، كيف عمت وخصت، وقربت وأبعدت، وأعطت ومنعت؟ فشاهد العبد بقلبه مواقع عدله وقسطه، وفضله ورحمته، واجتمع له الإيمان بلزوم حجته مع نفوذ أقضيته، وكمال قدرته مع كمال عدله وحكمته، ونهاية علوه على جميع خلقه مع إحاطته ومعيته وجلاله وعظمته، وكبريائه وبطشه وانتقامه مع رحمته وبره ولطفه وجوده وعفوه وحلمه، ورأى لزوم الحجة مع قهر المقادير التي لا خروج لمخلوق عنها، وكيف اصطحاب الصفات وتوافقها، وشهادة بعضها لبعض، وانعطاف الحكمة التي هي نهاية وغاية على المقادير التي هي أول

وبداية، ورجوع فروعها إلى أصولها، ومبادئها إلى غاياتها، حتى كأنه يشاهد مبادئ الحكمة، وتأسيس القضايا على وفق الحكمة والعدل والمصلحة والرحمة والإحسان، لا تخرج قضية عن ذلك إلى انقضاء الأكوان، وانفصال الأحكام يوم الفصل بين العباد، وظهور عدله وحكمته، وصدق رسله، وما أخبرت به عنه لجميع الخليقة، إنسها وجنها، مؤمنها وكافرها [1] .

ثم يذكر ابن القيم أنه حينئذ يتبين للخلق من صفات جلاله ونعوت كماله ما لم يكونوا يعرفونه قبل ذلك، حتى إن أعرف خلقه به في الدنيا يثني عليه يومئذ من صفات كماله ونعوت جلاله ما لم يكن يحسنه في الدنيا، وكما يظهر ذلك لخلقه تظهر لهم الأسباب التي بها زاغ الزائغون، وضل الضالون، وانقطع المنقطعون، فيكون الفرق بين العلم يومئذ بحقائق الأسماء والصفات والعلم بها في الدنيا كالفرق بين العلم بالجنة والنار .

وكذلك يفهم العبد كيف اقتضت أسماؤه وصفاته لوجود النبوة والشرائع، وأن لا يترك خلقه سدى؟ وكيف اقتضت ما تضمنته من الأوامر والنواهي؟ وكيف اقتضت وقوع الثواب والعقاب والمعاد؟ وأن ذلك من موجبات أسمائه وصفاته، بحيث ينزه عما زعم أعداؤه من إنكار ذلك، ويرى شمول القدرة وإحاطتها بجميع الكائنات حتى

---

(١) الفوائد ص١٦٦ بتصرف.

لا يشذ عنها مثقال ذرة، ويرى أنه لو كان معه إله آخر لفسد هذا العالم، وأنه سبحانه لو جاز عليه النوم أو الموت لتدكدك هذا العالم بأسره، ولم يثبت طرفة عين، ويرى ذلك الإسلام والإيمان اللذين تعبد الله بهما جميع عباده كيف انبعاثهما من الصفات المقدسة؟ (١).

ولما أدرك الموحدون هذه الحكم والغايات سعوا في تحقيق مقتضى الأسماء والصفات فجعلوا حياتهم لله ﷻ، وعقدوا قلوبهم على ترك مخالفته ومعاصيه؛ فهممهم مصروفة إلى القيام بما يحب ويرضى من الأقوال والأفعال، يقصدون من العبادة أكملها، ومن الأوقات أولها، امتلأت قلوبهم من معرفة الله ﷻ، وغُمرت بمحبته وخشيته، وإجلاله ومراقبته، فسرت المحبة في أجزائهم، فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب، قد أنساهم حبه ذكر غيره؛ فامتلئوا بحبه عن حب من سواه، وبذكره عن ذكر من سواه، وبخوفه ورجائه، والرغبة إليه، والرهبة منه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والسكون إليه، والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره، فإذا صارت للموحد أسماء ربه وصفاته مشهدا لقلبه أنسته ذكر غيره، وشغلته عن حب من سواه؛ فحينئذ يكون الرب سبحانه سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، فبه يسمع، وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشى، فيبقى قلب العبد نورا لمعرفة محبوبه ومحبته، وعظمته وجلاله وكبريائه، وناهيك بقلب هذا

(١) السابق ص١٦٧ بتصرف .

شأنه، فيا له من قلب موحد خالص تقي نقي، ما أَدناه من ربه، وما أحظاه في قربه (١) .

وإذا كانت بصيرة العبد منفتحة في معرفة الأَسماءِ والصفات والأفعال، فإن شهودها الخاص يطابق ما جاءَ به الرسول ﷺ ولا يخالفه، إذ أن المنهج الرباني هو في حقيقته توجيه من الله ﷻ للعبد فيما ابتلاه وخوله واسترعاه، والعبد أمين مخول مستخلف مبتلى، ليس له في ملك سيده إلا الطاعة والخضوع، والانقياد لما شرعه سيده من الأحكام، فمن شأن الموحدين أَن تنسلخ نفوسهم من التدبير والاختيار الذي يخالف تدبير ربهم واختياره، بل قد سلموا إليه سبحانه التدبير كله، فلا يزاحم تدبيرهم تدبيره، ولا اختيارهم اختياره، لتيقنهم أَنه الملك القاهر القابض على نواصي الخلق، المتولي لتدبير الملك، وتيقنهم مع ذلك أَنه سبحانه الحكيم في أَفعاله، الذي لا تخرج أَفعاله عن الحكمة والمصلحة والرحمة، فلم يدخلوا أَنفسهم معه في تدبيره لملكه وتصريفه أُمور عباده بلو كان كذا وكذا، لكان كذا وكذا، ولا بليت ولعل وعسى، بل ربهم ﷻ أَجل وأَعظم في قلوبهم من أَن يعترضوا عليه، أو يتسخطوا تدبيره، أو يتمنوا سواه .

وهم أَعلم بالله ﷻ وأعرف بأسمائه وصفاته من أَن يتهموه في تدبيره، أَو يظنوا به الإخلال بمقتضى حكمته وعدله، بل الموحد ناظر

---

(١) طريق الهجرتين ص٣٢٠ بتصرف .

بعين قلبه إلى باري الأشياء وفاطرها، ناظر إلى إتقان صنعته، مشاهد للحكيم في حكمته، لا يعيب إلا ما عابه الله ﷻ، ولا يذم إلا ما ذمه، وإذا سبق إلى قلبه ولسانه عيب ما لم يعبه الله ﷻ، وذم ما لم يذمه تاب إلى الله منه.

روى البخاري من حديث أبي هريرة ؓ أنه قال: (مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلاَّ تَرَكَهُ) [(١)] .

ومن هنا نعلم أثر الأسماء الحسنى التي تعرف الله بها إلى عباده وما تضمنته من الصفات، وظهور أثر كمالها المقدس، وارتباطه بحكمته سبحانه في المخلوقات، وظهور بواعث محبته على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بمقتضاه؛ فتشهد حكمته الباهرة في كل فعل أو حكم قضاه، وأنه سبحانه وتعالى الجواد الذي يحب أن يجود، والعفو الذي يحب أن يعفو، والغفور الذي يحب أن يغفر، وأنه لا بد من لوازم ذلك خلقا وشرعا، وأن الله ﷻ يحب أن يثنى عليه ويمدح ويمجد ويسبح ويعظم إلى غير ذلك من الحكم .

وقد أثنى الله ﷻ على عباده المؤمنين حيث نزهوه عن إيجاد الخلق لا لشيء ولا لغاية، فقال جل جلاله في وصفهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

---

(١) رواه البخاري في الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعاما ٥/٢٠٦٥ (٥٠٩٣)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب لا يعيب الطعام ٣/١٦٣٣ (٢٠٦٤) .

﴿هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ آل عمران:١٩١. وأخبر أن هذا ظن أعدائه لا ظن أوليائه فقال: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ ص:٢٧ [١] .

ومن ثم فإن الله ﷻ أبرز خلقه من العدم إلى الوجود ليجري عليه أحكام أسمائه وصفاته فيظهر كماله المقدس، وإن كان لم يزل كاملا، قال ابن القيم: (لا بد من ظهور أثر هذه الأسماء، ووجود ما يتعلق به؛ فاقتضت حكمة الله ﷻ أن أنزل الأبوين من الجنة ليظهر مقتضى أسمائه وصفاته فيهما وفي ذريتهما، فلو تربت الذرية في الجنة لفاتت أثار هذه الأسماء وتعلقاتها، والكمال الإلهي يأبى ذلك، فإنه الملك الحق المبين؛ والملك هو الذي يأمر وينهي، ويكرم ويهين، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل؛ فأنزل الأبوين والذرية إلى دار تجري عليهم هذه الأحكام) [٢] .

• هل قضية الإحصاء متروكة للعقل أم لحكم النص؟

هل قضية إحصاء التسعة والتسعين متروكة لاختيار الشخص؟ أم لحكم الدليل وورود النص؟! وهل أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين أو مائة إلا واحدا؟

لقد صارت طوائف المسلمين في ذلك بين فريقين ووجهة وسط،

---

(١) شفاء العليل ص١٩٩ بتصرف .

(٢) السابق ص٢٤٣ .

وكل طائفة منها عليها مآخذ، لا بد لطلاب الحق من مراعاتها:

الأول: فريق متوسع في إحصاء الأسماء يجمع منها ما يشاء، ويستحدث لربه ما يراه بعقله، ويتوهم أنه طالما أن أسماء الله الكلية أكثر من تسعة وتسعين اسما، فالأمر في إحصاء الأسماء من الكتاب والسنة مشاع عقلي لاستخراج الكمال الإلهي.

ومن ثم أخذ صاحب هذه الوجهة يشتق من أفعال الله ﷻ وأوصافه ما يشاء من الأسماء، أو يطلق ما قيده الله ﷻ في كتابه، أو يَفْصِل ما أضافه رسول الله ﷺ في سنته.

وقد تتبعت ما ذكره المتوسعون على تنوع اجتهاداتهم، واختلاف مقالاتهم، فبلغ جمعهم وإحصاؤهم للأسماء على أوسع ما ذكروا قرابة المائتين والتسعين اسما، وهي بعد اسم الجلالة، وعلى اعتبار الترتيب الألف بائي المشرقي كما يلي:

أحسن الخالقين، أحكم الحاكمين، أرحم الراحمين، الأبد، الأجل، الأحد، الأحكم، الآخر، الأسرع، الأعز، الأعظم، الأعلم، الأعلى، الأغنى، الأغير، الأصبر، الأقرب، الأقوى، الأكبر، الأكرم، الإله، الأولى، البادئ، البار، البارئ، الباسط، الباطن، الباعث، الباقي، البالغ، البالي، البديع، البر، البرهان، البصير، التام، التواب، الجاعل، الجامع، الجبار، الجليل، الجميل، الجواد، الحاسب، الحافظ، الحاكم، الحروف، الحسيب، الحفي، الحفيظ، الحق، الحكم، الحكيم، الحليم،

الحميد، الحنان، الحي، الحيي.

الخافض، الخالق، الخبير، الخلاق، الخليفة، خادع المنافقين، الدائم، الدافع، الدهر، الديان، الذارئ، الرؤوف، الراتق، الرازق، الرزاق، الراشد، الراضي، الرافع، الرب، الرحمن، الرحيم، الرشيد، الرفيع، الرفيق، الرقيب، الزارع، الساتر، السامع، السبوح، الستار، الستير، السخط، السريع، السلام، السميع، السيد، الشافي، الشاكر، الشاهد، الشديد، الشفيع، الشكور، الشهيد، الصاحب، الصادق، الصانع، الصبور، الصمد، الضار.

الطالب، الطبيب، الطيب، الظاهر، العادل، العالم، العدل، العزيز، العظيم، العفو، العلام، العلى، العليم، الغافر، الغالب، الغفار، الغفور، الغنى، الغياث، الغيور، الفاتح، الفاتن، الفارش، الفاطر، الفاعل، الفالق، الفتاح، الفرد، الفعال، القائم، القابض، القابل، القادر، القاضي، القاهر، القدوس، القدير، القديم، القريب، القهار، القوى، القائم، القيام، القيم، الكائن، الكاتب، الكاشف، الكافي، الكبير، الكريم، الكفيل، اللطيف.

المؤتي، المؤخر، المؤمن، الماجد، المالك، المانع، الماهد، المبارك، المبتلي، المبديء، المبرم، المبقى، المبلي، المبين، المتعال، المتفضل، المتكبر، المتم، المتوفى، المتين، المجيب، المجيد، المحب، المحسان، المحسن، المحصى، المحي، المحيط، المخرج، المدمدم، المدمر، المذكر، المذل، المرسل، المرشد، المريد، المستجيب، المستخلف، المستعان، المستمع،

المسعر، المصور، المضل، المطعم، المطهر.

المعافي، المعبود، عدو الكافرين، المعذب، المعز، المعطى، المعيد، المعين، المغني، المغيث، المفرج، المفضل، المقتدر، المقدر، المقدم، المقسط، المقلب، المقيت، الملك، المليك، الممتحن، المميت، المنان، المنتقم، المنجى، المنذر، المنزع، المنزل، المنشئ، المنعم، المنير، المهلك، المهيمن، الموئل، الموسع، المولى، الميسر، الناصر، النافع، النذير، النصير، النور، الهادي، الهوي.

الواجد، الوارث، الواسع، الواقي، الوالي، الوتر، الودود، الوكيل، الولي، الوهاب، أليم الأخذ، آمين، أهل التقوى، أهل المغفرة، خير الحافظين، خير الحاكمين، خير الراحمين، خير الرازقين، خير الغافرين، خير الفاتحين، خير الفاصلين، خير الماكرين، خير المنذرين، خير الناصرين، خير الوارثين.

ذو الإحسان، ذو الانتقام، ذو الجبروت، ذو الجلال والإكرام، ذو الرحمة، ذو الطول، ذو العرش، ذو الفضل، ذو القوة، ذو المعارج، ذو الملكوت، رمضان، سريع الحساب، سريع العقاب، شديد العقاب، فالق الإصباح، فالق الحب والنوى، مالك الملك، مثبت القلوب، مخرج الحي من الميت، مخرج الميت من الحي، مصرف القلوب، نعم القاهر، نعم الماهد، نعم المجيب، نعم المولى، واسع المغفرة.

أما الفريق الثاني فقد جزم بأن أسماء الله ﷻ الكلية محصورة في

تسعة وتسعين اسما فقط، وهي الواردة في الكتاب والسنة، ولما ألزمهم الناس باستخراج التسعة والتسعين لم يتمكن إلا من جمع أربعة وثمانين اسما فقط.

قال ابن حزم رحمه الله: (فصح أنه لا يحل لأحد أن يسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، وصح أن أسماءه لا تزيد على تسعة وتسعين شيئا لقوله عليه السلام: مائة إلا واحدا؛ فنفى الزيادة وأبطلها لكن يخبر عنه بما يفعل تعالى، وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين اسما مضطربة لا يصح منها شيء أصلا، فإنما تؤخذ من نص القرآن ومما صح عن النبي ﷺ، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر) [1].

ثم ذكر ابن حزم رحمه الله أربعة وثمانين اسما استخرجها من القرآن والسنة [2] .

وأما الفريق الثالث فهو فريق وسط، لم يقل بقول ابن حزم، ولم يتوسع في الاشتقاق كما فعل الفريق الأول؛ بل اتفقوا جميعا على أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص، لكن أحدا منهم لم يستطع جمعها بتمامها أو حصرها من الكتاب والسنة، وبقي الباحث مترددا في فهم إجاباتهم عن كون أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة

(١) انظر المحلى لابن حزم ٨/٣١، والفصل في الملل والنحل ٢/١١٢.
(٢) انظر السابق ٨/٣١ .

تتجاوز أو لا تتجاوز تسعة وتسعين اسما؛ فيراهم يأخذون بالروايتين الثابتتين معا، رواية أبي هريرة ﷺ ورواية عبد الله بن مسعود ﷺ.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن قال: لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسما، ولا يقول: يا حنان يا منان، ولا يقول: يا دليل الحائرين، فهل له أن يقول ذلك؟ [١].

أجاب رحمه الله بأن هذا القول، وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبي محمد بن حزم وغيره، فإن جمهور العلماء على خلافه، وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها، وهو الصواب لوجوه:

أحدها: أن التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواه ابن ماجه، وقد روى في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف.

وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن، وإذا لم يقم على تعيينها دليل يجب القول به، لم يمكن أن يقال هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها، لأنه لا سبيل إلى تمييز المأمور من المحظور؛ فكل اسم يجهل حاله يمكن أن يكون

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢/٤٨١.

من المأمور، ويمكن أن يكون من المحظور، وإن قيل: لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة قيل هذا أكثر من تسعة وتسعين .

الثاني: أنه إذا قيل بتعيينها على ما في حديث الترمذي مثلا، ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث، مثل "الرب" فإنه ليس في حديث الترمذي، وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم.

وكذلك اسم المنان في الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ : (لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الذِي إِذا دُعِي بِهِ أَجَابَ، وَإِذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)[1].

وهذا رد لقول من زعم أنه لا يمكن في أسمائه المنان .. وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين .. وتتبع هذا يطول .

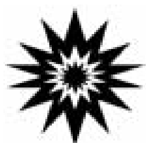
الثالث: ما احتج به الخطابي وغيره وهو حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ما أصاب عبدا قط .. قال الخطابي فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها [2] .

ونضيف إلى هذا القول الوسط الذي يلتزم الدليل التوقيفي على كل اسم من أسماء الله ﷻ أن نتيجة البحث العلمي كشفت لنا أن ما

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٥٥٠ (٣٥٤٤)، وأبو داود في الوتر، باب الدعاء ٢/٧٩ (١٤٩٥)، وأحمد في المسند ٣/١٢٠ (١٢٢٢٦)، وصححه الألباني، وانظر مشكاة المصابيح (٢٢٩٠)، وصحيح سنن أبي داود (١٤٩٥).

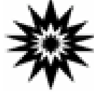
(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/٤٨١، ٢٢/٤٨٢، ٢٢/٤٨٣ بتصرف .

تعرف الله ﷻ به إلى عباده من أسمائه الحسنى التي وردت في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ هي الأسماء التسعة والتسعون المذكورة في العدد النبوي المخصوص، سواء في قائمة الأسماء المطلقة، أو قائمة الأسماء المقيدة، وأن الأمر فيها الآن مرهون بشروط وضوابط يستطيع من خلالها كل باحث أن يطبقها بدقة عند إحصائه للأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة وسيصل إن شاء الله إلى النتيجة ذاتها، وسيأتي تفصيل ذلك في المطالب التالية.



المطلب الرابع والعشرون

هل يجوز اشتقاق الأسماء من الصفات والأفعال؟



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن إحصاء الأسماء الحسنى بين الحصر ومعاني الإحصاء، وذكرنا شبهات بعض المستشرقين في استغلال تلك القضية للتشكيك في الإسلام.

وبينا أن إحصاء الأسماء التسعة والتسعة في الإسلام ليس أحجية أو مسألة رياضية من فشل في التوصل إلى حلها سينال العذاب في النار الأبدية، أو أنه لن يدخل الجنة كما يصورها بعض النصارى المستشرقين بسوء ظنهم.

وعلمنا أن الأمر في الإسلام مرهون بمنهج توقيفي دون العبث في أسماء الله بالتحريف والتثليث أو الاختراع العقلي الكهنوتي كما هو حال النصارى في اتباع كل قسيس نصراني، فلا نسمي الله ﷻ في الإسلام إلا بما سمى به نفسه في نص قرآني، أو سماه رسوله ﷺ في نص صحيح نبوي، وتناولنا تفنيد الشبهات حول حصر الأسماء الحسنى ومعاني الإحصاء.

وعلمنا أيضا أن النصوص تدل على استحالة حصر الأسماء الإلهية الكلية في عدد معين، وأن الله ﷻ أظهر من أسمائه الحسنى ما يناسب مقتضى الحكمة الإلهية في دنيا الابتلاء، وأنه لا بد من معرفة ما يناسبنا فيها من الأسماء. ثم عرضنا رأي ابن القيم في مقتضى الأسماء الحسنى، وهل قضية الإحصاء متروكة للعقل أم لحكم النص؟

وفي هذا المطلب بإذن الله ﷻ نتناول الحديث عن قضية الاشتقاق، وهل يجوز أن نشتق بأنفسنا أسماء الله الحسنى من الصفات والأفعال؟ وذلك من خلال المحاور التالية:

- **الفرق بين الاسم والوصف والفعل عند اللغويين.**

الاسم في اصطلاح أهل اللغة: هو ما يقابل الفعل والحرف، فالكلام العربي ينقسم إلي ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف.

والدليل على انحصار أنواع الكلام في هذه الثلاثة الاستقراء؛ فإن علماء اللغة تتبعوا كلام العرب فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع، ولو كان ثم نوع رابع لعثروا على شيء منه [(١)].

الاسم في الاصطلاح العام: هو الدال بالوضع على موجود في العيان إن كان محسوسا، وفي الأذهان إن كان معقولا، من غير تعرض للزمان، ومدلوله هو المسمى. والتسمية جعل ذلك اللفظ دليلا على

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري ص١٢، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

المعنى. وأصل اسم وَسَم، من السِّمة وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له [(١)].

* الاسم يعرف بعدة علامات هي:

١-علامة في أول الاسم: وهي الألف واللام، كالفرس، والغلام والرَّجُل، والكتاب، والدَّارِ. وكقول أبي الطيب:

الخَيْل وَالليْل وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي : وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ والقِرْطَاسُ وَالقَلَمُ[(٢)].

فهذه الكلمات السبع أسماء لدخول أل عليها.

٢- علامة في آخر الاسم: وهي التنوين، وهي نون زائدة ساكنة، تلحق الآخر لفظا لا خطا لغير توكيد، نحو زيدٌ ورجلٌ، فهذه وما أشبهها أسماء، بدليل وجود التنوين في آخرها.

٣- علامة معنوية: وهي الحديث عنه، والإسناد إليه، كقام زيد، فزيد اسم لأنك حدثت عنه بالقيام، وهذه العلامة أنفع العلامات المذكورة للاسم.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ١/١٠١، نشر دار الشعب، القاهرة، وتفسير الثعالبي ١/٢١.

(٢) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي، وليس شاهدًا من شواهد النحو؛ لأن المتنبي فيما يراه النحاة لا يستشهد بشعره، وإنما ذكر للتمثيل به فقط، حيث ضم البيت سبع كلمات بها علامة الاسم "أل" وهي "الخيل، الليل، البيداء، السيف، الرمح، القرطاس، القلم" .انظر النحو المصفى لمحمد عيد ص٨.

٤- ومن علامات الاسم: دخول ياء النداء عليه نحو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ التحريم:١. وقوله: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾ هود:٤٨. وقوله: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ هود:٨١. وقوله: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ هود:٥٣. فكل من هذه الألفاظ التي دخلت عليها يا النداء اسمٌ، وهكذا كل منادى.

٥- ومن علامات الاسم: دخول حرف الجر عليه، وهو يشمل الجر بالحرف، والإضافة، والتبعية، نحو مررت بغلام زيد الفاضل، فالغلام مجرور بالحرف، وزيد مجرور بالإضافة، والفاضل مجرور بالتبعية [١].

* الفعل في اصطلاح أهل اللغة:

الفعل في تعريف اللغويين: هو كل لفظ دل على معنى مقترن بزمان، وقيل: هو ما أسند إلى شيء، ولم يسند إليه شيء.

وعلامات الفعل كثيرة: فمنها، قد، والسين، وسوف، نحو قد قام، وسيقوم، وسوف يقوم. ومنها تاء الضمير، وألفه، وواوه، نحو: قمت، وقاما، وقاموا. ومنها تاء التأنيث الساكنة، نحو: قامت وقعدت، وما أشبه ذلك.

وأنواع الفعل ثلاثة: ماضٍ وأمرٌ ومضارعٌ، ولكل منها علامة تدل

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ص١٢، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

عليه، فعلامة الماضي تاء التأنيث الساكنةُ، كقامت وقَعَدَتْ.

وعلاَمَةُ المضارع أن يقبل دخول لمْ كقولك: لمْ يَقُمْ، ولمْ يَقْعُدْ، ولا بُدَّ من كونه مفتتحاً بحرف من أحرف "نأيت"، نحو: نقُوم، وأقُوم، ويَقُوم زيدٌ، وتَقوم يا زَيدُ.

والأمْر هو ما دل على الطلبِ، وعلامته قَبُول ياء المخاطَبَة، كقُومِي وهَاتِ وتَعَالي.

* الحرف في اصطلاح أهل اللغة:

الحرف في تعريف اللغويين ما جاء لمعنى في غيره، وهو يمتاز عن الاسم والفعل، بخلوه عن علامات الأسماء وعلامات الأفعال (١).

• الفرق بين الاسم في حق الله وفي حق العباد.

الاسم في حق الله ﷻ هو ما دل على الذات والوصف معا، فالأسماء في حق الله ﷻ لا بد أن تكون علمية ووصفية معا، علمية من جهة الدلالة على الذات، ووصفية من جهة المعنى الذي تضمنه كل اسم، فأسماء الله تعالى نحو القدير العلي الرحمن القوي العزيز الحكيم السميع العليم وغير ذلك من الأسماء، دلت بالتضمن على إثبات صفات القدرة

---

(١) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/١٦، نشر دار الفكر، سوريا، وشرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري ص١٨، نشر الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا ، وأسرار العربية لأبي البركات الأنباري ص٣٤، نشر دار الجيل، بيروت.

والعلو والرحمة والقوة والعزة والحكمة والسمع والعلم.

وأسماء الله أعلام لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾الإسراء:١١٠. كلها تدل على ذات واحدة ومسمى واحد. وهي أيضا أوصاف لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف:١٨٠. لتضمنها صفات الكمال ومعاني الجمال والجلال، فكما أنها أعلام على ذاته؛ فإنها أيضا أوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد؛ فإنها تنافي علميتهم .

وأغلب أسماء الله الحسنى سواء كان الاسم مطلقا أو مقيدا، إما يرد بصيغة اسم الفاعل، أو يرد بصيغة المبالغة من اسم الفاعل، كفعال ومفعال، وفعول، وفعيل، وفعل، أو يرد بصيغة أفعل التفضيل.

ومثال ما ورد من بصيغة اسم الفاعل من الأسماء المطلقة الْمُهَيْمِنُ الخَالقُ البَارِئُ الْمُصَوِّرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ الوَاحِدُ الوَاسِعُ الْمُبِينُ الْمُجيبُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤخِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ القَاهِرُ الْمُسَعِّرُ الشَّاكِرُ القَادِرُ المَالكُ الْمُحْسِنُ الشَّافِي الْمُعْطي الْمُقيتُ الوَارِثُ.

ومن الأسماء التي وردت بصيغة اسم الفاعل، ولا بد أن تذكر مقيدة، ولا يجوز إطلاقها على الله ﷻ إلا بالإضافة أو القرينة التي وردت معها في نص الكتاب والسنة: البالغ الجامع الحاسب الجاعل الخادع الرافع الزارع الشاهد العالم الغافر القابل الغالب الفاطر الفالق الفاعل القائم الكافي الكاشف الماكر الماهد المبتلي المبرم المبدي المتم

المتوفي المحي المخرج المخزي المرسل المستمع المطهر المعذب الممد المنتقم المنذر المنشئ المهلك الموسع الكاتب المحيط الموهن الهادي الصادق الصَانِعٌ المجري المنزل الهازم المقلب المثبت المصرف الناصر المذهب الصاحب الخليفة.

هذه جميعها أسماء الله المضافة والمقيدة التي ردت بصيغة اسم الفاعل وتفيد المدح والثناء على الله ﷻ بذكر غيرها من أنواع المضاف أو القرينة الواردة معها في النص، ولا يجوز إطلاق ما قيده الله ورسوله ﷺ.

ومن أمثلة أسماء الله الحسنى المطلقة مما ورد بصيغ المبالغة من اسم الفاعل: الرَّحِيم الملكُ العَزِيزُ الجَبَّارُ السميعُ البَصِيرُ النَّصِيرُ القَدِيرُ اللطِيفُ الخَبِيرُ الجَميل الحَيي الستيرُ الكَبِيرُ القَهَّارُ العَظِيم الشَّكُورُ الحَلِيم العَليم التَّوابُ الحَكِيم الكَرِيم القَرِيبُ الغَفُورُ الودودُ الحَميدُ الحَفيظُ المجيدُ الفتَّاحُ الشَّهيدُ المليكُ الديانُ المنانَّ الخَلاَّقُ الرزَاقُ الوكيل الرَّقيبُ الحَسيبُ الرِّفيقُ الغَفَّارُ الرَّءوفُ الوهَّابُ.

ومما ورد في الكتاب والسنة بصيغ المبالغة من اسم الفاعل من أسماء الله المقيدة التي تذكر على ما ورد نصها: البديع الرفيع السريع العلام الشديد الفعال الكفيل الطبيب القيام .

ومن أمثلة أسماء الله الحسنى مما ورد بصيغة أفعل التفضيل من الأسماء المطلقة: الأعلى والأكرم. ومن المقيدة: الأرحم الأحكم الأسرع الأقرب الأبقى الأحق الأشد الأوْلى الأعلم الأجل الأغير الأصبر الأكبر

الأغنى. وهناك بعض الأسماء من باب الصفة المشبهة نحو الرب الرحمن الأول الآخر.

وأما الاسم في حق العباد فهو ما كان علما على الذات مع احتمال دلالته على الوصف، فلا يراد بالاسم في حق العباد إلا العلمية التي تميزه عن غيره، سواء تضمن الوصف أم لم يتضمنه.

وقد كان من شأن العرب أن يسموا أولادهم بأسماء الجماد والحيوان لما يرون فيها من بعض الصفات النبيلة، كتسميتهم صخرا، أو حربا، أو، أسدا، أو كلبا، أو جحشا، أو كعبا، وهم يقصدون بهذه التسمية في المقام الأول تمييز الشخص عن غيره؛ لأنه لا بد لكل فرد من اسم يميزه بالعلمية، وهم أيضا يتطلعون أن تتحقق فيه الوصفية التي تضمنها الاسم، فالذي يسمي ولده صخرا يأمل أن تتوفر فيه صفة القوة والصلابة، والذي يسمي ولده حربا يأمل أن تتوفر فيه صفة الفارس المقاتل والمقدام الهمام، والذي يسميه أسدا، أو كلبا، أو جحشا، أو كعبا يرغب أن تتوفر فيه صفة الشجاعة والجرأة والوفاء، والتحمل والعظمة والبقاء، ولذلك كانت أغلب الأسماء التي يسميها العرب مبنية على مراعاة العلمية واحتمالية وجود الوصفية مستقبلا، أو الرغبة في حدوثها نحو تسمية أبي سفيان بن حرب، وعند البخاري تزوج أبو بكر ﷺ امرأة من كلب [1].

(١) البخاري في فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ ٣/١٤٢٧ (٣٧٠٦).

والمقصود من بني كلب، وأيضا كان من أمهات المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، ومن الصحابة ﷺ أبي بن كعب، وكعب بن مالك الذي تخلف عن غزوة تبوك رضي الله عنهم أجمعين، وقد يسمون الجارية زهرة أو غزالا، أو شهدا أو نورا، أو قمرا أو جميلة، وهي سوداء كالليل البهيم، أو قبيحة دميمة، أو خبيثة الجوهر والمنظر.

• الفرق بين الفعل ووصف الذات ووصف الفعل.

الوصف في حق الله ﷻ هو كل نعت كمال أزلي أبدي، ثابت في النقل، قائم بذات الله ﷻ، لا يقوم بنفسه، ولا ينفصل عن موصوفه، وهو في القرآن والسنة نوعان:

أ- النوع الأول: الوصف الذاتي، وهو كل وصف كمال أزلي أبدي، ثابت في النقل، قائم بذات الله ﷻ ولا يتعلق بمشيئته، ولا يرتبط بزمان. نحو العلم الذي ورد في قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾ النساء:١٦٦. وقوله ﷻ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ فاطر:١١.

ونحو وصف القدرة فيما ورد عن رواه البخاري من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: (كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يُعَلمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُور كُلها كَمَا يُعَلمُنَا السُّورَةَ مِنْ القُرْآن، يَقُول: إذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْر، فَليَرْكَعْ رَكْعَتَيْن مِنْ غَيْر الفَرِيضَةِ، ثمَّ لِيَقُل: اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلكَ مِنْ فَضْلكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ

ولا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وأَنْتَ عَلامُ الغُيُوبِ)[1].

ونحو وصف العزة في قوله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصافات:١٨٠. ووصف الكلام كوصف ذاتي دل عليه مفهوم المخالفة في قوله ﷻ: ﴿قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ الأعراف:١٤٨. فلا يتصور وجود الإله بغير صفة الكلام.

ونحو وصف الحكمة التي تضمنها اسم الحكيم في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ البقرة:١٢٩. ونحو صفة السمع والبصر في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

ومن أمثلة صفات الذات الثابتة في النقل اليدان في قوله ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ المائدة:٦٤. وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ص:٧٥.

ونحو وصف الأصابع الذي ورد عند البخاري من حديث ابن مسعود ﷺ أنه قال: (جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الأَحْبَارِ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلى

---

(١) رواه البخاري في أبواب التطوع، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ١/٣٩١ (١١٠٩)، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة ٥/٢٣٤٥ (٦٠١٩).

إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلى إِصْبَعٍ، وَالَماءَ وَالثرَى عَلى إِصبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلائِقِ عَلى إِصْبَعٍ، فَيَقُول: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لقَوْل الحَبْرِ. ثمَّ قَرَأَ رَسُول اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزمر:٦٧)[١]. وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع رَسُول اللهِ ﷺ يَقُول: (إِنَّ قُلوبَ بَنِي آدَمَ كُلهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْث يَشَاءُ)[٢].

ومن أمثلة صفات الذات الثابتة في النقل صفة الوجه نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ القصص:٨٨.

وصفة القدم في الصحيحين أن النَّبِي ﷺ قال: (لا تَزَال جَهَنَّمُ يُلقَى فِيهَا، وَتَقُول: هَل مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلى بَعْضٍ، وَتَقُول: قَطْ قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ)[٣].

ب- النوع الثاني: وصف الفعل، وهو كل وصف أزلي أبدي يتعلق بمشيئة الله، إن شاء فعله، وإن شاء لم يفعله، ولا يرتبط بزمان

---

(١) رواه البخاري في التفسير، باب وما قدروا الله حق قدره ٤/١٨١٢ (٤٥٣٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٧ (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر، باب تصريف الله القلوب ٤/٢٠٤٥ (٢٦٥٤).

(٣) رواه البخاري في التوحيد، باب قوله وهو العزيز الحكيم ٦/٢٦٨٩ (٦٩٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون ٤/٢١٨٨ (٢٨٤٨).

معين، فإن ارتبط بزمان فهو الفعل. نحو وصف التقدير في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ الفرقان:٢. فنقول: التقدير من أوصاف الله ﷻ الفعلية الأزلية والأبدية، ويقابله وصف القدرة من أوصاف الله الذات التي لا تتعلق بالمشيئة. ومثله التكليم في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ النساء:١٦٤. فنقول: التكليم وصف فعله، والكلام وصف ذاته، فباعتبار الكلام وصفا ذاتيا؛ فإنه لا يتعلق بالمشيئة والقدرة، وباعتباره وصفا فعليا؛ فإنه وصف أزلي أبدي متعلق بالمشيئة والقدرة، فإن تعلق بوقت فهو الفعل كلم.

ومثال ذلك أيضا وصف الإحياء الذي دل عليه اسم الله المحيي الذي ورد مقيدا في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ الروم:٥٠. ويقابله وصف الحياة من أوصاف الذات التي لا تتعلق بالمشيئة والذي دل عليه اسمه تعالى الحي.

وكذلك وصف التبصير في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ ق:٧/٨. فهو وصف فعل، ويقابله في أوصاف الذات التي لا تتعلق بالمشيئة صفة البصر التي دل عليه اسمه تعالى البصير.

تعريف الفعل الإلهي: فعل الله ﷻ هو كل وصف فعل تعلق بالمشيئة وارتبط بالزمان والمكان. نحو الفعل "قدر" حيث تعلق بالمشيئة وتعلق

بالزمن، وهو في أصله وصف من أوصاف الله الفعلية.

وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لوْ أَنِّي فَعَلتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلكِنْ قُل: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَل، فَإِنَّ لوْ تَفْتَحُ عَمَل الشَّيْطَانِ) [١].

والشاهد من الحديث أن الفعل "قدر" تعلق بالمشيئة كما هو واضح، وارتبط كذلك بالزمان فيما كما ورد في صحيح البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النَّبِيّ ﷺ قال: (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَال لهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ الجَنَّةِ، قَال لهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلامِهِ، وَخَطَّ لكَ بِيَدِهِ، أَتَلومُنِي عَلى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَليَّ قَبْل أَنْ يَخْلقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، ثلاثا) [٢].

ومثال ذلك الفعل "كلم" في قول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ النساء:١٦٤. فأصله وصف فعل تعلق بمشيئة الله ﷻ وهو التكليم، وهو وصف أزلي أبدي، كما تعلق أيضا بالزمان والمكان

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٤/٢٠٥٢ (٢٦٦٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى ٦/٢٤٣٩ (٦٢٤٠)، ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ٤/٢٠٤٢ (٢٦٥٢).

في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ الأعراف:١٤٣.

ولذلك فإن التوقيف بالنص على الفعل توقيف على وصف الفعل، والتوقيف على وصف الفعل توقيف على إمكانية الفعل. فالفعل "تجلى" دل على أن التجلي وصف فعل لله ﷻ، وهو وصف أزلي أبدي متعلق بمشيئته. ولو لم يرد في الوحي إلا وصف التجلي فإنه يدل على إمكانية تجليه سبحانه لبعض خلقه، وذلك إذا تعلق الوصف بزمان أو مكان على مقتضى مشيئته وحكمته، فلا يراه العباد وقت وجودهم في الدنيا، وإنما يراه المؤمنون في الآخرة وقت وجودهم في أرض المحشر والجنة إن شاء الله ﷻ، اللهم اجعلنا منهم.

• التوقيف على الاسم توقيف على الوصف والفعل.

إذا تثبت الاسم توقيفا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإنه يدل على ما تضمنه من الوصف، سواء كان وصفا ذاتيا، أو وصفا وفعليا، فنأخذ من الاسم التوقيفي الذي دل على وصف متعد ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ، وثبوت الصفة التي تضمنها، وثبوت الفعل لله ﷻ، وثبوت أثر الفعل في المخلوقات.

مثال ذلك اسم الله الخالق ثبت توقيفا في الكتاب والسنة فهو من

أسماء الله الحسنى، ودل على صفة الخلق المتعلقة بمشيئته أزلا وأبدا، ودل أيضا على إثبات فعل الخلق لله ﷻ، وأنه سبحانه يخلق ما يشاء، ودل على إمكانية أثر الفعل، وهو ظهور المخلوقات وتجدد حدوثها متى شاء سبحانه، وكيف شاء.

وكذلك اسم الله السميع ثبت توقيفا في الكتاب والسنة فهو من أسماء الله الحسنى، ويتضمن إثبات السمع صفة له سبحانه، ويدل على إثبات حكم الصفة ومقتضاها، وهو أنه ﷻ يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ المجادلة:١.

ونأخذ من الاسم التوقيفي الذي دل على وصف ذاتي غير متعلق بالمشيئة ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ، وثبوت الصفة التي تضمنتها، مثال ذلك اسم الله الحي، فإنه يتضمن إثبات صفة الحياة له ﷻ.

قال ابن القيم رحمه الله: (الثامن أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلا ومصدرا، نحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ المجادلة:١. وقوله: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝٢٣ ﴾ المرسلات:٢٣. هذا إن كان الفعل متعديا، فإن كان لازما، لم يخبر عنه به، نحو الحي ،بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل، فلا يقال حي. التاسع أن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه

وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم، فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله. والمخلوق كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل . فالرب لم يزل كاملا فحصلت أفعاله عن كماله؛ لأنه كامل بذاته وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله، كمل ففعل، والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به) [(١)].

• التوقيف على الوصف والفعل ليس توقيفا على الاسم.

إذا ورد الوصف أو الفعل توقيفا في حق الله ﷻ، فلا يجوز لنا اشتقاق الاسم منه، وإن دل العقل على أنه لا يوهم نقصا؛ لأن الأسماء الحسنى لا تثبت إلا بالدليل النصي التوقيفي، وليس بالاشتقاق العقلي عن طريق القياس أو الاشتقاق من فعل ونحوه، ولم يخالف في ذلك إلا أهل الضلال من المعتزلة والكرامية من سلك سبيلهم من أتباع الجهمية، فلا يُسمى سبحانه إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ عبس:١٧/٢٢.

وقد تضمنت تلك الآيات عدة أفعال لرب العزة والجلال تعلقت جميعها بمشية الله ﷻ، يفعلها متى شاء، وهي خلق وقدر، ويسر، وأمات، وأقبر، وشاء، وأنشر.

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٧٠.

وكلها تدل أيضا على ثبوت أوصاف الخلق والتقدير والتيسير والإماتة والإقبار والمشيئة والانشار، فنؤمن بها كلها على أنها أوصاف توقيفية أولية أبدية، تتعلق بالمشيئة والقدرة، ولا تتعلق بزمان أو مكان.

لكن لا يجوز لنا أن نسمي الله ﷻ اعتمادا على الفعل فقط، فاسم الله الخالق اسم توقيفي لورود التوقيف به في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الحشر:٢٤. وليس لمجرد ورود الفعل "خلق"، ولا يجوز أيضا تسمية الله المقدر أخذا من الفعل "قدر". ولكن يجوز تسميته القادر والقدير والمقتدر، وذلك لأن الله ﷻ هو الذي سمى نفسه بذلك فقال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ الأنعام:٦٥. وقال: ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ الممتحنة:٧. وقال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ القمر:٥٥.

ولا يجوز تسمية الله بالميسر، ولا المميت، ولا المقبر لعدم ورود التوقيف بذلك، فلم ترد تلك الأسماء في نص قرآني، أو نص نبوي مرفوع. وعلى ذلك لا يجوز تسمية الله ﷻ الضَّار الخافض المَانِع المذِل المُقْسِط العَدْل النَّافِع المُبْدِيء المُعِيد الجَلِيل الرَّشِيد البَاعِث المُحْصِي الوَاجِد المَاجِد المعز المُغْنِي الصَّبُور البَاقِي الوَالِي. لأنها أسماء لم يرد بها التوقيف، ولأن التوقيف على الفعل والوصف ليس توقيفا على الاسم.

• **القائلون بالاشتقاق لا يقصدون إلا الجانب اللغوي.**

قال ابن القيم: (وكذلك فإن الأسماء مشتقة من الصفات، إذ الصفات مصادر الأسماء الحسنى) [١].

توهم كثيرون أن ابن القيم يعني بذلك أنه يجوز اشتقاق الأسماء الحسنى من الصفات والأفعال، وزعموا أن هذا لا ينافي التوقيف، وأن تلك عقيدة السلف الصالح، وهذا خطأ كبير منهم. لأنهم لم يفرقوا بين الجانب اللغوي في الاشتقاق لبيان عقيدة السلف في دلالة الاسم على الوصف، وبين ضرورة الالتزام بالجانب التوقيفي في عدم تسمية الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو صح في سنة رسوله ﷺ، فاختلط الأمر على هؤلاء، وصححوا كثيرا من الأسماء المشتهرة التي لم يرد بها توقيف، وغرهم أن كثيرا من العلماء شرحوها دون تحقيق ثبوتها، ظنا منهم أنها نص نبوي مرفوع .

ورحم الله الشيخ محمد متولي الشعراوي فقد فرق بدقة بين الجانب اللغوي والالتزام بالجانب التوقيفي، وبالرغم من ذلك كان يظن أن الأسماء المشتهرة المدرجة من قبل الوليد بن مسلم في حديث الترمذي هي نص نبوي صحيح مرفوع فقام بشرحها في كتبه.

ولنتأمل ماذا قال في ذلك، حيث قال تحت عنوان: (ولا يجوز

---

(١) انظر مدارج السالكين ١/٢٨ وبدائع الفوائد ١/٢٦ .

اشتقاق أسماء من أفعال الحق ﷻ، يقول الحق جل وعلا: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ البقرة:٤٧. وقال: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ البقرة:١٥٥. وقال: ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال:٣٠. وقال: ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم:٤.

والملاحظ أن الآيات السابقة قد احتوت على أفعال للحق ﷻ مثل أنعمت، لنبلونكم، يمكر الله، يضل من يشاء. ومن المعلوم أنه يصح لغويا اشتقاق أسماء من الأفعال فنقول: إن منعم مشتق من أنعم، ومبتلى من ابتلى، وماكر من مكر، ومضل من أضل .

هذا من حيث اللغة، أما فيما يتعلق بأسماء الله الحسنى؛ فالقاعدة أنه لا يجوز أن نشتق من أفعال الله ﷻ أسماء له، وبذلك لا يكون من أسمائه ﷻ المنعم، أو المضل، أو المبتلى، أو الماكر اشتقاقا من أفعال الحق تبارك وتعالى، والسبب في ذلك هو أن هذه الأفعال لا تعطى بذاتها وهى منفصلة عن الجمل التي وردت فيها أوصافا لله ﷻ يصح أن تطلق على وجه التعميم والشمول. ففي الآية الأولى نجد أن إنعام الله ﷻ كان على بني إسرائيل، كما أن إنعام الله ﷻ يكون من نصيب أوليائه الصالحين الطائعين، فهو تبارك وتعالى يرزق الجميع، ولكنه ينعم على خاصته، وكذلك لا يصح أن يكون المبتلي من

أسمائه ﷻ لأن هذا الوصف لا يمكن تخيله بعد قيام الساعة، فالاختبار والابتلاء محله الدنيا، وينتهي بنهاية الحياة على الأرض، وبذلك لا يكون المبتلي وصفا دائما من أوصاف الله ﷻ، وإن كان فعلا من أفعاله في وقت من الأوقات، وأيضا الماكر فعل من أفعال الله ﷻ، ولكنه في مواجهة الماكرين من عباده، والإضلال يكون لمن استفحل في ضلاله، ولا سبيل في توبته ورجوعه، فيضله الله ﷻ بأن يتركه في ضلاله حتى يحق عليه جزاء فعله) [١].

انتهى كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله، مع ملاحظة أن اسم المبتلي واسم الماكر اسمان مقيدان وردا في القرآن بصيغة الاسم على سبيل التقييد، فلا يجوز إطلاقهما في حق الله ﷻ إلا على الوضع الذي ورد به النص كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾البقرة:٢٤٩. وقوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال:٣٠.

ولم يتنبه هؤلاء الذين يجوزون اشتقاق الأسماء الحسنى من الصفات والأفعال إلى أن ابن القيم وكل من أدرك حقيقة مذهب السلف في أسماء الله الحسنى أراد من قوله: "إن الأسماء مشتقة من الصفات إذ الصفات مصادر الأسماء الحسنى"، أن الأسماء لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي أعلام وأوصاف، وهي

(١) أسماء الله الحسنى الجزء الأول ص١٧، نشر أخبار اليوم .

بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة، والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم .

وقد كان باعثهم على ذلك هو الرد على المبتدعة المعتزلة واستقباح مذهبهم في إثبات الأسماء ونفي دلالتها على الصفات، لأن معنى ذلك أنهم أثبتوا وجود الذات فقط، وجعلوا أسماء الله ﷻ الدالة عليها أسماء فارغة من الأوصاف، أو أسماء بلا مسمى، فقالوا: هو العليم بلا علم، والسميع بلا سمع، والبصير بلا عين.

ومعلوم من مذهب السلف الصالح أن أسماء الله ﷻ في دلالتها على الصفات لا تشبه أسماء المخلوقين في دلالتها، فقد يسمى الإنسان سعيدا وهو حزين، أما رب العزة والجلال فهو الغني الذي اتصف بالغنى دون الفقر، وهو القوي الذي اتصف بالقوة دون الضعف، وهو السميع الذي اتصف بالسمع تعالى الله عن ضدها، وهكذا في سائر الأسماء والصفات، ولهذا كانت أسماؤه حسنى وعظمى، ولا تكون حسنى وعظمى بغير إثبات الصفات.

ولذلك استبعدوا اسم الدهر من أسماء الله الحسنى؛ لأنه اسم جامد لا يتضمن وصفا يفيد المدح والثناء على الله ﷻ بنفسه، كما أن نسبته إليه هي من إضافة المخلوق لخالقه وليست من إضافة الصفة لموصوفها.

وإذا كان الأمر كذلك فإن مراد من قال بأن الأسماء مشتقة من الصفات لا يعني أبدا جواز اجتهاد الشخص في اختراع أسماء لله ﷻ

محدثة ومتجدده وفق اجتهاده الشخصي، بل إن تسمية الله ﷻ بما لم يسم به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ من الإلحاد في أسمائه، فلا يجوز اشتقاق الأسماء من الصفات والأفعال؛ لأن الاشتقاق ليس من حق أحد إلا رب العزة والجلال، والمرجعية في ذلك إلى النص الشرعي دون القياس العقلي، أو التلاقي اللغوي .

ولذلك بين ابن القيم مراده بوضوح فقال: (ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله) [(١)].

وعليه فإن من قال من أهل العلم بأن أسماء الله ﷻ مشتقة من الصفات والأفعال لا يعني سوى أنها تلاقي مصادرها اللغوية في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها، وصادرة عنها بحيث تكون أسماء الله مشاعا أو مزادا معلنا يناله كل من زاد في منح الكمال لله ﷻ.

وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر؛ وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة، فالاشتقاق هنا ليس اشتقاقا ماديا، أو تشبيها يحكم فيه على أسماء الخالق بما يحكم أسماء المخلوقين، وإنما هو اشتقاق لغوي متلازم بين الاسم والفعل والوصف؛ ولا محذور في القول باشتقاق أسماء الله الحسنى على هذا المعنى اللغوي، مع التنبيه على أن حق التسمية تكون

---

(١) بدائع الفوائد ١/٢٦.

المرجعية فيه إلى تسمية الله ﷻ لنفسه أو تسمية نبيه ﷺ، وأن الأسماء الحسنى أزلية أولية بأولية الذات وأبدية بأبديتها.

- **دورنا تجاه الأسماء الإحصاء وليس الاشتقاق والإنشاء.**

ولمزيد من البيان في قضية أسماء الله الحسنى، وهل هي مشتقة من الصفات؟ أم الصفات مشتقة من الأسماء؟ لا بد أن نفرق فيها بين عدة جوانب أساسية توضح المسألة وتبين القضية:

الجانب الأول: إذا نظرنا إليها من جهة التكليف والحكم الشرعي، فإنه لا يجوز أن تُشتق الأسماء من الصفات والأفعال، وإنما الصفات والأفعال هي المشتقة من الأسماء، فتشتق من السميع البصير صفة السمع والبصر، ومن العليم القدير صفة العلم والقدرة، ومن العزيز الحكيم صفة العزة والحكمة، ومن الكريم العظيم صفة الكرم والعظمة.

لكن لا يجوز أن نشتق من صفات الذات والأفعال أسماء لرب العزة والجلال، فقد وصف الله ﷻ نفسه بالإرادة، والاستواء، والكلام، والنزول، والجلال، والانتقام، وأنه يؤتي، وينزع، ويعز، ويذل، ويخفض، ويرفع، ويبديء، ويعيد، ويقضي، ويكتب، لكن لا يجوز لنا أن نشتق له من هذه الصفات المريد، والمستوى، والمتكلم، والنازل، والجليل، والمؤتي، والنازع، والمعز، والمذل، والخافض، والرافع، والمبديء، والمعيد، والقاضي.

ومن الخطأ أن نسمى الله ﷻ بهذه الأسماء أو بعضها، ومن فعل

ذلك فقد سمى ربه بما لم يسم به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، فأسماء الله الحسنى باتفاق السلف الصالح توقيفية على النص؛ لا بد فيها من ورود الاسم بصيغته في النصوص القرآنية، أو ما صح عن رسول الله ﷺ في السنة النبوية.

وليست أسماء الله ﷻ مسألة تأليفية عقلية، أو إنشائية اجتهادية يشتق فيها الإنسان لربه من أوصافه وأفعاله ما يشاء من الأسماء، فكثير من العلماء جعلوا المرجعية في علمية الاسم واشتقاقه من الوصف إلى أنفسهم، وليس إلى النص الثابت في الكتاب والسنة، وهذا يعارض ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة في كون الأسماء الحسنى توقيفية سمعية.

ومن ثم فإن الأسماء الحسنى على هذا الاعتبار لا تشتق من صفات الذات أو صفات الأفعال حتى لو كانت الصفة مطلقة في الدلالة على الكمال، أو مقيدة به في حال دون حال، ومن أجل ذلك كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء الحسنى.

الجانب الثاني: يجوز اشتقاق الأسماء والصفات من الجانب اللغوي، فمن جهة اللغة واشتقاق الألفاظ يصح القول بأن الأسماء الحسنى مشتقة من الصفات والأفعال، وأنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، فالتخاطب بالأفعال ضروري كالتخاطب بالأسماء، لا فرق بينهما، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى.

قال ابن القيم: (زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه سبحانه قديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل، ولكن من قال بالاشتقاق لم يُرد هذا المعنى ولا ألمّ بقلبه، وإنما أراد أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير، فإنها مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله) [1].

ولولا أن الأسماء تتنوع في اشتقاقاتها اللغوية ومبانيها الصرفية اللفظية لما ظهرت معانيها المتباينة، ومن ثم فإن أسماء الله ﷻ عند السلف أسماء على مسمى، ولذلك أمرنا الله أن ندعوه بها فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ الأعراف: ١٨٠.

ودعاء الله بها أن يقول الفقير: يا غني اغنني بفضلك عمن سواك، ولولا يقين الداعي الفقير أن الله ﷻ غني ولا نظير له في غناه ما توجه إليه ودعاه، وأن يقول الضعيف: يا قوي قوني، ولولا يقينه أنه سبحانه

(١) بدائع الفوائد ١/٢٦.

لا شبيه له في قوته ما توجه إليه ودعاه، وهكذا يعلم أصحاب الفطرة السليمة فطرة التوحيد أن الله ﷻ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء بسبب العظمة في أوصافه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ النمل:٦٢. وقد علم العقلاء أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه وهو عاجز لا صفة له مطلقا.

الجانب الثالث: إذا نظرنا إلى اشتقاق الأسماء والصفات من جانب التوحيد والعقيدة، فإن الأسماء والصفات في حقيقتها أزلية أبدية بأزلية الذات الإلهية، لأنه تعالى ليس كمثله شيء في ذاته المقدسة، أو أسمائه الحسنى، أو صفاته العليا، أو أفعاله سبحانه، ولا يقاس على خلقه بقياس تمثيلي أو شمولي.

ومن المعلوم أن الإنسان في بدايته، وعند أول خلقه وتكوينه يكون ناقصا في أوصافه وأفعاله؛ من أجل ذلك صح اكتساب ما يليق به من أنواع الكمال، كالشرف والعلم والقوة والمال، وما يحمد عليه من جميل الصفات والأفعال؛ إذ كمالهم وصلاحهم عن أفعالهم، فالعبد أسماؤه وصفاته عن أفعاله؛ فيحدث له اسم العالم والكامل بعد حدوث العلم والكمال فيه، ويكتسب مالا فيصبح غنيا، ويحمده الناس فيصبح محمودا، ويتحرى الصدق فيكون صادقا، فهم يُكمِّلون نقصهم الذاتي بفعل الكمال الكسبي؛ فيظهر بين الناس حسنهم، وحسن أسمائهم

وأوصافهم وأفعالهم.

أما رب العزة والجلال فأفعاله عن جلال أسمائه وكمال أوصافه وجمالها، وهي مشتقة منها كما ورد في المسند وصححه الألباني من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن النبي ﷺ قال: (قَال اللهُ ﷻ: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وشَقَقْتُ لهَا مِنِ اسْمِي اسْماً، فَمَنْ وصَلهَا وصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ)[١].

وهذا الحديث دليل واضح على أن أفعال الله ﷻ صادرة عن أسمائه وأوصافه بعكس أسماء المخلوقين وأوصافهم التي تصدر عن أفعالهم؛ فعقيدة التوحيد تقتضي الإيمان بأن أفعال الله ﷻ صادرة عن كماله، كمُل ففعل، وأن كمال المخلوق صادر عن أفعاله، فَعَل فكمل الكمال اللائق به، ومن ثم اشتقت الأسماء له بعد أن كمل بالفعل، أما الرب فلم يزل كاملا على الدوام بأسمائه وصفاته أزلا وأبدا .

ومن ثم فإن دورنا تجاه أسماء الله الحسنى الإحصاء، ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء، فالمسلم الموحد صاحب العقيدة الصحيحة لا يجوز له أن يشتق لله ﷻ من أوصافه وأفعاله ما يشاء من الأسماء، لأنها توقيفية على النص كما سبق، واشتقاقه هو استحداث اسم لله ﷻ ليس أزليا ولا أبدا كما فعل الوليد بن مسلم وغيره في بعض الأسماء المشهورة.

---

(١) المسند ١/١٩٤(١٦٨٠)، والسلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ٢/٤٩ (٥٢٠).

• حقيقة ما ورد عند بعض العلماء من الأسماء غير التوقيفية.

بعض الدعاة المحبين لمنهج السلف وطريقة المحدثين، والذين ينقلون أغلب كلامهم في العقيدة عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم دون تحقيق، اعتبروا كل ما ورد في كلامهما من الأسماء أمرا مسلما لا يمكن تتبعه بالنظر والتعقيب، وأن من نقل عنهما في أي مرحلة من مراحل حياتهما فهو موفق مصيب.

بل أدي ذلك المنحى ببعضهم أن يبتدع بدعة جديدة في قضية أسماء الله الحسنى ما أنزل الله بها من سلطان، حيث جعل الأسماء الحسنى توقيفية على كلام بعض العباد، وكلام الله ورسوله ﷺ، فجعل الأسماء توقيفية على كلام المعصوم وغير المعصوم وسوى بينهما في المرجعية، وزعم أنه يدين لله ﷻ بأن الأسماء الحسنى توقيفية على قول بعض سلف الأمة، ومنهم ابن تيمية وابن قيم الجوزية [1].

ولم تعد الأسماء الحسنى عنده توقيفية على الكتاب والسنة فقط، فزعم أن العقيدة الحق في أسماء الله ﷻ هو أن نثبت ما أثبته علماء السلف من الأسماء المشتقة، وأنه يجوز لسفيان بن عيينة، وأبي زيد اللغوي، وجعفر الصادق، والوليد بن مسلم الموصوف بتدليس التسوية، وعبد الملك الصنعاني الذي ينفرد بالموضوعات، وعبد العزيز بن حصين

---

(١) انظر رسالة إتحاف المشتاق بأدلة كون التوقيف في أسماء الله لا ينفي الاشتقاق، د. هشام عبد الجواد الزهيري، قدم لها د.ياسر البرهامي ص٣.

الذي لا يجوز الأخذ بحديثه، وابن تيمية وتلميذه ابن القيم نظرا لاشتهارهما، يجوز لهؤلاء عند صاحب هذه البدعة أن يشتقوا لله أسماء من الأفعال التي يرون فيها الكمال، ولا يجوز لمن جاء بعدهم من أهل العلم أن يشتقوا لله ﷻ أسماء من الأفعال التي يرون فيها الكمال، فما أغرب من ترك العنان لعقله في تبرير خطئه بمثل تلك البدعة، وعدم التزامه بالأسماء التوقيفية فقط.

ونحن نرى أنه لا أحد أكبر من الدليل، وأن كلا يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم ﷺ، وأن أحدا من أهل العلم لم ينزل عليه وحي من السماء لنسلم له بلا سؤاله عن حجته على كل اسم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا ما أجمعت عليه الأمة. ولا يجوز لأحد أن يسمي الله ﷻ إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو صح في سنة رسوله ﷺ.

وأما ما ورد في كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من أهل العلم من أتباع السلف، فينبغي رد كلامهم إلى أصول العقيدة السلفية المبنية على تصديق خبر الله وتنفيذ أمره.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فالكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض، نفيا وإثباتا. والإنسان يجد في نفسه الفرق بين النفي والإثبات؛ والتصديق والتكذيب، وبين الحب والبغض، والحض والمنع؛

حتى إن الفرق بين هذا النوع وبين النوع الآخر معروف عند العامة والخاصة، ومعروف عند أصناف المتكلمين في العلم، كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الإيمان، وكما ذكره المقسمون للكلام؛ من أهل النظر والنحو والبيان، فذكروا أن الكلام نوعان: خبر وإنشاء، والخبر دائر بين النفي والإثبات، والإنشاء أمر أو نهي، أو إباحة. وإذا كان كذلك، فلا بد للعبد أن يثبت لله ﷻ ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال.

إلى أن قال: فأما الأول فهو التوحيد في الصفات، فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله ﷻ بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا؛ فيثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه.

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ الأعراف: ١٨٠.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾فصلت: ٤٠. فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه،

وتنزيها بلا تعطيل)[١].

والأصل في الغيبيات والأسماء والصفات كما هو اعتقاد السلف التوقيف والتصديق الجازم دون الوهم والشك والظن، فما أخبر الله ﷻ به عن نفسه من الأسماء آمنا بها أسماء، وما أخبر الله ﷻ به عن نفسه من الصفات صدقناه وآمنا بها كصفات، وما أخبر به عن نفسه من الأفعال صدقناه وآمنا به كأفعال.

ولما نظر البعض إلى الأسماء المشهورة التي لا دليل عليه ووجدوا بعضها مذكورا في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم اعتبروا ذلك توقيفا، وتسمية لله ﷻ بما سمى به نفسه، فجعلوا من أسماء الله ﷻ الضار النافع المبدئ المعيد المانع الخافض المعز المذل المميت الصبور، وهو وهم منهم؟

بل حدث خلط في أذهانهم ولم يتنبهوا إلى ما أكده ابن تيمية وابن القيم في أصولهما، إذ يؤكدان في غير موضع على أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص، وأنه لا يجوز أن نسمي الله ﷻ بما لم يسم به نفسه في كتابه، أو في سنة رسوله ﷺ.

والجواب عن ذلك أنه على الرغم من كون تراث شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يعد مرجعا أساسيا لكل باحث عن منهج

---

(١) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٤.

السلف إلا أنه لابد أن يتقيد أولا بأصولهما في اعتقاد السلف، ثم إن وجد في بعض كلامهما شيئا يختلف، تلمس لهما الحجة والعذر، أولا لأنهما بشر يجوز على اجتهادهما ما يجوز على غيرهما.

ثم لأنه من المسلمات عند هذين الحبرين أن أصول العقيدة السلفية مبنية على الأدلة النقلية دون الفلسفات العقلية والمناهج الكلامية، وأن دور العقل حيال النقل هو العلم به والتعرف إليه، وليس العقل عندهما أصلا في ثبوت النقل كما ادعى كثير من المتكلمين، وهما يقرران أن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح بل يشهد له ويؤيده؛ إذ أن مصدرهما واحد فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، ومن المحال أن يرسل إليه ما يفسده.

وهناك أصول كثيرة تجدها بين أميال طويلة مما سُطِّر في تراثهما، ومن ثم لا بد أن يراعي الباحث في بحثه أصول الرجلين قبل إلزامهما بشيء يخالفها، وقد ذكرنا في أنواع الدلالات لازم القول هل هو حجة أو قول؟ فليراجع .

أما عن العلة التي يمكن تلمسها لذكرهما بعض الأسماء التي لا دليل عليها فيمكن القول: إن كل عالم يمر عبر حياته بمراحل علمية متعددة، فلم يولد ابن تيمية وهو يكتب منهاج السنة النبوية، ولم يولد ابن قيم الجوزية ومعه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بل كان حالهما كحال بقية أهل العلم في كل زمان ومكان، وإن كان

لهما تميز مخصوص في المواهب العلمية والقدرات الذهنية .

ومن ثم قد يُنقل عن ابن تيمية في بداية حياته بعض الأسماء التي لم تثبت في رواية الوليد نظرا لشهرتها الطويلة بين العامة، بل إن أغلب العلماء في عصرنا، وهم أساتذة في أعرق الجامعات، ما زالوا يتناقلونها وهم يظنون أنها من كلام النبي ﷺ الثابت المسند في الروايات، وأنها عقيدة مسلمة لا شية فيها، وقد صرح الكثيرون بذلك فسمعنا ورأينا منهم أمورا عجبا، لكن لا يستطيع أي باحث أن يحدد متى ذكر ابن تيمية وابن القيم في كلامهما أن الضار النافع الخافض المعز المذل من الأسماء الحسنى، هل كان ذلك في أول حياتهما أم في آخرها؟

وفضلا على ذلك أن الأصول التي قررها هذان الحبران تفيد بلا شك أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص، وهما يؤكدان في غير موضع أنه لا يجوز أن نسمي الله ﷻ بما لم يسم به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، قال ابن تيمية: (وأما تسميته سبحانه بأنه مريد وأنه متكلم؛ فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن، ولا في الأسماء الحسنى المعروفة ومعناهما حق، ولكن الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها) [(١)].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص١٩.

وقال أيضا: (وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين يعني رواية الترمذي وابن ماجة ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسرا في بعض طرق حديثه؛ ولهذا اختلف أعيانهما عنه، فروى عنه في إحدى الروايات من الأسماء بدل ما ذكر في الرواية الأخرى؛ لأن الذين جمعوها قد كانوا يذكرون هذا تارة وهذا تارة. وهذا كله مما يبين لك أنها من الموصول المدرج في الحديث عن النبي ﷺ فتعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه) [(١)].

وقال ابن القيم: (السابع أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه؛ فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه: هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟) [(٢)].

ونحن لو تتبعنا ما ذكره ابن تيمية وابن القيم في أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص، وأنه لا يجوز أن نسمي الله ﷻ بما لم يسم به نفسه، أو أن نصفه بما لم يصف به نفسه في كتابه، أو في سنة رسوله

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٣٧٩، ودقائق التفسير ٢/٤٧٣.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ١/١٧٠.

ﷺ لعجزنا عن ذلك، فتلك أصول لا يردها أو يناقش فيها إلا من لم يدرك منهج هذين الحبرين، وهي أيضا حجة عليهما قبل غيرهما .

ومن ثم لو نقل عن ابن تيمية قوله: (أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع، والضار النافع، المعز المذل، الخافض الرافع، فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه، ولا الضار عن قربنه لأن اقترانهما يدل على العموم) (١).

أو نقل عن ابن القيم رحمه الله قوله: (فإنه سبحانه له الأسماء الحسنى، فمن أسمائه الغفور الرحيم العفو الحليم الخافض الرافع المعز المذل المحيي المميت الوارث الصبور، ولا بد من ظهور آثار هذه الأسماء؛ فاقتضت حكمته سبحانه أن ينزل آدم وذريته دارا يظهر عليهم فيها أثر أسمائه) (٢).

لو نقل عنهما مثل ذلك، فإن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام: على أي دليل استندا الحبران إلى تسمية الله ﷻ بالضار النافع المعز المذل الخافض الرافع المميت إلى غير ذلك، وهي لم ترد إلا أفعالا ولا دليل على كونها من الأسماء الحسنى؟ فهل كل منهما يجوّز أن يشتق لله ﷻ اسما من كل فعل؟ وكيف يكون ذلك وقد تقدم توبيخهما لمن فعل ذلك؟

والذي أرجحه كما تقدم أنهما إما ذكرا ذلك في بداية حياتهما،

(١) مجموع الفتاوى ٨/٩٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ١/٣.

أو على اعتبار أنهما يوجهان من كان لا بد آخذا بالمشهور في رواية الوليد ينبغي عليه أن يحتاط، فيلتزم بما ذكرا إن ثبت لديه دليل على أي اسم منها، فلا يفرد الاسم عن قرينه من الأسماء المتقابلة.

وقد تتبعت الأسماء التي ذكروها في كلامهم السابق فوجدت أنه لم يثبت منها وفق ضوابط الإحصاء إلا المعطي العفو الأول الآخر الظاهر الباطن المقدم المؤخر، وهذه كلها دالة بمفردها على الكمال المطلق، ويجوز الدعاء بها، ويجوز أيضا إطلاقها في حق الله ﷻ، أو اقترانها بمقابلها أو غيره كما هو الحال في جميع الأسماء المقترنة .

أما ما ذكره ابن القيم رحمه الله في دعاء الله ﷻ بالأسماء المتقابلة حيث قال في قواعده: (السابع عشر أن أسماءه تعالى منها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونا بمقابله كالمانع والضار والمنتقم؛ فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله؛ فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو المعز المذل، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله.. وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض.. ولذلك لم تجيء مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه، فلو قلت: يا مذل، يا ضار، يا مانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له حتى تذكر مقابلها) [1] .

هذا الكلام الذي ذكره ابن القيم فيه نظر، لأنه قد يصح لو ثبتت تلك الأسماء جميعها، ولكن بعد البحث تبين أنه لم يثبت منها غير المعطي والعفو، فليس من أسمائه الضار ولا النافع ولا المنتقم على إطلاق اللفظ، بل لا بد من وضعه في قائمة الأسماء المقيدة، وليس من أسمائه المانع ولا المعز ولا المذل، ولا دليل عليها من كتاب أو سنة، فالقاعدة التي ذكرها مبنية في الأصل على أساس لم يثبت وغير مستقر، وتجدر الإشارة إلى أن أغلب أهل العلم على اختلاف طوائفهم الكلامية والذوقية يكاد يتطابق منهجهم في الأسماء الحسنى مع الطريقة السلفية؛ فهم يؤكدون على أنها توقيفية، وأنه لا يجوز تسمية الله ﷻ إلا بما ثبت في الأدلة النقلية .

والقصد أن المسلم لاسيما إن كان داعيا، أو فقيها مفتيا ينبغي أن يكون واثقا في عقيدته، وعلى بصيرة في دعوته ومنهجيته، متمسكا بأصول السلف ومنهجهم، ولا يخيفه شهرة فلان، أو ظهوره المتكرر في وسائل الإعلام، أو منصبه العلمي أيا كان، فكل يأخذ من كلامه ويرد إلا نبينا المعصوم ﷺ، ومن ثم إذا ثبت الاسم بدليل الكتاب وصحيح السنة لا يسع أي مسلم صادق رده، أو عدم الإيمان به .

• موقف المسلم من الأسماء المشهورة التي لم تثبت .

موقف المسلم من الأسماء المشهورة التي لم تثبت ولا دليل عليها من كتاب أو سنة، هو موقفه الذي أمر الله ﷻ به، فالمسلم يقبل ما ورد عن

الله ﷻ في أسمائه وقام عليه الدليل ويؤمن بها، ويرد ما لم يرد في كتاب الله ﷻ أو في سنة رسوله ﷺ.

وتلك عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يسمون الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو فيما صح عن رسوله ﷺ لا يتجاوز في ذلك القرآن والحديث، وكل مسلم يلزمه أن يصدق الله ﷻ في خبره على شرط العلم واليقين، وأن يطيعه في أمره على شرط الإخلاص المحبة والقبول والانقياد .

أما إلزامنا برأي الوليد بن مسلم، أو عبد الملك الصنعاني، أو عبد العزيز بن الحصين، أو غيرهم ممن سمى الله ﷻ بأسماء لا دليل عليها في كالخافض المعز المذل العدل الجليل الباعث المحصي المبديء المعيد المميت الواجد الماجد المقسط المغني المانع الضار النافع الباقي الرشيد الصبور، وغير ذلك من الأسماء التي لم تثبت، فهذا ليس بلازم ولا نعتقد أن هذه من الأسماء الصحيحة التي نسمى الله ﷻ بها، مهما كانت شهرتها ومهما طال إنشاد الناس لها على مر السنين .

ونعذر من سبق وسمى الله ﷻ بها ظنا منه أنها من كلام النبي ﷺ، ونوقر علماءنا من السلف والخلف الذين هم ورثة الأنبياء، ولا نظن أبدا أن حدا منهم يجيز لنفسه تسمية الله ﷻ بما لم يسم به نفسه في كتابه أو فيما صح عن رسوله ﷻ، أو أن أحدا منهم يتجاوز في ذلك القرآن والحديث، فهم الذين جاهدوا المخالفين المبتدعين وذموا بدعتهم لأنهم

نفوا دلالة أسماء الله ﷻ على أوصافه، فكيف نعتقد في أهل السبق والفضل أنهم تمسكوا باسم لا دليل عليه، وردوا أسماء الله ﷻ التي ثبتت بنص القرآن وصحيح السنة؟

- **هل أسماء الله الحسنى التوقيفية قطعية الثبوت أم ظنية؟**

بخصوص مسألة القطعي والظني في الأمور الاعتقادية، فإن المعروف عن الصحابة والتابعين أنهم كانوا يتلقون نصوص القرآن وما ثبت في السنة بالتصديق والتسليم، ويقابلونها بالخضوع والحب والتعظيم، لا يفرقون فيها بين متواتر وآحاد، بل جميع ما صح وثبت عن رسول الله ﷺ وحي من الله ﷻ إلى سائر العباد، لا بد لهم أن يصدقوا خبره بشرط اليقين، ولا بد من تنفيذ أمره بكمال الانقياد.

ولو قلنا كما قال البعض بأن أحاديث الآحاد لا تدل على اليقين في أمور الاعتقاد، فيلزمهم رد كل ما جاء في كتب السنة إلا قليلا من متواتر الإسناد، وهذا فيه إبطال السنة كأساس متين من أسس الإسلام، وتمييع مقنع للشرائع والأحكام.

ولا يدعي أحد بأن اجتهاده في أسماء الله ﷻ أو غيرها ملزم لجميع المسلمين، وأن من لم يأخذ به فقد عصى الله رب العالمين، ولكن الملزم لكل للمسلمين الصادقين أنهم إذا علموا الأسماء المذكورة الثابتة بالدليل النصي الصحيح لزمه أن يؤمن بها، ولا يسعه ردها، وأنه يجوز له أن يسمي ولده بالتعبد لها، وكذلك يدعو الله ﷻ بها، دعاء

مسألة، ودعاء عبادة .

أما أن يصر مسلم على أن الأسماء المشهورة التي لم تثبت ولا دليل عليها هي أسماء صحيحة مقبولة يجوز تسمية الله ﷻ بها، وأنه رأى مسوغا عقليا جوز به اختراعها واشتقاقها، وكل حجته في ذلك أنه رأي بعض العلماء شرحها، أو ألف الآباء والأجداد يحفظونها، فهذا هو ما لا يصح لمسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ أن يفعله، وأن يفضل طريقة الآباء على الثابت الصحيح من الأسماء؟

ومتى كانت العادات والموروثات الثقافية العارية عن الأدلة التوقيفية مهما كان انتشارها مقدمة على النصوص القرآنية والنبوية؟ وقد قال الله ﷻ في كتابه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ الزمر:١٧/١٨.

ولم يقل: فيتبعون أسوأه، كما أن الأغرب والأعجب هو التناقض البين في موقف البعض ممن تمسك بما لم يثبت من الأسماء المشهورة، فإن كان ذا منهج سلفي حديثي أثري فهو أعلم من غيره برواية الترمذي، وأن الأسماء مدرجة فيها كاجتهاد شخصي من قبل الوليد بن مسلم أو عن بعض شيوخه من أهل الحديث، وكذلك يعلم أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص، وأنه لا يجوز لأي شخص أن يسمى الله ﷻ إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله ﷺ فيما صح عنه، وإلا صار ذلك إلحادا وميلا بأسماء الله ﷻ عما يجب فيها، من إحصائها،

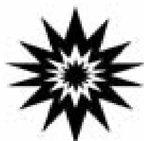
ثم حفظها، ثم دعائه بها كما أمرنا الله ﷻ، ثم حذرنا فقال:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ الأعراف: ١٨٠. فأي دليل تمسك به صاحب المنهج السلفي الأثري الحديثي واعتمد عليه في تسمية الله ﷻ بالخافض المعز المذل العدل الجليل الباعث المحصي المبديء المعيد المميت الواجد الماجد المقسط المغني المانع الضار النافع الباقي الرشيد الصبور؟ أليس الأولى بالمسلم لاسيما إن كان عالما أن ينصر ما جاء من الأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة ؟

أما إن كان المتمسك بالأسماء المشهورة التي لم تثبت ذا منهج عقلي، أو أشعري كلامي فالتناقض في حقه أشد وأعجب، لأن عقيدة المتكلمين في باب الصفات مبنية على أنهم لا يثبتون من أوصاف الله ﷻ بالعقل إلا شيئا قليلا، وما ورد منها في النقل حتى لو كان قرآنا وظنوا أنه مخالف للعقل أولوه تأويلا، ولا يتردد بعضهم في نفي ظاهره وتعطيله عن مدلوله تعطيلا، فهم لا يصفون الله إلا بدليل نصي قطعي الثبوت، وبشرط ألا يوهم تشبيها وتمثيلا، على حد قولهم أو ظنهم المعلول في هذا الباب.

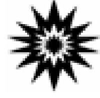
أما عقيدتهم في أسماء الله فهم يثبتونها كما أثبتها الله لنفسه، وكما سماه بها رسوله ﷺ، ويتفقون جميعا على أن الأسماء الحسنى توقيفية على النص، شأنهم في ذلك شأن علماء السلف ومن انتسب لأهل السنة

والجماعة، وحيث أنه لم يثبت حديث صحيح عن النبي ﷺ سرد فيه الأسماء الحسنى في نص واحد، وأن المشهور على ألسنة الناس إنما هي أسماء مدرجة مضطربة من جمع الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه من أهل الحديث أو اجتهاده الشخصي، فهل يعقل أن نتمسك في باب الأسماء الحسنى الذي هو أشرف أبواب العقيدة على الإطلاق بقول الوليد بن مسلم أو غيره، ونقدمه على اسم من الأسماء ثبت بدليل قطعي ورد في القرآن، في حين أن الدليل النصي القرآني أو النبوي مهما كان قطعيا في ثبوته يأتي عندهم في ترتيبه بعد تقديم القواطع العقلية؟ فأي تناقض مع النفس يجيزه هؤلاء في موقفهم من أسماء ربهم؟



المطلب الخامس والعشرون

الإيمان بالأسماء التوقيفية ضرورة حتمية
وليس مسألة خلافية



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد دارت محاور المطلب السابق حول الفرق بين الاسم والوصف والفعل عند اللغويين، وبيان الفرق بين الاسم في حق الله ﷻ وفي حق العباد، كما بينا الفرق بين الفعل ووصف الذات ووصف الفعل.

وعلمنا أن التوقيف على الاسم توقيف على الوصف والفعل، وأن التوقيف على الوصف والفعل ليس توقيفا على الاسم، وأن القائلين بالاشتقاق من العلماء المتبعين لنهج السلف لا يقصدون إلا الجانب اللغوي وإثبات الصفات والرد على المبتدعة، وأن دورنا تجاه أسماء الله ﷻ الإحصاء، ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء.

وبينا حقيقة ما ورد من الأسماء المشتهرة غير التوقيفية في كلام بعض العلماء، وموقف المسلم من الأسماء المشتهرة التي لم تثبت، وهل أسماء الله الحسنى التوقيفية قطعية الثبوت أم ظنية؟

وفي هذا المطلب بإذن الله ﷻ نتناول قضية الإيمان بالأسماء التوقيفية،

وأنها ضرورة حتمية وليست مسألة خلافية، وما وجه الرد على من يزعم أن اشتقاق الأسماء من الصفات والأفعال بشرط الكمال دون ورود النص التوقيفي هو المذهب الحق، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **تناقض من ادعى جواز اشتقاق الأسماء بشرط الكمال.**

حاول بعضهم بكل سبيل أن يصحح الأسماء المشتهرة التي لم يرد بها نص توقيفي، فسلك مسلك المعتزلة في العبث والابتداع العقلي، وزعم في تعريفه لأسماء الله الحسنى أنه لا يشترط فيه النص التوقيفي، وادعى أن أسماء الله الحسنى هي كل ما أذن به الشرع قرآنا وسنة، اسما أو وصفا أو اشتقاقا، وكل ما جاز أن ينسب إلى الله تعالى عقلا في إطار الكمال والجلال والتعظيم .

ومنهم من زعم أنه لا بد في اشتقاق الأسماء أن يرد الوصف أو الفعل في القرآن والسنة، وبشرط دلالته على الكمال، وألا يوهم نقصا في حق الله تعالى.

وهؤلاء يلقون بعقولهم أحكاما جزافا، ويضعون قواعد لا تميز اسما، ولا وصفا، ولا موصوفا، وتدل على بطلان منهجهم في تمييز أسماء الله الحسنى، بل يميِّعون قواعد الاعتقاد التي يقوم عليها المنهج السلفي، فعامة الناس إذا طالبوهم باستخراج الأسماء التي لم يرد بها توقيف نصي، والتي أجازوا لهم اشتقاقها من الأفعال الواردة في الدليل النقلي، فإن هؤلاء أنفسهم يعجزون عن استخراجها وتمييزها بالنظر

العقلي، ويظهر للعيان أنهم ما وضعوا تلك القواعد إلا لتبرير الأسماء المشتهرة التي لا دليل عليها في أي نص توقيفي.

والسؤال الموجه لأمثال هؤلاء يدور حول اشتقاق الأسماء من أفعال الله التوقيفية في القرآن فقط، فالله تعالى نسب الفعل إلى نفسه فقال: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ النساء:١٢٧. فهل اشتقاق اسم المفتي الذي يؤخذ وفق قواعدهم من الفعل "يفتي" فيه نقص أم كمال؟ فإن كان نقصا فتسميته الله ﷻ بالضار المذل أوْلى بالنقص من جهة العقل؟ وإن كان اسم المفتي يعد كمالا، فما هي الأسماء التي تدل على الكمال اشتقاقا من بقية أفعال الله ﷻ في القرآن الكريم، وبيانها كالتالي :

١. الآبي من قوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ التوبة:٣٢.

٢. الآخذ إن جاز أخذه من قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾آل عمران:١١.

٣. الآذن من قوله: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ يونس:٥٩.

٤. الآمر من قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ النحل:٩٠.

٥. الباثث من قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ البقرة:١٦٤.

٦. البادئ من قوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت:٢٠.

٧. الباسط من قوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ الرعد:٢٦.

٨. الباطش من قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ﴾ الدخان:١٦.

٩. الباعث من قوله: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ المجادلة:٦.

١٠. الباني من قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ الذاريات:٤٧.

١١. التائب من قوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ التوبة:١١٧.

١٢. التارك من قوله: ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ ﴾ البقرة:١٧.

١٣. التالي من قوله: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ آل عمران:٥٨.

١٤. الجائي من قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ ﴾ الفجر:٢٢.

١٥. الجاعل من قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ البقرة:٢٢.

١٦. الجامع من قوله: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ المائدة:١٠٩.

١٧. الحائل من قوله: ﴿ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ الأنفال:٢٤.

١٨. الحاشر من قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ الأنعام:٢٢.

١٩. الحافف من قوله: ﴿ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ الكهف:٣٢.

٢٠. الحافظ من قوله: ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ النساء:٣٤.

٢١. الحاكم من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ ﴾ المائدة:١.

٢٢. الحامل من قوله: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ ﴾ القمر:١٣.

٢٣. الخاتم من قوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ البقرة:٧.

٢٤. الخاذل من قوله: ﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ ﴾ آل عمران:١٦٠.

٢٥. الخاسف من قوله: ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ ﴾ الإسراء:٦٨.

٢٦. الخالق من قوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأنعام:١٠١.

٢٧. الداحي من قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ النازعات: ٣٠.

٢٨. الداعي من قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ البقرة: ٢٢١.

٢٩. الذاريء من قوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ﴾ الملك: ٢٤.

٣٠. الذاكر من قوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ البقرة: ١٥٢.

٣١. الذاهب من قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ البقرة: ١٧.

٣٢. الرائي من قوله: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ التوبة: ٩٤.

٣٣. الرابط من قوله: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ الكهف: ١٤.

٣٤. الراجع من قوله: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ التوبة: ٨٣.

٣٥. الراحم من قوله: ﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ﴾ المؤمنون: ٧٥.

٣٦. الرادد من قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥﴾ التين: ٥.

٣٧. الرازق من قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ البقرة: ٣.

٣٨. الراضي من قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ المائدة: ٣.

٣٩. الرافع من قوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ الأنعام: ٨٣.

٤٠. الرامي من قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الأنفال: ١٧.

٤١. الزائد من قوله: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ البقرة: ٢٤٧.

٤٢. السائق من قوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ مريم: ٨٦.

٤٣. السائل من قوله: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ الأعراف: ٦.

٤٤. الساخط من قوله: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ المائدة: ٨٠.

٤٥. السافع من قوله: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ العلق:١٥.

٤٦. المسقي من قوله: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ۝٢٧﴾ المرسلات:٢٧.

٤٧. السالخ من قوله: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ يس:٣٧.

٤٨. السالك من قوله: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ الزمر:٢١.

٤٩. السامع من قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ طه:٤٦.

٥٠. الشادد من قوله: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الإنسان:٢٨.

٥١. الشارح من قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ الشرح:١.

٥٢. الشارع من قوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ الشورى:١٣.

٥٣. الشافي من قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ الشعراء:٨٠.

٥٤. الشاقق من قوله: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦﴾ عبس:٢٦.

٥٥. الشاهد من قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ آل عمران:١٨.

٥٦. الصابب من قوله: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥﴾ عبس:٢٥.

٥٧. الصادق من قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ الزمر:٧٤.

٥٨. الصارف من قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ آل عمران:١٥٢.

٥٩. الضارب من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ إبراهيم:٢٤.

٦٠. الطابع من قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ النساء:١٥٥.

٦١. الطاحي من قوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾ الشمس:٦.

٦٢. الطالب من قوله: ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ الأعراف:٥٤.

٦٣. الطامس من قوله: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ يس:٦٦.

٦٤. الطاوي من قوله: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾ الأنبياء:١٠٤.

٦٥. الظاهر من قوله: ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ التوبة:٤٨.

٦٦. العائد من قوله: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ الإسراء:٨.

٦٧. العادد من قوله: ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ مريم:٩٤.

٦٨. العادل من قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ الانفطار:٧.

٦٩. العارض من قوله: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ البقرة:٣١.

٧٠. العاصم من قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ المائدة:٦٧.

٧١. العفو من قوله: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ البقرة:١٨٧.

٧٢. العالم من قوله: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ البقرة:٢٣٥.

٧٣. العامل من قوله: ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا ﴾ يس:٧١.

٧٤. العاهد من قوله: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ البقرة:١٢٥.

٧٥. الغاضب من قوله: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ النساء:٩٣.

٧٦. الغافر من قوله: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ النساء:٤٨.

٧٧. الفاتح من قوله: ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة:٧٦.

٧٨. الفاتق من قوله: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ الأنبياء:٣٠.

٧٩. الفاتن من قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ الأنعام:٥٣.

٨٠. الفادي من قوله: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الصافات:١٠٧.

٨١. الفارش من قوله: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا ﴾ الذاريات:٤٨.

٨٢. الفارض من قوله: ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ التحريم:٢.

٨٣. الفارغ من قوله: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾ الرحمن:٣١.

٨٤. الفارق من قوله: ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ البقرة:٥٠.

٨٥. الفاصل من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ الحج:١٧.

٨٦. الفاطر من قوله: ﴿ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ الإسراء:٥١.

٨٧. الفاعل من قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ البقرة:٢٥٣.

٨٨. القائل من قوله: ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ﴾ البقرة:٣٣.

٨٩. القابض من قوله: ﴿ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴾ الفرقان:٤٦.

٩٠. القابل من قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ ﴾ الشورى:٢٥.

٩١. القاتل من قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ ﴾ الأنفال:١٧.

٩٢. القادر من قوله: ﴿ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ ﴾ الفجر:١٦.

٩٣. القادِم من قوله: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ ﴾ الفرقان:٢٣.

٩٤. القاذف من قوله: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾ الأحزاب:٢٦.

٩٥. القاريء من قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة:١٨.

٩٦. القاسم من قوله: ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ ﴾ الزخرف:٣٢.

٩٧. القاصص من قوله: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ يوسف:٣.

٩٨. القاصم من قوله: ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ ﴾ الأنبياء:١١.

٩٩. القاضي من قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ غافر: ٢٠.

١٠٠. القاطع من قوله: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الحاقة: ٤٦.

١٠١. الكائد من قوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ الطارق: ١٦.

١٠٢. الكابت من قوله: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ آل عمران: ١٢٧.

١٠٣. الكاتب من قوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ آل عمران: ١٨١.

١٠٤. الكاره من قوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ﴾ التوبة: ٤٦.

١٠٥. الكاسي من قوله: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ البقرة: ٢٥٩.

١٠٦. الكاشف من قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ﴾ الأعراف: ١٣٥.

١٠٧. الكافي من قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ الحجر: ٩٥.

١٠٨. اللاعن من قوله: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ﴾ النساء: ٤٧.

١٠٩. المؤاخذ من قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ النحل: ٦١.

١١٠. المؤجل من قوله: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ الأنعام: ١٢٨.

١١١. المؤخر من قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ المنافقون: ١١.

١١٢. المؤلف من قوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الأنفال: ٦٣.

١١٣. المؤوي من قوله: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ المؤمنون: ٥٠.

١١٤. المؤيد من قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ البقرة: ٨٧.

١١٥. الماحق من قوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ البقرة: ٢٧٦.

١١٦. الماحي من قوله: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ الرعد: ٣٩.

١١٧. المادد من قوله: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا ﴾ الحجر:١٩.

١١٨. المارج من قوله: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ ﴾ الفرقان:٥٣.

١١٩. الماسس من قوله: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ ﴾ الأنعام:١٧.

١٢٠. الماسخ من قوله: ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ ﴾ يس:٦٧.

١٢١. الماسك من قوله: ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ ﴾ الحج:٦٥.

١٢٢. الماكر من قوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ آل عمران:٥٤.

١٢٣. المانن من قوله: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ آل عمران:١٦٤.

١٢٤. المُبَارِك من قوله: ﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ ﴾ فصلت:١٠.

١٢٥. المبتلي من قوله: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ ﴾ البقرة:١٢٤.

١٢٦. المبَدِّل من قوله: ﴿ بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا ﴾ النساء:٥٦.

١٢٧. المبْدِل من قوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ ﴾ القلم:٣٢.

١٢٨. المبديء من قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ ﴾ البروج:١٣.

١٢٩. المبشر من قوله: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ﴾ مريم:٧.

١٣٠. المبطل من قوله: ﴿ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ الأنفال:٨.

١٣١. المبقي من قوله: ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١ ﴾ النجم:٥١.

١٣٢. المبكي من قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣ ﴾ النجم:٤٣.

١٣٣. المبلي من قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم ﴾ الأعراف:١٦٣.

١٣٤. المبوِّئ من قوله: ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ الحج:٢٦.

١٣٥. المبيِّن من قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ﴾ البقرة:١١٨.

١٣٦. المتأذن من قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ إبراهيم:٧.

١٣٧. المتبِّر من قوله: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ الفرقان:٣٩.

١٣٨. المتبِع من قوله: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ القصص:٤٢.

١٣٩. المتجاوز من قوله: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ الأحقاف:١٦.

١٤٠. المتجلي من قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ الأعراف:١٤٣.

١٤١. المتخذ من قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ النساء:١٢٥.

١٤٢. المتقبل من قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة:٢٧.

١٤٣. المتكلم من قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ النساء:١٦٤.

١٤٤. المتوفي من قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الزمر:٤٢.

١٤٥. المتولي من قوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ الأعراف:١٩٦.

١٤٦. المثبت من قوله: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ البقرة:٢٥٠.

١٤٧. المثبط من قوله: ﴿فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟﴾ التوبة:٤٦.

١٤٨. المثيب من قوله: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾ المائدة:٨٥.

١٤٩. المجازي من قوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الإنسان:١٢.

١٥٠. المجاوز من قوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ الأعراف:١٣٨.

١٥١. المجتبي من قوله: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ القلم:٥٠.

١٥٢. المجنِب من قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾ إبراهيم:٣٥.

١٥٣. المجيب من قوله: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ ﴾ البقرة:١٨٦.

١٥٤. المجير من قوله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ المؤمنون:٨٨.

١٥٥. المحاسب من قوله: ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ البقرة:٢٨٤.

١٥٦. المحب من قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ البقرة:٢٢٢.

١٥٧. المحبب من قوله: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ﴾ الحجرات:٧.

١٥٨. المحذر من قوله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ آل عمران:٢٨.

١٥٩. المحرِّم من قوله: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ البقرة:٢٧٥.

١٦٠. المحسِن من قوله: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ السجدة:٧.

١٦١. المحصي من قوله: ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ مريم:٩٤.

١٦٢. المحضر من قوله: ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ مريم:٦٨.

١٦٣. المحفي من قوله: ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾ محمد:٣٧.

١٦٤. المحِق من قوله: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ ﴾ الأنفال:٨.

١٦٥. المحِل من قوله: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ البقرة:٢٧٥.

١٦٦. المحْلِل من قوله: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ طه:٢٧.

١٦٧. المحيط من قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ الإسراء:٦٠.

١٦٨. الحائف من قوله: ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ النور:٥٠.

١٦٩. المحيي من قوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ البقرة:٢٨.

١٧٠. المختار من قوله: ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ الدخان:٣٢.

١٧١. المختص من قوله: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ آل عمران:٧٤.

١٧٢. المخرج من قوله: ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ إبراهيم:٣٢.

١٧٣. المخزي من قوله: ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة:١٤.

١٧٤. المخَفَّف من قوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ النساء:٢٨.

١٧٥. المخلِص من قوله: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ ص:٤٦.

١٧٦. المخلِف من قوله: ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ سبأ:٣٩.

١٧٧. المخوِّف من قوله: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا ﴾ الإسراء:٦٠.

١٧٨. المخوِّل من قوله: ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾ الأنعام:٩٤.

١٧٩. المدافِع من قوله: ﴿ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الحج:٣٨.

١٨٠. المداول من قوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا ﴾ آل عمران:١٤٠.

١٨١. المدبر من قوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ السجدة:٥.

١٨٢. المدْخِل من قوله: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ ﴾ آل عمران:١٩٢.

١٨٣. المدرِك من قوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ الأنعام:١٠٣.

١٨٤. المدمدم من قوله: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ الشمس:١٤.

١٨٥. المدمر من قوله: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ ﴾ الأعراف:١٣٧.

١٨٦. المذلّ من قوله: ﴿ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ آل عمران:٢٦.

١٨٧. المذلِل من قوله: ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ ﴾ يس:٧٢.

١٨٨. المذهِب من قوله: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ النساء:١٣٣.

١٨٩. المذيغ من قوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ الصف:٥.
١٩٠. المذيق من قوله: ﴿ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ ﴾ الإسراء:٧٥.
١٩١. المرْبي من قوله: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ البقرة:٢٧٦.
١٩٢. المرتضِي من قوله: ﴿ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ ﴾ النور:٥٥.
١٩٣. المرتل من قوله: ﴿ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ الفرقان:٣٢.
١٩٤. المرجِع من قوله: ﴿ فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا ﴾ السجدة:١٢.
١٩٥. المرسِل من قوله: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ البقرة:١١٩.
١٩٦. المرسي من قوله: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ ﴾ النازعات:٣٢.
١٩٧. المركِّب من قوله: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ الانفطار:٨.
١٩٨. المركِس من قوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ النساء:٨٨.
١٩٩. المرهق من قوله: ﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ ﴾ المدثر:١٧.
٢٠٠. المرِي من قوله: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ البقرة:١٢٨.
٢٠١. المريد من قوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ ﴾ البقرة:١٨٥.
٢٠٢. المزجي من قوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ﴾ النور:٤٣.
٢٠٣. المزكي من قوله: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ النساء:٤٩.
٢٠٤. المزلف من قوله: ﴿ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ ﴾ الشعراء:٦٤.
٢٠٥. المزوج من قوله: ﴿ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا ﴾ الشورى:٥٠.
٢٠٦. المزيغ من قوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ الصف:٥.

٢٠٧. المزيِّل من قوله: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ يونس:٢٨.

٢٠٨. المزيِّن من قوله: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات:٧.

٢٠٩. المسارع من قوله: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ المؤمنون:٥٦.

٢١٠. المسبغ من قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ لقمان:٢٠ .

٢١١. المستبدل من قوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ التوبة:٣٩.

٢١٢. المستجيب من قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ آل عمران:١٩٥.

٢١٣. المستخلف من قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ النور:٥٥.

٢١٤. المستدرج لقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:١٨٢.

٢١٥. المستطيع من قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ المائدة:١١٢.

٢١٦. المستعمر من قوله: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هود:٦١.

٢١٧. المستنسخ من قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية:٢٩.

٢١٨. المستهزئ من قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ البقرة:١٥.

٢١٩. المستوي من قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الأعراف:٥٤.

٢٢٠. المسحِت من قوله: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ طه:٦١.

٢٢١. المسخر من قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ الرعد:٢.

٢٢٢. المسقط من قوله: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ سبأ:٩.

٢٢٣. المسكن من قوله: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ إبراهيم:١٤.

٢٢٤. المسلط من قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ النساء:٩٠.

٢٢٥. المسَلم من قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾الأنف ال:٤٣.

٢٢٦. المسْمِع من قوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾الأنفال:٢٣.

٢٢٧. المسوي من قوله: ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾البقرة:٢٩.

٢٢٨. المسير من قوله: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ الكهف:٤٧.

٢٢٩. المسيل من قوله: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾سبأ:١٢.

٢٣٠. المشتري من قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ ﴾ التوبة:١١١.

٢٣١. المشرِك من قوله: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ طه:٣٢.

٢٣٢. الشائي من قوله: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ الانفطار:٨.

٢٣٣. المصرف من قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ الإسراء:٤١.

٢٣٤. المصطفي من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ البقرة:١٣٢.

٢٣٥. المصطنع من قوله: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ طه:٤١.

٢٣٦. المصْفِي من قوله: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ الإسراء:٤٠.

٢٣٧. المصلح من قوله: ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ محمد:٢.

٢٣٨. المصْلِي من قوله: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المدثر:٢٦.

٢٣٩. المصَلِّي من قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾ الأحزاب:٤٣.

٢٤٠. المصِم من قوله: ﴿ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ محمد:٢٣.

٢٤١. المصور من قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ ﴾ آل عمران:٦.

٢٤٢. المصيب من قوله: ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ الأعراف:١٥٦.

٢٤٣. المضاعف من قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ النساء: ٤٠.

٢٤٤. المضحك من قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ النجم: ٤٣.

٢٤٥. المضطر من قوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ البقرة: ١٢٦.

٢٤٦. المضلل من قوله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ الأنعام: ٣٩.

٢٤٧. المطعم من قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ قريش: ٤.

٢٤٨. المطهر من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ آل عمران: ٤٢.

٢٤٩. المظفر من قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الفتح: ٢٤.

٢٥٠. المظلّل من قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ البقرة: ٥٧.

٢٥١. المظهر من قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ الصف: ٩.

٢٥٢. المعثر من قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الكهف: ٢١.

٢٥٣. المعجّل من قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ الإسراء: ١٨.

٢٥٤. المعد من قوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ النساء: ٩٣.

٢٥٥. المعذب من قوله: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ البقرة: ٢٨٤.

٢٥٦. المعرّف من قوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ محمد: ٦.

٢٥٧. المعز من قوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ ال عمران: ٢٦.

٢٥٨. المعطي من قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ طه: ٥٠.

٢٥٩. المعْقِب من قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة: ٧٧.

٢٦٠. المعلّم من قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ البقرة: ٢٨٢.

٢٦١. المعمّر من قوله: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ يس:٦٨.

٢٦٢. المعْمِي من قوله: ﴿ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ محمد:٢٣.

٢٦٣. المعيد من قوله: ﴿ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ الروم:١١.

٢٦٤. المغرق من قوله: ﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ يونس:٧٣.

٢٦٥. المغري من قوله: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ ﴾ المائدة:١٤.

٢٦٦. المغشي من قوله: ﴿ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ الأعراف:٥٤.

٢٦٧. المغطش من قوله: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ النازعات:٢٩.

٢٦٨. المغْفِل من قوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ﴾ الكهف:٢٨.

٢٦٩. المغني من قوله: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ ﴾ التوبة:٢٨.

٢٧٠. المغوي من قوله: ﴿ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ هود:٣٤.

٢٧١. المفتي من قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ النساء:١٢٧.

٢٧٢. المفجر من قوله: ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ القمر:١٢.

٢٧٣. المفرغ من قوله: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ البقرة:٢٥٠.

٢٧٤. المفصل من قوله: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ الإسراء:١٢.

٢٧٥. المفضل من قوله: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ ﴾ البقرة:٢٥٣.

٢٧٦. المفهم من قوله: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ الأنبياء:٧٩.

٢٧٧. المفيئ من قوله: ﴿ مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ الحشر:٧.

٢٧٨. المقاتل من قوله: ﴿ قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ التوبة:٣٠.

٢٧٩. المقبر من قوله: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ۝٢١ ﴾ عبس:٢١.

٢٨٠. المقدر من قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ المزمل:٢٠.

٢٨١. المقرب من قوله: ﴿ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢ ﴾ مريم:٥٢.

٢٨٢. المقريء من قوله: ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾ الأعلى:٦.

٢٨٣. المقسم من قوله: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ الواقعة:٧٥.

٢٨٤. المقطع من قوله: ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا ﴾ الأعراف:١٦٠.

٢٨٥. المقفي من قوله: ﴿ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ البقرة:٨٧.

٢٨٦. المقلب من قوله: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ الكهف:١٨.

٢٨٧. المقلل من قوله: ﴿ وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ ﴾ الأنفال:٤٤.

٢٨٨. المقني من قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ۝٤٨ ﴾ النجم:٤٨.

٢٨٩. المقيِّض من قوله: ﴿ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ ﴾ فصلت:٢٥.

٢٩٠. المكرم من قوله: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ الإسراء:٧٠.

٢٩١. المكرِّه من قوله: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ ﴾ الحجرات:٧.

٢٩٢. المكفِّر من قوله: ﴿ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ﴾ محمد:٢.

٢٩٣. المكْمِل من قوله: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ المائدة:٣.

٢٩٤. اللابِس من قوله: ﴿ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا ﴾ الأنعام:٦٥.

٢٩٥. الملْحِق من قوله: ﴿ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ الطور:٢١.

٢٩٦. الملزم من قوله: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ الإسراء:١٣.

٢٩٧. الملْقِي من قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ طه:٣٩.

٢٩٨. الملقى من قوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ الإنسان:١١.

٢٩٩. الملهم من قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ الشمس:٨.

٣٠٠. الممتحن من قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾الحجرات:٣.

٣٠١. الممحِّص لقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ آل عمران:١٤١.

٣٠٢. الممْدِد لقوله: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ آل عمران:١٢٤.

٣٠٣. الممَزِّق من قوله: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ سبأ:١٩.

٣٠٤. الممسِك من قوله: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ الملك:١٩.

٣٠٥. الممطر من قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ الأعراف:٨٤.

٣٠٦. الممْكِن من قوله: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ الأنفال:٧١.

٣٠٧. الممَكِّن من قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ يوسف:٢١.

٣٠٨. المملْي من قوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ آل عمران:١٧٨.

٣٠٩. الممَتِّع من قوله: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ يونس:٩٨.

٣١٠. الممَهِّد من قوله: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ المدثر:١٤.

٣١١. المميت من قوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾ عبس:٢١.

٣١٢. المائز من قوله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾آل عمران:١٧٩.

٣١٣. المنادي من قوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ الأعراف:٢٢.

٣١٤. المنبئ من قوله: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ التحريم:٣.

٣١٥. المنبت من قوله: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ الحجر:١٩.

٣١٦. المنتقم من قوله: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾ الأعراف:١٣٦.

٣١٧. المنجِّي من قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يونس:٩٢.

٣١٨. المنزِّل من قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ البقرة:٥٧.

٣١٩. المنْسِي من قوله: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ البقرة:١٠٦.

٣٢٠. المنْشِئ من قوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ العنكبوت:٢٠.

٣٢١. المنشِر من قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ عبس:٢٢.

٣٢٢. المنشز من قوله: ﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ البقرة:٢٥٩.

٣٢٣. المُنطِق من قوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ فصلت:٢١.

٣٢٤. المنْظِر من قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ ص:٧٩.

٣٢٥. المنعم من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ الفاتحة:٧.

٣٢٦. المنفق من قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ المائدة:٦٤.

٣٢٧. المنقذ من قوله: ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾ آل عمران:١٠٣.

٣٢٨. المنقص من قوله: ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا﴾ الرعد:٤١.

٣٢٩. المنكّس من قوله: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ يس:٦٨.

٣٣٠. المهلك من قوله: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾ المرسلات:١٦.

٣٣١. المهيئ من قوله: ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ الكهف:١٠.

٣٣٢. المواعد من قوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ الأعراف:١٤٢.

٣٣٣. الموبق من قوله: ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾ الشورى:٣٤.
٣٣٤. الموحي من قوله: ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ آل عمران:٤٤.
٣٣٥. المورث من قوله: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ ﴾ الأعراف:١٣٧.
٣٣٦. الموزع من قوله: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ النمل:١٩.
٣٣٧. الموصل من قوله: ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ القصص:٥١.
٣٣٨. الموصي من قوله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ النساء:١١.
٣٣٩. الموفق من قوله: ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ النساء:٣٥.
٣٤٠. الموَفي من قوله: ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ النور:٣٩.
٣٤١. الموَكِّل من قوله: ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ﴾ الأنعام:٨٩.
٣٤٢. المولج من قوله: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ آل عمران:٢٧.
٣٤٣. الموَلِّي من قوله: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ البقرة:١٤٤.
٣٤٤. الميسر من قوله: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ الأعلى:٨.
٣٤٥. النابذ من قوله: ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ الصافات:١٤٥.
٣٤٦. الناتق من قوله: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ الأعراف:١٧١.
٣٤٧. النازع من قوله: ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ آل عمران:٢٦.
٣٤٨. الناسخ من قوله: ﴿ ۞ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا ﴾ البقرة:١٠٦.
٣٤٩. الناسف من قوله: ﴿ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ طه:١٠٥.
٣٥٠. الناسي من قوله: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ التوبة:٦٧.

٣٥١. الناشر من قوله: ﴿ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ الكهف:١٦.

٣٥٢. الناصر من قوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ غافر:٥١.

٣٥٣. الناظر من قوله: ﴿ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ الأعراف:١٢٩.

٣٥٤. النافخ من قوله: ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ الأنبياء:٩١.

٣٥٥. الناهي من قوله: ﴿ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ النحل:٩٠.

٣٥٦. الهادي من قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي ﴾ البقرة:٢٧٢.

٣٥٧. الواجد من قوله: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ ﴾ الضحى:٦.

٣٥٨. الواذر من قوله: ﴿ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ الأنعام:١١٠.

٣٥٩. الوارث من قوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا ﴾ مريم:٤٠.

٣٦٠. الواسع من قوله: ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ﴾ الأعراف:٨٩.

٣٦١. الواسم من قوله: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦ ﴾ القلم:١٦.

٣٦٢. الواضع من قوله: ﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ﴾ الشرح:٢.

٣٦٣. الواعد من قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ البقرة:٢٦٨.

٣٦٤. الواعظ من قوله: ﴿ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل:٩٠.

٣٦٥. الواقي من قوله: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ ﴾ الإنسان:١١.

٣٦٦. الواهب من قوله: ﴿ وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً ﴾ آل عمران:٨.

تلك هي الأسماء التي يمكن أخذها اشتقاقا من أفعال الله الواردة في القرآن، والتي لا يستطيع أحد ممن يجوزون الاشتقاق بشرط

الكمال أن يقطع أو يقرر إن كانت تلك الأسماء تدل على النقص أو تدل على الكمال.

ولا نحسب عاقلا مؤهلا يجيز لعامة الناس أن يشتقوا أسماء الله من الأفعال بشرط الكمال، ثم يعجز هو عن تمييزها وانتقائها، ولا يقوم بتحديدها، وهو عندهم المرجع الأعلى في إصدار القواعد والفتوى. وبهذا علم قطعا بطلان زعمهم بأن عقيدة أهل السنة والجماعة دون نكير هي اشتقاق أسماء الله من الأفعال بشرط الكمال.

ونحن نعتقد أن تلك الأسماء لا يجوز تسمية الله ﷻ بها إلا ما ورد به النص التوقيفي بصيغة الاسم اشتقاقا منها، بحث يتوفر فيه العلمية والدلالة على الوصفية معا، سواء كانت مطلقة أو مقيدة، وعلى القواعد التي تقدمت في أسماء الله ﷻ.

• القول في مسألة الاسم والمسمى وتوجيه كلام السلف.

نظرا لتعدد الآراء الفلسفية والمذاهب الكلامية في هذه القضية واختلاف المنهج والنية بين نظرة المعتزلة والمتكلمين من جهة وأتباع السلف الصالح من جهة أخرى؛ فإن هذه المسألة لا بد فيها من التفصيل، ومراعاة قصد القائل ومراده بالدليل، فربما ينسب لعالم سلفي أن الاسم هو المسمى، ولا يقصد ما يقصده المعتزلي.

والقضية أيضا صحيحة عند انعكاسها، فالسلفي إذا ثبت عنه أنه

قال بأن الاسم هو المسمى؛ فإنه يعني أن أسماء الله ﷻ وأوصافه أزلية أبدية ملازمة للذات الإلهية، وليست محدثة بعد أن لم تكن كما ادعى المخالفون. ومن قال من السلف ذلك في بعض المواطن كأحمد بن حنبل، وأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم، وأبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، وغيرهم رحمهم الله تعالى، إنما قاله على اعتبار أن القرآن غير مخلوق، وأنه كلام الله ﷻ الذي تشتمل نصوصه على الأسماء والصفات حكمه حكم الذات في الأولية والأبدية [١].

والمعتزلي إذا قال بأن الاسم هو المسمى [٢]، فإنه يعني أن الأسماء هي عين الذات وأنها مجردة من الصفات، فلا يقوم بها علم ولا سمع ولا بصر ولا وصف، كقوله عليم بذاته، سميع بذاته، بصير بذاته، لا بعلم، ولا سمع، ولا بصر، ولا صفات أزلية، ولا معان قائمة بذاته، فإنه ينفي الصفات، ويدّعي إثبات الأسماء كعَلَم على الذات فقط، فمنهجه العقلي، أو ما تخمر في ذهنه من ضلال فكري هيأ له أن إثبات الصفات تشبيه وتجسيم، وأن الصفات ذوات أخرى منفصلة عن الذات، وأن إثباتها يعد مشاركة للذات في القدم الذي هو أخص وصف الله عنده، وهذا في اعتقاده شرك وهدم للتوحيد، وهو في حقيقته قول على الله بلا علم .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٩/٥.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٤٤، ١/ ٥٠ .

ومن ثم فإن المعتزلي بزعمه أن الاسم هو المسمى يريد من ذلك نفي الصفات الإلهية، وهو مع ذلك لا يقدر على تكذيب النصوص القرآنية والنبوية التي صرحت دون لبس أو غموض بذكر أسماء الله الحسنى والأمر بدعاء الله بها، فوقع المعتزلي في حيرة بين تصديق العقل وتكذيب النقل، ووجد نفسه بين أمرين متضادين ومتناقضين؛ فخرج بهذا الحل الأعوج، وزعمه الأعرج أن التوحيد يكون في أثبات الأسماء ونفي الصفات، وأن أسماء الله هي ذاته ،وهي أعلام بلا أوصاف .

ومن قال من أهل العلم كابن حزم الأندلسي وابن حجر العسقلاني أن الاسم غير المسمى يقصد أنه يُفهم من اللفظ غير ما يُفهم من مدلوله، ففرق كبير بين اسم زيد المكتوب في الورقة، وبين ذاته أو شخصيته المتحركة؛ فذاته هي الحقيقة التي يدل عليها الاسم، وهم يعلمون قطعا أن الاسم دال على المسمى [(١)] .

ومن قال من الجهمية والمعتزلة الاسم غير المسمى فإنه يعني أن أسماء الله ﷻ مخلوقة كما أن القرآن مخلوق، وليست الأسماء عنده أزلية بأزلية الذات، ولا أولية بأوليتها، وأن الله ﷻ كان ولا وجود لهذه الأسماء، ثم خلقها ثم تسمى بها، ولذلك اشتد إنكار أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره على الذين يقولون بأن أسماء الله مخلوقة، وأن

---

(١) الفصل ٥/٢٧، وانظر فتح الباري لابن حجر ٢٢٥/١١ .

الاسم غير المسمى وأن أسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق، فهؤلاء هم الذين ذمهم السلف الصالح وغلظوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله من كلامه، وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلم به، وهو المُسمِّي نفسه بما شاء فيه من الأسماء.

ويروى عن الشافعي والأصمعي وغيرهما أنهم قالوا: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، فاشهد عليه بالزندقة [1]، فهم يعنون بذلك التحذير من ضلالات الجهمية والمعتزلة، ولا يعنون من قال ذلك ممن كان حسن النية من أهل السنة، فلكل وجهة هو موليها .

والقول الذي عليه جمهور أهل العلم من المتبعين لنهج السلف الصالح هو القول الذي فهم به الصحابة ﷺ قول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ الإسراء:١١٠. وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾الأعراف:١٨٠.

وما رواه أحمد من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في دعاء الكرب: (أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِك، أَوْ عَلمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِك، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ) [2].

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/١٨٥ بتصرف.

(٢) رواه أحمد ١/٣٩١ (٣٧١٢)، وانظر السلسلة الصحيحة ١/٣٨٣ .

وقال النبي ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسما)، فالاسم للمسمى والأسماء الحسنى أسماء الله ﷻ دالة عليه، وهي في حقه أعلام وأوصاف.

قال ابن تيمية: (وأما الذين يقولون إن الاسم للمسمى كما يقوله أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول.. وإذا قيل لهم: أهو المسمى أم غيره؟ فصّلوا فقالوا: ليس هو نفس المسمى، ولكن يراد به المسمى، وإذا قيل: إنه غيره، بمعنى أنه يجب أن يكون مباينا له فهذا باطل؛ فإن المخلوق قد يتكلم بأسماء نفسه، فلا تكون بائنة عنه، فكيف بالخالق؟ وأسماؤه من كلامه، وليس كلامه بائنا عنه؟ ولكن قد يكون الاسم نفسه بائنا، مثل أن يسمى الرجل غيره باسم، أو يتكلم باسمه، فهذا الاسم نفسه ليس قائما بالمسمى، لكن المقصود به المسمى، فإن الاسم مقصوده إظهار المسمى وبيانه) [١].

والناس مفطورون على أن الأسماء وضعت للدلالة على مسمياتها، وأنه إذا ذكر الاسم انصرف الذهن في المقام الأول إلى العلمية التي تميز صاحبه، ثم يُنظر بعد ذلك إلى الوصفية .

وقد أمر الله المسلمين بذكره بأسمائه، فإذا ذكروه عرفوه وعبدوه وأحبوه، لأن أسماءه دليل عليه. قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ

(١) مجموع الفتاوى ٦/٢٠٧ .

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ النور:٣٦.

والله ﷻ أمر بتسبيح اسمه كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى، فيدعى بأسمائه، ويسبح باسمه، وتسبيح اسمه تسبيح له؛ إذ المقصود بالاسم دلالته على المسمى، كما أن دعاءه هو دلالة على دعاء المسمى.

ومن ثم فإن الذي يذكر الاسم يريد مسماه، وقد أجمع أهل العلم على أن من حلف باسم من أسماء الله ﷻ فحنث فعليه الكفارة، ولا خلاف بينهم في ذلك [1].

وينبغي أن يعلم أيضا أن دلالة الاسم على المسمى يثبت دلالته على الذات والصفات معا .

• جلال أسماء الله الحسنى مبني على الكمال والجمال.

من حكمة الله ﷻ أنه فطر عباده على أن يكون جلال المحبوب هو أعظم دواعي الحب في قلوبهم، فالقلب يحب كل جميل، ويتعلق بكل عظيم جليل، ومن هنا تعلقت القلوب بربها لعظمة أسمائه وجلالها، وكمال أوصافه وجمالها. قال تعالى في وصف أسمائه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠. وقال في مدحها وعلو شأنها: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ الرحمن: ٧٨.

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٥/٢٢، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٢١١، والعلو للعلي الغفار للذهبي ص١٦٦.

وقد أجمع القراء على قراءة ذي الجلال بالياء، وكذلك في مصاحف أهل الحجاز والعراق على اعتبار معنى المباركة ووصف المسمى بالجلال، وتفرد ابن عامر بالواو، فقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾ الرحمن:٧٨. وكذلك في مصاحف أهل الشام على اعتبار أن الجلال والمباركة تعود على الأسماء الحسنى[١].

قال ابن تيمية: (وهو في مصحف أهل الشام: تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام، وهي قراءة ابن عامر، فالاسم نفسه موصوف بالجلال والإكرام، وفي سائر المصاحف وفي قراءة الجمهور ذي الجلال؛ فيكون المسمى نفسه موصوفا بالجلال والإكرام) [٢].

والجلال هو منتهى الحسن والعظمة في الأسماء والصفات والأفعال، وله عند التحقيق ركنان:

أولهما الكمال: وهو بلوغ الوصف أعلاه.

والثاني الجمال: وهو بلوغ الحسن منتهاه.

قال ابن القيم رحمه الله: (والله سبحانه تعرف إلى عباده من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يوجب محبتهم له؛ فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال ومن قام به، والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق من كل

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة ص٦٩٤، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ، وانظر تفسير البغوي ٤/٢٧٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/٣٢٢ .

وجه الذي لا نقص فيه بوجه ما، وهو سبحانه الجميل الذي لا أجمل منه، بل لو كان جمال الخلق كلهم على رجل واحد منهم، وكانوا جميعهم بذلك الجمال لما كان لجمالهم قط نسبة إلى جمال الله؛ بل كانت النسبة أقل من نسبة سراج ضعيف إلى حذاء جرم الشمس، ولله المثل الأعلى) [١] .

ومن حكمة الله ﷻ في خلقه أنه إن أعطى أحدا من عباده كمالا ابتلاه في الجمال، وإن أعطاه جمالا ابتلاه في الكمال، وإن أعطاه كمالا وجمالا ابتلاه في دوام الحال، فربما يبلغ المرء كمالا في الغني بحيث يفوق الآخرين فيه حتى يبلغ الوصف أعلاه، لكنه مبتلى في غناه، فربما يكون جاهلا أو مريضا، أو قبيحا أو عقيما، أو مبتلى في ولده وزوجته، أو أهله وعشيرته، أو غير ذلك من أنواع البلاء .

وكذلك ربما تجد امرأة بلغت كمالا في الخلق والنسب، ولها منزلة كبيرة في الشرفِ والحسب، وعلى قدر كبير من العلم والفهم، وهي أبعد ما تكون عن الخيانة، وموصوفة بالصدق والأمانة، غير أنها قبيحة سوداء، أو دميمة بكماء، لا تسر أحدا من الناظرين، قد أعطاه الله ﷻ من جهة الكمال، وابتلاها من جهة الجمال .

والله ﷻ لو أعطى أحدا من عباده كمالا وجمالا ابتلاه في دوام

(١) روضة المحبين ١/٤١٨ .

الحال؛ فما يلبث أن يموت الخليفة العادل أو يغتال، وكل ذلك عن حكمة الله ﷻ في خلقه، ليعلموا أنه منفرد بالجلال المطلق في أسمائه وصفاته دون غير، وأن الذي اتصف بالكمال والجمال أزلا وأبدا هو رب العزة والجلال. بل كل اسم من أسمائه فيه الكمال والجمال معا كما قال ﷻ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨ ﴾ الرحمن:٧٨ .

ويذكر ابن القيم أنك إذا أضفت إلى كماله وجماله ما كان من إحسانه في ملكه، وإنعامه على خلقه؛ فإنه لا يتخلف عن حبه إلا الجاحدون، وأصحاب القلوب والخبيثة، والنفوس الخسيسة، فإن الله ﷻ فطر النفوس على محبة المحسنين إليهم، المتصفين لديهم بالكمال والجمال.

وإذا كانت هذه فطرة الله ﷻ التي فطر عليها القلوب، فمن المعلوم أن مقلب القلوب لا أحد يعظمه إحسانا وجمالا، أو إنعاما وكمالا، فلا شيء أكمل من الله، ولا شيء أجمل من الله، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعته، وكمال قدرته وبديع حكمته، وكل هذه أوصاف دلت عليها الأسماء، فلا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، له الفضل كله على خلقه وجنه وإنسه، له النعمة السابغة، والحجة البالغة، والسطوة الدامغة، ليس في أفعاله عبث، ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن المصلحة والحكمة، والفضل والرحمة، فكلامه صدق، ووعده حق، وعدله ظاهر في سائر الخلق،

إن أعطى فبفضله ورحمته، وكرمه ونعمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته فسبحان الله العظيم، رب العرش العظيم [١] .

وقد سماه نبينا ﷺ بالجميل، وبين أنه يحب الجمال، روى مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قَال: (إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَال) [٢].

سبحانه له في أسمائه جمال الذات، وجمال الصافات، وجمال الأفعال في سائر المخلوقات، لا تقوى الأبصار في هذه الدار على النظر إلى رب العزة والجلال.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف:١٤٣.

هذا الجبل مع شدة صلابته لم يقو على رؤية الله من سبحات جلاله، وكمال نوره وجماله، فأي محبوب في الوجود يسمو إلى علو شأنه وكماله؟

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ

(١) الفوائد ص١٨٣، وطريق الهجرتين ص٤٧٠، وروضة المحبين ٤١٨/١ .
(٢) مسلم في الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ (٩١) .

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحشر: ٢٤.

ومن هنا فُطِر العباد على محبة الله وذكره، ويتعرفوا على حكمته في خلقه. قال ابن القيم رحمه الله: (وهو سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته ومعرفته، وأصل عبادته محبته على آلآئه ونعمه، وعلى كماله وجلاله، وذلك أمر فطري ابتدأ الله عليه خلقه، وهي فطرته التي فطر الناس عليها، كما فطرهم على الإقرار به وكما قالت الرسل لأممهم: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إبراهيم: ١٠. فالخلق مفطورون على معرفته وتوحيده، فلو خلوا وهذه الفطرة، لنشئوا على معرفته وعبادته وحده) [١].

• اسم الله الأعظم ودلالته على الصفات.

زعم كثيرون أن الاسم الأعظم سر مكنون وغيب مصون، وأن خاصة الأولياء العارفين يعلمونه بالتلقي عن مشايخهم، وأن هذا الاسم من عَلِمَه ودعا الله ﷻ به، فلا بد أن يستجاب له، بغض النظر عن كونه كافرا أو مؤمنا، وجعلوا لذلك الاسم هالة من التقديس والرهبة في قلوب العامة، خوفا من الدعاء عليهم بالاسم الأعظم الذي انفردوا بمعرفته، وهذا كله كلام باطل لم يقم عليه دليل نقلي صحيح.

واسم الله الأعظم ليس كما يصوره هؤلاء أنه شيء مخفي، وسر

(١) شفاء العليل ص ٢٥٣.

غيبي، هم فقط الذين يعلمون كيفية الوصول إليه، وإنما أسماء الله ﷻ كلها حسنى، وكلها عظمى.

ووجه الحسن في أسماء الله ﷻ أنها دالة على أحسن وأعظم وأقدس مسمى وهو الله ﷻ، فذاته في حسنها وجلالها ليس كمثله شيء فيها، وأسماؤه في كمالها وجمالها تنزهت عن كل نقص وعيب. وقد قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾ الرحمن:٧٨.

وهذا يسري على كل اسم تسمى به الله، سواء غابت عنا معرفته أو علمناه، فاسم الله الحي متضمن لكمال الحياة، وهي صفة أزلية أبدية، لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، حياة لازمة لكمال الأسماء والصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والملك والقوة والعزة .

وكذلك اسمه العليم متضمن لكمال العلم الذي لم يسبق بجهل، ولا يحاط بشيء منه إلا إذا شاء الموصوف به، فهو علم واسع أحاط بكل شيء جملة وتفصيلا، سواء ما يتعلق بأفعال الله وأقداره، أو ما يتعلق بأمور الخلق وتدبير شئونه.

وكذلك اسمه الرحمن فإنه يتضمن الرحمة العامة بجميع الخلائق، وهي رحمة واسعة شاملة.

ومن ثم فإن أسماء الله ﷻ كلها حسنى وعظمى على اعتبار ما

يناسبها من أحوال العباد. ومن أجل ذلك تعرف الله ﷻ إليهم بجملة منها تكفي لإظهار معاني الكمال في عبوديتهم، وتحقق كمال الحكمة في أفعال خالقهم؛ فاسم الله الأعظم الذي يناسب حال فقرهم المعطي الجواد المحسن الواسع الغني، واسمه الأعظم الذي يناسب حال ضعفهم القادر القدير المقتدر المهيمن القوي، وفي حال الذلة وقلة الحيلة يناسبهم الدعاء باسمه العزيز الجبار المتكبر الأعلى المتعالي العلي، وفي حال الندم بعد اقتراف الذنب يناسبهم الدعاء باسمه اللطيف التواب الغفور الغفار الحيي الستير، وفي حال السعي والكسب يدعون الرازق الرزاق المنان السميع البصير، وفي حال الجهل والبحث عن أسباب العلم والفهم يناسبهم الدعاء باسمه الحسيب الرقيب العليم الحكيم الخبير، وفي حال الحرب وقتال العدو فنعم المولى ونعم النصير، وهكذا كل اسم من الأسماء الحسنى هو الأعظم في موضعه وعلى حسب حال العبد وما ينفعه .

والله ﷻ أسماؤه لا تحصى ولا تعد، وهو وحده الذي يعلم عددها، لكن الله ﷻ من حكمته أنه يعطي كل مرحلة من مراحل خلقه معرفة ما يناسبها من أسمائه وصفاته؛ بحيث تظهر فيها دلائل جماله وكماله وقد تقدم الحديث عن ذلك.

• **الروايات النقلية الثابتة في اسم الله الأعظم.**

واعلم أن العظمة في أسماء الله ﷻ تكون باعتبار كل اسم على

انفراده أو باعتبار جمعه إلى غيره؛ فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال، والأعلى في الكمال هو الأعظم على هذا الاعتبار. ومن هنا تحمل الروايات التي ثبتت عن النبي ﷺ في ذكر الاسم الأعظم.

روى ابن ماجة وحسنه الشيخ الألباني من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ البقرة:١٦٣. وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ) [(١)].

وعند ابن ماجة من حديث أبي عبد الرحمن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ الذي إِذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ في سُوَرٍ ثلاثٍ، البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطه) [(٢)].

قال القاسم: فالتمستها، إنه الحي القيوم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٥١٧ (٣٤٧٨)، وأبو داود في باب الدعاء ٢/٨٠ (١٤٩٦)، وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ٢/١٢٦٧(٣٨٥٥)، وحسنه الشيخ الألباني، وانظر صحيح ابن ماجة (٣٨٥٥)، وصحيح الجامع (٩٨٠).

(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ٢/١٢٦٧ (٣٨٥٦)، وحسنه الشيخ الألباني، انظر صحيح ابن ماجة (٣٨٤٦)، وانظر السلسلة الصحيحة ٢/٣٧١ (٧٤٦).

ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ البقرة:٢٥٥. ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ آل عمران:٢. ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ طه:١١١[١].

وعند الترمذي واللفظ له وابن ماجة وصححه الألباني من حديث عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه ﷺ قال: (سَمِعَ النَّبِي ﷺ رَجُلاً يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ الله، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ ﷺ: وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَ الله بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الذي إِذا دُعِي بِهِ أَجَابَ، وَإِذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)[٢].

وعند أبي داود وابن ماجة وصححه الشيخ الألباني من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسا ورجل يصلي ثم دعا: (اللهمَّ إني أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، يَا حي يَا قَيُّومُ، فَقَالَ

---

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله: (قول القاسم إن الاسم الأعظم في آية: وعنت الوجوه للحي القيوم. من سورة طه لم أجد في المرفوع ما يؤيده، فالأقرب عندي أنه في قوله في أول السورة: إني أنا الله لا إله إلا أنا فإنه الموافق لبعض الأحاديث الصحيحة)، انظر الفتح ٢٢٥/١١)، السلسلة الصحيحة ٣٧١/٢ (٧٤٦) .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبيﷺ ٥١٥/٥ (٣٤٧٥)، وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ١٢٦٧/٢ (٣٨٥٧)، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب ١٣٠/٢ (١٦٤٠)، وصحيح ابن ماجة (٣٨٥٧) .

النبي ﷺ: لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الذي إِذا دعي بِهِ أَجَابَ وَإِذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى) [١].

• **اسم الجلالة هو اسم الله الأعظم عند جمهور العلماء.**

أما بيان اعتبارات العظمة في الأسماء الحسنى التي ذكرها العلماء، واستندوا فيها إلى الروايات السابقة، فيمكن القول: إن الاسم الأعظم هو اسم الجلالة الله، وجمهور أهل العلم على ذلك، وهذا القول صحيح من عدة أوجه: منها أنه ورد ذكره في الأحاديث السابقة، ومنها أنه يدل على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث، المطابقة والتضمن واللزوم؛ فإنه دال على إلهيته سبحانه المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية هي التي يستحق بها أن يعبد، وأن تتعلق به القلوب خوفا ورجاء وتوكلا والتجاء. وهي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن النقائص والعيوب، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠. وكذلك ورد قول رسول الله ﷺ: (إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ). فاسم الجلالة

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء ٢/٧٩ (١٤٩٥)، وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ٢/١٢٦٨ (٣٨٥٨)، وأحمد في المسند ٣/٢٤٥ (١٣٥٩٥)، وصححه الألباني، وانظر صحيح ابن ماجة (٣٨٥٨) .

يكمل المائة، والتسعة والتسعون المطلقة أو المقيدة مضافة إليه .

كما أن هذا الاسم هو الاسم الجامع ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه، فيقال: الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، فعلم أن اسمه "الله" مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله [١].

واسم الله ﷻ أيضا دال على كونه مألوها معبودا تألهه الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا وفزعا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله [٢].

- **اسم الله الأعظم الرحمن الرحيم وكمالهما المخصوص.**

الاسم الأعظم هو الرحمن الرحيم، وهو صحيح باعتبار عدة أوجه دلت على كمال مخصوص فوق كمال الاسم المنفرد، فالرحمن كما ذكر ابن القيم هو من اتصف بالرحمة العامة الشاملة، والرحيم هو

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ١/٣٢.

(٢) مدارج السالكين ١/٣٢ بتصرف، وانظر تفسير أسماء الله للزجاج ص٢٤.

الراحم لعباده، ولم يجيء رحمن بعباده ولا رحمن بالمؤمنين مع ما في اسم الرحمن الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه الموصوف به، ألا ترى أنهم يقولون غضبان للممتلئ غضبا، وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن مليء بذلك؛ فبناء فعلان للسعة والشمول، ولهذا يقرن الله سبحانه وتعالى استواءه على العرش بهذا الاسم كثيرا كقوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. فاستوى على عرشه باسمه الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات، وقد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم على اختلاف أنواعهم كما قال: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ الأعراف:١٥٦. فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات ومن ثم وسعت رحمته كل شيء .

وقد ذكر الله ﷻ استواءه على عرشه مقرونا باسمه الرحمن ليعم جميع الخلائق على اختلاف أنواعها برحمته، ولولا هذه الرحمة ما اتسعت الدنيا لكافر لحظة، فالرحمة هنا أظهرت عظمة الحكمة بجلال الأسماء وظهور الآلاء؛ ليتعظ من يتقلب في نعمته، وهو غافل عن رحمته وحكمته.

كما أن الله ﷻ خص المؤمنين باسمه الرحيم فقال: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣﴾ الأحزاب:٤٣. وذلك ليميز الله الخبيث من الطيب، فالكافر سيُعامل بعدله، والمؤمن سيُعامل بفضله، وهذان الاسمان كلاهما عليهما مدار الحكمة في الدنيا والآخرة .

وما أجمل قول ابن القيم: (وأما الرحمة فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده، فالتأليه منهم له والربوبية منه لهم، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة، واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه برحمته فقوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه: ٥. مطابق لقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ الفاتحة:٢/٣. فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها، أقصى شمول الرحمة وسعتها، فوسع كل شيء برحمته وربوبيته) [١].

وعلى ذلك فإن الرحمن الرحيم عند اجتماعهما هما اسم الله الأعظم على اعتبار علوهما عن غيرهما في الدلالة على معاني الكمال والحكمة .

- **اسم الله الأعظم الحي القيوم وكمالهما المخصوص.**

الاسم الأعظم هو الحي القيوم، وهو صحيح باعتبار عدة أوجه دلت على كمال مخصوص فوق جميع الأسماء، فهذان الاسمان عند اجتماعهما يختصان عن باقي الأسماء الحسنى بما فيهما من أبعاد

---

(١) مدارج السالكين ٣٥/١ .

اعتقاديه، ويعطيان من معاني الكمال ما ليس لغيرهما؛ فجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا تدل باللزوم على أن الله ﷻ حي قيوم، فالحياة وصف ذاته ومن أجلها كملت جميع أسمائه وصفاته، فلا يمكن أن يكون سميعا بصيرا عليما قديرا إلا إذا كان حيا، ولا يمكن أن يكون ملكا عزيزا قويا غنيا إلا إذا كان حيا، ولا يمكن أن يكون رحيما رءوفا مهيمنا عظيما إلا إذا كان حيا، ولا يمكن أن يكون جبارا متكبرا خالقا بارئا مصورا إلا إذا كان حيا.

ومن ثم فإن جميع أسماء الله ﷻ تدل على صفة الحياة التي تضمنها اسمه الحي، وهذه قضية عقلية نقلية بينها الله في القرآن بأفضل بيان وأجمل برهان. قال الله تعالى عن بطلان آلة المشركين: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر: ١٤ .

لا تستجيب معبوداتهم لكونها موتى، والميت تزول صفاته بزوال ذاته؛ فلا يقال عالم وهو ميت، بل يقال كان عالما ولا يقال غني قوي وهو ميت، بل يقال كان غنيا قويا، ولا يقال ملك وهو ميت بل يقال كان ملكا عادلا أو ظالما .

كما أن ملكية الشيء أو حق التملك، إما أن يكون سببه اختراع الأشياء وإيجادها، أو دوام الحياة وكمالها؛ فالمخترع له براءة الاختراع والمؤلف له حق الطبع والنشر، ومن المعلوم أن أي مَلِكٍ في الدنيا لا

يمكن أن يؤسس ملكه بمفرده بل يساعده خاصته وقرابته، ويسانده حزبه وجماعته، أما رب العزة فهو الحي قبل وجود الأحياء، وهو الإله الحق الذي انفرد بإنشاء الخلق وإقامة الملك.

قال تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ الكهف: ٥١.

ولما كان دوام الحياة وكمالها يؤدي إلى انتقال الملكية وثبوتها؛ فإن الحياة والقيومية أساس الربوبية وكمال العظمة والملكية، فكل من عليها فان ولله ميراث السماوات والأرض

أما اسمه القيوم فمن المعلوم أن القيم في اللغة هو السيد الذي يسوس الأمور ويدبرها، فقيم البلدة سيدها وأمينها ومدبرها، واسم الله القيوم تقدير فعله قام اللازم، وأقام المتعدي، قام بذاته فلا يحتاج إلى غيره، وأقام غيره لافتقاره إليه، والله ﷻ هو القائم بنفسه الذي بلغ مطلق الكمال في وصفه، وهو الذي يبقى بجلاله وكماله على الدوام دون تأثر أو تغيير؛ لأن الحي من البشر قد يكون موصوفا بالسمع لكن سمعه يتأثر بمرور الوقت فيفتقر إلى وسيلة للسماع، وقد يكون بصيرا لكنه يتأثر بعد مدة فيضع عدسة يستعين بها على الإبصار، فالحي قد يكون متصفا بالصفات لكنه يتأثر بالسنة والغفلة والنوم، ولو كان قائما دائما لكملت حياته وبقيت صفاته .

ولذلك فإن الله ﷻ أثبت الحياة والقيومية اللازمة لكمال أسمائه

وصفاته بطريق الإثبات والنفي المتضمن لكمال المقابل، وهذه أبلغ طرق المدح التي اتبعها السلف الصالح في مدح ربهم، فمدار أوصاف الكمال وجميع الأسماء الحسنى تدل باللزوم على أن الله ﷻ حي قيوم، ومن ثم جعلهما النبي ﷺ اسم الله الأعظم على هذا الاعتبار (١) .

• اسم الله الأعظم الأحد الصمد وكماهما المخصوص.

الاسم الأعظم هو الأحد الصمد، وهو صحيح على اعتبار أن الاسمين معا يدلان على كمال مخصوص يلازم جميع الأسماء والصفات، فالأحد دل على أنه سبحانه المنفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله عن كل ما سواه، فالأحدية هي الانفراد ونفي الشريك والشبيه والمثلية، كما أن الصمدية تعني السيادة المطلقة في كل وصف على حدة، فالصمد هو السيد الذي له الكمال المطلق في كل شيء، وهو المستغني عن كل شيء، وكل من سواه مفتقر إليه، يصمد إليه ويعتمد عليه، وهو الذي كمل في جميع صفاته وأفعاله، وليس فوقه أحد في كماله، وهو الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وسائر أمورهم، فالأمور أصمدت إليه، وقيامها وبقاؤها عليه، لا يقضي فيها غيره، وهو المقصود إليه في الرغائب، الذي يستغاث به عند المصائب، والذي يطعم ولا يَطعَم، لم يلد ولم يولد .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣١١/١٨ .

أما كمال الوصف المخصوص عند اجتماع الأحدية والصمدية، فيمكن القول إن الله ﷻ لما فطر النفوس على أن تلجأ إلى قوة عليا عند ضعفها، وتطلب غنيا أعلى عند فقرها، وعليما خبيرا عند جهلها، ورءوفا شافيا عند مرضها، ومن كملت أوصافه عند اضطرارها، فإن الله ﷻ هو المستحق لأن يكون هو الصمد دون ما سواه، والمخلوق وإن كان صمدا من بعض الوجوه؛ فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه لأنه يقبل التفرق والزوال، والتجزئة والانحلال، وهو أيضا مفتقر إلى ما سواه، وكل ما سوى الله ﷻ مفتقر إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء، ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله تبارك وتعالى؛ لأنه لا يجري عليه شيء من ذلك.

بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده، ولا يمكن انعدامها بوجه من الوجوه، كما لا يمكن تثنية أحديته أيضا بوجه من الوجوه، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ٤.

وقد استعملت الأحدية هنا في النفي، أي ليس شيء من الأشياء كفوا له في شيء من الأشياء لأنه أحد.

كما أن هذا الاسم الأعظم أو الأحد الصمد دل على أن الله لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فإن الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء، فلا يدخل فيه شيء، ولا يأكل ولا يشرب، وقد فسر

بعض السلف الصمد بأنه الذي لا يأكل ولا يشرب، وأن الصمد هو المصمد الذي لا جوف له؛ فلا يخرج منه عين من الأعيان ولا يلد.

وهو كلام صحيح على معنى أنه لا يفارقه شيء منه، ولهذا امتنع عليه أن يلد وأن يولد، وذلك أن الولادة والتولد، وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصلين، وما كان من المتولد عينا قائمة بنفسها فلابد لها من مادة خرج منها، فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه؛ فإن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم، وبأنه خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق له، ليس فيه شيء مولود له، فهو سبحانه غني بذاته، يمتنع في حقه أن يكون والدا وأن يكون مولودا [١] .

ومن ثم فإن اجتماع اسم الأحد مع الصمد يضيفان من معاني الجلال والعظمة ما ليس لغيرهما، ولذلك ذكرهما النبي ﷺ على أنهما اسم الله الأعظم، فهو سبحانه متوحد صمد، سيد كمل في سؤدده وفي جميع أوصافه وعظمته، وحلمه ورحمته، وعلمه وحكمته، وهذه صفته لا تنبغي لأحد إلا له .

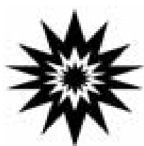
وقد وردت روايات ضعيفة وموضوعة في الاسم الأعظم منها ما يروى عن أنس بن مالك ﵁ أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ أن يعلمها الاسم الأعظم؟ فقال لها: (يا عائشة، نهينا عن تعليمه

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/٢٣٩ بتصرف .

النساء والصبيان والسفهاء) [١] .

ورويت مبالغات في الاسم الأعظم عن إبراهيم بن أدهم أنه كان من الأشراف، وأنه زهد في الدنيا ودخل البادية، فرأى فيها رجلا علمه الاسم الأعظم، فدعا به، فرأى الخضر وقال له: إنما علمك أخي داود، وهذا كله من أنواع الباطل التي لا يحل نقله أو نشره بين الناس إلا على سبيل التحذير منه [٢] .

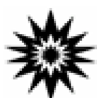


(١) انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ١٢٤/٢، ولسان الميزان لابن حجر ١٠٤/٢، والكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد الجرجاني ١٦٩/٢.
(٢) انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ٣٦٩/٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٨٨/٧، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ١٥٣/٤ .

المطلب السادس والعشرون

ثبوت النص بعلمية الاسم

من ضوابط إحصاء الأسماء الحسنى



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد دارت محاور المطلب السابق حول بيان التناقض في منهج من ادعى جواز اشتقاق الأسماء شرعا لا لغة من الأفعال بشرط الكمال، وبينا أنه يستحيل على العقل استخراج ما يليق من الكمال في الأسماء المشتقة من جميع الأفعال الواردة في القرآن الكريم فضلا عن استخراجها من السنة النبوية.

ثم بينا القول في مسألة الاسم والمسمى، وتوجيه كلام السلف على ما يوافق منهجهم في الاعتقاد، وعلمنا أن جلال أسماء الله الحسنى مبني على معاني الكمال والجمال، وأن العظمة في أسماء الله ﷻ ودلالته على الصفات تكون باعتبار كل اسم في موضعه وما يناسب حال العبد فيما ينفعه، ثم تناولنا الحديث عن الروايات النقلية الثابتة في اسم الله الأعظم، وأن اسم الجلالة هو اسم الله الأعظم عند جمهور العلماء، وعلمنا أن اسم الله الأعظم قد يكون "الرحمن الرحيم" لما فيهما من كمال

مخصوص لا يتحقق في الاسم حال انفراده، وكذلك "الحي القيوم"، "الأحد الصمد"، وما فيهما من كمالات مخصوصة.

وفي هذا المطلب بإذن الله ﷻ نتناول الحديث عن الشرط الأول والثاني من شروط إحصاء أسماء الله الحسنى، وهو ثبوت النص في الكتاب والسنة بعلمية الاسم، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **الدليل على أنه يلزم لإحصاء الأسماء ثبوت النص .**

هذا الشرط مأخوذ من قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠. وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الإسراء:١١٠. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ).

ووجه الدلالة أن لفظ الأسماء الحسنى يدل على أنها معهودة موجودة. فالألف واللام هنا للعهد. ولما كان دورنا حيال الأسماء هو الإحصاء دون الاشتقاق والإنشاء؛ فإن الإحصاء لا يكون إلا لشيء موجود معهود، ولا يعرف ذلك إلا بما نص عليه كتاب الله ﷻ، وما صح بالسند المتصل المرفوع إلى رسول الله ﷺ .

وهذا الشرط ذكره ابن تيمية في قوله: (الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي

التي تقتضي المدح والثناء بنفسها) [١] .

ومعلوم من مذهب السلف الصالح أن أسماء الله الحسنى توقيفية على الأدلة السمعية، ولا بد فيها من تحري الدليل بطريقة علمية تضمن لنا مرجعية الاسم إلى كلام الله ورسوله ﷺ، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى ما ورد في القرآن أو ما ورد في صحيح السنة النبوية على طريقة المحدثين؛ لأن محيط الرسالة لا تخرج دائرته عن ذلك.

وعلى هذا فيجب الوقوف على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيهما ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص المنقول لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء:٣٦.

ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه، جناية في حقه تعالى، وإلحاد في اسمه ووصفه، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص .

- **لابد في التوقيف من الأخذ بالقرآن والسنة معا .**

جملة الرسالة تلقاها النبي ﷺ عن طريق الوحي وبأشكاله المختلفة، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم:٣/٤.

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ١٩.

ثم انقطع الوحي بعد موت النبي ﷺ فلا ينزل على أحد إلى يوم القيامة. وهذا واضح في قوله تعالى:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠.

كما أن هذا الشرط يعتمد منهج السلف أيضا في كون الاحتجاج بصحيح السنة النبوية كالاحتجاج بالآيات القرآنية سواء بسواء، فلا خلاف بين جمهور العلماء الذين يعتد بهم في أن السنة حجة مستقلة في تشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تمييز الحلال من الحرام، وأنها المصدر الثاني لمعرفة أصول الإسلام، وأنها المفصحة عن معاني القرآن، والموضحة لأوامره وأخباره، والكاشفة عن تأويل النص وبيان أسراره .

وقد سبق الحديث عن كون النقل الصحيح حجة يوجب تصديق الخبر وتنفيذ الطلب وابن حزم رحمه الله نص على أن القرآن لما كان هو الأصل الذي يرجع إليه في معرفة الإسلام وجدنا فيه وجوب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ، وأنه صح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ على قسمين، أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن، والثاني وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ.

ولا فرق أيضا في الاحتجاج بالسنة النبوية بين باب الأحكام

الفقهية وباب القضايا الاعتقادية .

وقد عبر أبو طالب المكي عن العلة في ذلك بقوله: (فإنا قوم متبعون نقفوا الأثر غير مبتدعين بالرأي والمعقول نرد به الخير.. إلى أن قال: وفي رد أخبار الصفات بطلان شرائع الإسلام، لأن الناقلين إلينا ذلك هم ناقلوا شرائع الدين وأحكام الإيمان فإن كانوا عدولا فيما نقلوه من الشريعة فالعدل مقبول القول في كل ما نقلوه، وإن كانوا كذبوا فيما نقلوا من أخبار الصفات فالكذب مردود القول في كل ما جاءوا به) (١) .

ولم يختلف أحد من الأمم في أن رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رسولا واحدا يدعوهم إلى الإسلام، واحدا واحدا مفردا إلى كل مدينة وقبيلة، كصنعاء وحضرموت ونجران، وتيماء والبحرين وعمان وغير ذلك كثير من البلدان، وكان كل رسول يُعَلم الناس أحكام دينهم كلها، عقيدة وشريعة، وافترض النبي ﷺ على كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم؛ فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ .

• لابد في التوقيف من الأخذ بقواعد المحدثين .

أما القواعد التي تعتمد في تمييز الحديث المقبول من المردود

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبى طالب المكي ٢/١٢٤.

والصحيح من الضعيف فهي قواعد المحدثين، أو ما عرف بعلم مصطلح الحديث الذي يشترط في الحديث الصحيح اتصال السند بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة، وعلى ما هو معتبر أيضا في قواعدهم .

وقد بينا فيما سبق أن كل ما نسب إلى النبي ﷺ لا يقبل بلا ضابط أو نقاش، وأنه لا بد من الترابط العلمي المتصل بين رواة السند؛ بحيث يتلقى الراوي اللاحق عن السابق؛ فلا يكون بين اثنين من رواة الحديث فجوة زمنية أو مسافة مكانية يتعذر معها اللقاء أو يستحيل معها التلقي والأداء.

كما يلزم أيضا اتصاف الرواة بالعدالة، وهى صفة خلقية تكتسبها النفس الإنسانية وتحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ومجانبة الفسوق والابتداع فلا يعرف بارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة.

ولا بد أن يتصف الراوي أيضا بالضبط والتثبت من الحفظ والسلامة من الخطأ وانعدام الوهم مع القدرة على استحضار ما حفظه. وهذا شرط في جميع رواة الحديث الصحيح من أول السند إلى آخر راو فيه.

يضاف إلى ذلك عدم مخالفة الراوي لمن هو أوثق منه وأثبت، ولا يكون في روايته أيضا علة قادحة أو سبب ظاهر يؤدي إلى الحكم

بعدم ثبوت الحديث، فالطريق الوحيد المعتمد في ثبوت السنة هو الالتزام بقواعد المحدثين وأصولهم في معرفتها .

أما الحكم على ثبوت الحديث بالأصول الكلامية أو المناهج الفلسفية أو الكشوفات الذوقية فلا مجال له في بحثنا؛ لأن الآراء العقلية كثيرة ومتضاربة والمواجيد الذوقية مختلفة ومتغيرة، فالحكم على حديث الرسول ﷺ في هذه الحالة يحكمه الهوى ويسوقه استحسان النفس .

إن من أعظم الأسس في الاعتماد على السنة الالتزام بقواعد المحدثين في معرفة المقبول من المردود والصحيح من الضعيف. فإذا لم يرد الاسم نصا في القرآن فيلزم لأخذه من السنة أن يكون الحديث ثابتا صحيحا، فلا يعتد في النص على ذكر الأسماء الحسنى بالضعيف.

ولا يعتمد اعتمادا كاملا على الرواية المتفرد بها من هو موصوف بخفة الضبط في الاصطلاح الحادث كالحسن، لأن اصطلاح الحديث الحسن أمر درج عليه جماعة من المتأخرين دون المتقدمين، فالحديث عندهم إما صحيح وإما ضعيف.

والقصد هو الثبت الذي يمنع وصف الحديث بالشذوذ أو النكارة بحيث يكون إما في مرتبة الصحيح فيحتج به، أو الضعيف فيستبعد الاسم الذي ورد فيه. قال الإمام ابن الصلاح في معرفة علوم الحديث: (من أهل الحديث من لا يفرد نوع الحسن، ويجعله مندرجا

في أنواع الصحيح؛ لاندراجه في أنواع ما يحتج به) [١].

وهذا لا يعنى رد الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ، ومن فهم ذلك فقد أخطأ، أو أساء الظن، وإنما التثبت في الأسماء الحسنى مطلوب لاعتماد ثبوتها على النص التوقيفي الوارد بصيغة الاسم بلا زيادة أو نقصان، ومعلوم أن ما ثبت عن رسول الله ﷺ حجة يوجب العمل والاعتقاد سواء كان متواترا أو آحاد .

• **لا يصح أخذ الأسماء التوقيفية من القرآن دون السنة.**

مجرد الاكتفاء بإحصاء الأسماء الحسنى من القرآن دون السنة تنقيص لمكانة الوحي الثابت في السنة، وقد أكد القرآن بوضوح لا لبس فيه أن السنة النبوية وحي من الله ﷻ يجب الإيمان به، ويجب اتباع الرسول ﷺ في كل شيء وفي كل وقت؛ في حياته وبعد مماته؛ لأنها أصول لم تخصص بزمن دون زمن؛ فيجب تصديق الرسول ﷺ في خبره، والطاعة لأمره عن يقين ومحبة وإخلاص [٢] .

ولذلك لا يحتج بما فعله بعض السلف كسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي وجعفر الصادق في طريقتهم لإحصاء الأسماء الحسنى، حيث جمعوا الأسماء من القرآن وتركوا جمعها من السنة، ومعلوم أن فعلهم ليس حجة لأحد في تركه لإحصاء الأسماء من السنة، ويلتمس لهم

---

(١) مقدمة ابن الصلاح، معرفة الحسن من الحديث ١/٦.

(٢) احكام الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/٤٠.

العذر في ذلك. وكذلك لا يحتج بما فعله العلامة ابن حجر العسقلاني في أخذه الأسماء من القرآن دون السنة.

وقد بينا أن قضية إحصاء أسماء الله الحسنى كانت بالفعل مسألة شاقة ومجهدة، وأن مجرد السهو عن اسم من الأسماء يوقع الخلل والاضطراب في بقية الأسماء.

وبينا أيضا أن العلامة ابن حجر تمنى أن يعيد النظر في منهجه بكليته ليحصي جميع الأسماء المطلقة فقط من القرآن والسنة معا، غير أن مشقة إحصائها بالمنهج الاستقرائي من السنة كلها كبيرة جدا، والأجل لم يسعفه ليفعلها، فرحمه الله رحمة واسعة حيث قال: (ويتتبع من الأحاديث الصحيحة تكملة العدة المذكورة فهو نمط آخر من التتبع عسى الله أن يعين عليه بحوله وقوته آمين) [١].

وقد كان يظن في بادئ الأمر أن الأسماء المطلقة في القرآن سيصل عددها إلى تسعة وتسعين اسما، ولذلك حذف من الأسماء المشهورة أربعة أسماء من الأسماء الصحيحة الصريحة الواردة بصيغة الاسم في صحيح السنة وهي، المقدم المؤَخر، الذين وردا في الصحيحين من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أَنتَ المقَدِّم وأَنتَ المؤَخِّرُ، لا إِلهَ إِلا أَنتَ، أَو لا إِلهَ غَيْرُكَ) [٢].

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/٢٢١.

(٢) رواه البخاري في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ٥/٢٣٢٨ (٥٩٥٨).

وكذلك حذف القابض الباسط، وقد وردا في حديث أنس ﷺ أنه رسول الله ﷺ قال: (إِن اللّهَ هُو المسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازقُ) [١].

والقصد أن محاولات بعض علماء السلف ومن جاء بعدهم في تعيين التسعة والتسعين اسما، كلها اجتهادات مأجورة، ولكنها غير مقبولة على إطلاقها، فالأخذ بالأسماء الواردة في القرآن، وترك الأسماء الواردة في السنة خطر عظيم، ولا يجوز للمسلم تقليد جمع أحد إلا إذا وجد الدليل التوقيفي الذي ورد فيه النص على ذكر الاسم بصيغته سواء من القرآن أو من صحيح السنة .

وننبه مرة أخرى حتى لا يظنن ظان أو يزعم أننا بقولنا هذا نقدح في علماء السلف الصالح، أو نقلل من شأنهم، وإنما القصد أن نتمسك بالحق بعيدا عن التعصب الأعمى للرجال، فالحق لا يعرف بالرجال، ولكن يعرف الرجال بالحق. ولا يمكن لعاقل أن يجعل كلام السلف وألفاظهم وحيا في منزلة القرآن وما صح في السنة.

- **الأسماء المشتهرة التي لم تتوافق مع الشرط الأول.**

أما الأسماء التي لم تتوافق مع الشرط الأول أو مع ثبوت النص مما اشتهر في جمع الوليد بن مسلم المدرج في رواية الترمذي والمشهور بين

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير ٣/٦٠٥ (١٣١٤)، وانظر تصحيح الألباني في وغاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (٣٢٣)، ومشكاة المصابيح (٢٨٩٤).

الناس منذ أكثر من ألف عام فهما الواجد والماجد، وكذلك الحنان في جمع عبد العزيز بن حصين المدرج في رواية الحاكم.

واسما الواجِدُ المَاجِدُ لم يردا في القرآن أو صحيح السنة، أما الماجد فلم يثبت في حديث صحيح، وقد ورد في السنة عند الترمذي من حديث أَبي ذر الغفاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال عن رب العزة: (ذلكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ) (١). وفي رواية عند أحمد لكنها ضعيفة: (ذلكَ لأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ وَاجِدٌ أَفْعَل مَا أَشَاءُ) (٢).

وهذا الحديث ليس أصلا في إثبات اسم الله الجواد، لأنه ثبت في روايات أخرى لكن الشاهد أنه ليس من أسماء الله الواجد الماجد .

أما اسم الحنان فلم يثبت في القرآن أو صحيح السنة، وإنما ورد في حديث ضعيف، كما قال الخطابي: (ومما يدعو به الناس خاصهم وعامهم وإن لم تثبت به الرواية عن رسول الله ﷺ الحنان) (٣) .

وقال الشيخ علوي السقاف: (والخلاصة أنَّ عد بعضهم الحنان من أسماء الله تعالى فيه نظر لعدم ثبوته) (٤).

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع ٤/٦٥٦ (٢٤٩٥)، وأحمد في المسند ٥/١٥٤ (٢١٤٠٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٠٠٨).
(٢) المسند ٥/١٥٤ (٢١٤٠٦)، وانظر ضعيف الجامع (٦٤٣٧) .
(٣) انظر صفات الله الواردة في القرآن لعلوي السقاف ص ١٢٥ .
(٤) السابق ص ١٢٥ .

وقد ورد في المسند بسند ضعيف عن أَنس بن مالك ﷺ أنه قال: (كُنْتُ جَالساً مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ في الحَلقَةِ ورَجُل قَائِمٌ يُصَلى، فَلمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلسَ وَتَشَهَّدَ ثمَّ دَعَا فَقَال: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلكَ بِأَنَّ لكَ الحَمْدَ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ الحَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذا الجَلاَل وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلكَ) (١).

وفي لفظ عند ابن حبان: (الحَنَّانُ المَنَّانُ) (٢). وزيادة الحنان في الروايات شاذة .

وقد ورد في المسند بسند ضعيف جدا عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن عبدا في جهنم لينادي ألف سنة: يا حنان، يا منان قال: فيقول الله ﷻ لجبريل ﷺ: اذهب فأتني بعبدي هذا، فينطلق جبريل، فيجد أهل النار مكبين يبكون، فيرجع إلى ربه فيخبره فيقول: ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا، فيجيء به، فيوقفه على ربه ﷻ فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: أي رب شر مكان، وشر مقيل، فيقول: ردوا عبدي، فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها، فيقول: دعوا عبدي) (٣).

وورد في حديث موضوع: (لو دعي بهذا الدعاء على شيء بين

---

(١) المسند للإمام أحمد ٣/١٥٨ (١٢٦٣٢) .

(٢) صحيح ابن حبان ٣/١٧٥ (٨٩٣) .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/٢٣٠، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدا.

المشرق و المغرب في ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه: لا إله إلا أنت، يا حنان يا منان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام) [(١)].

• الأسماء التي لم تتوافق مع الشرط الأول عند بعض العلماء.

ومن الأسماء التي لم تتوافق أيضا مع هذا الشرط، ولم يثبت بها نص صحيح مرفوع مما ذكره أهل العلم، السخي والنظيف والهْوِيّ والمفضل والمنعم ورمضان وآمين والأعز.

أما السخي فورد مع النظيف في رواية ضعيفة عند السيوطي في الجامع الصغير من حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال : (إِنَّ اللهَ تَعَالى جَمِيل يُحِبُّ الجَمَال، سَخي يُحِبُّ السَّخاءَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ) [(٢)].

وكذلك ورد النظيف في عدة روايات ضعيفة عند الترمذي وغيره، من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ؛ فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ) [(٣)] .

---

(١) انظر السلسلة الضعيفة ٥٨٦/٣ (١٣٩٨) وضعيف الجامع (٤٨٢٤).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢٢٥/٢، ضعيف الجامع (١٥٩٦) .

(٣) أخرجه الترمذي في الأدب، باب ما جاء في النظافة ١١١/٥ (٢٧٩٩)، وضعفه الألباني في غاية المرام ص٨٩ (١١٣)، وضعيف الجامع (١٦١٦).

وهذا الحديث والذي قبله ليس أصلا في إثبات الأسماء الأخرى التي تضمنها، وإنما ثبوتها معتمد لورودها في روايات أخرى صحيحة سيأتي بيانها في موضع كل اسم .

وأما الهْوِيّ فقد ورد في حديث صحيح رواه النسائي من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ أنه قال: (كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ حُجْرَةِ النَّبِي ﷺ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ إذا قَامَ مِنَ الليْل يَقُول: سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالِمِينَ الهَوِىَّ، ثمَّ يَقُول: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ الهَوِىَّ) [(١)].

وقد فسره البعض على أنه اسم من الأسماء، وليس هذا مقصد الراوي لأن الحديث ورد تفسيره في روايات أخرى صحيحة بينت أنه يعني بالهوي وقت الليل الطويل قبل منتصفه أو بعده، ولا يعنيه اسما لله ﷻ، فعند الترمذي وصححه الشيخ الألباني قال ربيعة ﷺ: (كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْطِيهِ وَضُوءَهُ، فَأَسْمَعُهُ الهَوِىَّ مِنَ الليْل يَقُول: سَمِعَ اللهُ لَمَنْ حَمِدَهُ وَأَسْمَعُهُ الهَوِىَّ مِنَ الليْل يَقُول: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمِينَ) [(٢)] .

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار والحث على الصلاة في البيوت، باب فضل صلاة الليل ١/٤١٦ (١٣١٨)، وانظر تصحيح الألباني للحديث مشكاة المصابيح (١٢١٨) .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٤٨٠ (٣٤١٦)، والبخاري في الأدب المفرد، باب ما يقول إذا استيقظ بالليل ١/٤١٨ (١٢١٨)، وانظر صحيح الترمذي للألباني (٣٤١٦) .

وقد عده الإمام القرطبي من الأسماء الحسنى وقال: (منها الهوي جل جلال الله وتقدست أسماؤه). ثم تأوله معناه بأنه المحبوب من خلقه العارفين بحقه [١].

وهذا على فرض ثبوته أو احتمال أن يكون ما أخطأ فيه الراوي صحيحا من وجه، مع أنه نقل عن الأقليشي أن ذلك من أغرب ما ورد في صفات الله تعالى، وأنه خطأ من أبي نعيم صاحب ابن المبارك في تفسيره للأسماء، حيث جعله اسما وفسره في حق الله بمعنى الطويل الدائم.

ثم بين أنه أشكل عليه الأمر ودخل عليه اللبس، وأن رواية الترمذي فسرت ما حدث من اللبس، وأن الهوى ليس بصفة لله تعالى وإنما هو وصف الليل، ومراد الراوي أنه كان يسمع صوت رسول الله ﷺ من الليل وهو يصلي، فربما كان يسمعه في النصف الأول، وربما كان يسمعه في النصف الآخر [٢] .

وأما المنعم والمفضل فقد وردا في حديث ضعيف مرسل رواه ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن بعض أشياخه أنه قال: (كَانَ ﷺ إذا أَتَاهُ الأَمْرُ مما يُعْجبه قَال: الحمْدُ لله المنْعِمِ المفْضِلِ الذي بنعْمَتِه تَتِم الصَّالحات، وإذا الأَمْرُ أَتَاهُ مما

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ١/٤٣١ .
(٢) السابق ١/٤٣٤ .

يَكرَهُه قال: الحمْدُ لله عَلى كُل حَال) [١].

وأما اعتبار رمضان من أسماء الله الحسنى فلا يصح؛ لأنه لم يثبت في حديث صحيح.

إنما رواه البيهقي وابن عدي من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ تَقُولوا رَمَضَانَ، فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَلَكِنْ قُولوا شَهْرُ رَمَضَانَ) [٢].

وهو حديث ضعيف وقيل موضوع، وقد عده الإمام القرطبي من الأسماء الحسنى وشرح معناه، مع أنه جزم بأنه لم يأتي في الكتاب ولا في السنة الثابتة، بل نفي في تفسيره أن يكون اسما فقال: (روى رمضان اسم من أسماء الله تعالى، وهذا ليس بصحيح؛ فإنه من

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الدعاء، باب ما يدعو إذا رأى الأمر يعجبه ٧١/٦ (٢٩٥٥٤)، والأسماء والصفات للبيهقي ٢١٥/١ (١٥٠) نشر مكتبة السوادي جدة، وقال أبو داود: روي متصلا وفيه أحاديث ضعاف ولا يصح، انظر المراسيل ص٣٥٧ (٥٣٢) نشر مؤسسة الرسالة بيروت، وانظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ٥١٠/١.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، كتاب الصيام، باب ما روي في كراهية قول القائل جاء رمضان وذهب رمضان٢٠٢/٤ (٧٦٩٤)، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٥٣/٧ نشر: دار الفكر بيروت، وانظر الموضوعات لابن الجوزي ١٠٢/٢ نشر دار الكتب العلمية بيروت، وعلل الحديث لابن أبي حاتم ٢٤٩/١ نشر دار المعرفة بيروت .

حديث أبي معشر نجيح وهو ضعيف) [١] .

وكذلك الحال في اعتبار آمين اسما من أسماء الله الحسنى استنادا إلى بعض الروايات الموقوفة والمرفوعة التي لم تصح كما روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن هلال بن يساف موقوفا، وكذلك عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: (آمين اسم من أسماء الله تعالى) [٢].

ورواه أيضا عبد الرزاق في مصنفه موقوفا على أبي هريرة ﷺ [٣].

قال ابن كثير: (وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف أن آمين اسم من أسماء الله تعالى، وروي عن ابن عباس مرفوعا ولا يصح، قاله أبو بكر بن العربي المالكي) [٤] .

وأما الأعز فلم يرد مرفوعا إلى النبي ﷺ ،وإنما ورد موقوفا على عبد الله بن مسعود ﷺ وابن عمر ﷺ: (رب اغفر وارحم وأنت الأعز

---

(١) تفسير القرطبي ٢٩٢/٢ نشر دار الشعب القاهرة، وانظر للمقارنة الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ١٦٩/١، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١٣/٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الصلوات، باب ما ذكروا في آمين ومن كان يقولها ١٨٨/٢ (٧٩٧١) (٧٩٧٢) (٧٩٧٣) .

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، كتاب الصلاة، ما ذكروا في آمين ومن كان يقولها ٩٩/٢ (٢٦٥١)، وانظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ٢٩٥/١.

(٤) تفسير ابن كثير ٣٢/١ .

الأكرم) [١]. قال الشيخ الألباني: (وروي مرفوعا ولم يصح) [٢].

أما اعتباره في حكم المرفوع عند بعض المحدثين فلا يكفي ذلك لإثباته اسما، بل لا بد في الشرط الأول من شروط الإحصاء وهو ثبوت الاسم في نص صريح ورد في حديث مرفوع صحيح.

ويمكن اعتباره من باب الإخبار عن الله بمعنى صحيح لم يرد به نص توقيفي، لكنه لا يعد من أسماء الله الحسنى .

• الدليل على أنه يلزم لإحصاء الأسماء علمية الاسم .

يشترط في إحصاء الأسماء الحسنى وجمعها من الكتاب والسنة علمية الاسم، فلا بد أن يرد في النص مرادا به العلمية ومتميزا بعلامات الاسمية المعروفة في اللغة؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب وخطابهم الله ﷻ على ما يعرفون من قواعدها وأصولها، ومن ثم فإن قواعد اللغة تعد أساسا مهما في تمييز الاسم والتعرف عليه .

ويتميز الاسم عن الفعل والحرف بخمس علامات لغوية أساسية

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الحج، باب ما يقول الرجل في المسعى ٣/٤٢٠ (١٥٥٦٥)، وسنن البيهقي الكبرى، كتاب الحج، باب الخروج إلى الصفا والمروة والسعي بينهما والذكر عليهما ٥/٩٥ (٩١٣٥)، والمعجم الأوسط للطبراني ٣/١٤٧ (٢٧٥٧) نشر دار الحرمين القاهرة.

(٢) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر ؓ للشيخ الألباني ص١١٩، نشر المكتب الإسلامي بيروت.

معروفة، تقدم ذكرها .

ومثال الأسماء التي دخل عليه حرف الجر، ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ الفرقان:٥٨. وكذلك قوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ فصلت:٢.

ومثال ما ورد من علامات الاسمية كالتنوين قوله تعالى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ سبأ:١٥. وقوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ النساء:١٧ .

ومثال ما ورد من علامات الاسمية كياء النداء ما ورد عند البخاري من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ)[1].

ومثال ما يكون الاسم فيه معرفا بالألف واللام، وهو من أهم العلامات المميزة للاسم ما ورد في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ الأعلى:١. وقوله ﷻ: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴾ يس:٥.

ومثال ما يكون المعنى مسندا إلى اسم محمولا عليه ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان:٥٩. وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ

---

(١) البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم ١٢١٣/٣ (٣١٥٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ٢٠٣٨/٤ (٢٦٤٦) .

ﱡﭐ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ ﱠ الكهف:٥٨.
فالمعنى في الآيتين ورد محمولا على اسم الله الرحمن واسمه الغفور مسندا إليهما، وهذه أيضا من أهم العلامات التي تميز الاسم وعلميته .

أما الدليل على هذا الشرط فهو مأخوذ من قوله تعالى: ﱡﭐ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﱠ الأعراف:١٨٠ . وقوله أيضا: ﱡﭐ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﱠ الإسراء:١١٠. وحديث: (إن لله تسعة وتسعين اسما).

ووجه الاستدلال أنه سبحانه قال: ولله الأسماء، فله الأسماء، ولم يقل: ولله الأوصاف الحسنى، أو فله الأفعال الحسنى.

كما أن رسول الله ﷺ إنما دعا أمته إلى إحصاء الأسماء، وليست الصفات والأفعال. وشتان بين الأسماء والأوصاف عند سائر العلماء وسائر العقلاء، فالوصف لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بموصوفه، والفعل لا يتم إلا بفاعله؛ إذ لا يصح أن نقول: الرحمة استوت على العرش، أو العزة أجرت الشمس، أو العلم والحكمة والخبرة وغير ذلك من الصفات أنزلت الكتاب وأظهرت على النبي ﷺ ما غاب، فهذه كلها أوصاف لا تقوم بنفسها، بخلاف الأسماء الدالة على المسمى الذي اتصف بها.

ولذلك قال ﷻ: ﱡﭐ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﱠ طه:٥. فذكر

النص على الاسم وهو يتضمن الوصف دون العكس.

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾ يس:٣٨. فاسم الله العزيز دل على وصف العزة دون العكس.

وقال ﷻ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾ الزمر:١.

وقال أيضا: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ ﴾ التحريم:٣.

- **هل الجميل اسم من أسماء الله أو وصف من أوصافه.**

وجميع المواضع التي يذكر فيها الاسم العلم المميز بعلاماته الخمس فإنه يكون في موضعه علما ووصفا معا، بخلاف انفراد الوصف أو الفعل، فلا بد من قيام الوصف بموصوفه وقيام الفعل بفاعله.

وبخلاف أسمائنا وأوصافنا أيضا، لأنه من الأمور الجوهرية في فهم الأسماء الحسنى ودلالتها على الصفات ضرورة التمييز بين الاسم ودلالته الوضعية عندما يستعمل في حق المخلوق والاسم ودلالته في حق الخالق، وقد تقدم الحديث عن ذلك .

وعدم فهم هذه المسألة أحدث لبسا أو غموضا عند بعض أهل العلم وتردد في إدخال اسم الجميل الذي دل عليه قول النبي ﷺ: (إِنَّ

اللهَ جَمِيل يُحِبُّ الجَمَال) [1].

ظنا منه أن اسم الله الجميل في هذا الموضع وصف وليس اسما، وهو من باب الخبر كما تقول: سعيد سعيد؛ فالأول عند العقلاء اسم، والثاني وصف، وكذلك ظنهم في اسم الله الوتر والطيب والجواد والحيي والستير والمحسن والرفيق حيث اعتقدوا أنها أوصاف لله ﷻ وليست من الأسماء الحسنى .

وهذا الظن غالبا ما ينشأ في توحيد الأسماء والصفات من عدم التمييز بين دلالة الاسم على الوصف في حق الله تعالى ودلالته في حقنا، فلو قلنا مثلا: سعيدٌ سعيد كلاهما من الناحية اللغوية اسمان، لكن الأول في استعماله المتعارف بين الناس لا يراد به إلا العلمية التي تميزه عن غيره، ولا يعني المنادي في ندائه أو مخاطبته سعيدا غير ذاته المتميزة بالاسم فقط، بغض النظر إن كانت صفة السعادة موجودة فيه أم معدومة، فالاسم في حق البشر فارغ من الوصفية عند التسمي أو حال الولادة، لأن وجود الوصف وتحققه فيه مستقبلا يكون مجرد احتمال.

بل لما سمى الإنسان سعيدا عند الولادة فإن أحدا لا يعلم أنه في مستقبله سيكون حزينا أم سعيدا، لأن ذلك أمر غيبي غير معلوم، أو

(١) مسلم في الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ١/٩٣ (٩١) .

سر مخبأ في قدره المحتوم، فلما اكتسب المولود المسمى سعيدا وصف السعادة كحالة طارئة وصفة زائدة قامت به ووصف بها استدعى ذلك تعبيرا إضافيا عن حلول صفة السعادة فيه واكتسابه لها، فقلنا: سعيد سعيد أو سعيد في منتهى السعادة.

أما الأسماء في حق الله ﷻ فتختلف اختلافا كليا عن ذلك، لأنه سبحانه ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته وأفعاله، فأسماؤه علمية ووصفية معا في آن واحد، ولا يمكن قياسها بما سبق في حق المخلوق، ولذلك لم يقل النبيﷺ فيما ثبت من الروايات: إن الجواد سبحانه جواد، وإن المحسن ﷻ محسن، وإن الحيي الستير حيي ستير، وإن الجميل سبحانه جميل، والوتر وتر، كما قلنا في حق المخلوق سعيد سعيد ومنصور منصور وصالح صالح؛ لأن الأسماء في حق الله ﷻ أعلام وأوصاف، سواء ذكر الاسم أولا أو ثانيا، مبتدأ أو خبرا، أو في أي موضع كان من النص فهو علم ووصف معا .

أما الأسماء في حقنا فهي على الأغلب أعلام بلا أوصاف فجاز في حق المخلوق سعيد سعيد ومنصور منصور وصالح صالح، لكن لو ذكر ذلك في حق الخالق لصار تكرارا وحشوا بلا معنى يتنزه عنه من أوتي جوامع الكلم ﷺ، ولذلك فإن الثابت عن النبي ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللهَ جَمِيل يُحِبُّ الجَمَال)، فالجميل اسم على وزن فعيل مبالغة من اسم الفاعل، وهو علم على ذات الله ﷻ ورد في الحديث منونا

والتنوين من علامات الاسمية، وأضيف إليه المعنى بعده، وهو قوله يحب الجمال، وكذا الحال في اسم الله الجواد والوتر والرفيق والمحسن والحيي والستير وغير ذلك من الأسماء الحسنى كلها تدل على العلمية والوصفية معا.

وذلك لأن الله ﷻ أسماؤه وأوصافه أولية أزلية ودائمة أبدية، فلم يطرأ عليه وصف كان مفقودا أو يستجد به كمال لم يكن موجودا كما طرأت السعادة واستجد النصر والصلاح على سعيد ومنصور وصالح.

ومن ثم فإن الشرط الثاني من شروط الإحصاء علمية الاسم لقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾الأعراف:١٨٠ . ولم يقل الأوصاف أو الأفعال.

كما أن معنى الدعاء أن تدخل علي الأسماء أداة النداء، سواء ظاهرة أو مضمرة، والنداء من علامات الاسمية، فلا بد أن تتحقق في الأسماء الحسنى علامات الاسم اللغوية.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله هذا الشرط ضمن قوله: (الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها) [١] .

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص١٩ .

- **كثير من الأسماء المشتهرة أفعال لا يصح تسمية الله بها.**

كثير من الأسماء المشتهرة على ألسنة الناس هي في الحقيقة أوصاف وأفعال، وليست من الأسماء الحسنى، ونحن قد علمنا من مذهب السلف الصالح أن أسماء الله الحسنى نصية توقيفية، لا بد فيها من أدلة قرآنية أو ما صح عن النبي ﷺ في السنة النبوية، وليست أسماء الله مسألة عقلية اجتهادية يشتق فيها الإنسان لربه من وصفه أو فعله ما يشاء من الأسماء، فهذا قول على الله بلا علم أو دليل .

وكثير من العلماء لاسيما من أدرج الأسماء في حديث الترمذي وابن ماجة والحاكم جعلوا المرجعية في علمية الكثير من الأسماء إلى أنفسهم واجتهادهم، وليست إلى النص الثابت في الكتاب والسنة، وهذا يعارض ما اتفق عليه السلف الصالح في كون الأسماء الحسنى توقيفية .

ومثال الأسماء التي تدخل تحت هذه النوعية، تسمية الله ﷻ بالمعز المذل الخافض المبديء المعيد الضار النافع المميت الباعث الباقي العدل المحصي المقسط المغني. فمن الذي سمى الله بهذه الأسماء؟! هل سمى الله نفسه بها أم سماه رسوله ﷺ ؟!

هذه الأسماء جميعها لم ينطبق عليها ثبوت النص بعلمية الاسم؛ فالمعز والمذل اسمان اشتهرا بين الناس شهرة واسعة على أنهما من الأسماء الحسنى، وهما وإن كان معناهما صحيحا لكنهما لم يردا في

القرآن أو السنة اسمين علمين على ذات الله ﷻ، فقد ذكرهما من أدرج الأسماء في حديث الترمذي وكذلك عند ابن ماجة والبيهقي وغيرهم [١] .

أما حجتهم أو دليلهم على الاسمين فهو قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ آل عمران:٢٦.

ومعلوم أنه لا يجوز لنا أن نشتق لله ﷻ من كل فعل اسما، ولم يخولنا الله في تسميته بما نشاء، وإنما أمرنا سبحانه بإحصاء أسمائه وجمعها من الكتاب والسنة ثم دعاؤه بها؛ فدورنا حيال الأسماء الحسنى الإحصاء، ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء. ومن ثم لا يصح الاستدلال بالآية المذكورة على تسمية الله المعز المذل، لأن الله ﷻ أخبر في الآية الكريمة عن أفعاله وليس عن أسمائه، وأخبر أنه يؤتي ويشاء وينزع ويعز ويذل، ولم يذكر فيها بعد اسمه مالك الملك

---

(١) الأحاديث التي أدرج فيها الرواة أسماء الله الحسنى كرواية الترمذي وابن ماجة والحاكم وغيرهم يكمن الرجوع إلى تفصيلها والتعرف على عللها في كتاب: جزء فيه طرق إن لله تسعة وتسعين اسما لأبي نعيم الأصفهاني من ص٩٣: ص١٧٢، تحقيق مشهور حسن سلمان، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية ١٤١٣هـ، وانظر للإمام البيهقي: كتاب الأسماء والصفات ص١٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ص٥٧ .

واسمه القدير سوى صفات الأفعال، فالذين سموا الله ﷻ المعز المذل اشتقوا له اسمين من فعلين وتركوا على قياسهم ثلاثة أسماء أخرى، فيلزمهم بالضرورة تسمية الله ﷻ بالشائي والمؤتي والنازع؛ طالما أن المرجعية في علمية الاسم إلى القياس، واشتقاق الأسماء باستحسان الآراء دون التتبع والجمع والإحصاء .

وكذلك اسم الخافض استندوا فيه إلى ما رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ؓ أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللّٰهَ ﷻ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ) [1].

واستند الإمام البيهقي في ثبوته إلى المعنى في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرحمن:٢٩. وما ذكره بسنده مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال: (مِنْ شَأنه أنْ يِغفرَ ذنبا وَيفَرِّج كَربا وَيرْفَعُ قَومَا وَيَضَعُ آخَرين) [2]. وهذا غير كاف في إثبات الاسم .

وكذلك أيضا اسم المبديء والمعيد ذكرهما من أدرج الأسماء في حديث الترمذي وابن ماجة والحاكم وكذلك البيهقي وغيرهم كثير فقد اشتقوا هذين الاسمين باجتهادهم استنادا إلى الأفعال كما قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾ البروج:١٣. ومعلوم أن أسماء الله ﷻ توقيفية وليس في الآيتين سوى الفعلين فقط.

---

(١) مسلم في الإيمان، باب في قوله ﷺ إن الله لا ينام ١/١٦١ (١٧٩) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص٩٩ .

• **لا يجوز تسمية الله باسم الضار.**

وكذلك أيضا الضار والنافع اسمان مشهوران استندوا في اشتقاقهما إلى المفهوم من قوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ الأعراف:١٨٨.

أو ما ورد عند الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال له: (وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ، وَلو اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ) [(١)].

ولم يُذكر في الآية أو الحديث النص على الاسم أو حتى الفعل، ولم أجد في القرآن أو في السنة إلا الفعل نفع فيما ورد عند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلاَّ نَفَعَ اللهُ بِهَا، لقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ، وَإِنَّ فِيهِمْ لنِفَاقًا، فَرَدَّهُمُ اللهُ بِذلكَ) [(٢)].

وهذا أيضا لا يكفي في إثبات الاسم لأن تسمية الله بما نشاء ليس من حقنا، ولم يرد به إذن شرعي، أما الضار فالجميع استند إلى

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٤/٦٦٧ (٢٥١٦)، وصححه الألباني، وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢)، صحيح الجامع (٧٩٥٧) .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ لو كنت متخذا خليلا ٣/١٣٤١ (٣٤٦٧) .

المفهوم من الآية والحديث [١] .

وكيف يعقل تسمية رب العزة والجلال أو وصفه بالضار، وليس فيه كمال ولا جمال، ولا حجة على ثبوته من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ؟ وكيف يكون الضار اسما علما على ذات الله والمفترض أن تكون الأسماء التي نجمعها أو نحصيها كلها حسنى تفيد المدح والثناء على الله بنفسها؟

بل إن عامة المسلمين وخاصتهم يدعون ربهم كل صباح ومساء فيقولون في هذا الدعاء: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.

عملا بما ورد عند الترمذي وصححه الألباني من حديث أبان بن عثمان عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ الله الذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شيء فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثلاَث مَرَّاتٍ فَيَضُرُّهُ شيء " [٢] .

وورد في صحيح مسلم من حديث عَلي ﷺ في دعاء رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: " لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ،

---

(١) الأسماء والصفات ص٩٦ .

(٢) الترمذي في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ٥/٤٦٥ (٣٣٨٨)، صحيح الجامع (٥٧٤٥)، وصحيح الترغيب والترهيب (٦٥٥) .

وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ " [١] .

وكذلك تسمية الله ﷻ بالعدل، ومعناه صحيح في حق الله ولكنه لم يرد اسما، ودليلهم المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ النحل: ٩٠.

أو قوله ﷻ: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١١٥.وهذا كله غير كاف في إثبات الاسم، وليس من حقنا تسمية الله بما لم يسم به نفسه .

وكذلك تسمية الله ﷻ بالجليل حيث ذكره جمع كبير من العلماء وهو محفوظ ضمن الأسماء المشهورة؛ مع أن الاسم لم يرد في الكتاب ولا في السنة، ومن أدرجه استند في إثباته إلى اجتهاده في الاشتقاق من الوصف الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الرحمن: ٢٧.

وقوله ﷻ أيضا: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ الرحمن: ٧٨. وهذا غير كاف في التسمية فذو من الأسماء الخمسة وليست من الأسماء الحسنى، وفرق كبير بين الجلال والجليل أو بين الوصف والاسم.

كما أن الله ﷻ وصف نفسه بالقوة فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ

(١) مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل ١/ ٥٣٤ (٧٧١) .

﴿ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ الذاريات:٥٨ وسمى نفسه القوي فقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ۝١٩﴾ الشورى:١٩. ووصف نفسه بالرحمة فقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ الأنعام:١٣٣. وسمى نفسه الرحمن الرحيم فقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ فصلت:٢. ولما كانت أسماء الله ﷻ توقيفية، ولا يجوز لنا أن نسمي الله إلا بما سمى به نفسه أو سماه به نبيه ﷺ؛ فإن الله ﷻ وصف نفسه بالجلال ولم يسم نفسه الجليل .

ومن ذلك أيضا تسمية الله بالباعث استنادا إلى الاشتقاق من الفعل الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ الأنعام:٣٦. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ البقرة:٥٦. وتسميتهم لله بالمحصي استنادا لقوله ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ يس:١٢. أو قوله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ المجادلة:٦.

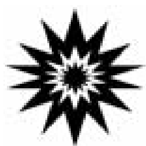
وكذلك التسمية بالمميت والقاضي استندوا في ذلك إلى اجتهادهم في الاشتقاق من الفعل الذي ورد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٦٨﴾ غافر:٦٨.

وتسمية الله ﷻ بالمقسط لم يستندوا فيها إلى وصف أو فعل ولكن إلى أمره تعالى بالقسط ومحبته للمقسطين كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ الأعراف:٢٩. وقوله ﷻ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٤٢﴾ المائدة:٤٢.

وكذلك تسميته بالمانع استنادا إلى اجتهادهم في الاشتقاق من الفعل الذي ورد في حديث معاوية ﵁ مرفوعا: (اللهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ) (١) .

وكذلك تسمية الله ﷻ بالمغني استنادا إلى الاشتقاق من الفعل في قوله: ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ النور:٣٣. وأيضا تسمية الله ﷻ بالباقي لم أجد دليلا استندوا إليه إلا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الرحمن:٢٧.

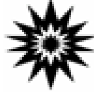
والأمثلة في ذلك كثيرة، والقصد أن كثيرا من الأسماء المدرجة والمشتهرة على ألسنة العامة والخاصة ليست من الأسماء الحسنى، وإنما هي أوصاف لله ﷻ أو أفعال، وهي إن كان أغلبها حق في معناه إلا أن دورنا حيال الأسماء الجمع والإحصاء، ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء أو تسمية الله بما نشاء .



(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب من لم ير رد السلام على الإمام واكتفى بتسليم الصلاة ١/٢٨٩ (٨٠٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ١/٤١٤ (٥٩٣).

المطلب السابع والعشرون

من ضوابط إحصاء الأسماء الحسنى الإطلاق
ودلالة الاسم على الوصف



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد دارت محاور المطلب السابق حول ضابطين من ضوابط إحصاء الأسماء الحسنى، وهما ثبوت النص بعلمية الاسم، وبينا الدليل على أنه يلزم لإحصاء الأسماء ثبوت النص، وأنه لابد في التوقيف وثبوت النص من الأخذ بالقرآن والسنة معا، وأنه لابد من الأخذ بقواعد المحدثين لقبول الحديث أو رده، كما بينا أنه لا يصح أخذ الأسماء التوقيفية من القرآن دون السنة كما فعل بعض أهل العلم من السلف والخلف، ثم تناولنا الأسماء المشتهرة التي لم تتوافق مع الشرط الأول، وكذلك الأسماء التي ذكرها بعض العلماء.

وبينا الدليل على أنه يلزم لإحصاء الأسماء الحسنى علمية الاسم، وهل الجميل اسم من أسماء الله ﷻ أو وصف من أوصافه؟ ثم علمنا أن كثيرا من الأسماء المشتهرة هي أفعال وأوصاف لا يصح تسمية الله بها، ولا يجوز قطعا تسمية الله ﷻ باسم الضار الموجود في الأسماء المشتهرة، وأنه اسم يدل على النقص، ولا يجبره إضافته للنافع .

وفي هذا المطلب بإذن الله نتناول الحديث عن ضابطين آخرين من ضوابط إحصاء أسماء الله الحسنى، وهما شرط الإطلاق وشرط دلالة الاسم على الوصف، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **الدليل على أنه يلزم لإحصاء الأسماء الإطلاق .**

من الضوابط الأساسية اللازمة لإحصاء الأسماء الحسنى أن يرد الاسم في سياق النص مطلقا، يفيد المدح والثناء على الله بنفسه دون إضافة مُقَيِّدة أو قرينة ظاهرة، فالإضافة توجب ذكر الاسم مقرونا بقيده كما ورد في سياقه، ولو أطلق المقيد قد يتطرق إليه احتمال النقص.

هذا بخلاف الاسم المطلق الذي يدل على الحسن والكمال حيثما ذكر بلا قيد أو شرط، فلا بد في تتبع الأسماء وإحصائها من مراعاة شرط الإطلاق والتقييد، وتقديم ما دل على الحسن بإطلاق على ما دل عليه بتقييد، فما أطلقه الله وسوله ﷺ من الأسماء أطلقناه، وما قيداه قيدناه.

ولا يحق لأحد أن يتدخل بعقله في أسماء الله ﷻ فيطلق المقيد ويفصل المضاف بحجة أنه رأى في الإطلاق كمالا ولم يجد فيه نقصا؛ لأن الأسماء توقيفية على النص، والله ﷻ أمرنا بذكره كما هدانا، ولم يأمرنا بذكره كما رغبنا نحن بعقولنا وأهوائنا فقال: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ البقرة:١٩٨ .

والله ﷻ قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ الأعراف: ١٨٠.

والحسنى هي البالغة مطلق الحسن بلا حد ولا قيد، قال الإمام القرطبي: (وحسن الأسماء إنما يتوجه بتحسين الشرع لإطلاقها والنص عليها، وانضاف إلى ذلك أنها تقتضي معان حسانا شريفة) [(١)].

وقال الآلوسي: (الحسنى أنيث الأحسن أفعل تفضيل ومعنى ذلك أنها أحسن الأسماء وأجلها لأنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها) [(٢)].

ولما كانت أسماء الله في القرآن والسنة ترد على نوعين، إما مطلقة وإما مقيدة، كان الاسم المطلق في دلالته على الحسن والكمال أكبر وأعلى بقياس الأولى من دلالة الاسم المقيد بإضافة أو غيرها، وكذلك فإن دلالة الاسم الأعظم كاسم الجلالة "الله"، واسمي الحي والقيوم دلالتها على الكمال أعلى وأكبر بقياس الأولى من سائر الأسماء الحسنى المطلقة المنفردة.

وقد الله ضرب مثلا في أسمائه الحسنى باسمه الأعظم وهو اسم الجلالة ، فقدمه على اسمه الرحمن فقال: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ الإسراء: ١١٠. فما كان مفيدا للمدح والثناء على الله بنفسه من غير إضافة كاسم الله الرحمن وما يماثله في الإطلاق

(١) تفسير القرطبي ١٠/٣٤٣، نشر دار الشعب، القاهرة.

(٢) روح المعاني للألوسي ٩/١٢٠، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

كالملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباريء المصور فهي الأسماء الحسنى المطلقة.

- **اقتران الأسماء بالعلو المطلق والفوقية لا ينافي الإطلاق .**

ويدخل في معنى الإطلاق اقتران الاسم بالعلو المطلق؛ لأن معاني العلو جميعها سواء علو الشأن، أو علو القهر، أو علو الذات والفوقية هي في حد ذاتها إطلاق؛ فالعلو يزيد الإطلاق كمالا على كمال وجلالا فوق الجلال .

وقد ذكر الله من أسمائه الحسنى القدير فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ التوبة:٣٩. حيث ورد الاسم في الآية مطلقا معرفا ومنونا مرادا به العلمية ومقرونا بمعاني العلو والفوقية.

وفي موضع آخر ذكره مطلقا فقط من غير اقتران بالعلو فقال سبحانه: ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ الممتحنة:٧. وعند المقارنة بين الموضعين نجد أن العلو والفوقية على كل شيء لا يحد من إطلاق الوصف، بل يزيده كمالا على كمال، وجمالا فوق الجمال .

ومن ثم فإن كل اسم اقترن بمعاني العلو أو الفوقية فهو مطلق في الدلالة على الحسن والكمال يفيد المدح والثناء على الله ﷻ بنفسه، كقوله تعالى في اسمه المقيت: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ النساء:٨٥، وقوله ﷻ في اسمه الشهيد: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

سبأ:٤٧، وكذلك اسم الله الحفيظ في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ سبأ:٢١، والرقيب في قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ الأحزاب:٥٢، والحسيب أيضا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ النساء:٨٦، والمقتدر في قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ الكهف:٤٥، وكذلك القاهر في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ الأنعام:١٨.

وكذلك أيضا إذا ورد الاسم معرفا بالألف واللام مطلقا بصيغة الجمع والتعظيم، فإنه يزيد الإطلاق عظمة وجمالا وحسنا وكمالا، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ المرسلات:٢٣. وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الحجر:٢٣. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ الصافات:٧٥.

وهذا الشرط ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن تعريفه للأسماء الحسنى حيث قال: (الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها) [(١)].

• شرط الإطلاق لا ينفي التقيد العقلي بالممكنات.

وإذا كانت الأسماء الحسنى لا تخلو في أغلبها من تصور التقييد

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٩.

العقلي بالممكنات في ارتباط آثارها بالمخلوقات كاسم الله الخالق والخلاق والرازق والرزاق؛ أو لا تخلو من تخصيص عقلي ما يتعلق ببعض المخلوقات دون بعض، كالأسماء الدالة على صفات الرحمة والعفو والمغفرة مثل الرحيم والعفو والغفور والغفار؛ فإن ذلك التقييد لا يدخل تحت شرط الإطلاق المذكور، وإنما المقصود هو التقييد بالإضافة الظاهرة في النص التي تستدعي أن يذكر الاسم كما ذكره الله ورسوله ﷺ كالغافر والقابل والشديد في قوله: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾ غافر:٣ .

وكذلك الفاطر والجاعل في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ فاطر:١.

والمنزل والسريع في الحديث الذي رواه البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ أن رسول الله ﷺ دعا يوم الأحزاب على المشركين فقال في دعائه: (اللهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ سَرِيعَ الحِسَابِ اللهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ) [(١)].

هذا كله تقييد يجعل حسن الاسم مقرونا بالإضافة الظاهرة في النص، ولو أطلق لا يصح كإطلاق البالغ فيما قيده الله بالإضافة في

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ١٠٧٢/٣ (٢٧٧٥)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ١٣٦٣/٣ (١٧٤٢).

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ الطلاق:٣.

وأيضا لا يصح إطلاق الخادع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ النساء:١٤٢.

وكذلك لا يصح إطلاق اسم العدو دون تقييد كما في قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ البقرة:٩٨.

وكذلك المخزي يذكر كما ورد في قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ التوبة:٢. وهكذا في سائر الأسماء التي قيدها الله ورسوله ﷺ .

- **أمثلة لأسماء مقيدة لم ينطبق عليها شرط الإطلاق.**

ومن الأسماء التي لم ينطبق عليها شرط الإطلاق المحيي حيث ورد مقيدا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾فصلت:٣٩.

والرفيع في قوله ﷻ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ غافر:١٥. والمتم في قوله: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ الصف:٨ .

وكذلك المستعان في قوله تعالى عن يعقوب ؑ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ يوسف:١٨. ولا يرد المستعان في أي موضع من القرآن والسنة إلا مقيدا.

وقد يظن البعض أن الاسم ورد مطلقا فيما رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﵁ لما قال له النبي ﷺ عن عثمان ﵁: (افْتَحْ لهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلى بَلوَى تُصِيبُهُ، فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَال رَسُول اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قَال: اللهُ المُسْتَعَانُ) [١].

والأمر ليس كذلك لأن المقصود هو طلب عثمان ﵁ الاستعانة والصبر على إنجاز مقتضى الوعد أخذا من قول يعقوب ﵇: والله المستعان.

ولذلك شك أبو موسى الأشعري ﵁ في قول عثمان ﵁ هل قال: الله المستعان أم طلب الصبر من الله؟ ففي رواية مسلم عنه أنه قال: (فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَال: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالجَنَّةِ، قَال: وَقُلتُ الذِي قَال ﷺ فَقَال: اللهُمَّ صَبْرًا أَوِ اللهُ المُسْتَعَانُ) [٢]. وفي رواية أحمد: (اللهُمَّ صَبْراً وَعَلى اللهِ التُّكْلاَنُ) [٣].

وقد كان الصحابة ﵃ يتأسون بأدعية القرآن كما في حادثة الإفك لما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (وَاللهِ لئِنْ حَلفْتُ لاَ تُصَدِّقُونِي، وَلئِنِ اعْتَذَرْتُ لاَ تَعْذِرُونِي، فَمَثَلي وَمَثَلكُمْ كَمَثَل يَعْقُوبَ

---

(١) البخاري في فضائل الصحابة ﵃، باب مناقب عمر ﵁ ٣/ ١٣٥٠ (٣٤٩٠) .

(٢) مسلم في فضائل الصحابة ﵃، باب من فضائل عثمان ٤/ ١٨٦٧ (٢٤٠٣) .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/٤٠٦ (١٩٦٦١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وَبَنِيهِ، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى مَا تَصِفُونَ) (١) .

وكثيرا ما يذكره المفسرون في كلامهم ويدعو به المسلمون في حياتهم اليومية لطلب الاستعانة على حاجة ما، فيذكر أحدهم الاسم مختصرا من غير إضافة وهو يعني الاستعانة المقيدة بقضاء حاجة بعينها، قد ذكر الدعاء بسببها ولأجلها .

ومن الأسماء التي لم ينطبق عليها شرط الإطلاق الفالق والمخرج في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الأنعام:٩٥.

والحفي في قوله: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ مريم:٤٧. ومن المقيد بالإضافة أيضا الجامع في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾آل عمران:٩.

- **التزام من تتبعوا إحصاء الأسماء الحسنى بشرط الإطلاق.**

عند مراجعة ما قام به العلماء في تتبعهم لإحصاء الأسماء الحسنى، نجد أنهم جميعا يجمعون أولا الأسماء المطلقة من القرآن والسنة، أو من القرآن فقط، فإن عجز أحدهم عن استكمال العدد المشار إليه في حديث أبي هريرة ﷺ، والذي ينص على وجود تسعة وتسعين اسما

(١)رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين ٣/ ١٢٣٩ (٣٢٠٨) .

في القرآن والسنة، أدخل بعضا من الأسماء المضافة والمقيدة وترك أكثرها، وهذا الأمر نجده واضحا جدا في إحصائهم جميعا.

وقد كان ابن حزم الأندلسي من أشد الناس التزاما بجمع الأسماء المطلقة، وكان في استطاعته أن يحصي ما شاء من الأسماء المقيدة ليجعل العدد تسعة وتسعين، لكنه لم يفعل كما فعل غيره التزاما بمنهجه في إحصاء الأسماء الحسنى، ولذلك فضل أن يترك الأمر لمن جاء بعده، فذكر نيفا وثمانين اسما اعتقدها جميعا أسماء مطلقة، تفيد المدح والثناء على الله بنفسها، وأنها ثابتة بنصها وصيغتها في الكتاب والسنة.

قال ابن حزم رحمه الله: (فَصَحَّ أَنَّهُ لاَ يَحِل لأَحَدٍ أَنْ يُسَمِّيَ اللهَ تَعَالى إِلاَّ بِمَا سَمَّى بِهِ نَفْسَهُ، وصَحَّ أَنَّ أَسْمَاءَهُ لاَ تَزِيدُ على تِسْعَةٍ وتِسْعِينَ شيئا لقَولِهِ عليه السلام: مِائَةً إِلاَّ واحِدًا، فَنَفَى الزِّيَادَةَ وأَبْطَلَهَا، لكِنْ يُخْبِرُ عنه بِمَا يَفْعَل تَعَالى. وجَاءَتْ أَحَادِيثُ في إِحْصَاءِ التِّسْعَةِ والتِّسْعِينَ أَسْمَاءٌ مُضْطَرِبَةٌ لاَ يَصِحُّ منها شَيْءٌ أَصْلاً، فَإِنَّمَا تُؤْخَذُ من نَصِّ القُرْآنِ ومِمَّا صَحَّ عن النبي ﷺ وقد بَلَغَ إِحْصَاؤُنَا منها إلى ما نَذْكُرُ) (١).

ومن نظر في الأسماء التي ذكرها ابن حزم وجد أنه استبعد من الأسماء المشهورة الأسماء المقيدة وهي: المنتقم والبديع والرافع والنور

(١) المحلى لأبي محمد بن حزم ٨/٣١ نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت .

والمحيي والجامع والهادي وذُو الجَلَال وَالإِكْرَامِ. فلم يرد ذكرها في الأسماء التي جمعها في حين أدخل في الأسماء الحسنى مما لم يرد في الأسماء المشهورة واحدا وعشرين اسما جميعا مطلق ثابت صحيح بصيغته التوقيفية وهي: الأَكْرَمُ الرَّبُّ الإِلهُ القَرِيبُ الشَّاكِرُ القَاهِرُ القَدِيرُ الأَحَدُ الأَعْلى الخَلاقُ المَلِيكُ السَّيِّدُ السُبُّوحُ الوِتْرُ المِحْسَنُ الجَمِيل الرَفِيقُ المُسَعِّرُ المُبِينُ الشَّافِي المُعْطِي .

وقد أبقى ابن حزم على الأسماء التوقيفية المطلقة الواردة في الأسماء المشتهرة وهي: اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ العَلِيمُ الحَكِيمُ الكَرِيمُ العَظِيمُ الحَلِيمُ القَيُّومُ السَّلَامُ التَّوابُ الوهَّابُ السَّمِيعُ المُجِيبُ الواسِعُ العَزِيزُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الكَبِيرُ الخَبِيرُ البَصِيرُ الغَفُورُ الشَّكُورُ الغَفَّارُ القَهَّارُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ المُصَورُ البَرُّ المُقْتَدِرُ البَارِي العَلِيُّ الغَنِيُّ الوليُّ القَويُّ الحَيُّ الحَمِيدُ المَجِيدُ الودُودُ الصَّمَدُ الواحِدُ الأَول المُتَعَال الخَالقُ الرَّزَّاقُ الحَقُّ اللطِيفُ الرؤوف العَفُو الفَتَّاحُ المَتِينُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ البَاطِنُ القُدُّوسُ المَلِكُ القَابِضُ البَاسِطُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ.

ولم يوفق ابن حزم في إدراج اسم الدهر لعدم دلالته على الوصف ولأنه من إضافة المخلوق لخالقه.

وكذلك الأَكْبَرُ والأَعَزُّ ظنا منه أنها وردت معرفة بالألف واللام في رواية مرفوعة والأمر ليس كذلك، فالأكبر ورد معرفا بالألف واللام في حديث ضعيف رواه أبو داود من حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ قَال: (كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُول فِي دُبُرِ صَلاتِهِ: اللهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُل شَيْءٍ، أَنَا

شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لكَ. اللهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُل شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولكَ. اللهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُل شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ العِبَادَ كُلهُمْ إِخْوَةٌ. اللهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُل شَيْءٍ اجْعَلنِي مُخْلصًا لكَ وَأَهْلي فِي كُل سَاعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، يَا ذَا الجَلال وَالإِكْرَامِ اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ. اللهُ أَكْبَرُ الأَكْبَرُ. اللهُمَّ نُورَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ. قَال سُليْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ اللهُ أَكْبَرُ الأَكْبَرُ. حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل. اللهُ أَكْبَرُ الأَكْبَرُ)[1].

ولو صح هذا الحديث لكان اسم الأكبر من أسماء الله المطلقة ولكنه حديث ضعيف.

وأما اسم الأعز فلم يثبت مرفوعا وإنما ورد موقوفا على بعض الصحابة، وقد تقدم ذكره بما يغني عن إعادته.

ومن راجع جمع العلامة ابن حجر وجد أنه رحمه الله كان ينكر على كل من أخذ الأسماء اشتقاقا، وكل من لم يلتزم ثبوت النص وعلمية الاسم وشرط الإطلاق.

ثم إنه كما تقدم أخذ يعتذر عما أدخله في إحصائه من الأسماء المقيدة بعد أن أنكر على محمد بن إِبراهيم الزاهد أنه أدخل أسماء

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم ٨٣/٢ (١٥٠٨)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة ٣٠/٦ (٩٩٢٩)، وضعفه الألباني، وانظر ضعيف أبي داود ١٤٨/١(٣٢٥).

مضافة ومقيدة، ثم ألزمه بإحصاء جميع الأسماء المقيدة بالإضافة لو أراد اتباع المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يكون، وذلك حين أشار إلى أن محمد الزاهد ذكر من المضاف اسم الفالق، وكان يلزمه أن يذكر القابل.

ولما عجز ابن حجر عن إحصاء سبعة وعشرين اسما مطلقا من القرآن ليضيفها إلى الاثنين والسبعين اسما المطلقة التي انتقاها هو من الأسماء المشهورة ورآها صحيحة، ولما لم يجد في القرآن من الأسماء المطلقة إلا خمسة عشر اسما فقط، اضطر إلى مخالفة منهجه في إدخال بعض الأسماء المضافة ليكمل التسعة والتسعين ويترك البعض، فأخذ يعتذر عن ذلك، وكأنه يقول: لو احتج عليَّ أحد بأنني أدخلت المضاف في إحصائي للأسماء، فسأحتج عليه أيضا بأن الوليد بن مسلم فعل ذلك في الأسماء المشهورة التي أدرجها في الحديث ورواها عنه الترمذي، وبقيت قرونا طويلة لم يحتج عليه أحد فيها.

ومن تتبع جمع المعاصرين كالشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في كتابه القيم: "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى" وجد أنه اعتمد في منهج الإحصاء على تتبع ما ورد في القرآن وصحيح السنة من الأسماء التوقيفية التي وردت بنصها مطلقة غير مقيدة إلا في بعض الأسماء التي تردد في إدخالها كما قال رحمه الله في علة تردده في إدخال اسم الله الحفي فقال: (وإن كان عندنا تردد في إدخال الحفي لأنه إنما ورد مقيدا في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ مريم:٤٧)[(١)].

مع غض النظر عن إدخاله العالم والحافظ والمحيط حيث اعتقدها مطلقة، وهي ليست كذلك .

وكذلك الشيخ عبد المحسن العباد في كتابه: "قطف الجنى الداني"، والشيخ عبد الله صالح الغصن، والشيخ علوي بن عبد القادر السقاف حفظهم الله جميعا التزموا في المقام الأول بإحصاء ما ورد في النص بصيغة الاسم مطلقا من غير تقييد، حتى بلغ إحصاء كل منهم للأسماء المطلقة ما يقارب بضعا وتسعين اسما، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن شرط الإطلاق هو الأصل عندهم وعند غيرهم في جمع الأسماء الحسنى، وهذا واضح جدا لكل من له عينان.

• **أنواع التقييد في الأسماء الوارد في الكتاب والسنة.**

إذا لم يرد الاسم مطلقا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه، فإنه اسم مقيد من أسماء الله يفيد المدح والثناء على الله بغيره، ولا بد من ذكره على وضعه الذي ورد به التوقيف.

وإذا كان الاسم قد ورد في موضع مطلقا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه، وورد أيضا في موضع آخر مقيدا؛ فإنه لا يذكر في الأسماء المقيدة لدلالة الاسم المطلق عليه؛ فالمطلق يتضمن المقيد وليس العكس .

---

(١) القواعد المثلي ص١٦، نشر دار الأرقم، الطبعة الأولى، الكويت ١٤٠٦هـ .

ومثال ذلك اسم الله السميع البصير، كل منهما ورد مطلقا معرفا بالألف واللام في قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١. وورد اسم الله السميع مقيدا بالدعاء في قول الله تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ آل عمران:٣٨. وكذلك اسمه البصير ورد مقيدا بالعباد في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ آل عمران:٢٠.

ومن ثم لم يذكر في الأسماء المقيدة سميع الدعاء، ولا بصير بالعباد لأن هذه الأسماء وإن كانت مقيدة إلا أن إطلاق اسم السميع والبصير يشملها ويتضمنها على أي تقييد كان .

وكذلك اسمه اللطيف ورد مطلقا في قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ الملك:١٤. وورد الاسم مقيدا في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ يوسف:١٠٠.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ الشورى:١٩.

وعليه لا يذكر في الأسماء المقيدة اللطيف لما يشاء، ولا اللطيف بعباده، لأن هذه الأسماء وإن كانت مقيدة إلا أن إطلاق اللطيف يشملها ويتضمنها على أي تقييد كان .

وقس على ذلك اسم الله الواسع حيث ورد مطلقا في قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ البقرة:١١٥. وقد ورد الاسم مقيدا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ النجم:٣٢. ولم يذكر واسع المغفرة في الأسماء المقيدة لأن إطلاق اسم الواسع يشملها .

وقد ورد اسم الرب مطلقا في قول الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ يس:٥٨. وقوله: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ سبأ:١٥.

وورد الاسم مقيدا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ البقرة:٢١ . فلم يذكر الرب في الأسماء المقيدة .

ومن ثم فإن الاسم إذا ورد مطلقا فلا يذكر ضمن الأسماء المقيدة، سواء كان وروده مضافا كالسميع في صيغة سميع الدعاء، والبصير في صيغة بصير بالعباد، أو كان وروده في المضاف إليه كالخالق في صيغة أحسن الخالقين، والرازق في صيغة خير الرازقين، والوارث في صيغة خير الوارثين، لأن الأسماء المطلقة تشملها وتتضمنها على أي تقييد كان، كما أن الأسماء المطلقة يمكن تقييدها وليس العكس .

وإذا ورد الاسم مقيدا مع اختلاف ما قيد به اعتبر اسما واحدا كالجامع والجاعل والشديد والأشد والسريع والأهل والمنزل.. كل منها اسم مقيد ولو تنوع المضاف إليه.

وكذلك إذا ذكر الاسم المقيد بتركيب لاسم من الأسماء الخمسة

مضافا إلى الوصف الذي تضمنه اسم مطلق أو مقيد، فلا يذكر في الأسماء المقيدة، لأن ذكر الاسم يشمله ويتضمن الدلالة عليه .

ومثال ذلك تضمن اسم الرحيم لذي الرحمة، والقوي لذي القوة، والغفور لذي مغفرة، والملك الذي الملكوت، والجبار لذي الجبروت، والمتكبر لذي الكبرياء، والعظيم لذي العظمة، والمنتقم من أعدائه لذي انتقام.. الخ .

ومما ينبغي أن نتنبه له أن التقيد الوارد في أسماء الله المقيدة الثابتة بنصها في الكتاب والسنة على عدة أنواع:

النوع الأول: التقييد الصريح كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ السجدة:٢٢. فاسمه المنتقم مقيد بالمجرمين، ولا يصح الإطلاق الذي يتناول جميع الناس كالأنبياء والمرسلين؛ لأنه يناقض معنى الحسن في أسمائه تعالى.

ويقاس على ذلك التقييد في اسم الخادع؛ فإنه مقيد بخداع المنافقين ولا يجوز بغير ذلك، وكذلك عدو الكافرين ومخزيهم ومهلكم ومعذبهم.. الخ، فمثل هذا النوع من التقييد ينبغي أن يذكر كما ورد النص به؛ مقرونا فيه الاسم بغيره من أنواع الإضافة أو التقييد أو التخصيص .

ومثال التقييد الصريح أيضا ما ورد في الحفي والصاحب والخليفة وغير ذلك من الأسماء، فإن الله ﷻ هو الحفي بإبراهيم عليه السلام، وهو

الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخليفة في الأهل، والغالب عَلَى أَمْرِهِ، والفعال لما يريد، والقائم على كل نفس بما كسبت، وهو كاشف الضر، وهو المقلب لقلوبنا، والمصرف والمثبت لها، وهو المستعان على أمورنا، وهو الناصر لأنبيائه، والصانع لما شاء، والمحيط بكل شيء .. الخ .

النوع الثاني: التقييد بالإضافة، والأسماء فيه تفيد المدح والثناء على الله بذكر المضاف إليه كما في اسمه الشديد، حيث أضافه للعقاب والمحال، فهو سبحانه شديد العقاب والمحال، ومثله أهل التقوى والمغفرة، وجامع الناس وبديع السماوات ونورها وفاطرها وقيمها وجاعلها.. الخ، وخير الحافظين والحاكمين والراحمين .. وكذلك ذو المضافة إلى وصف من أوصاف الله، أو خلق من خلقه كذي الجلال والإكرام وذي العرش وذي المعارج.. الخ .

النوع الثالث: التقييد الظاهر في سياق النص كما ورد في اسمه الزارع والمنزل والمنشيء في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الواقعة:٦٣/٦٤ .

وقوله سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الواقعة:٦٨/٦٩ .

وقوله ﷻ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الواقعة:٧١/٧٢. فالزارع اسم مقيد في النص بما يحرثون، ولا يقال زراعة لما نبت في الصحراء من غير حرث أو إرواء.

والمنزل اسم مقيد في النص بالماء الذي يشربون، وكذلك المنشيء اسم مقيد في النص بالنار التي يشعلونها.

وقس على ذلك الموسع والماهد، فهما اسمان مقيدان في صريح النص بالسماء والأرض كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الذاريات:٤٧/٤٨.

• **الدليل على أنه يلزم لإحصاء الأسماء دلالتها على الوصف.**

لا بد لإحصاء الاسم من دلالته على الوصف، وأن يكون اسما على مسمى؛ فأسماء الله ﷻ لا تكون حسنى وهي بلا معنى، فلا بد من دلالتها على المعنى الذي تضمنه كل اسم من أسماء الله والذي يختلف عن الآخر، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف:١٨٠.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس في أسمائه الحسنى إلا اسم يمدح به، ولهذا كانت كلها حسنى، والحسنى بخلاف السوأى، فكلها حسنة، والحسن محبوب ممدوح) [(١)] .

كما أن الأسماء الجامدة لا مدح فيها، ولا دلالة لها على الثناء، ويلزم أيضا من كونها جامدة أنه لا معنى لها، ولا قيمة لتعدادها أو الدعوة إلى إحصائها. ويترتب على ذلك أيضا رد حديث أبي هريرة

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/٤٠٩، نشر مؤسسة قرطبة.

ﷺ الذي ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمَا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ) [(١)] .

كما أن الله ﷻ بين أن أسماءه الحسنى أعلام تدل على ذاته، وهي أيضا أوصاف تدل على معاني الكمال، فقال سبحانه في الدلالة على علميتها: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الإسراء:١١٠. فكلها تدل على مسمى واحد، ولا فرق بين الرحمن، أو الرحيم، أو الملك، أو القدوس، أو السلام، أو المؤمن، أو المهيمن، أو العزيز، أو الجبار، أو المتكبر إلى آخر ما ذكر من أسمائه الحسنى في الدلالة على ذاته، فهي من جهة العلمية مترادفة.

أما من جهة دلالة الأسماء الحسنى على الوصفية فهي متنوعة ومختلفة، قال الله تعالى في الدلالة على وصفيتها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠.

ووجه الاستدلال أن دعاء الله بها مرتبط بحال العبد ومطلبه وما يناسب حاجته واضطراره، من ضعف أو فقر، أو ظلم أو قهر، أو مرض أو جهل، أو غير ذلك من أحوال العباد، والتي لا تخرج على اختلاف تنوعها عما أظهر لهم من أسمائه الحسنى .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ٦/٢٦٩١ (٦٩٥٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٤/٢٠٦٣ (٢٦٧٧).

ولولا يقين العبد الفقير عند دعائه أن الله ﷻ غني قدير موصوف في غناه بأنه لا مثيل له ولا نظير، ما التجأ إليه أو دعاه، والله ﷻ بين أنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء لكمال أسمائه وصفاته، ولانفراده عن عباده بالإلهية المطلقة كما قال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ النمل:٦٢. فعلم العقلاء أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه وهو عاجز لا صفة له مطلقا .

وقد ذكر ابن القيم في تعريفه بمنهج السلف الصالح في أسماء الله الحسنى أن الأسماء لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي أعلام وأوصاف، وهي بالاعتبار الأول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة، والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم(١) .

الرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن علما غير تابع، وكذلك فإن الأسماء مشتقة من الصفات إذ الصفات مصادر الأسماء الحسنى(٢) .

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ١/١٧٠ نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ١/٢٨ نشر دار الكتاب العربي، بيروت، وشرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ١/١٤، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

وقد سبق بيان ما استقبحه أهل العلم من مذهب المعتزلة في إثبات الأسماء ونفي دلالتها على الصفات، لأن معنى ذلك أنهم أثبتوا وجود الذات فقط، وجعلوا أسماء الله ﷻ الدالة عليها أسماء فارغة من الأوصاف، أو أسماء بلا مسمى فقالوا: هو العليم بلا علم، والسميع بلا سمع والبصير بلا عين.

ومعلوم من مذهب السلف أن أسماء الله في دلالتها على الصفات لا تشبه أسماء المخلوقين في دلالتها، فقد يسمى الإنسان سعيدا وهو حزين، أما رب العزة والجلال فهو الغني الذي اتصف بالغنى دون الفقر، وهو القوي الذي اتصف بالقوة لا الضعف، وهو السميع الذي اتصف بالسمع تعالى الله عن ضدها، وهكذا في سائر الأسماء والصفات، ولهذا كانت أسماؤه حسنى وعظمى، ولا تكون حسنى وعظمى بغير ذلك، ومن ثم فإن دلالة الاسم على الوصف شرط من شروط الإحصاء .

• مثال ما لم يتحقق فيه دلالة الاسم على الوصف.

أما مثال ما لم يتحقق فيه دلالة الاسم على الوصف من الأسماء الجامدة ما ورد في عند البخاري من حديث أَبِي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (قَالَ اللهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلبُ الليْل وَالنَّهَارَ) [١] .

---

(١) رواه البخاري في التفسير، باب: وما يهلكنا إلا الدهر ٤/١٨٢٥ (٤٥٤٩)، ومسلم في الألفاظ من الأدب، باب النهى عن سب الدهر ٤/١٧٦٢ (٢٢٤٦).

اسم الدهر ذكره ابن حزم في الأسماء استنادا لهذا الحديث[١]. والأمر ليس كذلك؛ والسبب في ذلك أن الدهر اسم جامد لا يتضمن وصفا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه.

قال ابن حجر العسقلاني: (وقال عياض: زعم بعض من لا تحقيق له أن الدهر من أسماء الله وهو غلط؛ فإن الدهر مدة زمان الدنيا، وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله في الدنيا، أو فعله لما قبل الموت، وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث واحتجوا به على من لا رسوخ له في العلم، لأن الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ولا شيء عندهم ولا صانع سواه، وكفى في الرد عليهم قوله في بقية الحديث: أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فكيف يقلب الشيء نفسه ! تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا) [٢].

ويلحق بذلك أيضا الحروف المقطعة في أوائل السور والتي اعتبرها البعض من أسماء الله ﷻ، حيث قيل: هي اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها، وقيل: هي أسماء لله أقسم بها، وقال آخرون: الم، الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد ﷺ .

وقيل أيضا: الألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد، وقيل أيضا: الم تعني أنا الله أعلم، والر أنا الله

(١) المحلى لابن حزم ٨/٣١، والفصل في الملل والنحل ٢/١١٢.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٠/ ٥٦٦.

أرى، والمص أنا الله أفصل فالألف تؤدي عن معنى أنا، واللام تؤدي عن اسم الله، والميم تؤدي عن معنى أعلم. وهذه كلها آراء اجتهادية ليست مبنية على حديت ثابت مرفوع [(١)] .

والأعجب من ذلك قول العكبري: (هذه الحروف المقطعة كل واحد منها اسم، فألف اسم يعبر به عن مثل الحرف الذي في قال، ولام يعبر بها عن الحرف الأخير من قال، وكذلك ما أشبهها، والدليل على أنها أسماء أن كلا منها يدل على معنى في نفسه، وهي مبنية، لأنك لا تريد أن تخبر عنها بشيء، وإنما يحكى بها ألفاظ الحروف التي جعلت أسماء لها، فهي كالأصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب) [(٢)] .

وقد ذكر القاضي أبو بكر بن العربي بطلان مثل هذا الكلام فقال: (ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور) [(٣)] .

وقال الإمام السيوطي: (وقد تحصل لي فيها عشرون قولا وأزيد، ولا أعرف أحدا يحكم عليها بعلم، ولا يصل منها إلى فهم، والذي أقوله إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولا متداولا بينهم

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١/١٥٥ نشر دار الشعب، القاهرة، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٧٢ نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ١/١٤، نشر مطبعة الحلبي.

(٣) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٢٦.

لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي ﷺ، بل تلي عليهم حم فصلت وص وغيرهما فلم ينكروا ذلك، بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوفهم إلى عثرة وغيرها وحرصهم على زلة؛ فدل على أنه كان أمرا معروفا بينهم لا إنكار فيه) [١] .

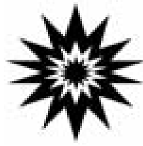
ولا يعني القول باشتراط دلالة الاسم على الوصف جواز اشتقاق الأسماء من صفات الذات والأفعال من جهة التكليف ومخالفة التوقيف؛ لأن الاشتقاق ليس من حق أحد إلا رب العزة والجلال، والمرجعية في ذلك إلى النص الشرعي دون القياس العقلي أو التلاقي في التولد اللغوي .

وقد تقدم أن من قال من أهل العلم بأن أسماء الله مشتقة من الصفات والأفعال ليس مراده سوى أنها تلاقي مصادرها اللغوية في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها وصادرة عنها صدور الفرع عن أصله، وأن تسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر؛ وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة، فالاشتقاق هنا ليس اشتقاقا ماديا أو تشبيها يحكم فيه على أسماء الخالق بما يحكم أسماء المخلوقين، وإنما هو اشتقاق لغوي متلازم بين الاسم والفعل والوصف؛ ولا محذور في القول باشتقاق أسماء الله الحسنى على هذا المعنى، مع التنبيه على أن حق التسمية

---

(١) السابق ٢/٢٦ .

تكون المرجعية فيه إلى تسمية الله لنفسه أو تسمية نبيه ﷺ، وأن الأسماء الحسنى أزلية أولية بأولية الذات [1] .

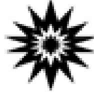


(١) انظر بتصرف شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم ١٢/١ .

المطلب الثامن والعشرون

من ضوابط الإحصاء

دلالة الوصف على الكمال المطلق



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد دارت محاور المطلب السابق حول الدليل على أنه يلزم لإحصاء الأسماء أن يرد الاسم في سياق النص مطلقا، يفيد المدح والثناء على الله بنفسه دون إضافة مُقَيِّدة أو قرينة ظاهرة، وعلمنا أن اقتران الأسماء بالعلو المطلق والفوقية لا ينافي الإطلاق؛ لأن معاني العلو جميعها هي في حد ذاتها إطلاق؛ فالعلو يزيد الإطلاق كمالا على كمال وجلالا فوق الجلال.

وكذلك علمنا أن شرط الإطلاق لا ينفي التقيد العقلي بالممكنات، وضربنا أمثلة للأسماء المقيدة التي لم ينطبق عليها شرط الإطلاق، وبينا أن جميع من تتبعوا إحصاء الأسماء الحسنى التزم بشرط الإطلاق، وإن لم يلتزم تطبيقه على جميع الأسماء التي جمعها.

ثم تحدثنا عن أنواع التقييد في الأسماء الوارد في الكتاب والسنة، والدليل على أنه يلزم لإحصاء الأسماء دلالتها على الوصف، ثم ضربنا

أمثلة لما لم يتحقق فيه دلالة الاسم على الوصف.

وفي هذا المطلب بإذن الله نتناول الحديث عن آخر الضوابط اللازمة لإحصاء أسماء الله الحسنى، وهو دلالة الوصف الذي تضمنه الاسم على الكمال المطلق، ثم بيان الأسماء المطلقة والمقيدة التي انطبقت عليها ضوابط الإحصاء، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **يلزم لإحصاء الأسماء دلالة الوصف على الكمال المطلق.**

يلزم لإحصاء الأسماء الحسنى دلالة الوصف الذي دل عليه الاسم على الكمال المطلق، وأن يكون الوصف في غاية الجمال والكمال، فلا يكون المعنى عند تجرد الوصف عن الإضافة إلى الخالق أو إلى المخلوق منقسما إلى كمال أو نقص، أو يحتمل شيئا يحد من إطلاق الكمال والحسن.

وهذا الشرط مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠. أي البالغة مطلق الكمال في الحسن التي لا تحمل أي معنى من معاني النقص. وكذلك قول الله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ الرحمن:٧٨.

ووجه الاستدلال أن اسم الله جل شأنه تنزه وتمجد وتعظم وتقدس عن كل معاني النقص، لأنه دل على وصف تنزه وتمجد وتعظم وتقدس عن كل معاني النقص، ولأن الاسم والصفة دلا معا على مسمى وموصوف تنزه وتمجد وتعظم وتقدس عن كل معاني النقص،

فهو سبحانه وتعالى له مطلق الحسن والجلال، وكل معاني الكمال والجمال [(١)].

والله ﷻ لا يتصف إلا بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة، والسمع والبصر والرحمة، والعزة والحكمة والعظمة، وغير ذلك من أوصاف الكمال.

أما ضد ذلك من أوصاف النقص كالموت والعجز والظلم، والغفلة والسنة والنوم، فالله ﷻ منزه عنها وعن كل وصف لا يليق بجلاله مما وصفه به الواصفون فقال سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠.

أما إذا كان الوصف عند تجرده عن الإضافة إلى الخالق أو المخلوق في موضع احتمال، فكان كمالا في حال ونقصا في حال، فلا يصح إطلاقه على الله ﷻدون تقييد، وكذلك لا يصح إطلاق الاسم الذي تضمنه على الله ﷻ دون تقييد.

وينبغي على المسلم ألا يثبته لله إثباتا مطلقا، ولا ينفيه عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من البيان والتفصيل، والتقيد بما ورد في التنزيل، وهذا منهج السلف في الألفاظ التي تحتمل وجهين عند التجرد عن الإضافة إلى الخالق أو المخلوق، كالمكر والخداع والنسيان، والاستهزاء والكيد

---

(١) انظر هذا المعنى في زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/٢١٤، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ، وروح المعاني للألوسي ١٨/٢٣٠.

والخذلان، وغير ذلك من الأوصاف عند التجرد كالإبرام والتردد والصحبة والاستخلاف [(١)].

• هل يصح تسمية الله الماكر مع ورودها بصيغة الاسم؟

المكر عن التجرد هو التدبير في الخفاء بقصد الإساءة أو الابتلاء، أو المعاقبة والجزاء، وقد يكون قبيحا مذموما إذا كان بالسوء في الابتداء، وقد يكون محمودا ممدوحا بقصد الابتلاء أو الجزاء.

ولهذا لا يصح إطلاق الماكر اسما أو وصفا في حق الله ﷻ دون تخصيص بموضع الكمال؛ لأن الإطلاق فيه احتمال اتصافه بالنقص أو الكمال، وقد نسب الله ﷻ المكر إلى نفسه مقيدا بالخيرية والكمال في مقابل مكر الكافرين للنبيين بالسوء والنقص، فقال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ آل عمران:٥٤.

وقال مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال:٣٠.

وفي مثل هذه المواضع لا يحتمل التقييد إلا الكمال، فجاز أن يتصف به رب العزة والجلال، وما يقال في المكر يقال أيضا في الاستهزاء؛

---

(١) انظر هذا المعنى في المواضع الآتية: الحقيقة والمجاز لابن تيمية ٢٠ /٤٧١، وانظر له أيضا الرسالة التدمرية ص ١٤، والمحلى لابن حزم ٣٤/١، وإعلام الموقعين لابن القيم ٢١٨/٣، وحز الغلاصم في إفحام المخاصم لابن حيدرة ٣٩/٢.

فالاستهزاء على إطلاق الوصف عند التجرد يكون كمالا في موضع ونقصا في آخر؛ فلا يصح إطلاقه في حق الله ﷻ دون تقييد، كقول القائل: "الله مستهزئ"، فهذا باطل، ولكن يصح القول بأن الله ﷻ يستهزئ بالمنافقين في مقابل استهزائهم بالمؤمنين، فالاستهزاء في موضع النقص هو شأن المنافقين، والاستهزاء في موضع الكمال هو ما ورد في قول رب العزة والجلال: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ البقرة:١٤/١٥.

وكذلك الخداع والسخرية والكيد، فإن ذلك يكون كمالا في موضع ونقصا في آخر، فلا يتصف به إلا في موضع الكمال كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء:١٤٢.

وقال تعالى في السخرية بالمنافقين في مقابل سخريتهم بالمتصدقين من فقراء المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة:٧٩.

وقال في الكيد بالكافرين في مقابل كيدهم بالمؤمنين: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ الطارق:١٥/١٦.

وكذلك أيضا ما ورد في السنة عن صفة التردد، فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا إلى النبي ﷺ عن قول الله ﷻ: (وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءتَهُ) [1].

وصف التردد عند الإطلاق قد يكون كمالا في موضع ونقصا في آخر، فلو كان التردد عن جهل وقلة علم وعدم إحكام للأمر، كان نقصا وعيبا، وإن كان التردد لإظهار الفضل والمحبة في مقابل إنفاذ الأمر وتحقيق الحكمة كان كمالا ولطفا وعظمة، وهو المقصود في الحديث.

وبعض المتكلمين جعل نسبة الصفات المنقسمة عند التجرد أمورا مجازية، وزعم أنها أطلقت على الله ﷻ من باب المشاكلة الصورية المجازية في الكلمات اللفظية، دون إثبات الصفات الحقيقية في موضع الكمال على مراد الله ورسوله ﷺ، وهذا تأويل بلا دليل.

وقد ذكر الألوسي ما زعمه بعضهم من أنه لا يطلق المكر على الله تعالى إلا بطريق المشاكلة لأنه منزه عن معناه، وغير محتاج إلى حيلة، فلا يقال ابتداء: مكر الله سبحانه، وبين أن من خالفوهم جوزوا الإطلاق بلا مشاكلة مستدلين بقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الأعراف:٩٩. ثم قال: (والأولى القول بصحة

---

(١) البخاري في الرقاق، باب التواضع ٥/٢٣٨٤ (٦١٣٧).

الإطلاق عليه سبحانه ابتداء بالمعنى اللائق بجلاله) [١].

وقد بينا أنه لا يصح إطلاق الماكر اسما أو وصفا في حق الله ﷻ دون تخصيص بموضع الكمال؛ لأن الإطلاق فيه احتمال اتصافه بالنقص، وعلى ذلك ليس من أسماء الله الحسنى الماكر أو الخادع أو الفاعل أو الكاتب فيما ثبت بصيغة الاسم، وأغلب هذه الأسماء لم يرد إلا مقيدا، ولو ورد اسم منها في نص يتوهم منه الإطلاق، فلا بد من تقييده بموضع الكمال، ولذلك كان هذا الضابط شرطا في إحصاء أسماء الله الحسنى.

- **هل يصح في اسم الله الطبيب الإطلاق أو التقييد؟**

اسم الطبيب لا بد أن يذكر مقيدا بموضع الكمال، لأن أصل المعنى عند التجرد ينقسم إلى كمال ونقص، فقد يكون معناه تدبير أسباب الشفاء إن كان الأصل طبَّب، وقد يكون بمعنى السحر والإمراض والبلاء إن كان الأصل طبَّ، فمادتها المجردة عامة مشتركة.

قال ابن منظور الأفريقي: (والطِّبُّ والطُّبُّ السِّحْر.. وقد طُبَّ الرجل، والمَطْبوبُ المَسْحُورُ) [٢].

ومن المعاني الدالة على موضع الكمال ما ورد عند أبي داود وصححه الألباني من حديث أبي رمثة ﷺ أنه قال: (فَقَالَ لهُ أَبِى: أرني

(١) تفسير روح المعاني للألوسي ٣/ ١٧٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور الأفريقي ١/٥٥٤.

هَذا الذي بِظَهْرِكَ فإني رَجُل طَبِيبٌ؟ قَال ﷺ: اللهُ الطَّبِيبُ، بَل أَنْتَ رَجُل رَفِيقٌ، طَبِيبُهَا الذي خَلقَهَا) [١].

والاسم هنا لا بد أن يحمل على موضع الكمال مقيدا بالقرينة المنصوص عليها في الحديث وهو قوله ﷺ: طبيبها الذي خلقها، لأن الرجل لما رأى خاتم النبوة في كتف النبي ﷺ ظنه جرح أو خُراج، فأراد أن يزيله حبا في رسول الله ﷺ وإظهارا لمهارته في الطب.

وقد كان أغلب الصحابة ﷺ يعلمون أنه ليس جرحا، ولكنه خاتم النبوة، فلم يتفطن الرجل لذلك وتعجل، فقال للنبي ﷺ ما قال، ولم يرد النبي ﷺ من شدة حيائه وكرم أخلاقه أن يسبب له حرجا، وأن يبين له أنه ليس مرضا، ولكنه خاتم النبوة، وهذا أمر يكون في سائر الأنبياء، فقال له: طبيبها الذي خلقها، أو يداويها الذي خلقها. ومعنى كلام النبي ﷺ: إن كان فيها داء كما تظن فالله ﷻ طبيب ما أصابني[٢].

ومن ثم فإن الاسم هنا مقيد وليس مطلقا، والدليل على ذلك أيضا تتبع ما ورد في الروايات الأخرى؛ ففي المسند عند أحمد ورجاله ثقات أنه قال: (فَقُلتُ لهُ: يَا نَبِيَ اللهِ، إِنِّي رَجُل طَبِيبٌ، مِنْ أَهْل بَيْتٍ أَطِبَّاءَ، فَأَرِنِي ظَهْرَكَ، فَإِنْ تَكُنْ سَلعَةٌ أَبُطُّهَا، وَإِنْ تَكُنْ غَيْرَ ذلكَ أَخبَرْتُك؛ فَإِنَّهُ

(١) رواه أبو داود في الترجل، باب في الخضاب ٤/٨٦ (٤٢٠٧)، وأحمد في المسند ٢/٢٢٦ (٧١٠٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٣٧).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ١١/١٧٥.

ليْسَ مِنْ إِنْسَانٍ أَعْلَمَ بِجُرْحٍ أَوْ خُرَاجٍ مِنِّى، قَال: طَبِيبُهَا اللهُ) [(١)].

وفي رواية أخرى قال: (قَدِمْتُ المَدِينَةَ وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ رَسُول اللهِ ﷺ فَخرَجَ وَعَليْهِ ثوْبَان أَخْضَرَان فَقُلتُ لابْنِى: هَذا وَاللهِ رَسُول اللهِ ﷺ، فَجَعَل ابْنِي يَرْتَعِدُ هَيْبَةً لرَسُول اللهِ ﷺ فَقُلتُ: يَا رَسُول اللهِ، إِنِّي رَجُل طَبِيبٌ، وَإِنَّ أَبِي كَانَ طَبِيباً، وَإِنَّا أَهْل بَيْتِ طِبٍّ، وَاللهِ مَا يَخْفَى عَليْنَا مِنَ الجَسَدِ عِرْقٌ وَلاَ عَظْمٌ؛ فَأَرِنِي هَذهِ التِي عَلى كَتِفِك، فَإِنْ كَانَتْ سَلعَةً قَطَعْتُهَا، ثمَّ دَاوَيْتُهَا، قَال: لاَ، طَبِيبُهَا اللهُ) [(٢)].

وورد عند الطبراني أنه قال: (فَنَظَرْتُ فَإذا في نُغْضِ كَتِفِهِ مِثل بَعْرَةِ البَعِيرِ أَوْ بَيْضَةِ الحَمَامَةِ، فَقُلتُ: أَلاَ أُدَاوِيك مِنْهَا يَا رَسُول اللهِ؟ فَإِنَّا أَهْل بَيْتٍ نُطَبِّبُ فَقَال: يُدَاوِيهَا الذي وَضَعَهَا) [(٣)].

وروى الطبراني أيضا وأحمد في المسند اللفظ له: (خَرَجْتُ مَعَ أَبِى حَتَّى أَتَيْتُ رَسُول اللهِ ﷺ فَرَأَيْتُ بِرَأْسِهِ رَدْعَ حِنَّاءٍ، وَرَأَيْتُ عَلى كَتِفِهِ مِثل التُّفَّاحَةِ، قَال أَبِى: إِنِّي طَبِيبٌ أَلاَ أَبُطُّهَا لكَ؟ قَال: طَبِيبُهَا الذي خَلقَهَا) [(٤)].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٢٧ (٧١١١).

(٢) السابق ٢/٢٢٨ (٧١١٨).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/٢٨٠ (٧١٨)، وأحمد في المسند ٤/١٦٣ (١٧٥٢٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) السابق ٢٢/ ٢٨٠ (٧١٨)، ومسند الإمام أحمد ٤/١٦٣.

أما الرواية التي وردت عن مجاهد وفيها: (الطَّبِيبُ اللهُ، ولعَلكَ ترْفقُ بأشيَاء تخرق بهَا غيْرك)، فهي رواية مرسلة عن مجاهد، وقد ضعفها الشيخ الألباني [(١)].

ومن المعاني الدالة على موضع النقص، ما ورد من الطب بمعنى السحر والإمراض فيما رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّل إِليْهِ أَنَّهُ يَفْعَل الشَّيءَ وَمَا يَفْعَلهُ حَتَّى كَانَ ذاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثمَّ قَال: أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي أَتَانِي رَجُلاَن، فقعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلي، فَقَال أَحَدُهُمَا للآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُل؟ قَال: مَطْبُوبٌ. قَال: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَال: لبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَال: فِي مَاذا؟ قَال: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلَعَةٍ ذكَرٍ، قَال: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَال: فِي بِئْرِ ذرْوَانَ، فَخَرَجَ إِليْهَا النَّبِي ﷺ ثمَّ رَجَعَ، فَقَال لعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: نَخْلهَا كَأَنَّهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، فَقُلتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فقَال: لاَ، أَمَّا أَنَا فقدْ شَفَانِي اللهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذلكَ عَلى النَّاسِ شَرًّا، ثمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ) [(٢)].

وعلى ذلك فإن الطبيب معناه عند التجرد منقسم إلى كمال ونقص، ولا يذكر في حق الله ﷻ إلا مقيدا بموضع الكمال فقط، بخلاف الشافي فإن معناه مطلق في الكمال، ولذلك لم يقل النبي ﷺ في الحديث: أما أنا فقد طببني الله، ولكنه قال: أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ.

---

(١) ضعيف الجامع (٣٦٥٦).

(٢) البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣/١١٩٢ (٣٠٩٥).

وقال المناوي: (وليس الطبيب بموجود في أسماء الله تعالى، فإن قيل يجوز إطلاقه عليه تعالى فيقال: يا طبيب عملا بهذا الخبر، قلنا: لا، لأنه حديث ضعيف، وقد شرطوا لجواز الإطلاق صحة الحديث كما مر، وبفرض صحته فهو ممنوع لأنه وقع، كما قال الطيبي مقابلا لقوله: أنا طبيب مشاكلة وطباقا للجواب على السؤال) (١).

- **هل يصح إطلاق اسم الصاحب والخليفة على الله؟**

لا يصح إطلاق الصاحب أو الخليفة إلا مقيدين بموضع الكمال، كما أن النبي ﷺ لم يذكرهما إلا مقيدين، فعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللهِ ﷺ قال في دعاء السفر: (اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ) (٢).

لابد أولا أن نتقيد بالنص التوقيفي في ذكر الاسم، فما أطلقه رسول الله ﷺ أطلقناه، وما قيده قيدناه، فلا يصح إطلاق الصاحب أو الخليفة بعد أن ذكرهما النبي ﷺ مقيدين، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن الصحبة عند التجرد عن الإضافة تكون في الخير والشر كما قال تعالى عن الصحبة التي في الخير: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ النجم:٢. وقال الله تعالى عن صحبة الشر: ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾ القمر:٢٩.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ٤/٢٨٩.

(٢) مسلم في الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج ٢/٩٧٨ (١٣٤٢).

والخلافة أيضا عند التجرد عن الإضافة تعني النيابة عن الغير، وتكون عن نقص، أو عن كمال، فلا يمكن أن يحمل كلام النبي ﷺ إلا على الوجه الأخير.

قال الراغب الأصفهاني: (والخلافة النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض) [١].

ولذلك أيضا لا يصح القول بأن الإنسان خليفة عن الله ﷻ في أرضه إلا على التقييد بموضع الكمال، لأن استخلاف الإنسان بالمعنى الذي ورد في القرآن والسنة له عند التحقيق معنيان:

الأول: استخلاف عن نقص الأوصاف بحكم طبيعة الإنسان، ويكون عند عجز المستخلف عن القيام بملكه أو تدبير أمره، إما لغيابه أو قلة علمه، وإما لمرضه أو موته كاستخلاف القائد نائبا على جنده أو قومه، كما ورد ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ الأعراف:١٤٢.

وكما ورد عند البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى تَبُوكَ وَاسْتَخْلفَ عَليًّا، فَقَال: أَتُخَلفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَال: أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلةِ هَارُونَ مِنْ

---

(١) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٥٦.

مُوسَى إِلا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي؟ (١).

ومن ذلك أيضا استخلاف ولي الأمر نائبا عنه قبل موته، كما ورد عند البخاري من حديث ابن عمر ﷺ أنه قال: (حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ وقَالوا: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَال: رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ، قَالوا: اسْتَخْلفْ، فَقال: أَتَحَمَّل أَمْرَكُمْ حَيّا وَمَيِّتًا لوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الكَفَافُ لا عَليَّ وَلا لي، فَإِنْ أَسْتخلفْ فَقَدِ اسْتَخْلفَ منْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُول اللهِ ﷺ، قَال عَبْدُ اللهِ: فَعرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذكَرَ رَسُول اللهِ ﷺ غَيْرُ مُسْتَخْلفٍ) (٢).

الثاني: استخلاف عن كمال الأوصاف، وذلك إذا كان لتشريف الإنسان وإكرامه أو اختباره وامتحانه، وليس لعجز المستخلف عن القيام بشؤونه، كالطبيب في سنة الامتياز عندما يفحص مريضا حال مراقبة الأستاذ، فمثل هذا إن اجتاز الامتحان فقد فاز ونال الشرف بشهادة عظيمة، وإن لم يؤد الواجب على الوجه المطلوب استحق العقوبة والرسوب حتى يتمكن من النجاح عند الإعادة، وإن تكرر منه الفشل والنسيان استحق المنع والحرمان من أي شرف أو فضل.

ولله ﷻ المثل الأعلى ويجوز في حقه قياس الأولى يصح القول إن

---

(١) رواه البخاري في المغازي، باب غزوة تبوك ٤/١٦٠٢ (٤١٥٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل على بن أبى طالب ٤/١٨٧٠ (٢٤٠٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب الاستخلاف ٦/٢٦٣٨ (٦٧٩٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه ٣/١٤٥٤ (١٨٢٣).

الإنسان خليفة عن الله ﷻ في الأرض على وجه الابتلاء والامتحان لأن هذا الوجه كله مقيد بالكمال الذي لا نقص فيه ولا عجز.

وما يقال في اسم الخليفة يقال أيضا في اسم المستخلف كاسم مقيد بموضع الكمال، وقد ورد بنصه في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلفُكُمْ فِيهَا؛ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (١).

قال ابن القيم: (لفظ الخداع ينقسم إلى محمود ومذموم؛ فإن كان بحق فهو محمود، وإن كان بباطل فهو مذموم) (٢).

وذكر أيضا مما يدخل تحت هذه النوعية المكر فإنه ينقسم إلى محمود ومذموم، وحقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده، فمن المحمود، مكره تعالى بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم، وجزاء لهم بجنس عملهم، وكذلك الكيد ينقسم إلى نوعين (٣).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ٤/٢٠٩٨ (٢٧٤٢).

(٢) انظر إغاثة اللهفان ١/٣٨٦، وانظر أيضا في هذا المعنى المحلي لابن حزم ١/٣٤، والموافقات للشاطبي ٢/١٥٠، رسالة في الحقيقة والمجاز ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٠/٤٧١، كتاب الإيمان الكبير ضمن المرجع السابق ٧/١١١، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٣/٢١٨، والقواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسني للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٢٧:٢٩.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ١/٤٨٦.

• رأي ابن القيم في الأسماء ودلالتها على وصف الكمال المطلق.

ذكر ابن القيم رحمه الله أنه ينبغي مراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات، والوقوف معها وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقا لمعنى أسمائه وصفاته، وحينئذ فيطلق المعنى لمطابقته له دون اللفظ، ولاسيما إذا كان مجملا أو منقسما إلى ما يمدح به وغيره؛ فإنه لا يجوز إطلاقه إلا مقيدا.

ثم ضرب مثلا للأسماء المنقسمة عند التجرد كلفظ الفاعل والصانع فقال: (فإن اسم الفاعل والصانع منقسم المعنى إلى ما يمدح عليه ويذم، ولهذا المعنى والله أعلم لم يجيء في الأسماء الحسنى المريد كما جاء فيها السميع البصير، ولا المتكلم ولا الآمر الناهي لانقسام مسمى هذه الأسماء، بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها) [(١)].

ثم نبه على خطأ بعض المتأخرين وزلقه الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسما مطلقا، فأدخله في أسمائه الحسنى؛ فاشتق له اسم الماكر والخادع والفاتن والمضل والكاتب ونحوها من قوله: ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ الأنفال: ٣٠.

ومن قوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ النساء: ١٤٢. وقوله ﷻ: ﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ طه: ١٣١. ومن قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ الرعد: ٢٧. وقوله ﷻ:

---

(١) السابق ١/ ٣٨٧.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ المجادلة: ٢١ [(١)].

ويقصد ابن القيم أن الأسماء توقيفية على النص، ولا نسمي الله إلا بما سمى به نفسه، أو سماه رسوله ﷺ، ولا نعمد إلى الأفعال لنشتق منها ما نشاء من الأسماء، ولا نطلق اسما منقسما إلى ما يمدح به وغيره، فلا يجوز إطلاقها إلا مقيدة كما قيدها الله ﷻ فاسم الماكر والخادع والكاتب وردت أسماء مقيدة، لا يصح ذكرها إلا مقيدة بمواضع كمالاتها، واسم الفاتن والمضل لا يجوز تسمية الله بهما لأنهما وردا فعلين مقيدين في القرآن لا يصح الاشتقاق منهما.

وقد بين ابن القيم ضرورة الالتزام بالتوقيف، والتقيد بما ورد عن الله من إطلاق ما أطلقه، وتقيد ما قيده في أسمائه وصفاته وأفعاله، وذلك من خلال رده على من المخالفين لهذا المنهج السلفي، فذكر في ذلك عدة وجوه:

الأول: أنه ﷻ لم يطلق على نفسه هذه الأسماء فإطلاقها عليه لا يجوز. وهذا يعني عنده بلا نقاش الالتزام بالنص التوقيفي الذي سمى الله نفسه به ، أو سماه به رسوله ﷺ.

الثاني: أنه سبحانه أخبر عن نفسه بأفعال مختصة مقيدة، فلا يجوز أن ينسب إليه مسمى الاسم عند الإطلاق. وهذا يعني عنده ألا نعمد إلى الأفعال لنشتق منها ما نشاء من الأسماء، فالأفعال

(١) انظر طريق الهجرتين ١/ ٤٨٦، ١/٤٨٧.

عنده مختصة مقيدة بمفعولات معينة يظهر من خلالها الكمال والجمال، أما عند الاجتهاد العقلي في اشتقاق الشخص لربه أسماء يجعلها مطلقة في حقه استنادا إلى تلك الأفعال المقيدة فلا بد أن يتطرق إليها احتمال النقص.

الثالث: أن مسمى هذه الأسماء منقسم إلى ما يمدح عليه المسمى به وإلى ما يذم، فيحسن في موضع، ويقبح في موضع، فيمتنع إطلاقه عليه سبحانه من غير تفصيل. وهو بذلك يشير إلى أنه يلزم لإحصاء الأسماء الحسنى دلالة الاسم على الكمال المطلق وأن يكون الوصف في غاية الجمال والكمال، فلا يكون المعنى عند التجرد عن الإضافة منقسما إلى كمال أو نقص، أو يحتمل شيئا يحد من إطلاق الكمال والحسن.

الرابع: أن هذه ليست من الأسماء الحسنى التي يسمى بها سبحانه كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف:١٨٠. وهي التي يحب سبحانه أن يثنى عليه ويحمد بها دون غيرها. وهو يعني بذلك الأسماء المطلقة التي تفيد المدح والثناء على الله بفسها في أي موضع وردت فيه، بخلاف المقيدة بتفصيل ما سبق من أنواع التقييد.

الخامس: أن هذا القائل لو سمي بهذه الأسماء، وقيل له: هذه مدحتك وثناء عليك، فأنت الماكر الفاتن المخادع المضل اللاعن الفاعل

الصانع ونحوها لما كان يرضى بإطلاق هذه الأسماء عليه ويعدها مدحة، ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى عما يقول الجاهلون به علوا كبيرا. وهو يعني أنه إن كان الإنسان لا يرضى ألا ينادى عليه إلا باسمه، ولا يمدح إلا بوصف كمال في حقه، لاسيما في إطلاق الأسماء الموهمة المنقسمة، إذا يقبل أن يقال في حقه أنت مكرت لأعداء الله، ولا يقبل أن يقال له أنت ماكر على إطلاقه، فإن كان هذا حال المخلوق، فالخالق أولى بالكمال من المخلوق.

السادس: أن هذا القائل يلزمه أن يجعل من أسمائه اللاعن والجائي، والآتي، والذاهب، والتارك، والمقاتل، والصادق، والمنزل، والنازل، والمدمدم، والمدمر وأضعاف ذلك فيشتق له اسما من كل فعل أخبر به عن نفسه وإلا تناقض تناقضا بينا، ولا أحد من العقلاء طرد ذلك، فعلم بطلان قوله والحمد لله رب العالمين.

وكلام ابن القيم هذا لا يعني فقط منع الاشتقاق وتعميم المنع في هذه الأسماء، وإنما يعني أيضا منع إطلاق ما ورد مقيدا من الأسماء لأن الصادق والمنزل اسمان وردا في القرآن مقيدين، وهو لا يرى فيهما إلا التقييد بموضع الكمال [1].

(١) انظر طريق الهجرتين لابن القيم ١/ ٤٨٦، ١/٤٨٧، وانظر له أيضا بدائع الفوائد ١/١٦٩، وإعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/٢١٨.

- تتبع أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة.

كل من التزم ضوابط إحصاء الأسماء الحسنى التي تقدمت وهي: ثبوت النص بعلمية الاسم، وأن يكون مطلقا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه، والتزم دلالة الاسم على الوصف، ودلالة الوصف الذي تضمنه الاسم على الكمال المطلق، ثم تتبع من خلالها أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، فسوف يستخرج بها إن شاء الله تسعة وتسعين اسما تضاف إلى اسم الجلالة.

وكذلك كل من التزم ضوابط إحصاء الأسماء المقيدة وهي: ثبوت النص بعلمية الاسم، وأن يكون مقيدا يفيد المدح والثناء على الله بغيره، والتزم دلالة الاسم المقيد على الوصف، ودلالة الوصف الذي تضمنه الاسم على الكمال المقيد، ثم تتبع من خلالها أسماء الله المقيدة في الكتاب والسنة، فسوف يستخرج بها إن شاء الله مائة اسم إلا واحدا تضاف إلى اسم الجلالة.

وهذه والله أعلم جملة ما ورد في الكتاب والسنة، تسعة وتسعون اسما مطلقا، ومائة إلا واحدا من الأسماء المقيدة، تصديقا لما ورد في قول المصطفي الصادق المصدوق ﷺ: " إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ".

وهي جملة من أسماء الله الكلية التي استأثر الله بها في علم الغيب عنده، تعرف بها إلى عباده في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

أما الأسماء الحسنى المطلقة التسعة والتسعون التي انطبقت عليها ضوابط الإحصاء والتي تضاف إلى الاسم الأعظم، وهو اسم الجلالة الله، فبيانها بأدلتها من القرآن وصحيح السنة كالتالي:

هو الله الذي لا إله إلا هو الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ السَّمِيعُ البَصِيرُ المَوْلَى النَّصِيرُ العَفُوُّ القَدِيرُ اللطِيفُ الخَبِيرُ الوِتْرُ الجَمِيلُ الحَيِيُّ السِّتِّيرُ الكَبِيرُ المُتَعَالُ الوَاحِدُ القَهَّارُ الحَقُّ المُبِينُ القَوِيّ المَتِينُ الحَيُّ القَيُّومُ العَلِيُّ العَظِيمُ الشَّكُورُ الحَلِيمُ الوَاسِعُ العَلِيمُ التَّوابُ الحَكِيمُ الغَنِيُّ الكَرِيمُ الأَحَدُ الصَّمَدُ القَرِيبُ المُجيبُ الغَفُورُ الوَدودُ الوَلِيُّ الحَميدُ الحَفيظُ المَجيدُ الفَتَّاحُ الشَّهيدُ المُقَدِّمُ المُؤخِّرُ المَلِيكُ المُقْتَدِرْ المُسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ القَاهِرُ الديَّانُ الشَّاكِرُ المَنانَّ القَادِرُ الخَلاَّقُ المَالِكُ الرَّزَّاقُ الوَكيلُ الرَّقيبُ المُحْسِنُ الحَسِيبُ الشَّافِي الرِّفيقُ المُعْطي المُقيتُ السَّيِّدُ الطَّيِّبُ الحَكَمُ الأَكْرَمُ البَرُّ الغَفَّارُ الرَّءوفُ الوَهَّابُ الجَوَادُ السُّبوحُ الوَارِث الرَّبُّ الأعْلى الإِلهُ الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

وتجدر الإشارة إلى أن ترتيب الأسماء على هذا النحو مسألة اجتهادية، راعينا في معظمها ترتيب اقتران الأسماء بورودها في النصوص مع تقارب الألفاظ على قدر المستطاع ليسهل حفظها بأدلتها التوقيفية، والأمر في ذلك متروك للمسلم وطريقته في حفظها، فترتيبها على هذا النحو ليس توقيفا ملزما.

• أسماء الله الحسنى بأدلتها التوقيفية القرآنية والنبوية.

١- الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، والدليل قول الله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ فصلت:٢.

٣- المَلِك القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ، والدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ الحشر:٢٣.

١١- الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ، والدليل قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الحشر:٢٤.

١٤- الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ، والدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ الحديد:٣.

١٨- السَّمِيعُ البَصِيرُ، والدليل قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١.

٢٠- المَولَى النَّصِيرُ، والدليل ما ورد في قول الله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ الحج:٧٨.

٢٢- العفو القَدِيرُ، والدليل قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ النساء:١٤٩.

٢٤- اللطيف الخَبِير، والدليل قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ الملك:١٤.

٢٦- الوِترُ، والدليل هو ما ورد في قول النبي ﷺ: " وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ" [١].

٢٧- الجَمِيلُ، والدليل هو ما ورد في قول النبي ﷺ: " إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ " [٢].

٢٨- الحَيِيُّ السِّتِّيرُ، والدليل ما ورد في قول النبي ﷺ: " إِنَّ اللهَ ﷻ حَيِىٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ " [٣].

٣٠- الكَبِيرُ المُتَعَالُ، والدليل هو قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ الرعد:٩.

٣٢- الوَاحِد القَهَّارُ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾﴾ الرعد:١٦.

٣٤- الحَقُّ المُبِينُ، والدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ النور:٢٥.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد ٥/٢٣٥٤ (٦٠٤٧)، ومسلم في كتاب الذكر، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٤/٢٠٦٢ (٢٦٧٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ١/٩٣ (٩١).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الحمام، باب النهى عن التعري ٤/٣٩ (٤٠١٢)، وصححه الألباني، انظر إرواء الغليل (٢٣٣٥)، ومشكاة المصابيح (٤٤٧).

٣٦- القَوِيُّ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ هود:٦٦.

٣٧- المَتِينُ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ الذاريات:٥٨.

٣٨- الحَيُّ القَيُّومُ، والدليل قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ البقرة:٢٥٥.

٤٠- العَلِيُّ العَظِيمُ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ البقرة:٢٥٥.

٤٢- الشَّكُور الحَلِيمُ، والدليل قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ التغابن:١٧.

٤٤- الوَاسِعُ العَلِيمُ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ البقرة:١١٥.

٤٦- التَّوابُ الحَكِيمُ، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ النور:١٠.

٤٨- الغَنِيُّ الكَريمُ، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ النمل:٤٠.

٥٠- الأَحَدُ الصَّمَدُ، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ الإخلاص:٤٠.

٥٢- القَرِيبُ المُجيبُ، والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١﴾ هود:٦١.

٥٤- الغَفُور الوَدودُ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ البروج:١٤.

٥٦- الوَلِيُّ الحَميدُ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٨﴾ الشورى:٢٨.

٥٨- الحَفيظُ، والدليل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝٢١﴾ سبأ:٢١.

٥٩- المَجيدُ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ البروج:١٥.

٦٠- الفَتَّاحُ، والدليل قول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ سبأ:٢٦.

٦١- الشَّهيدُ، والدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾ سبأ:٤٧.

٦٢- المُقَدِّمُ المُؤَخرُ، والدليل هو قول النبي ﷺ: "أَنْتَ الْمُقَدِّمُ،

وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ " (١).

٦٤- المَلِيكُ المَقْتَدِرُ، والدليل قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥ ﴾ القمر:٥٥.

٦٦- المُسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ، والدليل قول النبي ﷺ: "إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ " (٢).

٧٠- القَاهِرُ، والدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨ ﴾ الأنعام:١٨.

٧١- الديَّانُ، والدليل هو قول النبي ﷺ: "يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ" (٣).

---

(١) رواه البخاري في أبواب التهجد، باب التهجد بالليل ٣٧٧/١ (١٠٦٩).

(٢) رواه الترمذي في البيوع، باب ما جاء في التسعير ٦٠٥/٣ (١٣١٤)، وأبو داود في كتاب الإجارة، باب في التسعير ٢٧٢/٣ (٣٤٥١)، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب من كره أن يسعر ٧٤١/٢ (٢٢٠٠)، وأحمد في المسند ٢٨٦/٣ (١٤٠٨٩)، وانظر تصحيح الألباني في صحيح ابن ماجة (١٧٨٧)، وغاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (٣٢٣)، ومشكاة المصابيح (٢٨٩٤).

(٣) رواه أحمد في المسند ٤٩٥/٣ (١٦٠٨٥)، والحاكم في المستدرك ٤٧٥/٢ (٣٦٣٨)، والبخاري تعليقاً في كتاب التوحيد من صحيحه، باب قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ٢٧١٩/٦. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٣٠/٣ (٣٦٠٨).

٧٢- الشَّاكِرُ، والدليل قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ النساء:١٤٧.

٧٣- المَنَانُ، والدليل حديث أَنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا: " لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْمَنَّانُ " (١).

٧٤- القَادِرُ، والدليل هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ المرسلات:٢٣.

٧٥- الخَلاَّقُ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ الحجر:٨٦.

٧٦- المَالِكُ، والدليل هو ما ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللهُ عز وجل" (٢).

٧٧- الرَّزَّاقُ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ الذاريات:٥٨.

٧٨- الوَكيلُ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ آل عمران:١٧٣.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٥٥٠ (٣٥٤٤)، وأبو داود في الوتر، باب الدعاء ٢/٧٩ (١٤٩٥)، وأحمد في المسند ٣/١٢٠ (١٢٢٢٦)، وصححه الألباني في انظر مشكاة المصابيح (٢٢٩٠)، وصحيح سنن أبي داود (١٤٩٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك ٣/١٦٨٨ (٢١٤٣).

٧٩- الرَّقيبُ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ الأحزاب:٥٢.

٨٠- المُحْسِنُ، والدليل هو ما ورد في قول النبي ﷺ: " إن الله محسن يحب الإحسان" (١).

٨١- الحَسيبُ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ النساء:٨٦.

٨٢- الشَّافِي، والدليل هو قول النبي ﷺ: " أَذهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي " (٢).

٨٣- الرِّفيقُ، والدليل هو قول النبي ﷺ: " إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ " (٣).

٨٤- المُعْطِي، والدليل قول النبي ﷺ: " مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٧/٢٧٥ (٧١٢١)، وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب المناسك، باب سنة الذبح ٤/٤٩٢ (٨٦٠٣)، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (١٨٢٤).

(٢) رواه البخاري في المرضى، باب دعاء العائد للمريض ٥/٢١٤٧ (٥٣٥١)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض ٤/١٧٢٢ (٢١٩١).

(٣) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي بسب النبي ﷺ ولم يصرح ٦/٢٥٣٩ (٦٥٢٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق ٤/٢٠٠٣ (٢٥٩٣).

فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ " [١].

٨٥- المُقيتُ، والدليل هو قول الله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ النساء:٨٥.

٨٦- السَّيِّدُ، والدليل هو ما ورد في قول النبي ﷺ: " السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى" [٢].

٨٧- الطَّيِّبُ، والدليل هو قول النبي ﷺ: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا " [٣].

٨٨- الحَكَمُ، والدليل هو قول النبي ﷺ: " إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ " [٤].

٨٩- الأَكْرَمُ، والدليل قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ العلق:٣.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: (فأن لله خمسه وللرسول) ٣/١١٣٤ (٢٩٤٨).

(٢) رواه أبو داود في الأدب، باب في كراهية التمادح ٤/٢٥٤ (٤٨٠٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٩٠٠)، وصحيح الجامع (٣٧٠٠).

(٣) رواه مسلم في الزكاة، باب قبول الصدقة ٢/٧٠٣ (١٠١٥) .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح ٤/٢٨٩ (٤٩٥٥)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب القضاء، باب إذا حكموا رجلا ورضوا به فحكم ٣/٤٦٦ (٥٩٤٠)، والبخاري في الأدب المفرد، كتاب الأسماء، باب كنية أبي الحكم ١/٢٨٢ (٨١١)، وصححه الألباني، انظر إرواء الغليل (٢٦١٥)، ومشكاة المصابيح (٤٧٦٦).

٩٠- البَرُّ، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الطور:٢٨.

٩١- الغَفَّارُ، والدليل قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ ص:٦٦.

٩٢- الرَّءوفُ، والدليل قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ النور: ٢٠.

٩٣- الوَهَّابُ، والدليل قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ ص:٩.

٩٤- الجَوَادُ، والدليل هو قول النبي ﷺ: "إنَّ الله ﷻ جَوادٌ يحبُ الجودَ " (١).

٩٥- السُّبوحُ، والدليل هو قول النبي ﷺ: " سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ " (٢).

٩٦- الوَارِث، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحجر:٢٣.

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن ابن عباس ٥/٢٩، نشر دار الكتاب العربي بيروت، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ١/١٩ (٨) نشر مكتبة القرآن القاهرة، وابن كليب الشاشي في مسنده ١/٨٠ (٢٠) نشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، وهناد بن السري في الزهد ٢/٤٢٣ (٨٢٨) نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤٤).

(٢) مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٣ (٤٨٧).

٩٧- الرَّبُّ، والدليل قوله: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ يس:٥٨.

٩٨- الأعْلى، والدليل قوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ﴾ الأعلى:١.

٩٩- الإِلَهُ، والدليل قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ البقرة:١٦٣.

تلك هي الأسماء التي توافقت مع شروط الإحصاء، تسعة وتسعون اسما وردت بالنص الإلهي والنبوي، ثمانية وسبعون اسما في القرآن، وواحد وعشرون اسما في السنة.

- أسماء الله المقيدة بأدلتها التوقيفية من القرآن والسنة النبوية.

١- الله ﷻ أرحم الراحمين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يوسف:٩٢.

٢- الله ﷻ أحكم الحاكمين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ التين:٨.

٣- الله ﷻ آخذ بنواصي العباد، والدليل قوله: ﴿ تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ ﴾ هود:٥٦.

٤- الله ﷻ أسرع الحاسبين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الأنعام:٦٢.

٥- الله ﷻ أقرب إلينا من حبل الوريد، والدليل هو قوله: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ

﴿إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ ق:١٦.

٦ـ الله ﷻ أهل التقوى، والدليل هو قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ المدثر:٥٦.

٧ـ الله ﷻ أبقى للمؤمنين، والدليل: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾ طه:٧٣.

٨ـ الله ﷻ أحق أن نخشاه، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ الأحزاب:٣٧.

٩ـ الله ﷻ أشد بأسا وأشد تنكيلا، والدليل هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ الأنفال:١٨.

١٠ـ الله ﷻ أوْلى بعباده، والدليل قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ النساء:١٣٥.

١١ـ الله ﷻ بالغ أمره، والدليل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ الطلاق:٣.

١٢ـ الله ﷻ بديع السماوات، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ البقرة:١١٧.

١٣ـ الله ﷻ جامع الناس، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ آل عمران:٩.

١٤ـ الله ﷻ حاسب الموازين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الأنبياء:٤٧.

١٥ـ الله ﷻ حفي بإبراهيم ، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ

بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ مريم:٤٧.

١٦ـ الله ﷻ خادع المنافقين، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ النساء:١٤٢.

١٧ـ الله ﷻ خير الحافظين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ﴾ يوسف:٦٤

١٨ـ الله ﷻ خير الغافرين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأعراف:١٥٥.

١٩ـ الله ﷻ خير الفاتحين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأعراف:٨٩.

٢٠ـ الله ﷻ خير الفاصلين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنعام:٥٧.

٢١ـ الله ﷻ خير الماكرين، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ آل عمران:٥٤.

٢٢ـ الله ﷻ خير المنزلين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المؤمنون:٢٩.

٢٣ـ الله ﷻ خير الناصرين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ آل عمران:١٥٠.

٢٤ـ الله ﷻ خير مما يشركون، والدليل قول الله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النمل:٥٩.

٢٥ـ الله ﷻ جاعل الملائكة رسلا، والدليل هو قوله تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ فاطر:١.

٢٦ـ الله ﷻ ذو الجلال والإكرام، والدليل قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨ ﴾ الرحمن:٧٨.

٢٧ـ الله ﷻ ذو الطول، والدليل هو قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ غافر:٣.

٢٨ـ الله ﷻ ذو العرش، والدليل هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ ﴾ البروج:١٥.

٢٩ـ الله ﷻ ذو عقاب أليم، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝٤٣ ﴾ فصلت:٤٣.

٣٠ـ الله ﷻ ذو الفضل، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ ﴾ الجمعة:٤.

٣١ـ الله ﷻ ذو المعارج، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ المعارج:٣.

٣٢ـ الله ﷻ راد موسى عليه السلام، والدليل: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ القصص:٧.

٣٣ـ الله ﷻ رافع عيسى عليه السلام، والدليل هو قوله تعالى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ آل عمران:٥٥.

٣٤ـ الله ﷻ رفيع الدرجات، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ غافر:١٥.

٣٥- الله ﷻ زارع ما يحرثون، والدليل قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ الواقعة:٦٤.

٣٦- الله ﷻ سريع الحساب، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ إبراهيم:٥١.

٣٧- الله ﷻ شاهد لحكم المرسلين، والدليل هو قول الله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ الأنبياء:٧٨.

٣٨- الله ﷻ عالم الغيب، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الرعد:٩.

٣٩- الله ﷻ علام الغيوب، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ التوبة:٧٨.

٤٠- الله ﷻ أعلم بما يعملون، والدليل هو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ الشعراء:١٨٨.

٤١- الله ﷻ غافر الذنب، والدليل هو قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ غافر:٣.

٤٢- الله ﷻ قابل التوب، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ غافر:٣.

٤٣- الله ﷻ شديد العقاب، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنفال:٢٥.

٤٤ـ الله ﷻ عدو للكافرين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ البقرة:٩٨.

٤٥ـ الله ﷻ غالب عَلَى أَمْرِه، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ يوسف:٢١.

٤٦ـ الله ﷻ فاطر السماوات، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فاطر:١.

٤٧ـ الله ﷻ فالق الحب والنوى، والدليل هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ الأنعام:٩٥.

٤٨ـ الله ﷻ فاعل ما وعد، والدليل هو قوله تعالى: ﴿ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأنبياء:١٠٤.

٤٩ـ الله ﷻ فعال لما يريد، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج:١٦.

٥٠ـ الله ﷻ قائم على كل نفس بما كسبت، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الرعد:٣٣.

٥١ـ الله ﷻ كاف عبده، والدليل قول الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ الزمر:٣٦.

٥٢ـ الله ﷻ كاشف الضر، والدليل هو قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام:١٧.

٥٣- الله ﷻ كفيل المؤمنين، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ النحل: ٩١.

٥٤- الله ﷻ ماهد الأرض، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الذاريات: ٤٨.

٥٥- الله ﷻ مبتلي العباد، والدليل هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ المؤمنون: ٣٠.

٥٦- الله ﷻ مبرم الأمر، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ الزخرف: ٧٩.

٥٧- الله ﷻ مبدي الخفايا، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الأحزاب: ٣٧.

٥٨- الله ﷻ متم نوره، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الصف: ٨.

٥٩- الله ﷻ متوفي عباده، والدليل هو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ آل عمران: ٥٥.

٦٠- الله ﷻ محي الموتى، والدليل هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ فصلت: ٣٩.

٦١- الله ﷻ مخرج الميت، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ الأنعام: ٩٥.

٦٢- الله ﷻ مخزي الكافرين، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ التوبة:٢.

٦٣- الله ﷻ مرسل النبيين، والدليل قوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٤٥﴾ القصص:٤٥.

٦٤- الله ﷻ المستمع لعباده، والدليل قوله: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥﴾ الشعراء:١٥.

٦٥- الله ﷻ المستعان على أمورنا، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ يوسف:١٨.

٦٦- الله ﷻ مطهر أنبيائه، والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ آل عمران:٥٥.

٦٧- الله ﷻ معذب الكافرين، والدليل هو قوله تعالى: ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ الإسراء:٥٨.

٦٨- الله ﷻ ممد المؤمنين بجنوده، والدليل هو قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ الأنفال:٩.

٦٩- الله ﷻ منتقم من المجرمين، والدليل هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ السجدة:٢٢.

٧٠- الله ﷻ منذر الناس، والدليل هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ الدخان:٣.

٧١ـ الله ﷻ منشئ النار، والدليل هو قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الواقعة: ٧١/٧٢.

٧٢ـ الله ﷻ مهلك الظالمين، والدليل هو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٤.

٧٣ـ الله ﷻ موسع السماء، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الذاريات: ٤٧.

٧٤ـ الله ﷻ كاتب سعي العباد، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٤.

٧٥ـ الله ﷻ محيط بكل شيء، والدليل هو قول الله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ النساء: ١٢٦.

٧٦ـ الله ﷻ نور السماوات والأرض، والدليل قوله: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النور: ٣٥.

٧٧ـ الله ﷻ موهن كيد الكافرين، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنفال: ١٨.

٧٨ـ الله ﷻ هادي المؤمنين، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٤.

٧٩ـ الله ﷻ صادق في خبره، والدليل هو قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ

هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأنعام:١٤٦.

٨٠ـ الله ﷻ صَانِعٌ مَا شَاءَ، والدليل هو قول النبي ﷺ: " فَإِنَّ اللهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ لا مُكْرِهَ لَهُ " (١).

٨١ـ الله ﷻ طبيبنا ، والدليل قول النبي ﷺ: " اللهُ الطَّبِيبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ، طَبِيبُهَا الذي خَلَقَهَا " (٢).

٨٢ـ الله ﷻ قيم السماوات، والدليل قول النبي ﷺ: " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ " (٣).

٨٣ـ الله ﷻ قيام السماوات، والدليل قول النبي ﷺ: " وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ " (٤).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت ٢٠٦٣/٤ (٢٦٧٩).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الترجل، باب في الخضاب ٨٦/٤ (٤٢٠٧)، وأحمد في المسند ٢٢٦/٢ (٧١٠٩)، وصححه الألباني، وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٣٧)، وقد بينا بيانا مفصلا وجه التقييد لمن ظن أن الطبيب اسم مطلق، وبينا أنه مقيد بموضع الكمال في كتابنا الموسع أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة ص ٨٠:٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب التهجد بالليل ٣٧٧/١ (١٠٦٩).

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء صلاة الليل ٥٣٢/١ (٧٦٩).

٨٤ـ الله ﷻ مجري السحاب، والدليل قول النبيﷺ: " اللهمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ" (١).

٨٥ـ الله ﷻ منزل الكتاب (٢).

٨٦ـ الله ﷻ هازم الأحزاب (٣).

٨٧ـ الله ﷻ مقلب القلوب، والدليل حديث ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: "كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ لا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ" (٤).

٨٨ـ الله ﷻ مثبت القلوب، والدليل هو قول النبي ﷺ: "يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ" (٥).

٨٩ـ الله ﷻ مصرف القلوب، والدليل قول النبي ﷺ: " اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ" (٦).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ٣/١٠٨٢ (٢٨٠٤).

(٢) الحديث السابق.

(٣) الحديث السابق.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور ٦/٢٤٤٥ (٦٢٥٣).

(٥) رواه ابن ماجه في باب فيما أنكرت الجهمية ١/٧٢ (١٩٩)، وصححه الألباني، انظر صحيح ابن ماجة (١٦٥).

(٦) مسلم في القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب ٤/ ٢٠٤٥ (٢٦٥٤).

٩٠ـ الله ﷻ ناصر رسله، والدليل قول النبي ﷺ: " إِنِّي رَسُول اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي " (١).

٩١ـ الله ﷻ الصاحب في السفرِ، والدليل هو ما ورد في قول النبي ﷺ: "اللهُم أنتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ في الأَهْلِ" (٢).

٩٢ـ الله ﷻ الخليفة في الأهل (٣).

٩٣ـ الله ﷻ أجل من آلهة المشركين، والدليل هو قول النبي ﷺ لأصحابه: " قُولُوا اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ " ردا على قول المشركين يوم أحد: أُعْلُ هُبَل (٤).

٩٤ـ الله ﷻ أغير على حرماته، والدليل هو قول النبي ﷺ عن سعد بن عبادة ﵁: " لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي" (٥).

٩٥ـ الله ﷻ أصبر على عصيان عباده، والدليل هو ما ورد في قول النبي ﷺ: " لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط،، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٢/٩٧٤ (٢٥٨١).

(٢) مسلم في الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر ٢/٩٧٨ (١٣٤٢).

(٣) الحديث السابق.

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ٣/١١٠٥ (٢٨٧٤).

(٥) رواه البخاري في كتاب المحاربين، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله ٦/٢٥١١ (٦٤٥٤)، ومسلم في كتاب اللعان ٢/١١٣٥ (١٤٩٨).

لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ " (١).

٩٦ـ الله ﷻ أكبر مما سواه، والدليل قول النبي ﷺ: " اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ" (٢).

٩٧ـ الله ﷻ مذهب الباس، والدليل قول النبيﷺ: " اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذهِبَ الْبَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي" (٣).

٩٨ـ الله ﷻ أغنى الشركاء عن الشرك، والدليل هو ما ورد في قول النبيﷺ: " قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " (٤).

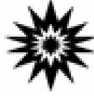
٩٩ـ الله ﷻ خَصْمُ من أعطى به ثم غدر، والدليل هو قول النبي ﷺ: "ثلاثةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ " (٥).

---

(١) البخاري في كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى ٥/٢٢٦٢ (٥٧٤٨).
(٢) البخاري في الأذان، باب ما يذكر في الفخذ ١/١٤٥ (٣٦٤).
(٣) رواه البخاري في المرضى، باب دعاء العائد للمريض ٥/٢١٤٧ (٥٣٥١)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض ٤/١٧٢٢ (٢١٩١).
(٤) مسلم في الرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله ٤/ ٢٢٨٩ (٢٩٨٥).
(٥) أخرجه البخاري في البيوع، باب إثم من باع حرا ٣/٧٧٦ (٢١١٤).

المطلب التاسع والعشرون

شرح أسماء الله الحسنى التوقيفية ودعاء الله بها دعاء مسألة وعبادة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد دارت محاور المطلب السابق حول الضابط الأخير لإحصاء الأسماء الحسنى وبينا أنه يلزم لإحصاء الأسماء دلالة الوصف الذي دل عليه الاسم على الكمال المطلق، وألا يكون الوصف عند تجرده عن الإضافة إلى الخالق أو المخلوق منقسما إلى كمال أو نقص، أو يحتمل شيئا يحد من إطلاق الكمال والحسن.

وعلمنا أنه لا يصح تسمية الله الماكر أو الخادع على إطلاق الاسم دون تقييد وكذلك لا يصح الإطلاق في اسم الطبيب ولا الصاحب ولا الخليفة. ثم بينا رأي ابن القيم في الأسماء الحسنى وأنها توقيفية على النص، وأنه لا يصح أن نسمي الله إلا بما سمى به نفسه، أو سماه رسوله ﷺ، وأنه لا يجوز أن نعمد إلى الأفعال لنشتق منها ما نشاء من الأسماء، ولا يصح أن نطلق اسما منقسما إلى ما يمدح به وغيره.

ثم تناول الحديث تتبع أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة

سواء المطلقة أو المقيدة. وذكرنا الأسماء الحسنى التسعة والتسعين بأدلتها التوقيفية مجملة. وكذلك أسماء الله المقيدة المائة إلا واحدا بأدلتها التوقيفية من القرآن والسنة النبوية.

وفي هذا المطلب بإذن الله نتناول شرح أسماء الله الحسنى التوقيفية شرحا مختصرا مع كيفية الدعاء بها دعاء مسألة ودعاء عبادة، وهي مرتبة على النحو التالي: الرَّحْمَنُ الرَّحِيم المَلِكُ القدُّوسُ السَّلامُ المؤمِنُ المهَيمنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المتكَبِّرُ الخَالِقُ البَارِئُ المصَوِّرُ الأوَّلُ الآخِرُ الظاهِرُ البَاطِنُ السَّمِيعُ البَصِيرُ المَولَى النصِيرُ العَفُوُّ القَدِيرُ اللطِيفُ الخَبيرُ الوترُ الجَمِيلُ الحَيي السِّتيرُ الكَبيرُ المتعَالُ الوَاحِدُ القَهَّارُ الحَق المبين القَوِيُّ المَتِينُ الحَيُّ القَيُّوم العَلِيُّ العَظِيم الشَّكُورُ الحَلِيم الوَاسِعُ العَلِيم التواب الحَكِيم الغنِيُّ الكَرِيم الأحَدُ.

١- الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرحمن ﷻ هو المتصف بالرحمة العامة حيث خلق عباده ورزقهم، وهداهم سبلهم، وأمهلهم فيما خولهم، واستخلفهم في أرضه، واستأمنهم في ملكه ليبلوهم أيهم أحسن عملا، ومن ثم فإن رحمة الله في الدنيا وسعتهم جميعا؛ فشملت رحمته العامة المؤمنين والكافرين.

والرحمة تفتح أبواب الرجاء والأمل، وتبعث على صالح العمل،

وتدفع أبواب الخوف واليأس وتشعر الشخص بالأمن والأمان.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (جَعل الله الرَّحمةَ مائَةَ جُزْءٍ فأمْسَكَ عِندَهُ تِسْعة وَتِسْعِين جُزْءًا وَأنزَلَ فِي الأرضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فمن ذلِكَ الجُزْءِ يَترَاحَم الخَلق حَتى ترفع الفرَس حَافِرَهَا عن وَلَدِهَا خَشيَةَ أن تصِيبَهُ) [١].

ومن الدعاء الثابت باسمه الرحمن: اللهم إني أعوذ بِكَلِماتِ اللهِ التامةِ من شرِّ ما خَلَق وَذرأَ وَبَرَأَ، وَمَن شرِّ ما يَنزِل من السَّماءِ، وَمَن شرِّ ما يَعْرُجُ فِيهَا، وَمَن شرِّ فِتنِ الليْلِ وَالنهَارِ وَمَن شرِّ كُل طَارِقٍ إلا طَارِقا يَطرُق بِخَيْرٍ يَا رَحمنُ [٢]. رحمن الدنيا والآخِرَة ورحِيمهُما، تعطِيهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، ارحَمْني رَحمة تغنيني بها عن رِحمة من سِواك [٣]. اللهم أنت الرَّحمنُ المسْتعانُ على ما يَصِفُون.

وتوحيد الله في اسمه الرحمن يقتضي امتلاء القلب بالرحمة والحب

---

(١) البخاري في الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء ٥/٢٢٣٦ (٥٦٥٤).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر ما يكب العفريت ويطفئ شعلته ٦/٢٣٧ (١٠٧٩٢)، وأحمد في المسند ٣/٤١٩ (١٥٤٩٨)، وصححه الشيخ الألباني، وانظر السلسلة الصحيحة (٨٤٠)، وصحيح الجامع (٧٤).

(٣) رواه الطبراني في الصغير ١/٣٣٦ (٥٥٨)، وفي المعجم الكبير ٢٠/١٥٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٨٦، نشر دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢١).

والإيمان، فيحرص المسلم على ما ينفع أخاه الإنسان، سواء كان من المؤمنين أو غيرهم، فيحب للمؤمنين ما يحب لنفسه؛ يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ويبقي رحمته موصولة إليهم، يفرح بفرحهم ويحزن لحزنهم. أما رحمته بالكافرين فيحرص على دعوتهم ويطفئ النار التي تحرقهم، ويجتهد في نصحهم والأخذ على أيدهم.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: (الرَّاحِمون يَرحَمهُم الرَّحمنُ، ارحَموا أهْل الأرضِ يَرحَمْكُمْ من فِي السَّماءِ) [1].

٢- الرحيم

قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ فصلت:٢.

الرحيم ﷻ هو المتصف بالرحمة الخاصة التي ينالها المؤمنون في الدنيا والآخرة، فقد هداهم إلى توحيده وعبوديته، وأكرمهم في الآخرة بجنته، ومن عليهم في النعيم برؤيته.

ورحمة الله لا تقتصر على المؤمنين فقط؛ بل تمتد لتشمل ذريتهم من بعدهم إكراما لهم.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين ٤/٣٢٣ (١٩٢٤)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة ٤/٢٨٥ (٤٩٤١)، وأحمد في المسند ٢/١٦٠ (٦٤٩٤)، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (٣٥٢٢)، والسلسلة الصحيحة (٩٢٥).

ومن الدعاء باسمه الرحيم ما صح عن أبي بكر ﷺ أنه قال للنبي ﷺ: (علمْنِي دُعاءً أدْعو به فِي صَلاَتِي، قال: قلِ اللهُم إني ظَلَمْت نفسِي ظُلمًا كثِيرًا وَلاَ يَغفِرُ الذنُوبَ إلا أنت، فاغفِر لِي مغفِرَة من عِندِكَ وَارحَمْنِي إنكَ أنت الغفُور الرَّحِيم) [١].

وصح عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: (إن كُنا لنعدُّ لِرَسول اللهِ ﷺ فِي المجْلِس الوَاحدِ مائَةَ مرَّةٍ: رَبِّ اغفِر لِي وَتب عليَّ إنكَ أنت التوَّاب الرَّحِيم) [٢]. اللهم إني عملت سوءا وظلمت نفسي، اللهم أتوب إليك وأستغفرك، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم. ربي إني مسَّنِيَ الضُّرُّ وَأنت أرحَم الرَّاحِمين، اللهم أدْخِلنا فِي رَحمتِكَ إنك أنت الغفور الرحيم.

وتوحيد الله في اسمه الرحيم يقتضي امتلاء القلب برحمة الولاء والحب والوفاء الذي يدفع النفس إلى حب المؤمنين والرأفة بهم والحرص عليهم، وقد كان النبي ﷺ رحيما بأصحابه قريبا صديقا حبيبا رفيقا.

وصح من حديث عياض ﷺ أن رسول اللهِ ﷺ قال: (وَأهْل الجَنةِ

---

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام ١/٢٨٦ (٧٩٩)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٤/٢٠٧٨ (٢٧٠٥).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس ٥/٤٩٤ (٣٤٣٤)، وأبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستغفار ٢/٨٥ (١٥١٦)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب الاستغفار٢/١٢٥٣ (٣٨١٤)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٥٥٦)، وصحيح سنن أبي داود (١٣٥٧).

ثلاثَة: ذو سلطَان مقسِطٌ متصَدِّق موفق، ورَجُل رَحِيمٌ رَقِيق القلبِ لكُل ذي قربَى ومُسْلمٍ، وعَفِيفٌ متعففٌ ذو عِيَال) [١].

٣- الملك

قال الله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ المؤمنون:١١٦.

وصح من حديث أبِي هُرَيْرَة ﷺ أن رَسول الله ﷺ قال: (يَنزِل اللهُ إلى السّماءِ الدُّنيَا كُل ليْلةٍ حِين يَمْضِي ثلث الليْلِ الأوّل فيَقول: أنا الملِكُ، أنا الملِكُ، من ذا الذي يَدْعونِي فأسْتجِيبَ لهُ ؟) [٢].

الملِكُ سبحانه من له المُلْك، وهو الذي له الأمر والنهي في مملكته، يتصرف في خلقه بأمره وفعله، وليس لأحد فضل عليه في قيام ملكه وتدبير أمره، فلا خالق للكون إلا الله، ولا مدبر له سواه، فهو الملك الحق القائم بسياسة خلقه إلى غايتهم. فالملك من بيده الملك المطلق التام الذي لا يشاركه فيه أحد، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ الملك:١.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ (٢٨٦٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ١/٥٢٢ (٧٥٨).

ومن الدعاء باسمه الملك ما صح من حديث علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:(اللهُم أنت الملِكُ لاَ إلهَ إلاّ أنت، أنت رَبِّي وَأنا عبدُكَ، ظَلَمْت نفسي وَاعْترَفت بِذنبِي، فاغفِر لي ذنُوبِي جَميعًا، إنهُ لاَ يَغفِرُ الذنُوبَ إلاَّ أنت) [(١)].

وصح من حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا أمسى قال: (أمْسَيْنا وَأمْسَى الملكُ للهِ، وَالحَمْدُ للهِ، لاَ إلهَ إلاّ الله وَحدَهُ لاَ شرِيكَ لهُ، لهُ الملكُ وَلهُ الحمْدُ، وَهُوَ على كُل شيْءٍ قدِيرٌ) [(٢)].

ومن آثار توحيد الله في اسمه الملك تعظيم الملك الواحد الأحد ومحبته، وموالاته وطاعته، وتوحيده في عبوديته، والاستجابة لدعوته، والغيرة على حرمته، ومراقبته في السر والعلن، ورد الأمر إليه، وحسن التوكل عليه، ودوام الافتقار إليه.

وأعظم جرم في حق الملك الواحد الأحد منازعته على ملكه، أو نسبة شيء منه إلى غيره، فمن الظلم العظيم أن يدعي أحد من الخلق ما ليس له بحق في أي معنى من معاني الربوبية، أو ينسب لنفسه الملك على وجه الأصالة لا على وجه الأمانة والعبودية، فالإنية الشركية كانت ولا تزال مصدرا للظلم وسوء الخاتمة، فالموحد يغار على الملك الواحد الأحد أن يرى غيره يُعبد في مملكته، ولذلك كان الشرك أقبح

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل ١/٥٣٥ (٧٧١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٤/٢٠٨٨ (٢٧٢٣)، وفي الصباح يقول: أصبحنا.

شيء في قلوب الموحدين، وكان توحيد الله ﷻ زينة حياة الموحدين.

٤- القدوس

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ الحشر:٢٣.

القدوس سبحانه هو المنفرد بأوصاف الكمال الذي لا تضرب له الأمثال، فهو المنزه المطهَّر الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

والتقديس خلاصة التوحيد الحق لأنه إفراد الله سبحانه بذاته وأوصافه وأفعاله عن الأقيسة التمثيلية والقواعد الشمولية التي تحكم ذوات المخلوقين وأوصافهم وأفعالهم، فالله ﷻ نزه نفسه عن كل نقص فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ الشورى:١١.

ثم أثبت لنفسه أوصاف الكمال والجمال والجلال فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ الشورى:١١. فلا يكون التقديس تقديسا، ولا يكون التنزيه تنزيها إلا بنفي وإثبات.

ومن الدعاء باسمه القدوس ما صح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: (سبوحٌ قدُّوسٌ رَب الملاَئِكَةِ وَالرُّوح) [١].

وصح عنها أيضا أنها قالت: (كَان رَسول اللهِ ﷺ إذا هَبَّ من الليْلِ

(١) مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٣/١ (٤٨٧).

كَبَّرَ عشرًا وَحَمدَ عشرًا، وَقال: سبحَان الله وَبِحَمْدِهِ عشرًا، وَقال: سبحَان المَلِكِ القدُّوسِ عشرًا، وَاسْتغفرَ عشرًا، وَهَلل عشرًا، ثم قال: اللهم إني أعوذ بِكَ من ضِيقِ الدُّنيَا وَضِيقِ يَوم القِيَامةِ عشرًا، ثم يَفتتِحُ الصَّلاَةَ) [١].

ومن آثار توحيد الله في اسمه القدوس تنزيهه عن وصف العباد له إلا ما وصف المرسلون، فيصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ويعلم أن ما وُصِفَ الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، فهو كلام عربي مبين نزل على سيد الأنبياء والمرسلين.

ومن آثار الاسم على المسلم أيضا أن ينزه نفسه عن ارتكاب المعاصي والذنوب، ويطلب المعونة من ربه أن يحفظه في سمعه وبصره وقلبه وبدنه من جميع النقائص والعيوب.

٥- السلام

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ الحشر:٢٣.

وصح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن السَّلام اسْم

---

(١) رواه أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣٢٢/٤ (٥٠٨٥)، وأخرجه النسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يستحب له من الدعاء ٢١٨/٦ (١٠٧٠٧).

من أسْماء اللهِ تعالى فأفشُوه بَينكم)[١].

والسلام ﷻ هو الذي سلم من النقائص والعيوب، فسلم في ذاته بنوره وجلاله، فمن جماله وسبحات وجهه احتجب عن خلقه رحمة بهم وابتلاءا لهم، وهو الذي سلم في صفاته بكمالها وعلو شأنها، وسلم في أفعاله بطلاقة قدرته ونفاذ مشيئته، وكمال عدله وبالغ حكمته، وهو الذي يدعو إلى سبل السلام ودار السلام باتباع منهج الإسلام، فكل سلامة منشأها منه وتمامها عليه.

ومن الدعاء باسمه السلام ما صح عن ثوبان ﷺ أنه قال: (كَان رَسول اللهِ ﷺ إذا انصرَف من صَلاَتِهِ اسْتغفرَ ثلاَثا وَقال: اللهُم أنت السَّلاَم وَمنكَ السَّلاَم، تبَارَكْت ذا الجَلاَلِ وَالإكْرَام)[٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله ﷻ في اسمه السلام أن يسلم المسلمون من لسانه ويده، وأن يأمن جاره من بوائقه وأذيته، ويؤثر إخوانه على نفسه وحاجته. ومن ذلك أيضا أن يفشي السلام، ويلتزم في سلاميه

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، كتاب السلام والمصافحة، باب السلام اسم من أسماء الله عز وجل ٣٤٣/١ (٩٨٩)، وعبد الرزاق في مصنفه ١٣١/١١ (٢٠١١٧) نشر المكتب الإسلامي، بيروت. والطبراني في المعجم الأوسط ٢٣١/٣ (٣٠٠٨) نشر دار الحرمين، القاهرة، وصححه الشيخ الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (١٨٤)، وصحيح الجامع (١٦٣٨).

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ٤١٤/١ (٥٩١).

بتحية الإسلام، وأن يسلك سبل السلام التي تؤدي إلى دار السلام.

٦- المؤمن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ الحشر:٢٣.

والمؤمن سبحانه هو الذي أمّن الناس ألا يظلم أحدا منهم، وأمن من آمن به من عذابه، وهو الذي يجير المظلوم ويؤمنه من الظالم، وهو الذي يصدق المؤمنين ويشهد لهم إذا وحدوه، وهو الذي يصْدق في وعده، وهو عند ظن عبده، لا يخيب أمله، ولا يخذل رجاءه .

ومن الدعاء بمقتضى اسمه المؤمن ما ور في قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ آل عمران:٥٣.

وصح عن عبد الله الزرقي ﷺ أن النبي قال ﷺ : (اللهم إني أسْألكَ النعِيم يَوم العِيْلةِ، وَالأمْن يَوم الخَوفِ، اللهم إني عائِذ بِكَ من شرِّ ما أعْطَيْتنا وَشرِّ ما منعْت، اللهم حَبِّب إلَيْنا الإيمان وَزَيِّنهُ في قلوبِنا، وَكَرِّهْ إلَيْنا الكُفرَ وَالفُسوق وَالعِصيَان وَاجْعلنا من الرَّاشِدِين، اللهم توَفنا مسْلِمين، وَأحيِنا مسْلِمين، وَألحِقنا بِالصَّالِحِين غيْرَ خزَايَا وَلاَ مفتونِين، اللهم قاتلِ الكَفرَةَ الذين يُكَذبون رُسلكَ، وَيَصُدُّون عن سَبِيلِكَ، وَاجْعل عليْهِمْ رَجْزَكَ وَعذابَكَ، اللهم قاتلِ الكَفرَةَ الذين أوتوا الكِتابَ

إلهَ الحَق) [١] .

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المؤمن ثقته أن الأمن والأمان والراحة والاطمئنان مرجعها إلى الإيمان به، ويقينه أن ربه سينصر المظلوم ولو بعد حين، فيلجأ إليه معتمدا عليه مستغيثا به مفتقرا إليه أن يجيره من ظلم الظالمين وكيد الحاقدين، فوعد الله لعباده المؤمنين كائن لا محالة .

٧- المهيمن

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ﴾ الحشر:٢٣.

المهيمن سبحانه هو الرقيب المحيط بخلقه الذي لا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، ملك على عرشه استوى، لا يخفى عليه شيء في مملكته، يعلم جميع أحوالهم، ولا يعزب عنه شيء من أعمالهم، وهو القاهر فوقهم بعلو شأنه، محيط بالعالمين، مهيمن على الخلائق أجمعين، كل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يعجزه

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، كتاب الأذكار، باب دعوات النبي ﷺ ٢٤٣/١ (٦٩٩)، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، الاستنصار عند اللقاء ١٥٦/٦ (١٠٤٤٥)، وأحمد في المسند، ٤٢٤/٣ (١٥٥٣١)، والطبراني في المعجم الكبير ٤٧/٥ (٤٥٤٩)، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح الأدب المفرد ٢٥٤/١ (٦٩٩).

شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ومن الدعاء بمقتضى الاسم ومعناه ما صح من حديث البراء ﷺ أن النبي ﷺ قال له: (إذا أتيْت مضْجَعكَ فتوَضَّأ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثم اضْطَجِعْ على شِقكَ الأيْمنِ، ثم قلِ: اللهم أسْلمْت وَجْهِي إليْكَ، وَفوَّضْت أمْرِي إليْك، وَألجَأْت ظَهْرِي إليْكَ، رَغبَة وَرَهْبَة إليْكَ، لاَ ملجَأ وَلاَ منجَا منكَ إلاَّ إليْكَ، اللهم آمنت بِكِتابِكَ الذي أنزَلت، وَبِنبِيِّكَ الذي أرسَلت، فإن مت من ليْلتِكَ فأنت على الفِطرَةِ، وَاجْعلهُن آخِرَ ما تتكَلم به) [1].

وثبت أيضا أن أعرابيا قال للنبي ﷺ : (علمني دعاء لعل الله أن ينفعني به قال: قل اللهم لك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر كله) [2].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المهيمن أن يتقي الله فيما استرعاه وخوله لعلمه أن الله مهيمن رقيب مطلع على سره، ويجازيه على ظلمه وكبره، وأنه سيعاقبه عاجلا أو آجلا.

وربما رأى العاصي سلامة ماله وبدنه فيظن أنه لا عقوبة، لكن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء ٩٧/١ (٢٤٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨١/٤ (٢٧١٠).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩٧/٤ (٤٣٩٩)، وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٥٧٦).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ إبراهيم:٤٢.

والموحد لله في اسمه المهيمن يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم، لعلمه أن النفس قوامها بربها ومرجعها إلى خالقها، وهو مهيمن عليها وعلى الخلائق أجمعين؛ فيدفعه ذلك إلى أن يتعزز بعزة الله، ويعمل في مرضاته، ويخلص له النية ابتغاء وجهه، فيستعين به متوكلا عليه آخذا بأسباب القوة راضيا بقضائه وقدره.

٨- العزيز

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الشعراء:١٢٢.

العزيز سبحانه هو الغالب على أمره، له علو الشأن والقهر في ملكه، وهو الملك على عرشه، المتوحد في اسمه ووصفه، المنفرد بأوصاف الكمال، عزيز لا مثيل له، واحد أحد لا شبيه له، فالعز إزاره، والكبرياء رداؤه.

ومن الدعاء باسمه العزيز ما ور في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ الممتحنة:٥.

وكذلك صح من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا تضور من الليل قال: (لا إلهَ إلا الله الواحِدُ القهار، ربّ السَّماواتِ

والأرض وما بَيْنهما العزيز الغفار) [(١)].

وصح من حديث عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه قال: أتيت النبي ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ: (امْسَحهُ بِيَمينِكَ سَبع مرَّاتٍ وَقل: أعوذ بِعِزَّةِ اللهِ وَقدْرَتِهِ من شرِّ ما أجِدُ، قال: ففعلت ذلِكَ، فأذهَبَ الله ﷻ ما كَان بي، فلمْ أزَل آمرُ به أهلي وَغيْرَهُمْ) [(٢)].

ومن الأدعية النبوية التي تناسب اسم الله العزيز: اللهم إني أعوذ بِعِزَّتِكَ لاَ إلهَ إلاَّ أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لاَ يَموت، وَالجِن وَالإنس يَموتون، اللهم إني أسألك بعزتك أن تنجني من النار، اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه العزيز شعوره بمظهر العزة التي يشعر بها المسلم في توحيده لربه، وعبوديته وحبه، وكل عمل يزيده من قربه، ويقينه أن العزة في إتباع أمره، وأنه سبحانه العزيز الذي جعل العزة لنبيه ﷺ وأتباعه وحزبه، ولا يرضى لنفسه بديلا عن عزة الإسلام وأهله.

---

(١) رواه النسائي في كتاب التعبير ٤/٤٠٠ (٧٦٨٨) وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة ٥/٩٨ (٢٠٦٦)، وصحيح الجامع (٤٦٩٣).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الطب، باب كيف الرقى ٤/١١ (٣٨٩١)، وابن ماجه في كتاب الطب، باب ما عوذ به النبي ﷺ وما عوذ به ٢/١١٦٣ (٣٥٢٢)، وأحمد في المسند ٤/٢١٧ (١٧٩٣٧) وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة ٣/٢٥٧ (١٢٥٨)، ومشكاة المصابيح (١٥٣٣).

٩- الجبار

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ﴾ الحشر:٢٣.

وصح من حديث أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أن النبِي ﷺ قال: (تكُونُ الأرضُ يَوم القِيَامة خُبزَة وَاحِدَة، يَتكَفؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَما يَكْفأ أحَدُكُمْ خُبزَتَهُ فِي السَّفرِ، نُزُلا لأهْلِ الجَنةِ) [١].

الجبار سبحانه هو الذي يجبر الفقر بالغنى والمرض بالصحة، والخيبة والفشل بالتوفيق والأمل، والخوف والحزن بالأمن والاطمئنان، فهو جبار متصف بكثرة جبره حوائج الخلائق.

وهو الجبار في علوه على خلقه، ونفاذ مشيئته في ملكه، فلا غالب لأمره، ولا معقب لحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

والجبار اسم دل على معنى من معاني العظمة والكبرياء، وهو في حق الله وصف محمود من معان الكمال والجمال، وفي حق العباد وصف مذموم من معاني النقص.

اللهم اغفِر لِي وَارحَمْنِي وَاجْبرنِي وَاهْدِنِي وَارزُقنِي، سبحان ذي

---

(١) رواه البخاري في الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ٥/٢٣٨٩ (٦١٥٥)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة٤/٢١٥١ (٢٧٩٢).

الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الجبار الخضوع لجبروت الله، فينفي الموحد عن نفسه التجبر والاستكبار، ويلين للحق إذا ظهر نوره من غير إنكار، فهو دائم الانكسار لله، دائم الافتقار والتوبة والاستغفار، رغبة في ربه أن يجبر كسره وأن يغفر ذنبه، وأن يديم فقره إليه، وأن يُقوِّم نفسه إذا تمردت عليه.

١٠- المتكبر

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ الحشر:٢٣.

وبسند صحيح عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ عن رب العزة أنه قال: (أنا الجَبَّارُ، أنا المتكبِّرُ، أنا المِلكُ، أنا المتعالِ، يُمجِّدُ نفسَهُ) (١).

والمتكبر سبحانه ذو الكبرياء وهو الملك العظيم المتعالي القاهِرُ لعتاةِ خَلقِهِ، إذا نازعوه العظمة قصمهم. والمتكبر أيضا هو الذي تكبر عن كل سوء، وتكبر عن ظلم عباده، وتكبر عن قبول الشرك في العبادة،

(١) رواه النسائي في كتاب التعبير ٤٠٢/٤ (٧٦٩٦)، وأحمد في المسند ٨٧/٢ (٥٦٠٨)، وصححه الألباني، وانظر السلسلة الصحيحة ٢٩/١٢.

فلا يقبل منها إلا ما كان خالصا لوجهه.

ومن الدعاء بمقتضى اسمه المتكبر ومعناه ما صح أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال: (علمني كَلاَمًا أقولهُ؟ قال قل: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شريكَ لهُ اللهُ أكْبَرُ كَبيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، سبحَان اللهِ رَبِّ العالمين، لاَ حَول وَلاَ قوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العزيزِ الحَكِيم، قال: فهَؤُلاَءِ لِرَبِّي فما لي؟ قال: قلِ اللهُم اغفِر لي وارحمني وَاهْدِنِي وَارزُقني) [1].

ومن دعاء موسى عليه السلام الذي يناسب اسم المتكبر: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾ غافر:٢٧.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المتكبر نفي الكبر عن النفس بالتواضع، ونفي الشرك عن الفعل بالإخلاص، وأن يخلع العبد عن نفسه أوصاف الربوبية؛ فلا يتعالى ولا يتكبر، ولكن يتواضع لله المتكبر، وقد صح عن النبي ﷺ: (ألاَ أخبِرُكُمْ بِأهْل الجَنةِ، كُل ضَعِيفٍ متضَعِّفٍ لو أقسَم على اللهِ لأبَرَّهُ، ألاَ أخبِرُكُمْ بِأهْل النارِ كُل عتل جَوَّاظٍ مسْتكْبِرٍ) [2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٤/٢٠٧٢ (٢٦٩٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة (ن والقلم) ٤/١٨٧٠ (٤٦٣٣)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٤/٢١٩٠ (٢٨٥٣)، والعتل هو الشديد الجافي الغليظ من الناس، والجواظ هو الجموع المنوع الذي يجمع المال من أي جهة ويمنع صرفه في سبيل الله، والجعظري هو الفظ الغليظ المتكبر.

وصح من حديث ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: (لا يَدْخُل الجَنَةَ من كَان فِي قلبِهِ مثقال ذرةٍ من كِبرٍ) [(١)].

١١- الخالق

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ الحشر: ٢٤.

وقد صح من حديث عمران ﵁ أن النبي ﷺ قال: (لاَ طَاعة لِمخلوقٍ فِي معْصِيَةِ الخالق) [(٢)].

والخالق سبحانه هو الذي أوجد الأشياء من العدم بمراتب القضاء والقدر، فأنشأها بعلمه، وكتبها في اللوح بقلمه، وشاء كونها بأمره، فتم وجودها بقضائه وقدره، فالله ﷻ خالق كل شيء تقديرا وقدرة، قدرها بعلمه تقديرا، ورتبها بمشيئته ترتيبا، وركبها بقدرته تركيبا.

ومن الدعاء بالاسم قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠/١٩١.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ١/٩٣ (٩١).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٨/١٧٠ (٣٨١)، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/٥٤٥ (٣٣٧١٧)، وصححه الألباني، انظر مشكاة المصابيح ٢/٣٤١ (٣٦٩٦)، وصحيح الجامع (٧٥٢٠).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ الفلق:١/٥.

وصح من حديث شداد ﷺ أن النبي ﷺ قال: (سَيِّدُ الاِسْتغفارِ أن تقول اللهُم أنت رَبِّى، لاَ إلهَ إلاَّ أنت، خلقتني وَأنا عبدُكَ، وَأنا على عهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتطعْت، أعوذ بِكَ من شرِّ ما صَنعْت، أبوءُ لكَ بِنِعْمتكَ عليَّ، وَأبوءُ بذنبي، فاغفِر لِي، فإنهُ لاَ يَغفِرُ الذنُوبَ إلاَّ أنت. قال وَمن قالهَا من النهَارِ موقنًا بها، فمات من يَومهِ قبل أن يُمْسِيَ، فهُوَ من أهْلِ الجَنةِ، وَمن قالهَا من الليْلِ وَهْوَ موقِنٌ بها، فمات قبل أن يُصبِحَ، فهْوَ من أهْلِ الجَنةِ) [(١)].

وصح من حديث ابن عمر ﷺ أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول: (اللهم خَلقت نفسي وَأنت توَفاهَا، لكَ مماتها وَمحيَاهَا، إن أحيَيْتها فاحفظهَا، وَإن أمتهَا فاغفِر لهَا، اللهم إني أسْألكَ العافِيَةَ، فقال لهُ رَجُل: أسَمعْت هَذا من عمرَ ؟ فقال: من خَيْرٍ من عمرَ، من رَسولِ الله ﷺ) [(٢)].

وصح أيضا أن النبي ﷺ قال: (من نزَل منزِلا ثم قال: أعوذ

---

(١) البخاري في كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار ٥/٢٣٢٣ (٥٩٤٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٣ (٢٧١٢).

بِكَلِماتِ اللهِ التاماتِ من شرِّ ما خَلَق، لمْ يَضُرُّهُ شيْءٌ حَتى يَرتحِل من منزِلِهِ ذلِكَ) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الخالق إيمانه بأن ما قدره الله وكتبه في اللوح كائن لا محالة، وأنه سيخلقه بمشيئته وقدرته، فيؤمن بتقدير الله ويعمل بشريعته، ولا يضرب أحدهما بالآخر، ويعلم أنه ميسر لما خلق له، ويستعين به على طاعته وتقواه، ويشكر الله بعد أدائها أن وفقه وهداه.

ومن آثار الاسم على العبد أيضا أن يشكر خالقه أن سلمه في كل جزء من بدنه، فقد صح أن النبي ﷺ قال: (خُلق كُل إنسَان من بَنِي آدَم على سِتين وَثلاَثِمائَةِ مفصِل، فمن كَبَّرَ اللهَ، وَحَمدَ اللهَ، وَهَلل اللهَ وَسَبَّحَ اللهَ، وَاستْغفرَ اللهَ، وَعزَل حَجَرًا عن طَرِيقِ الناسِ، أو شوكَة أو عظمًا عن طَرِيقِ الناسِ، وَأمرَ بِمعرُوفٍ أو نهَى عن منكَرٍ عدَدَ تِلكَ السِّتِّين وَالثلاَثِمائَةِ السلاَمى، فإنهُ يَمْشِي يَومئِذ وَقدْ زَحزَحَ نفسَهُ عنِ النارِ) (٢).

ومن أثر الاسم على العبد إيمانه بأن الخالق في ذاته وأوصافه يختلف عن المخلوق، فلا يُزينن له الشيطان أن يخضع الخالق لأحكام

---

(١) مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره ٤/٢٠٨٠ (٢٧٠٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢/٦٩٨ (١٠٠٧).

المخلوق، بل يستعذ بالله من نزغه ووسواسه.

وقد صح أن رسول اللهِ ﷺ قال: (لاَ يَزَال الناس يَتسَاءَلون حَتى يُقال هَذا خَلق اللهُ الخَلق فمن خَلق اللهَ فمن وَجَدَ من ذلِكَ شيْئًا فليَقل: آمنت بِاللهِ) (١).

وكذلك لا يتشبه بالله فيما انفرد به من الخلق والربوبية؛ فيمثل التماثيل ويتشبه بالله في الخلق والتصوير.

١٢- البارئ

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ ﴾الحشر:٢٤.

والبارئ ﷻ هو السالم الخالي من النقائص والعيوب، الذي له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، تنزه عن كل نقص، وتقدس عن كل عيب، لا شبيه له ولا مثيل، ولا ند له ولا نظير.

والبارئ سبحانه هو الذي وهب الحياة للأحياء، وخلق الأشياء صالحة ومناسبة للغاية التي أرادها، وخلق الإنسان للابتلاء، وهو الذي يُتِم الصنعة بإبداعه لها على وجه التدبير، ويظهر المقدور وفق سابق

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ٢٦٦٠/٦ (٦٨٦٦) عن أنس بن مالك ﷺ، ومسلم واللفظ له في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ١١٩/١ (١٣٤) عن أبي هريرة ﷺ.

التقدير، وهو الذي أبرأ الخلق، وفصل كل جنس عن الآخر، وصور كل مخلوق بما ينساب الغاية من خلقه.

ومن الدعاء باسمه البارئ ما صح من حديث عبد الرحمن التميمي ﷺ أن جبريل ﷺ علم رسول الله ﷺ أن يقول: (أعوذ بِكَلِماتِ الله التامات التي لاَ يُجَاوزُهُن بَرٌّ وَلاَ فاجِرٌ من شرِّ ما خَلق وَذرأ وَبَرَأ) [١].

وصح أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كَان إذا اشتكَى رَسول اللهِ ﷺ رَقاهُ جِبرِيل قال: بِاسْم اللهِ يبرِيكَ، وَمن كُل دَاءٍ يَشفِيكَ، وَمن شرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ، وَشرِّ كُل ذي عيْنٍ) [٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه البارئ أن يبرأ إلى الله من كل شهوة تخالف أمره، ومن كل شبهة تخالف خبره، ومن كل ولاء لغير دينه وشرعه، ومن كل بدعة تخالف سنة نبيه ﷺ ، ومن كل معصية تؤثر على محبة الله وقربه، ورضاه سبحانه عن عبده.

وينبغي على العبد أن يتقي الله ﷻ في عمله؛ فيخلص فيه ويتقنه ما استطاع، توحيدا وخشية لمن أبرأ صناعته، ومنحه قوة التفكير والإبداع، فالبارئ ﷻ له الحق المطلق في أن يعبد وأن يطاع.

(١) رواه أحمد في المسند ٤١٩/٣ (١٥٤٩٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥١/٥ (٢٣٦٠١)، وعبد الرزاق في مصنفه ٣٦/١١ (١٩٨٣٣)، وصححه الألباني، وانظر السلسلة الصحيحة (٨٤٠).

(٢) مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى ١٧١٨/٤ (٢١٨٥).

١٣- المصور

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ الحشر: ٢٤.

المصور سبحانه هو الذي أبدع صور المخلوقات وزينها بحكمته، ومعطي كل مخلوق صورته على ما اقتضت مشيئته وحكمته، وهو الذي صور الناس في الأرحام أطوارا، ونوعهم أشكالا، وكما صور الأبدان فتعددت، والأشكال فتنوعت نوع أيضا في الأخلاق والسلوك والطباع والمواهب والأفكار والقدرة على الإبداع، وهو الذي صور المخلوقات بشتى أنواع الصور الجلية والخفية والحسية والعقلية، فلا يتماثل جنسان، أو يتساوى نوعان، بل لا يتساوى فردان، فلكلٍ صورته وسيرته، وما يخصه ويميزه عن غيره.

ومن الدعاء باسمه المصور ما صح عن النبي ﷺ أنه كان إذا سجد قال: (اللهم لكَ سَجَدْت، وَبِكَ آمنت، وَلَكَ أسْلمْت، سَجَدَ وَجْهِي للذي خَلَقهُ وَصَوَّرَهُ وَشق سَمْعهُ وَبَصرَهُ، تبَارَكَ الله أحسَنُ الخَالِقِين أنت رَبِّي وَأنا عبدُكَ، ظَلَمْت نفسِي، وَاعْترَفت بِذنبِي، فاغفِر لِي ذنُوبِي جَميعًا، إنهُ لاَ يَغفِرُ الذنُوبَ إلاَّ أنت، وَاهْدِنِي لأحسَنِ الأخلاَقِ لاَ يَهْدِي لأحسَنِهَا إلاَّ أنت وَاصْرِف عني سَيِّئَهَا لاَ يَصرِفُ عني سَيِّئَهَا إلاَّ أنت) [١].

---

(١) مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل ١/٥٣٥ (٧٧١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المصور أن يراعي العبد توحيد الله فيه، فلا يتشبه به فيما انفرد به من معاني الخلق والربوبية، فيقع في شرك النحت والتصوير.

وقد صح من حديث سعيد بن أبي الحسن أنه قال: (جَاءَ رَجُل إلى ابنِ عبَّاسٍ ﷺ فقال: إني رَجُل أصَوِّرُ هَذهِ الصُّوَرَ فأفتِنِي فِيهَا) . وفي رواية لأحمد قال: (معِيشتِي من صَنَعةِ يَدِي، وَإني أصْنع هَذهِ التصَاوِيرَ، فقال لهُ: ادْنُ مني، فدَنَا منهُ، ثم قال: ادْنُ مني، فدَنَا حَتى وَضَع يَدَهُ على رَأْسِهِ، قال: أنبِّئُكَ بِما سَمعْت من رَسول اللهِ ﷺ ، سَمعْت رَسول اللهِ ﷺ يَقول: كُل مصَوِّرٍ فِي النارِ يَجْعل لهُ بِكُل صُورَةٍ صَوَّرَهَا نفسًا فتعذبهُ فِي جَهَنم) [١]. وفي رواية لأحمد قال: (فرَبَا لهَا الرَّجُل رَبوَة شدِيدَة وَاصْفرَّ وَجْهُهُ، فقال لهُ ابنُ عبَّاسٍ: وَيْحَكَ إن أبَيْت إلاَّ أن تصْنع، فعليْكَ بهذا الشجَرِ، وَكُل شيْءٍ ليْسَ فِيهِ رُوحٌ) [٢].

وفي رواية لأحمد: (إن كُنت لاَ بدَّ فاعِلا، فاصْنعِ الشجَرَ وَما لاَ نفسَ له) [٣].

---

(١) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ٣/١٦٧٠ (٢١١٠).

(٢) رواه أحمد في المسند ١/٣٦٠ (٣٣٩٤)، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/١٦٤ (١٢٧٧٢)، وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ٣/١٦٧٠ (٢١١٠).

١٤- الأول

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الحديد:٣.

وصح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبي ﷺ قال: (اللهُم أنت الأوَّل فليْسَ قبلكَ شيء) [١].

الأول سبحانه هو الذي لم يسبقه في الوجود شيء، وهو الذي علا بذاته وشأنه فوق كل شيء، وهو المستغني بنفسه عن كل شيء.

وأولية الله تقدمه على كل من سواه في الزمان، وتقدمه على غيره تقدما مطلقا في كل وصف كمال، فلا يدانيه ولا يساويه أحد من خلقه؛ لأنه سبحانه منفرد بذاته ووصفه وفعله، فالأول هو المتصف بالأولية، ووصف الأولية وصف ذاتي يدل على مطلق القبلية، وعلو الشأن والفوقية، وليس ذلك لأحد سواه.

ومن الدعاء باسمه الأول ما صح عن النبي ﷺ أنه كان إذا آوى إلى فراشه قال: (اللهم رَبَّ السَّموَاتِ وَرَبَّ الأرضِ وَرَبَّ العرشِ العظِيم، رَبَّنا وَرَبَّ كُل شيء، فالِق الحَبِّ وَالنوَى، وَمنزِل التورَاةِ وَالإنجِيلِ وَالفُرقان، أعوذ بِكَ من شرِّ كُل شيء أنت آخِذ بِناصِيتِهِ، اللهم أنت الأوَّل فليْسَ قبلكَ شيء، وَأنت الآخِرُ فليْسَ بَعْدَكَ شيء، وَأنت الظَّاهِرُ

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٤ (٢٧١٣).

فليْسَ فوقكَ شيء وَأنت البَاطِنُ فليْسَ دُونكَ شيء، اقضِ عنا الدَّيْن وَاغنِنا من الفقرِ) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الأول معرفة العبد أن الله ﷻ هو الأول الغني بذاته وصفاته، فلم يكتسب وصفا كان مفقودا أو كمالا لم يكن موجودا، كما هو الحال بين المخلوقات في اكتساب أوصاف الكمال، فإذا علم المسلم أن أصله من طين وله بداية ونهاية، وحياته إلى وقت وحين، أيقن أن ما قام به من الكمال مرجعه إلى رب العالمين، وأن طاعته تعود إلى توفيق الله وفضله، وأن الفرع لا محالة سيرجع إلى أصله.

أما أثر الاسم على سلوك العبد فيظهر من محبة الأولية في طلب الخير، وطلب الأسبقية في التزام الأمر، وحرصه على المزيد والمزيد من الأجر، فتجد توحيد الله في اسمه الأول باديا عليه عند مداومته على الصلاة في أول وقتها، وحرصه على الصف الأول، ومجاهدة الآخرين في استباقهم إليه، وكذلك يفعل في سائر العبادات أو المسارعة في الخيرات.

١٥- الآخر

الآخر سبحانه هو المتصف بالبقاء والآخرية فهو الآخر الذي ليس بعده شيء، الباقي بعد فناء الخلق، يبقى في صفاته وأفعاله ببقائه، وما

---

(١) الحديث السابق ٤/٢٠٨٤ (٢٧١٣).

سواه يبقى بإبقائه، وشتان بين بقائه وبقاء مخلوقاته، كالجنة والنار وما فيهما، فالجنة مخلوقة بقضائه وقدره، وكائنة بأمره، وهي رهن مشيئته وحكمه؛ فمشيئة الله حاكمة على ما يبقى فيها وما لا يبقى، فالبقاء ليس من طبيعتها ولا من خصائصها الذاتية، بل من طبيعتها جميعها الفناء، والخلود ليس لذات المخلوق أو طبيعته، وإنما هو بمدد دائم من الله تعالى، وإبقاء مستمر لا ينقطع. أما ذاته وصفاته ﷻ كوجهه وعزته وعلوه ورحمته ويده وقدرته وملكه وقوته فهي صفات باقية ببقائه ملازمة لذاته، حيث البقاء صفة ذاتية لله ﷻ لأنه الآخر الذي ليس بعده شيء.

والآخر سبحانه هو تنتهي إليه أمور الخلائق كلها إيجادا وإمدادا، وبقاء والتجاء، وقضاء وتقديرا، فبيده سبحانه تصريف المقادير.

ومن الدعاء باسمه الآخر ما ثبت أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: (اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل ومن عذاب القبر، ومن فتنة القبر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، اللهم نق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم باعد بيني وبين خطيئتي كما بعدت بين المشرق والمغرب) (١).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٢١٣/٦ (٦٢١٨)، وفي المعجم الكبير ٣١٦/٢٣ (٧١٧)، والحاكم في المستدرك ٧٠٥/١ (١٩٢٢).

ومن آثار توحيد المسلم لله ﷻ في اسمه الآخر أن تجعله وحده غايتك التي لا غاية لك سواه، ولا مطلوب لك وراءه، فكما انتهت إليه الأواخر، وكان بعد كل آخر، فكذلك اجعل نهايتك إليه، فإن إلى ربك المنتهى، انتهت الأسباب والغايات فليس وراء الله مرمى.

والذي وحد الله في اسمه الآخر يعود بافتقاره إلى ربه، ويجعل المرجعية في فعله إلى ما اختاره لعبده، لعلمه أنه ﷻ مالك الإرادات ورب القلوب والنيات، يصرفها كيف شاء، فما شاء أن يزيغه منها أزاغه، وما شاء أن يقيمه منها أقامه، فهو سبحانه الذي ابتدع الخلق بقدرته ابتداعا، واخترعهم وفق مشيئته اختراعا.

وهو الذي ينجي من قضائه بقضائه، وهو الذي يعيذ بنفسه من نفسه، والأمر كله له، والحكم كله له، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فسبحان من لا يوصل إليه إلا به، ولا يطاع إلا بمشيئته، ولا ينال ما عنده من الكرامة إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بتوفيقه ومعونته، فعاد الأمر كله إليه، كما ابتدأ الأمر كله منه، فهو سبحانه الأول والآخر.

١٦- الظاهر

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الحديد:٣.

وصح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (وَأَنت الظَّاهِرُ

فليْسَ فوقكَ شيء) [1].

والظاهر سبحانه هو المنفرد بعلو الذات والفوقية، وعلو الغلبة والقهر، وعلو الشأن وانتفاء الشبه والمثلية، فهو الظاهر في كل معاني الكمال، وهو المبين الذي أبدى في خلقه حججه الباهرة، وبراهينه الظاهرة، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، فهو الذي ظهر فوق كل شيء، واستوى على عرشه فعلا عليه.

والظاهر أيضا هو الذي بدا بنور حكمته مع احتجابه بعالم الغيب، وبدت آثاره لمخلوقاته في عالم الشهادة، فالله ﷻ استخلف الإنسان في ملكه، واستأمنه في أرضه فاقتضى الاستخلاف والابتلاء أن يرانا ولا نراه .

وهو سبحانه أيضا الظاهر الذي أعان الخلائق وأقامهم في أسباب أرزاقهم، ودبر أمرهم وهداهم سبلهم، أعان الخلائق على المعنى العام، وهو نصير الموحدين من عباده على المعنى الخاص .

ومن الدعاء باسمه الظاهر ما ثبت من حديث البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ قال له: (إذا أتيْت مضْجَعكَ فتوَضَّأْ وُضوءَكَ لِلصَّلاَةِ ثم اضْطَجِعْ على شِقكَ الأيْمنِ، ثم قلِ: اللهم أسْلمْت وَجْهِي إليْكَ، وَفوَّضْت أمْرِي إليْكَ وَألجَأت ظَهْرِي إليْكَ، رَغبَة وَرَهْبَة إليْكَ، لاَ

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٤/٤ (٢٧١٣).

ملجَأ وَلاَ منجَا منكَ إلاَّ إليْكَ، اللهم آمنت بِكِتابكَ الذي أنزَلت، وَبِنبِيِّكَ الذي أرسَلت، فإن مت من ليْلتِكَ فأنت على الفِطرَةِ وَاجْعلهُن آخِرَ ما تتكَلم به) [1].

وصح من حديث شداد بن أوس ﷺ أنه قال: (كَان رَسول اللهِ ﷺ يُعلمنا أن نقول: اللهُم إني أسْألكَ الثبَات في الأمْر، وَأسْألكَ عزيمة الرُّشدِ وَأسْألكَ شُكْرَ نِعْمتكَ وَحُسْن عبَادَتِكَ، وَأسْألكَ لِسَانًا صَادِقا وَقلبًا سَلِيمًا وَأعوذ بِكَ من شرِّ ما تعْلم وَأسْألكَ من خَيْرِ ما تعْلم، وَأسْتغفِرُكَ مما تعْلم إنكَ أنت علاَّم الغُيُوبِ) [2].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الظاهر إيمانه بقدرة الله في الأشياء، وأنه الظاهر الذي استوى على عرشه في السماء، وأنه المهيمن على سائر الأشياء، وأنه سبحانه منفرد بالخلق والتدبير، وقائم بالملك والتقدير، وإذا نظر العبد إلى وجوه الحكمة في إظهار الأسباب وتصريفها وابتلاء العباد بتقليبها أخذ بها على وجه الضرورة واللزوم، لإيقاع الأحكام على المحكوم، فمن وافق الشرائع والسنن استحق من الله الثواب، ومن خالف وابتدع استحق منه العقاب، وكل عبد سيلقى عند المصير ما دون في أم الكتاب.

وطالما أن الله ﷻ غالب على أمره وظاهر فوق خلقه، فإن مراده

(١) البخاري في الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء ١/٩٧ (٢٤٤).
(٢) رواه الترمذي في الدعوات ٥/٤٧٦ (٣٤٠٧)، وأحمد في المسند ٤/١٢٥ (١٧١٧٣)، وانظر السلسلة الصحيحة (٣٢٢٨)، وضعيف الترمذي (١/٤٤٤).

سينفذ في ملكه، ولن يخرج ذلك عن كمال عدله، فكان ابتلاء العباد من خلال دعوتهم للإيمان بتوحيد الربوبية من جهة، وإلزامهم بتوحيد العبودية من جهة أخرى.

١٧- الباطن

الباطن سبحانه هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يرى في الدنيا، احتجب بذاته عن أبصار الناظرين لحكمة أرادها في الناس أجمعين، فالله يُرى في الآخرة ولا يرى في الدنيا لأنه شاء أن تقوم الخلائق على معنى الابتلاء، ولو رأيناه في الدنيا وانكشف عنا الغطاء؛ لتعطلت حكمة الله في تدبيره الأشياء، فكيف يتحقق الإيمان بالله ونحن نراه؟ وكيف تستقيم الشرائع إلا في الاتباع ومخالفة العبد هواه ؟

وإذا كان الله ﷻ لا يرى في الدنيا ابتلاءا فإنه يرى في الآخرة إكراما وجزاءا، إكراما لأهل طاعته، وزيادة في النعيم لأهل محبته، والله ﷻ مع أنه الباطن الذي احتجب عن أبصار الناظرين لجلاله وحكمته وكماله وعزته وسبحاته وعظمته إلا أن حقيقة وجوده نور يضيء بصائر المؤمنين، فهو القريب المجيب الذي يسمع دعاء الخلائق أجمعين.

ومن الدعاء باسمه الباطن ما تقدم في الأسماء السابقة، وكذلك الدعاء: اللهم اغفر لي مغفرة ظاهرة وباطنه لا تغادر ذنبا، اللهم احفظني في أهلي وولدي .. ويسمي ما يشاء.

وهذا دعاء نبوي رواه الترمذي وحسنه الألباني من حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: (قال رَسول الله ﷺ لِلعبَّاسِ: إذا كَان غدَاةُ الاثنيْنِ فأتني أنت وَوَلَدُكَ حَتى أدْعوَ لهُمْ بِدَعْوَةٍ يَنفعكَ الله بها وَوَلدَكَ، فغدَا وَغدَونا معهُ وَأَلبَسَنا كِسَاءً ثم قال: اللهم اغفر للعبَّاسِ وَوَلدِهِ مغفِرَةَ ظَاهِرَة وَبَاطِنة لاَ تغادِرُ ذنبًا، اللهم احفظهُ في وَلدِهِ) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الباطن إقراره ويقينه أن الله ﷻ هو الذي يقدر الأمور ويدبرها، وأن الأسباب التي أظهرها بحكمته هي كالآلة بيد صانعها، والله من ورائهم محيط، هو الباطن القادر الفاعل حقيقة الذي استتر عن خلقه بلطائف القدرة وخفايا المشيئة، فالموحد يشهد الأولية من الله في كل شيء، والآخرية بعد كل شيء، والعلو والفوقية فوق كل شيء، والقرب والدنو دون كل شيء.

سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماءُ سماءً، ولا أرضُ أرضا، ولا يحجب عنه ظاهرُ باطنا، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية، لم يزل أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ٥/٦٥٣ (٣٧٦٢)، وحسنه الألباني، انظر صحيح الترمذي (٢٩٦٢)، ومشكاة المصابيح (٦١٤٩).

١٨- السميع

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١.

السميع ﷻ هو المتصف بالسمع كوصف ذات والإسماع كوصف فعل. والسمع وصف ذاتي حقيقي نؤمن به على ظاهر الخبر في حقه، وظاهر الخبر في حقه ليس كالظاهر في حق البشر، لأننا ما رأينا الله ﷻ و ما رأينا كيفية سمعه، وما رأينا مثيلا لذاته ووصفه، وهو سبحانه يسمع السر وأخفى.

أما الإسماع لغيره كوصف فعل لله ﷻ فلأنه يتعلق بمشيئته سبحانه كما قال:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾فاطر:٢٢.

وقد يكون وصف الفعل على المعنى الخاص الذي فيه إجابة الدعاء، كما صح عن النبي ﷺ مرفوعا: (وَإذا قال سَمع اللهُ لِمن حَمِدَهُ فقولوا رَبَّنا لك الحَمْدُ) [(١)].

ومن الدعاء باسمه السميع ما ورد في قوله ﷻ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾ آل عمران:٣٨. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ البقرة:١٢٧.

---

(١) رواه البخاري في الجماعة والإمامة، باب إقامة الصف من تمام الصلاة ١/٢٥٣ (٦٨٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام ١/٣٠٩ (٤١٤).

وصح أن رسول الله ﷺ كَان إذا قام من الليْلِ كَبَّرَ ثم يَقول: (سبحَانكَ اللهم وَبِحَمْدِكَ وَتبَارَكَ اسْمكَ وَتعالى جَدُّكَ وَلاَ إله غيْرُكَ، ثم يَقول: لاَ إلهَ إلاَّ الله، ثلاَثا ثم يَقول: الله أَكْبَرُ كَبِيرًا ثلاَثا، أعوذ بِالله السَّميعِ العلِيم من الشيْطَانِ الرَّجِيم من هَمْزِهِ وَنفخِهِ وَنفثِهِ، ثم يَقرَأ) [(١)].

وثبت أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهُم إني أعوذ بِكَ من قلبٍ لاَ يَخشع، وَدُعاءٍ لاَ يُسْمع، وَمن نفسٍ لاَ تشبَع، وَمن عِلمٍ لاَ يَنفع أعوذ بِكَ من هَؤُلاَءِ الأربَعِ) [(٢)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه السميع يقينه أن الله ﷻ من فوق عرشه يسمع كل صغيرة وكبيرة في خلقه، وأنه سبحانه متوحد في سمعه وبصره، له الكمال المطلق في وصفه، عليم بسره ونجواه، فلا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه، يراقبه ويخشاه، ولا يخاف من أحد سواه.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ٢/ ٩ (٢٤٢)، وأبو داود في الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم ١/ ٢٠٦ (٧٧٥)، وأحمد في المسند ٣/ ٥٠ (١١٤٩١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٢١٧).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/ ٥١٩ (٣٤٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٢٠(٢٩١٥٠)، وعبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ٤٣٩ (١٩٦٣٥)، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (١٢٩٧)، وصحيح الترمذي (٢٧٦٩).

١٩- البصير

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٥٦﴾ غافر:٥٦.

والبصير ﷻ هو المتصف بالبصر، والبصر صفة من صفات ذاته تليق بجلاله، يجب إثباتها لله دون تمثيل أو تكييف، أو تعطيل أو تحريف، فهو الذي يرى عالم الغيب والشهادة، ويرى الأشياء كلها مهما خفيت أو ظهرت، ومهما دقت أو عظمت.

وهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، فالسر عنده علانية والغيب عنده شهادة، يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى نياط عروقها ومجاري القوت في أعضائها.

وهو البصير الذي ينظر للمؤمنين بكرمه ورحمته، ويمن عليهم بنعمته وجنته، ويزيدهم كرما بلقائه ورؤيته، ولا ينظر إلى الكافرين إيقاعا لعقوبته، فهم مخلدون في العذاب محجوبون عن رؤيته.

ومن الدعاء باسمه البصير ما ورد في دعائه ﷺ : (اللهم اجْعل فِي قلبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعل فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعل فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعل من خَلفِي نُورًا، وَمن أمامي نُورًا، وَاجْعل من

فوقِي نُورًا وَمن تحتِي نُورًا، اللهم أعْطِنِي نُورًا) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه البصير هو ارتقاء العبد لمرتبة الإحسان، وتأثره الدائم بكمال المراقبة، كما صح من حديث عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن الإحسان: (أن تعْبدَ اللهَ كَأنكَ ترَاهُ، فإن لمْ تكُن ترَاهُ فإنهُ يَرَاكَ) [٢]. فوجب على العبد أن يراقب ربه في طاعته، ويوقن أنه من فوق عرشه بصير بعبادته، عليم بإخلاصه ونيته، قال عز وجل: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ التوبة:١٠٥.

ومن توحيد الله في اسمه البصير أن ننظر في خلق الله وآثار صنعته، وكمال قدرته وبالغ حكمته، وغير ذلك من الأسباب الظاهرة وأن نعتبر بفعله في الأمم الغابرة .

٢٠- المولى

قال تعالى: ﴿ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ الحج:٧٨ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ٥/٢٣٢٧ (٥٩٥٧)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٢٥ (٧٦٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ١/٢٧ (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله ١/٣٩ (٩).

المولى سبحانه هو من يركن إليه الموحدون ويعتمد عليه المؤمنون في الشدة والرخاء والسراء والضراء.

والله ﷻ جعل ولايته للموحدين مشروطة بالاستجابة لأمره، والعمل في طاعته وقربه، والسعي إلى مرضاته وحبه، فقد صح في الحديث القدسي: (إن اللهَ قال: من عادَى لِي وَلِيًّا فقدْ آذنتهُ بِالحَرب، وَما تقرَّبَ إليَّ عبدِي بِشيءٍ أحَبَّ إليَّ مما افترَضْت عليْهِ، وَما يزَال عبدِي يَتقرَّب إليَّ بِالنوَافِلِ حَتى أحِبَّهُ، فإذا أحبَبتهُ كُنت سَمْعهُ الذي يَسْمع به، وَبَصرَهُ الذي يُبصِرُ به، وَيَدَهُ التِي يَبطُشُ بها وَرِجْلَهُ التِي يَمْشِي بها، وَإن سَألنِي لأعْطِيَنهُ، وَلئِنِ اسْتعاذنِي لأعِيذنهُ، وَما ترَدَّدْت عن شيءٍ أنا فاعِلهُ ترَدُّدِي عن نفسِ المؤْمنِ، يَكرَهُ الموت وَأنا أكرَهُ مسَاءَتهُ) [1].

ومن الدعاء باسم الله المولى قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ البقرة:٢٨٦.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ التوبة:٥١.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (اللهم إني أعوذ بِكَ من العجْزِ

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع ٥/٢٣٨٤ (٦١٣٧).

وَالكَسَلِ وَالبخلِ وَالجُبنِ وَالهَرَم وَعذابِ القبرِ، اللهم آتِ نفسي تقوَاهَا، وَزَكِّهَا أنت خَيْرُ من زَكَّاهَا، أنت وَلِيُّهَا وَمولاَهَا، اللهم إني أعوذ بِكَ من قلبٍ لاَ يَخشع، وَمن نفس لاَ تشبَع، وَعِلمٍ لاَ يَنفع، وَدَعْوَةٍ لاَ يستجَاب لهَا) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المولى أن يجاهد نفسه في طاعة مولاه، فلا يعصي له أمرا ولا يرد له خبرا، فيثبت ما أثبته الله لنفسه من كمال اسمه ووصفه، وما أثبته رسوله ﷺ وهذا مقتضى تعظيم العبد لربه في اسمه المولى.

ومن آثار الاسم على العبد تقوى الله فيمن ولاه عليهم وابتلاه بهم من الرعية، فقد صح أن رسول الله ﷺ قال: (إذا صَنَع لأحَدِكُمْ خَادِمهُ طَعامهُ ثم جَاءَهُ به وَقدْ وَلي حَرَّهُ وَدُخَانهُ، فليُقعِدْهُ معهُ فليَأْكُل، فإن كَان الطَّعام منشفوها قليلا فليَضَعْ فِي يَدِهِ منهُ أكْلة أو أكْلتيْنِ) (٢).

وصح أيضا أنه قال: (اللهم من وَليَ من أمْرِ أمتي شيْئًا فشق عليْهِمْ فاشقق عليْهِ، وَمن وَلي من أمْرِ أمتي شيْئًا فرَفق بهمْ فارفُق به) (٣).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٤/٢٠٨٨ (٢٧٢٢).

(٢) مسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه ٣/١٢٨٤ (١٦٦٣) ومعنى مشفوها أي تكاثرت عليه الشفاة فأصبح قليلا.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهى عن إدخال المشقة عليهم ٣/١٤٥٨ (١٨٢٨).

٢١- النصير

قال تعالى: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ الحج:٧٨.

والنصير سبحانه هو الذي ينصر رسله وأنبياءه، وينصر أولياءه على أعدائهم في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وهو الذي ينصر المستضعفين ويرفع الظلم عن المظلومين، ويجير المضطر إذا دعاه، وهو حسب من توكل عليه، وكاف من لجأ إليه، يؤيد بنصره من يشاء، ولا غالب لمن نصره ولا ناصر لمن خذله، فمن تولاه وتولى شرعه واستنصر به، وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه، تولاه وحفظه، وصانه وحرسه، ومن خافه واتقاه آمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه وأكثر.

ومن دعاء المسألة باسم الله النصير ما ورد في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ البقرة:٢٥٠.

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ آل عمران:١٤٧.

وثبت أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول: (اللهم أنت عضُدِي

وَنصِيرِي، بِكَ أحُول، وَبِكَ أصُول، وَبِكَ أقاتِل) [(١)] .

(اللهم منزِل الكِتابِ وَمجْرِي السَّحَابِ وَهَازِم الأحزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانصُرنا عليْهِمْ) [(٢)]. (اللهم متعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَاجْعلهُما الوَارِث مني، وَانصُرنِي على من يَظلِمنِي وَخُذ منهُ بِثأرِي) [(٣)]. (رَبِّ أَعِنِي وَلاَ تعِن علي، وَانصُرنِي وَلاَ تنصُر علي وَامْكُر لِي وَلاَ تمكُر علي، وَاهْدِنِي وَيَسِّر هُدَاي إلي، وَانصُرنِي على من بَغى علي) [(٤)].

ومن دعائه ﷺ : (اللهم اقسِمْ لنا من خَشيَتِكَ ما يَحُول بَيْننا وَبَيْن معاصِيكَ، وَمن طَاعتِكَ ما تبَلغُنا به جَنتكَ، وَمن اليَقِينِ ما تهَوِّنُ به

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء ٤٢/٣ (٢٦٣٢)، والنسائي في كتاب السير، باب الدعاء عند اللقاء ١٨٨/٥ (٨٦٣٠)، وصححه الألباني، انظر صحيح أبي داود (٢٢٩١).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ١٠٨٢/٣ (٢٨٠٤)، ومسلم في الجهاد والسير، باب كراهة تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ١٣٦٢/٣ (١٧٤٢).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، كتاب الأذكار، باب دعاء الرجل على من ظلمه ٢٢٦/١ (٦٥٠)، والطبراني في المعجم الأوسط ١٢١/٦ (٥٩٨٢)، وعبد الرزاق في مصنفه ٤٤١/١٠ (١٩٦٤٠)، وصححه الألباني، انظر صحيح الأدب المفرد ٢٤٥/١، والسلسلة الصحيحة (٣١٧٠).

(٤) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥٥٤/٥ (٣٥٥١)، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب الاستنصار عند اللقاء١٥٥/٦ (١٠٤٤٣)، وأبو داود في كتاب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم ٨٣/٢ (١٥١٠)، وصححه الألباني، انظر صحيح أبي داود (١٣٣٧).

عليْنا مصيبَاتِ الدُّنيَا، وَمتعْنا بِأسْماعِنا وَأبصَارِنا وَقوَّتِنا ما أحيَيْتنا، وَاجْعلهُ الوَارِث منا، وَاجْعل ثأْرَنا على من ظَلمنا، وَانصُرنا على من عادَانا، وَلاَ تجْعل مصِيبَتنا في دِينِنا، وَلاَ تجْعلِ الدُّنيَا أكْبَرَ هَمنا وَلاَ مبلغ عِلمنا، وَلاَ تسَلط عليْنا من لاَ يَرحَمنا) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه النصير أن ينصر حزب الله ورسوله ﷺ، ليقينه بنصر الله لهم، وأن الغلبة كتبها لهم، ولو طال الامتحان والابتلاء، فالموحد يقرن نصره بصبره، ويثبت على منهج نبيه ﷺ، ولا ييأس من النصر مهما طال الصبر.

٢٢- العفو

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾ الحج:٦٠.

وصح من حديث عائِشةَ رضي الله عنها أنها قالت: (يَا رَسول اللهِ: أرَأيْت إن وَافقت ليْلةَ القدرِ، ما أدعو؟ قال: تقولِين: اللهُم إنكَ عفوٌّ تحِب العفوَ فاعْفُ عني) (٢).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٥٢٨ (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني، وانظر صحيح الترمذي (٢٧٨٣).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا وافق ليلة القدر ٦/٢١٨ (١٠٧٠٨)، وابن ماجه في الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية ٢/١٢٦٥ (٣٨٥٠)، وأحمد في المسند ٦/٢٠٨ (٢٥٧٨٢)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٣٣٣٧)، وصحيح الجامع (٤٤٢٣)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٣٩١).

والعفوُّ سبحانه هو الذي يحب العفو والستر، ويصفح عن الذنوب مهما كان شأنها، ويستر العيوب ولا يحب الجهر بها. يعفو عن المسيء كَرَمًا وإحسانًا، ويفتح واسع رحمته فضلا وإنعاما، حتى يزول اليأس من القلوب، وتتعلق في رجائها بعلام الغيوب.

ومن الدعاء باسمه العفو ما ورد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ البقرة:٢٨٦.

ومن دعاء النبي ﷺ : (اللهُم إنكَ عفُوٌّ تحِب العفوَ فاعْفُ عني)، (اللهُم إني أسْألكَ العافِيَةَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، اللهُم إني أسْألكَ العفوَ وَالعافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنيَاي وَأهْلِي وَمالِي) [١].

ومن دعاء النبي عند الصلاة على الميت: (اللهُم اغفِر لهُ وَارحَمْهُ، وَعافِهِ وَاعْفُ عنهُ وَأكْرِمْ نُزُلهُ، وَأوسِعْ مدْخَلهُ، وَاغسِلهُ بِالماءِ وَالثلجِ وَالبَرَدِ، وَنقهِ من الخَطَايَا كَما يُنقى الثوب الأبيَضُ من الدَّنسِ) [٢].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣١٨/٤ (٥٠٧٤)، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا أمسى ١٤٥/٦ (١٠٤٠١)، وأحمد في المسند ٢٥/٢ (٤٧٨٥)، وصححه الألباني، انظر صحيح الأدب المفرد ٤٨٨/١ (١٢٠٠).

(٢) رواه مسلم في الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة ٦٦٢/٢ (٩٦٣).

ومن دعاء أبي بكر الصديق ﷺ: (أسأل اللهَ العفوَ والعافِيَةَ) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه العفو أن يعفو عمن ظلمه، ويعرض عن الجاهلين، وييسر على المعسرين طلبا لعفو الله عند لقائه، وقد وجه النبي ﷺ أئمة المسلمين وولاتهم إلى درء الشبهة عن المحكومين؛ لأن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة.

٢٣- القدير

قال الله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ الروم:٥٤.

القدير سبحانه هو الذي يتولى تنفيذ المقادير ويخلقها على ما جاء في سابق التقدير؛ فمراتب القدر أربع مراتب، العلم والكتابة والمشيئة والقدرة التي بها يخلق الأشياء، فالمرتبة الأولى تناسب اسمه القادر، والرابعة تناسب اسمه القدير فالقادر سبحانه هو الذي يقدر المقادير في علمه، أو هو الذي قدر كل شيء قبل تصنيعه وتكوينه، ونظم أمور الخلق قبل إيجاده وإمداده، فالقادر يدل على التقدير في المرتبة الأولى.

أما القدير فيدل على القدرة وتنفيذ المقدر في المرتبة الرابعة، فالقدير

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/١ (٦)، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، مسألة المعافاة وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي بكر الصديق ﷺ في ذلك ٢٢٠/٦ (١٠٧١٧)، والترمذي في كتاب الدعوات ٥٥٧/٥ (٣٥٥٨)، وصححه الألباني، انظر مشكاة المصابيح (٢٤٨٩)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٣٨٧).

هو الذي يخلق وفق سابق التقدير، والقدر من التقدير والقدرة معا، فبدايته في التقدير ونهايته في القدرة وحصول المقدر، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ الأحزاب:٣٨.

ومن الدعاء باسمه القدير ما صح من حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من تعارَّ من الليْلِ فقال: لاَ إلهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لاَ شريكَ لهُ، لهُ الملكُ، وَلهُ الحَمْدُ، وَهُوَ على كُل شيْءٍ قدِيرٌ؛ الحَمْدُ للهِ، وَسبحَان اللهِ، وَلاَ إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أكْبَرُ، وَلاَ حَول وَلاَ قوَّةَ إلا بِاللهِ؛ ثم قال، اللهم اغفِر لي، أو دَعا استْجِيبَ، فإن توَضَّأ وَصَلى قبِلت صَلاَته) [١].

وصح من حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول اللهِ ﷺ كان إذا أمسى قال: (أمْسَيْنا وَأمْسَى الملكُ للهِ، وَالحَمْدُ للهِ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شريكَ لهُ، لهُ الملكُ وَلهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُل شيْءٍ قدِيرٌ، اللهُم أسْألكَ خَيْرَ هَذهِ الليْلةِ، وَأعوذ بِكَ من شرِّ هَذهِ الليْلةِ وَشرِّ ما بَعْدَهَا، اللهُم إني أعوذ بِكَ من الكَسَلِ وَسوءِ الكِبَرِ، اللهُم إني أعوذ بِكَ من عذابٍ فِي النارِ وَعذابٍ في القبرِ) [٢].

ومن الدعاء النبوي الثابت: (اللهم بِعِلمكَ الغيْبَ وَقدْرَتِكَ على الخَلقِ، أحيني ما علِمْت الحَيَاةَ خَيْرًا لي، وتوفني إذا علِمْت الوَفاة خيرًا

(١) البخاري في أبواب التهجد، باب فضل من تعار من الليل ٣٨٧/١ (١١٠٣).
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٠٨٨/٤ (٢٧٢٣).

لي، اللهم وَأسْألكَ خَشيَتكَ في الغيْبِ وَالشهَادَةِ، وَأسْألكَ كَلِمةَ الحَق في الرِّضَا وَالغضَبِ، وَأسْألكَ القصْدَ في الفقرِ وَالغِنى، وَأسْألكَ نعيمًا لاَ يَنفدُ، وَأسْألكَ قرَّةَ عيْنٍ لاَ تنقطِع، وَأسْألكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ القضَاءِ وَأسْألكَ بَردَ العيْشِ بَعْدَ الموتِ، وَأسْألكَ لذةَ النظَرِ إلى وَجْهكَ وَالشوق إلى لِقائِكَ في غيْرِ ضَرَّاءَ مضِرةٍ وَلا فِتنةٍ مضِلةٍ، اللهم زَيِّنا بِزِينةِ الإيمانِ، وَاجْعلنا هُدَاة مهْتدِين) [(١)].

وثبت عن النبي ﷺ من حديث جابر ﷺ أنه قال: (كَان رَسول اللهِ يُعلمنا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأمورِ كَما يُعلمنا السورَةَ من القرآنِ يَقول: إذا هَم أحَدُكُمْ بِالأمْرِ فليَركَعْ رَكْعتيْنِ من غيْرِ الفرِيضَةِ ثم لِيَقلِ اللهُم إني أسْتخِيرُكَ بِعِلمكَ وستقدرك بِقدْرَتِك، وَأسْألكَ من فضْلِكَ العظِيم، فإنكَ تقدِرُ وَلاَ أقدِرُ وَتعْلم وَلاَ أعْلم وَأنت علاَّم الغُيُوبِ، اللهُم إن كُنت تعْلم أن هَذا الأمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمعاشِي وَعاقِبَةِ أمْرِي فاقدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثم بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإن كُنت تعْلم أن هَذا الأمْرَ شرٌّ لِي فِي دِينِي وَمعاشِي وَعاقِبَةِ أمْرِي فاصْرِفهُ عني وَاصْرِفنِي عنهُ، وَاقدُر لِي الخَيْرَ حَيْث كَان ثم أرضِنِي، قال: وَيُسَمي حَاجَتهُ) [(٢)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه القدير يقينه بأن القضاء والقدر أمر واقع محتوم، وذلك لا يعني أنه مجبر مظلوم، فهو في دار ابتلاء مخير

(١) رواه النسائي في صفة الصلاة ١/٣٨٧ (١٢٢٨)، وأحمد في المسند ٤/٢٦٤ (١٨٣٥١)، وصححه الألباني، انظر مشكاة المصابيح (٢٤٩٧).

(٢) البخاري في الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة ٥/٢٣٤٥ (٦٠١٩).

في فعله، محاسب على ذنبه، وأن الابتلاء له وجهان: وجه يتعلق بقدرة الله وفعله بنا، ووجه يتعلق بفعلنا تجاه فعله، ومدى التزامنا بأمره وشرعه، فإذا أيقن العبد بذلك ظهرت آثار الإيمان على حركاته وسكناته، فلن يحتج بالقدر على عصيانه ومخالفاته، لعمله ويقينه أن التقدير المحكم لا بد بالضرورة أن يسبق التخليق والتصنيع، وأن الله ﷻ أحكم للمخلوقات غاياتها، وقضى في اللوح أسبابها ومعلولاتها، فلن يتغير بنيان الخلق إلا بعد استكماله وتمامه، ولن يتبدل سابق الحكم في سائر الملك إلا بقيامه وكماله، وتلك مشيئة الله في خلقه.

٢٤- اللطيف

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ الملك:١٤.

وصح من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: (لتخبِرِينِي أو ليُخبِرَني اللطِيفُ الخبِيرُ) (١).

اللطيف سبحانه هو الذي اجْتمع له العلم بدَقائق المصَالح وإيصَالها إلى من قدرها له من خَلقه مع الرفق في الفِعل والتنفيذ. والله سبحانه لطيف بعباده، رفيق بهم، قريبٌ منهم، يعامل المؤمنين بعطف ورأفة وإحسان، ويدعو المخالفين إلى الإنابة والتوبة والغفران، مهما بلغ بهم الذنب والجرم والعصيان، وهو لطيف بعباده يعلم دقائق أحوالهم، ولا

(١) مسلم في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور ٢/٦٧٠ (٩٧٤).

يخفى عليه شيء مما في صدورهم.

واللطيف أيضا هو الذي ييسر للعباد أمورهم ويستجيب منهم دعائهم فهو المحسن إليهم في خفاء وستر من حيث لا يعلمون، فنعمه عليهم سابغة ظاهرة لا يحصيها العادون، ولا ينكرها إلا الجاحدون، وهو الذي يرزقهم بفضله من حيث لا يحتسبون. كما أنه يحاسب المؤمنين حسابا يسيرا بفضله ورحمته، ويحاسب غيرهم من المخالفين وفق عدله وحكمته .

ومن الدعاء القرآني باسمه اللطيف ما ورد في قوله تعالى عن يوسف ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ يوسف:١٠٠.

اللهم إنك لطيف لما تشاء، وأنت العليم الحكيم، ارفع عني البلاء والشقاء، وأعذني من الشيطان الرجيم. (اللهم الطف بي في تيسير كل عَسير؛ فإن تيسير كل عَسير عَليك يَسير، وأسألك اليُسْر والمعافاة في الدنيا والآخرة) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه اللطيف أن يتلطف للمسلمين، ويحنو على اليتامى والمساكين، ويسعى للوفاق بين المتخاصمين، وينتقي لطائف القول في حديثه مع الآخرين، ويبش في وجوههم، ويحمل قولهم على ما يتمناه من المستمعين؛ فإن الظن أكذب الحديث.

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٦١/٢ (١٢٥٠)، في رفعه ضعف، وقد يكون من دعاء أبي هريرة ﷺ، انظر ضعيف الجامع (١١٨١).

وقد ذم الله أناسا من المنافقين اتهموا أم المؤمنين رضي الله عنها بفرية باطلة، فرفع الله قدرها ورد كيديهم لها، وقد كان النبي ﷺ لطيفا بأهله رحيما بهم.

وثبت أن رسول اللهِ ﷺ قال: (ألاَ أخبِرُكمْ بِمن يَحرُم على النارِ أو بِمن تحرُم عليْهِ النارُ على كل قرِيبٍ هَيِّن ليِّنٍ سَهْل) [١].

ومن حديث عبد اللهِ بن الحارث ﷺ قال: (ما رَأيت أحَدًا أكثرَ تبَسمًا من رَسول اللهِ ﷺ) [٢].

٢٥- الخبير

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ الأنعام:١٨.

الخبير سبحانه هو العالِم بما كَان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وليس ذلك إلا لله ﷻ، فهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يتحرك متحرك ولا يسكن إلا بعلمه، ولا تستقيم حياته إلا بأمره.

---

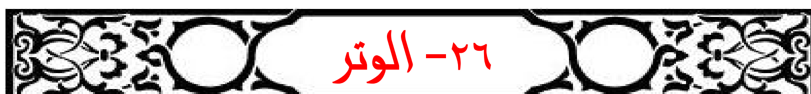
(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٤/٦٥٤ (٢٤٨٨) وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٩٣٨)، وصحيح الجامع (٢٦٠٩)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢٦٧٦).

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم ٥/٦٠١ (٣٦٤١)، وأحمد في المسند ٤/١٩٠ (١٧٧٤٠)، وصححه الألباني، انظر مختصر الشمائل ١/١٢٠ (١٩٤)، وصحيح الترمذي (٢٨٨٠).

ومن الدعاء باسمه الخبير على مقتضى ما ورد في الآيات القرآنية: اللهم أنت الخبير البصير، سبحانك وبحمدك، توكلت عليك في مسألتي، وأنت عليم بذنبي، فاغفر لي، وعافني، ويسر لي أمري، ويسمي ما يشاء من حوائجه.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الخبير اعتماده على تدبير ربه في كل صغيرة وكبيرة من أمره، فطالما آمن العبد بأن الله خبير، سلم له في جميع شئونه مطلق التدبير، وهذا شأن أهل التوحيد واليقين ألا يخالفوا مراد الله وتدبيره، بل يسلموا إليه أمورهم ثقة في كمال تدبيره، سواء كان تدبيرا كونيا على مقتضى حكمته في ترتيب الابتلاء، أو كان تدبيرا شرعيا يتعلق بما أمرهم به أو نهاهم أو ندبهم أو دعاهم، فلا ينازعون الله في تدبيره وشرعه، ويسلمون بالرضا لقضائه وقدره؛ ليقينهم أنه ﷻ الملك الخبير القادر القدير، القابض على نواصي الخلق والمتولي شئون الملك، وتيقنهم مع ذلك أنه الحكيم في أفعاله، وأنها لا تخرج عن العدل والحكمة والفضل والرحمة، فالذي وحد الله في اسمه الخبير يختار الله وكيلا كفيلا.

والله ﷻ إذا تولى أمر عبد بجميل عنايته كفاه وأغناه وأسعده في الدنيا والآخرة.



٢٦- الوتر

قال رسول ﷺ: (لله تِسعَة وتِسعُون اسمًا مِائَة إلا واحِدًا، لاَ يَحْفَظهَا

أحدٌ إلا دَخل الجَنة، وهو وترٌ يُحِبُّ الوتر) [(١)].

وصح من حديث علي ﷺ أنه قال: أوترَ رَسُول الله ﷺ ثمَّ قال: (يَا أهل القرآنِ أوترُوا، فإن اللهَ ﷻ وِترٌ يُحِبُّ الوِترَ) [(٢)].

والوتر سبحانه هو الواحد الذي لا يتشفع بشريك، انفرد عن خلقه فجعلهم شفعا، لا تعتدل المخلوقات ولا تستقر إلا بالزوجية، ولا تهنأ على الفردية والأحدية، فالرجل لا يهنأ إلا بزوجته، ولا يشعر بالسعادة إلا مع أسرته، فيراعى في قراره ضروريات أولاده وزوجته، ولا يمكن أن تستمر الحياة التي قدرها الله على خلقه بغير الزوجية، حتى في تكوين أدق المواد الطبيعية، كل ذرة تتزاوج مع أخواتها، سواء كانت سالبة أو موجبة، فهذه بناية الخلق بتقدير الحق، بنيت على الزوجية والشفعية.

أما ربنا ﷻ فذاته وصفاته وترية، وهو سبحانه العزيز بلا ذل، والقدير بلا عجز، والقوي بلا ضعف، والعليم بلا جهل، وهو الحي الذي لا يموت، والقيوم الذي لا ينام.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد ٥/٢٣٥٤ (٦٠٤٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٤/٢٠٦٢ (٢٦٧٧).

(٢) رواه أبو داود في الوتر، باب استحباب الوتر ٢/٦١ (١٤١٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الوتر ١/٣٧٠ (١١٦٩)، وأحمد في المسند ١/١٤٨ (١٢٦١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٩٤)، وصحيح الجامع (٧٨٦٠)، وصحيح ابن ماجة (٩٥٩).

ومن الدعاء بما يناسب اسمه الوتر: (اللهمَّ إني أسألكَ يَا أللهُ بأنكَ الواحِدُ الأحد الصَّمَدُ الذي لمْ يَلدْ ولمْ يُولدْ، ولمْ يَكُن له كُفوا أحدٌ أن تغفرَ لي ذنوبي، إنكَ أنت الغفورُ الرَّحِيم) (١).

الحمد لله الواحد الأحد الوتر الصمد الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، سبحان الله والحمد لله، والله أكبر، اللهم إني أسألك باسمك الوتر أن تجعلني من الموحدين، وأن تلحقني بالصالحين.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الوتر محبته للتوحيد والوترية في كل قول أو فعل، فيغتسل وترا، ويستجمر وترا، ويستنثر وترا، ويجعل آخر صلاته بالليل وترا، وإذا اكتحل فليكتحل وترا، ويغسل الميت وترا، ويأكل التمرات وترا، ويشرب وترا.

وصح أن رسول الله ﷺ قال لأنس ﷺ: (إِذا اشتكيْت؛ فضَعْ يَدَكَ حيْث تشتكِي وقل: بسمِ الله أعُوذ بعِزةِ الله وقدْرَته مِن شرِّ مَا أجِدُ مِن وجعي هَذا، ثمَّ ارفعْ يَدَكَ، ثمَّ أعِدْ ذلكَ وِترًا) (٢).

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة، باب ما يقول بعد التشهد ١/٢٥٩ (٩٨٥)، والنسائي في صفة الصلاة، باب الدعاء بعد الذكر ١/٣٨٦ (١٢٢٤)، وأحمد في المسند ٤/٣٣٨ (١٨٩٩٥) وصححه الألباني، انظر صحيح أبي داود (٨٦٩).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في الرقية إذا اشتكى ٥/٥٧٤ (٣٥٨٨) وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (١٢٥٨).

٢٧- الجميل

صح من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِن اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَال) (١).

والجميل سبحانه هو المتصف بالجمال المطلق في الذات والأسماء والصفات والأفعال، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: (حِجَابه النورُ لو كَشفه لأَحْرَق سُبُحات وجْهه مَا انتهى إِليْه بَصَرُه مِن خلقه) (٢).

أما جمال الذات وكيفية ما هو عليه فأمر لا يدركه سواه ولا يعلمه إلا الله، وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلى من أكرمه من عباده. وأما جمال صفاته فكلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة، ومصلحة وعدل ورحمة، وأما جمال الأسماء فتبارك ربنا في أسمائه الحسنى.

ومن الدعاء بما يناسب اسمه الجميل: (اللهم اغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية) (٣). (اللهم أَسألكَ لذة

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ (٩١).

(٢) مسلم في الإيمان، باب في قوله ﷺ: إن الله لا ينام ١٦١/١ (١٧٩).

(٣) انظر الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني ٤٦٩/١ (١٩٠٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين البرهان فوري ١٨٥/٢ (٣٦٦٣) نشر مؤسسة الرسالة، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني (٣٢٧٨).

النظرِ إلى وجْهكَ، والشوق إلى لقائِكَ، في غيْرِ ضَرَّاءَ مضِرةٍ، ولاَ فِتنة مضِلةٍ، اللهمَّ زَيِّنا بزينة الإيمَانِ، واجْعَلنا هدَاة مهتدِين) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الجميل اتصافه بجمال المظهر والجوهر، أما جمال المظهر فقد صح أن النبي ﷺ : (إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتباؤس) [٢].

وجمال المظهر يفسده العجب والتكبر، أما جمال الجوهر فله الأسبقية على المظهر، وهو حسن الاعتقاد في الله، وأن الجمال الحقيقي أن يفهم العبد حقيقة الحياة، فيستعين بالله في كمال العبودية، ويرضى بما قسمه له في باب الربوبية، وأن الجلال المطلق القائم على الكمال والجمال إنما هو لله وحده.

٢٨- الحيي

صح من حديث يَعْلى بن أمية ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله

(١) رواه النسائي في صفة الصلاة، ٣٨٧/١ (١٢٢٨)، وابن حبان في صحيحه ٣٠٤/٥ (١٩٧١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٩٧).
(٢) انظر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين البرهان فوري ٦٣٩/٦ (١٧١٦٦) نشر مؤسسة الرسالة، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (١٧٤٢).

ﷻ حييٌّ سِتيرٌ، يُحِبُّ الحيَاءَ والسَّترَ، فإذا اغتسَلَ أحدُكُمْ فليَستتر)[(١)].

وثبت من حديث سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن رَبَّكُمْ تبَارَكَ وتعَالى حيي كَريمٌ يَستحْيي مِن عَبْدِهِ إذا رَفعَ يَدَيْه إليْه أن يَرُدَّهما صِفرًا)[(٢)].

والحيي سبحانه هو الذي تكفل بعباده وضمن أرزاقهم، يسمع دعاءهم ولا يخيب رجاءهم، وهو الذي يوفق أولياءه إلى الطاعة والإيمان، ويعصمهم من هوى النفس ووسواس الشيطان، وهو الذي يقبل توبة المذنبين من عباده مهما عظمت ذنوبهم ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها، يحب الستر فيسترها عليهم، ويدعوهم إلى الحياء منه، لأنه ليس لهم ملجأ سواه، ولا رب لهم إلا الله، وحياء الرب تعالى لا تدركه الإفهام، ولا تكيفه العقول فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال.

ومن الدعاء بمقتضى اسم الله الحيي: اللهم إنك حيي كريم، رفعت يدي إليك فلا تردني خائبا، اللهم إني لا أمل من دعائك، ولا أيأس من رجائك فزدني من كرمك وعطائك، اللهم اغفر ذنوبي،

(١) رواه أبو داود في كتاب الحمام، باب النهي عن التعري ٤/٣٩ (٤٠١٢)، والبراز هو الفضاء الواسع من الأرض الذي يتخذ مكانا لقضاء الحاجة، انظر صحيح أبي داود ٢/٧٥٨ (٣٣٨٧).

(٢) رواه أبو داود في كتاب سجود القرآن، باب الدعاء ٢/٧٨ (١٤٨٨)، وانظر صحيح ابن ماجة ٢/٣٣١ (٣١١٧).

واستر عيوبي، واحفظني بحفظك وحيائك فإنك حيي ستير تحب الحياء والستر.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الحيي أن تكون حلية العبد وزينته ولباسه بعد تقوى الله الحياء، فقد صح أن رسول الله ﷺ قال: (مَا كَانَ الفحْشُ فِي شيْءٍ إلا شانه، ومَا كَانَ الحيَاءُ فِي شيءٍ إلا زَانه) [(١)].

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (استحيُوا مِن الله حق الحيَاءِ، قلنا: يَا رَسُول الله إنا لنستحْيِي والحمْدُ لله، قال: ليْسَ ذاكَ، ولكن الاِستِحْيَاء مِن الله حق الحيَاءِ أن تحْفظ الرَّأسَ ومَا وعَى، وتحْفظ البَطن ومَا حوى، وتتذكَّرَ الموت والبلى، ومَن أرَادَ الآخِرَة ترَكَ زينة الدُّنيَا، فمَن فعَل ذلكَ فقدِ استحْيَا مِن الله حق الحيَاءِ) [(٢)].

٢٩- الستير

صح عن النبي ﷺ أنه قال: (إن اللّٰه عز وجل حليمٌ حيي سِتيرٌ، يُحِبُّ الحيَاءَ والسَّترَ) [(٣)]. وقد تقدم الدليل أيضا مقرونا مع اسم الله الحيي .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش٤/٣٤٩ (١٩٧٤)، صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة ٤/٦٣٧ (٢٤٥٨)، صحيح الجامع (٩٣٥).

(٣) رواه النسائي في كتاب الغسل، باب الاستتار ثم الاغتسال ١/٢٠٠ (٤٠٦)، صحيح أبي داود ٢/٧٥٨ (٣٣٨٧).

والستير سبحانه هو الذي يحب الستر ويبغض القبائح، ويأمر بستر العورات ويبغض الفضائح يستر العيوب على عباده وإن كانوا بها مجاهرين ويغفر الذنوب مهما عظمت طالما كان العبد من الموحدين، وإذا ستر الله عبدا في الدنيا ستره يوم القيامة.

وصح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لاَ يَسترُ الله عَلى عَبْدٍ في الدنيَا إلا سَترَه الله يَومَ القيَامَةِ) [١].

وصح أيضا أنه ﷺ قال: (إن اللهَ يُدْنِي المؤمِن فيَضَعُ عَلَيْه كَنَفه ويَستُره فيَقول: أتعْرِف ذنبَ كَذا؟ أتعْرِف ذنبَ كَذا؟ فيَقول: نعَمْ أيْ رَب حتى إذا قرَّرَه بذنوبه، ورأَى في نفسِه أنه هَلك قال: سَترتها عَلَيْك في الدُّنيَا، وأنا أغفِرُهَا لك اليَومَ فيُعْطَى كِتابَ حسَناته، وأمَّا الكافِرُ والمنافِقون فيَقول الأشهَادُ هَؤُلاَءِ الذين كَذبُوا عَلى رَبهمْ ألاَ لعْنة الله عَلى الظالِمين) [٢].

ومن الدعاء باسم الله الستير ما صح من حديث ابن عمر ﷺ أنه قال: (لمْ يَكُن رَسُول الله ﷺ يَدَعُ هَؤُلاَءِ الدَّعَوات حِين يُمْسِي وحِين يُصبْحُ: اللهمَّ إني أسألكَ العَافِيَة فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ، اللهمَّ إني أسألكَ

(١) رواه مسلم في البر والصلة والأدب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة ٤/٢٠٠٢ (٢٥٩٠)، وانظر فيض القدير ٢/٢٢٨، وعون المعبود ١١/٣٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ألا لعنة الله على الظالمين ٢/٨٦٢ (٢٣٠٩).

العَفو والعَافِيَة فِي دِينِي ودُنيَاي وأهلي ومَالي، اللهمَّ استر عَورَاتِي وآمِن رَوعَاتِي، اللهمَّ احْفظنِي مِن بينِ يَدَي ومِن خلفِي، وعَن يَمِينِي وعَن شِمَالي ومِن فوقِي وأعُوذ بعَظمَتك أن أغتال مِن تحْتِي) [١].

وصح في الحديث المرفوع: (اللهم استر عورتي، وآمن روعتي، واقض عني ديني) [٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الستير أن يستر على نفسه وغيره الحرمة، وأن يكثر من الطاعة والتهجد في الظلمة، وقد صح أن رسول الله ﷺ قال: (ومَن سَترَ مسلمًا سَترَه الله يَومَ القيَامَةِ) [٣].

وقال رسول الله ﷺ: (كُل أمَّتِي معَافى إلا المجَاهِرين، وإن مِن المجَانة أن يَعْمَل الرَّجُل بالليْل عَمَلا، ثمَّ يُصبْح وقدْ سَترَه الله، فيَقول: يَا فلاَن عَمِلت البَارِحة كَذا وكَذا، وقدْ بَات يَستُرُه رَبه ويُصبْحُ يَكْشِف سِترَ الله عَنه) [٤].

وصح أن رسول الله ﷺ قال: (ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيْئًا ثمَّ سَترَه الله فهو إلى الله، إن شاءَ عَفا عَنه، وإن شاءَ عَاقبه) [٥].

---

(١) رواه أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٤/٣١٨ (٥٠٧٤)، صحيح الجامع (١٢٧٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤/٨١ (٣٧١٠)، صحيح الجامع (١٢٦٢).

(٣) البخاري في المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ٢/٨٦٢ (٢٣١٠).

(٤) البخاري في الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه ٥/٢٢٥٤ (٥٧٢١).

(٥) البخاري في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار ١/١٥ (١٨).

٣٠- الكبير

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ الرعد:٩.

الكبير سبحانه هو الواسع العظيم، عظمة مطلقة في الذات والصفات والأفعال، فهو الذي كبر وعلا في ذاته، قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ البقرة:٢٥٥.

وروي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم) [١].

وهو الكبير في أوصافه فلا سمي له ولا مثيل، ولا شبيه ولا نظير، وهو الكبير في أفعاله، فعظمة الخلق تشهد بكماله وجلاله، وهو سبحانه المتصف بالكبرياء، ومن نازعه في وصفه قسمه وعذبه.

ومن الدعاء باسم الله الكبير: (لاَ إلهَ إلا الله وحْدَه لاَ شريكَ له، الله أكْبَرُ كَبيرًا، والحمْدُ لله كثيرًا، سُبْحان الله رَب العَالِمين، لاَ حول ولاَ قوة إلا بالله العَزيز الحكِيمِ، اللهمَّ اغفِر لي، وارحمني، واهدِنِي وارزُقنِي) [٢]. (الله أكْبَرُ كَبيرًا، والحمْدُ لله كثيرًا، وسُبْحان الله بُكْرَةَ وأصِيلا) [٣].

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/٢٥.

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٤/٢٠٧٢ (٢٦٩٦).

(٣) مسلم في المساجد، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ١/٤٢٠ (٦٠١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الكبير خضوعه لله بتوحيد بالعبودية، وأن يخلع عن نفسه أوصاف الربوبية، ولا ينازع ربه أو يتشبه به في الكبرياء والفوقية، فيرى ضآلة نفسه ووصفه مهما بلغت به الرياسة والحاكمية، ولا يغضب لأموره الشخصية، بل يغار إذا انتهكت حرمات الله ويتقبل النصح من آحاد الرعية، وأن يكون أمينا راعيا على قدر الأمانة والمسئولية.

وإذا أخذته العزة بأنه الكبير في أرضه والأمير على بلده تذكر أن الله ﷻ متوحد في اسمه ووصفه؛ وأنه الكبير الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك.

٣١- المتعال

قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ الرعد:٩.

وصح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (يَقول الله ﷻ: أنا الجَبَّارُ، أنا المتكبرُ، أنا الملكُ، أنا المتعال، يُمَجِّدُ نفسَه) [١].

المتعَالي سبحانه هو القاهرُ فوق عباده بقدرته التامَّةِ، فالاسم يدل على علو القهر وهو أحد معاني العلو، فالمتعالي هو المستعلي على كل شيء بقدرته، قد أحاط بكل شيء علما، وقهر كل شيء ذلا، فخضعت له الرقاب، ودانت له العباد طوعا وكرها، فكل شيء تحت

(١) مسند أحمد ٨٧/٢ (٥٦٠٨) وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قهره وسلطانه وعظمته، ليس فوقه شيء في قهره وقوته، فلا غالب له ولا منازع، ملك فوق عرشه علا بذاته وشأنه وقهره.

قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المؤمنون:٩١.

ومن الدعاء بمعنى اسمه المتعال ما ورد في دعاء نبي الله موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ غافر:٢٧.

وصح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوما قال: (اللهمَّ إنا نجْعلكَ فِي نُحورِهمْ، ونعُوذ بكَ مِن شُرُورِهمْ)[١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المتعال أن يخضع بفقره وذله لربه، فهو لله على الدوام ذليل خاضع، وفي جناب عزه مسكين متواضع لعلمه أن المتعال لا يدفعه عن مراده دافع، وليس له شريك ولا منازع، لا يخلع الموحد عن نفسه رداء العبودية لينازع ربه في القهر والشأن والفوقية، أو يشاركه في العلو والكبرياء وعظمة الأوصاف والأسماء، فالعلو والعظمة والعزة لا تليق إلا بالله المتعال.

٣٢- الواحد

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا خاف قوما ٨٩/٢ (١٥٣٧)، صحيح الجامع (٤٧٠٦).

ورد الاسم في قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ إبراهيم:٤٨.

والواحد سبحانه هو القائم بنفسه، المنفرد بوصفه، الذي لا يفتقر إلى غيره أزَلا وأبَدا.

وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، كان ولا شيء معه ولا شيء قبله، ومازال بأسمائه وصفاته واحدا أحدا أولا قبل خلقه، فوجود المخلوقات لم يزده كمالا كان مفقودا، أو يزيل نقصا كان موجودا، فالوحدانية قائمة على معنى الغنى بالنفس والانفراد بكمال الوصف، خلق الخلق بلا معين ولا ظهير، ومن انفرد بالخلق انفرد بالملك، فليس لأحد في ملكه شرك، وصلاح العالم بأسره قائم على وحدانيته في تدبير الخلق، فلو كان للعالم إلهان ربان معبودان لفسد نظامه واختلت أركانه.

ومن الدعاء باسم الله الواحد ما صح أن رَسُول الله ﷺ دَخل المسجِدَ إذا رَجُلٌ قدْ قضى صَلاَته وهو يَتشهَّدُ فقال: (اللهمَّ إني أسألكَ يَا أللهُ بأنكَ الواحِدُ الأحدُ الصَّمَدُ الذي لمْ يَلدْ ولمْ يُولدْ ولمْ يَكُن له كُفُوا أحدٌ أن تغفِرَ لي ذنوبي إنكَ أنت الغفورُ الرَّحِيم، فقال رَسُول الله ﷺ : قدْ غفِرَ له ثلاثًا) [1].

---

(١) رواه النسائي في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر ٣٨٦/١ (١٢٢٤)، صحيح أبي داود ١٨٥/٢(٨٦٩).

وصح أيضا أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: (لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَه لا شرِيكَ له، له الملكُ وله الحمْدُ وهو على كل شيْءٍ قدِيرٌ، اللهمَّ لا مَانِع لما أعْطيْت ولا معْطِي لما مَنعْت، ولا يَنفعُ ذا الجَدِّ مِنك الجَدُّ) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الواحد أن يتجلى توحيده لله في كل قول أو فعل، فيكثر من ترديد الشهادة والذكر عملا بما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مَن قال لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَه لا شرِيكَ له، له الملك وله الحمْدُ وهو على كل شيْءٍ قدِيرٌ فِي يَوم مِائة مَرَّةٍ، كَانت له عدْل عشرِ رِقابٍ وكتِبَ له مِائة حسَنة ومحِيَت عنه مِائة سَيِّئةٍ، وكَانت له حِرزًا مِن الشيْطانِ يَومَه ذلكَ حتى يُمْسِي، ولمْ يَأْتِ أحدٌ بأفضَلَ مِمَّا جَاءَ به إلا رَجُل عمِل أكْثرَ مِنه) (٢).

وكذلك يكون المسلم ثابتا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، اعتقادا منه أن أموره ترجع إلى الله ﷻ وحده لا شريك له، فيتوكل عليه، ويلجأ إليه، ويستعين به، ويعتمد عليه، فالله ﷻ هو المنفرد بالوحدانية وعلو القهر وله كمال القدرة والحكم والأمر، فمن وحد الله في هذا الاسم أدرك الغاية من خلقه، وأحسن التوكل على ربه، ولا يضره إعراض الخلق ثقة في وعد الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري في الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة ٥/٢٣٣٢ (٥٩٧١).
(٢) رواه البخاري في الدعوات، باب فضل التهليل٥/٢٣٥١ (٦٠٤٠).

٣٣- القهار

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ١٦﴾ الرعد: ١٦.

القهار سبحانه هو الذي له علو القهر باعتبار الكثرة والتعيين في الجزء، أو باعتبار نوعية المقهور، فالله ﷻ أهلك قوم نوح وقهرهم وقهر قوم عاد وثمود، وقهر فرعون وهامان والنمرود، وقهر قوم لوط، وقهر أبا جهل والمشركين، وقهر الفرس والصليبيين، فهو سبحانه قهار لكل متكبر جبار، كثير القهر للظالمين، يقهر من نازعه في ألوهيته وعبادته وربوبيته وحاكميته وأسمائه وصفاته، وقهره سبحانه عظيم أليم.

ومن الدعاء باسم الله القهار ما صح عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا تقلب من شدة الألم وتضور من الليل قال: (لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السماوات والأرض، وما بينهما العزيز الغفار) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه القهار قهر النفس على الطاعة والإيمان، فيقهرها بالاستغفار والتوبة، ويقهر وسواس الشيطان بالاستعاذة، ويقهر الشبهة والجهل باليقين ونور العلم، ويقهر كل ظالم جبار بالاستعاذة بالله الواحد القهار. ومن أثار الاسم على المسلم أن يلين للفقراء والمستضعفين، ويحنوا على اليتامى والمساكين، ويعفو عند

(١) صحيح ابن حبان (٥٥٣٠)، وانظر الجامع الصغير للسيوطي ١/١٠٧ (١٤٦)، وانظر أيضا السلسلة الصحيحة ٥/٩٨ (٢٠٦٦)، ومعنى تضور أي تقلب وتلوى من شدة الألم.

المقدرة عن المسيئين.

وثبت أن النبي ﷺ قال: (ثلاث والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ إن كنت لحالفا عليْهن، لا يَنقصُ مَال مِن صَدَقَة فتصَدقوا، ولا يَعفو عبْدٌ عن مَظلمةٍ يَبْتغي بها وجْهَ الله إلا رَفعه الله بها عِزا يَومَ القيَامَةِ، ولا يَفتحُ عبْدٌ بَابَ مَسألةٍ إلا فتح الله عليْه بَابَ فقر) (١).

٣٤- الحق

قال الله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المؤمنون:١١٦.

الحق سبحانه هو المتصف بالوجود الدائم والحياة والقيومية والبقاء، فلا يلحقه زوال أو فناء، وكل أوصاف الحق كاملة جامعة للكمال والجمال والعظمة والجلال، وهو الذي يحق الحق ويقول الحق، وإذا وعد فوعده الحق، ودينه حق وكتابه حق، وما أخبر عنه حق، وما أمر به حق، وهو الذي يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.

ومن الدعاء باسم الله الحق ما صح أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يتهجد قال: (اللهمَّ لكَ الحمْدُ أنت قيِّم السَّمَاواتِ والأرض ومَن فِيهن، ولكَ الحمْدُ، لكَ ملك السَّمَاواتِ والأرض ومَن فِيهن، ولكَ الحمْدُ أنت نورُ السَّمَاواتِ والأرض، ولكَ الحمْدُ أنت الحق، ووعْدُكَ

---

(١) أحمد في المسند ١/١٩٣(١٦٧٤)، صحيح الترغيب والترهيب (٨١٤).

الحق، ولقاؤُكَ حق، وقولكَ حق، والجَنة حق، والنارُ حق، والنبيون حق، ومحمَّدٌ ﷺ حق، والسَّاعة حق، اللهمَّ لكَ أسلمْت وبكَ آمَنت، وعليْكَ توكَّلت، وإليْكَ أنبْت، وبكَ خاصَمْت، وإليْكَ حاكَمْت، فاغفِر لي مَا قدمْت ومَا أخرت، ومَا أسرَرت ومَا أعْلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤَخرُ، لا إلهَ إلا أنت) [(١)].

وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنبياء:١١٢. وقوله: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأعراف:٨٩.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الحق التزامه بالحق في أموره كلها، وأولها التزامه بحق الله عليه وهو توحيد العبادة لله. والله ﷻ وعد عباده تفضلا منه وتكرما ألا يعذب من وفى منهم حقه ولم يشرك به شيئا. أما العباد فليس لهم حق على ربهم، لأنه لا فضل لأحد عليه، لكن الله ﷻ حق، وقوله حق ووعده صدق، فلو أن عبده وحده ودان دين الحق فقد نال الفضل وأزيد من العدل.

ومن أثار الاسم أيضا على سلوكه أن يقول الحق وأن يشهد بالصدق ولا يكذب أبدا، وكذلك يصبر على الحق، ويتواصى به ثقة وتوحيدا في اسم الله الحق، وأن يصدع بالحق ولا يستحيي منه، ولا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ٥/٢٣٢٨ (٥٩٥٨)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ١/٥٣٢ (٧٦٩)، واللفظ لمسلم.

يخشى في الله لومة لائم.

٣٥- المبين

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ النور:٢٥.

المبين سبحانه هو المنفرد بوصفه المباين لخلقه، وهو الملك على عرشه، الرقيب على ملكه، القريب من عبده، يسمع كلامه ويرى أفعاله، ويعلم سره ونجواه، له مطلق العلو والفوقية، وهو الذي أبان لكل مخلوق علة وجوده وغايته، وأبان لهم طلاقة قدرته مع بالغ حكمته، وأبان لهم الأدلة القاطعة على وحدانيته، وأبان لهم دينهم بأحكام شريعته، ولا يعذب أحدا من خلقه إلا بعد بيان حجته، خاطب عباده بكل أنواع البيان، وأقام حجته بكل أنواع البرهان.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله المبين ما صح عن النبي ﷺ أنه قال: (اللهمَّ رَبَّ جِبْرَائِيل ومِيكَائِيل وإسرَافِيل، فاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأرض عالم الغيْب والشهَادَةِ، أنت تحْكم بين عِبَادِكَ فِيمَا كَانوا فِيه يَخْتلفون، اهدِنِي لما اخْتلف فِيه مِن الحق بإذنك، إنك تهدِي مَن تشاءُ إلى صِرَاطٍ مستقيم) (١).

وكذلك يدعو المسلم به طلبا لبيان ما أغلق عليه من الأمور

---

(١) مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل ١/٥٣٤ (٧٧٠).

والمسائل العلمية، أو ما خفي عليه أو ضاع منه مما لا يجده من أموره الشخصية، فيقول: اللهم بين لي كذا، أو بين لي في مسألة كذا.. ويسمي ما يشاء.

وقد صح أن النبي ﷺ دعا فقال في شأن المتلاعنين: (اللهمَّ بين) [١]. ودعا عمر بن الخطاب ﷺ في الخمر فقال: (اللهمَّ بين لنا في الخمْرِ بيانا شِفاءً) [٢].

ومن ثم فإن المسلم يدعو بما شاء مما يناسب اسم الله المبين، لاسيما إن كان مظلوما ولا يجد دليلا لبراءته، أو كان عاجزا عن بيان حجته؛ فالدعاء بالاسم أن يذكره في دعائه يتقرب به إلى ربه طلبا لحاجته، كقوله: اللهم أنت الحق المبين، فرج كربي، وارفع الظلم عني.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المبين مجاهدته لنفسه ليبقى باديا بسمت الإيمان وأخلاق القرآن، كما أنه يصدع بالحق ولا يخاف جائرا ولا سلطان، لأن غير الله أيا كان بقاؤه بإبقاء الله وقدرته، فالموحد لله في اسمه المبين يحب ظهور الحق ولو على لسان خصومه، كما قال الإمام الشافعي: (ما ناظرت أحدا وأحببت أن يخطئ، بل أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه من الله رعاية وحفظ، وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يظهر الحق على لساني أو لسانه) [٣] .

---

(١) البخاري في الطلاق، باب قول النبيﷺ لو كنت راجما ٥/ ٢٠٣٤ (٥٠٠٤).
(٢) رواه أبو داود في كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر ٣/٣٢٥ (٣٦٧٠).
(٣) حلية الأولياء ٩/ ١١٨، وفيض القدير شرح الجامع الصغير ٣/٩٠.

٣٦- القوي

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ الشورى:١٩.

القوي ﷻ هو الموصوف بالقوة المطلقة،لا يغلبه غالب ولا يمنعه مانع، ولا يرد قضاءه راد ولا يدفعه دافع، وهو القادر على إتمام فعله القوي في بطشه وأخذه، له الخلق والأمر في ملكه، قوي في ذاته لا يعتريه ضعف أو قصور، قيوم لا يتأثر بوهن أو فتور، ينصر من نصره ويخذل من خذله، كتب الغلبة لنفسه ورسله وجند وحزبه.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله القوي ما صح عن النبي ﷺ أنه قال: (مَن تعارَّ مِن الليْل فقال: لا إلهَ إلا الله وحْدَه لا شرِيكَ له، له الملك وله الحمْدُ وهو على كل شيْءٍ قدِيرٌ؛ الحمْدُ لله، وسُبْحان الله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكْبَرُ ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثمَّ قال: اللهمَّ اغفِر لي، أو دَعا استجِيبَ، فإن توضَّأ وصَلى قبلت صَلاته) [(١)].

وثبت من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَن أكَل طعامًا ثمَّ قال: الحمْدُ لله الذي أطعمني هَذا الطعامَ ورزَقنِيه مِن غيْرِ حول مِني ولا قوةٍ غفِرَ له مَا تقدمَ مِن ذنبه ومَا تأخر، ومَن لبسَ ثوبًا فقال: الحمْدُ لله الذي كساني هَذا الثوبَ ورزَقنِيه مِن غيْرِ حولٍ مِني ولا قوةٍ

(١) البخاري في التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى ١/٣٨٧ (١١٠٣).

غفِرَ له مَا تقدمَ مِن ذنبه ومَا تأخر)[١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه القوي أن يتعزز بقوة الله، فيصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، وأن يسَخر قوته في طاعة الله ومحبته، ويأخذ أحكام الكتاب بمنتهى عزمه واستطاعته، وألا يظلم أحدا وكله الله برعايته وأن يعتبر بفعل الله وقدرته فيمن أهلكهم بعدله وحكمته، وصح من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (المؤمِن القوِي خيْرٌ وأحبُّ إلى الله مِن المؤمِنِ الضَّعِيفِ، وفِي كل خيْرٌ، احْرِصْ على مَا يَنفعُكَ، واستعِن بالله ولا تعْجِزْ، وإن أصَابَكَ شيءٌ، فلا تقل: لو أني فعلت كَان كَذا وكَذا، ولكِن قل: قدَرُ الله ومَا شاءَ فعل، فإن لو تفتحُ عمَل الشيْطانِ)[٢].

٣٧- المتين

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ الذاريات:٥٨.

المتين سبحانه هو القوي في ذاته الشديد الواسع الكبير المحيط، فلا تنقطع قوته ولا تتأثر قدرته، فالمتين هو القوي الشديد المتناهي في القوة والقدرة، الذي لا تتناقص قوته ولا تضعف قدرته، والذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعبٌ، فالله ﷻ من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متِين.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس ٤٢/٤ (٤٠٢٣)، صحيح الجامع (٦٠٨٦).

(٢) رواه مسلم في القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٢٠٥٢/٤ (٢٦٦٣).

واسم الله المتين يدعو به كل مؤمن ضعيف أو مهزوم أو مقهور أو مظلوم أن يعينه الله ويقويه ويمنحه ويعطية، وأن يفرغ عليه صبرا ويخرجه من كل بلاء شديد وقع فيه، وصح من حديث شداد بن أوس ﷺ أنه قال: كَان رَسُول الله ﷺ يُعلمنا أن نقول: (اللهمَّ إني أسألكَ الثبَات فِي الأمر، وأسألكَ عزيمَة الرُّشدِ، وأسألكَ شُكْرَ نِعْمَتك وحُسن عِبَادَتك، وأسألكَ لسَانًا صَادِقًا وقلبًا سَليمًا، وأعُوذ بكَ مِن شرِّ مَا تعْلم، وأسألكَ مِن خيْرِ مَا تعْلم، وأستغفِرُكَ مِمَّا تعْلم، إنك أنت علام الغُيُوب) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المتين ثبات المؤمن على إيمانه وعقيدته، ويقينه أن توحيد العبودية لله هو سبيل سعادته، فلا يحيد أبدا عن توجيه النبي ﷺ وسنته، مهما تعددت به أنواع البلاء، ومهما تقلبت أحواله بين السراء والضراء، والذي وحد الله ﷻ في اسمه المتين قوي العزيمة في الأخذ بالأحكام ذو نظرة حكيمة في قضايا الإسلام، ومع متانته في الدين ينبغي أن يوغل فيه برفق فيكون وسطا حكيما لينا حليما في دعوته للآخرين.

٣٨- الحي

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الفرقان:٥٨.

(١) الترمذي في الدعوات ٥/٤٧٦ (٣٤٠٧)، وانظر السلسلة الصحيحة (٣٢٢٨).

الحي سبحانه هو الدائم في وجوده الباقي حيا بذاته على الدوام أزلا وأبدا، لا تأخذه سنة ولا نوم، وهذا الوصف ليس لسواه، فأي طاغوت عبد من دون الله، إن كان حيا فحياته تغالبها الغفلة والسنات، وإن قاومها وأراد البقاء عددا من الساعات، فإن النوم يراوده ويأتيه فضلا عن حتمية الموت الذي سيوافيه، فلا ينفرد بكمال الحياة ودوامها باللزوم إلا الحي القيوم.

ومن الدعاء باسم الله الحي ما صح عن النبي ﷺ أنه قال: (مَن قال: أستغفِرُ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيُّوم وأتوبُ إليْه، غفِرَ له وإن كَان فرَّ مِن الزَّحْف) [(١)].

ومن حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهمَّ لكَ أسلمْت وبكَ آمَنت وعليْكَ توكَّلت، وإليْكَ أنبْت، وبكَ خاصَمْت اللهمَّ إني أعُوذ بعزتك لا إلهَ إلا أنت أن تضلني، أنت الحيُّ الذي لا يَموت والجِن والإنسُ يَموتون) [(٢)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الحي أن يوجه حياته على أنه في دار ابتلاء سيعقبها سؤال وجزاء، وأن الملك لله في البدء عند إنشاء الخلق فلم يكن من الإحياء سواه، وكذلك الملك له عند زوال الأرض لأن المنفرد بالحياة هو لله، فالموحد لا ينسب الملك لغيره إلا على سبيل

---

(١) أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ٢/٨٥ (١٥١٧)، صحيح الترغيب والترهيب (١٦٢٢).

(٢) مسلم في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ٤/ ٢٠٨٦ (٢٧١٧).

الأمانة والابتلاء، ويستعين بربه في السراء والضراء، ولا يشرك به في المحبة والخوف والرجاء، أو يتوجه إلى غيره بالاستغاثة والدعاء؛ لأن الدعاء يستلزم إثبات الحياة بالضرورة، والحياة أصل لوصف العلم والغنى والقدرة والسمع والبصر والقوة والمشيئة والعزة والعظمة، وغير ذلك مما هو لازم لإجابة الدعاء، وقد نفي الله ذلك عن الأنداد جميعها لأنها أموات غير أحياء.

ومن أعظم الجرم أن يقتل المسلم نفسه يئسا من الحياة وقد علم أن المنفرد بالإحياء والإماتة هو الله، بل قد نهى النبي ﷺ عن مجرد تمني الموت فكيف بعظم الإثم في الانتحار.

٣٩- القيوم

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ البقرة:٢٥٥.

القيوم سبحانه هو القائم بنفسه الباقي بكماله ووصفه على الدوام أزلا وأبدا دون تغير أو تأثير، والقائم بتدبير أمور خلقه في إنشائهم وتولي أرزاقهم وتحديد آجالهم وأعمالهم، وهو العليم بمستقرِّهم ومستودعهم، وهو الذي يقوم به كل موجود حتى لا يُتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا بقيوميته وإقامته له .

ومن الدعاء باسم الله القيوم ما صح من حديث أنس ﷺ في الدعاء باسم الله الأعظم: (اللهمَّ إني أسألكَ بأن لكَ الحمْدَ لا إلهَ إلا

أنت المنان بَدِيعُ السَّمَاواتِ والأرض يَا ذا الجَلال والإكْرَامِ يَا حيٌّ يَا قيُّوم إني أسألكَ) [(١)].

ومن حديث أنس بن مالك ﷺ أنه قال: (كَان النبي ﷺ إذا كَرَبه أمْرٌ، وفي رواية أخرى إذا حزبه أمر قال: يَا حيُ يَا قيُّوم برَحْمَتك أستغيث) [(٢)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه القيوم يقينه أن الله ﷻ قائم بالقسط والتدبير ومنفرد بالمشيئة والتقدير، عنده خزائن كل شيء، لا ينزله إلا بقدر معلوم، وأنه كفيل بأمره ورزقه فاعتمد الموحد على ربه في كل شيء، ووثق به دون كل شيء، وقنع منه بأدنى شيء، وصبر على ما ابتلاه به، فلا يطمع في سواه، ولا يرجو إلا إياه، ولا يشهد في العطاء إلا مشيئته، ولا يرى في المنع إلا حكمته، ولا يعاين في القبض والبسط إلا قدرته وقيوميته، فيكثر من دعائه وذكره، لاسيما إذا حزبه هم أو لحقه كرب.

٤٠- العلي

قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء ٢/٧٩ (١٤٩٥)، صحيح أبي داود ١/٢٧٩ (١٣٢٦) ومشكاة المصابيح (٢٢٩٠).
(٢) الترمذي في كتاب الدعوات، باب يا حي ٥/٥٣٩ (٣٥٢٤)، وانظر صحيح الجامع (٤٧٧٧).

﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة:٢٥٥.

العلي سبحانه هو الذي علا بذاته فوق جميع خلقه، فاسم الله العلي دل على علو الذات والفوقية، فهو سبحانه عال على عرشه بكيفية حقيقية معلومة لله مجهولة لنا، ودائما ما يقترن اسم الله العلي باسمه العظيم، وكذلك عند ذكر العرش والكرسي.

ولما ذكر الله إعراض الخلق عن عبادته أعلم نبيه ﷺ في أعقاب ذلك أنه الملك الذي لا يزول عن عرشه بإعراض الرعية كشأن الملوك من خلقه، لأنه المستغني بذاته، الملك في استوائه لا يفتقر إلى أحد في قيام ملكه أو استقراره.

ومن ثم قال لنبيه ﷺ : ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة:١٢٩.

والآيات كثيرة وواضحة في إثبات علو الذات والفوقية، والثابت الصحيح أن معاني العلو عند السلف ثلاثة معان دلت عليها أسماء الله المشتقة من صفة العلو، فاسم الله العلي دل على علو الذات، واسمه الأعلى دل على علو الشأن، واسمه المتعال دل على علو القهر.

ومن الدعاء باسم الله العلي ما صح من حديث عبادة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (مَن تعارَّ مِن الليْل فقال حِين يَستيقِظ: لا إلهَ إلا الله وحْدَه لا شرِيكَ له، له الملك وله الحمْدُ وهو على كل شيء قدِيرٌ، سُبْحان الله، والحمْدُ لله ولا إلهَ إلا الله، والله أكْبَرُ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظِيمِ، ثمَّ دَعا: رَب اغفِر لي غفِرَ له)[١].

ومن حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من قال حين يأوي إلى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، غفرت له ذنوبه أو خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر)[٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه العلي توحيد الله بتعظيمه وطاعته، والدعوة إلي محبته وعبوديته، لاسيما إذا أيقن أن النفع في ذلك يعود عليه لا على ربه، وأن الله غني في علوه لا يفتقر إلى أحد من خلقه، وأنه مهما مدحناه وأثنينا عليه فهو أعلى من وصفنا، وأجل من مدحنا، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، هو أهل الثناء والمجد، ومدحه وتوحيده أحق ما قال العبد، وإذا كانت الملائكة في السماء تخشع عند سماع قوله، وتفزع عند إلقاء وحيه فحري بالعبد أن يخشع لسماع قوله ويلين قلبه عند ذكره، وأن يتذلل بين يدي مولاه فيركن إليه، ويعتمد عليه، ثقة في أنه العلى ولا علي على الإطلاق سواه.

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الدعاء ١٢٧٦/٢ (٣٨٧٨)، وانظر صحيح أبي داود ٣٣٥/١ (٣١٢٨)، والكلم الطيب (٤٣).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٦٠٧).

٤١- العظيم

قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ الحاقة:٥٢.

العظيم سبحانه هو الذي جاوزَ قدْرُه حدود العقل لجلالته وعظمته، وجل عن تصور الإحاطة بكنهه وحقِيقته، فهو العظيم الواسع الكبير في ذاته وصفاته، فعظمة الذات دل عليها سعة كرسيه السماوات والأرض. أما عظمة الصفات فالله ﷻ له علو الشأن فيها، ليس كمثله شيء في كل ما وصف به نفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ .

وإذا كان عرشه سبحانه قد وصفه بالعظمة وخصه بالإضافة إليه والاستواء عليه، فما بالك بعظمة من استوى عليه، وينبغي أن نعلم أن عظمة الله في ذاته لا تكيُّف ولا تحدُّ لطلاقة الوصف وعجزنا عن معرفته، فنحن لم نر الله ولم نر له مثيلا.

ومن الدعاء باسم الله العظيم ما صح عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (كَلمتانِ خفِيفتانِ على اللسَانِ، ثقِيلتانِ فِي المِيزَانِ حبيبتانِ إلى الرَّحْمَنِ، سُبْحان الله العظِيمِ سُبْحان الله وبحمْدِه) [1].

وصح من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: (أعُوذ بالله العظِيمِ وبوجْهه الكَرِيمِ وسُلطانه القدِيمِ

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح ٥/٢٣٥٢ (٦٠٤٣).

مِن الشيْطانِ الرَّجِيمِ)[١].

ومن حديث عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (اللهمَّ اجْعل فِي قلبي نورًا، وفِي بَصَرِي نورًا، وفِي سَمْعِي نورًا، وعن يَمِينِي نورًا، وعن يَسَارِي نورًا، وفوقِي نورًا، وتحتِي نورًا، وأمَامِي نورًا، وخلفِي نورًا، وعظمْ لي نورًا)[٢]. (اللهمَّ احفظنِي مِن بين يَدَي، ومِن خلفِي وعن يَمِينِي، وعن شِمَالي، ومِن فوقِي، وأعُوذ بعظمَتك أن أغتال مِن تحْتِي)[٣].

وصح من حديث ابن مسعود ﷺ أنه قال: (إذا كان على أحدكم إمام يخاف تغطرسه أو ظلمه فليقل: اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، كن لي جارا من فلان بن فلان وأحزابه من خلائقك أن يفرط علي أحد منهم أو يطغى، عز جارك وجل ثناؤك ولا اله إلا أنت)[٤].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه العظيم تعظيمه حدود الله وشعائره باتباع النبي ﷺ في ذلك؛ لأنه ليس بعد تعظيم النبي ﷺ لربه

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل ثم دخوله المسجد ١/١٢٧ (٤٦٦)، وانظر صحيح أبي داود (٤٤١).
(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل ١/٥٢٥ (٧٦٣).
(٣) رواه أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٤/٣١٨ (٥٠٧٤)، صحيح الترغيب والترهيب (٦٥٩).
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب إذا خاف السلطان ١/٢٤٧ (٧٠٧).

تعظيم، فالصحابة ﷺ الذين عاصروه هم سلفنا الصالح، وهم الذين آمنوا بخبر الله وصدقوه ونفذوا أمره وأحبوه، ففي باب الخبر كالصفات وسائر الغيبيات أثبتوا ما أثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وفي باب الأمر أطاعوا ربهم عن محبة وتعظيم، يسارعون إلى مرضاته، ويغارون على حرماته، ويؤدون الواجبات ويسارعون في الخيرات حتى أصبحت المباحات لديهم طاعات وقربات تشهد بتوحيدهم لله وعبوديته وتعظيمه ومحبته.

٤٢- الشكور

قال الله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ التغابن:١٧.

الشكور سبحانه هو الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد، ويضاعف لهم الجزاء فيثيب الشاكر على شكره، ويرفع درجته ويضع عنه وزره، فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق للعبد ثناؤه عليه بذكر طاعته له.

والشكور سبحانه هو أولى بصفة الشكر من كل شكور بل هو الشكور على الحقيقة؛ فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى

أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئا رده عليه أضعافا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل، وشكره على هذا وذاك.

ومن الدعاء بما يناسب اسمه الشكور قول سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ النمل:١٩. وقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ الأحقاف:١٥.

وصح أن رسول الله ﷺ أخذ بيد معاذ رضي الله عنه وقال له: (يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: أوصِيكَ يَا معاذ لا تدَعن في دُبُر كل صَلاة تقول: اللهـمَّ أعِني على ذكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسنِ عِبَادَتك) [1].

وصح أيضا من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال: (كَان رَسُول الله ﷺ يُعلمنا أن نقول: اللهـمَّ إني أسألكَ الثبَات في الأمر، وأسألكَ عزيمَة الرُّشدِ، وأسألكَ شُكْرَ نِعْمَتك وحُسن عِبَادَتك، وأسألكَ لسَانًا صَادِقا وقلبًا سَليمًا وأعُوذ بكَ مِن شرِّ مَا تعْلم، وأسألكَ مِن خيْر مَا

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ٢/٨٦ (١٥٢٢)، صحيح الجامع (٧٩٦٩).

تعلم، وأستغفِرُكَ مِمَّا تعْلم إنك أنت علام الغُيُوب) [1].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الشكور أن يشكر الله بالقلب واللسان والجوارح، فشكر القلب هو تصور النعمة والاعتراف بها إلى المنعم، والعزم على تصديق خبره وطاعة أمره، وشكر اللسان هو الثناء على المنعم بذكر فضله ومنته وحمده على نعمته، وأما شكر الجوارح فهو خضوعها وانقيادها واستسلامها بالاستجابة لأحكام عبوديته.

٤٣- الحليم

قال تعالى: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ البقرة:٢٦٣.

الحليم سبحانه هو الذي يمهل ولا يهمل، بل يتجاوز عن الزلات، ويعفو عن السيئات، فهو سبحانه يمهل عباده الطائعين ليزدادوا من الطاعة والثواب، ويمهل العاصين لعلهم يرجعون إلى الطاعة والصواب.

ولو أنه عجل لعباده الجزاء ما نجا أحد من أليم العقاب، ولكن الله ﷻ هو الحليم ذو الصَّفحِ والأناةِ، استخلف الإنسان في أرضه واسترعاه، واستبقاه إلى يوم موعود وأجل محدود، فأجل بحلمه عقاب الكافرين، وعجل بفضله ثواب المؤمنين .

(١) السلسلة الصحيحة (٣٢٢٨).

ومن الدعاء باسم الله الحليم ما صح من حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: (كَان النبي ﷺ يَدْعُو عِندَ الكَرب، لا إلهَ إلا الله العظِيم الحليم، لا إلهَ إلا الله رَبُّ السَّمَاواتِ والأرض رَبُّ العرشِ العظِيمِ) [1].

(اللهمَّ عافِنِي فِي جَسَدِي وعافِنِي فِي بَصَرِي واجْعله الوارِث مني، لا إلهَ إلا الله الحليم الكَرِيم، سُبْحان الله رَب العرشِ العظِيمِ والحمْدُ لله رَب العالِمين) [2].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الحليم أن يكون الموحد حليما صبورا يتأنى في رأيه وحكمه، ويفكر في قوله وفعله ليتخير ما هو أنفع له وللآخرين، وأن يوسع صدره ويكظم غيظه إن أساء إليه أحد من الحاقدين، ويبادر بالاعتذار والتوبة والاستغفار إن أساء لأحد من المسلمين، فإن الله حليم يحب الحلم والأناة. وقد صح أن النبي ﷺ قال لأشج بن عبد القيس ﷺ: (إن فِيكَ خصلْتيْنِ يُحِبهمَا الله، الحِلم والأناة) [3].

وثبت أيضا أن النبي ﷺ قال: (إن الله يحب الغني الحليم المتعفف، ويبغض البذيء الفاجر السائل الملحّ) [4].

---

(١) رواه البخاري في الدعوات، باب الدعاء ثم الكرب ٥/٢٣٣٦ (٥٩٨٥).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٥١٨ (٣٤٨٠)، وقد ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٦/٤١٩ (٢٩١٧).

(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله ١/٤٨ (١٧).

(٤) صحيح الترغيب والترهيب (٨١٩).

٤٤- الواسع

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ البقرة:١١٥.

الواسع سبحانه هو الذي وسع علمه جميع المعلومات، ووسعت قدرته جميع المقدورات ووسع سمعه جميع المسموعات، ووسع رزقه جميع المخلوقات، فله مطلق الجمال والكمال في الذات والصفات والأفعال، وهو الكثيرُ العطاءِ يده سحاء الليل والنهار، وسعت رَحْمَتَه كل شيء، وهو المحيط بكل شيء.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الواسع قول شعيب ﵇: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الأعراف:٨٩.

وقوله ﷻ عن حملة العرش: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ غافر:٧/٨.

وصح من حديث عوف بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى على جنازة فقال: (اللهمَّ اغفِر له وارحمه، وعافِه واعْف عنه، وأكْرِمْ نزُله

ووسعْ مدْخله، واغسِله بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ ونقه مِن الخطايَا كَمَا نقيْت الثوبَ الأبيض مِن الدنسِ، وأبْدِله دَارًا خيْرًا مِن دَارِه، وأهلا خيْرًا مِن أهله، وزَوجًا خيْرًا مِن زَوجِه وأدْخِله الجَنة، وأعِذه مِن عذاب القبْرِ، أو مِن عذاب النار) [1].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الواسع أن يوسع العبد على نفسه وإخوانه، ويسأل الله بواسع كرمه وإحسانه أن يوسع عليه في صبره وإيمانه، وأن يثق في سعة الرزق مهما طالت أيام بلائه وامتحانه، فإن الله واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، وسعة كرمه وفضله لا تتناقض مع حكمته وعدله، بل هو سبحانه يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله لعدله وحكمته.

٤٥- العليم

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ البقرة:١٣٧.

العليم سبحانه هو الذي عَلِم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن كيف يكون، أحاط عِلمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطِنها، دقِيقها وجليلها، فما من صغيرة وكبيرة في خلقه إلا وتعلقت بعلمه، فعلمه بالشيء قبل كونه هو سر الله ﷻ في خلقه، ضن به على عباده،

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب الدعاء للميت ٢/٦٦٢ (٩٦٣).

لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذا علم التقدير، ومفتاح ما سيصير إلى يوم الفصل عند تقرير المصير، من هم أهل الجنة ؟ ومن هم أهل السعير؟ فكل أمور الغيب قدرها سبحانه في الأزل، ومفتاحها عنده وحده ولم يزل.

وكذلك علمه بالشيء وهو في اللوح المحفوظ بعد كتابته، وقبل إنفاذ أمره ومشيئته، فالله تعالى كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة، ثم علمه سبحانه بالشيء حال كونه وتنفيذه، ووقت خلقه وتصنيعه، فهو الذي يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، وهو الذي يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وما من صغيرة ولا كبيرة إلا تولاها من فوق عرشه. ثم علمه سبحانه بالشيء بعد كونه وتخليقه وإحاطته بالفعل بعد كسبه وتحقيقه، فالله ﷻ عالم بما كان وما هو كائن وما سيكون وما لو كان كيف يكون على ما اقتضته حكمته البالغة .

ومن الدعاء باسم الله العليم قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ البقرة:١٢٧.

وقوله لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ الأعراف:٢٠٠.

وقد صح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أعُوذ

باللهِ السَّمِيعِ العليمِ مِن الشيْطانِ الرَّجِيمِ مِن هَمْزِه ونفخِه ونفثه)[(١)].

ومن دعاء النبي ﷺ: (اللهمَّ رَبَّ جِبْرَائِيل ومِيكَائِيل وإسرَافِيل، فاطِرَ السَّمَاواتِ والأرض عالم الغيْب والشهَادةِ أنت تحْكم بين عِبَادِكَ فِيمَا كَانوا فِيه يَخْتلفون، اهدِنِي لما اختلف فِيه مِن الحق بإذنك إنك تهدِي مَن تشاءُ إلى صِرَاطٍ مستقيم)[(٢)].

ومن آثار توحيد المسلم لله ﷻ في اسمه العليم تقديمه هدي الله على ما يراه باجتهاده وهواه، وتقديم حكمه على حكم من سواه؛ لأن العاقل يعلم أنه من الأمور البديهية أن القوانين الوضعية من قبل المشرعين في المجالس التشريعية مهما بلغت في كمالها فلن تصل إلى كمال المنهج في الشريعة الإسلامية؛ فشتان بين علم البشر ومقارنته بالعليم سبحانه وتعالى؛ فالإنسان مهما بلغ علمه أو علا شأنه في سن القوانين عندما يضع تشريعا أو تعديلا لا يراعي المصلحة في الدنيا على وجه الكمال، ولا ينظر بأي حال من الأحوال إلى المصير عند البعث والمآل، فلا يراعي عند وضع قوانينه قضية النعيم الأبدي أو العذاب الحتمي، ومن ثم تخرج أحكامه قاصرة لقصور مدركاته العلمية والعقلية، أما الأحكام التكليفية التي حملتها النصوص القرآنية النبوية فهي صادرة عن العليم المتوحد في الأسماء والصفات الذي أحاط بكل

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ١/٢٠٦ (٧٧٥)، وانظر صحيح أبي داود ١/١٤٨ (٧٠١).

(٢) مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل ١/٥٣٤ (٧٧٠).

شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فمن توحيد الله في اسمه العليم أن يتخير العبد منهج الله منهجا له في الحياة؛ هذا فضلا عن كون القوانين المخالفة لشرع الله هي حكم بغير ما أنزل الله.

ومن آثار توحيد الله في اسمه العليم أن يتواضع العالم لربه؛ فيتصاغر في نفسه مقدار علمه توحيدا لله في علمه، وأنه مهما بلغ علمه ففوق كل ذي علم عليم، ومن ثم يحرص على دوام التذلل له والافتقار، ويبلغ العلم ولا يجحده عند السؤال، ويزداد بعلمه قربة لربه لأن التقوى مفتاح العلم بالله كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ البقرة:٢٨٢.

٤٦- التواب

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ البقرة:١٦٠.

التواب سبحانه هو الذي يقبل التوبة عن عباده حالا بعد حال، فما من عبد عصاه وبلغ عصيانه مداه، ثم رغب في التوبة إليه إلا فتح له أبواب رحمته، وفرح بتوبة وعودته ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها.

والتواب هو الذي يرجع إليه تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد

أخرى، بما يُظهره لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا اطلعوا بتعريفه على خطر المعاصي والذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فعادوا إلى التواب لعله يغفر ويتوب، فتوبة الله على عبده نوعان: إذن وتوفيق وإلهام، وقبول وإثابة وإكرام.

ومن الدعاء باسم الله التواب ما صح من حديث ابن عمر ﷺ أنه قال: (كنا لنعُدُّ لرَسُول الله ﷺ في المجْلسِ الواحِدِ مِائة مَرةٍ: رَب اغفِر لي وتبْ علي إنك أنت التوابُ الرَّحِيم) [1].

ومن حديث عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَن توضَّأ فأحْسَن الوُضُوءَ ثمَّ قال: أشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وحْدَه لا شريكَ له وأشهَدُ أن محمَّدًا عبْدُه ورَسُوله، اللهمَّ اجْعلنِي مِن التوابين واجْعلنِي مِن المتطهرِين، فتِحت له ثمَانِيَة أبْواب الجنة يَدْخُل مِن أيِّهَا شاء) [2].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه التواب أن يسارع بالتوبة دون تأخيرها، فيقلع عن الذنب ندما على تفريط النفس بسوء أدبها وتقصيرها، ويعزم عزما أكيدا ألا يعود إلى مخالفة أحكام العبودية التي خلق لتنفيذها، فالله ﷻ تواب يعيد العبد الصادق في توبته إلى سابق

---

(١) الترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس ٥/٤٩٤ (٣٤٣٤)، وانظر صحيح ابن ماجة ٢/٣٢١ (٣٠٧٥)، والسلسلة الصحيحة (٢٦٠٣).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء ١/٧٨ (٥٥)، صحيح الجامع (٦١٦٧).

وده ومحبته، إذا أقلع وندم واعتذر وقدم، وكان حاله ينطق بالضعف والمسكنة، وأن الذنب إنما كان بغلبة من الشيطان، أو قوة من وسواس النفس بالعصيان، وأنه لم يكن منه ما كان عن استهانة بحقه ﷻ ولا جهلا بقدره، ولا إنكارا لاطلاعه على سره، ولا استهانة بوعيده، وأنه طامع في مغفرته متكل على عفوه، وحسن ظنه بربه ورجاء لكرمه وطمعا في سعة حلمه، فهذا مقتضى التوبة الصادقة وتوحيد الله في اسمه التواب .

٤٧- الحكيم

قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران:١٨.

الحكيم سبحانه هو المتصف بحكمة حقيقية عائدة إليه، وقائمة به كسائر صفاته، والتي من أجلها خلق فسوى، وقدر فهدى، وأسعد وأشقى وأضل وهدى، ومنع وأعطى، فهو المُحكِمُ لخلق الأشياء على مقتضى حكمته، وهو الحكيم في فعله وخلقه حكمة تامة اقتضت صدور هذا الخلق، ونتج عنها ارتباط المعلول بعلته والسبب بنتيجته، وتيسير كل مخلوق لغايته، وإذا كان الله ﷻ يفعل ما يشاء ولا يرد له قضاء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، إلا أنه الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها ويعلم خواصها ومنافعها ويرتب أسبابها ونتائجها، فكما لا يخرج مقدور عن علمه ومشيئته وقضائه وقدرته،

فهكذا لا يخرج شيء عن عدله وحكمته، فمصدر ذلك الحكمة التي دل عليها اسمه الحكيم.

ومن الدعاء باسم الله الحكيم ما ورد في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥ ﴾ الممتحنة:٥.

وثبت أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: (علمْنِي كَلامًا أقوله، قال: قل لا إلهَ إلا الله وحْدَه لا شرِيكَ له، الله أكْبَرُ كَبيرًا، والحمْدُ لله كثيرًا، سُبْحان الله رَب العالمِين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكِيمِ، قال: فهَؤُلاءِ لربي، فمَا لي ؟ قال: قل اللهمَّ اغفِر لي وارحمني واهدِنِي وارزقنِي) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الحكيم اختياره لمنهج الله هاديا ودليلا، فيسعد به ولا يرضى عنه بديلا، لعلمه ويقينه أنه الأعلى شأنا والأسمى قدرا وكمالا، بل لا وجه للمقارنة بين منهج من وضع العبد ورؤيته وآخر من وحي خالقه، فالذي وحد الله في اسمه الحكيم هو العبد الرباني المؤمن النقي التقي الولي الذي يسمع بسمع الله، ولا يسمع إلا ما يرضيه، ويبصر بنور الله فلا يرى إلا ما يرضيه .

ومن آثار الاسم أيضا أن يدعو المسلم إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يتصف بالبصيرة والوسطية في عقيدته وعبادته ودعوته للكتاب والسنة.

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء٤/٢٠٧٢ (٢٦٩٦).

٤٨- الغني

قال الله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ الحج:٦٤.

الغني سبحانه هو المستغني عن الخلق بذاته وصفاته وسلطانه، والخلق جميعا فقراء إلى إنعامه وإحسانه، فلا يفتقر إلى أحدٍ في شيءٍ وكل مخلوق مفتقر إليه، وهذا هو الغنى المطلق ولا يُشارِكهَ فيه غيرُه.

والغني أيضا هو الذي يُغني من يشاءُ من عِباده على قدر حكمته وابتلائه، وأي غني سوى الله فغناه نسبي مقيد، أما غنى الحق سبحانه فهو كامل مطلق.

ومهما بلغ المخلوق في غناه فهو فقير إلى الله لأنه سبحانه المنفرد بالخلق والتقدير والملك والتدبير، فهو المالك لكل شيء المتصرف بمشيئته في خلقه أجمعين، يعطي من يشاء ما يشاء من فضله، وقسم لكل مخلوق ما يخصه من حياته ورزقه، عطاؤه لا يمتنع، ومدده لا ينقطع وخزائنه ملأى لا تنفد، واتصاف غير الله بالغنى لا يمنع كون الحق متوحدا في غناه وهذا واضح معلوم مضطرد في جميع أوصافه بدلالة اللزوم.

ومن الدعاء باسم الله الغني ما ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في دعاء الاستسقاء أن النبي ﷺ قال: (وقدْ أمَرَكم الله ﷻ أن تدْعُوه ووعدَكمْ أن يَستجِيبَ لكمْ، ثمَّ قال: الحمْدُ لله رَب

العالمِين الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلكِ يَومِ الدِّينِ، لا إلهَ إلا الله يَفعل مَا يُرِيدُ، اللهمَّ أنت الله لا إلهَ إلا أنت، أنت الغنِي ونحْن الفقرَاءُ، أنزل عليْنا الغيْث، واجْعل مَا أنزَلت لنا قوة وبَلاغا إلى حِينٍ) [١].

وصح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول إذا أوى إلى فراشه: (اللهمَّ رَبَّ السَّمَاواتِ ورَبَّ الأرض ورَبَّ كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراَةِ والإنجِيل والقرآن، أعُوذ بكَ مِن شرِّ كل ذي شر أنت آخِذ بناصِيتَه، أنت الأول فليْسَ قبْلكَ شيء، وأنت الآخِرُ فليْسَ بَعْدَكَ شيء، وأنت الظاهرُ فليْسَ فوقكَ شيء، وأنت البَاطن فليْسَ دُونك شيء، اقض عني الديْن واغنِنِي مِن الفقرِ) [٢].

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه: (اللهمَّ إني أعُوذ بكَ مِن الكَسَل والهَرَمِ والمأْثمِ والمغرَمِ، ومِن فِتنة القبْرِ وعذاب القبْرِ ومِن فِتنة النارِ وعذاب النارِ، ومِن شرِّ فِتنة الغِنى، وأعُوذ بكَ مِن فِتنة الفقرِ، وأعُوذ بكَ مِن فِتنة المسِيحِ الدجَّال، اللهمَّ اغسِل عني خطايَاي بمَاءِ الثلجِ والبَرَدِ، ونق قلبي مِن الخطايَا كَمَا نقيْت الثوبَ الأبيض مِن الدنسِ، وبَاعِدْ بينِي وبين خطايَايَ كَمَا

(١) رواه أبو داود في كتاب الاستسقاء باب رفع اليدين في الاستسقاء ١/٣٠٤ (١١٧٣)، والحاكم في المستدرك كتاب الاستسقاء ١/٤٧٦ (١٢٢٥)، صحيح أبي داود ١/٢١٧، وصحيح الجامع (٢٣١٠).
(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم ٤/٣١٢ (٥٠٥١)، وصحيح الجامع (٤٤٢٤).

بَاعدْت بين المشرِقِ والمغرِب)[(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الغني حسن إدراكه لمعنى الغنى الفعلي، فمن أغناه الله من فضله فإن غناه الحقيقي أن يخضع لربه ويتواضع لخلقه، ويعلم أنه مستخلف في أرضه مبتلى في ملكه؛ فيرد الفضل لربه، ويشكره على نعمه، لعلمه أن الله متوحد في غناه.

وأما أثر الاسم على من ابتلاه الله بالمنع فهو ظهوره بمظهر الغنى تعففا عن سؤال غير الله، وعلمه أن الغنى غنى النفس، ولا يمنعه تعففه أن يأخذ بالأسباب طلبا للفضل وزيادة في الأجر وحفاظا على النعمة، لتقوية النفس والأمة على جهادها في الدعوة إلى الله.

٤٩- الكريم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ الانفطار:٦.

الكريم سبحانه هو الواسع في ذاته وصفاته وأفعاله، من سعته وسع كرسيه السماوات والأرض، ومن سعة عرشه وصف بالكرم، وهو سبحانه الكريم له المجد والعزة، والرفعة والعظمة والعلو والكمال فلا سميَّ له كما قال: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ مريم:٦٥.

وهو الذي كرَّم الإنسان لما حمل الأمانة فشرفه وابتلاه واستخلفه في أرضه وأستأمنه في ملكه، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا.

---

(١) رواه البخاري في الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر ٥/٢٣٤١ (٦٠٠٧).

وهو الذي بشر عباده المؤمنين بالأجر الكريم الواسع والمغفرة الواسعة والرزق الواسع وهو الجواد الذي لا ينفذ عطاؤه ولا ينقطع سخاؤه، الذي يعطي ما يشاء لمن يشاء وكيف يشاء بسؤال وغير سؤال، وهو الذي لا يمن إذا أعطى فيكدر العطية بالمن، وهو سبحانه يعفو عن الذنوب ويستر العيوب ويجازي المؤمنين بفضله، ويجازي العصاة بعدله، فأي كرم في الوجود يسمو إلى كرمه ؟

ومن الدعاء باسم الله الكريم ما صح من حديث علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (قال لي رَسُول الله ﷺ: ألا أعلمكَ كَلماتٍ إذا قلتهن غفرَ الله لكَ وإن كنت مَغفورًا لكَ، قال: قل لا إلهَ إلا الله العليُّ العظِيم، لا إلهَ إلا الله الحليم الكَرِيم، لا إلهَ إلا الله، سُبْحان الله رَب العرشِ العظِيمِ) [1].

وكان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قال: (أعُوذ بالله العظِيمِ وبوجْهه الكَرِيمِ، وسُلطانه القدِيمِ مِن الشيْطانِ الرَّجِيمِ، فإذا قال ذلكَ قال الشيْطان: حُفِظ مِني سَائِرَ اليَوم) [2].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الكريم أن يتحلى بوصف الكرم والسخاء والجود والعطاء، لعلمه أن الكريم هو الله، ولذلك ينفق ابتغاء وجهه ولا يخش على نفسه الفقر أبدا فإن خزائن الله لا تنفذ.

---

(١) الترمذي في الدعوات ٥/٥٢٩ (٣٥٠٤) وانظر صحيح الجامع (٢٦٢١).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب يقوله عند دخول المسجد ١/١٢٧ (٤٦٦) صحيح الترغيب (١٦٠٦).

وقد صح من حديث أنس بن مالك ﷺ: (أن رَجُلا سَأل النبي ﷺ غنمًا بين جَبَلَيْنِ؟ فأعْطاه إيَّاه فأتى قومَه فقال: أيْ قوم أسلموا فوالله إن محمَّدًا ليُعْطِي عطاءً مَا يَخاف الفقرَ؛ فقال أنسٌ: إن كَان الرَّجُل ليُسلم مَا يُرِيدُ إلا الدُّنيَا فمَا يُسلم حتى يَكون الإسلام أحبَّ إليْه مِن الدُّنيَا ومَا عليْهَا) [(١)].

٥٠- الأحد

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الإخلاص:١.

وصح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى: كذبني ابن آدمَ ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيُبه إيايَ فقوله لن يعيدني كما بدأنِي، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إيايَ فقوله اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمدُ، لم ألدْ ولم أولد، ولم يكن لي كفوا أحد) [(٢)].

والأحد سبحانه هو المنفرد بذاته ووصفه المباين لغيره، فالأحدية هي الانفراد ونفي المثلية، وتعني انفراده سبحانه بذاته وصفاته وأفعاله عن الأقيسة والقواعد والقوانين التي تحكم ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم؛ فلا مثيل له فنحكم على كيفية أوصافه من خلاله ولا يستوي مع سائر الخلق فيسري عليه قانون أو قياس أو قواعد تحكمه

---

(١) رواه مسلم في الفضائل، باب ما سئل رسول الله ٤/١٨٠٦(٢٣١٢).

(٢) رواه البخاري في باب تفسير قوله: قل هو الله أحد ٤/١٩٠٣ (٤٦٩٠).

كما تحكمهم، لأنه المتصف بالتوحيد المنفرد عن أحكام العبيد.

ومن الدعاء باسم الله الأحد ما صح من حديث بُرَيْدَة ﷺ أنه قال: (سَمِع النبي ﷺ رَجُلا يَقول: اللهمَّ إني أسألكَ بأنك أنت الله الأحد الصَّمَدُ الذي لمْ يَلدْ ولمْ يُولدْ ولمْ يَكن له كفوا أحدٌ، فقال رَسُول الله: لقدْ سَأل اللهَ باسمِهِ الأعظم الذي إذا سُئِل به أعْطى وإذا دُعِيَ به أجَابَ) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الأحد تعظيم العبد لربه تعظيما يدعوه إلى تنفيذ أمره وتصديق خبره، ولا يقدم على قول الله ورسوله ﷺ ما استحسنه برأيه وعقله، فيعتقد أن ما أخبر الله به عنه نفسه ظاهر في حقه، يخصه وحده دون غيره، ويفرق بين النصوص التي تدل على المخلوق وتلك التي تدل على الخالق .

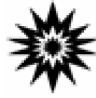
ومعلوم أننا لم نر الله ﷻ ولم نر له شبيها أو مثيلا، والشيء لا يعرف إلا برؤيته أو برؤية نظيره، فوجب على من وحد الله في اسمه الأحد ألا أن يطبق قوانين الجاذبية الأرضية على استواء الله على عرشه، أو على حملة العرش، أو يطبق مقاييسنا الزمانية على نزول الله إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، لأن ذلك ينطبق على الخلق ولا ينطبق على الخالق، فهو سبحانه أحد منفرد عن قوانين البشر وأحكامهم .

---

(١) رواه ابن ماجه في الدعاء، باب اسم الله الأعظم ١٢٦٧/٢ (٣٨٥٧)، وانظر صحيح ابن ماجة ٣٢٩/٢ (٣١١١).

المطلب الثلاثون

شرح باقي أسماء الله الحسنى التوقيفية ودعاء الله بها دعاء مسألة وعبادة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تناولنا في المطلب السابق شرح بعض أسماء الله الحسنى التوقيفية الثابتة بنصوصها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ شرحا مختصرا مع بيان كيفية الدعاء بها، دعاء مسألة ودعاء عبادة ووفق مقتضى النصوص القرآنية والنبوية والأدعية التوقيفية المأثورة .

ونتناول في هذا المطلب الأخير بإذن الله تعالى شرح بقية أسماء الله الحسنى التوقيفية الثابتة بنصوصها في الكتاب والسنة، وهي مرتبة على النحو التالي: الصَّمَدُ القَرِيبُ المجيبُ الغفُورُ الوَدودُ الوَلِيُّ الحَميدُ الحَفيظُ المَجيدُ الفَتاحُ الشَّهيدُ المقَدِّم المؤخِّر المَلِيكُ المقتدِر المسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ القَاهِرُ الديَّانُ الشاكِرُ المَنانَّ القَادِرُ الخلاقُ المَالِكُ الرَّزَّاقُ الوَكيلُ الرقيبُ المحْسِنُ الحَسيبُ الشافِي الرِّفيقُ المعْطي المقيتُ السَّيِّدُ الطَّيِّبُ الحَكَم الأكْرَم البَرُّ الغفَّارُ الرَّءوفُ الوَهَّابُ الجَوَادُ السُّبوحُ الوَارِثُ الرَّبُّ الأعْلى الإلَهُ ﷻ.

٥١- الصمد

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ الإخلاص: ١/٢.

الصمد سبحانه هو السيد الذي له الكمال المطلق في كل شيء، وهو المستغني عن كل شيء، وكل من سواه مفتقر إليه، يصمد إليه ويعتمد عليه، وهو الدائم الكامل في جميع صفاته وأفعاله لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وليس فوقه أحد في كماله، وهو الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وسائر أمورهم، فالأمور أصمدت إليه وقيامها وبقاؤها عليه، لا يقضي فيها غيره ولا يمضي فيها إلا أمره وقدره، وهو المقصود إليه في الرغائب والمستغاث به عند المصائب الذي يطعم ولا يطعَم، ولم يلد ولم يولد.

ومن الدعاء بالاسم ما صح من حديث بريدة ﷺ أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول: (اللهم إِني أسألك بأنك أنت الله الأحدُ الصَّمدُ الذِي لم يلد ولم يولد ولم يكُن له كُفوا أحدٌ، فقال رَسُول الله ﷺ: لقد سَأل الله باسمه الأعظم الذِي إِذا سُئِل به أعطَى وإِذا دُعي به أجَابَ) (١).

وثبت أيضا أن النبي ﷺ دَخل المسجِدَ فإذا رَجُلٌ قد قضى صَلاَته وهو يتشهدُ فقال: (اللهم إني أسألك يا ألله بأنك الواحِدُ الأحدُ

---

(١) رواه ابن ماجه في الدعاء، باب اسم الله الأعظم ١٢٦٧/٢ (٣٨٥٧)، وانظر صحيح ابن ماجة ٣٢٩/٢ (٣١١١).

الصَّمدُ الذِي لم يلد ولم يولد ولم يكُن له كُفوا أحدٌ أن تغفرَ لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحِيم، فقال رَسُول الله ﷺ : قد غفرَ له ثلاثًا) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الصمد صدقه في الركون إليه، وحسن التوكل عليه، فيعتمد على الله قبل الحركة والسكون، ثم يأخذ بالأسباب حيث ما يكون، ويرضى بما قسمه الله ليقينه أن تقسيم المقادير بيديه، وأن المبتدأ منه والمنتهى إليه.

٥٢- القريب

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ سبأ: ٥٠.

القريب سبحانه هو الذي يقْرُب من خلقه كما شاء وكيف شاء، وهو من فوق عرشه أقرب إلى عبده من حبل الوريد، فالمخلوقات كلها بالنسبة إليه تتقارب من صغرها إلى عظمة ذاته وصفاته، ولا يقدر أحد على إحاطة بعد ما بين العرش والأرض من سعته وامتداده، وهو سبحانه يسمع ويرى وهو بالمنظر الأعلى وعلى العرش استوى، فهو القريب العليم بالسرائر الذي يعلم ما تكنه الضمائر، وهو سبحانه قريب بالعلم والإحاطة والقدرة فيما يتعلق بالخلائق

(١) رواه النسائي في السهو، باب الدعاء بعد الذكر ٣٨٦/١ (١٢٢٤)، وانظر صحيح أبي داود ١٨٥/٢(٨٦٩).

أجمعين، وقريب باللطف والنصرة وهذا خاص بالمؤمنين، من تقرب منه شبرا تقرب منه زراعا ومن تقرب منه زراعا تقرب منه باعا، وهو أيضا قريب من عبده بقرب ملائكته الذين يطلعون على قوله وفعله ويدونون كل صغيرة وكبيرة من سعيه وكسبه.

ومن الدعاء باسم الله القريب ما صح من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعا: (اللهم إِني أسألك حُبك وحُب من يحبك، وحُب عَملٍ يقرب إِلى حُبك) [(١)].

وصح من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا: (اللهم إِني أسألك الجَنة وما قربَ إِليها من قولٍ أو عَملٍ، وأعُوذ بك من النار وما قربَ إِليها من قولٍ أو عَملٍ، وأسألك أن تجعَل كُل قضاءٍ قضيته لي خيرًا) [(٢)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في الاسم سعيه في ابتغاء القرب من ربه، والتزامه بكل عمل يؤدي إلى مرضاته وحبه، فيبادر بالتوبة والأوبة قريبا، وأن يكون هينا لينا سهلا قريبا، وأن يقيم حدود الله فيمن كان بعيدا أو قريبا، وأن يعلم أن القرب الحقيقي في الطاعة والإيمان.

---

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة ص ٥/٣٦٨ (٣٢٣٥)، وانظر مشكاة المصابيح (٧٤٨).

(٢) رواه ابن ماجه في الدعاء، باب الجوامع من الدعاء ٢/ ١٢٦٤ (٣٨٤٦)، وانظر صحيح الجامع (١٢٧٦).

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾ سبأ:٣٧.

٥٣- المجيب

قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١ ﴾ هود:٦١.

المجِيب سبحانه هو الذي يقابل السؤال والدعاء بالقبول والعَطاء، الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويكشف السوء عن أوليائه ويرفع البلاء عن أحبائه، وكل الخلائق مفتقرة إليه، ولا قوام لحياتها إلا عليه، لا ملجأ لها منه إلا إليه، والمجيب حكيم في إجابته قد يعجل أو يؤجل على حسب السائل والسؤال، أو يلطف بعبده فيختار له ما يناسب كل حال، أو يدخر ما ينفعه عند المصير والمآل، لكن الله تعالى يجيب عبده ولا يخيب ظنه كما وعده.

ومن الدعاء بما يناسب الاسم ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ البقرة:١٨٦.

وصح أن النبي ﷺ قال: (ادعُوا الله وأنتم موقِنون بالإِجَابَةِ، واعلموا أن الله لا يستجِيب دُعَاءً من قلبٍ غافل لاَهٍ) (١).

(١) رواه الترمذي في الدعوات ٥/٥١٧ (٣٤٧٩)، السلسلة الصحيحة (٥٩٤).

ومن حديث زيد بن أرقم ﷺ أن النبي ﷺ قال: (اللهم إني أعُوذ بك من قلبٍ لا يخشعُ ومن نفسٍ لا تشبَعُ وعلم لا ينفعُ ودَعوةٍ لا يستجَاب لها) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في الاسم يقينه أن الله يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وأنه لا يخيب رجاء من التجأ إليه واعتمد عليه، فيحرص على الدعاء ويلح فيه، ويتخير وقت الرجاء، كوقت نزوله سبحانه إلى السماء في جوف الليل قبيل الفجر؛ فهو أعظم وقت لنيل المغفرة والثواب، ولا يتعجل ربه في إجابة الدعاء، وألا يجهر بالنداء اتقاء للفتنة والرياء، وأن يحذر من التجاوز والاعتداء في الدعاء، وأن يكون متواضعا هينا لينا قريبا من إخوانه مجيبا لدعوتهم .

٥٤- الغفور

قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ الحجر:٤٩.

الغفور سبحانه هو الذي يستر العيوب ويغفر الذنوب مهما كان مقدارها، ومهما تعاظمت النفس وتمادت في جرمها وعصيانها فهو سبحانه يغفر الكبائر والصغائر جميعها، فلو أراد العبد الرجوع إلى الرب فإن باب المغفرة مفتوح في كل وقت ما لم تغرر النفس أو تطلع الشمس من مغربها.

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ٤/٢٠٨٨ (٢٧٢٢).

ومن الدعاء بالاسم ما صح أن أبا بكر الصديق ﷺ قال للنبي ﷺ: (عَلمنِي دُعَاءً أدعُو به في صَلاَتِي قال: قل اللهم إِني ظلمت نفسِي ظلما كثِيرًا ولاَ يغفر الذنوبَ إلا أنت، فاغفر لي مغفرَة من عندِك، وارحمنِي إِنك أنت الغفور الرحِيم) [١] .

ومن آثار توحيد المسلم لله في الاسم كثرة الاستغفار الوقائي العام وكثرة الاستغفار الخاص مهما بلغت كيفية الذنب وجانيته على العبد، أما الاستغفار العام فهو الذي يحتاط به من التفكير في الذنب قبل وقوعه، ويقضي به على خواطر النفس وهواها وإلجامها عن طغيانها، وقد كان النبي ﷺ يحتاط لنفسه ويكثر من الاستغفار في اليوم أكثر من سبيعين مرة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

أما الاستغفار الخاص فيبادر فيه العبد بالتوبة لو وقع في العصيان أو استجاب في غفلة النسيان للشيطان، فمهما بلغت عظمة الذنب فإن للغفور باب مغفرة لا يغلق.

٥٥- الودود

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ البروج:١٤/١٥.

الودود سبحانه هو الذي يحب رسله وأولياءه، ويتودد إليهم بالمغفرة والرحمة، فيرضى عنهم، ويتقبل أعمالهم، ويوددهم إلى خلقه، فيحبب

---

(١) رواه البخاري في باب الدعاء قبل السلام ١/٢٨٦ (٧٩٩).

عباده فيهم. والله سبحانه ودود يؤيد رسله وعباده الصالحين بمعيته الخاصة فلا يخيب رجاءهم ولا يرد دعاءهم، وهو عند حسن ظنهم به، وهو الودود لعامة خلقه بواسع كرمه وسابغ نعمه يرزقهم ويؤخر العقاب عنهم لعلهم يرجعون إليه.

ومن الدعاء باسم الله الودود: (اللهم ذا الحبل الشدِيدِ والأمر الرشِيدِ، أسألك الأمن يوم الوعيدِ، والجَنة يوم الخلودِ، معَ المقربين الشهودِ، الركع السُّجُودِ الموفين بالعُهودِ، إِنك رَحِيم ودُودٌ، وأنت تفعل ما تريدُ) [1].

ومن دعاء أبي معلق الأنصاري ﷺ وكان قد تعرض للهلاك على يد سارق: (اللهم يا ودود يا ذا العرش المجيد، يا فعالا لما يريد، أسألك بعزتك التي لا ترام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص) [2].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الودود كثرة وده للمسلمين، وحب الخير للآخرين فيحب للعاصي التوبة والمغفرة، وللمطيع الثبات وحسن المنزلة، ويعفو عمن أساء إليه ويلين مع البعيد كما يلين مع أقرب الناس إليه ويكون ودودا قريبا لطيفا مجيبا، راعيا بحبه لأهله وعشيرته، ومن أعظم الود مودة الرجل لزوجته ورفقه بها، وكذلك

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٤٨٢ (٣٤١٩)، وابن خزيمة في صحيحه، باب الدعاء بعد ركعتي الفجر ٢/١٦٧ (١١١٩)، وانظر ضعيف الجامع (١١٩٤).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/٣٧٩ (١٠٥٥١).

مودة المرأة لزوجها.

٥٦- الولي

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ الشورى:٢٨.

الولي سبحانه هو المتولي لأمور خلقه القائِم على تدبير ملكه، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وولاية الله لعبده على وجهين يشملهما معنى الاسم:

الوجه الأول: الولاية العامة وهي ولاية الله لشئون عباده وتكفله بأرزاقهم وتدبيره لأحوالهم وتمكينهم من الفعل والاستطاعة، وذلك بتيسير الأسباب ونتائجها وترتيب المعلولات على عللها.

الوجه الثاني: الولاية الخاصة وهي ولاية الله للمؤمنين ولاية حفظ وتدبير وعصمة ومحبة ونصرة، سواء كان تدبيرا كونيا أو شرعيا؛ وشرطها الإيمان وتحقيق الإخلاص والمتابعة.

ومن الدعاء باسم الله الولي ما صح من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعا: (يا ولي الإسلام وأهله، ثبتني حتى ألقاك) [1].

وفي رواية أخرى: (يا ولي الإسلام وأهله مسكني بالإسلام حتى

(١) المعجم الأوسط ١/٢٠٦ (٦٦١)، وانظر الأحاديث المختارة ٦/٢٧٠، السلسلة الصحيحة ٤/٤٣٨ (١٨٢٣).

ألقاك عليه) [١] .

اللهم فاطِر السَّماواتِ والأرضِ أنت وليِّي في الدنيا والآخِرَةِ، توفنِي مسلما، وألحِقنِي بالصَّالحِين.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الولي حفظ حدود الله وموالاته على من سواه ولا يتم ذلك إلا بالإخلاص لله وحده والإقبال عليه بالكلية، ثم الطاعة لأحكام التكليف وتوحيد والعبودية، فولي الله حقا هو من توالت طاعاته تترا من غير عصيان، ومن تولى الحق حفظه في القلب واللسان وسائر الأركان، وتولى توفيقه وتمكينه وإقداره على الطاعات ودرجة الإحسان.

٥٧- الحميد

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾ فاطر:١٥.

الحميد سبحانه هو المستحق للحمد والثناء فهو سبحانه المحمود على ما خلق وشرع ووهب ونزع وضر ونفع وأعطى ومنع، وأمسك السماء عن الأرض أن تقع، وفرش الأرض فانبسط سهلها واتسع، وهو المحمود على حكمته في خلق العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وعلى خلق الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في

(١) السلسلة الصحيحة ٤/٤٦٢ (١٤٧٦).

أعدائه كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه، فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده، وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

ومن الدعاء باسم الله الحميد ما صح من حديث كعب بن عُجرَةَ ﷺ أنه قال: (سَألنا رَسُول الله ﷺ فقلنا: يا رَسُول الله، كيف الصَّلاَة عَليكُم أهل البَيتِ فإن الله قد عَلمنا كيف نسَلم ؟ قال: قولوا: اللهم صَل عَلى محمدٍ وعَلى آل محمدٍ كما صَليت عَلى إِبرَاهيم وعَلى آل إِبرَاهيم إِنك حميدٌ مجِيدٌ، اللهم بَارِكْ عَلى محمدٍ وعَلى آل محمدٍ كما بَارَكْت عَلى إِبرَاهيم وعَلى آل إِبرَاهيم إِنك حميدٌ مجِيدٌ) [١].

ومن حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من جَلسَ في مجلسٍ فكثرَ فيه لغطُه فقال قبل أن يقوم من مجلسِهِ ذلك: سُبحانك اللهم وبحمدِك، أشهدُ أن لا إِله إلا أنت أستغفرك وأتوب إِليك، إلا غفرَ له ما كان في مجلسِهِ ذلك) [٢].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يجهر بهؤلاء الكلمات: (سُبحانك اللهم وبحمدِك، تبَارَك اسمك، وتعَالى جَدك، ولاَ إِله غيرك) [٣].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الحميد يقينه بأن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب يزفون النسلان ٣/١٢٣٣ (٣١٩٠).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس ٥/٤٩٤ (٣٤٣٣)، صحيح الجامع (٦١٩٢).

(٣) رواه البخاري في المغازي، باب دخول النبي من أعلى مكة ٤/١٥٦٢ (٤٠٤٢).

والخضوع له، فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمود ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، والموحد يحمده الله ﷻ أن وفق قلبه وهداه لاختيار الإيمان، ويحمده بذكر اللسان والثاء بالحمد لله التي تملأ الميزان، ويحمده بفعل الجوارح والأركان، وطلب العون وزيادة الإيمان.

٥٨- الحفيظ

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٢١﴾ سبأ: ٢١.

الحفيظ سبحانه هو العليم المهيمن الرقيب على خلقه، الذي لا يعزُب عنه مثقال ذرة في ملكه، وهو الذي يحفظ أعمال المكلفين، والذي شرف بحفظها الكرام الكاتبين، وهو الحفيظ الذي يحفظ عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم لتشهد عليهم يوم اللقاء، وهو الحفيظ لمن يشاءُ من الشر والأذى والبلاء .

وهو الذي يحفظ أهل التوحيد والإيمان ويعصمهم من الهوى وشبهات الشيطان، ويحول بين المرء وقلبه من الوقوع في العصيان، ويهيأ الأسباب لتوفيقه إلى الطاعة والإيمان، وهو حفيظ لمخلوقاته يبقيها على حالها لغاياتها وينظم ترابط العلل بمعلولاتها.

ومن الدعاء بما يناسب الاسم ما صح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي قال: (إِذا أوى أحدُكُم إِلى فرَاشِه فلينفضْ فرَاشه بدَاخِلةِ

إِزاره، فإِنه لا يدري ما خلفه عَليه ثم يقول: باسمك رَب وضَعت جَنبي وبك أرفعُه، إِن أمسَكْت نفسِي فارحمها، وإِن أرسَلتها فاحفظها بما تحفظ به الصَّالِحين) [١].

ومن حديث ابن عمر ﷺ أنه قال: (لم يكُن رَسُول الله ﷺ يدَعُ هؤُلاَءِ الدعَواتِ حِين يمسِي وحِين يصبْحُ: اللهم إِني أسألك العَافيةَ في الدنيا والآخِرَةِ، اللهم إِني أسألك العَفو والعَافيةَ في دِينِي ودُنياي وأهلي ومالي اللهم استر عَورَاتِي، وآمن رَوعَاتِي، اللهم احفظنِي من بَينِ يدَي ومن خلفي وعَن يمينِي وعَن شِمالي ومن فوقِي وأعُوذ بعَظمتك أن أغتال من تحتِي) [٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله في هذا اسم الحفيظ يقينه أن الله ﷻ يتولى حفظه بنوعين من التدبير، تدبير كوني قدري جبري، وتدبير ديني شرعي اختياري، وهو مبتلى بين هذين التدبيرين ومطالب بموقفه تجاه النوعين، فالأول يؤمن فيه بقدر الله وإحاطته به قبل خلقه وحال وجوده وبعد موته، وأنه لا مشيئة للعبد إلا بتوفيق الله ومشيئته، والثاني يحفظ العبد فيه شرعه وتدبير الله له ليقينه أنه السبيل الوحيد لسعادته في الدنيا والآخرة، وأن من حفظ الله في تدبيره

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ٦/٢٦٩١ (٦٩٥٨).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٤/٣١٨ (٥٠٧٤)، صحيح الجامع (١٢٧٤).

الشرعي حفظه في تدبيره الكوني، وعصمه في سكونه وحركته، وتولاه بحفظه ومعيته، فتجد الموحد قائما مداوما على طاعته محافظا على أحكام العبودية لا يضيع فرضا واجبا ولا سنة مندوبة، ولا يقرب جرما ولا يتجاوز حدوده ؛ بل يحفظ التوجيهات النبوية بمحبة وحرص ورغبة وصدق نية.

٥٩- المجيد

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ هود:٧٣.

المجيد سبحانه هو الذي علا وارتفع بذاته فوق كل شيء، له المجد في أسمائه وصفاته وأفعاله فمجد الذات الإلهية بيِّن في وعلوه واستوائه على عرشه، وكيفية جمال الذات أو كيفية ما هو عليه أمر لا يدركه سواه ولا يعلمه إلا الله، وليس عند المخلوقين منه إلا ما أخبر به عن نفسه من كمال وصفه وجلال ذاته وكمال فعله، أما مجد أوصافه فله علو الشأن فيها لا سمي له ولا نظير ولا شبيه له ولا مثيل، فالمجد وصف جامع لكل أنواع العلو التي يتصف بها المعبود، وعظمته في علوه عظمة حقيقية فهو المجيد حقا وصدقا، ومجد الظالمين زورا وإفكا، وأي عاقل سيقر بمجد أفعاله وبالغ كرمه وإنعامه ووجوده وإحسانه، فهو الذي أوجد المخلوقات وحفظها وهداها ورزقها، فسبحان المجيد في ذاته وصفاته وأفعاله.

ومن الدعاء بما يناسب اسمه المجيد ما صح من حديث أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل كبر ثم يقول: (سُبحانك اللهم وبحمدِك وتبَارَك اسمك وتعَالى جَدك ولاَ إِله غيرك، ثم يقول: لا إِله إلا الله ثلاَثا، ثم يقول: الله أكْبَر كبيرا ثلاَثا، أعُوذ بالله السَّميع العَليم من الشيطَانِ الرجِيم من همزه ونفخِه ونفثِه) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المجيد أن يعظم الله ﷻ في قلبه ويعتقد في علوه على خلقه، وأن يكون في قوله وفعله مترفعا عن النقائص والعيوب، سريع التوبة من المعاصي والذنوب، يسموا بهمته إلى الدرجات العلى والفردوس الأعلى في الرفيق الأعلى، ومن آثار الاسم أيضا يقين الموحد بأن عزه ومجده في توحيده لله وعبوديته وقربه وطاعته والرضا بمحبته والفوز بجنته، وليس مجده في طلب الجاه ورفعته أو المال وزينته، فالله ﷻ جعل دار القرار جزاء لمن طرح عن نفسه العلو والاستكبار، ومجد الله بتوحيد الأسماء والصفات والأفعال، فلا بد أن يعظم كلام الله، ولا يهون من شأنه، أو يقصر في تنفيذ أمره، أو يتردد في تصديق خبره.

٦٠- الفتاح

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ٢٠٦/١ (٧٧٥)، وانظر مشكاة المصابيح (١٢١٧).

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ سبأ:٢٦.

الفتاح سبحانه هو الذي يفتح أبواب الرحمة والرزق لعباده أجمعين، ويفتح أبواب المحنة والفتنة لابتلاء المؤمنين الصادقين وتمحيصهم، وهو الذي يفتح على عباده بواسع كرمه وفضله فيبدعوا بعقولهم في إعمار أرضه، ويهتدوا فيما استخلفهم بوحيه وشرعه، فيؤمنوا بربوبيته ويحققوا التوحيد في ألوهيته، ويفتح ما يشاء عليهم بحكمته، وعلى ما قضاه في خلقه بتقديره وقدرته، والفتاح سبحانه هو الذي يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

ومن الدعاء بما يناسب اسمه الفتاح ما ورد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ الأعراف:٨٩.

وصح من حديث أبي حميد ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِذا دَخل أحدكُم المسجِدَ فليقل: اللهم افتح لي أبوابَ رَحمتك، وإِذا خرَجَ فليقل اللهم إِني أسألك من فضْلك) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الفتاح أن يعتمد على ربه قبل الأخذ بالأسباب، وأن يطلب منه مفاتح الرزق دون حساب؛ فيحسن التوكل عليه والركون إليه ويحذر من الدنيا إذا فتحت عليه، فمفتاح الخير كله في توحيد الله ﷻ ومتابعة نبيه ﷺ، فقد ثبت من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما قال عَبدٌ: لا إِله إلا الله قطُّ

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب ما يقول إذا دخل المسجد ١/٤٩٤ (٧١٣).

مخلصًا إلا فتِحت له أبواب السَّماءِ حتى تفضِي إِلى العَرشِ ما اجتنبَ الكبَائِرَ)[١].

٦١- الشهيد

قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ سبأ:٤٧.

الشهيد سبحانه هو الرقيب على خلقه أينما كانوا وحيثما كانوا، ملك شاهد لخلقه وشهيد، أقرب إليهم من حبل الوريد، يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش استوى، فالقلوب تعرفه، والعقول لا تكيفه، شهادته لخلقه شهادة إحاطة شاملة، تشمل العلم والرؤية والتدبير والقدرة.

والشهيد سبحانه هو الذي شهد لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط، وشهادته حكم وقضاء وإعلام، وبيان وإخبار وإلزام، فالله يشهد بصدق المؤمنين إذا وحدوه، ويشهد لرسله وملائكته فيما نقلوه أو بلغوه، وشهادته لنفسه بالوحدانية فوق كل شهادة، وأقسم أنه سيلاقي عباده بعد الموت وعند الإعادة.

ومن الدعاء بما يناسب الاسم ما صح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من قال: اللهم إِني أشهدُك وأشهد ملاَئِكتك وحملةَ

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة ٥/٥٧٥ (٣٥٩٠)، وانظر صحيح الجامع (٥٦٤٨).

عَرشِك، وأشهد من في السماوات ومن في الأرض أنك أنت الله لا إِله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمدًا عَبدُك ورَسُولك، من قالها مرة اعتق الله ثلثه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله ثلثيه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله كله من النار) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الشهيد شهادته بالحق ولو أغضبت سائر الخلق. وأعظم شهادة وأجل شهادة هي شهادة التوحيد ونبذ الشرك، وتلك أعظم شهادة شهد بها رب العزة والجلال، وشهدت بها الملائكة وسائر الأنبياء، وأولو العلم وجميع الأولياء. هاجر النبي ﷺ من أجلها وخاصمه قومه بسببها، وتبرأ إبراهيم ﷺ من والده لكفره بها، فحري بمن وحد الله في اسمه الشهيد أن يجدد إيمانه بقولها، ويكثر من ذكرها وأن يموت موقنا بها .

٦٢- المقدم

صح من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أنت المقدمُ وأنت المؤخرُ، لا إِله إلا أنت، أو لا إِله غيرك) [(٢)].

المقدم سبحانه هو الذي يقدم ويؤخر وفق مشيئته وإرادته، فالتقديم من أنواع التدبير الذي يتعلق بفعل الله في خلقه، وهو كوني وشرعي، فالتقديم الكوني هو تقدير الله في خلقه وتكوينه وفعله،

(١) مستدرك الحاكم ٧٠٤/١ (١٩٢٠)، السلسلة الصحيحة ٥٣٤/١ (٢٦٧).
(٢) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب التهجد بالليل ٣٧٧/١ (١٠٦٩).

كما ورد ذلك في قوله ﷻ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يونس:٤٩ .

ومن التقديم المتعلق بالتدبير الكوني اصطفاء الحق لمن شاء من خلقه، وتقديم بعض خلقه على بعضه، بناء على حكمته في ابتلاء المخلوقات، واصطفاء من شاء للرسالات .

أما التقديم الشرعي فهو متعلق بمحبة الله لفعل دون فعل، وتقديم بعض الأحكام على بعض، لما تقتضيه المصلحة التي تعود على العباد، فالمقدم سبحانه هو الذي يقدم الأشياء ويضَعها في مواضِعها على مقتضى الحكمة والاستحقاق، فمن استحق التقديم قدمه، ومن استحق التأخير أخره.

والله تعالى هو المقدم الذي قدم الأحباء وعصمهم من معصيته، وقدم رسول الله ﷺ على الأنبياء تشريفا له على غيره، وقدم أنبياءه وأولياءه على غيرهم فاصطفاهم وطهرهم ونصرهم وأكرمهم.

ومن الدعاء باسم الله المقدم ما صح عن علي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا سجد قال: (اللهم لك سَجَدت، وبك آمنت، ولك أسلمت سَجَدَ وجهي للذِي خلقه وصَورَه فأحسَن صُورَته، وشق سَمعَه وبَصَرَه وتبَارَك الله أحسَن الخالقِين، وإِذا سَلم من الصَّلاةِ قال: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسرَرت وما أعلنت، وما أسرَفت، وما

أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤَخر، لا إِله إلا أنت) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المقدم أن يقدم منهج الله على أي منهج سواه، ولا يقدم عليه عقله وهواه، ويحذر من الشهوة والشبهة، ويراقب ما قدمته يداه، ويزن أوليات العبودية في التزاماته، ويراعي ما قدمه الله في أحكامه وتشريعاته، ويعمل في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل.

٦٣- المؤخر

تقدم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أنت المقدمُ وأنت المؤَخر، لا إِله إلا أنت) [٢].

المؤخر سبحانه هو الذي يؤخر الأشياء فيضَعُها في مواضعها، إما تأخيرا كونيا وإما تأخيرا شرعيا على مقتضى الحكمة والابتلاء، وهو الذي يؤخر العذاب عن العصاة لعلهم يرجعون إليه ويستغفرون من جرأتهم عليه. والفرق بين الآخر والمؤخر أن الآخر دل على صفة من صفات الذات، والمؤخر دل على صفة من صفات الفعل.

ومن الدعاء باسم الله المؤخر ما تقدم عند ذكر اسم الله المقدم. وصح من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: (رَب اغفر لي خطِيئَتِي وجَهلي، وإِسرَافي في أمري كُله، وما أنت

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل ١/٥٣٥ (٧٧١).
(٢) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب التهجد بالليل ١/٣٧٧ (١٠٦٩).

أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطَايَاي وعَمدِي، وجَهلي وهزلي، وكُل ذلك عندِي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسرَرت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤَخر وأنت عَلى كُل شيء قدِيرٌ) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المؤخر أن يراعي أحكام العبودية في تأخير ما أخره الله وتقديم ما قدمه، فلا يقدم المستحبات على الواجبات، والمكروهات على المحرمات.

وقد حذر الله ﷻ من رَفعَ صوته في حضرة نبيه ﷺ وأنذره أن يحبط عمله بالكلية، فكيف بمن نحى حكمه ووصف شرعه بالرجعية، وقدم عليه تشريعات وضعية، أو أحكام عرفية. فينبغي لمن وحد الله في اسمه المؤخر أن يحذر من تقديم ما أخره الله ولو اجتمع الخلق على تقديمه، أو يؤخر ما قدمه ولو اجتمعوا على تأخيره، فإن الدنيا ملك لله لا لهم، ودخول الجنة بإذنه هو دون إذنهم. وقد جعل الله ﷻ النجاة في شرعه دون شرعهم.

ومن آثار الاسم أيضا أن يأخذ المسلم بالرخصة في التقديم والتأخير، ويتبع السنة في ذلك طالما صح فيه الدليل.



(١) رواه البخاري في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ٥/٢٣٥٠ (٦٠٣٥).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥ ﴾ القمر:٥٤/٥٥.

المليك سبحانه هو من اتصف بالملكية والملك معا، والعلو المطلق في ذلك، والفرق بين المالك والملك والمليك، أن المالك صاحب المِلك أو من له ملكية الشيء، ولا يلزم أن يكون الملك له، فقد يؤثر المِلكُ على المالك وملكيته، فيحجر عليها، أو ينازعه فيها، أو يسلبها منه، أما المِلكُ فهو أعم من المالك لأنه غالب قاهر فوق كل مالك، فالمِلكُ مهيمن على الملك، وإن لم تكن له الملكية إلا بضرب من القهر ومنع الآخرين من التصرف فيما يملكون، والمليك هو من له كمال الملكية والملك معا مع دوامها أزلا وأبدا .

ومن الدعاء باسم الله المليك ما صح من حديث أبي هريرة ﷺ أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: (يا رَسول الله مرنِي بشيءٍ أقوله إذا أصبَحت وإذا أمسَيت، قال: قل: اللهم عَالم الغيب والشّهادَةِ، فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ، رَب كُل شيءٍ ومليكه أشهدُ أن لا إِله إِلاّ أنت أعُوذ بك من شر نفسِي، ومن شر الشيطَانِ وشِركِه، قال: قله إذا أصبَحت وإذا أمسَيت وإِذا أخذت مضْجَعَك) [1].

ومن حديث ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أخذ

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٤٦٧ (٣٣٩٢)، وانظر السلسلة الصحيحة ٦/٥٨٠ (٢٧٥٣).

مضجعه: (الحمدُ لله الذِي كفانِي وآوانِي وأطعَمنِي وسَقانِي، والذِي من عَلي فأفضَل، والذِي أعطَانِي فأجزل، الحمدُ لله عَلى كُل حالٍ، اللهم رَب كُل شيءٍ ومليكه وإِله كُل شيءٍ، أعُوذ بك من النار) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المليك حرصه على كمال التوحيد والعبودية، وخضوع العبد لمليكه بالكلية، فقلبه يطمئن بحبه، ولسانه رطب بذكره، وبدنه يسعى لقربه، فالنفس مبتلاة بالكبر والعجب والرياء، وحب المدح والعز والغنى والاستعلاء، ومبتلاة بأخلاق الشياطين والمكر والكيد وأوصاف السفهاء، ومبتلاة بطبائع البدن وحب الأكل والشرب واشتهاء النساء، وهي مع ذلك كله مطالبة بأوصاف الطاعة مثل الخوف والذل والافتقار، والتواضع والرجاء والانكسار، والذكر والدعاء والاستغفار، وأنى لها ذلك إن لم يتداركها المليك الذي خلقها وحركها، وهداها ودبر أمرها، ورزقها ووفقها إلى ما يحبه ويرضاه.

٦٥- المقتدر

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ القمر:٤١/٤٢.

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم ٤/٣١٣ (٥٠٥٨)، وصحيح أبي داود (٤٢٢٩).

المقتدر سبحانه هو الذي يقدر الأشياء بعلمه وينفذها بقدرته، فالمقتدر اسم يجمع دلالة اسم الله القادر والقدير معا، فالقادر هو الذي يقدر المقادير في علمه قبل وجودها وخلقها، والقدير هو الذي يخلق بقدرته وفق سابق التقدير، أما المقتدر فقد جمع بين المعنيين في كمال التقدير والقدرة معا، ولذلك جمع القرآن بين اسم الله المليك والمقتدر في موضع واحد لوحدة الدلالة على اسمين في كل منهما كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ القمر:٥٤/٥٥.

ومن الدعاء بما يناسب اسمه المقتدر ما صح في دعاء الاستخارة: (اللهم إِني أستخيرك بعلمك وأستقدِرك بقدرَتك، وأسألك من فضْلك العَظِيم، فإِنك تقدِر ولاَ أقدِر، وتعلم ولاَ أعلم، وأنت عَلاَّم الغيوب) (١).

ومما روى عن سعيد بن المسيب أنه كان يدعو به ويقول: (اللهم إنك مليك مقتدر، وإن ما تشاء من أمر يكون، قال سعيد: فما سألت الله شيئا بها إلا استجاب لي) (٢).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المقتدر اعتقاده في تقدير الله وقدرته على جميع الموجودات، وإيمانه بخلقه وتدبيره لجميع الكائنات، وينزه الله ﷻ أن يكون في ملكه شيء لا يقدر عليه، فيثبت التقدير

(١) رواه البخاري في باب ما جاء في التطوع ١/٣٩١ (١١٠٩).
(٢) كتاب الدعاء لأبي عبد الرحمن الضبي ص ٢٤٢.

السابق على الخلق، وأن العباد يعملون وفق ما قدره الحق، وأن الله ﷻ خلق الدنيا بأسباب تؤدي إلى نتائج وعلل تؤدي إلى معلولات، وأن السبب والنتيجة مخلوقان بمراتب القدر وهما بين التقدير والقدرة، سواء ارتبط المعلول بعلته أو انفصل عن علته، فأهل اليقين ينظرون إلى الأسباب ويعلمون أن الله خالقها وهو الذي يقلبها، وأنها في ترابطها أو انفصالها صادرة عن كمال الحكمة في ابتلاء العباد، ومن ثم فإن الموحد يعلق أفعاله على مشيئة الله وقدرته، سواء في ماضيه أو حاضره ومستقبله، ولا بد له من الأخذ بالأسباب والرضا بالنتائج بعد يقينه في تقدير الله، فلا يتغافل عن قدرته بدعوى الانشغال في النظر إلى حكمته، ولا يتواكل عن الأخذ بأسباب معيشته بدعوى الانشغال في النظر إلى قدرته، وهذا مقتضى التوحيد في اسم الله المقتدر.

٦٦- المسعر

صح من حديث أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ قال: (إِن الله هو المسَعر القابضُ البَاسِطُ الرازق وإني لأرجُو أن ألقي الله ولَيسَ أحدٌ منكُم يطالبِني بمظلمةٍ في دَم ولا مالٍ) (١).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير ٣/٦٠٥ (١٣١٤)، وأبو داود في كتاب الإجارة، باب في التسعير ٣/٢٧٢ (٣٤٥١)، وابن ماجه في التجارات، باب من كره أن يسعر ٢/٧٤١ (٢٢٠٠)، وأحمد في المسند ٣/٢٨٦ (١٤٠٨٩)، وانظر تصحيح الألباني في غاية المرام ص١٩٤(٣٢٣).

المسعر سبحانه هو الذي يزيد الشيء ويرفع من قيمته، أو تأثيره ومكانته، فيقبض ويبسط وفق مشيئته وحكمته، والتسعير وصف كمال في حقه، وهو من صفات فعله، ومن حكمه وأمره، ولا اعتراض لأحد من خلقه عليه، فهو الذي يرخص الأشياء ويغليها وفق تديره الكوني، أو ما أمر به العباد في تدبيره الشرعي.

والمسعر سبحانه هو الذي يسعر بعدله العذاب على أعدائه، وهذا حقه وعدله في تدبيره الكوني، حيث أوجد النار وزادها سعيرا على الكفار، ولا يعذب بالنار في الدنيا إلا رب النار، وهذا من تدبيره الشرعي.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله المسعر ما ثبت من حديث أبي هريرة ﷺ أن رجلا قال: (سَعِر يا رَسُول الله، قال: إنما يرفعُ الله ويخفضُ، إِني لأرجُو أن ألقى الله ﷻ وليسَ لأحدٍ عندِي مظلمة، قال آخر: سَعِر، فقال: ادعُو الله ﷻ) [(١)].

اللهم أنت المسعر القابض الباسط الرازق يسر أسعارنا، ووسع أرزاقنا، وأعنا على تدبير أحوالنا، وأن نتقيك في قوتنا وقوت أولادنا وما وليتنا، اللهم باعد بيننا وبينا عذاب السعير.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المسعر أن يتقي الله في معاملاته

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣٧٢/٢ (٨٨٣٩)، وانظر أيضا: القول المسدد لابن حجر العسقلاني ص٨٢.

لاسيما إن كان من التجار، فلا يستغل الناس في زيادة الأسعار، أو يخفي الأقوات سعيا للتفرد والاحتكار، بل يكون حريصا على نفعهم، صبورا على دَيْنهم، مراعيا لحاجتهم وفقرهم، سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى، يأخذ بأسباب الرزق في تجارته وكسبه، ويراقب الله في التعامل مع خلقه، توحيدا لربه في اسمه المسعر.

وقد صح من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (التاجِرِ الصَّدُوق الأمين معَ النبيِّين والصِّديقِين والشهدَاءِ)[١].

٦٧- القابض

القابض سبحانه هو الذي يمسك الأرزاق بلطفه وحِكمته، ويقبضُ الأرواح عند الممات بأمره وقدرته، وقبضه تعالى وإمساكه وصف حقيقي لا نعلم كيفيته، نؤمن به علي ظاهره وحقيقته، كما أراد الله في كتابه أو أراده الرسول ﷺ في سنته، فهو القابض كما يليق بجلاله وعظمته، لا نمثل، ولا نكيف، ولا نعطل، ولا نحرف. يضَيِّق الأسباب على قوم ابتلاء وامتحانا، ويوسِّع على آخرين اختبارا وإمهالا وافتتانا.

ومن الدعاء بما يناسب اسمه القابض ما صح من حديث ابن رفاعة

(١) رواه الترمذي في البيوع، ما جاء في التجار ٣/٥١٥ (١٢٠٩)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٧٨٢).

ﷺ أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول: (اللهم لا قابضَ لما بَسَطت ولاَ بَاسِطَ لما قبَضْت، ولاَ هادِي لما أضْللت ولاَ مضل لمن هدَيت ولاَ معطِي لما منعت ولاَ مانِعَ لما أعطَيت، ولاَ مقربَ لما بَاعَدت ولاَ مبَاعدَ لما قربت، وأعوذ بك من شر ما أعطَيتنا وشر ما منعت منا) [1].

ومن حديث ابن عباس ﷺ مرفوعا: (اللهم إِني أسألك فعل الخيرَاتِ، وترك المنكرَاتِ وحُب المسَاكِينِ، وإِذا أرَدت بعبَادِك فتنة فاقبضْنِي إِليك غيرَ مفتونٍ) [2].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه القابض ألا يحمد مخلوقا ولا يذمه لأجل أنه أعطاه أو منعه، ليقينه أن الله ﷻ هو المعطي الأول قبل إجراء الأسباب على أيديهم وهو القابض الباسط، فلم يشكر من كان سببا في رزقه إلا لأن الله مدحهم وأمره بشكرهم، وإن ذم الذين كانوا سببا في منع رزقه أو مقتهم فلأجل مخالفتهم لله وموافقتهم لهوى أنفسهم، فالله ﷻ مدح المنفقين وذم الممسكين، وقد وكل الله ملكين ينزلان من السماء، أحدهما يدعو لكل منفق، والآخر يدعو على كل ممسك، فحسن التوكل على الله ﷻ من آثار الإيمان بتوحيده في اسمه القابض، وكل ما يناله العبد من الخير والعطاء فهو رزقه المكتوب في سابق القضاء، وما ناله فيه من الأحكام سيصله في وقته بالتمام، والمكتوب أزلا لن يكون لغيره من الخلق أبدا ومن ثم

(١) رواه أحمد في المسند ٣/٤٢٤ (١٥٨٩١) وانظر ظلال الجنة.

(٢) الترمذي في التفسير، باب سورة ص ٥/٣٦٦ (٣٢٣٣)، صحيح الجامع (٥٩).

يصبر عند البلاء ويشكر عند الرخاء وتلك حقيقة الابتلاء التي لها خلق الإنسان.

٦٨- الباسط

الباسِط سبحانه هو الذي يبسُط الرزق لعباده بجُوده ورحمته، ويوسعه عليهم ببالغ كرمه وحكمته، فيبتليهم بذلك على ما تقتضيه مشيئته، فإن شاء وسع، وإن شاء قتر، فهو القابض الباسط.

والباسط سبحانه هو الذي يبسط يده بالتوبة لمن أساء، وهو الذي يملي لهم ليترددوا بين الخوف والرجاء.

ومن الدعاء بما يناسب اسمه الباسط ما ثبت من دعاء النبي ﷺ: (اللهم ابسُط عَلينا من بَرَكَاتك ورَحمتك وفضْلك ورزقِك، اللهم إني أسألك النعيم المقِيم الذِي لا يحول ولاَ يزُول، اللهم إِني أسألك النعيم يوم العَيلةِ والأمن يوم الخوف، اللهم إِني عَائِذ بك من شر ما أعطَيتنا وشر ما منعت، اللهم حبب إِلينا الإِيمان وزيِّنه في قلوبنا وكره إِلينا الكُفرَ والفسُوق والعصْيان واجعَلنا من الراشِدِين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحِقنا بالصَّالحِين غيرَ خزايا ولاَ مفتونِين، اللهم قاتل الكفرَةَ الذِين يكذِّبون رسُلك ويصُدون عَن سَبيلك، واجعَل عَليهم رَجزك وعَذابَك، اللهم قاتل الكفرَةَ الذِين أوتوا الكِتابَ إِله الحق) [١] .

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/٤٢٤، وصححه الألباني في الأدب المفرد (٦٩٩).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الباسط انبساط القلب وانشراحه بتوحيد الله فيسعد الموحد بطاعته لربه، ويأمل في رحمته وقربه، فالله ﷻ يقبض القلوب بإعراضها، ويبسطها للإيمان بإقبالها، فيقلب للعبد نوازع الخير في قلبه، وقرينه من الملائكة يهتف له بأمر ربه، حتى يصبح قلبه على أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، وهذا هو البسط الحقيقي والتوفيق الإلهي في بلوغ العبد درجة الإيمان، فيجد المبسوط نورا يضيء له الجنان واللسان وسائر الأركان .

ومن آثار الاسم اعتقاد الموحد أن الطاعة سبب في بسط الرزق، وأن بسطه ابتلاء من الله للعبد، فينبغي أن يشكر عند بسطه، وأن يصبر عند قبضه.

٦٩- الرازق

تقدم الدليل عند ذكر اسم الله المسعر: (إِن الله هو المسَعر القابضُ البَاسِطُ الرازق).

الرازق سبحانه هو الذي يرزق الخلائق أجمعين، وهو الذي قدر أرزاقهم قبل خلق العالمين، وهو الذي تكفل باستكمالها ولو بعد حين، فلن تموت نفس إلا باستكمال رزقها كما أخبرنا الصادق الأمين ﷺ: (أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإِن نفسًا لن تموت حتى تستوفىَ رزقها، وإِن أبطَأ عَنها، فاتقوا الله وأجملوا في

الطلب، خُذوا ما حل ودَعُوا ما حرم) [(١)].

والرازق اسم يدل على وصف الرزق العام والشامل للخلائق في التقدير الأزلي والتقدير الميثاقي، حيث قدر سبحانه وتعالى أمور خلقهم ورزقهم معا قبل وجودهم، وكتب أرزاقهم في الدنيا والآخرة قبل إنشائهم، فالرزق وصف عام يتعلق بعموم الخلق في عالم الملك والملكوت، أو رزق الدنيا ورزق الآخرة، حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام هو داخل في هذا الرزق، فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة، وقد يرزقون رزقا حسنا، وقد لا يرزقون إلا بتكلف .

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الرازق ما ثبت من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثم قال: الحَمدُ لله الذِي أطعَمَنِي هذا الطعَامَ وَرَزَقِنيه مِنْ غير حَول مِنى وَلاَ قوةٍ، غفِرَ له مَا تقَدمَ مِنْ ذنْبه، وَمَنْ لَبِسَ ثوبًا فَقال: الحَمْدُ لله الذي كساني هذا الثوْبَ وَرَزقِنِيه مِنْ غير حَولٍ مِنى وَلاَ قوةٍ غفِرَ لَه مَا تقدمَ مِن ذنْبِه) [(٢)].

وصح من حديث عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لو أن أحدَهم إِذا أَرَادَ أن يأتِي أهله قال: باسم الله، اللهم جَنبنا الشيطَان وجَنب الشيطَان ما رَزقتنا، فإِنه إن يقدر بَينهما ولدٌ في ذلك، لم يضُره

(١) رواه ابن ماجة في كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة ٢/٧٢٥ (٢١٤٤)، وانظر تصحيح الشيخ الألباني للحديث في صحيح الجامع حديث رقم (٢٧٤٢).

(٢) رواه أبو داود في كتاب اللباس ٤/٤٢ (٤٠٢٣)، صحيح الجامع (٦٠٨٦).

شيطَانٌ أبَدًا) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الرازق إفراد الله بتقدير الأرزاق والمنع والعطاء والتوكل عليه في الشدة والرخاء، اعتقادا منه أنه لا خالق إلا الله ولا مدبر للكون سواه، وأن الذي يرزق بأسباب قادر على أن يرزق من غير أسباب طالما أنه الخالق الرازق المدبر، فليس للعبد سبيل في طلب الرزق بعد الأخذ بالأسباب إلا تقوى الله ﷻ، ويقينه أن الملك من فوق عرشه كفيل بأمره ورزقه، فيتوكل عليه وينقطع إليه، لا يطمع في سواه، ولا يرجو إلا إياه، ولا يشهد في العطاء إلا مشيئته، ولا يرى في المنع إلا حكمته، ولا يعاين في القبض والبسط إلا قدرته، عند ذلك يحقق توحيد الله في اسمه الرازق.

٧٠- القاهر

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ الأنعام:١٨.

القاهر سبحانه هو الغالب على جميع الخلائق على المعنى العام، الذي يعلو في قهره وقوته، فلا غالب له ولا منازع، بل كل شيء تحت قهره وسلطانه، ويستحيل أن يكون للعالم إلا إله واحد، لأن الله قاهر فوق عباده له علو القهر والغلبة، فلو فرضنا وجود إلهين اثنين مختلفين ومتضادين، وأراد أحدهما شيئا خالفه الآخر، فلا بد عند

---

(١) رواه البخاري في الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله ٥/٢٣٤٧ (٦٠٢٥).

التنازع من غالب وخاسر، فالذي لا تنفذ إرادته هو المغلوب العاجز، والذي نفذت إرادته هو القاهر القادر. وهو سبحانه الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله كل شيء، وذل لعظمته وكبريائه كل شيء، وعلا على عرشه فوق كل شيء.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله القاهر ما صح من حديث الحسن ﷺ أنه قال: (عَلمنِي رَسُول الله ﷺ كلماتٍ أقولهن في قنوتِ الوِتر: اللهم اهدِني فيمن هدَيت، وعَافنِي فيمن عَافيت، وتولنِي فيمن توليت، وبَاركْ لي فيما أعطَيت، وقِنِي شر ما قضيت، إِنك تقضي ولاَ يقضى عَليك، وإِنه لا يذِل من واليت، ولاَ يعزُّ من عَادَيت، تبَارَكت رَبنا وتعَاليت) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه القاهر خضوعه الكامل لله ﷻ توحيدا له في اسمه القاهر، والاستعلاء على الأعداء بعزة الإسلام ثقة ويقينا في ربه القاهر .

وقد صح من حديث عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تزال عصَابَة من أمتِي يقاتِلون عَلى أمر الله، قاهرين لعَدُوهم، لا يضُرهم من خالفهم حتى تأْتِيهم السَّاعَة وهم عَلى ذلك) [٢].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر ٢/٦٣ (١٤٢٥)، مشكاة المصابيح (١٢٧٣).

(٢) رواه مسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي٣/١٥٢٤ (١٩٢٤).

والله ﷻ وعد المؤمنين بالعلو والنصرة والتمكين والغلبة، ورتب ذلك على توحيد العبد لربه والتجائه إليه، ثم صدق التوكل عليه، ثم الأخذ بأسباب القوة ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ فإتقان الأخذ بأسباب القوة من علامات التوحيد، لأن الله ﷻ قادر على أن يقهر الظالمين بأمره الكوني، لكنه جعل العباد مبتلين بتدبيره الشرعي، لتظهر آثار أسمائه فيهم، فلا بد للموحدين أن يستعينوا بالله القاهر أولا، ثم يتقنوا الأخذ بأسباب القوة عند اللقاء لينتصروا على الأعداء، وذلك يشمل كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والقوة والحيلة، وتقديم الإخلاص والصدقة، ورد المظالم وصلة الرحم، ودعاء مخلص، وأمر بمعروف ونهى عن منكر، وأمثال ذلك من الأسباب الموجبة للنصر .

٧١- الديان

صح من حديث جابر بن عبد الله ؓ أن النبي ﷺ قال : (يحشر الله العبَادَ، فينادِيهم بصَوتٍ يسمعُه من بَعُدَ كما يسمعُه من قربَ، أنا الملكُ، أنا الديان) (١) .

---

(١) رواه البخاري معلقا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ٦/٢٧١٩، وقد وصله ابن حجر في تغليق التعليق ٣٥٥/٥، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة(٥١٤)، وانظر الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ٤١٧/١.

الديان سبحانه هو الذي دانت له الخليفة، وعنت له الوجوه، وذلت لعظمته الجبابرة، وخضع لعزته كل عزيز. ملك قاهر على عرش السماء مهيمن، لعزته تعنوا الوجوه وتسجد. يرضى على من يستحق الرضا ويثيبه ويكرمه ويدنيه، ويغضب على من يستحق الغضب ويعاقبه ويهينه ويقصيه، فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويقرب من يشاء، ويقصي من يشاء، فهو الديان الذي يدين العباد أجمعين. كتب أعمالهم فهي حاضرة، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أظهرها لهم في الآخرة.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الديان ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ غافر:٦٥. اللهم أنت الديان الذي دانت له الرقاب، فاغفر لنا خطايانا يوم نلقاك .

وصح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قلت: يا رَسُول الله، ابن جُدعَان كان في الجَاهليةِ يصِل الرحِم، ويطعم المسكِين، فهل ذاك نافعُه؟ قال: لا ينفعُه، إِنه لم يقل يوما رَب اغفر لي خطِيئَتِي يوم الدينِ) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الديان أن يحاسب نفسه على

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل ١/١٩٦ (٢١٤).

كسبه استعدادا للقاء ربه، فأعلى أنواع الموازنة أن يوازن بين مقدار ما يكتسبه من الخير بحيث لا تشتبه عليه الفتنة بالنعمة، فينظر إلى ما أنعم الله به عليه من خير، صحة كان أو فراغا، أو علما أو طاعة، أو مالا أو سؤددا، أو غير ذلك مما يعد كمالا له في الدنيا، فإن وجد ذلك مما يقربه إلى الله شكره على نعمته، وسعى بالمزيد في توحيده وعبوديته، وإن وجد تقصيرا وبعدا التجأ إلى الله ﷻ أن ينجيه، واستغاث به من عذابه وفتنته.

ومن دعاء العبادة أن الموحد يحاسب الناس على ما ظهر منهم، ويكل بواطنهم للحسيب الديان، وأن ييسر عن المعسرين، ويتجاوز عن الفقراء والمساكين.

٧٢- الشاكر

قال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ البقرة:١٥٨.

الشاكر سبحانه يجازي العباد على أعمالهم، ويضاعف لهم من أجورهم، فيقابل شكرهم بزيادة النعم في الدنيا، وواسع المغفرة في الآخرة.

والله ﷻ شاكر يرضى بأعمال العباد وإن قلت تكريما لهم ودعوة للمزيد، مع أنه سبحانه قد بين ما لهم من وعد أو وعيد، لكنه شاكر يتفضل بمضاعفة الأجر، ويقبل التوبة ويمحو ما يشاء من الوزر، والله غني عنا وعن شكرنا، لا يفتقر إلى طاعتنا أو شيء من أعمالنا، لكنه

يمدح من أطاعه ويثني عليه ويثيبه ليعود النفع علينا فيشكر على ذلك.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الشاكر ما صح من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أتحِبون أن تجتهدُوا في الدعَاءِ، قولوا: اللهم أعنا عَلى شكْرك وذِكْرك وحُسنِ عبَادَتك) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الشاكر شكره على نعمه السابغة، وشكر الناس على ما أجرى الله على أيديهم من الأسباب، فقد صح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا يشكُر الله من لا يشكُر الناسَ) [٢].

وثبت من حديث ثوبان ﷺ أن بعض أصحاب النبي سألوه: (لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: أفضله لسَانٌ ذاكِرٌ وقلبٌ شاكِرٌ، وزوجَة مؤمنة تعينه عَلى إِيمانه) [٣].

٧٣- المنان

صح من حديث أنس ﷺ أنه كان معَ رَسُول الله ﷺ جَالسًا ورَجُلٌ

---

(١) رواه أحمد في المسند ٢/٢٩٩ (٧٩٦٩)، مستدرك الحاكم ١/٦٧٧ (١٨٣٨) وانظر صحيح الجامع (٨١).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في شكر المعروف ٤/٢٥٥(٤٨١١)، وانظر صحيح الجامع (٧٧١٩).

(٣) رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة ٥/٢٧٧ (٣٠٩٤)، صحيح الترغيب (١٩١٣).

يصَلي ثم دَعَا: (اللهم إِني أسألك بأن لك الحمدَ لا إِله إلا أنت المنان بَدِيعُ السَّماواتِ والأرضِ يا ذا الجَلاَل والإِكْرَام يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: لقد دَعَا الله باسمه العَظِيم الذِي إِذا دُعي به أجَابَ، وإِذا سُئِل به أعطَى) (١).

والمنان سبحانه هو العظيم الهبات الوافر العطايا، الذي ينعم غيرَ فاخرٍ بالإِنعام، والذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، وهو المعطي ابتداء وانتهاء، فلله المنة على عباده، ولا منة لأحد عليه، فهو المحسن إلي العبد والمنعم عليه، ولا يطلب الجزاء في إحسانه إليه، بل أوجب بفضله لعباده حقا عليه، منة منه وتكرما إن هم وحدوه في العبادة، ولم يشركوا به شيئا.

ومن الدعاء باسم الله المنان ما ورد في حديث أنس السابق، أما آثار توحيد المسلم لله في اسمه المنان أن يجود بنفسه وماله في سبيل دينه وإخوانه رغبة في القرب من ربه المنان.

وقد صح من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِنه ليسَ من الناسِ أحدٌ أمن عَلي في نفسِه وماله من أبي بَكْر بنِ أبى قحافةَ، ولو كُنت متخذًا من الناسِ خليلا لاَتخذت أبَا بَكْرٍ خليلا ولكِن خُلة الإِسلاَم أفضل) (٢).

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء ٧٩/٢ (١٤٩٥)، وانظر صحيح أبي داود (١٣٢٥).

(٢) رواه البخاري في الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد١/١٧٨ (٤٥٥).

٧٤- القادر

قال تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المرسلات:٢٣.

القادر سبحانه هو الذي يقدر المقادير في علمه، وعلمه المرتبة الأولى من قضائه وقدره، فالله ﷻ قدر كل شيء قبل تصنيعة وتكوينه، ونظم أمور الخلق قبل إيجاده وإمداده، ثم كتب في اللوح هذه المعلومات ودونها بالقلم في كلمات، وكل مخلوق مهما عظم شأنه أو قل حجمه كتب الله ما يخصه في اللوح المحفوظ، ثم يشاء بحكمته وقدرته أن يكون الأمر واقعا على ما سبق في تقديره، ولذلك فإن القدر مبني على التقدير والقدرة، فبدايته في التقدير، وهو علم حساب المقادير، أو العلم الجامع التام لحساب النظام العام الذي يسير عليه الكون من بدايته إلى نهايته، ونهايته في القدرة، فالقادر هو الذي قدر المقادير قبل الخلق والتصوير، واسم الله القادر دلالته تتوجه إلى المرتبة الأولى من مراتب القدر، وهي العلم والتقدير وإمكانية تحقيق المقدر.

ومن الدعاء باسم الله القادر ما صح من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: (لما نزلت: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ الأنعام:٦٥. قال رَسُول الله ﷺ: أعُوذ بوجهك، قال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ الأنعام:٦٥. قال ﷺ: أعُوذ بوجهك. قال: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ الأنعام:٦٥. قال رَسُول الله ﷺ: هذا أهون أو

هذا أيسَر) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه القادر إيمانه بعلم الله السابق وتقديره الأشياء، وأن ذلك سر الله في خلقة لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن هذا العلم هو علم مفاتح الغيب وتقدير الأمور، فإذا كان هذا اعتقاد الموحد في اسمه القادر ركن إلى ربه واعتمد عليه، ولم يخش أحدا سواه .

ومن آمن بالقادر لم يأت عرافا ولا منجما ولا ساحرا ولا كاهنا، ولا مدعيا لمعرفة الغيب لأن علم التقدير سر بيد القادر وحده، لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل. ولا ينبغي للموحد أن يعارض العلم السابق والتقدير الحتمي بالتواكل والاستناد للمذهب الجبري.

٧٥- الخلاق

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ يس: ٨١.

الفرق بين الخالق والخلاق أن الخالق هو الذي ينشئ الشيء من العدم بتقدير وعلم، ثم بمشيئة وتصنيع وخلق عن قدرة وغنى.

أما الخلاق فهو الذي يبدع في خلقه كما وكيفا حيث شاء، فيعيد

---

(١) رواه البخاري في التفسير، باب قل هو القادر ٤/١٦٩٤ (٤٣٥٢).

ما خلق ويكرره كما كان، بل يخلق خلقا جديدا أحسن مما كان. والخلاق أيضا هو الذي يقدر الأخلاق وينوعها في تقسيمها بين العباد، فهو المقدر للخلق والأخلاق، العليم بأهل الحق وأهل النفاق.

ومن الدعاء باسم الله الخلاق ما أثر من دعاء جابر بن عبد الله ﷺ: (اللهم إنك خلاق عظيم، إنك سميع عليم، إنك غفور رحيم، إنك رب العرش العظيم، إنك البر الجواد الكريم، اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني واجبرني وارفعني واهدني ولا تضلني وأدخلني الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين) [(١)].

ومن حديث علي ﷺ أن النبي ﷺ دعا في سجوده فقال: (اللهم لك سَجَدت، وبك آمنت، ولك أسلمت أنت رَبي، سَجَدَ وجهي للذِي شق سَمعَه وبَصرَه، تبَارَكَ الله أحسَن الخالقِين) [(٢)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الخلاق إيمانه بكمال علم الله وحكمته، وأنه الذي يبدع في خلقه كما وكيفا بكمال قدرته، وأن الله لا يعجزه شيء في ملكه، وهو سبحانه غالب على أمره، خلق الدنيا بأسباب تؤدي إلى نتائج وعلل تؤدي إلى معلولات، السبب والنتيجة مخلوقان بعلم الله ومشيئته، وتقديره وقدرته، سواء ارتبط المعلول بعلته أو انفصل عن علته، أو ارتبط السبب بنتيجته أو انفصل

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ١/٤٤١ (١٨٠٠).

(٢) رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب سجود القرآن ١/٣٣٥ (١٠٥٤)، الكلم الطيب (٨٧).

عن نتيجته، كل ذلك لا يؤثر في قدرة الخلاق ولا يحد من الكمال والإطلاق، ولكن ترابط العلل والأسباب أو انفصالها ظاهر عن كمال العدل والحكمة، فالدنيا دار ابتلاء وامتحان، ولا بد أن يجتازها الإنسان، وهو فيها بين نازعين نفسيين ونجدين معروضين بين إرادته ومخير فيهما بين جنة ونار، كل ذلك ليؤول الناس إلى سابق التقدير، وما دون في الكتاب من تقرير المصير فلا تغير في ولا تبديل .

٧٦- المالك

صح من حديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِن أخنع اسم عندَ الله رَجُلٌ تسَمىٰ ملك الأملاَكِ لا مالك إلا الله ﷻ) [(١)].

المالك سبحانه هو الذي يملك الأشياء كلها ويصَرفها على إرادته لا يمتنع عليه منها شيء هو المتصرف في الملك والقادر عليه، مُلكه عن أصالة واستحقاك لأنه الخالق الحي القيوم الوارث للعباد جميعا، فاستحقاق الملك سببه أمران:

الأول: صناعة الشيء وإنشائه واختراعه بلا معين، فملوك الدنيا لا يمكن لأحدهم أن يؤسس ملكه بجهده منفردا، فلا بد له من ظهير أو معين، سواء من أهله وقرابته، أو حزبه وجماعته، أو قبيلته وعشيرته،

(١) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك ٣/١٦٨٨ (٢١٤٣)

أما المالك ﷻ فهو المتفرد بالملكية حقيقة، فلا أحد ساعده في إنشاء الخلق أو عاونه على استقرار الملك، أو يمسك السماء معه أن تقع على الأرض.

الثاني: دوام الحياة لأنه يوجب انتقال الملكية وثبوت التملك، ومعلوم أن كل من عليها فان، وأن الحياة وصف ذات الله والإحياء وصف فعله، فالملك بالضرورة سيئول إلى خالقه ومالكه، ومن ثم فإن الملك لله في المبتدأ عند إنشاء الخلق فلم يكن أحد سواه، والملك لله في المنتهى عند زوال الأرض لأنه لن يبق من الملوك سواه .

ومن الدعاء باسم الله المالك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ آل عمران:٢٦.

وثبت من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ ﷺ: (ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك، قل يا معاذ: اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك) [(١)].

(١) المعجم الصغير ٣٣٦/١ (٥٥٨)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المالك اعتقاده أنه عبد في ملك سيده مستخلف في أرضه، أمين على ملكه، قد ابتلاه فيما أعطاه وامتحنه وخوله استرعاه، أيرد الملك إلى المالك أم ينسب لنفسه أوصاف الخالق؟ فيتكبر على العباد بنعم الله، ويتعالى عليهم بما منحه وأعطاه، فالموحد الصادق يتحرى في قوله وفعله توحيد الله في اسمه المالك، فلا يتوكل إلا عليه ولا يلجأ إلا إليه، ليقينه أن أمور الرزق بيديه، وأن المبتدا منه والمنتهى إليه، وهو إلى المالك الأوحد أذل من كل ذليل، وأقل من كل قليل، ولا يليق به إلا التواضع والخضوع في حال منعه أو عطائه.

٧٧- الرزاق

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات:٥٨.

الرزاق سبحانه هو صاحب العطاء المتجدد الذي يأخذه صاحبه في كل تقدير يومي أو سنوي أو عمري، فينال ما قسم له في التقدير الأزلي والميثاقي، والرزاق سبحانه هو الذي يتولى تنفيذ المقدر في عطاء الرزق المقسوم بمقتضى اسمه الرازق، والذي يخرجه في السماوات والأرض، فإخراجه في السماوات يعني أنه مقضي مكتوب، وإخراجه في الأرض يعني أنه سينفذ لا محالة، فالله يتولاه لحظة بلحظة تنفيذا للمقسوم في سابق التقدير، فالرزاق كثير الإنفاق

مفيض بالأرزاق رزقا بعد رزق مبالغة في الإرزاق، ألا ترى أن الله رتب أرزاق الخلائق بعضها يُرزق من بعض في سلسلة متوالية، رتبها في خلقه، وأتقنها في ملكه، فتبارك من جعل رزق الخلائق عليه، ضمن رزقهم وسيؤديه لهم كما وعد.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الرزاق ما صح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا يقل أحدُكُم: اللهم اغفر لي إِن شِئْت، ارحمنِي إِن شِئْت، ارزُقنِي إِن شِئْت، وليعزم مسألته إِنه يفعل ما يشاءُ، لا مكْرِه له) [١].

وثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: (اللهم ارزُقنِي شهادَة في سَبيلك، واجعَل موتِي في بَلدِ رَسُولك ﷺ) [٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الرزاق ثقته ويقينه أن الرزق سيصله كأمر محتوم، وأن السعي في الأسباب إنما هو وقوع الأحكام على المحكوم. والذي وحد الله حقا لا بد أن يتقلب في إيمانه بالاسم بين حكمة الله وشريعته ومشيئته وقدرته، فلا يسقط الشرائع والأحكام ويتغاضى في سعيه عن تمييز الحلال من الحرام، لاحتجاجه بمشيئة الله وقدرته وأن الخلائق مسيرون على جبر إرادته، ولا يجعل الأسباب حاكمة تضر وتنفع بمفردها فيشرك في توحيد الله، لأن الله

---

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة ٦/٢٧١٨ (٧٠٣٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة ٢/٦٦٨ (١٧٩١).

قدير والقدرة صفته، وهو الذي أعطى ومنع، وضرّ ونفع، وخلق وفعل وجعل، لا شريك له في أسمائه ولا ظهير له في أحكامه.

٧٨- الوكيل

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ آل عمران:١٧٣.

والوكِيل سبحانه هو الذي توكل بالعالمين خلقا وتدبيرا، وهداية وتقديرا، فهو المتوكل بخلقه إيجاد وإمدادا، وهو الكفيل بأرزاق عباده ومصالحهم، وهو سبحانه وكيل المؤمنين الذين ركنوا إلى حوله وقوته، وخرجوا من حولهم وطولهم وآمنوا بكمال قدرته، وأيقنوا أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وفوضوا إليه الأمر قبل سعيهم، واستعانوا به حال كسبهم، وحمدوه بالشكر بعد توفيقه لهم.

ومن الدعاء باسم الله الوكيل ما ورد في قوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأعراف:٨٩.

وقوله: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ هود:٥٦.

وثبت من حديث أبي بكرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (دَعَوات المكْروب: اللهم رَحمتك أرجُو، فلاَ تكلنِي إِلى نفسِي طَرفةَ عَينٍ،

وأصْلح لي شأْنِي كُله لا إِله إلا أنت) [(١)].

وصح من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: (ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث وأصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا) [(٢)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الوكيل يقينه أن الله قد ضمن له الرزق فلا يتواكل عن طلبه، بل يأخذ بأسبابه تحرزا من الطمع وفساد القلب، ولا يضيع حق الزوجة والولد برغم أن أرزاقهم على الله ﷻ، والذي يفعل ذلك تارك للسبيل والسنة؛ فدرجات التوكل ومراحله يجب على الموحد ألا يقلل من شأنها ولا يأخذ بواحدة ويدع الأخرى .

أولها: توجه القلب إلى الله على الدوام لعلمه أنه على كل شيء قدير، وأن الأسباب كالآلة بيد الصانع يسيرها ويدبرها، ويوفق من أخذ بها أو يخذله.

والثانية: توجه الجوارح إلى الأسباب؛ لأن الله أثبت آثارها لمعاني الحكمة؛ وتصريفه الأشياء وتقليبها على سبيل الابتلاء، وإيقاع

---

(١) رواه أبو داود كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٤/٣٢٤ (٥٠٩٠)، صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١/٧٣٠ (٢٠٠٠)، السلسلة الصحيحة (٢٢٧).

الأحكام على المحكوم، وعود الجزاء على الظالم والمظلوم بالعقاب أو الثواب، وذلك ليكون المتوكل قائما بأحكام الشرع، ملتزما بمقتضى العطاء والمنع.

والثالثة: تسليم المتوكل ورضاه عن النتائج التي قدرت له؛ فالاستسلام لقضاء الله وقدره يكون بعد الأخذ بالأسباب، ولا يأتي قبلها وإلا كان تواكلا مرفوضا، والعبد وقتها يكون على حسن اليقين وجميل الصبر وحقيقة الرضا، فتسكن القلوب عند النوازل والبلاء، وتطمئن النفوس إلى حكمة الابتلاء، لاعتقادهم أن الله هو الوكيل الذي يدبر الخلائق كيفما يشاء.

٧٩- الرقيب

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ۝٥٢﴾ الأحزاب:٥٢. فالله ﷻ من فوق عرشه رقيب على خلقه، له الكمال المطلق في إحاطته بملكه، فإن أضفت إلى الإطلاق اجتماع معاني العلو كان ذلك من جمال الكمال في الاسم والصفة.

والرقيب سبحانه هو المطلع على خلقه يعلم كل صغيرة وكبيرة في ملكه، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ومراقبة الله لخلقه مراقبة عن استعلاء وفوقية، وقدرة وصمدية، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ملك له الملك كله، وله الحمد كله، أزمة الأمور كلها بيديه، ومصدرها منه ومردها إليه، مستو على

عرشه لا تخفى عليه خافية، عالم بما في نفوس عباده، مطلع على السر والعلانية، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي، ويدبر أمور مملكته، فمراقبته لخلقه مراقبة حفظ دائمة وهيمنة كاملة، وعلم وإحاطة.

ومن الدعاء بما يناسب الاسم ما صح في دعاء السفر من حديث ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال: (سُبحان الذي سَخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسْألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون عَلينا سفرنا هذا واطو عَنا بعده اللهم أنت الصاحبُ في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعُوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسُوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الرقيب مراقبته لربه فيعبده كأنه يراه، محافظا على حدوده وشرعه، واتباعه لسنة نبيه ﷺ فيوقن بأن الله معه من فوق عرشه يتابعه، يراه ويسمع، فيرتقي بإيمانه إلى درجة الإحسان، والمحسن أعلى درجة من المؤمن والمسلم، وجماع معنى المراقبة دوام الملاحظة والتوجه إلى الله ظاهرا وباطنا، فيراقب الله

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٣/٩٧٨(١٣٤٢).

تعالى ويسأله أن يرعاه في مراقبته، لأن الله ﷻ قد خص المخلصين بألا يكلهم في جميع أحوالهم إلى أحد سواه.

٨٠- المحسن

صح من حديث شداد بن أوس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ الله ﷻ محسْن يُحب الإحسَان، فإذا قتلتم فأحسِنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسِنوا الذبحَ) [(١)].

والمحسن سبحانه هو الذي له كمال الحسن في أسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شيء أكمل من الله ولا أجمل من الله، وكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعته، لا يحصي أحد من خلقه ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، ليس في أفعاله عبث، ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن المصلحة والحكمة والعدل والفضل والرحمة، إن أعطى فبفضله ورحمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته.

وهو الذي أحسن كل شيء خلقه، فأتقن صنعه، وأبدع كونه

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٤/٤٩٢ (٨٦٠٣) ، والطبراني في المعجم الكبير ٧/٢٧٥ (٧١٢١) ، وصححه الألباني ، وانظر صحيح الجامع (١٨٢٤) ، وانظر المزيد عن ثبوت الاسم في كتاب إثبات أن المحسن من أسماء الله الحسنى للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، من ص٤ إلى ص١٤، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، نشر دار غراس، الكويت بن عبد المحسن البدر، من ص٤ إلى ص١٤، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، نشر دار غراس، الكويت.

وهداه لغايته، وأحسن إلى خلقه بعموم نعمه وشمول كرمه وسعة رزقه على الرغم من مخالفة أكثرهم لأمره ونهيه، وأحسن إلي المؤمنين فوعدهم الحسني وعاملهم بفضله، وأحسن إلى من أساء فأمهله ثم حاسبه بعدله.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله المحسن ما صح من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: (كان النبي ﷺ إذا استفتح الصَّلاة كبرَ ثم قال: إِن صَلاَتِي ونسُكِي ومحياي ومماتِي للهِ رَب العَالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم اهدِني لأحسَنِ الأعمال وأحسَنِ الأخلاَق، لا يهدِي لأحسَنها إلا أنت، وقِنِي سَيِّئَ الأعمال وسَيِّئَ الأخلاَقِ لا يقِي سَيِّئها إلا أنت) [١].

ومن حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم أحسَنت خَلقِي فأحسِن خُلقِي) [٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المحسن يقينه بأن الله ﷻ غني كريم عزيز رحيم محسن إلى عباده مع غناه عنهم، شرع لعبده منهجا فيه كل خير، ورفع عنه كل شر، وليس في ذلك جلب منفعة إلى الله من العبد، بل رحمة منه وإحسانا، وتفضلا وامتنانا، فهو سبحانه لم

---

(١) رواه النسائي في الافتتاح، باب نوع آخر من الدعاء ١٢٩/٢ (٨٩٦)، مشكاة المصابيح (٨٢٠).

(٢) رواه أحمد ٤٠٣/١ (٣٨٢٣)، مشكاة المصابيح (٥٠٩٩)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٧).

يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه أو ينفعوه أو يدفعوا عنه. وهو ﷻ لا يوالى من يواليه من الذل كما يوالى المخلوقُ المخلوق، وإنما يوالي أولياءه إحسانا ورحمة ومحبة لهم.

أما أثر الاسم على سلوك العبد فهو بلوغه درجة الإحسان، وهي اتقان الطاعة بالمراقبة فيعبد الله كأنه يراه، ويحسن تعامله مع الخلق، بداية من رد السلام إلى آخر ما جاء به الإسلام، وأفضل الأعمال التي تتطلب الإخلاص والإتقان أداء الصلاة والإحسان إلى اليتيم، ومن الإحسان عدم كفران العشير، وقلما يكون في النسوان.

٨١- الحسيب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ النساء:٨٦.

والحسيب سبحانه هو العليم الكافي الذي قدر أرزاق الخلائق قبل خلقهم، ووعد باستكمال العباد لأرزاقهم على مقتضى حكمته في ترتيب الأسباب، فضمن ألا تنفد خزائنه من الإنفاق، وأن كلا سينال نصيبه من الأرزاق، فهو الحسيب الرزاق، وهو القدير الخلاق، وهو سبحانه أيضا الحسيب الذي يكفي عباده إذا التجئوا إليه أو استعانوا به واعتمدوا عليه، وهو الذي يحصي أعداد المخلوقات وهيئاتها وما يميزها، ويضبط مقاديرها وخصائصها، ويحصي أعمال المكلفين في مختلف الدواوين، يحصي أرزاقهم وأسبابهم وأفعالهم ومآلهم في حال

وجودهم وبعد موتهم وعند حسابهم يوم يقوم الأشهاد فهو المجازي للخليقة عند قدومها بحسناتها وسيئاتها.

والحسيب أيضا هو الكريم العظيم المجيد الذي له علو الشأن ومعاني الكمال، وله في ذاته وصفاته مطلق الجمال والجلال.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الحسيب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ آل عمران:١٧٣.

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الحسيب شعوره بعز العبودية وشرفها، وأنه بدونها لا قيمة لحسبه ونسبه، فالكمال اللائق بالإنسان هو تكميل العبودية لله علما وعملا ظاهرا وباطنا، وأن يقف العبد مع نفسه على الدوام لمحاسبتها، فيميز حركاتها وسكناتها، فإن كان خاطر النفس عند الهم يقتضي نية أو عقدا أو عزما أو فعلا أو سعيا خالصا لله أمضاه وسارع في تنفيذه، وإن كان لعاجل دنيا أو عارض هوى أو لهو أو غفلة نفاه وسارع في نفيه وتقييده، فالمحاسبة هي المقايسة بين الخير والشر بميزان الشرع والأحكام وتميز الحلال والحرام، واتقاء الشبهات ما استطاع .

٨٢- الشافي

صح عن عَائِشة رضي الله عنها أن رَسُول الله ﷺ كان إِذا أتي

مريضًا أو أتِي به قال: (أذهب البَاسَ رَب الناسِ، اشف وأنت الشافي، لا شِفاءَ إلا شِفاؤُك، شِفاءً لا يغادِر سَقما) (١) .

والشافي سبحانه هو الذي يرفع البأس والعلل، ويشفي العليل بالأسباب والأمل، فقد يبرأ الداء مع انعدام الدواء، وقد يشفي الداء بلزوم الدواء، ويرتب عليه أسباب الشفاء وكلاهما باعتبار قدرة الله سواء، فهو الشافي الذي خلق أسباب الشفاء، ورتب النتائج على أسبابها والمعلولات على عللها، فيشفي بها وبغيرها، لأن حصول الشفاء عنده يحكمه قضاؤه وقدره، فالأسباب سواء ترابط فيها المعلول بعلته أو انفصل عنها هي من خلق الله وتقديره، ومشيئته وتدبيره، والأخذ بها لازم علينا من قبل الحكيم سبحانه لإظهار الحكمة في الشرائع والأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وظهور التوحيد وحقائق الإسلام.

ومن الدعاء باسم الله الشافي ما صح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان إِذا اشتكى رَسُول الله رَقاه جِبريل، قال: باسم الله يبريك، ومن كُل دَاءٍ يشفيك، ومن شر حاسِدٍ إِذا حسَدَ وشر كُل ذي عَينٍ) (٢).

ومن حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من عَادَ مريضًا لم

(١) رواه البخاري في الطب، باب دعاء العائد للمريض ٥/٢١٤٧ (٥٣٥١).
(٢) رواه مسلم في السلام، باب رآه والمرض والرقى ٤/ ١٧١٨ (٢١٨٥.

يحضُرُ أجله فقال عندَه سَبعَ مرَارٍ: أسأل الله العَظِيم رَب العَرشِ العَظِيم أن يشفيك إلا عَافاه الله من ذلك المرَضِ) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الشافي اعتقاده أن الله ﷻ هو الشافي الذي يشفي بالأسباب أو بدونها، لكن الموحد يأخذ بها لأن الله علق عليها الشرائع والأحكام .

وأعظم أثر للاسم على العبد في رفع البلاء وتمام الشفاء أن يحصن نفسه بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن يجعل الإيمان والعبودية وقاء له من كل داء، فالوحي فيه من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه والالتجاء إليه، والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه، فالقلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه.

---

(١) رواه الترمذي في الطب ٤/٤١٠ (٢٠٨٣)، وانظر صحيح الجامع (٥٧٦٦).

٨٣- الرفيق

صح من حديث عائشة رضي الله عنها أن رَسُول الله ﷺ قال: (إِنَّ الله رَفيق يحبُ الرفق، وَيعطِي عَلي الرفق مَا لا يعطِي عَلى العُنف وما لا يعطِي عَلي ما سِواه) (١).

والرفيق سبحانه هو اللطيف بعباده القريب منهم، يغفر ذنوبهم ويستر عيوبهم، وهو الذي تكفل بهم من غير عوض أو حاجة، يسر أسبابهم وقدر أرزاقهم وهداهم لما يصلحهم فنعمته عليهم سابغة، وحكمته فيهم بالغة، يحب عباده الموحدين ويتقبل صالح أعمالهم، ويقربهم وينصرهم على عدوهم، ويعاملهم بعطف ورحمة وإحسان، ويدعو من خالفه إلى التفكر والتذكر والتوبة والإيمان، فهو الرفيق المحسن في خفاء وستر، والله ﷻ رفيق يتابع عباده في حركاتهم وسكناتهم، ويتولاهم في حلهم وترحالهم بمعية عامة وخاصة، وهو الرفيق الذي يجمع عباده الموحدين في الجنة مع الرفيق الأعلى.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الرفيق ما صح من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دعا فقال: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عَليهم فاشقق عَليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرَفق بهم فارفق به) (٢).

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق ٤/٢٠٠٣ (٢٥٩٣).
(٢) رواه مسلم في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل ٣/١٤٥٨(١٨٢٨).

وكذلك دعاء النبي ﷺ : (اللهم اغفر لي وارحمنِي وألحِقنِي بالرفيقِ الأعلى) [١] .

ومن آثار توحيد المسلم لله في الاسم رفقه بإخوانه، فيحب للعاصي التوبة والمغفرة وللمطيع الثبات وحسن المنزلة، ويكون ودودا لعباد الله ﷻ؛ فيعفو عمن أساء إليه، ويلين مع البعيد كما يلين مع أقرب الناس إليه، كما أن الرفق في سائر الأمور ثمرة لا يضاهيها إلا حسن الخلق، والمحمود في العبد أن يكون وسطا بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ومن أعظم الرفق وتوحيد الله في اسمه الرفيق مودة الرجل لزوجته ورفقه بها وكذلك مودة المرأة لزوجها.

٨٤- المعطي

صح من حديث معاوية ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (من يردِ الله به خيرًا يفقهه في الدينِ، والله المعْطِي وأنا القاسِم) [٢].

والمعطي سبحانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة، وعطاء الله قد يكون عاما أو خاصا، فالعطاء العام يكون للخلائق أجمعين، والعطاء الخاص يكون للأنبياء

(١) رواه البخاري في المرضى، باب مرض النبي ووفاته ٤/ ١٦١٤ (٤١٧٦).
(٢) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: فإن لله خمسه وللرسول ٣/١١٣٤ (٢٩٤٨).

والمرسلين وصالح المؤمنين، والعطاء العام هو تمكين العبد من الفعل ومنحه القدرة والاستطاعة، كل على حسب رزقه أو قضاء الله وقدره، ومن العطاء الخاص استجابة الدعاء ونصرة الأنبياء والصالحين الأولياء.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله المعطي ما صح من حديث أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إِذا رفع رأسه من الركوع قال: (رَبنا لك الحمدُ ملءَ السَّماواتِ والأرضِ، وملءَ ما شِئْت من شيءٍ بَعدُ، أهل الثناءِ والمجدِ، أحق ما قال العَبدُ وكُلنا لك عَبدٌ، اللهم لا مانِعَ لما أعطَيت ولاَ معطِي لما منعت ولاَ ينفعُ ذا الجَد منك الجَد) [١].

وكان رسول الله ﷺ إِذا فرغ من طعامه قال: (اللهم أطعَمت وأسْقيْت، وأغنيت وأقنيت، وهدَيت واجتبَيْت، فلك الحمدُ عَلى ما أعطَيت) [٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المعطي تعلق القلب بالمتوحد في عطائه، والتعفف عن سؤال غيره أو دعائه، كما أن المسلم ينبغي أن يكون معطاء ولا يخشى الفقر.

وقد صح من حديث مالك بن نضلة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الأيدِي ثلاَثة: فيدُ الله العُليا، ويدُ المعطِى التي تليها، ويدُ السَّائِل

---

(١) رواه مسلم في الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة ١/٣٤٣ (٤٧١).

(٢) رواه أحمد في المسند ، وانظر صحيح الجامع (٤٧٦٨).

السُّفلى؛ فأعطِ الفضْل ولاَ تعجز عَن نفسِك)[١].

٨٥- المقيت

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ النساء:٨٥. فالله ﷻ مقيت من فوق عرشه له الكمال المطلق في إقاتة خلقه ورزقهم، فإذا أضيف إلى الإطلاق اجتماع معاني العلو كان ذلك من جمال الكمال في الاسم والصفة.

والمقيت سبحانه هو الذي خلق الأقوات وتكفل بإيصالها إلى الخلق، وهو حفيظ عليها فيعطي كل مخلوق قوته ورزقه على ما حدده سبحانه من زمان أو مكان أو كم أو كيف وبمقتضى المشيئة والحكمة، فربما يعطي المخلوق قوتا يكفيه لأمد طويل أو قصير كيوم أو شهر أو سنة، وربما يبتليه فلا يحصل عليه إلا بمشقة وكلفة.

والله ﷻ خلق الأقوات على مختلف الأنواع والألوان، ويسر أسباب نفعها للإنسان والحيوان، وكما أنه سبحانه المقيت الذي يوفي كامل الرزق، فإنه أيضا مقيت القلوب بالمعرفة والإيمان، وهو الحافظ لأعمال العباد بلا نقصان ولا نسيان.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله المقيت ما صح من حديث أبي

(١) رواه أبو داود في الزكاة، باب الصدقة على بني هاشم ١٢٣/٢ (١٦٥٠)، صحيح الجامع (٢٧٩٤).

هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم ارزُق آل محمدٍ قوتا) [(١)]. وفي رواية: (اللهم اجعَل رزق آل محمدٍ قوتا) [(٢)].

وثبت من حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من أطعَمه الله طَعَاما فليقل: اللهم بَاركْ لنا فيه وارزُقنا خيرًا منه، ومن سَقاه الله لبَنا فليقل: اللهم بَاركْ لنا فيه وزدنا منه، فإني لا أعلم ما يجزئُ من الطعَام والشرَاب إلا اللبَن) [(٣)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المقيت العبد أن يؤثر بقوته عامة المسلمين ثقة في أن القوت من رب العالمين لاسيما إذا اشتد عليهم الكرب وقلت لديهم سبل الكسب، وينبغي على المسلم أن يكون طعامه قوتا وسطا لا يجعل يده مغلولة ولا يكون مسرفا ملوما، وينبغي أن نفرق بين الحرص على أن يكون طعام الموحد قوتا وبين والتجويع والمبالغة في الزهد، لأن الله أمر بالاقتصاد في كل شيء، وبالصبر على الجوع كابتلاء لا حيلة للإنسان فيه، ولم يأمر بتجويع النفس وتعذيب البدن والمبالغة في الترك طلبا للحكمة والمعرفة؛ فالمسلم لا يكثر من الأكل المفوت للخير الكثير، فقد يكون الأكل واجبا بقدر ما تقوم به البنية، ومندوبا بقدر الشبع الشرعي المقوي له

---

(١) البخاري في الرقاق، باب كيف كان عيش النبيﷺ ٥/٢٣٧٢ (٦٠٩٥).

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق ٤/٢٢٨١ (١٠٥٥).

(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب اللبن ٢/١١٠٣ (٣٣٢٢)، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٣٢٠).

على التنفل، وجائز وهو ما فوقه بحيث لا يورث فتورا عن العبادة، فالقوت إنما يكون لقوام البدن لا لتسمينه وانشغاله عن الله فيصير علافا لا عابدا .

٨٦- السيد

صح من حديث عَبدِ الله بنِ الشخير ﷺ أنه قال: (انطَلَقت في وفد بَنِي عَامرٍ إلى رَسُول الله ﷺ فقلنا: أنت سَيِّدُنا، فقال: السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى) [١].

والحديث يدل دلالة صريحة على إثبات اسم الله السيد، وأن الذي سماه بذلك هو رسول الله ﷺ، وليس بعد قوله تعقيب؛ لأنه ﷺ يعني السيادة المطلقة التي تتضمن كل أوجه الكمال والجمال، فالسيد إطلاقا هو رب العزة والجلال، ولم ينف ﷺ السيادة المقيدة التي تليق بالمخلوق، أو السيادة النسبية التي تتضمن المفاضلة والتفوق على الآخرين.

والسيد سبحانه وهو الذي حقت له السيادة المطلقة، لأنه مالك الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه، فالخلق كلهم عبيده وهو ربهم، وهو الذي يملك نواصيهم ويتولاهم، وهو المالك الكريم الحليم الذي يتولى أمرهم ويسوسهم إلى صلاحهم، فسيد الخلق هو مالك أمرهم

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب ٤/٢٥٤ (٤٨٠٦)، وانظر صحيح أبي داود ٣/٩١٢(٤٠٢١).

الذي إليه يرجعون، وبأمره يعلمون وعن قوله يصدرون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقا له سبحانه وتعالى وملكا له، ليس لهم غنى عنه طرفة عين، وكل رغباتهم إليه، وكل حوائجهم إليه، كان هو سبحانه وتعالى السيد على الحقيقة.

ومن الدعاء باسم الله السيد ما ورد من دعاء الإمام أحمد على الخليفة المأمون بن هارون: (سيدي غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أولياءك بالضرب والقتل، اللهم فإن لم يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته، فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في الاسم مولاته لخالقه الذي انفرد بالسيادة المطلقة؛ فمن المعلوم أنه لا بد لكل عبد من سيد مالك، وأي عبد يخالف سيده فإنه آبق، ولما كان كل إنسان يلجأ إلى قوة عليا عند الاضطرار، ويركن إلى غني قوي عند الافتقار، فحري بالعبد الموحد أن يلجأ إلى رب العزة والجلال ؛ لأن العبودية مبنية على معنى الخضوع والطاعة، فإن لم يكن الإنسان عبدا لله فسيكون عبدا لغيره، فالعاقل من العبيد يتخير من الأسياد من يملك السيادة المطلقة على الخلائق أجمعين.

وينبغي تأدبا مع الله وتوحيدا له في اسمه السيد ألا يسمي المسلم

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٣٢، وحلية الأولياء ٩/١٩٥.

نفسه أو ولده بهذا الاسم مستغرقا للإطلاق معرفا ؛ لأن ذلك سوء أدب مع الله جل شأنه وتقدست أسماؤه .

٨٧- الطيب

صح عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أيها الناسُ إِن الله طَيب لا يقبل إلا طَيبا) [1].

والطيب سبحانه هو المتصف بالكمال والجمال في ذاته وأسمائه وصفاته، وهو أيضا طيب في أفعاله يفعل الأكمل والأحسن، فهو الذي أتقن كل شيء وأحسنه، فالحكيم اسمه والحكمة صفته، وهي بادية في خلقه تشهد لكمال فعله وتشهد بأنه عليم خبير، والطيب أيضا هو القدوس المنزه عن النقائص والعيوب، وهو الذي طيب الدنيا للموحدين فأدركوا الغاية منها وعلموا أنها وسيلتهم إلى الآخرة، وطيب الجنة لهم بالخلود فيها فشمروا إليها سواعدهم، وضحوا من أجلها بأموالهم وأنفسهم رغبة في القرب من الله.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الطيب ما صح من حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (التحِيات المبَارَكات الصَّلوات الطيبات لله السَّلاَم عَليك أيها النبي ورَحمة الله وبَرَكاته،

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٧٠٣/٢ (١٠١٥)، وأحمد في المسند ٣٢٨/٢ (٨٣٣٠).

السَّلاَم عَلينا وعَلى عبَاد الله الصَّالِحِين، أشهدُ أن لا إِله إلا الله وأشهدُ أن محمدًا رَسُول الله) (١). ومن حديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: (الحمدُ لله كثِيرًا طَيبا مبَارَكًا فيه غيرَ مكْفِيٍّ لاَ مُوَدَّع ولاَ مُسْتغني عَنه رَبنا) (٢).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الطيب أن يتحرى الحلال الطيب في طعامه وحاجته وفعله وكلمته، وكذلك ينفق من أجود ماله وأطيبه، ولا يبخل على نفسه وأهله بالطيب من المباحات، وكذلك يتخير من الزوجات أطيبهن فإن الطيبيين للطيبات. وأطيب أفعال العبد أن يوحد الرب في أسمائه وصفاته وكل ما انفرد به من أفعاله، فإن الله هو أحسن الخالقين الذي أحسن كل شيء خلقه، وليس ذلك لأحد غيره، فكيف يدعو غير الله أو يعظم أحدا سواه.

٨٨- الحكم

صح من حديث شُرَيْح ﷺ أن رسول الله ﷺ فقال: (إِنَّ الله هوَ الحكم وإِليه الحكْم) (٣).

(١) رواه مسلم في الصلاة، باب التشهد في الصلاة ١/٣٠٢ (٤٠٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه ٥/٢٠٧٨ (٥١٤٢)

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأدب ٤/٢٨٩ (٤٩٥٥)، وانظر صحيح أبي داود ٣/٩٣٦ (٤١٤٥).

والحكم سبحانه هو الذي يحكم في خلقه كما أراد، إما حكما إلزاميا لا يرد، وإما حكما تكليفا كابتلاء للعباد، فحكمه سبحانه في خلقه نوعان:

أولا: حكم يتعلق بالتدبير الكوني وهو واقع لا محالة لأنه يتعلق بالمشيئة، ومشيئة الله لا تكون إلا بالمعنى الكوني، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن ثم لا راد لقضائه لا معقب لحكمه ولا غالب لأمره، ومن هذا الحكم ما ورد في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ الرعد: ٤١.

ثانيا: حكم يتعلق بالتدبير الشرعي وهو حكم تكليفي ديني يترتب عليه ثواب أو عقاب وموقف المكلفين يوم الحساب، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ المائدة: ١.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الحكم ما صح عن النبي ﷺ أنه كان يدعو إذا افتتح صلاته من الليل: (اللهم رَب جِبرَائِيل وميكائِيل وإسرَافيل، فاطِرَ السَّماواتِ والأرض، عَالم الغيب والشهادَةِ، أنت تَحكُم بَين عبَادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِنِي لما اختلف فيه من الحق بإِذنِك إِنك تهْدِي من تشاءُ إِلي صِرَاطٍ مستقيم) [١].

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٤ (٧٧٠).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الحكم ألا يبتغي حكما دون الله ﷻ في منهج حياته، كما قال تعالى في محكم آياته: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يوسف:٤٠.

وقد خاصم الزبيرَ بن العوام ﷺ رجلٌ من الأنصار اختلفا على قناة الماء التي تروي أرضهما، وكانت أرض الزبير قبل أرضه والماء يمر أولا على نخله فأمر النبي ﷺ أن يسقي الزبير أرضه ثم يرسل الماء لجاره، فغضب الأنصاري وادعى أن الحكم محسوبية، وأنه ﷺ حكم لصالح الزبير ﷺ عصبية، من أجل أنه مكي من المهاجرين، فغضب النبي ﷺ وتلون وجهه، وأمر الزبير أن يسق أرضه حتى يغطي الماء أصول نخله ويبلغ في أرضه إلي مقدار الكعبَين ولا عليه من فعل الأنصاري أو قوله، فنزل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء:٦٥ (١).

٨٩- الأكرم

قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ العلق:٣.

الأكرم سبحانه هو الذي لا يوازيه كرم ولا يعادله في كرمه نظير،

(١) رواه البخاري في المساقاة، باب سكر الأنهار٢/٨٣٢ (٢٢٣١).

وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم، لكن الفرق بين الكريم والأكرم أن الكريم دل على الصفة الذاتية والفعلية معا كدلالته على معاني الحسب والعظمة والسعة والعزة والعلو والرفعة وغير ذلك من صفات الذات، وأيضا دل على صفات الفعل فهو الذي يصفح عن الذنوب، ولا يمن إذا أعطى فيكدر العطية بالمن، وهو الذي تعددت نعمه على عباده بحيث لا تحصى، وهذا كمال وجمال في الكرم، أما الأكرم فهو المنفرد بكل ما سبق من أنواع الكرم الذاتي والفعلي، فهو سبحانه أكرم الأكرمين له العلو المطلق على خلقه في عظمة الوصف وحسنه، ومن ثم له جلال الشأن في كرمه، وهو جمال الكمال وكمال الجمال .

والله ﷻ لا كرم يسموا إلى كرمه، ولا إنعام يرقى إلى إنعامه، ولا عطاء يوازي عطاءه، يعطى ما يشاء لمن يشاء كيف يشاء بسؤال وغير سؤال، وهو يعفو عن الذنوب ويستر العيوب، ويجازي المؤمنين بفضله، والمعرضين بعدله، فما أكرمه، وما أرحمه، وما أعظمه.

ومن الدعاء باسم الله الأكرم ما ثبت عن عبد الله بن مسعود ؓ أنه كان يدعو في السعي: (اللهم اغفر وارحم، واعف عَما تعلم، وأنت الأعَزُّ الأكْرَم، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة، وفى الآخِرَةِ حسَنة، وقِنا عَذابَ النار) (١).

ومن حديث عوف بن مالك ؓ في الدعاء للميت أن رسول الله

(١) البيهقي في السنن الحج، باب الخروج إلى الصفا والمروة ٥/٩٥ (٩١٣٤).

ﷺ قال: (اللهم اغفر له وارحمه، وعَافه واعف عَنه، وأكرم نزُله، وأوسِع مدخله، واغسِله بالماءِ والثلج والبَرَدِ، ونقه من الخطَايا كما ينقى الثوب الأبيضُ من الدنسِ) (١).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الأكرم أن يُظهر آثار النعمة توحيدا لله في الاسم، وأن يدرك المسلم أن الإكرام الحقيقي هو إكرام الله للعبد بالتوفيق للطاعة واليقين والإيمان، أما الإكرام بالنعمة فهي ابتلاء تستوجب الشكر ودرجة الإحسان، وليس كما يظن البعض أنها دليل رضا ومحبة، فليست سعة الرزق إكراما ولا ضيق الرزق إهانة، بل الإكرام الحقيقي في تقوى الله سرا وعلانية.

٩٠- البر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ الطور:٢٨.

البر سبحانه هو العَطوف على عبادة ببره ولطفه، فهو أهل البر والعطاء، يحسن إلى عباده في الأرض أو في السماء، يده ملأى سحاء بالليل والنهار، وكل ما أنفقه منذ خلق السماوات والأرض لم يغض ما في يده، والبر ﷻ هو الصادق في وعده الذي يتجاوز عن عبده وينصره ويحميه، ويقبل القليل منه وينميه، وهو المحسن إلى عبادِه الذي عَم بره وإحسانه جميعَ خلقه فما منهم من أحد إلا وتكفل الله بأمره ورزقه.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة ٢/٦٦٢(٩٦٣).

ومن الدعاء باسم الله البر ما ورد من دعاء عائشة رضي الله عنها: (اللهم من علينا، وقنا عذاب السموم، إنك أنت البر الرحيم) (١).

ولها أيضا: (اللهم إني أدعُوك الله، وأدعُوك الرحمن، وأدعُوك البَر الرحِيم، وأدعُوك بأسمائِك الحُسنى كُلها ما عَلمت منها وما لم أعلم أن تغفرَ لي وترحمنِي) (٢).

ومن دعاء علي ﷺ: (صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المتقين) (٣).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه البر أن يراعي في تعامله مع ربه الحرص على أنواع البر من فعل الخيرات وترك المنكرات، ولا يجعل همه فيما لا يعود عليه وعلى الآخرين بالنفع، وكذلك يعامل الآخرين بحسن الخلق وصفاء النية، وهذا من أعظم البر، ومن أعظم البر أيضا بر الوالدين والإحسان إلى الأبناء في تربيتهم وفي أسمائهم.

---

(١) المصنف في الأحاديث والآثار، باب في الرجل يصلي فيمر بآية رحمة أو آية عذاب ٢/٢٥ (٦٠٣٦).

(٢) رواه ابن ماجة في الدعاء، باب اسم الله الأعظم ٢/١٢٦٨(٣٨٥٩)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٠٢٢).

(٣) صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها للعلامة محمد ناصر الدين الألباني ص ١٧٣ صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها للعلامة محمد ناصر الدين الألباني ص ١٧٣.

٩١- الغفار

قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦﴾ ص:٦٦.

الغفار سبحانه هو الذي يستر الذنوب بفضله ويتجاوز عن عبده بعفوه، وطالما أن العبد موحد فذنوبه تحت مشيئة الله وحكمه، فقد يدخله الجنة ابتداء، وقد يطهره من ذنبه، والغفور سبحانه هو من يغفر الذنوب العظام، والغفار هو من يغفر الذنوب الكثيرة، غفور للكيف في الذنب، وغفار للكم فيه .

والله ﷻ وضع نظاما دقيقا لملائكته في تدوين الأجر الموضوع على العمل فهي تسجل ما يدور في منطقة حديث النفس دون وضع ثواب أو عقاب، وهذا يتطلب استغفارا عاما لمحو خواطر الشر النابعة من هوى النفس، ويتطلب استعاذة لمحو خواطر الشر النابعة من لمة الشيطان، كما أنها تسجل ما يدور في منطقة الكسب مع وضع الثواب والعقاب، وهي تسجل فعل الإنسان المحدد بالزمان والمكان ثم تضع الجزاء المناسب بالحسنات والسيئات، فإذا تاب العبد من الذنب محيت سيئاته وزالت وغفرت بأثر رجعي وبدلت حسنات، فالوزر يقابله بالتوبة الصادقة حسنات، فالله ﷻ غفار كثير المغفرة لم يزل ولا يزال بالعفو معروفا وبالغفران والصفح موصوفا، وكل عبد مضطر إلى عفوه ومغفرته كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه.

ومن الدعاء باسم الله الغفار أن النبي ﷺ كان إذا تضور من الليل دعا: (لا إله إلا الله الواحدُ القهَّار ربُّ السمَاواتِ والأرْض وَما بَينهُما العزيز الغفار) (١). وثبت من دعاء النبي ﷺ: (اللهم اغفر لي ما أسرَرت وما أعلنت) (٢).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: (اللهم اغفر لي ذنبي كُله، دِقه وجِله، وأوله وآخِرَه، وعَلاَنِيته وسِره) (٣).

وصح أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: (بسم الله وضَعت جَنبي، اللهم اغفر لي ذنبي وأخسِئْ شيطَانِي وفك رهانِي واجعَلنِي في الندِي الأعلى) (٤).

ومن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي قال: (إِن تغفر اللهم تغفر جَما، وأي عَبدٍ لك لا ألما) (٥).

---

(١) رواه صحيح ابن حبان ٣٤٠/١٢ (٥٥٣٠)، وانظر صحيح الجامع (٤٦٩٣)، ومعنى تَضَوَّر: تلوى وتتقلَّبُ ظهراً لِبَطْنٍ من شِدَّة الحمى والألم، انظر النهاية في غريب الحديث ١٠٥/٣.

(٢) رواه البخاري في التهجد، باب التهجد بالليل ٣٧٧/١ (١٠٦٩).

(٣) رواه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٠/١ (٤٨٣).

(٤) رواه أبو داود في الأدب، باب ما يقال عند النوم ٣١٣/٤ (٥٠٥٤)، صحيح الجامع (٤٦٤٩).

(٥) رواه الترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة والنجم ٣٩٦/٥ (٣٢٨٤)، صحيح الجامع (١٤١٧).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الغفار كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله مهما بلغت كمية الذنب أو كثرته، فالغفار سبحانه كثير المغفرة، والله ﷻ لا يعذب مستغفرا صدق في توبته، لأن الاستغفار الحق يتضمن الطلب لجميع الذنوب واستغراقها بحيث لا يدع ذنبا إلا تناولته، ثم إجماع العزم والصدق بكليته علي التوبة بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرا بها، ثم تخليص التوبة من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده. ومن آثار الاسم أيضا أن يستر العبد على إخوانه عيوبهم، ويغفر لهم زلاتهم توحيدا لله في اسمه الغفار.

٩٢- الرؤوف

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ النور:٢٠.

الرءوف سبحانه هو الذي يتعطف على عباده المؤمنين فيحفظ أسماعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم في توحيد الله وطاعته، وهذا من كمال الرأفة بالصادقين، والرءوف أيضا يدل على معنى التعطف على عباده المذنبين، فيفتح لهم باب التوبة ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها.

ومن الدعاء باسم الله الرءوف ما ورد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِـرْ

لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر: ١٠.

ومن دعاء عبد الله بن مسعود ﷺ: (سبحانك لا إله غيرك، اغفر لي ذنبي، وأصلح لي عملي، إنك تغفر الذنوب لمن تشاء، وأنت الغفور الرحيم، يا غفار اغفر لي، يا تواب تب علي، يا رحمن ارحمني، يا عفو اعف عني، يا رءوف ارأف بي) [1].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الرءوف أن يمتلأ قلبه بالرحمة والرأفة التي تشمل عامة المسلمين وخاصتهم، ولا بد أن تكون الرأفة في موضعها؛ فكما أنها من الأخلاق الحميدة والخصال العظيمة إلا أن الشدة أنفع في بعض المواضع، كإقامة الحدود والأخذ على أيدي المفسدين والظالمين حين لا ينفع معهم نصح ولا لين، وهذا يشبه حال المريض إذا اشتهى ما يضره أو جزع من تناول الدواء الكريه، فالرأفة به أن يعان على شربه .

٩٣- الوهاب

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران: ٨.

الوهاب سبحانه هو الذي يكثر العطاء بلا عوض، ويهب ما يشاء

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٥٧، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢/ ١٤٣.

لمن يشاء بلا غرض، ويعطي الحاجة بغير سؤال، ويسبغ على عباده النعم والأفضال، نعمه كامنة في الأنفس وجميع المصنوعات، ظاهرة بادية في سائر المخلوقات، نعم وعطاء وجود وهبات تدل على أنه المتوحد في اسمه الوهاب.

والله جل شأنه يهب العطاء في الدنيا على سبيل الابتلاء، ويهب العطاء في الآخرة على سبيل الأجر والجزاء، فعطاؤه في الدنيا معلق بمشيئته وابتلائه للناس بحكمته ليتعلق العبد بربه عند الطلب والرجاء، ويسعد بتوحيده وإيمانه بين الدعاء والقضاء، وهذا أعظم فضل وأكبر هبة وعطاء إذا وفق الله عبده لأدراك حقيقة الابتلاء.

ومن الدعاء باسم الله الوهاب ما ورد في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران:٨.

ومن حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: (كان إذا استيقظ من الليل قال: لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم إني أستغفرك لذنبي وأسألك برحمتك، اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الوهاب اتصافه بالكرم والعطاء والجود والسخاء، وصح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١/٧٢٤ (١٩٨١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(لا يحل لأحدٍ أن يهبَ هبَة، ثم يرجِعَ فيها إلا من ولدِه، فمن فعَل ذلك فمثله كمثل الكلب، يأكُل ثم يقيءُ، ثم يعُودُ في قيئِه) [(١)].

ومن آثار الاسم أيضا الرضا بما وهبه الله للعبد من الولد، ذكرا كان أم أنثى، فالعبرة بصلاحهم ودعائهم في عقبهم لا بنوعهم، وكفى بالعبد تعرضا لمقت الله أن يتسخط ما وهبه، كما أن التسخط بما وهب الله من الإناث من أخلاق الجاهلية التي ذمها الله تعالى.

٩٤- الجواد

ورد الاسم فيما صح من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ﷻ جواد يحب الجود) [(٢)].

والجواد سبحانه هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، الذي ينفق على خلقه بكثرة جوده وكرمه وفضله ومدده، فلا تنفد خزائنه ولا

---

(١) رواه النسائي في كتاب الهبة ٢٦٨/٦ (٣٧٠٤)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٦١٢).

(٢) انظر تصحيح الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٦) (١٣٧٨) (١٦٢٧)، وصحيح الجامع (١٧٤٤) (١٨٠٠)، وانظر أيضا مسند أبي يعلى ١٢١/٢، والمسند لابن كليب الشاشي ٨٠/١، وحلية الأولياء لأبي نعم الأصبهاني ٢٦٣/٣، ٢٩/٥، والكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ٣٣٢/٥ (٢٦٦١٧) والزهد لهناد بن السري الكوفي ٤٢٣/٢، وكتاب التوحيد لابن منده ٩٩/٢، ومجلس إملاء لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق ص٨٢، والكرم والجود وسخاء النفوس للبرجلاني ص٣٥،٣٤.

ينقطع سحاؤه ولا يمتنع عطاؤه.

وهو سبحانه من فوق عرشه عليم بموضع جوده في خلقه، فلا يعطي إلا بمقتضى عدله وحكمته، وما يحقق مصلحة الشيء وغايته، وهو الذي يهدي عباده أجمعين إلى جادة الحق المبين، هداهم سبل الشرائع والأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وبين لهم أسباب صلاحهم في الدنيا والآخرة ودعاهم إلى عدم إيثار الدنيا على الآخرة، فله سبحانه الجود كله، وجود جميع الخلائق إلى جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الجواد ما صح من حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعو: (اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك) [١].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الجواد كثرة الجود في سبيل الله، وأعلاه أن يجود بنفسه لتكون كلمة الله هي العليا، وأن يجود بالرياسة ويمتهنها بالتواضع لفقراء الناس وحاجتهم، وأن يجود براحته ورفاهيته وإجمام نفسه تعبا وكدا في مصلحة غيره، وأن يجود بالعلم وهو من أعلى مراتب الجود، وهو أفضل من الجود بالمال لأن العلم أشرف من المال.

وقد اقتضت حكمة الله وتقديره النافذ أن لا ينفع به بخيلا أبدا، ثم

---

(١) مستدرك الحاكم ١/٧٠٦ (١٩٢٤)، السلسلة الصحيحة (١٥٤٠).

الجود بالمنزلة والشرف والجاه في الشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه وذلك، ثم الجود بالمسامحة لمن شتمه أو قذفه أن يجعله في حل، وكذلك الجود بالصبر والاحتمال والخلق والبشر والبسطة، وترك ما في أيدي الناس من النعم فيغبطهم عليها ولا يلتفت بجسد إليها، ولا يستشرف له بقلبه ولا يتعرض له بحاله ولا لسانه .

٩٥- السبوح

صح عن عَائِشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسُجُودِه: (سُبوحٌ قدوسٌ رَب الملاَئِكةِ والروحِ) (١).

والسبوح ﷻ هو الذي له أوصاف الكمال والجمال بلا نقص، وله الأفعال المقدسة عن الشر والسوء والعجز، فيسبحُ في آياته قلب المسبح تذكرا وتفكرا فلا يرى إلا العظمة والجلال والكمال والجمال، ثم يشاهد آثار الأوصَاف وكمال الأفعال فيزداد تعظيما لله وتبعيدا له من كل سوء، والسبوح أيضا هو الذي سبح بحمده المسبحون، وعجز عن وصفه الواصفون، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون.

قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٣ (٤٨٧)، وأبو داود في كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١/٢٣٠ (٨٧٢)، والنسائي في كتاب التطبيق ١/٢٤٠ (٧٢٠)، وأحمد في المسند ٦/٣٤ (٢٤١٠٩).

بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الإسراء:٤٤.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله السبوح ما صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان النبي ﷺ يقول في ركُوعه وسُجُودِه: سُبحانك اللهم رَبنا وبحمدِك اللهم اغفر لي) (١) . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجهر بهؤلاء الكلمات فيقول: (سُبحانك اللهم وبحمدِك تبَارَك اسمُكَ وتعَالى جَدكَ ولاَ إِله غيرك) (٢).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه السبوح حسن توحيده لله، فيصف الله بما وصف به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ ، ولا يمثل ولا يكيف، ولا يعطل ولا يحرف، بل يصدق بالخبر وينفذ الأمر، ومن أبرز دلائل التوحيد في اسم الله السبوح كثرة التسبيح ليلا ونهارا وسرا وجهارا، بحيث يجعل المسلم جنانه ولسانه وأركانه عامرة بذكره، وشاهدة بحبه وسببا في رحمته وقربه.

٩٦- الوارث

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحجر:٢٣.

والوارث سبحانه هو الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم. ومعلوم أن الخلائق يتعاقبون على الأرض فيرث المتأخر منهم المتقدم،

(١) رواه البخاري كتاب المغازي، باب الدعاء في الركوع ١/٢٧٤ (٧٦١).
(٢) رواه مسلم في الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة ١/٢٩٩ (٣٩٩).

ويستمر التوارث حتى تنقطع الدنيا ولا يبقى إلا الوارث الذي له الملك فيرث جميع الأشياء بعد فناء أهلها.

والوارث سبحانه هو الذي كتب الغلبة للمؤمنين ولو بعد حين، وأورث المؤمنين ديار الكافرين ومساكنهم في الجنة، فجعل لهم البقاء فيها مخلدين، وتوريث المؤمنين الجنة لا يعني أنها تشارك الله في البقاء، لأن خلد الجنة وأهلها إلى ما لا نهاية إنما هو بإبقاء الله وإرادته، فبقاء المخلوقات ليس من طبيعتها ولا من خصائصها الذاتية، بل من طبيعتها جميعا الفناء، أما بقاء الله ودوامه وميراثه وأوصافه فهي باقية ببقائه ملازمة لذاته، لأن البقاء صفة ذاتية له، فهو الوارث لجميع الخلائق في الدنيا والآخرة.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الوارث ما ثبت من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: (اللهم متعنِي بسَمعي وبَصَري، واجعَلهما الوارث منى، وانصُرنِي عَلى من يظلمنِي، وخُذ منه بثأري) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الوارث إظهار الغربة في الدنيا والتزود من توحيد العبودية لله، فتتوجه الإرادة والأقوال والأفعال على هذا المعنى.

ومن آثار الاسم أيضا أن يتقي الله في حقوق الإرث، ولا يظلم

(١) رواه الترمذي في الدعوات ٥/٥١٨ (٣٤٨٠)، صحيح الجامع (١٣١٠).

أحدا مما فرض الله لكل وارث لاسيما إن كانوا إناثا، وأن يعطي المساكين من مال الله إذا حضروا القسمة أو لم يحضروها، وينبغي أن يوقن الموحد أن الله ﷻ هو الذي يقسم الأرزاق، وأن الميراث الحقيقي هو ميراث العلم والأخلاق، ميراث عدن والنعيم والفردوس.

٩٧- الرب

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨ ﴾ يس:٥٨.

وصح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (ألاَ وإِني نهيت أن أقرَأ القرآن رَاكِعًا أو سَاجِدًا، فأما الركُوعُ فعَظموا فيه الرب ﷻ، وأما السُّجُودُ فاجتهدُوا في الدعَاءِ فقمنٌ أن يستجَابَ لكُم) (١).

والرب ﷻ هو المتكفل بخلق الموجودات وإنشائها، والقائم على هدايتها وإصلاحها، وهو الذي نظم حياتها ودبر أمرها ؛ فالرب سبحانه هو المتكفل بالخلائق أجمعين إيجادا وإمدادا ورعاية وحفظا وقياما على كل نفس بما كسبت.

وحقيقة معنى الربوبية في القرآن تقوم على ركنين اثنين، الأول إفراد الله بتخليق الأشياء وتكوينها وإنشائها من العدم، حيث أعطى كل شيء خلقه وكمال وجوده، والثاني إفراد الله بتدبير الأمر في

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ١/٣٤٨ (٤٧٩).

خلقه كهدايتهم والقيام على شؤونهم وتصريف أحوالهم والعناية بهم، فهو سبحانه الذي توكل بالخلائق أجمعين.

ومن الدعاء باسم الله الرب ما ورد في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة:٢٨٦.

ومن حديث شداد بن أوسٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال: (سيِّد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعت أبوءُ لك بنعمتك، وأبوءُ لك بذنبي فاغفر لي ؛ فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت، أعوذ بكَ من شر مَا صنعت، إذا قال حين يمسي فمات ؛ دخل الجنة، أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حِين يصبح فمات من يومه دخل الجنة) [(١)].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الرب أن يكتسي بثوب العبودية، وأن يخلع عن نفسه رداء الربوبية؛ لعلمه أن المنفرد بها من له علو الشأن والقهر والفوقية، فيثبت لله ﷻ أوصاف كماله وعظمته، ولا ينازع رب العالمين في إرادته وشريعته أو يتخلف عن هدي النبي ﷺ وسنته، فدعاء العبادة هنا عمل وسلوك وتربية والتزام، ومجاهدة وتضحية تدفع العبد إلى أرقى درجات الإسلام.

(١) رواه البخاري في الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ٥/٢٣٢٣ (٥٩٤٧).

ومن دعاء العبادة أيضا أن يتقي العبد ربه فيمن ولاه عليهم، وألا يصف نفسه بأنه رب كذا تواضعا لربه وتوحيدا لله في اسمه ووصفه، وإن جاز أن يصفه غيره بذلك.

٩٨- الأعلى

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ الأعلى:١.

الأعلى سبحانه هو المتصف بعلو الشأن وهو أحد معاني العلو، فالله ﷻ تعالى عن جميع النقائص والعيوب التي تنافي ألوهيته وربوبيته، وتعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير، وتعالى في عظمته أن يشفع أحد عنده دون إذنه، وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد، وأن يكون له كفوا أحد، وتعالى في كمال حياته وقيوميته عن السنة والنوم، وتعالى في قدرته وحكمته عن العبث والظلم، تعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل، فله المثل الأعلى، وكل كمال لبعض الموجودات فالرب الخالق الصمد القيوم هو أولى به إذا ورد به الخبر في حقه، وكل نقص أو عيب يجب أن ينزه عنه بعض المخلوقات المحدثة فالرب الخالق القدوس السلام هو أولى أن ينزه عنه.

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله الأعلى ما صح من حديث ابن

عباس ﷺ أنه قال: (كان رَسُول الله ﷺ يعَلمنا دُعَاءً ندعُو به في القنوتِ من صَلاَةِ الصُّبحِ: اللهم اهدِنا فيمن هدَيت، وعَافنا فيمن عَافيت، وتولنا فيمن توليت وبَاركْ لنا فيما أعطَيت، وقِنا شر ما قضيت، إِنك تقضى ولاَ يقضى عَليك، إِنه لا يذِل من واليت تبَارَكْت رَبنا وتعَاليت) (١).

ومن حديث عائشة رضي الله عنها عن دعاء النبي ﷺ قبل موته: (اللهم اغفر لي وارحمنِي وألحِقنِي بالرفيقِ الأعلى) (٢).

وكان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: (بسم الله وضَعت جَنبي، اللهم اغفر لي ذنبي وأخسِئ شيطَاني، وفك رهانِي، واجعَلنِي في الندِىِّ الأعلى) (٣).

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الأعلى كثرة سجوده للمعبود، ولذلك كانت الصلاة ركنا أساسيا من أركان الإسلام، وهي في جملتها فيصل بين الكفر والإيمان، لأنها تفصل بين الصدق في حقيقة الخضوع والعبودية ومعاني الكبر والعلو وأوصاف الربوبية، فهي

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في قنوت الوتر ٣٢٨/٢ (٤٦٤)، ومشكاة المصابيح (١٢٧٣).

(٢) رواه البخاري في المرضى، باب مرض النبي S ووفاته ١٦١٤/٤ (٤١٧٦)).

(٣) رواه أبو داود في الأدب، باب ما يقال عند النوم ٣١٣/٤ (٥٠٥٤)، صحيح الجامع (٤٦٤٩).

اعتراف عملي من الموحد بأنه عبد، وتوحيد واقعي لله الإله الرب.

٩٩- الإله

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨) ﴾ الأنبياء:١٠٨.

الإله سبحانه هو المعبود بحق، المستحق للعبادة وحده دون غيره، وقد قامت كلمة التوحيد في الإسلام على معنى الإلوهية، فالإله هو المستحق للعبادة المألوه الذي تعظمه القلوب وتخضع له وتعبده عن محبة وتعظيم وطاعة وتسليم.

أما الرب فمعناه يعود إلى الانفراد بالخلق والتدبير، ولذلك كان التوحيد الذي أمر الله ﷻ به العباد هو توحيد الإلوهية المتضمن لتوحيد الربوبية، بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا،ويكون الدين كله لله، فلا يخاف العبد إلا الله، ولا يدعو أحدا سواه ويكون الإله سبحانه أحب إليه من كل شيء؛ فالموحدون يحبون لله، ويبغضون لله، ويعبدون الله ويتوكلون عليه.

ومن الدعاء باسم الله الإله ما صح من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال عن دعوة يونس: (دَعوة ذِي النونِ إِذ دَعَا وهو

في بَطنِ الحوتِ لا إِله إلا أنت سُبحانك إِني كُنت من الظالمين، فإِنه لم يدعُ بها رَجُلٌ مسلم في شيءٍ قطُّ إلا استجَابَ الله له) [١].

ومن حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إِله إلا الله العَليُّ العَظِيم، لا إِله إلا الله الحليم الكريم، لا إِله إلا الله رَب العَرشِ العَظِيم، لا إِله إلا الله رَب السَّماواتِ والأرضِ ورَب العَرشِ العَظِيم) [٢].

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه الإله أن يحقق توحيد الألوهية على وجه الكمال، فهو الغاية التي خلق الله الناس من أجلها، وهو أول الدين وآخره وظاهره وباطنه، فوجب على المسلم الذي اعتقد أن إلهه هو الإله الحق، وأن كل ما سواه خاضع له طوعا وكرها أن يوجه قصده وطلبه في الحياة إلى العمل في مرضاته، وأن يسلك أقرب الطرق والوسائل إليه، وهو طريق السنة والاتباع دون الهوى والابتداع.

وإذا وفقه الله إلى الطاعة وأدى توحيد الألوهية نسب الفضل في طاعته إلى ربه، وأنها كانت بمعونته وتوفيقه لما سبق من قضائه وقدره، ولا ينسب الفضل في ذلك إلى نفسه ؛ أو يمن به على ربه،

---

(١) الترمذي في الدعوات، ٣١٤/٨ (٣٥٠٥)، صحيح الترغيب والترهيب (١٦٤٤).
(٢) رواه ابن ماجه في الدعاء، باب الدعاء ثم الكرب، ١٢٧٨/٢ (٣٨٨٣)، صحيح الجامع (٤٥٧١).

فلا بد له على الدوام من توحيد العبادة والاستعانة معا، فيرقى بهمته مدارج السالكين ويقطع في سعيه إلى ربه منازل السائرين يتقلب فيها بين إياك نعبد وإياك نستعين.

